



مطبعة عايشة دار المأهون

الوقت من ذهب
الدكتور محمد فوزي رافعي

مكتبة القراءة والثقافة
مدير إدارة الصحافة والنشر والثقافة

المصرية

الأدبية

سلسلة المصادر العربية

فتح الطبيب
٢٠٠ هـ

تأليف العلامة أحمد المقرئ المغربي المالكي الأشعري

مضبوطة ومشروحة ومعلّقة عليها

راجعت وزارة المعارف العمومية هذا الكتاب

الجزء الخامس

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ أَمَّا بَعْدُ
فَقَدْ قَالَ الْعَمَادُ الْأَصْفَهَانِي
إِنِّي رَأَيْتُ أَنَّهُ لَا يَكْتُوبُ إِنْسَانٌ كِتَابًا بِي يَوْمِهِ إِلَّا قَالَ
فِي غَدِهِ : لَوْ غَيْرَ هَذَا الْكَانَ أَحْسَنَ ، وَلَوْ زَيْدٌ كَذَا الْكَانَ يُسْتَحْسَنُ ،
وَلَوْ كُذِّمَ هَذَا الْكَانَ أَفْضَلَ ، وَلَوْ تَرِكَ هَذَا الْكَانَ أَجْمَلَ ، وَهَذَا
مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَرِ ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى اسْتِيلَاءِ النَّقْصِ عَلَى جَمَلَةِ
الْبَشَرِ .

الْعَمَادُ الْأَصْفَهَانِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« وَأَمَّا » مَسْجِدُ قُرْطُبَةَ فَشَهْرِيَّةٌ تُغْنِي عَنْ كَثْرَةِ
الْكَلَامِ فِيهِ ، وَلَكِنْ نَذْكُرُ مِنْ أَوْصَافِهِ ، وَتَنْشُرُ^(١) مِنْ
أَحْوَالِهِ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ ، فَتَقُولُ : قَالَ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ : لَيْسَ فِي
بِلَادِ الْإِسْلَامِ أَعْظَمُ مِنْهُ وَلَا أَعْجَبُ بِنَاءً ، وَآتَقَنُ صَنْعَةً
وَكُلَّمَا اجْتَمَعَتْ مِنْهُ أَرْبَعُ سَوَارِي^(٢) كَانَ رَأْسُهَا وَاحِدًا
ثُمَّ صَفَّ رُخَامٍ مَنْقُوشٍ بِالذَّهَبِ وَاللَّازُورِدِ فِي أَغْلَاهُ
وَأَسْفَلِهِ . انْتَهَى .

(١) فِي بَعْضِ النُّسخِ « وَلَنْشُرَ مِنْ أَحْوَالِهِ إِلَى مَا لَا بُدَّ مِنْهُ » . (٢) الْأَوَّلَى .

أَرْبَعُ سَوَارٍ « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نِجَاتِي »

وَكَانَ الَّذِي أَبْتَدَأَ بِنَاءِ هَذَا الْمَسْجِدِ الْعَظِيمِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ
ابْنُ مُعَاوِيَةَ الْمَعْرُوفُ بِالْدَّخِلِ ، وَلَمْ يَكْمُلْ فِي زَمَانِهِ
وَكَمَّلَهُ ابْنُهُ هِشَامٌ ، ثُمَّ تَوَالَى الْخُلَفَاءُ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ عَلَى
الزِّيَادَةِ فِيهِ حَتَّى صَارَ الْمَثَلُ مَضْرُوبًا بِهِ . وَالَّذِي ذَكَرَهُ
غَيْرُ وَاحِدٍ أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ كُلُّ خَلِيفَةٍ يَزِيدُ فِيهِ عَلَى مَنْ قَبْلَهُ
إِلَى أَنْ كَمَلَ عَلَى يَدِ نَحْوِ الثَّمَانِيَةِ مِنَ الْخُلَفَاءِ . وَقَالَ بَعْضُ
الْمُؤَرِّخِينَ : إِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ الدَّخِلَ لَمَّا اسْتَقَرَّ
أَمْرُهُ وَعَظُمَ بَنَى الْقَصْرَ بِقُرْطُبَةَ ، وَبَنَى الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ
وَأَتَّفَقَ عَلَيْهِ ثَمَانِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَبَنَى بِقُرْطُبَةَ
الرُّصَافَةَ تَشْبِيهَا بِرُصَافَةِ جَدِّهِ هِشَامٍ بِدِمَشْقَ .
وَقَالَ بَعْضُ : إِنَّهُ أَتَّفَقَ عَلَى الْجَامِعِ ثَمَانِينَ أَلْفَ
دِينَارٍ ، وَأَشْتَرَى مَوْضِعَهُ - إِذْ كَانَ كَنِيسَةً - بِمِائَةِ أَلْفِ
دِينَارٍ ، فَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

وَقَالَ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ فِي تَرْجَمَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّخِلِ
مَا صُوِّرَتْهُ : إِنَّهُ لَمَّا تَمَهَّدَ مُلْكُهُ شَرَعَ فِي تَعْظِيمِ قُرْطُبَةَ ،

فَجَدَّدَ مَغَانِيهَا^(١) ، وَشَيَّدَ مَبَانِيهَا ، وَحَصَّنَهَا بِالسُّورِ ،
وَأَبْتَنَى قَصْرَ الْإِمَارَةِ وَالْمَسْجِدَ الْجَامِعَ وَوَسَّعَ فَنَاءَهُ ، وَأَصْلَحَ
مَسَاجِدَ الْكُورِ ، ثُمَّ أَبْتَنَى مَدِينَةَ الرُّصَافَةِ مُتَزَرِّهَا
لَهُ ، وَاتَّخَذَ بِهَا قَصْرًا حَسَنًا وَجَنَانًا وَاسِعَةً ، نَقَلَ إِلَيْهَا
غَرَائِبَ الْغُرَاسِ وَكَرَائِمَ الشَّجَرِ مِنْ بِلَادِ الشَّامِ وَغَيْرِهَا مِنْ
الْأَقْطَارِ . انْتَهَى

وَكَانَتْ أُخْتُهُ أُمُّ الْأَصْبَغِ تُرْوِلُ إِلَيْهِ مِنَ الشَّامِ
بِالْغَرَائِبِ مِثْلَ الرُّمَّانِ الْعَجِيبِ الَّذِي أَرْسَلَتْهُ إِلَيْهِ مِنْ
دِمَشْقِ الشَّامِ كَمَا مَرَّ . وَسَيَاتِي كَلَامُ ابْنِ سَعِيدٍ بِمَا هُوَ أَتَمُّ
مِنْ هَذَا . وَلَمَّا ذَكَرَ ابْنُ بَشْكُوَالِ زِيَادَةَ الْمَنْصُورِ بْنِ
أَبِي عَامِرٍ فِي جَامِعِ قُرْطُبَةَ قَالَ : وَمِنْ أَحْسَنِ مَا عَايَنَهُ
النَّاسُ فِي بُنْيَانِ هَذِهِ الزِّيَادَةِ الْعَامِرِيَّةِ أَعْلَاجُ النَّصَارَى
مُصَفَّدِينَ^(٢) فِي الْحَدِيدِ مِنْ أَرْضِ قِشْتَالَةَ وَغَيْرِهَا ، وَهُمْ

(١) جمع مغنى: اسم مكان من غنى بالمكان « كرضى » إذا أقام به

(٢) صفده: وأصفده وصفده إذا شده وقيدته وأوقفه في الحديد وغيره

كَانُوا يَتَصَرَّفُونَ فِي الْبُيُوتِ عِوَضًا مِنْ رَجَالَةِ الْمُسْلِمِينَ
إِذْ لَا لِلشَّرِكِ وَعِزَّةٌ لِلْإِسْلَامِ . وَلَمَّا عَزَمَ عَلَى زِيَادَتِهِ هَذِهِ
جَلَسَ لِأَرْبَابِ الدُّورِ الَّتِي تَقْلُ أَصْحَابَهَا عَنْهَا بِنَفْسِهِ ، فَكَانَ
يُؤْتِي بِصَاحِبِ الْمَنْزِلِ فَيَقُولُ لَهُ : إِنَّ هَذِهِ الدَّارَ الَّتِي لَكَ
يَا هَذَا أُرِيدُ أَنْ أُتَاعَهَا لِجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ مَالِهِمْ وَفَيْهِمْ
لِأَزِيدَهَا فِي جَامِعِهِمْ وَمَوْضِعِ صَلَاتِهِمْ ، فَشَطَّطُ^(١) وَأَطْلُبُ
مَا شِئْتُ ، فَإِذَا ذَكَرَ لَهُ أَقْصَى الثَّمَنِ أَمَرَ أَنْ يُضَاعَفَ لَهُ
وَأَنْ تُشْتَرَى لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ دَارٌ عِوَضًا مِنْهَا ، حَتَّى أَتَى بِامْرَأَةٍ
لَهَا دَارٌ بِصَحْنِ الْجَامِعِ فِيهَا نَخْلَةٌ ، فَقَالَتْ : لَا أَقْبَلُ عِوَضًا إِلَّا
دَارًا بِنَخْلَةٍ ، فَقَالَ : تُبْتَاعُ لَهَا دَارٌ بِنَخْلَةٍ وَلَوْ ذَهَبَ فِيهَا يَتُّ
الْمَالِ ، فَاشْتَرَيْتُ لَهَا دَارًا بِنَخْلَةٍ وَبُورِغٍ فِي الثَّمَنِ . وَحَكَى
ذَلِكَ ابْنُ حَيَّانَ أَيْضًا . وَقِيلَ : إِنَّ إِنْتِفَاقَ الْحُكْمِ فِي زِيَادَةِ

(١) كَذَا بِالْأَصْلِ ، وَالْأَوَّلَى أَنْ تَكُونَ : فَاشْطَطَ يَقَالُ شَطٌّ فِي سِلْعَتِهِ يَشْطُ
شَطَطًا إِذَا جَاوَزَ الْقَدْرَ الْمَحْدُودَ وَتَبَاعَدَ عَنِ الْحَقِّ ، وَشَطٌّ عَلَيْهِ فِي السُّومِ
وَأَشْطُ إِذَا أَبْعَدَ ، وَتَجَاوَزَ الْحَدَّ فِي بَيْعٍ أَوْ طَلَبٍ أَوْ احْتِكَامٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ،
مَشْتَقٌّ مِنْ شَطَّتِ الدَّارُ إِذَا بَعُدَتْ « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَافِي »

الْجَامِعِ كَانَ مِائَةَ أَلْفٍ وَوَاحِدًا وَسِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ وَنِيفًا ،
وَكُلُّهُ مِنْ الْأَخْمَاسِ . وَقَالَ صَاحِبُ كِتَابِ « مَجْمُوعِ
الْمُفْتَرِقِ » وَكَانَ سَقْفُ الْبَلَاطِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ مِنَ الْقِبْلَةِ
إِلَى الْجَوْفِ قَبْلَ الزِّيَادَةِ مِائَتَيْنِ وَخَمْسًا وَعِشْرِينَ ذِرَاعًا ،
وَالْعَرْضُ مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ قَبْلَ الزِّيَادَةِ مِائَةً ^(١) ذِرَاعًا
وَخَمْسَةَ أَذْرُعٍ ^(٢) ، ثُمَّ زَادَ الْحُكْمُ فِي طُولِهِ مِائَةَ ذِرَاعٍ وَخَمْسَةَ
أَذْرُعٍ ، فَكَمَلَ الطُّولُ ثَلَاثِمِائَةَ ذِرَاعٍ وَثَلَاثِينَ ذِرَاعًا .
وَزَادَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ بِأَمْرِ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ فِي
عَرْضِهِ مِنْ جِهَةِ الْمَشْرِقِ ثَمَانِينَ ذِرَاعًا ، قَمَّ الْعَرْضُ مِائَتَيْنِ
ذِرَاعٍ وَثَلَاثِينَ ذِرَاعًا . وَكَانَ عَدَدُ بَلَاطِهِ أَحَدَ عَشَرَ بَلَاطًا
عَرْضُ أَوْسَطِهَا سِتَّةَ عَشَرَ ذِرَاعًا ، وَعَرْضُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ

(١) بالأصل « مائتا » ويعلم أن صوابها « مائة » مما يأتي بعد كما مر

(٢) لعل الأصل مائة ذراع وخمسون ذراعا - فسيأتي أنه لما زيد فيه

ثمانون ذراعا صار عرضه ٢٣٠ ذراعا ، والذراع يؤنث ويذكّر ، وهو هنا في

ألفاظ الأعداد يراعى الأمران وإن كان التأنيث أفصح وأكثر بل لم يعرف

الأصمعي فيها التذكير ، فلا حسن أن يقال خمس أذرع « أحمد يوسف نجاشي »

الَّذِينَ يَلِيَانِهِ غَرْبًا وَالَّذِينَ يَلِيَانِهِ شَرْقًا أَرْبَعَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا ،
وَعَرْضُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ السُّتَّةِ الْبَاقِيَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ ذِرَاعًا .
وَزَادَ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ فِيهِ ثَمَانِيَةَ عَرْضُ كُلِّ وَاحِدٍ عَشْرُ
أَذْرُعٍ . وَكَانَ الْعَمَلُ فِي زِيَادَةِ الْمَنْصُورِ سَنْتَيْنِ وَنِصْفًا ،
وَخَدَمَ فِيهِ بِنَفْسِهِ . وَطُولُ الصَّخْنِ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى
الْمَغْرِبِ مِائَةُ ذِرَاعٍ وَثَمَانٍ وَعِشْرُونَ ذِرَاعًا ، وَعَرْضُهُ
مِنَ الْقِبْلَةِ إِلَى الْجَوْفِ مِائَةُ ذِرَاعٍ وَخَمْسُ أَذْرُعٍ ،
وَعَرْضُ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنَ السَّقَائِفِ الْمُسْتَدِيرَةِ بِصَحْنِهِ عَشْرُ
أَذْرُعٍ ، فَتَكْسِيرُهُ ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ ذِرَاعٍ وَمِائَةٌ
وَخَمْسُونَ ذِرَاعًا . وَعَدَدُ أَبْوَابِهِ تِسْعَةٌ : ثَلَاثَةٌ فِي صَحْنِهِ
غَرْبًا وَشَرْقًا وَجَوْفًا ، وَأَرْبَعَةٌ فِي بَلَاطَاتِهِ اثْنَانِ شَرْقِيَّانِ
وَاثْنَانِ غَرْبِيَّانِ ، وَفِي مَقَاصِيرِ النِّسَاءِ مِنَ السَّقَائِفِ بَابَانِ ،
وَجَمِيعُ مَا فِيهِ مِنَ الْأَعْمِدَةِ أَلْفُ عَمُودٍ وَمِائَتَا عَمُودٍ وَثَلَاثَةٌ
وَتِسْعُونَ عَمُودًا رُخَامًا كُلُّهَا ، وَبَابُ مَقْصُورَةِ الْجَامِعِ
ذَهَبٌ ، وَكَذَلِكَ جِدَارُ الْمِحْرَابِ وَمَا يَلِيهِ ، قَدْ أُجْرِى فِيهِ

الذَّهَبُ عَلَى الْفُسَيْفَسَاءِ^(١)، وَتُرَيَّاتُ الْمَقْصُورَةِ فِضَّةٌ مُحْضَةٌ
وَأَرْتَفَاعُ الصُّومَةِ الْيَوْمَ - وَهِيَ مِنْ بِنَاءِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ
مُحَمَّدٍ - ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ ذِرَاعًا إِلَى أَعْلَى الْقُبَّةِ الْمُتَفَحَّةِ الَّتِي
يَسْتَدِيرُهَا^(٢) الْمُؤَذِّنُ، وَفِي رَأْسِ هَذِهِ الْقُبَّةِ تَقَافِيحُ ذَهَبٍ
وَفِضَّةٍ، وَدَوْرُ كُلِّ تَفَاحَةٍ ثَلَاثَةُ أَشْبَارٍ وَنِصْفٌ، فَاثْنَتَانِ
مِنَ التَّقَافِيحِ ذَهَبٌ إِبْرِيزٌ وَوَاحِدَةٌ فِضَّةٌ، وَتَحْتَ كُلِّ
وَاحِدَةٍ مِنْهَا وَفَوْقَهَا سَوَسَنَةٌ قَدْ هُنْدِسَتْ بِأَبْدَعِ صَنَعَةٍ،
وَرُمَّانَةٌ ذَهَبٌ صَغِيرَةٌ عَلَى رَأْسِ الزُّجِّ، وَهِيَ إِحْدَى غَرَائِبِ
الْأَرْضِ. وَكَانَ بِالْجَامِعِ الْمَذْكُورِ فِي يَتِّ مَنِيرُهُ مُصْحَفٌ

(١) هي ألوان من الحرز يؤلف بعضها الى بعض ثم تتركب في حيطان
البيوت من داخل كأنه نقش مصور، وهذه الكلمة رومية الأصل
Psephosis وقد كانت وجهة الحراب مصنوعة من الفسيفساء الدقيقة
المتقنة الصنع قد أحكمتها يد حاذقة صناع من قطع رخامية ذات ألوان
مختلفة في أثنائها قطع صدفية وأخرى ذهبية، وصيغت على شكل عجيب
يتألف منه صورة بديعة اذا نظرت اليها من جهة اليمين رأيت مشاهد غير
التي تبصرها جهة الشمال لانعكاس أشعة الضوء فيها، فكانت آية في الفن
واتقان الصنع، تأخذ بمجامع المقول، وتستولي بجمالها على الالفدة

(٢) في بعض المراجع « يستدير بها » « أحمد يوسف نجاتي »

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - الَّذِي
خَطَّهُ يَدُهُ^(١) ، وَعَلَيْهِ حِلْيَةٌ ذَهَبٌ مُكَمَّلَةٌ بِالذَّرِّ وَالْيَاقُوتِ
وَعَلَيْهِ أَغْشِيَةُ الدِّيَابِجِ ، وَهُوَ عَلَى كُرْسِيِّ الْعُودِ الرُّطْبِ
بِمَسَامِيرِ الذَّهَبِ

* * *

« رَجِعْ إِلَى الْمَنَارَةِ » وَأَرْتِفَاعُ الْمَنَارَةِ إِلَى مَكَانِ
الْأَذَانِ أَرْبَعٌ وَخَمْسُونَ ذِرَاعًا ، وَطُولُ كُلِّ حَائِطٍ مِنْ
حِيطَانِهَا عَلَى الْأَرْضِ ثَمَانٌ عَشْرَةَ ذِرَاعًا . انْتَهَى بِحُرُوفِهِ .
وَفِيهِ بَعْضُ مُخَالَفَةٍ لِمَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْفَرَضِيِّ وَبَعْضُهُمْ
إِذْ قَالَ فِي تَرْجُمَةِ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ مَا صُورَتُهُ : وَكَانَ
مِنْ أَخْبَارِ الْمَنْصُورِ الدَّاخِلَةِ فِي أَبْوَابِ الْبِرِّ وَالْقُرْبِ بُنْيَانُ

أُورَةُ الْمَسْجِدِ

(١) هذا محل نظر، ولي فيه وقفة شك - ولما استولى الوندون على
الأندلس نقل هذا المصحف إلى مراکش سنة ٥٥٢ هـ عبد المؤمن بن علي
واحتفل بدخوله إلى المغرب احتفالا عظيما ، وبقى هذا المصحف الشريف
موضع اجلال لدى ملوك المغرب يتبركون به ويأخذونه معهم في غزواتهم
حتى وصل إلى بني مرين ، وبينما كان السلطان أبو الحسن المريني عائدا من مدينة
تونس في سفينة بالبحر الأبيض سنة ٧٥٠ هـ غرقت سفنه وابتلعها الماء وكان
فيها هذا المصحف الكريم فكان ذلك آخر العهد به « أحمد يوسف نجاتي »

المسجد الجامع والزيادة فيه سنة سبع وسبعين وثلاثمائة،
 وذلك أنه لما زاد الناس بقرطبة، وأنجلب إليها قبائل البربر
 من العدو وإفريقية، وتناهى حالها في الجلالة، ضاقت
 الأرباض وغيرها، وضاقت المسجد الجامع عن حمل^(١) الناس
 فشرع المنصور في الزيادة بشرقيه حيث تمكن الزيادة
 لاتصال الجانب الغربي بقصر الخلافة - فبدأ ابن أبي عامر
 في هذه الزيادة على بلاطات تمتد طولا من أول المسجد
 إلى آخره، وقصد ابن أبي عامر في هذه الزيادة المبالغة
 في الإتقان والوثاقة دون الزخرفة، ولم يقصر مع هذا
 عن سائر الزيادات جودة - ما عدا زيادة الحكم - وأول
 ما عمله ابن أبي عامر تطيب نفوس أرباب الدور الذين
 اشترت منهم للهدم لهذه الزيادة بأنصافهم من الثمن،
 وصنع في صحنه الجب العظيم قدره الواسع فناؤه . وهو
 - أغني ابن أبي عامر - هو الذي رتب إحراق الشمع
 بالجامع زيادة للزيت، فتطابق بذلك الثوران . وكان عدد

(١) في بعض النسخ «حمل» وكأنه جمع جملة أي جميع «أحمد يوسف نجاتي»

سَوَارِي الْجَامِعِ الْحَامِلَةِ لِسَمَائِهِ ^(١) وَاللَّاصِقَةِ بِمَبَانِيهِ وَقِبَابِهِ
وَمَنَارِهِ بَيْنَ كَبِيرَةٍ وَصَغِيرَةٍ أَلْفَ سَارِيَةٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ سَارِيَةٍ
وَسَبْعَ عَشْرَةَ سَارِيَةٍ ، وَقِيلَ أَكْثَرُ . وَعَدَدُ ثُرَيَّاتِ الْجَامِعِ
مَا بَيْنَ كَبِيرَةٍ وَصَغِيرَةٍ مِائَتَانِ وَثَمَانُونَ ثُرَيَّا ، وَعَدَدُ الْكُؤُوسِ
سَبْعَةُ آلَافٍ كَأْسٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ كَأْسٍ وَخَمْسٌ وَعِشْرُونَ
كَأْسًا ، وَقِيلَ عَشْرَةُ آلَافٍ وَثَمَانِمِائَةٍ وَخَمْسُ كُؤُوسٍ ،
وَزِنَةُ مَشَاكِي ^(٢) الرِّصَاصِ لِلْكُؤُوسِ الْمَذْكُورَةِ عَشْرَةُ
أَرْبَاعٍ أَوْ نَحْوُهَا ، وَزِنَةُ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ لِلْفَتَاوِيلِ
فِي كُلِّ شَهْرِ رَمَضَانَ ثَلَاثَةُ أَرْبَاعِ الْقِنْطَارِ ، وَجَمِيعُ
مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ الْجَامِعُ مِنَ الزَّيْتِ فِي السَّنَةِ خَمْسُمِائَةِ رُبْعٍ
أَوْ نَحْوُهَا ، يُصْرَفُ مِنْهُ فِي رَمَضَانَ خَاصَّةً نَحْوُ نِصْفِ الْعَدَدِ ،

(١) أى سقفه (٢) جمع مشكاة ، واختلف في معناها ، والمراد بها هنا
الحديدة أو الرصاصة التي يكون فيها الفتيل ، أو العمود الذي يكون
المصباح على رأسه ، أو قصة الزجاجة التي يستصبح فيها وهي موضع الفتيلة ،
أو الحديدة التي يعلق بها القنديل - والمشكاة في قوله تعالى « مثل نوره
كمشكاة فيها مصباح » المراد بها - والله أعلم - الكوة في الحائط غير
النافذة ، وهي أجمع للضوء ، والمصباح فيها يكون أكثر انارة وأعظم اضاءة
منه في غيرها . « أحمد بن يوسف نجاشي » .

وَمِمَّا كَانَ يَخْتَصُّ بِهِ رَمَضَانُ الْمَعْظَمُ ثَلَاثَةُ قَنَاطِيرَ مِنَ
الشَّمْعِ ، وَثَلَاثَةُ أَرْبَاعِ الْقِنْطَارِ مِنَ الْكَتَّانِ الْمُقَطَّنِ لِإِقَامَةِ
الشَّمْعِ الْمَذْكُورِ ، وَالْكَبِيرَةُ مِنَ الشَّمْعِ الَّتِي تُؤْخَذُ
بِجَانِبِ الْإِمَامِ يَكُونُ وَزْنُهَا مِنْ خَمْسِينَ إِلَى سِتِّينَ رِطْلًا
يَحْتَرِقُ بَعْضُهَا بِطُولِ الشَّهْرِ . وَيَعْمُ الْحَرْقُ لِجَمِيعِهَا لَيْلَةَ
الْخُمْسَةِ . وَكَانَ عَدَدُ مَنْ يَخْدُمُ الْجَامِعَ الْمَذْكُورَ بِقُرْطُبَةِ فِي
دَوْلَةِ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ وَيَتَصَرَّفُ فِيهِ مِنْ أَيْمَةٍ وَمُقَرَّرِينَ
وَأَمَنَاءَ وَمُؤَدِّينَ وَسَدَنَةٍ^(١) وَمُوقِدِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ
الْمُتَصَرِّفِينَ مِائَةً وَتِسْعَةً وَخَمْسِينَ شَخْصًا ، وَيُوقَدُ مِنَ
الْبُخُورِ لَيْلَةَ الْخُمْسَةِ أَرْبَعُ أَوَاقٍ مِنَ الْعَنْبَرِ الْأَشْهَبِ ، وَثَمَانِي
أَوَاقٍ مِنَ الْعُودِ الرُّطْبِ . انْتَهَى .

وَقَالَ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ : كَانَ لِلْجَامِعِ كُلُّ لَيْلَةٍ^(٢) جُمُعَةٍ
رِطْلُ عُودٍ وَرُبُعُ رِطْلٍ عَنْبَرٍ يُبَخَّرُ بِهِ . انْتَهَى .

(١) جمع سادن وهو من يقوم بخدمة المسجد ويتولى أمره ويفتح
أبوابه ويغلقها (٢) في بعض المراجع « كل جمعة » بدل « كل ليلة جمعة »

وَقَالَ ابْنُ سَعِيدٍ نَقْلًا عَنْ ابْنِ بَشْكُوَالٍ : طُولُ جَامِعِ
 قُرْطُبَةَ الْأَعْظَمِ الَّذِي هُوَ بِدَاخِلِ مَدِينَتِهَا مِنَ الْقِبْلَةِ إِلَى
 الْجُوفِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَثَلَاثُونَ ذِرَاعًا ، الصَّحْنُ الْمَكْشُوفُ
 مِنْهُ ثَمَانُونَ ذِرَاعًا ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مُقَرَّمَدٌ^(١) ، وَعَرْضُهُ مِنَ
 الْغَرْبِ إِلَى الشَّرْقِ مِائَتَانِ وَخَمْسُونَ ذِرَاعًا ، وَعَدَدُ أَبْنَائِهِ^(٢)
 عِنْدَ اكْتِمَالِهَا بِالشَّمَالِيَّةِ الَّتِي زَادَهَا الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ
 بَعْدَ هَذَا تِسْعَةَ عَشَرَ بَهْوًا ، وَتُسَمَّى الْبَلَاطَاتِ ، وَعَدَدُ
 أَبْوَابِهِ الْكِبَارِ وَالصَّغَارِ أَحَدٌ وَعِشْرُونَ بَابًا . فِي الْجَانِبِ
 الْغَرْبِيِّ تِسْعَةُ أَبْوَابٍ ؛ مِنْهَا وَاحِدٌ كَبِيرٌ لِلنِّسَاءِ يُشْرَعُ إِلَى
 مَقَاصِيرِهِنَّ ، وَفِي الْجِهَةِ الشَّرْقِيَّةِ تِسْعَةُ أَبْوَابٍ ؛ مِنْهَا لِدُخُولِ
 الرِّجَالِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ ، وَفِي الْجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ ثَلَاثَةُ أَبْوَابٍ ،
 مِنْهَا لِدُخُولِ الرِّجَالِ بَابَانِ كَبِيرَانِ وَبَابٌ لِدُخُولِ النِّسَاءِ
 إِلَى مَقَاصِيرِهِنَّ ، وَلَيْسَ لِهَذَا الْجَامِعِ فِي الْقِبْلِيِّ سِوَى بَابٍ

(١) بناء مفرمد أى مبنى بالآجر والحجارة (٢) جمع بهو وهو البيت

المقدم أمام البيوت

وَاحِدٍ بِدَاخِلِ الْمَقْصُورَةِ الْمُتَّخَذَةِ فِي قِبْلَتِهِ مُتَّصِلٍ
بِالسَّابَاطِ^(١) الْمُقْضَى إِلَى قَصْرِ الْخِلَافَةِ ، مِنْهُ كَانَ السُّلْطَانُ
يَخْرُجُ مِنَ الْقَصْرِ إِلَى الْجَامِعِ لِشُهُودِ الْجُمُعَةِ ، وَجَمِيعُ
هَذِهِ الْأَبْوَابِ مُلَبَّسَةٌ بِالنُّحَاسِ الْأَصْفَرِ بِأَغْرَبِ صَنْعَةٍ ،
وَعَدَدُ سَوَارِي هَذَا الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ الْحَامِلَةِ لِسَمَائِهِ
وَاللَّاصِقَةِ بِمَبَانِيهِ وَقِبَابِهِ وَمَنَارِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِهِ
بَيْنَ كِبَارٍ وَصِغَارٍ أَلْفٌ وَأَرْبَعُمِائَةٍ سَارِيَةٍ وَتِسْعُ سَوَارٍ ،
مِنْهَا بِدَاخِلِ الْمَقْصُورَةِ مِائَةٌ وَتِسْعَ عَشْرَةٍ سَارِيَةٍ .
وَذَكَرَ الْمَقْصُورَةَ الْبَدِيعَةَ الَّتِي صَنَعَهَا الْحَكَمُ
الْمُسْتَنْصِرُ فِي هَذَا الْجَامِعِ فَقَالَ : إِنَّهُ خَطَرَ بِهَا عَلَى خَمْسِ
بَلَّاطَاتٍ مِنَ الزِّيَادَةِ الْحَكِيمِيَّةِ ، وَأَطْلَقَ حِفَافِيهَا^(٢) عَلَى
الْسِتَّةِ الْبَاقِيَةِ ثَلَاثَةً مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ، فَصَارَ طُولُهَا مِنْ
الْشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ خَمْسًا وَسَبْعِينَ ذِرَاعًا ، وَعَرْضُهَا مِنْ
جِدَارِ الْخَشَبِ إِلَى سُورِ الْمَسْجِدِ بِالْقِبْلَةِ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ
ذِرَاعًا ، وَأَرْتِفَاعُهَا فِي السَّمَاءِ إِلَى حَدِّ شُرُفَاتِهَا ثَمَانِي أَذْرُعٍ .

(١) تقدم القول في الساباط (٢) الحفاف : الجانب ، بوجهه أحقة

وَأَرْتِفَاعُ كُلِّ شُرْفَةٍ ثَلَاثَةُ أَشْبَارٍ ، وَلِهَذِهِ الْمَقْصُورَةُ ثَلَاثَةُ
أَبْوَابٍ بَدِيعَةٍ الصَّنْعَةِ عَجِيبَةِ النَّقْشِ شَارِعَةٌ ^(١) إِلَى الْجَامِعِ
شَرْقِيٍّ وَغَرْبِيٍّ وَشِمَالِيٍّ . ثُمَّ قَالَ : وَذَرَعُ الْمِحْرَابِ فِي الطُّولِ
مِنَ الْقِبْلَةِ إِلَى الْجَوْفِ ثَمَانِي أَذْرُعٍ وَنِصْفٌ ، وَعَرْضُهُ مِنْ
الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ سَبْعُ أَذْرُعٍ وَنِصْفٌ ، وَأَرْتِفَاعُ قَبْوِهِ
فِي السَّمَاءِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا وَنِصْفٌ ، وَالْمِنْبَرُ إِلَى جَنْبِهِ
مُوَلَّفٌ مِنْ أَكَارِمِ الْخَشَبِ مَا بَيْنَ آبُنُوسٍ وَصَنْدَلٍ وَنَبْعٍ
وَبَقْمٍ وَشَوْحَطٍ ^(٢) وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . وَمَبْلَغُ النَّفَقَةِ فِيهِ
خَمْسَةٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ دِينَارٍ وَسَبْعُمِائَةَ دِينَارٍ وَخَمْسَةُ دَنَانِيرٍ
وَتَلَاثَةُ دَرَاهِمٍ ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ ، وَعَدَدُ دَرَجِهِ تِسْعُ
دَرَجَاتٍ ، صَنَعَهُ الْحُكْمُ الْمُسْتَنْصِرُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - .

(١) أى نافذة ومفتوحة اليه (٢) النع من أشجار الجبال ينبت في قلتها
وهو أصفر العود رزينه ثقيله في اليد، وإذا طال عليه العهد احمر، تصنع منه
القسي الجيدة التي تكرم كل ما اتخذ من غيرها لشدة النبع ولينه، ولا
يكون العود كريما حتى يكون كذلك، وتتخذ السهام من أغصانه، والبقم
خشب شجره عظام، وورقه كورق اللوز، وساقه أحمر يصنع بطبيعته،
والبقم شجرة جوز مائل، والشوحت ضرب من شجر الجبال «جبال السراة»
تتخذ منه القسي - أو هو ضرب من شجر النبع ينبت في سفح الجبل

وَذُكِرَ أَنَّ عَدَدَ ثُرَيَّاتِ الْجَامِعِ الَّتِي تُسْرَجُ فِيهَا
 الْمَصَابِيحُ بِدَاخِلِ الْبَلَاطَاتِ خَاصَّةً سِوَى مَا مِنْهَا عَلَى
 الْأَبْوَابِ مِائَتَانِ وَأَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ ثُرَيَّا جَمِيعُهَا مِنْ لَاطُونٍ^(١)
 مُخْتَلِفَةُ الصَّنْعَةِ ، مِنْهَا أَرْبَعُ ثُرَيَّاتٍ كِبَارٍ مُعَلَّقَةٍ فِي الْبَلَاطِ
 الْأَوْسَطِ ، أَكْبَرُهَا الضَّخْمَةُ الْمُعَلَّقَةُ فِي الْقُبَّةِ الْكُبْرَى
 الَّتِي فِيهَا الْمَصَاحِفُ حِيَالِ الْمَقْصُورَةِ ، وَفِيهَا مِنَ الشُّرُجِ
 - فِيمَا زَعَمُوا - أَلْفٌ وَأَرْبَعُمِائَةٍ وَأَرْبَعَةٌ وَخَمْسُونَ ، تُسْتَوَقَدُ
 هَذِهِ الثُّرَيَّاتُ الضَّخَامُ فِي الْعَشْرِ الْأَخِيرَةِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ،
 تُسَقَّى كُلُّ ثُرَيَّا مِنْهَا سَبْعَةُ أَرْبَاعٍ فِي اللَّيْلَةِ ، وَكَانَ مَبْلَغُ
 مَا يُنْفَقُ مِنَ الزَّيْتِ عَلَى جَمِيعِ الْمَصَابِيحِ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ
 فِي السَّنَةِ أَيَّامَ تَمَامِ وَقُودِهِ فِي مُدَّةِ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ مُكَمَّلَةً
 بِالزِّيَادَةِ الْمَنْسُوبَةِ أَلْفَ رُبْعٍ ، مِنْهَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ
 سَبْعُمِائَةٍ وَخَمْسُونَ رُبْعًا . قَالَ : وَفِي بَعْضِ التَّوَارِيخِ الْقَدِيمَةِ :
 كَانَ عَدَدُ الْقَوْمَةِ بِالْمَسْجِدِ الْجَامِعِ بِقَرْطَبَةِ فِي زَمَنِ الْخُلَفَاءِ

(١) اللاطون : هو النحاس الأصفر

وَفِي زَمَنِ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ ثَلَاثِيَّةٌ . انْتَهَى ، وَفِيهِ مُخَالَفَةٌ
لِبَعْضِ مَا تَقَدَّمَ .

وَذَكَرَ بَعْضُهُمُ الزَّيْتَ - وَلَكِنَّ قَوْلَهُ أَوْلَى بِالِاتِّبَاعِ
لِنَقْلِهِ عَنِ ابْنِ بَشْكُوَالٍ ، وَلِمَعْرِفَةِ ابْنِ سَعِيدٍ بِمِثْلِ هَذَا
وَتَحْقِيقِهِ فِيهِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ ، - وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ -
فَقَالَ : أَلْفُ رُبْعٍ وَثَلَاثُونَ رُبْعًا ، مِنْهَا فِي رَمَضَانَ خَمْسِمِائَةٌ
رُبْعٍ ، وَفِي الثَّرَيَّاتِ الَّتِي مِنَ الْفِضَّةِ - وَهِيَ ثَلَاثَةٌ -
اِثْنَانِ وَسَبْعُونَ رِطْلًا ، لِكُلِّ وَاحِدَةٍ ثَمَانِيَّةَ عَشَرَ فِي لَيْلَةٍ
وَقَدِهَا ، وَقَالَ فِي الْمُنْبَرِ : إِنَّهُ مُرَكَّبٌ مِنْ سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ
أَلْفَ وَصَلٍ^(١) ، قَامَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا بِسَبْعَةِ دَرَاهِمٍ فِضَّةٍ ،
وُسْمِرَتْ بِمَسَامِيرِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَفِي بَعْضِهَا نَفِيسُ
الْأَحْجَارِ ، وَاتَّصَلَ الْعَمَلُ فِيهِ تِسْعَةٌ^(٢) . ثُمَّ قَالَ : وَدَوْرُ الثَّرَيَّاتِ
الْعَظِيمَةِ خَمْسُونَ شِبْرًا ، وَتَحْتَوِي عَلَى أَلْفِ كَأْسٍ وَأَرْبَعِ
وِثْمَانِينَ ، كُلُّهَا مُوَشَّاةٌ بِالذَّهَبِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْغَرَائِبِ .

(١) الوصل « بكسر الواو وضمها » الفصل وجمعه أوصال (٢) اسمها « تسع سنين »

وصف ابراهيم
الولبي الجامع
قرطبة

« وَكَتَبَ الْفَقِيهُ الْكَاتِبُ أَبُو مُحَمَّدٍ إِبْرَاهِيمُ بْنُ صَاحِبِ
الصَّلَاةِ الْوَلْبِيُّ » يَصِفُ جَامِعَ قُرْطُبَةَ بِمَا نَصَّهُ : عَمَرَ اللَّهُ
سُبْحَانَهُ بِشُمُولِ السَّعَادَةِ رَسْمَكَ ، وَوَفَّرَ مِنْ جَزِيلِ
الْكَرَامَةِ قِسْمَكَ ، وَلَا بَرَحَتْ سَحَائِبُ الْإِنْعَامِ تَهْمِي
عَلَيْكَ ثَرَّةً^(١) ، وَأَنَامِلُ الْأَيَّامِ تُهْدِي إِلَيْكَ كُلَّ مَسْرَّةٍ .
لَئِنْ كَانَتْ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - طَرِيقُ الْوِدَادِ يَبْنَا عَامِرًا ،
وَسَبِيلُ الْمَحَبَّةِ غَامِرًا^(٢) ، لَوْجَبَ أَنْ تَفُضَّ خَتَمَهُ ،
وَتَرْفُضَ كَتَمَهُ ، وَلَا سِيَّيَا فِيمَا يُدِرُّ أَخْلَافَ الْفَضَائِلِ ،
وَيَهْزُ أَعْطَافَ الشَّمَائِلِ ، وَإِنِّي شَخَصْتُ إِلَى حَضْرَةِ قُرْطُبَةَ
- حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى - مُنْشَرِحَ الصَّدْرِ ، لِحُضُورِ لَيْلَةِ
الْقَدْرِ ، وَالْجَامِعِ - قَدَّسَ اللَّهُ تَعَالَى بُقْعَتَهُ وَمَكَانَهُ ، وَثَبَّتَ

(١) هي المطرا اذا سال متتابعاً ، وثرة : غزيرة (٢) يريد الغمر للملوء
- وقد كانت له مندوحة عن استعمال هذه الكلمة لولا الشغف بالسجع
والجناس ، فان الطريق الغامراً كثر ما يستعمل في الخراب ضد العام

أَسَاسُهُ وَأَرْكَانُهُ - قَدْ كُتِبَ بِرُدَّةِ الْإِزْدِهَاءِ ، وَجُلِيَ^(١) فِي
مِعْرَاضِ الْبَهَاءِ ، كَانَ شُرْفَاتِهِ فُلُولُ^(٢) فِي سِنَانٍ ، أَوْ أَشْرُ^(٣)
فِي أَسْنَانٍ ، وَكَأَنَّمَا ضَرَبَتْ عَلَى سَمَائِهِ كِلَلُ^(٤) ، أَوْ
خُلِصَتْ عَلَى أَرْجَائِهِ حُلَلُ^(٥) ، وَكَأَنَّ الشَّمْسَ قَدْ خَلَفَتْ
فِيهِ ضِيَاءَهَا ، وَنَسَجَتْ^(٥) عَلَى أَقْطَارِهِ أَفْيَاءَهَا ، فَتَرَى
نَهَارًا قَدْ أَخْدَقَ بِهِ لَيْلُ^(٦) ، كَمَا أَخْدَقَ بِرَبْوَةٍ سَيْلُ^(٦) ، لَيْلُ^(٦)
دَامِسُ^(٦) ، وَنَهَارُ شَامِسُ^(٦) ، وَلِلذُّبَالِ تَأَلَّقُ كَنْضُنْضَةٌ^(٦)

(١) « جلى » أبرز وأظهر كما تجلى العروس ، المعرض التوب الذى تجلى
فيه ، وفى الأصل « وحل » محرفة (٢) جمع فل وهو الثلم والكسر فى
حد السنان ، وهو دليل الشجاعة كما قال الباقية :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتاب
(٣) أشر الأسنان التحزير الذى فيها ، وهو تحديد أطرافها ، يكون ذلك
خلقة ويكون مصنوعا ، وإنما يكون الأشر فى أسنان الأحداث (٤) جمع
كلة : سترقيق يخاط كالبيت يتوقى به من البعوض « الناموسية »
(٥) قد يكون محرفا عن « نسخت » والعرب تقول نسخت الشمس الظل
أى أزالته وحلت محله (٦) الذبالة : الفتيلة التى تسرج ، ونضنضت الحية :
أخرجت لسانها وحركته - والجلتان من قول الشاعر « أبى جعفر البنى »

••• وتندبل كأن الضوء منه سناوجه الحبيب اذا تجلى

أشار الى الدجا بلعان أفعى فشمز ذيله هربا وولى

الْحَيَاتِ ، أَوْ إِشَارَةَ السَّبَّابَاتِ ^(١) فِي التَّحِيَّاتِ ، قَدْ أَتْرَعَتْ
 مِنْ السَّلَيطِ ^(٢) كُؤُوسَهَا ، وَوَصِلَتْ بِمَحَاجِنِ ^(٣) الْحَدِيدِ
 رُؤُوسَهَا ، وَنِيطَتْ بِسَلَاسِلِ كَالْجُدُوعِ الْقَائِمَةِ ، أَوْ
 كَالشَّعَائِينِ الْعَائِمَةِ ، عُصِبَتْ بِهَا تَفَاحٌ مِنَ الصُّفْرِ ، كَاللَّقَاحِ ^(٤)
 الصُّفْرِ ، بُولَغَ فِي صَقْلِهَا وَجَلَّأَهَا ، حَتَّى بَهَرَتْ بِحُسْنِهَا
 وَلَا لَأَيَّهَا ^(٥) ، كَأَنَّهَا جُلِيَتْ بِاللَّهَبِ ، وَأَشْرَبَتْ مَاءَ الذَّهَبِ ،
 إِنْ سَمَّيْتُهَا ^(٦) طُولًا رَأَيْتَ مِنْهَا سِبَائِكَ عَسَجِدٍ ، أَوْ قَلَائِدَ
 زَبَرْجَدٍ ، وَإِنْ أَتَيْتَهَا عَرَضًا رَأَيْتَ مِنْهَا أَفْلَاكَ وَلَكِنَّهَا
 غَيْرُ دَائِرَةٍ ، وَنُجُومًا وَلَكِنَّهَا لَيْسَتْ بِسَائِرَةٍ ، تَتَعَلَّقُ

(١) من قول أبي الحسن محمد بن عمران الأنباري البغدادي وقد اقترح
 عليه عضد الدولة وصف شموع موقدة بين يديه :

كَأَنَّ الشَّمُوعَ وَقَدْ أَظْهَرَتْ مِنْ النَّارِ فِي كُلِّ رَأْسٍ سَنَانَا
 أَصَابِعَ أَعْدَائِكَ الْخَائِفِينَ تَضَرَّعَ تَطَلُّبُكَ الْإِمَانَا

(٢) أي الزيت (٣) جمع محجن يريد به هنا ما تعلق به المصابيح (٤) عدل
 عن « كأنها جمالة صفر » إلى اللقاح لترصيع السجع وموازته
 وفي بعض المراجع « كاللقاح » (٥) الضياء واللمعان والاشراق
 (٦) من السميت وهو قصد الشيء والطريق ، وهو يسمت سمته أي ينحوي
 نحوه ، وسمت الطريق : قصده ، وسمت يسمت ، وتسمته : اقام قصد نحوه
 وتعمده « أحمد يوسف نجاتي »

تَعْلُقُ الْقُرْطَ مِنَ الذِّفْرِى ^(١) ، وَتَبْسُطُ شُعَاعَهَا بَسْطَ الْأَدِيمِ
حِينَ يُفْرِى ^(٢) ، وَالشَّمْعُ قَدْ رُفِعَتْ عَلَى الْمَنَارِ رَفَعَ الْبُنُودِ ،
وَعُرِضَتْ عَلَيْهَا عَرْضَ الْجُنُودِ ، لِيَجْتَلِيَ طَلَاقَةُ رُؤَايَا ^(٣)
الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ ، وَيَسْتَوِيَ فِي هِدَايَةِ ضِيَائِهَا الشَّقِيُّ وَالسَّعِيدُ ،
وَقَدْ قُوِبِلَ مِنْهَا مُبْيَضٌ بِمُحْمَرٍّ ، وَعُورِضَ مُخْضَرٌّ بِمُصْفَرٍّ ،
تَضَحَكَ بِبُكَائِهَا وَتَبَكَى بِبُضْحِكِهَا ، وَتَهَلَّكَ بِحَيَاتِهَا
وَتَحَيَّا بِهَلَكِهَا ، وَالطِّيبُ تَفْعَمُ ^(٤) أَفْوَاخُهُ ، وَتَتَنَسَّمُ
أَرْوَاحُهُ ، وَقَتَارُ الْأَلَنْجُوجِ ^(٥) وَالنَّدُّ ، يَسْتَرْجِعُ مِنْ
رُوحِ الْحَيَاةِ مَا نَدَّ ^(٦) ، وَكُلَّمَا تَصَاعَدَ وَهُوَ مُحَاصَرٌّ ، أَطَالَ
مِنَ الْعُمُرِ مَا كَانَ تَقَاصَرُ ، فِي صُفُوفِ مَجَامِيرَ ، كَكُؤُوبِ ^(٧)

(١) القرط : الحلق ، والذفرى أصل الاذن (٢) الأديم : الجلد أو الأحمر منه ، وجمعه آدمة ، وفراه يفريه أى شقه وقطعه (٣) الرواء : حسن النظر (٤) فعمه الطيب « كمنع » سدخيا شيمه وملاءه ، وفاح المسك فوحا : انتشرت رائحته ، وفى الأصل « تفعم » (٥) القطار - بضم القاف - ريح البخور وهذه الكلمة مكتوبة فى الأصل هكذا : « فتام » محرفة ناقصة ، والالنجوج : عود الطيب وهو البخور ، وكذلك الند (٦) أى بعدو غاب (٧) الكعب الذى يلعب به هو فص النرد ، وأكثر ما يجمع على كعاب ، وجمعه هنا على فعول لموازنة صفوف فى الفقرة قبلها . « أحمد يوسف نجاتى »

مُقَامِرٍ ، وَظُهُورُ الْقِبَابِ ^(١) مُؤَلَّلَةٌ ، وَبُطُونُهَا مُهَلَّلَةٌ ^(٢) كَأَنَّهَا
تَيْجَانٌ ، رُصَّعَ فِيهَا يَاقُوتٌ وَمَرْجَانٌ ، قَدْ قُوَّسَ مَحْرَابُهَا أَحْكَمَ
تَقْوِيسٍ ، وَوُشِمَ بِمِثْلِ رِيشِ الطَّوَاوِيسِ ^(٣) ، حَتَّى كَأَنَّهُ
بِالْمَجَرَّةِ مُقَرَّطَقٌ ^(٤) ، وَبِقَوْسٍ قُزَحَ مُنْطَقٌ ، وَكَأَنَّ
الْأَزَوْرَدَ حَوْلَ وَشُومِهِ ، وَبَيْنَ رُسُومِهِ ، نُتِفَ مِنْ قَوَادِمِ

(١) مؤللة أى محددة الطرف ، وأل الشيء : حدد طرفه وحرفه ، وأذن
مؤللة أى محددة منصوبة ملطفة (٢) أى مقوسة محنية كالللال .
(٣) أى بألوان مختلفة جميلة زاهية (٤) قرطقه فتقرطق فهو مقرطق أى
ألبسه القرطق ، وهو لباس قصير شبيه بالقباء «معرب عن كرتة بالفارسية»
والعامة تسميه شاية ، والمولدون يسمونه حنينى ، قال ابن نباتة :

لما تبدى فى حنينى تحاربا قلبى وعينى
فاعجب لها من غزوة جاءت بيدى حنينى

وقد صرف المولدون لفظ القرطق فى أشعارهم كثيرا ، ومنه قول ابن المعتز :
ومقرطق يسعى الى الندماء بعقيقة فى درة بيضاء
وأخطأ عمر الوداعى « أو ابن الوردى » فظن أن المقرطق ذو القرط
فى قوله :

قلت لهم لما بدا مقرطق يحكى القمر
هذا أبو لؤلؤة منه خذوا نار عمر

وكان حقه أن يقول مقرط ، وأراد بالأؤلؤة القرط ، وورى عن ذى القرط
الأؤلؤ باسم أبى لؤلؤة المجوسى قاتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مرضى الله
عنه - وفى « عمر » كذلك تورية . « أحمد يوسف نجاتى » .

الْحَمَامِ ، أَوْ كِسْفٌ^(١) مِنْ ظُلَلِ الْغَمَامِ ، وَالنَّاسُ أَخْيَافٌ^(٢) فِي دَوَاعِيهِمْ ، وَأَوْزَاعٌ^(٣) فِي أَغْرَاضِهِمْ وَمَرَامِيهِمْ ، يَبْنِي رُكْعٍ وَسُجْدٍ ، وَأَيْقَاطٍ وَهَجْدٍ ، وَمُزْدَحِمٍ عَلَى الرِّقَابِ يَتَخَطَّاهَا ، وَمُقْتَحِمٍ عَلَى الظُّهُورِ يَتَمَطَّاهَا ، كَأَنَّهُمْ بَرْدٌ خِلَالَ قَطْرِ ، أَوْ حُرُوفٌ عَلَى غُرُضٍ سَطْرِ ، حَتَّى إِذَا قَرَعَتْ أَسْمَاعَهُمْ رَوْعَةُ التَّسْلِيمِ^(٤) ، تَبَادَرُوا بِالتَّكْلِيمِ ، وَتَجَادَبُوا بِالْأَثْوَابِ ، وَتَسَاقَوْا بِالْأَكْوَابِ ، كَأَنَّهُمْ حُضُورٌ طَالَ عَلَيْهِمْ غِيَابٌ ، أَوْ سَفَرٌ أُتِيحَ لَهُمْ إِيَابٌ . وَصَفِيكَ مَعَ إِخْوَانِ صِدْقٍ ، تَتَسَكَّبُ الْعُلُومُ بَيْنَهُمُ انْسِكَابَ الْوَدْقِ ، فِي مَكَانٍ كَوَّكِرِ الْعُصْفُورِ - أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ - أَوْ كِكِنَاسِ الْيَعْفُورِ^(٥) ، كَأَنَّ إِقْلِيدِسَ قَدْ قَسَمَ بَيْنَنَا مِسَاحَتَهُ بِالْمَوَازِينِ

(١) جمع كسفة أى قطعة ، ومنه قوله تعالى : « أَوْ تَسْقُطُ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتْ

عَلَيْنَا كِسْفًا » - وظلل : جمع ظلة وهى السحابة التى تظل - وهو من قوله

تعالى : « هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ » أى يأتىهم

عذاباً (٢) أى مختلفون ، والأخفاف : الضروب المختلفة فى الأخلاق والأشكال

(٣) الأوزاع : الفرق من الناس والجماعات (٤) أى التسليم الذى تختم به

الصلاة (٥) اليعفور : الظبي ، أو ولد البقرة الوحشية ، وكناسه : مأواه

ومنزله الذى يكنس فيه أى يقيم ويختفى . « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَاتِي »

وَأَرْتَبَطْنَا فِيهِ أَرْتَبَاطَ الْبِيَادِقِ^(١) بِالْفَرَازِينِ ، حَتَّى صَارَ عِقْدُنَا
لَا يُحَلُّ ، وَحَدُّنَا لَا يُفَلُّ ، بِحَيْثُ نَسْمَعُ سُورَ التَّنْزِيلِ كَيْفَ
تُتْلَى ، وَتَتَطَلَّعُ صُورَ التَّفْصِيلِ كَيْفَ تُجَلَى ، وَالْقَوْمَةُ
حَوَالَيْنَا يَجْهَدُونَ فِي دَفْعِ الضَّرَرِ ، وَيَعْمِدُونَ إِلَى قَرَعِ

(١) من اصطلاحات الشطرنج - والبيدق في الشطرنج معروف ، وأصل
معناه الراجل وجمعه بيادقة « تعريب بياده » قال الفرزدق :
منعتك ميراث الملوك وتاجهم وأنت لدرعى بيدق في البيادق
أى وأنت راجل تعدو لى - ويطلق البيدق على أصغر أصناف البازي
ويصيد العصافير ، قال أبو الفتح كشاجم :

حسبى من البراة والبيادق يبيدق يصيد صيد الباشق
مؤدب مدرب الخلائق أصيد من معشوقة لعاشق
يسبق فى السرعة كل سابق ليس له فى صيده من عائق
ريته وكنت غير واثق أن الفرازين من البيادق

وفرزان الشطرنج كذلك أعجمى معرب فرزين ، ومن المجاز تفرزنت
البيادق ، وما أطف قول الشاعر :

وفتية زهر الآداب بينهم أبهى وأنضر من زهر الرياحين
راحوا إلى الراح مشى الرخ وانصرفوا

والراح تمشى بهم مشى الفرازين

أى أنهم راحوا إليها صاحين مستقيمي السير ، وعادوا ثملين تتقاذفهم الطرق
ويتلوى سيرهم فى كل جهة . « أحمد يوسف نجاشى » .
وقال آخر :

يقولون ساد الأردلون بأرضنا وصار لهم مال وخيل • شوابق
فقلت لهم شاخ الزمان وانما تفرزن فى أخرى الدسوت البيادق

الْعُمْدِ بِالْدَّرَرِ^(١) ، فَإِذَا سَمِعَ بِهَا الصَّبِيَّانُ قَدْ طَبَّقَتِ الْخَافِقَيْنِ
وَسَرَتْ نَحْوَهُمْ سُرَى الْقَيْنِ^(٢) ، تَوَهَّمُوا أَنَّهَا إِلَى أُعْطَافِهِمْ
وَاصِلَةٌ ، وَفِي أَقْحَافِهِمْ حَاصِلَةٌ ، فَفَرَّوْا بَيْنَ الْأَسَاطِينِ ، كَمَا
تَقَرُّ مِنَ النُّجُومِ الشَّيَاطِينُ ، كَأَنَّمَا ضَرَبَهُمُ أَبُو جَهْمٍ^(٣)
بِعَصَاهُ ، أَوْ حَصَبَهُمُ عُمَيْرُ بْنُ ضَابِيٍّ بِحَصَاهُ^(٤) ، فَأَكْرَمَ بِهَا

(١) جمع درة وهي ما يضرب به كالسوط والمقرعة (٢) يريد سري موهوما
خيله الخوف ، وهو من المثل « اذا سمعت بسري القين فاعلم انه مصبح »
يضرب مثلا للرجل يعرف بالكذب حتى يرد صدقه - وأصله أن القين
أى الحداد ينتقل في مياه البادية فيقيم بالموضع أياما فيكسده عليه عمله فيشيع
في أهل الماء انه مرتحل الليلة وهو ينوى الإقامة ليستخدمه من له حاجة
اليه ، فكثير ذلك منه حتى صار لا يصدق ، وضرب به المثل ، قال نهشل بن حري
وعهد الغانيات كعهد قين ونت عنه الجمائل - استذاق
كبرق لاح يعجب من بعيد ولا يشفى الحوائث من للاق
ونت عنه الجمائل أى قصرت فلم تبلغه ، والجمائل جمع جعالة أى أجرة
عمله ، والمستذاق : المجرب ، والحوائث : العطاش ، ومن للاق أى من شىء
« أحمد يوسف نجاتي » .

(٣) هو أبو جهم بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن
عويج بن عدي بن كعب القرشي العدوي ، قيل اسمه عامر ، وقيل عبيد
ابن حذيفة ، أسلم عام الفتح وصحب النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان معظما في
قريش مقدما فيهم ، وكان مهيبا مرهوبا فيه وفي بنيه شدة وعرامة ، وقوة وشهامة
وتوفي زمن سيدنا معاوية عن عمر طويل ، ووفد ابنه اسمعيل على هشام
ابن عبد الملك وكان أكبر القوم سنا - وقتل ابنه محمد بن أبي الجهم
يوم الحرة . « أحمد يوسف نجاتي » . (٤) فى الأصل « عين بن صاف »

مِنْ مَسَاعٍ تَسُوقُ إِلَى جَنَّةِ الْخُلْدِ ، وَتَهْوُونَ فِي السَّعْيِ إِلَيْهَا
الطَّوَارِفُ وَالتُّلْدُ ، تَعْظِيمًا لِشَعَائِرِ اللَّهِ ، وَتَنْبِيهَا لِكُلِّ سَاهٍ
وَلَاهِ ، حِكْمَةً تَشْهَدُ لِلَّهِ تَعَالَى بِالرُّبُوبِيَّةِ ، وَطَاعَةً تَذِلُّ بِهَا
كُلُّ نَفْسٍ أَيْيَةً . فَلَمْ أَرَ - أَدَامَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عِزَّكَ - مَنْظَرًا
مِنْهَا أَبْهَى ، وَلَا مَخْبِرًا أَشْهَى ، وَإِذَا لَمْ تَتَأَمَّلْهُ عِيَانًا ، فَتَخَيَّلْهُ
يَا نَا ، وَإِنْ كَانَ حَظُّ مَنْطِقِي مِنَ الْكَلَامِ ، حَظُّ السَّفِيحِ (١)

بدل « عمير بن ضابي » وهو تحريف ضال ، وتصحيف خاطيء . وعمير
ابن ضابي بن الحرث البرجمي التميمي أدرك أبوه النبي صلى الله عليه وسلم
ثم جنى جناية في زمن سيدنا عثمان فحبسه ، فجاء ابنه عمير وأراد الفتك
بعثمان رضي الله عنه ثم جبن عنه ، وفي ذلك يقول :

هممت ولم أفعل وكنت وليتني تركت على عثمان تبكي حلاله

ثم لما قتل عثمان يوم الدار وثب عليه عمير هذا فكسر ضلعين من أضلاعه
ولما ولي الحجاج بن يوسف الكوفة وقدمها أميراً وصعد المنبر ليخطب
مكث ساعة لا يتكلم ، فقال عمير بن ضابي ألا أحصيه لكم ؟ فقالوا أمهل
حتى تنظر ، ثم خطبهم الحجاج خطبته القاسية المشهورة التي تقطر عباراتها
دماً ، ثم نزل فأقبل عليه عمير وهو شيخ يرعش كبرا يستأذنه أن يأخذ
ابنه مكانه في حرب الخوارج فقبل ، فلما علم أنه ممن حضر قتل عثمان
وأنه وطىء بطنه وهو مقتول وكسر ضلعين من أضلاعه قتله ، وأمر أن يرمى
برأسه إلى البراجم وكانوا قد أقبلوا ولهم ضوضاء يريدون نصرته فولوا هاربين
(١) السفيح : قدح من قداح اليسر مما لا نصيب له ، وهو الرابع من القداح
الغفل التي ليست لها فروض ولا أنصباء ، فليس لها غنم وليس عليها غرم

مِنَ الْأَزْلَامِ ، لَكِنَّ مَا يَنْتَنَّا مِنْ مَوَدَّةٍ أَكْثَرْنَا وَسَائِلَهَا ،
وَذِمَّةٍ تَقْلَدُنَا حَمَائِلَهَا ^(١) ، يُوجِبُ قَبُولَ أَتْمَحَافِي سَمِينًا وَغَثَا ^(٢)
وَلُبْسَ الْطَافِي جَدِيدًا وَرَثًا ^(٣) لَا زِلْتَ لِزِنَادِ النُّبْلِ مُورِيًا ^(٤)
وَإِلَى آمَادِ الْفَضْلِ مُجْرِيًا ، وَالتَّحِيَّةُ الْعَبْقَةُ الرَّيِّيَا ^(٥) ، الْمُشْرِقَةُ

وانما يشغل بها القداح ويتكثر بها اتقاء النهمة ، وأولها المصدر ، ثم المضعف
ثم المنيع ، ثم السفيح ، والزم قدح لاريش له ، والأزلام سهام كانوا يستقسمون
بها في الجاهلية ، وكانت لقريش مكتوب عليها أمر ، ونهى ، وافعل ، ولا
تفعل ، وقد زلت أى سويت ووضعت في الكعبة يقوم بها سدة البيت
فاذا أراد الرجل سفرا أو زواجا أو غير ذلك أتى السادن وقال أخرج لى
زما ، فيخرجه وينظر اليه ، فاذا خرج قدح الأمر مضى على ما عزم عليه ،
وان خرج قدح النهى قعد عما أراد ، وقد حرم الاسلام أن يستقسموا
بالأزلام :

لم يزجر الطير أن مرت به سنحا ولا يفيض على قسم بأزلام
(١) الذمة : العهد والحرمة ، والحمايل جمع حمالة وهى علاقة السيف ، شبه
ما بينهما من الصلة والعهد بسيف لأنه يبق من النكث ويمنع من الخيانة
(٢) الغث : المهزول ضد السمين ، وفعله غث يغث « كفرح وضرب » غثاة
وغثوة (٣) اللطفة واللفظ : التحفة والهدية وجمعه الطاف ، والطفة بكذا
الطافا اذا آتحفه به وبره - والرث : القديم الخلق البالى (٤) ورى الزند :
خرجت ناره واتقد ، أوراها ووراه ، واستوراها اذا أوقده ، والزند الوارى
الذى تخرج ناره سريعا (٥) عبق الطيب : لزق وبقى ، وفاح وانتشر ، ورجل
عبق وامرأة عبقة اذا تطيبا بأدنى طيب لم يذهب عنهما أياما وبقى شذاها
أرجا عاطرا ، والريا : الرائحة - والمحيا الوجه « أحمد يوسف نجاتى »

الْمُحْيَا ، عَلَيْكَ مَا طَلَعَ قَمَرٌ ، وَأَيْنَعَ ثَمَرٌ ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى
وَبَرَكَ كَاتِبُهُ . أَتَهَيَّ .

« وَذَكَرَ ابْنُ بَشْكُوَالِ » أَنَّ الْحُكْمَ الْمُسْتَنْصَرَ
هَدَمَ الْمِيْضَاءَةَ الْقَدِيْمَةَ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَاءَ الْجَامِعِ وَالَّتِي ^(١)
يُسْتَسْقَى لَهَا الْمَاءُ مِنْ بُئْرِ السَّانِيَةِ ^(٢) ، وَبَنَى مَوْضِعَهَا أَرْبَعَ
مِيْضَآتٍ ، فِي كُلِّ جَانِبٍ مِنْ جَانِبِي الْمَسْجِدِ الشَّرْقِيِّ وَالْغَرْبِيِّ
مِنْهَا ثِنْتَانِ ، كُبْرَى لِلرِّجَالِ وَصُغْرَى لِلنِّسَاءِ ، أُجْرَى فِي جَمِيعِهَا
الْمَاءُ مِنْ قَنَاةٍ أُجْتَلِبَهَا مِنْ سَفْحِ جَبَلٍ قُرْطُبَةٍ إِلَى أَنْ صَبَّتْ
مَاءَهَا فِي أَحْوَاضٍ رُخَامٍ لَا يَنْقَطِعُ جَرْيَانُهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ،
وَأُجْرَى فَضْلُ هَذَا الْمَاءِ الْعَذْبِ إِلَى سِقَايَاتٍ ^(٣) اتَّخَذَهُنَّ
عَلَى أَبْوَابِ هَذَا الْمَسْجِدِ بِجِهَاتِهِ الثَّلَاثِ الشَّرْقِيَّةِ وَالْغَرْبِيَّةِ
وَالشَّمَالِيَّةِ ، أُجْرَاهَا هُنَالِكَ إِلَى ثَلَاثِ جَوَابٍ ^(٤) مِنْ حِيَاضٍ

(١) فِي الْأَصْلِ « الَّذِي » مُحَرَفَةٌ وَحَذَفُهَا هُنَا حَسَنُ (٢) السَّانِيَةُ: الْغَرْبُ

« الدَّلُو الْعَظِيمَةُ » وَأَدَاتُهُ ، وَسَنَى الْقَوْمُ يَسْنُونُ إِذَا اسْتَقْبَوْا .

(٣) السَّقَايَةُ: الْإِنَاءُ يَسْقَى بِهِ (٤) جَمْعُ جَابِيَةٍ وَهِيَ الْحَوْضُ الضَّخْمُ يَجِي

الرُّخَامِ اسْتَقَطَعَهَا بِمَقْطَعِ الْمُنَسْتِيرِ^(١) بِسَفْحِ جَبَلِ قُرْطَبَةِ
بِالْمَالِ الْكَثِيرِ ، وَأَلْقَاهُ الرُّخَامِيُّونَ هُنَالِكَ ، وَاحْتَفَرُوا
أَجْوَاهَهَا بِمَنَاقِيرِهِمْ فِي الْمُدَّةِ الطَّوِيلَةِ حَتَّى اسْتَوَتْ فِي
صُورِهَا الْبَدِيعَةِ لِأَعْيُنِ النَّاسِ ، فَخَفَّفَ ذَلِكَ مِنْ ثِقَلِهَا ،
وَأَمَكَنَ مِنْ إِهْبَاطِهَا إِلَى أَمَا كِنِ نَصْبِهَا بِأَكْنَافِ الْمَسْجِدِ
الْجَامِعِ ، وَأَمَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ بِمَعْوَتِهِ ، قَتَبِيًّا حَمْلُ
الْوَاحِدَةِ مِنْهَا فَوْقَ عَجَلَةٍ كَبِيرَةٍ اتَّخَذَتْ مِنْ ضِخَامِ خَشَبِ
الْبَلُوطِ عَلَى فَلَكَ^(٢) مُوثَقَةً بِالْحَدِيدِ الْمُثَقَّفِ^(٣) مُحْفُوفَةً

إِلَيْهِ الْمَاءُ وَيَجْمَعُ فِيهِ (١) Al-Monastir اسم لهذا المقطع بسفح جبل قرطبة
Monastère معناه بالفرنسية الدير . ومنستير أيضا : موضع بين المهديّة
وسوسة بافريقية بينه وبين كليهما مرحلة كانت خمسة قصور يحيط بها
سور واحد يسكنها قوم من أهل العلم والعبادة والزهد ، وفيه جماعة من الصالحين
المرابطين قد حبسوا أنفسهم فيه منفردين عن الأهل والوطن - والمنستير
أيضا في شرقي الأندلس بين لقت وقرطاجنة ، وحصن من حصون اشبيلية
كان يقرئ به أبو بكر محمد بن عبيد بن ملطون الأموي المقرئ الشنتريني
سكن اشبيلية وتوفي في نواحيها في نحو سنة ٦٠٠ هـ « أحمد يوسف نجاتي »
(٢) في الأصل « قلل » وهو تحريف فاسد ، والعجلة هذه الآلة التي
تجرها الدواب ، سميت بذلك لسرعة مرها ، وخشب تؤلف تحمل عليها
الأنقال وهي السماة « عربة » وأفلاكها ما يسمى « عجالاتها » (٣) ثقفه
إذا سواه وعدله وقومه « أحمد يوسف نجاتي »

بِوِثَاقٍ ^(١) الْحِبَالِ قُرْنٍ ^(٢) لَجَرُّهَا سَبْعُونَ دَابَّةً مِنْ أَشَدِّ
الدَّوَابِّ ، وَسَهَّلَتْ قُدَّامَهَا الطُّرُقَ وَالْمَسَالِكُ ، وَسَهَّلَ اللَّهُ
تَعَالَى حَمْلَهَا وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ فِي مُدَّةِ
اِثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا ، فَنُصِبَتْ فِي الْأَقْبَاءِ الْمَعْقُودَةُ لَهَا . قَالَ :
وَأَبْتَنِي الْمُسْتَنْصِرُ فِي غَرْبِي الْجَامِعِ دَارَ الصَّدَقَةِ ، وَاتَّخَذَهَا
مَعْهَدًا لِتَفْرِيقِ صَدَقَاتِهِ الْمُتَوَالِيَةِ ، وَأَبْتَنِي لِلْفُقَرَاءِ الْبُيُوتَ
قُبَالَةَ بَابِ الْمَسْجِدِ الْكَبِيرِ الْغَرْبِيِّ . انْتَهَى .

اعتماد عمل
قرطبة بالمغرب

وَأَعْلَمَ أَنَّهُ لِعِظَمِ أَمْرِ قُرْطُبَةٍ كَانَ عَمَلُهَا حُجَّةً بِالْمَغْرِبِ
حَتَّى إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي الْأَحْكَامِ : هَذَا مِمَّا جَرَى بِهِ عَمَلُ
قُرْطُبَةٍ . وَفِي هَذِهِ الْمَسْئَلَةِ نِزَاعٌ كَثِيرٌ ، وَلَا بَأْسَ أَنْ

(١) جمع وِثَاقٍ أى متين محكم مبهرم (٢) قرن بين الدابتين اذا
جمعهما فى حبل واحد ، والقرن : حبل يجمع بين البعيرين ، والبعير
المقرون باخر كالقرين ، وخيط من سلب يشد فى عنق الفدان
يفتل ويوثق على عنق كل واحد من الثورين ثم توثق فى وسطهما الاثمنة «وهى
جماعة آلة الفدان حديدها وعيدانها» والفدان اسم لهذه الآلة وحممه
أفدنة ، والعدان ، والفدان اسم للثور الذى تحرث به الأرض. أمضا كما
تسمى بهما الآلة ، ثم استعير هذا اللفظ لجزء من الأرض معلوم مقداره ٢٤ قيراطا

نَذَكُرُ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ مِنْ ذَلِكَ ؛ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ عَرَفَةَ^(١)
 - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِي اشْتِرَاطِ الْإِمَامِ عَلَى الْقَاضِي الْحُكْمَ
 بِمَذْهَبٍ مُعَيَّنٍ وَإِنْ خَالَفَ مُعْتَقَدَ الْمُشْتَرِطِ اجْتِهَادًا أَوْ تَقْلِيدًا
 ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ ؛ الصَّحَّةُ لِلْبَاجِي^(٢) وَلِعَمَلِ أَهْلِ قُرْطُبَةَ

(١) ابن عرفة هو الامام أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة التونسي المالكي ولد بتونس سنة ٧٣٢ كان عالما جليل القدر ضليعا في علوم الشريعة واللغة وآدابها مع الزهد والورع والاشتغال بالعلم والتعليم، ولم يكن في زمنه بالمغرب من يجرى مجراه في التحقيق ولا من اجتمع له من العلوم ما اجتمع له، وله مؤلفات ممتعة مفيدة، ولما ملك تونس السلطان أبو الحسن الريني سنة ٧٤٨ كان الامام ابن عرفة ممن تلقاه بظاهر تونس مع وفد تونس وشيوخها من أهل الفتيا وأرباب الشورى فأثروا طاعتهم، وكان قدم في حملة السلطان أبي الحسن جماعة من أعلام المغرب، وتوفي ابن عرفة سنة ٧٨٣ (٢) هو أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب الباجي القاضي فقيه محدث امام عالم متكامل جليل القدر، روى عن جماعة من الأندلس ثم رحل الى المشرق سنة ٤٢٦ وروى فأكثر وتفقه ففقه، وأقام ببغداد مدة يدرس الفقه ويروي الحديث، ثم عاد الى الأندلس وقد نال حظا وافرا من العلم وروى عنه جماعة من الأئمة منهم الحافظ أبو بكر الطرطوشي وغيره، وكان علم عصره علما وفقها وديانة توفي سنة ٤٧٤ رحمه الله - وأبو محمد عبد الله بن محمد بن علي بن شريعة المعروف بالباجي، أصله من باجة القيرواني لا باجة الأندلس وسكن اشبيلية، وهو فقيه محدث جليل، توفي سنة ٣٧٨ « أحمد يرسف نجاتي »

وَلِظَاهِرِ شَرْطِ سُخْنُونٍ^(١) عَلَى مَذْهَبٍ مَنْ وَلَّاهُ الْحُكْمَ
بِمَذْهَبِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ - قَالَ الْمَازَرِيُّ^(٢) : مَعَ اِحْتِمَالِ كَوْنِ
الرَّجُلِ مُجْتَهِدًا - الثَّانِي الْبُطْلَانُ لِلطَّرْطُوشِيِّ^(٣) إِذْ قَالَ فِي
شَرْطِ أَهْلِ قُرْطُبَةَ : هَذَا جَهْلٌ عَظِيمٌ ، الثَّالِثُ تَصِحُّ التَّوْلِيَةِ
وَيَذْهَبُ الشَّرْطُ تَخْرِيجًا عَلَى أَحَدِ الْأَقْوَالِ فِي الشَّرْطِ
الْفَاسِدِ فِي الْبَيْعِ - لِلْمَازَرِيِّ عَنْ بَعْضِ النَّاسِ . انْتَهَى مُخْتَصَرًا .
قَالَ ابْنُ غَازِي : إِنَّ ابْنَ عَرَفَةَ نَسَبَ لِلطَّرْطُوشِيِّ
الْبُطْلَانَ مُطْلَقًا ، وَابْنُ شَاسٍ إِنَّمَا نَسَبَ لَهُ التَّفْصِيلَ . انْتَهَى .
وَلَمَّا ذَكَرَ مَوْلَايَ الْجَدُّ الْإِمَامُ قَاضِي الْقُضَاةِ بِالْأَنْدَلُسِ
ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الْمَغْرِبِ بِفَاسَ - سَيِّدِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ

(١) سخنون هو أبو سعيد عبد السلام بن سعيد التنوخي الأفرنجي من
أئمة المالكية. صحب الإمام مالكا مدة ثم قدم بمذهبه الى افريقية فأظهره
فيها، وتوفي سنة ٢٤١ وسخنون اسم طائر بالمغرب حديد الذهن ، لقب
الإمام عبد السلام به لشدة ذكائه وقوة ذهنه (٢) هو الإمام أبو عبد الله
محمد بن علي بن عمر التميمي المازري أحد أئمة المالكية وشارح صحيح مسلم
المسمى « المعلم » وهو من شيوخ القاضي عياض ، توفي سنة ٥٣٦ وهو
منسوب الى مازر بلد بالمغرب بحزيرة صقلية ، ينسب اليها أيضا أبو عبد الله
محمد بن مسلم المازري الأصولي (٣) تقدمت ترجمته وهو الإمام المشهور
صاحب الضريح بالاسكندرية توفي سنة ٥٢٥ . « أحمد يوسف نجاتي »

الْمَقْرِيُّ^(١) أَلْتَلِمَسَانِي فِي كِتَابِهِ الْقَوَاعِدِ شَرْطَ أَهْلِ قُرْطَبَةَ
الْمَذْكُورَ قَالَ بَعْدَهُ مَا نَصَّهُ : وَعَلَى هَذَا الشَّرْطِ تَرْتَبُ
عَمَلُ الْقُضَاةِ بِالْأَنْدَلُسِ ثُمَّ أُنْتَقَلَ إِلَى الْمَغْرِبِ ، فَيَنْتَمَا
نَحْنُ نُنَازِعُ النَّاسَ فِي عَمَلِ الْمَدِينَةِ ، وَنَصِيحُ بِأَهْلِ الْكُوفَةِ
مَعَ كَثَرَةِ مَنْ نَزَلَ بِهَا مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ كَعَلِيٍّ وَأَبْنِ مَسْعُودٍ
وَمَنْ كَانَ مَعَهُمَا

* لَيْسَ التَّكْحُلُ فِي الْعَيْنَيْنِ كَالْكَحَلِ *

سَنَحَ لَنَا بَعْضُ الْمَجْهُودِ وَمَوَدَّةُ التَّقْلِيدِ^(٢)

اللَّهُ أَخَّرَ مُدَّتِي فَتَأَخَّرْتُ

حَتَّى رَأَيْتُ مِنَ الزَّمَانِ عَجَائِبًا

(١) هو القاضي الجليل محمد بن محمد بن أحمد كان من أعيان قضاة السلطان
أبي عنان المريني المتوفى سنة ٧٥٩ (٢) هذه الجملة جواب بينا وقد
كانت هذه العبارة في الأصل هكذا (سنح لي بعض الجود ومعدن التقليد)
ومن هذا وأمثاله تعرف كيف كان التصحيف يشوه الكتاب ، ويشوك
طريق القارئ إلى الاستفادة منه ، ويسدل حجابا كثيفا دون فهم المعاني
المقصودة والأغراض المرادة المستترة في ظلمات تلك العبارات المصحفة
والألفاظ المحرفة ، حتى آذن الله بهتك هذه الحجب فأسفرت المعاني مشرقة
الطلعة وإضيحة الجبين تأنس النفوس إليها وترتاح الأفهام لها ، وذلك بمعونة
المراجع المختلفة ومنها القطعة المطبوعة بأوربة « وهي ذات قيمة على ما بها »

يَا اللَّهُ وَلِلْمُسْلِمِينَ ! ذَهَبَتْ قُرْطُبَةُ وَأَهْلُهَا ، وَلَمْ يَبْرَحْ
مِنَ النَّاسِ جَهْلُهَا ! مَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّ الشَّيْطَانَ يَسْعَى فِي مَحْوِ
الْحَقِّ فَيُنْسِيهِ ، وَالْبَاطِلُ لَا زَالَ يُلْقِنُهُ وَيُلْقِيهِ ، أَلَا تَرَى
خِصَالَ الْجَاهِلِيَّةِ : كَالنِّيَّاحَةِ وَالْتَفَاخُرِ وَالتَّكَاثُرِ وَالطَّعْنِ
وَالْتَفْضِيلِ وَالْكِهَانَةِ وَالنُّجُومِ وَالْخَطَّ^(١) وَالتَّشَاوُثِ وَمَا

وغيرها من كتب التراجم والتواريخ الأندلسية وسواها - هذا الى بذل
الجهود المضني والامعان في النظر والتفكير وتقلب كثير من الكلمات على
كل وجوهها الممكنة واستنطاق العبارات عما يراد منها وحسن التأني لما يمكن
به أن تبوح بأسرارها ، ولا يعلم الا الله كم أنفقنا في ذلك من وقت ثمين
وجهد كبير أحيينا به الليالي الطوال سهرا وتنقبياو بحثا ومراجعة فتجافت
جنوبنا فيها عن المضاجع ولم نطعم الغمض بها الا عرارا أو مضمضة ،
وقد نام الحلى ملء جفونه حتى أعان الله بتوفيقه وأثمر الاخلاص في
العمل لوجهه ، ومنه تعالى نستمد دوام المعونة ونسأله أن يمدنا بروح من
عنده وهداية ترافقنا حتى الحمام ، وصواب يحالفنا الى النهاية والكمال .
« أحمد يوسف نجاتي » .

(١) كان الزاجر في الجاهلية يخط في الأرض خطا بأصبعه ثم يزجر ،
قال البيهقي :

ألا انما أزرى ببارك عامدا سويح كخطاط الخطيطة أسحم
الخطيطة هنا هي الرملة التي يخط عليها الزاجر ، وأسحم : اسم خط من
خطوط الزاجر ، وهو علامة الخيبة عندهم ، وذلك أن يأتي الى أرض رخوة
وله غلام معه ميل فيخط الأستاذ خطوطا كثيرة بالعجلة لئلا يلحقها العدد
ثم يرجع فيمحو على مهل خطين خطين ، فان بقي من الخطوط خطان فهما

أَشْبَهَ ذَلِكَ ، وَأَسْمَاءَهَا كَالْعَتَمَةِ ^(١) وَيَثْرِبَ ^(٢) ، وَكَذَا
التَّنَابُزُ بِالْأَلْقَابِ وَغَيْرُهُ مِمَّا نَهَى عَنْهُ ^(٣) ، وَحُذِرَ مِنْهُ ،
كَيْفَ لَمْ تَزُلْ مِنْ أَهْلِهَا ، وَأَنْتَقَلْتَ إِلَى غَيْرِهِمْ مَعَ تَيْشُرِ
أَمْرِهَا ؟ حَتَّى كَانَهُمْ لَا يَرْفَعُونَ بِالدِّينِ رَأْسًا ، بَلْ يَجْعَلُونَ
الْعَادَاتِ الْقَدِيمَةَ أَسًّا ، وَكَذَلِكَ مَحَبَّةُ الشَّعْرِ وَالتَّلْحِينِ
وَالنَّسَبِ ^(٤) ، وَمَا انْخَرَطَ فِي هَذَا السَّلَكِ ثَابِتَةُ الْمَوْقِعِ مِنْ

علامة النجح وقضاء الحاجة ، وإن بقي خط واحد فهو علامة الخيبة -
ويقال فلان يخطى الأرض ، إذا كان يفكر في أمره ويدبره (١) كان
الأعراب في الجاهلية يسمون وقت العشاء بالعتمة « وهى ثلث الليل الأول
بعد غيوبة الشفق أو وقت صلاة العشاء الآخرة » ، وفى الحديث : « لا يغلبنكم
الأعراب على اسم صلاتكم العشاء فإن اسمها فى كتاب الله العشاء وإنما
يعتم بحلاب الأبل » أى لانسموا صلاة العشاء بالعتمة كما يسميها الأعراب
كانوا يحلبون إبلهم إذا اعتموا ولكن سموها كما سماها الله تعالى ، وفيه
النهى عن الاقتداء بهم فيما يخالف السنة ، أو أراد لا يغرنكم فعلهم هذا
فتؤخروا صلاتكم ولكن صلوها إذا حان وقتها ، والتأويل الأول أظهر
« أحمد يوسف نجاشى » .

(٢) يثرب اسم - كان - للناحية التى منها المدينة ، أو اسم للمدينة نفسها
وقد نهى فى الحديث عن تسمية المدينة يثرب وسماها طيبة ، كانه كره
الثرّب لانه فساد فى كلام العرب ، أو كراهة التثريب وهو اللوم والتعير
(٣) قال تعالى : « ولا تنابزوا بالألقاب » (٤) قد تكون محرفة عن
النسب أو مراده التفاخر بالنسب

الْقُلُوبِ ، وَالشَّرْعُ فِينَا مُنْذُ سَبْعِمِائَةِ سَنَةٍ وَسَبْعِ وَسِتِّينَ
سَنَةً ، لَا نَحْفَظُهُ إِلَّا قَوْلًا ، وَلَا نَحْمِلُهُ إِلَّا كَلًّا^(١) . أَنْتَهَى
وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ غَازِي - بَعْدَ ذِكْرِ كَلَامِ مَوْلَايَ الْجَدِّ
مَا نَصَّهُ : وَحَدَّثَنِي ثِقَةٌ مِمَّنْ لَقِيتُ أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ مَدِينَةَ فَاسَ
الْعَلَّامَةُ أَبُو يَحْيَى الشَّرِيفُ التِّمَسَانِيُّ ، وَتَصَدَّقَ لِإِقْرَاءِ
التَّفْسِيرِ بِالْبَلَدِ الْجَدِيدِ ، وَأَمَرَ السُّلْطَانُ أَبُو سَعِيدٍ الْمَرِينِيُّ^(٢)
الْحَفِيدُ أَعْيَانَ الْفُقَهَاءِ بِحُضُورِ مَجْلِسِهِ كَانَ مِمَّا أَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ
مَنْزَعُ الْمُقَرَّرِيِّ هَذَا ، فَبَالَغُوا فِي إِنْكَارِهِ ، وَرَأَوْا أَنَّهُ لَا مَعْدِلَ
عَمَّا عَوَّلَ عَلَيْهِ زُعَمَاءُ الْفُقَهَاءِ كَابْنِ رُشْدٍ وَأَصْحَابِ الْوَثَائِقِ

(١) الكل: أى الثقل ، وفى حديث البخارى: « انك لتحمل الكل » أى
الثقل من كل ما يتكاف (٢) تقدم التعريف به وأنه ولى الأُمَرسنة ٧١٠ وهو
السلطان أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق . وفى سنة ٧٢٠ أمر السلطان
أبو سعيد ببناء المدرسة التى بفاس الجديدة بنيت أحسن بناء وأتقنه ورتب فيها
الطلبة والفقهاء لتدريس العلم وأجرى عليهم المرتبات والوظائف الكافية فى كل
شهر ، وحبس عليها الرياع والضيايع ابتغاء وجه الله ورغبة فيما عنده . وفى
سنة ٧٢٣ أمر أيضا ببناء المدرسة العظمى بازاء جامع القرويين بفاس وهى
المعروفة بمدرسة العطارين . وحضر السلطان حفلة الشروع فى تأسيسها
بنفسه فجاءت من أعظم الأبنية وأفخم المصانع ، وعنى بأمرها ووقف

كَالْمِطْطِي^(١) مِنْ أَعْتِمَادِ عَمَلِ أَهْلِ قُرْطُبَةَ وَمَنْ فِي
مَعْنَاهُمْ . انْتَهَى .

* *

« وَقَالَ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ » حِينَ ذَكَرَ قُرْطُبَةَ مَامُلَخَّصُهُ مدن قرطبة
هِيَ قَاعِدَةُ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ ، وَدَارُ الْخِلَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَهِيَ
مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَأَهْلُهَا أَعْيَانُ الْبِلَادِ وَسَرَاةُ النَّاسِ فِي حُسْنِ
الْمَأْكَلِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَرَآكِبِ وَعُلُوِّ الْهَمَمِ ،
وَبِهَا أَعْلَامُ الْعُلَمَاءِ ، وَسَادَاتُ الْفُضَلَاءِ ، وَأَجْلَادُ^(٢) الْغُرَاةِ
وَأَنْجَادُ الْخُرُوبِ ، وَهِيَ فِي تَقْسِيمِهَا خَمْسُ مَدُنٍ يَتَلَوُ بَعْضُهَا
بَعْضًا ، وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالْمَدِينَةِ سُورٌ عَظِيمٌ حَصِينٌ حَاجِزٌ ،
وَ كُلُّ مَدِينَةٍ مُسْتَقِلَّةٌ بِنَفْسِهَا ، وَفِيهَا مَا يَكْفِي أَهْلَهَا مِنْ
الْحَمَامَاتِ وَالْأَسْوَاقِ وَالصَّنَاعَاتِ ، وَطُولُ قُرْطُبَةَ ثَلَاثَةُ

ما يكفي النفقة على طلبتها والقائمين بالدراسة من العلماء فيها (١) انظر فعل الكلمة
محرفة عن « المتيجي » نسبة الى متيجة Mattiga بلد في أواخر إفريقية
من أعمال بني حماد، ينسب اليها أبو محمد عبدالله بن ابراهيم بن عيسى المتيجي
(٢) أجلاذ: جمع جلد وهو القوى الشديد ذو الصبر والصلابة . والآنجاد
جمع نجذ، وهو الشجاع الشديد البأس السريع الاجابة الى ما يدعى اليه .

أَمْيَالٍ فِي عَرْضِ مِيلٍ وَاحِدٍ ، وَهِيَ فِي سَفْحِ جَبَلٍ مُطْلٍ
عَلَيْهَا ، وَفِي مَدِينَتِهَا الثَّلَاثَةِ وَهِيَ الْوُسْطَى الْقَنْطَرَةُ وَالْجَامِعُ
الَّذِي لَيْسَ فِي مَعْمُورِ الْأَرْضِ مِثْلُهُ ، وَطُولُهُ مِائَةُ ذِرَاعٍ فِي
عَرْضِ ثَمَانِينَ ، وَفِيهِ مِنَ السَّوَارِي الْكِبَارِ أَلْفُ سَارِيَةٍ ،
وَفِيهِ مِائَةُ وَثَلَاثَ عَشْرَةَ ثُرَيَّا لِلْوُقُودِ ، أَكْبَرُهَا تَحْمِلُ
أَلْفَ مِصْبَاحٍ ، وَفِيهِ مِنَ النُّقُوشِ وَالرُّقُومِ مَا لَا يَقْدِرُ
أَحَدٌ عَلَى وَصْفِهِ ، وَبِقِبْلَتِهِ صِنَاعَاتٌ تُدْهِشُ الْعُقُولَ ، وَعَلَى
فُرْجَةِ الْمِحْرَابِ سَبْعُ قِيسٍ قَائِمَةٌ عَلَى عُمْدٍ ، طُولُ كُلِّ قَوْسٍ
فَوْقَ الْقَامَةِ ، قَدْ تَحَيَّرَ الرُّومُ وَالْمُسْلِمُونَ فِي حُسْنِ وَضْعِهَا ،
وَفِي عِضَادَتِي ^(١) الْمِحْرَابِ أَرْبَعَةُ أَعْمِدَةٍ اثْنَانِ أَخْضَرَانِ
وَاثْنَانِ لَازَوْرْدِيَّانِ ، لَيْسَ لَهَا قِيَمَةٌ لِنَفَاسَتِهَا ، وَبِهِ مِنْبَرٌ لَيْسَ
عَلَى مَعْمُورِ الْأَرْضِ أَنْفَسُ مِنْهُ وَلَا مِثْلُهُ فِي حُسْنِ صَنْعَتِهِ ،
وَحَشَبُهُ سَاجٌ وَآبِنُوسٌ وَبَقْمٌ وَعُودٌ قَاقِلِيٌّ ، وَيَذْكُرُ

(١) العضادتان: الناحيتان ، وعضادتنا الباب: الحشبتان المنصوبتان عن يمين

الداخل منه وشماله .

فِي تَارِيخِ بَنِي أُمَيَّةَ أَنَّهُ أَحْكَمَ عَمَلُهُ وَتَقَشُّهُ فِي سَبْعِ
سِنِينَ ، وَكَانَ يَعْمَلُ فِيهِ ثَمَانِيَةَ صُنَّاعٍ ، لِكُلِّ صَانِعٍ فِي
كُلِّ يَوْمٍ نِصْفُ مِثْقَالٍ مُحَمَّدِيٍّ ، فَكَانَ جُمْلَةُ مَا صُرِفَ
عَلَى الْمِنْبَرِ لَا غَيْرُ عَشْرَةَ آلَافٍ مِثْقَالٍ وَخَمْسِينَ مِثْقَالًا ،
وَفِي الْجَامِعِ حَاصِلٌ كَبِيرٌ مَلَانٌ مِنْ آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ
لِأَجْلِ وَقُودِهِ . وَبِهَذَا الْجَامِعِ مُصَحَّفٌ يُقَالُ إِنَّهُ عُثْمَانِيٌّ .
وَلِلْجَامِعِ عِشْرُونَ بَابًا مُصَفَّحَاتٌ بِالنُّحَاسِ الْأَنْدَلُسِيِّ مُخَرَّمَةٌ
تَخْرِيْمًا عَجِيبًا يُعْجِزُ الْبَشَرَ وَيَبْهَرُهُمْ ، وَفِي كُلِّ بَابٍ حَلَقَةٌ
فِي نِهَايَةِ الصَّنْعَةِ وَالْحِكْمَةِ ، وَبِهِ الصَّوْمَعَةُ الْعَجِيبَةُ
الَّتِي ارْتِفَاعُهَا مِائَةُ ذِرَاعٍ بِالْمَكِّيِّ الْمَعْرُوفِ بِالرَّشَاشِيِّ ،
وَفِيهَا مِنْ أَنْوَاعِ الصَّنَائِعِ الدَّقِيقَةِ مَا يُعْجِزُ الْوَاصِفُ عَنْ
وَصْفِهِ وَنَعْتِهِ . وَبِهَذَا الْجَامِعِ ثَلَاثَةُ أَعْمِدَةٍ حُمْرٍ مَكْتُوبٌ
عَلَى الْوَاحِدِ اسْمُ مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى الْآخِرِ صُورَةُ عَصَا مُوسَى
وَأَهْلِ الْكَهْفِ ، وَعَلَى الثَّلَاثِ صُورَةُ غُرَابِ نُوحٍ ،
وَالْجَمِيعُ خِلَقَةٌ رَبَّانِيَّةٌ .

وَأَمَّا الْقَنْطَرَةُ الَّتِي بِقَرْطَبَةٍ فَهِيَ بَدِيعَةُ الصَّنْعَةِ قنطرة قرطبة
عَجِيبَةُ الْمَرَأَى . فَاقَتْ قَنَاطِرَ الدُّنْيَا حُسْنًا ، وَعِدَّةُ قِسْمِهَا
سَبْعَ عَشْرَةَ قَوْسًا ، سَعَةُ كُلِّ قَوْسٍ مِنْهَا خَمْسُونَ شِبْرًا ،
وَبَيْنَ كُلِّ قَوْسَيْنِ خَمْسُونَ شِبْرًا . وَبِالْجُمْلَةِ فَمَحَاسِنُ
قَرْطَبَةٍ أَفْضَلُ الْمَحَاسِنِ ، وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ نُحِيطَ بِهَا وَصْفًا .
انْتَهَى مُلَخَّصًا ، وَهُوَ وَإِنْ تَكَرَّرَ بَعْضُهُ مَعَ مَا قَدَّمْتُهُ
فَلَا يَخْلُو مِنْ فَائِدَةٍ زَائِدَةٍ ، وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ . وَمَا ذَكَرَهُ
فِي طُولِ الْمَسْجِدِ وَعَرْضِهِ مُخَالِفٌ لِمَا مَرَّ ، وَيُمْكِنُ الْجَوَابُ
بِأَنَّ هَذَا الذَّرَاعَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ - كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ هُوَ فِي
أَمْرِ الصَّوْمَعَةِ - وَكَذَا مَا ذَكَرَهُ فِي عَدَدِ السَّوَارِي ، إِلَّا
أَنْ يُقَالَ مَا تَقَدَّمَ بِاعْتِبَارِ الصَّغَارِ وَالْكِبَارِ ، وَهَذَا الْعَدَدُ
الَّذِي ذَكَرَهُ هُنَا إِنَّمَا هُوَ لِلْكِبَارِ فَقَطْ - كَمَا صَرَّحَ بِهِ
وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ . وَأَمَّا الثَّرَيَاتُ فَقَدْ خَالَفَ فِي عَدِّهَا مَا
تَقَدَّمَ ، مَعَ أَنَّ الْمُتَقَدَّمَ هُوَ قَوْلُ ثِقَاتٍ مُؤَرِّخِي الْأَنْدَلُسِ ،
وَنَحْنُ جَلَبْنَا النِّقْلَ مِنْ مَوَاضِعِهِ وَإِنْ اخْتَلَفَتْ طُرُقُهُ
وَمَضْمُونَاتُهُ . وَقَالَ فِي الْمَغْرِبِ - عِنْدَ تَعَرُّضِهِ لِذِكْرِ جَامِعِ

قُرْطُبَةَ مَا نَصُّهُ : اُعْتَمَدْتُ فِيْمَا نَقَلْتُهُ فِي هَذَا الْفَصْلِ عَلَى
كِتَابِ ابْنِ بَشْكُوَال ، فَقَدْ اُعْتَنَى بِهَذَا الشَّانِ اَتَمَّ اُعْتِنَاءٍ
وَأَغْنَى عَنِ الْاِسْتِظْلَاعِ إِلَى كَلَامِ غَيْرِهِ ؛ عَنِ الرَّازِي أَنَّهُ لَمَّا
اِفْتَسَحَ الْمُسْلِمُونَ الْأَنْدَلُسَ اُمْتَثَلُوا مَا فَعَلَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ
الْجَرَّاحِ وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ عَنْ رَأْيِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى
عَنْهُ - بِالشَّامِ مِنْ مُشَاطَرَةِ الرُّومِ فِي كِنَائِسِهِمْ مِثْلِ
كَنِيسَةِ دِمَشْقَ وَغَيْرِهَا مِمَّا أَخَذَهُ صَلْحًا ، فَشَاطَرَ الْمُسْلِمُونَ
أَعَاجِمَ قُرْطُبَةَ كَنِيسَتَهُمُ الْعُظْمَى الَّتِي كَانَتْ دَاخِلَ مَدِينَتِهَا
تَحْتَ السُّورِ - وَكَانُوا يُسَمُّونَهَا بِسَنْتٍ بِنَجْنَتْ^(١) وَابْتَنَوْا
فِي ذَلِكَ الشَّطْرِ مَسْجِدًا جَامِعًا ، وَبَقِيَ الشَّطْرُ الثَّانِي بِأَيْدِي
النَّصَارَى ، وَهُدِّمَتْ عَلَيْهِمْ سَائِرُ الْكِنَائِسِ بِحَضْرَةِ
قُرْطُبَةَ ، وَأُقْتَنَعَ الْمُسْلِمُونَ بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ إِلَى أَنْ كَثُرُوا ،
وَتَزَيَّدَتْ عِمَارَةُ قُرْطُبَةَ ، وَتَزَلَّهَا أُمَرَاءُ الْعَرَبِ ، فَضَاقَ عَنْهُمْ
ذَلِكَ الْمَسْجِدُ ، وَجَعَلُوا يُعَلِّقُونَ مِنْهُ سَقِيفَةً بَعْدَ سَقِيفَةٍ

(١) فِي الْأَصْلِ « سَنْتٌ تَنْجَنْت » وَأَرَاهَا مُحَرَفَةٌ عَنْ « سَنْتٌ بِنَجْنَتْ
Saint-Benjamites أَيِ الْقَدِيسِ بِنْيَامِينَ . « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَاتِي »

يَسْتَكِينُونَ بِهَا ، حَتَّى كَانَ النَّاسُ يَنَالُونَ فِي الْوُصُولِ إِلَى
دَاخِلِ الْمَسْجِدِ الْأَعْظَمِ مَشَقَّةً لِّتَلَاصُقِ تِلْكَ السَّقَائِفِ
وَقِصَرَ أَبْوَابُهَا وَتَطَامُنِ سَقْفِهَا ، حَتَّى مَا يُمَكِّنُ أَكْثَرَهُمْ
الْقِيَامُ عَلَى اعْتِدَالٍ لِّتَقَارِبَ سَقْفِهَا مِنَ الْأَرْضِ ، وَلَمْ يَزَلِ
الْمَسْجِدُ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ إِلَى أَنْ دَخَلَ الْأَمِيرُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ
ابْنُ مُعَاوِيَةَ الْمَرْوَانِيُّ إِلَى الْأَنْدَلُسِ ، وَاسْتَوَلَى عَلَى إِمَارَتِهَا
وَسَكَنَ دَارَ سُلْطَانِهَا قُرْطُبَةَ وَتَمَدَّنَتْ بِهِ ، فَنَظَرَ فِي أَمْرِ
الْجَامِعِ ، وَذَهَبَ إِلَى تَوْسِعَتِهِ وَإِتْقَانِ بُنْيَانِهِ ، فَأَحْضَرَ أَعْظَمَ
النَّصَارَى وَسَامَهُمْ يَبْعَ مَا بَقِيَ بِأَيْدِيهِمْ مِنْ كَنِيسَتِهِمْ لِيَصُقَ
الْجَامِعَ لِيُدْخِلَهُ فِيهِ ، وَأَوْسَعَ لَهُمُ الْبَذْلَ وَفَاءً بِالْعَهْدِ
الَّذِي صَوَّلُوا عَلَيْهِ ، فَأَبَوْا مِنْ يَبْعَ مَا بِأَيْدِيهِمْ ، وَسَأَلُوا
بَعْدَ الْجِدِّ بِهِمْ أَنْ يُبَاخُوا بِنَاءِ كَنِيسَتِهِمُ الَّتِي هُدِّمَتْ عَلَيْهِمْ
بِخَارِجِ الْمَدِينَةِ عَلَى أَنْ يَتَخَلَّوْا لِلْمُسْلِمِينَ عَنْ هَذَا الشَّطْرِ
الَّذِي طَوَّلُوا بِهِ ، قَمَّ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ ، وَكَانَ ذَلِكَ
سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ ، فَأَبْتَنَى عِنْدَ ذَلِكَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ

الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ عَلَى صِفَةٍ ذَكَرَهَا لَا حَاجَةَ إِلَى تَفْسِيرِ
الزِّيَادَةِ فِيهِ ، وَإِنَّمَا الْحَاجَةُ فِي وَصْفِهِ بِكَمَالِهِ . وَفِي بَنَائِهِ
لِهَذِهِ الزِّيَادَةِ يَقُولُ دِحْيَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَلَوِيُّ مِنْ قَصِيدَةٍ :

وَأَنْفَقَ فِي دِينِ الْإِلَهِ وَوَجْهِهِ

ثَمَانِينَ أَلْفًا مِنْ لُجَيْنٍ وَعَسْجَدٍ

تَوَزَّعَهَا فِي مَسْجِدٍ أَشْهُ الثَّقَى

وَمَنْهَجُهُ دِينُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

تَرَى الذَّهَبَ النَّارِيَّ فَوْقَ سُمُوكِهِ

يَلُوحُ كَبْرُوقِ الْعَارِضِ الْمُتَوَقِّدِ

قَالَ : وَكَمَلَ سَنَةٌ سَبْعِينَ وَمِائَةً . ثُمَّ ذَكَرَ زِيَادَةَ

أَبْنَيْهِ هِشَامِ الرِّضَا وَمَا جَدَّدَهُ فِيهِ وَأَنَّهُ بَنَاهُ مِنْ خُمْسِ

فِيءِ أَرْبُونَةٍ ، ثُمَّ زِيَادَةَ أَبْنَيْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطِ لَمَّا

تَزَايَدَ النَّاسُ ، قَالَ : وَهَلَكَ قَبْلَ أَنْ يُتِمَّ الزَّخْرَفَةُ فَأَتَمَّهَا

وَلَدَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ . ثُمَّ رَمَى الْمُنْدِرُ بْنُ مُحَمَّدٍ

مَا وَهَى مِنْهُ ، وَذَكَرَ مَا جَدَّدَهُ خَلِيفَتُهُمُ النَّاصِرُ وَتَقَضَّاهُ

لِلصَّوْمَةِ الْأُولَى وَبُنْيَانَهُ لِلصَّوْمَةِ الْعَظِيمَةِ . قَالَ : وَلَمَّا
وَلِيَ الْحُكْمُ الْمُسْتَنْصِرُ بْنُ النَّاصِرِ - وَقَدْ اتَّسَعَ نِطَاقُ
قُرْطُبَةَ وَكَثُرَ أَهْلُهَا ، وَتَبَيَّنَ الضِّيقُ فِي جَامِعِهَا - لَمْ يُقَدِّمْ
شَيْئًا عَلَى النَّظَرِ فِي الزِّيَادَةِ ، فَبَلَغَ الْجُهْدَ وَزَادَ الزِّيَادَةُ الْعُظْمَى ،
قَالَ : وَبِهَا كَمَلْتُ مَحَاسِنُ هَذَا الْجَامِعِ ، وَصَارَ فِي حَدِّ يَقْصَرُ
الْوَصْفُ عَنْهُ . وَذَكَرَ حُضُورَهُ لِمُشَاوَرَةِ الْعُلَمَاءِ فِي تَحْرِيفِ
الْقِبْلَةِ إِلَى نَحْوِ الْمَشْرِقِ حَسَبَمَا فَعَلَهُ وَالِدُهُ النَّاصِرُ فِي قِبْلَةِ
جَامِعِ الزَّهْرَاءِ - لِأَنَّ أَهْلَ التَّعْدِيلِ يَقُولُونَ بِانْحِرَافِ
قِبْلَةِ الْجَامِعِ الْقَدِيمَةِ إِلَى نَحْوِ الْغَرْبِ - فَقَالَ لَهُ الْفَقِيهُ
أَبُو إِبْرَاهِيمَ ^(١) : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ قَدْ صَلَّى إِلَى هَذِهِ
الْقِبْلَةِ خِيَارُ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ أَجْدَادِكَ الْأَئِمَّةِ وَصُلَحَاءِ
الْمُسْلِمِينَ وَعُلَمَائِهِمْ مُنْذُ أُفْتُتِحَتِ الْأَنْدَلُسُ إِلَى هَذَا الْوَقْتِ

(١) أظنه أبا إبراهيم اسحق بن إبراهيم بن مسرة من أهل قرطبة « وأصله
من طليطلة وهو من موالى بعض أهلها » كان من أئمة الفقهاء المالكية
مشاورا في الأحكام صدرا في الفتيا وقورا مهيبا جليلا توفي - رحمه الله -
سنة ٣٥٢ بطليطلة عن ٧٥ سنة وكان قد خرج غازيا مع الخليفة
المستنصر بالله . « أحمد يوسف نجاتي » .

مُتَّاسِينَ بِأَوَّلِ مَنْ نَصَبَهَا مِنَ التَّابِعِينَ كَمُوسَى بْنِ نَصِيرٍ
وَحَنَشِ الصَّنْعَانِيِّ وَأَمْثَالِهِمْ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى - ، وَإِنَّمَا
فَضْلُ مَنْ فَضُلٌ بِالِاتِّبَاعِ ، وَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ بِالِابْتِدَاعِ .
فَأَخَذَ الْخَلِيفَةُ بِرَأْيِهِ وَقَالَ : نَعَمْ مَا قُلْتَ ! وَإِنَّمَا مَذْهَبُنَا
الِاتِّبَاعُ . قَالَ ابْنُ بَشْكُوَال : وَتَقَلْتُ مِنْ خَطِّ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَنْصِرِ أَنَّ النِّفْقَةَ فِي هَذِهِ الزِّيَادَةِ وَمَا أُتِّصَلَ
بِهَا أُتِّهَتْ إِلَى مَائَتَيْ أَلْفِ دِينَارٍ وَأَحَدِ وَسِتِّينَ أَلْفِ دِينَارٍ
وَحَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ وَسَبْعَةٍ وَثَلَاثِينَ دِينَارًا وَدِرْهَمَيْنِ وَلِصْفٍ ،
ثُمَّ ذَكَرَ الصَّوْمَعَةَ ثَقْلًا عَنْ ابْنِ بَشْكُوَال فَقَالَ : أَمَرَ
النَّاصِرُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِهَدْمِ الصَّوْمَعَةِ الْأُولَى سَنَةَ أَرْبَعِينَ
وِثَلَاثِمِائَةٍ ، وَأَقَامَ هَذِهِ الصَّوْمَعَةَ الْبَدِيعَةَ ، فَحَفَرَ فِي أُسَاسِهَا
حَتَّى بَلَغَ الْمَاءُ مُدَّةً مِنْ ثَلَاثَةِ وَأَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَلَمَّا كَمَلَتْ
رَكِبَ النَّاصِرُ إِلَيْهَا مِنْ مَدِينَةِ الزَّهْرَاءِ ، وَصَعِدَ فِي الصَّوْمَعَةِ
مِنْ أَحَدِ دَرَجَيْهَا وَنَزَلَ مِنَ الثَّانِي ، ثُمَّ خَرَجَ النَّاصِرُ وَصَلَّى
رَكْعَتَيْنِ فِي الْمَقْصُورَةِ وَأَنْصَرَفَ . قَالَ : وَكَانَتْ الْأُولَى

ذَاتَ مَطْلَعٍ وَاحِدٍ ، فَصَيَّرَ لَهُذِهِ مَطْلَعَيْنِ فَصَلَ بَيْنَهُمَا الْبِنَاءُ
فَلَا يَلْتَقِي الرَّاقُونَ فِيهَا إِلَّا بِأَعْلَاهَا ، تَزِيدُ مَرَاتِي كُلَّ مَطْلَعٍ
مِنْهَا عَلَى مِائَةِ سَبْعًا . قَالَ : وَخَبِرْتُ هَذِهِ الصَّوْمَةَ مَشْهُورٌ فِي
الْأَرْضِ ، وَلَيْسَ فِي مَسَاجِدِ الْمُسْلِمِينَ صَوْمَةٌ تَعْدِلُهَا . قَالَ
أَبْنُ سَعِيدٍ : قَالَ ابْنُ بَشْكُوَالِ هَذَا لِأَنَّهُ لَمْ يَرِ صَوْمَةٌ
مُرًّا كِشَ وَلَا صَوْمَةٌ إِشْبِيلِيَّةَ اللَّتَيْنِ بَنَاهُمَا الْمَنْصُورُ مِنْ
بَنِي عَبْدِ الْمُؤْمِنِ ، فَهُمَا أَكْثَرُ وَأَطْوَلُ - لِأَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّ طُولَ
صَوْمَةِ قُرْطُبَةَ إِلَى مَكَانِ مَوْقِفِ الْمُؤَذِّنِ أَرْبَعٌ وَخَمْسُونَ
ذِرَاعًا ، وَإِلَى أَعْلَى الرُّمَّانَةِ الْأَخِيرَةِ بِأَعْلَى الزُّجِّ ثَلَاثٌ
وَسَبْعُونَ ذِرَاعًا ، وَعَرْضُهَا فِي كُلِّ تَرْبِيعٍ مِنْهَا ثَمَانِي عَشْرَةَ
ذِرَاعًا ، وَذَلِكَ اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ ذِرَاعًا ، قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : وَطُولُ
صَوْمَةِ مُرَّا كِشَ مِائَةٌ وَعَشْرُ أَذْرُعٍ ، وَذَكَرَ أَنَّ صَوْمَةَ
قُرْطُبَةَ بِضِخَامِ الْحِجَارَةِ الْقَطِيعَةِ ^(١) مُنْجَدَّةٌ غَايَةَ التَّجِيدِ ،

(١) كذا بالأصل وامله يريد الهائلة التي جاوزت الحد في العظم والضخامة
وفي بعض النسخ « القطيعة » و « القطيعة » أي المقطوعة من الجبال -
ونجده إذا سواه وحسنه وصقله « أحمد يوسف نجاتي »

وَفِي أَعْلَى ذِرْوَتِهَا ثَلَاثُ شَمْسَاتٍ ^(١) يُسَمُّونَهَا رُمَّانَةً مُلَصَّقَةً
 فِي السَّفُودِ ^(٢) الْبَارِزِ فِي أَغْلَاهَا مِنَ النُّحَاسِ ، الثَّنَّتَانِ مِنْهَا
 ذَهَبٌ إِبْرِيزٌ ، وَالثَّلَاثَةُ مِنْهَا وَسْطَى يَنْتَهَمَا مِنْ فِضَّةٍ كَسِيرٍ ^(٣)
 وَفَوْقَهَا سَوْسَنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ مُسَدَّسَةٌ ، فَوْقَهَا رُمَّانَةٌ ذَهَبٌ
 صَغِيرَةٌ فِي طَرَفِ الزُّجِّ الْبَارِزِ بِأَعْلَى الْجَوْ ، وَكَانَ تَمَامُ هَذِهِ
 الصَّوْمَعَةِ فِي ثَلَاثَةِ عَشَرَ شَهْرًا . وَذَكَرَ ابْنُ بَشْكُوَالٍ
 فِي رِوَايَةٍ أَنَّ مَوْضِعَ الْجَامِعِ الْأَعْظَمِ بِقُرْطَبَةَ كَانَ حُفْرَةً
 عَظِيمَةً يَطْرَحُ فِيهَا أَهْلُ قُرْطَبَةَ قُمَامَتَهُمْ وَغَيْرَهَا ، فَلَمَّا قَدِمَ
 سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمَا - وَدَخَلَ قُرْطَبَةَ قَالَ
 لِلَّجَنِ : أَرَدِمُوا هَذَا الْمَوْضِعَ وَعَدِّلُوا مَكَانَهُ ، فَسَيَكُونُ فِيهِ
 بَيْتٌ يُعْبَدُ اللَّهُ فِيهِ ، فَفَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ ، وَبُنِيَ فِيهِ بَعْدَ
 ذَلِكَ الْجَامِعُ الْمَذْكُورُ . قَالَ : وَمِنْ فَضَائِلِهِ أَنَّ الدَّارَاتِ ^(٤)

(١) جمع شمس شبت الرمان بها في الاشراق والضوء (٢) السفود في الأصل
 حديدة ذات شعب معقفة يشوى بها اللحم أطلقه هنا على ما يشبهه .
 (٣) يريد الفضة الخالصة النقية ، والذهب الابريز ايضاً هو الخالص (٤) الدارة
 هي الدائرة ، والمائلة أي الشاخصة البارزة .

الْمَائِلَةِ فِي تَزَاوِيْقِ سَمَائِهِ مَكْتُوبَةٌ كُلُّهَا بِالذِّكْرِ وَالْدُّعَاءِ
إِلَى غَيْرِهِ بِأَحْكَمِ صَنْعَةٍ . انْتَهَى .

وَذَكَرَ مُصْحَفَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى
عَنْهُ - الَّذِي كَانَ فِي جَامِعِ قُرْطُوبَةِ وَصَارَ إِلَى بَنِي عَبْدِ الْمُؤْمِنِ
فَقَالَ : هُوَ مُصْحَفُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ - رَضِيَ
اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - مِمَّا خَطَّهُ يَمِينُهُ ، وَلَهُ عِنْدَ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ
شَأْنٌ عَظِيمٌ . انْتَهَى . وَسَنَدُ كُرِّ فِيهِ زِيَادَةٌ عَلَى هَذَا .

وَأَمَّا الزَّهْرَاءُ فَهِيَ مَدِينَةُ الْمَلِكِ الَّتِي اخْتَرَعَهَا أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِرُ لِدِينِ اللَّهِ - وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ -
وَهِيَ مِنَ الْمُدُنِ الْجَلِيلَةِ الْعَظِيمَةِ الْقَدْرِ . قَالَ ابْنُ الْفَرَضِيِّ
وغيره : كَانَ يَعْمَلُ فِي جَامِعِهَا حِينَ شُرِعَ فِيهِ مِنْ حُذَاقِ
الْفَعْلَةِ كُلِّ يَوْمٍ أَلْفُ نَسْمَةٍ ؛ مِنْهَا ثَلَاثُمِائَةٍ بَنَاءً وَمِائَتَانِ نِجَارٍ
وخمسمائةٍ مِنَ الْأَجْرَاءِ وَسَائِرِ الصَّنَائِعِ ، فَاسْتَمَّ بُنْيَانُهُ
وإِتْقَانُهُ فِي مُدَّةٍ مِنْ ثَمَانِيَةِ وَأَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَجَاءَ فِي غَايَةِ

مصحف عثمان
رضي الله عنه

مدينة الزهراء
ومسجدها

الْإِتْقَانِ مِنْ خَمْسَةِ أَبْهَاءٍ عَجِيبَةِ الصَّنْعَةِ ، وَطُولُهُ مِنَ الْقِبْلَةِ
إِلَى الْجَوْفِ - حَاشَا الْمَقْصُورَةَ - ثَلَاثُونَ ذِرَاعًا ، وَعَرْضُ
الْبَهْوِ الْأَوْسَطِ مِنْ أَبْهَائِهِ مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ ثَلَاثَ
عَشْرَةَ ذِرَاعًا ، وَعَرْضُ كُلِّ بَهْوٍ مِنَ الْأَرْبَعَةِ الْمَكْتَفَةِ
لَهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ ذِرَاعًا ، وَطُولُ صَحْنِهِ الْمَكْشُوفِ مِنَ الْقِبْلَةِ
إِلَى الْجَوْفِ ثَلَاثٌ وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعًا ، وَعَرْضُهُ مِنَ الشَّرْقِ
إِلَى الْغَرْبِ إِحْدَى وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعًا ، وَجَمِيعُهُ مَفْرُوشٌ
بِالرُّخَامِ الْخَمْرِيِّ ، وَفِي وَسْطِهِ فَوَّارَةٌ يَجْرِي فِيهَا الْمَاءُ ،
فَطُولُ هَذَا الْمَسْجِدِ أَجْمَعٍ مِنَ الْقِبْلَةِ إِلَى الْجَوْفِ سِوَى
الْمِحْرَابِ سَبْعٌ وَتِسْعُونَ ذِرَاعًا ، وَعَرْضُهُ مِنَ الشَّرْقِ إِلَى
الْغَرْبِ تِسْعٌ وَخَمْسُونَ ذِرَاعًا ، وَطُولُ صَوْمَعَتِهِ فِي الْهَوَاءِ
أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا ، وَعَرْضُهَا عَشْرٌ أَذْرُعٌ فِي مِثْلِهَا . وَأَمْرَ النَّاصِرِ
لِدِينِ اللَّهِ بِاتِّخَاذِ مَنِيرٍ بَدِيعٍ لِهَذَا الْمَسْجِدِ ، فَصُنِعَ فِي نِهَآيَةِ
مِنَ الْحُسْنِ ، وَوُضِعَ فِي مَكَانِهِ مِنْهُ ، وَحُظِرَتْ^(١) حَوْلُهُ

(١) من الحظيرة وهي كل ما أحاط بالشيء خشباً أو قصبا أو غيرها ، والحظار
كل ما حال بينك وبين الشيء ، وكل حاجز بين شيئين

مَقْصُورَةٌ عَجِيبَةٌ الصَّنْعَةِ ، وَكَانَ وَضَعُ هَذَا الْمُنْبَرِ فِي
مَكَانِهِ مِنْ هَذَا الْمَسْجِدِ عِنْدَ إِكْمَالِهِ يَوْمَ الْخَمِيسِ لِسَبْعِ
بَقِيْنَ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِينَ . قَالَ : وَفِي صَدْرِ
هَذِهِ السَّنَةِ كَمَلَ لِلنَّاصِرِ بُيَانُ الْقَنَاءِ الْغَرِيبَةِ الصَّنْعَةِ الَّتِي
أَجْرَاهَا ، وَجَرَى فِيهَا الْمَاءُ الْعَذْبُ مِنْ جَبَلٍ قُرْطُبَةَ إِلَى قَصْرِ
النَّاعُورَةِ غَرْبِيَّ قُرْطُبَةَ فِي الْمَنَاهِرِ ^(١) الْمُهَنْدَسَةِ وَعَلَى الْحَنَائَا
الْمَعْقُودَةِ ، يَجْرِي مَآوُهَا بِتَذِيرٍ عَجِيبٍ وَصَّنْعَةٍ مُحْكَمَةٍ
إِلَى بَرَكَةٍ عَظِيمَةٍ عَلَيْهَا أَسَدٌ عَظِيمُ الصُّورَةِ بَدِيعُ الصَّنْعَةِ
شَدِيدُ الرُّوْعَةِ ، لَمْ يُشَاهَدْ أَبْهَى مِنْهُ فِيمَا صَوَّرَ الْمُلُوكُ فِي
غَايِرِ الدَّهْرِ ، مَظْلِيٌّ بِذَهَبٍ إِبْرِيْزٍ ، وَعَيْنَاهُ جَوْهَرَتَانِ لَهُمَا
وَيْصٌ ^(٢) شَدِيدٌ ، يَجُوزُ هَذَا الْمَاءُ إِلَى عَجْزِ هَذَا الْأَسَدِ
فِيْمَجُّهُ فِي تِلْكَ الْبَرَكَةِ مِنْ فِيهِ ، فَيَنْهَرُ النَّاطِرُ بِحُسْنِهِ
وَرَوْعَةِ مَنْظَرِهِ وَتَجَاجَعِ ^(٣) صَبِّهِ ، فَتُسْقَى مِنْ مُجَاجِهِ ^(٤) جِنَانُ

(١) أصل النهر موضع في الهر يحتفره الماء ، وموضع النهر (٢) وبص
البرق وغيره يبص ويبصا اذا لمع وبرق ، والوباص البراق اللؤلؤ .
وفي بعض النسخ « وميض » وهو مثله (٣) ثج الماء : أساله ، وثج الماء
اذا كثر صبه وسيله (٤) مج الماء من فيه اذا لفظه وألقاه ، والمجاج اسم
لهذا الماء الذي يرمى من الفم

هَذَا الْقَصْرَ عَلَى سَعَتِهَا ، وَيَسْتَفِيزُ عَلَى سَاحَاتِهِ وَجَنَابَتِهِ ، وَيَمْدُ
النَّهْرَ الْأَعْظَمَ بِمَا فَضَلَ مِنْهُ ، فَكَانَتْ هَذِهِ الْقَنَاةُ وَبِرْ كَثُهَا
وَالْتَّمَالُ الَّذِي يَصُبُّ فِيهَا مِنْ أَعْظَمِ آثَارِ الْمُلُوكِ فِي غَابِرِ
الدَّهْرِ ؛ لِبُعْدِ مَسَاقِفِهَا ، وَاخْتِلَافِ مَسَالِكِهَا ، وَفَخَامَةِ بُيَانِهَا
وَسُمُوِّ أَبْرَاجِهَا الَّتِي يَتَرَقَّى الْمَاءُ مِنْهَا ، وَيَتَصَوَّبُ^(١) مِنْ أَعَالِيهَا ،
وَكَانَتْ مُدَّةُ الْعَمَلِ فِيهَا مِنْ يَوْمِ ابْتَدِئَتْ مِنَ الْجَبَلِ إِلَى أَنْ
وَصَلَتْ - أَغْنَى الْقَنَاةُ - إِلَى هَذِهِ الْبِرْكَةِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ
شَهْرًا ، وَكَانَ انْطِلَاقُ الْمَاءِ فِي هَذِهِ الْبِرْكَةِ الْإِنْطِلَاقَ
الَّذِي اتَّصَلَ وَاسْتَمَرَ يَوْمَ الْخَمِيسِ غُرَّةَ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ
السَّنَةِ ، وَكَانَتْ لِلنَّاصِرِ فِي هَذَا الْيَوْمِ بِقَصْرِ النَّاعُورَةِ
دَعْوَةٌ حَسَنَةٌ ، أَفْضَلَ فِيهَا عَلَى عَامَّةِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، وَوَصَلَ
الْمُهَنْدِسِينَ وَالْقَوَّامَ بِالْعَمَلِ بِصِلَاتٍ حَسَنَةٍ جَلِيلَةٍ جَزِيلَةٍ .
وَأَمَّا مَدِينَةُ الزَّهْرَاءِ فَاسْتَمَرَ الْعَمَلُ فِيهَا مِنْ عَامِ خَمْسَةِ
وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ إِلَى آخِرِ دَوْلَةِ النَّاصِرِ وَابْنِهِ الْحَكَمِ
وَذَلِكَ نَحْوُ مِنْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَلَمَّا فُرِغَ مِنْ بِنَاءِ مَسْجِدِ

(١) صَابَ الشَّيْءُ وَتَصَوَّبَ إِذَا نَزَلَ مِنْ عَلَا إِلَى سَفَلٍ وَانْحَدَرَ .

الزَّهْرَاءُ عَلَى مَا وُصِفَ كَانَتْ أَوَّلُ جَمَاعَةٍ صَلَّيَتْ فِيهِ صَلَاةَ
الْمَغْرِبِ مِنْ لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ لِثَمَانٍ بَقِيْنَ مِنْ شَعْبَانَ، وَكَانَ الْإِمَامُ
الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي عَيْسَى^(١)،

(١) هو محمد بن عبد الله بن يحيى بن يحيى بن كثير الليثي « وجده يحيى
ابن يحيى الليثي توفي سنة ٣٠٣ » ولي قضاء الجماعة بقرطبة وكان فقيها
جليلا موصوفا بالعقل والعدل والصلاح في الحق والاعتصام بحبل الدين حسن
التهديب قويم الثقافة، يجمع الى العلم أدبا وطرفا، والى الدين مروءة وبلاغة
والى الفقه والقضاء كتابة وشعرا، مع رقة حاشية، ودمانة طبع، ولين كنف
ناهيك منه بطبع ألطف من الهواء، وشمائل أعذب من زلال الماء، وخلق
أرق من نسائم الأسحار، اذا غارلت عذبات الأشجار، تغرد فوقها بلابل
الاطيار. ناهيك بقاض عدل، وفقه أديب كان عذب الروح خفيف الظل.
اذا أقبل لم تر بين الناس - مع هيبتهم له - الاقوادا راقصا، وطرفا شاخصا
حدث القاضي أبو الوليد يونس بن عبد الله قاضي الجماعة بقرطبة عن أبيه
عبد الله بن محمد بن مغيث أنه شاهد قاضي الجماعة محمد بن أبي عيسى في
دار رجل من بني حدير مع أخيه أبي عيسى في ناحية مقابر قريش وقد
خرجوا لحضور جنازة وجارية للحدير تغني بهذه الأبيات :

طابت بطيب لثاتك الاقداح وزهت بحمرة خدك التفاح
واذا النسيم تنسمت أرواحه طابت بطيب نسيمك الأرواح
واذا الحنادس ألست ظمءها فضياء وجهك في الدجى مصباح

فكتبها القاضي في يده ثم خرجوا، قال يونس بن عبد الله فلقد رأيته
يكبر للصلاة على الجنازة والأبيات مكتوبة على باطن كفه وتوفي سنة ٣٣٧،
رحمه الله. قلت هذا وربك يسر الدين يتجلى في معرض الأدب، والعلم
الغزير ينمو بالدأب على الطلب، وهذا هو الصلاح الجهم يسهم في طلاقة
وبشر، ويرى أن الدين متين ليس فيه عسر، وكنتك كان ابن عباس

وَمِنَ الْغَدِ صَلَّى النَّاصِرُ فِيهِ الْجُمُعَةَ ، وَأَوَّلُ مَنْ خَاطَبَ بِهِ
الْقَاضِي الْمَذْكُورُ .

وَلَمَّا بَنَى النَّاصِرُ قَصْرَ الزَّهْرَاءِ الْمُنْتَهَى فِي الْجَلَالَةِ
وَالْفَخَامَةِ أَطْبَقَ النَّاسُ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُبْنَ مِثْلُهُ فِي الْإِسْلَامِ
الْبَتَّةَ ، وَمَا دَخَلَ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ سَائِرِ الْبِلَادِ النَّائِيَةِ
وَالنَّحْلِ الْمُخْتَلِفَةِ مِنْ مَلِكٍ وَارِدٍ وَرَسُولٍ وَافِدٍ وَتَاجِرٍ
جَهِيدٍ^(١) - وَفِي هَذِهِ الطَّبَقَاتِ مِنَ النَّاسِ تَكُونُ الْمَعْرِفَةُ
وَالْفِطْنَةُ - إِلَّا وَكُلُّهُمْ قَطَعَ أَنَّهُ لَمْ يَرَ لَهُ شَيْهًا ، بَلْ لَمْ
يَسْمَعْ بِهِ ، بَلْ لَمْ يَتَوَهَّمْ كَوْنَ مِثْلِهِ ، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ أَعْجَبَ
مَا يُؤْمَلُهُ^(٢) الْقَاطِعُ إِلَى الْأَنْدَاسِ فِي تِلْكَ الْعُصُورِ النَّظَرُ
إِلَيْهِ وَالتَّحَدُّثُ عَنْهُ . وَالْأَخْبَارُ عَنْ هَذَا تَتَسَعُّ جِدًّا ، وَالْأَدِلَّةُ
عَلَيْهِ تَكْثُرُ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا السَّطْحُ الْمُرْدُ^(٣) الْمَشْرِفُ
عَلَى الرَّوَضَةِ الْمُبَاهِي بِمَجْلِسِ الذَّهَبِ ، وَالْقُبَّةِ وَعَجِيبُ

صر الزهراء

حبر هذه الأئمة وغيره ممن فهم حقيقة الدين ، لاما يسوم الناس تجشمه
من غابسي التنطعين ، والمتجهمين من غلاة التزميتين « أحمد يوسف نجاتي »
(١) في الأصل « وجهيد » وهو تحريف - والجهيد هو النقاد الخبير
بنوامض الأمور البارع العارف بطرق النقد « وهو لفظ معرب » (٢) في
الأصل « يوصله » وهو تحريف (٣) بناء مرد أي مطول مسوي مجلس

مَا تَضَمَّنَهُ مِنْ إِتْقَانِ الصَّنْعَةِ وَفَخَامَةِ الْهِمَّةِ وَحُسْنِ الْمُسْتَشْرِفِ
وَبَرَاعَةِ الْمَلْبَسِ وَالْحُلَّةِ - مَا يَبْنِي مَرْمَرٍ مَسْنُونٍ^(١) ، وَذَهَبٍ
مَوْضُونٍ^(٢) وَعُمْدٍ كَأَنَّمَا أُفْرِغَتْ فِي الْقَوَالِبِ ، وَتُقُوشِ
كَالرِّيَاضِ ، وَبِرِّكَ عَظِيمَةٍ مُحْكَمَةِ الصَّنْعَةِ وَحِيَاضِ ،
وَتَمَائِيلَ عَجِيبَةِ الْأَشْخَاصِ ، لَا تَهْتَدِي إِلَّا وَهَامٌ إِلَى سَبِيلِ
اِسْتِقْصَاءِ التَّعْبِيرِ عَنْهَا لَكُنْفَى . فَسُبْحَانَ الَّذِي أَقْدَرَ هَذَا الْمَخْلُوقَ
الضَّعِيفَ عَلَى إِبْدَاعِهَا وَاخْتِرَاعِهَا مِنْ أَجْزَاءِ الْأَرْضِ الْمُنْحَلَّةِ ،
كَيْمَا يُرَى الْغَافِلِينَ عَنْهُ مِنْ عِبَادِهِ مِثَالًا لِمَا أَعَدَّهُ لِأَهْلِ
السَّعَادَةِ فِي دَارِ الْمُقَامَةِ الَّتِي لَا يَتَسَلَّطُ عَلَيْهَا الْفَنَاءُ ، وَلَا
تَحْتَاجُ إِلَى الرَّمِّ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمُنْفَرِدُ بِالْكَرَمِ .

(١) المسنون أى الملبس ، قال عبدالرحمن بن حسان بن ثابت :

ثم خاضعتها الى القبة الخضره راء تمشى في مرمر مسنون

«وتروى هذه الأبيات لأبى دهبيل الجمحى» (٢) فى الأصل « مصون »

محرفة - وضمن الشيء يضمنه « كوعده » إذا ضاعفه ونضده ، والدرع الموضونة

المنسوجة بالجواهر ، والوضن : نسج السرير أو الثياب بالدر ، وسرير موضحون

مضاعف النسج ، ومنه قوله تعالى : « على سرير موضحون » .

« وَذَكَرَ الْمُؤَرِّخُ » أَبُو مَرْوَانَ بْنَ حَيَّانَ ^(١) صَاحِبُ
 الشَّرْطَةِ أَنَّ مَبَانِي الزَّهْرَاءِ اشْتَمَلَتْ عَلَى أَرْبَعَةِ آلَافِ سَارِيَةٍ
 مَا بَيْنَ كَبِيرَةٍ وَصَغِيرَةٍ حَامِلَةٍ وَمَحْمُولَةٍ - وَنِيفٍ عَلَى ثَلَاثِمِائَةٍ
 سَارِيَةٍ هُوَ سِتُّ عَشْرَةَ ^(٢) . قَالَ : مِنْهَا مَا جُلِبَ مِنْ مَدِينَةِ
 رُومَةٍ ، وَمِنْهَا مَا أُهْدَاهُ صَاحِبُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ - وَأَنَّ مَصَارِيحَ
 أَبْوَابِهَا صِغَارِهَا وَكِبَارِهَا كَانَتْ تُنِيفُ عَلَى خَمْسَةِ عَشَرَ
 أَلْفَ بَابٍ ، وَكُلُّهَا مُلْبَسَةٌ بِالْحَدِيدِ وَالنُّحَاسِ الْمُموَّه ، وَاللَّهُ
 سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ ، فَإِنَّهَا كَانَتْ مِنْ أَهْوَلِ مَا بَنَاهُ
 الْإِنْسُ وَأَجَلَّهُ خَطَرًا وَأَعْظَمَهُ شَأْنًا . انْتَهَى
 قُلْتُ : فَسَرَّ بَعْضُهُمْ ذَلِكَ الْنِيفَ فِي كَلَامِهِ بِثَلَاثِ
 عَشْرَةٍ ^(٣) . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) هو حيان بن خاف بن حسين بن حيان بن محمد بن حيان بن وهب بن حيان
 مولى الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، من
 أهل قرطبة وصاحب التاريخ الكبير في أخبار الأندلس كان ذا حظ عظيم
 من العلم والأدب والمعرفة والبيان والبراعة والبلاغة وصدق الإيراد والتحرى
 للأصواب فيما ينقله ويكتبه ، ولد سنة ٣٧٧ وتوفي سنة ٤٦٩ (٢) كانت
 هذه العبارة في الأصل مشوهة مهوشة بالتحريف والتقديم والتأخير ،
 والذي يقيمه أنه أن عدد السواري كان ٤٣١٦ سارية (٣) فيكون مجموع
 عدد السواري على ذلك ٤٣١٣ سارية « أحمد يوسف نجاتي »

« وَقَالَ بَعْضُ مَنْ أَرَّخَ الْأَنْدُلُسَ : كَانَ عَدَدُ الْفَتَيَانِ
بِالزَّهْرَاءِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ أَلْفَ فَتَى وَسَبْعِمِائَةَ وَخَمْسِينَ فَتَى ،
وَدُخَالَتُهُمْ مِنَ اللَّحْمِ كُلِّ يَوْمٍ - حَاشَا أَنْوَاعِ الطَّيْرِ وَالْحُوتِ -
ثَلَاثَةَ عَشَرَ أَلْفَ رِطْلٍ ، وَعِدَّةُ النِّسَاءِ بِقَصْرِ الزَّهْرَاءِ الصُّغَارِ
وَالْكِبَارِ وَخَدَمِ الْخِدْمَةِ سِتَّةُ آلَافٍ وَثَلَاثِينَ أُمْرَأَةً
وَأَرْبَعَةَ عَشَرَ . أَنْتَهَى .

وَقِيلَ إِنَّ عَدَدَ الصَّبِيَّانِ ^(١) الصَّقَالِبَةِ ثَلَاثَةُ آلَافٍ
وَسَبْعِمِائَةَ وَخَمْسُونَ . وَجَعَلَ بَعْضُ مَنْ كَانَ الْخَمْسِينَ سَبْعَةَ
وَتَمَانِينَ . « وَقَالَ آخَرُ » سِتَّةُ آلَافٍ صَقْلَبِيٍّ وَسَبْعَةَ وَتَمَانُونَ ،
وَالْمُرْتَبُ مِنَ الْخُبْزِ لِحَيْتَانِ بُحَيْرَةِ الزَّهْرَاءِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ
خُبْزَةٍ كُلِّ يَوْمٍ ، وَيُنْقَعُ لَهَا مِنَ الْحَمِّصِ الْأَسْوَدِ سِتَّةُ أَقْفِزَةٍ
كُلِّ يَوْمٍ . أَنْتَهَى .

ثُمَّ قَالَ الْأَوَّلُ : وَكَانَ لَهُوَ لَاءٌ مِنَ اللَّحْمِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ أَلْفَ
رِطْلٍ ، تُقَسَّمُ مِنْ عَشْرَةِ أَرْطَالٍ لِلشَّخْصِ إِلَى مَا دُونَ ذَلِكَ .

(١) فِي بَعْضِ النُّسخِ « الْفَتَيَانِ » وَهُوَ الْمَأْلُوفُ بِالْعُرُوفِ .

سِوَى الدَّجَاجِ وَالْحَجَلِ وَصُنُوفِ الطَّيْرِ وَضُرُوبِ الْحَيْتَانِ .
أُنْتَهَى .

« وَقَالَ ابْنُ حَيَّانَ » : أَلْفَيْتُ بِمِخْطَاطٍ ابْنَ دَحُونٍ ^(١) الْفَقِيهَ :
قَالَ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَرِيفُ الْمُهَنْدِسُ : بَدَأَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ
النَّاصِرُ لِدِينِ اللَّهِ بِعِمَارَةِ الزَّهْرَاءِ أَوَّلَ سَنَةِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ
وَتَلْعِمَائَةَ ، وَكَانَ مَبْلَغُ مَا يُنْفَقُ فِيهَا كُلَّ يَوْمٍ مِنَ الصَّخْرِ
الْمَنْحُوتِ الْمَنْجُورِ الْمُعَدَّلِ سِتَّةَ آلَافِ صَخْرَةٍ سِوَى
الصَّخْرِ الْمُنْصَرَفِ فِي التَّبْلِيطِ فَإِنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ فِي هَذَا
الْعَدَدِ ، وَكَانَ يَخْدُمُ فِي الزَّهْرَاءِ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفٌ وَأَرْبَعُمِائَةٍ

(١) فِي الْأَصْلِ « دَجُون » وَهُوَ تَحْرِيفٌ - وَأَرَى أَنَّ ابْنَ دَحُونٍ هَذَا
مِنْ ذُرِّيَةِ أَبِي سُلَيْمَانَ حَبِيبِ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ حَبِيبٍ « الدَّخُلُ إِلَى الْأَنْدَلُسِ »
ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ، مِنْ
أَهْلِ قَرْطَبَةَ وَيُلَقَّبُ بِدَحُونٍ ، كَانَ فَقِيهًا عَالِمًا وَشَاعِرًا مُحَسِّنًا فِي أَيَّامِ الْأَمِيرِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ ، وَابْنُهُ بَشَرُ بْنُ حَبِيبٍ كَانَ فَقِيهًا عَالِمًا ، وَجَدَهُ
حَبِيبُ وَالِدِ جَمَاعَةِ الْحَبِيبِيِّينَ مِنْ قَرِيشٍ بِالْأَنْدَلُسِ ، وَمِنْهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ
ابْنَ أَحْمَدَ بْنِ حَبِيبِ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُمَرَ بْنِ حَبِيبِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَرَ
ابْنَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ الْمَعْرُوفِ بِالْحَبِيبِيِّ تَوَفَّى
سَنَةَ ٣٤٨ هـ وَسُوفَ نَوْفِي هَؤُلَاءِ الْجَمَاعَةِ حَقَّهُمْ مِنَ الْبَيَانِ ، فَقَدْ كَانَ لَهُمْ
وَلَدَرِيَّتُهُمْ أَثَرٌ حَمِيدٌ فِي الْعِلْمِ وَالْفَقْهِ وَالْأَدَبِ بِالْأَنْدَلُسِ . « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَاتِي »

بَغْلٍ ، وَقِيلَ أَكْثَرُ ، مِنْهَا أَرْبَعُمِائَةٍ زَوَامِلٌ^(١) النَّاصِرِ
لِدِينِ اللَّهِ ، وَمِنْ دَوَابِّ الْأَكْرِيةِ^(٢) الرَّاْتِبَةُ لِلْخِدْمَةِ أَلْفُ
بَغْلٍ ، لِكُلِّ مِنْهَا ثَلَاثَةُ مِثْقَالٍ فِي الشَّهْرِ ، يَجِبُ لَهَا فِي الشَّهْرِ
ثَلَاثَةُ آلَافٍ مِثْقَالٍ . وَكَانَ يَرْدُ الزَّهْرَاءِ مِنَ الْجَيْرِ وَالْجِصِّ
فِي كُلِّ ثَالِثٍ مِنَ الْأَيَّامِ أَلْفٌ وَمِائَةٌ حِمْلٍ ، وَكَانَ فِيهَا
حَمَّامَانِ وَاحِدَةٌ لِلْقَصْرِ^(٣) وَثَانِيَةٌ لِلْعَامَّةِ . وَذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ

(١) جمع زاملة وهي التي يحمل عليها الطعام والشراب والراد والمتاع في السفر من
الابل وغيرها ، من الزمل وهو الحمل (٢) الاكرية جمع كراء وهو أجرة
المستأجر ، وفي بعض النسخ « أكرياء » جمع كرى وهو المكاري الذي
يكري دابته « ولعل هذه النسخة أصح ، فان جمع كرى أولى من جمع
كراء لأن كراء مصدر كارى مكاراة وكراء ، وفي جمع المصدر مافيه -
والراتب : الثابت المقيم . ورتب الشيء « كقعد » اذا ثبت ودام ولزم ،
ورتبة ترتيبا : أثبتته (٣) أنث الحمام والمعروف أنه مذكر « وهو أحد ما جاء
من الأسماء على وزن فعال نحو قذاف وجبان » قال سيبويه : جمعه
بالألف والتاء « حمامات » وان كان مذكرا حين لم يكسر جعلوا ذلك
عوضا عن التكسير ، اه وما يدل على تذكيره قول عبيد الله بن القرط الأسدي
نهيتهما عن نورة أحرقتهما وحمام سوء ماؤه يتسعر
وأنشد أبو العباس المبرد لرجل من مزينة :

خليلي بالبوابة عوجا فلا أرى بها منزلا الا جديب المقيد •
نذق برد نجد بعد ما لعبت بنا تهامة في حمامها المتوقد
وذكر أبو محمد بن برى تأنيثه في بيت زعم الجوهري أنه يصف حماما وهو
فاذا دخلت سمعت فيها رجة اغط المعاول في بيوت هداد

الْخِدْمَةِ فِي الزَّهْرَاءِ أَنَّهُ قَدَّرَ النِّفْقَةَ فِيهَا فِي كُلِّ عَامٍ
بِثَلَاثِينَ أَلْفِ دِينَارٍ مُدَّةَ خَمْسَةِ وَعِشْرِينَ عَامًا الَّتِي بَقِيَتْ
مِنْ دَوْلَةِ النَّاصِرِ مِنْ حِينَ ابْتَدَأَهَا - لِأَنَّهُ تُوُفِّيَ سَنَةَ خَمْسِينَ
فَحَصَلَ جَمِيعَ الْإِنْفَاقِ فِيهَا فَكَانَ مَبْلَغُهُ خَمْسَةَ عَشَرَ
بَيْتَ مَالٍ . قَالَ : وَجَلَبَ إِلَيْهَا الرُّخَامَ مِنْ قَرْطَاجَنَّةَ وَإِفْرِيقِيَّةَ
وَيُونُسَ ، وَكَانَ الَّذِينَ يَجْلِبُونَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُونُسَ عَرِيفُ
الْبَنَاتَيْنِ وَحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَعَلِيُّ بْنُ جَعْفَرٍ الْإِسْكَنْدَرَانِيُّ ،
وَكَانَ النَّاصِرُ يَصِلُهُمْ عَلَى كُلِّ رُخَامَةٍ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ بِعَشْرَةِ
دَنَانِيرَ . اُنْتَهَى .

وَقَالَ بَعْضُ ثِقَاتِ الْمُؤَرِّخِينَ : إِنَّهُ كَانَ يَصِلُهُمْ عَلَى
كُلِّ رُخَامَةٍ صَغِيرَةٍ بِثَلَاثَةِ دَنَانِيرَ ، وَعَلَى كُلِّ سَارِيَةٍ بِثَمَانِيَةِ
دَنَانِيرَ ، قِيلَ : وَكَانَ عَدَدُ السَّوَارِي الْمَجْلُوبَةِ مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ
أَلْفَ سَارِيَةٍ وَثَلَاثَ عَشْرَةَ سَارِيَةٍ ، وَمِنْ بِلَادِ الْإِفْرَنْجِ
تِسْعَ عَشْرَةَ سَارِيَةٍ ، وَأَهْدَى إِلَيْهِ مَلِكُ الرُّومِ مِائَةَ
وَأَرْبَعِينَ سَارِيَةً ، وَسَافَرُهَا مِنْ مَقَاطِعِ الْأَنْدَلُسِ ؛ تَرَكُوهَا
وَعَبْرَهَا ، فَالرُّخَامُ الْمُجَزَّعُ مِنْ رِيَّةَ ، وَالْأَيْضُ مِنْ غَيْرِهَا ،

وَالْوَرْدِيُّ وَالْأَخْضَرُ مِنْ إِفْرِيقِيَّةٍ مِنْ كَنِيسَةِ سَفَاقُسَ .
وَأَمَّا الْحَوْضُ الْمَنْقُوشُ الْمَذْهَبُ الْغَرِيبُ الشَّكْلِ الْغَالِي
الْقِيَمَةِ فَجَلَبَهُ إِلَيْهِ أَحْمَدُ الْيُونَانِيُّ مِنَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ مَعَ
رَبِيعِ الْأَسْقَفِ الْقَادِمِ مِنْ إِيلِيَاءَ ، وَأَمَّا الْحَوْضُ الصَّغِيرُ
الْأَخْضَرُ الْمَنْقُوشُ بِتَمَاثِيلِ الْإِنْسَانِ فَجَلَبَهُ أَحْمَدُ مِنَ الشَّامِ
وَقِيلَ مِنَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ مَعَ رَبِيعِ الْأَسْقَفِ أَيْضًا ، وَقَالُوا
إِنَّهُ لَا قِيَمَةَ لَهُ لِفَرَطِ غَرَابَتِهِ وَجَمَالِهِ ، وَحُمِلَ مِنْ مَكَانٍ
إِلَى مَكَانٍ حَتَّى وَصَلَ فِي الْبَحْرِ ، وَنَصَبَهُ النَّاصِرُ فِي بَيْتِ الْمَنَامِ
فِي الْمَجْلِسِ الشَّرْقِيِّ الْمَعْرُوفِ بِالْمُؤَنَسِ ، وَجَعَلَ عَلَيْهِ اثْنَيْ
عَشَرَ تَمَثَالًا مِنْ الذَّهَبِ الْأَحْمَرِ مُرَصَّعَةً بِالذَّرِّ النَّفِيسِ الْغَالِي
مِمَّا عَمِلَ بِدَارِ الصَّنَاعَةِ بِقُرْطُبَةَ : صُورَةُ أَسَدٍ إِلَى جَانِبِهِ غَزَالٌ
إِلَى جَانِبِهِ تَمَسَّاحٌ ، وَفِيمَا يُقَابِلُهُ ثُعْبَانٌ ، وَعُقَابٌ وَفِيلٌ ، وَفِي
الْمُجَنَّبَتَيْنِ ^(١) حَمَامَةٌ وَشَاهِيْنٌ وَطَاوُوسٌ وَدَجَاجَةٌ وَدِيكٌ
وَحِدَاةٌ وَنَسْرٌ ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ ذَهَبٍ مُرَصَّعٍ بِالْجَوْهَرِ

(١) أى فى الجانبين الايمن والايسر - والمجنب « كمنبر » الستر .

النَّفِيسِ ، وَيَخْرُجُ الْمَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهَا ، وَكَانَ الْمُتَوَلَّى
 لِهَذَا الْبُنْيَانِ الْمَذْكُورِ ابْنُهُ الْحَكَمُ ، لَمْ يَتَّكِلْ فِيهِ
 النَّاصِرُ عَلَى أَمِينٍ غَيْرِهِ ، وَكَانَ يُخْبِرُ فِي أَيَّامِهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ
 بِرِسْمِ حِيتَانِ الْبُحَيْرَاتِ ثَمَانِ مِائَةِ خُبْرَةٍ - وَقِيلَ أَكْثَرُ -
 إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَطُولُ تَتَبُّعُهُ . وَكَانَ النَّاصِرُ كَمَا قَدَّمْنَا
 قَسَمَ الْجَبَايَةَ أَثْلَاثًا : ثُلُثٌ لِلْجُنْدِ ، وَثُلُثٌ لِلْبِنَاءِ ، وَثُلُثٌ مُدَّخَرٌ ،
 وَكَانَتْ جَبَايَةُ الْأَنْدَلُسِ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْكُورِ وَالْقُرَى
 خَمْسَةَ آلَافِ أَلْفٍ ^(١) وَأَرْبَعُمِائَةِ أَلْفٍ وَثَمَانِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ،
 وَمِنْ الشُّوقِ ^(٢) وَالْمُسْتَخْلَصِ سَبْعُمِائَةِ أَلْفٍ وَخَمْسَةَ
 وَسِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَأَمَّا أَخْمَاسُ الْغَنِيمَةِ فَلَا يُحْصِيهَا
 دِيوَانٌ . وَقَدْ سَبَقَ هَذَا كُلُّهُ ، وَإِنَّمَا كَرَّرْتُهُ لِقَوْلِ بَعْضِهِمْ
 إِثْرَ حِكَايَتِهِ لَهُ مَا صُورَتْهُ : وَقِيلَ : إِنَّ مَبْلَغَ تَحْصِيلِ النَّفَقَةِ
 فِي بِنَاءِ الزَّهْرَاءِ مِائَةُ مُدٍّ مِنَ الدَّرَاهِمِ الْقَاسِمِيَّةِ بِكَيْلِ

(١) في الأصل كلمة ألف زائدة أى مكررة ثلاث مرات فجعلت العدد كأنه

غير معقول ولا مقبول (٢) في الأصل « الستوق » محرفة .

قُرْطُبَةَ ، وَقِيلَ إِنَّ مَبْلَغَ النِّفْقَةِ فِيهَا بِالْكَيْلِ الْمَذْكُورِ
ثَمَانُونَ مِذْيَا وَسَبْعَةٌ ^(١) أَقْفَرَةٌ مِنَ الدَّرَاهِمِ الْمَذْكُورَةِ ،
وَاتَّصَلَ بُنْيَانُ الزَّهْرَاءِ أَيَّامَ النَّاصِرِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً
شَطْرَ خِلَافَتِهِ ، ثُمَّ اتَّصَلَ بَعْدَ وَفَاتِهِ خِلَافَةُ ابْنِهِ الْحَكَمِ
كُلَّهَا - وَكَانَتْ خَمْسَةَ عَشَرَ عَامًا وَأَشْهُرًا - فَسُبْحَانَ الْبَاقِي
بَعْدَ فَنَاءِ الْخَلْقِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ . اُنْتَهَى .

« وَقَالَ ابْنُ أَصْبَغَ الْهَمْدَانِيُّ ^(٢) وَالْفَتْحُ فِي الْمَطْمَحِ »
كَانَ النَّاصِرُ كَلِفًا بَعِمَارَةَ الْأَرْضِ وَإِقَامَةَ مَعَالِمِهَا
وَأَسْتِنْبَاطَ مِيَاهِهَا ^(٣) وَأَسْتِجْلَابَهَا مِنْ أُبْعَدِ بَقَاعِهَا ، وَتَخْلِيدَ

(١) فِي بَعْضِ النُّسخ « سِتَّة » (٢) فِي الْأَصْلِ « الْبَدِيعُ الْهَمْدَانِيُّ » وَهُوَ
تَصْحِيفُ بَدِيع - وَابْنُ أَصْبَغَ الْهَمْدَانِيُّ هُوَ أَبُو بَكْرٍ عَبَّاسُ بْنُ أَصْبَغَ بْنِ
عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ غُصْنِ الْهَمْدَانِيِّ مِنْ أَهْلِ قُرْطُبَةَ ، كَانَ عَلَمًا فَاضِلًا ثَقَّةً ذَا دِينٍ
وَعِفَّةٍ وَصِيَانَةٍ وَلِدَ سَنَةَ ٣٠٦ وَتَوَفَّى سَنَةَ ٣٨٦ . « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَاشِي » .
(٣) فِي الْأَصْلِ « وَانْبِسَاطُ مَجَاهِلِهَا » وَالْقَصْدُ يَا بَاهُ وَإِنْ وَجَدَ الطَّبَاقُ بَيْنَ
الْعَالَمِ وَالْمَجَاهِلِ ، وَفِي بَعْضِ النُّسخ « وَانْبِسَاطُ مِيَاهِهَا » وَلَا بَأْسَ بِهِ ، وَانْبِسَاطُ
يَعْنِي اتَّسَعُ ، وَأَرَى أَنَّ خَيْرًا مِنْهُمَا أَنَّ تَكُونُ « وَانْبَاطُ مِيَاهِهَا » أَوْ
« اسْتِنْبَاطُ - » يَقَالُ انْبَاطُ الْبُيْرِ إِذَا اسْتَخْرَجَ مَاءَهُ ، وَانْبَاطُ الْحَافِرِ وَاسْتِنْبَاطُ
إِذَا بَلَغَ الْمَاءُ ، وَكُلُّ مَا أَظْهَرَ بَعْدَ اخْتِفَاءٍ فَقَدْ انْبَاطَ وَاسْتِنْبَاطُ - وَمِنْهُ اسْتِنْبَاطُ

الآثار الدالة على قوة الملك وعِزَّة السُّلْطَانِ وَعُلُوُّ الهِمَّةِ ،
فَأَفْضَى بِهِ الْإِغْرَاقُ فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ أَبْنَى مَدِينَةَ الزَّهْرَاءِ الْبِنَاءَ
الشَّائِعَ ذِكْرُهُ ، الذَّائِعَ خَبْرُهُ ، الْمُنْتَشِرَ فِي الْأَرْضِ أَثَرُهُ ^(١) ،
وَأَسْتَفْرَغَ جُهْدَهُ فِي تَنْمِيقِهَا ، وَإِتْقَانَ قُصُورِهَا ، وَزَخْرَفَ
مَصَانِعِهَا ، وَأَنْهَكَ فِي ذَلِكَ حَتَّى عَطَلَ شُهُودَ الْجُمُعَةِ
بِالْمَسْجِدِ الْجَامِعِ الَّذِي اتَّخَذَهُ ثَلَاثَ جُمُعٍ مُتَوَالِيَاتٍ ،
فَأَرَادَ الْقَاضِي مُنْذِرًا أَنْ يَغُضَّ مِنْهُ بِمَا يَتَنَاوَلُهُ مِنَ الْمَوْعِظَةِ
بِفَضْلِ الْخُطَابَةِ ، وَالْحِكْمَةِ وَالتَّذْكِيرِ بِالرَّجُوعِ وَالْإِنَابَةِ ^(٢) ،
فَأَبْتَدَأَ فِي خُطْبَتِهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى « أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ^(٣)

الفقيه ، أى استخرج الفقه الباطن بفهمه واجتهاده ، قال تعالى : « لعلهم
الذين يستنبطونه منهم » . أى يستخرجونه ، وأصله من النبط وهو الماء
الذى يخرج من البئر أول ما تحفر . وفى المصباح : وتكثير مياهها (١) فى
الأصل « الزائد المنتشر صيته فى الأرض » والزائد محرف عن الذائع ،
والباقي لا غبار عليه ، غير أن ما نقلناه عن المصباح للفتح ابن خاقان أولى
بالإتباع لحسن العبارة عليه ووفائها بحق السجع الذى يتحراه مثل الكاتب
مع انارة المعنى ووضوحه . « أحمد يوسف نجاشى » .

(٢) أناب الى الله أى رجع وعاد الى طاعته وأقبل عليه تائباً (٣) الرِّيع :
المرتفع من الأرض ، أو كل فج أو طريق ، أو الطريق المنفرج عن الجبل

إِلَى قَوْلِهِ مِنَ الْوَاعِظِينَ « ثُمَّ وَصَلَهُ بِقَوْلِهِ « قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا
 قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ لِمَنِ اتَّقَى » وَهِيَ دَارُ الْقَرَارِ وَمَكَانُ
 الْجَزَاءِ ، وَمَضَى فِي ذِمِّ تَشْيِيدِ الْبُنْيَانِ وَالْإِسْتِغْرَاقِ فِي
 زَخْرَفَتِهِ وَالْإِسْرَافِ فِي الْإِثْقَاقِ عَلَيْهِ بِكُلِّ كَلَامٍ جَزَلٍ
 وَقَوْلٍ فَصْلٍ ^(١) ، فَجَرَى فِيهِ طَلَقًا ^(٢) وَأَنْتَزَعَ فِيهِ
 قَوْلَهُ تَعَالَى « أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ » إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ، وَأَتَى بِمَا
 يُشَاكِلُ الْمَعْنَى مِنَ التَّخْوِيفِ بِالْمَوْتِ ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْ
 فَجَائَتِهِ ، وَالِدُعَاءِ إِلَى الزُّهْدِ فِي هَذِهِ الدَّارِ الْفَانِيَةِ ، وَالْحُضِّ
 عَلَى اعْتِرَالِهَا ، وَالرَّفْضِ لَهَا ، وَالنَّدْبِ إِلَى الْإِعْرَاضِ عَنْهَا ،
 وَالْإِقْصَارِ عَنْ طَلَبِ اللَّذَاتِ ، وَنَهْيِ النَّفْسِ عَنْ اتِّبَاعِ
 الشَّهَوَاتِ ، فَأَسْهَبَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ ، وَأَضَافَ إِلَيْهِ مِنْ
 آيِ الْقُرْآنِ مَا يُطَابِقُهُ ، وَجَلَبَ مِنَ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ مَا
 يُشَاكِلُهُ وَيُؤَافِقُهُ ، حَتَّى أَذْكَرَ مَنْ حَضَرَهُ مِنَ النَّاسِ
 وَخَشَعُوا وَرَقُّوا ، وَأَعْتَرَفُوا وَبَكَوْا وَضَجُّوا ، وَدَعَوْا وَأَعْلَنُوا

(١) فِي الْمَطْمَحِ بَعْدَ ذَلِكَ : جَاشَ بِهِ صَدْرُهُ ، وَقَذَفَ بِهِ عَلَى لِسَانِهِ بِحَرِهِ

(٢) الطَّلَقُ بِفَتْحِ اللَّامِ : الشُّوْطُ وَالْغَايَةُ الَّتِي يَجْرِي إِلَيْهَا الْفَرَسُ .

التَّضَرُّعَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي التَّوْبَةِ وَالْإِبْتِهَالِ فِي الْمَغْفِرَةِ ،
وَأَخَذَ خَلِيفَتُهُمْ مِنْ ذَلِكَ بِأَوْفَرِ حَظٍّ - وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ
الْمَقْصُودُ بِهِ - فَبَكَى وَنَدِمَ عَلَى مَا سَلَفَ لَهُ ^(١) مِنْ فَرْطِهِ
وَأَسْتَعَاذَ بِاللَّهِ مِنْ سَخَطِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ وَجَدَ ^(٢) عَلَى مُنْذِرٍ لِفَلْظِ
مَا قَرَّعَهُ ^(٣) بِهِ ، فَشَكَا ذَلِكَ لَوْلَاهِ الْحَكَمَ بَعْدَ انْصِرَافِ
مُنْذِرٍ وَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ تَعَمَّدَنِي مُنْذِرٌ بِخُطْبَتِهِ ، وَمَا عَنَى بِهَا
غَيْرِي ، فَأَسْرَفَ عَلَى وَأَفْرَطَ فِي تَقْرِيعِي ، وَأَسْرَفَ فِي تَقْرِيعِي
وَتَرْوِيْعِي ، وَلَمْ يُحْسِنِ السِّيَاسَةَ فِي وَعْظِي ، فَزَعَزَعَ قَلْبِي
وَكَادَ بِعَصَاهُ يَقْرَعُنِي ، وَأَسْتَشَاطَ غَيْظًا عَلَيْهِ ، فَأَقْسَمَ الْإِلَهَ صَلَّيْ
خَلْفَهُ صَلَاةَ الْجُمُعَةِ خَاصَّةً ، فَجَعَلَ يَلْتَزِمُ صَلَاتَهَا وَرَاءَ

(١) فِي الْأَصْلِ : عَلَى مَا نَالَهُ - وَفَرَطَ فِي الْأَمْرِ فَرَطًا إِذَا قَصُرَ فِيهِ ، وَالْفَرْطُ
الاسْمُ مِنَ الْإِفْرَاطِ وَهُوَ مَجَاوِزَةُ الْحَدِّ فِي الْأَمْرِ ، وَالْفَرْطُ : تَجَاوُزُ الْحَدِّ فِي
الْأَمْرِ أَيْضًا وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَكَانَ أَمْرُهُ فَرَطًا » (٢) أَيْ غَضَبٌ وَحَقْدٌ
(٣) فِي الْأَصْلِ تَقْرَعُهُ ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، فَلَيْسَ هُنَاكَ تَقْرَعُهُ ، وَالتَّقْرِيعُ
التَّعْنِيفُ وَاللُّومُ وَالتَّثْرِيبُ وَالْإِيْجَاعُ فِي ذَلِكَ ، وَيُقَالُ النَّصْحُ بَيْنَ الْمَلَأَتَقْرِيعَ .
وَقَرَعَهُ إِذَا وَجَّهَهُ وَخَذَلَهُ ، وَيُقَالُ قَرَعَنِي فَلَانٌ بِلُومِهِ فَلَمْ أَرْتَقِعْ بِهِ ، أَيْ
لَمْ أَكْثُرْ بِهِ . « أَرْحَمُ يُوسُفَ نَجَاتِي »

أَحْمَدُ بْنُ مُطَرِّفٍ^(١) صَاحِبِ الصَّلَاةِ بِقُرْطُبَةَ وَيُجَانِبُ الصَّلَاةَ
بِالزَّهْرَاءِ ، وَقَالَ لَهُ الْحَكَمُ : فَمَا الَّذِي يَمْنَعُكَ مِنْ عَزْلِ
مُنْذِرٍ عَنِ الصَّلَاةِ بِكَ وَأَنْ تَسْتَبْدِلَ غَيْرَهُ^(٢) مِنْهُ إِذْ كَرِهْتَهُ ؟
فَرَجَرَهُ وَأَنْتَهَرَهُ وَقَالَ لَهُ : أَمِثْلُ مُنْذِرِ بْنِ سَعِيدٍ فِي فَضْلِهِ
وَحَيْرِهِ وَعِلْمِهِ - لَا أُمَّ لَكَ - يُعْزَلُ لِإِرْضَاءِ نَفْسٍ نَاكِبَةٍ عَنْ
الرُّشْدِ ، سَالِكَةٍ غَيْرِ الْقَصْدِ ؟ هَذَا مَا لَا يَكُونُ ، وَإِنِّي
لَأَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ إِلَّا أَجْعَلَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فِي صَلَاةِ الْجُمُعَةِ
شَفِيعًا مِثْلَ مُنْذِرٍ فِي وَرَعِهِ وَصِدْقِهِ ، وَلَكِنَّهُ أَخْرَجَنِي
فَأَقْسَمْتُ ، وَلَوَدِدْتُ أَنَّي أَجِدُ سَبِيلًا إِلَى كَفَّارَةِ يَمِينِي
بِمُلْكِي ، بَلْ يُصَلِّي بِالنَّاسِ حَيَاتَهُ وَحَيَاتَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ

(١) هو أبو عمر أحمد بن مطرف بن عبد الرحمن بن قاسم بن علقمة بن جابر بن بدر الأزدى من أهل قرطبة ويعرف بابن المشاط، كان فقيها محدثا وعالما جليلا فاضلا ذا منزلة رفيعة لدى أولى الأمر يشاورونه فيمن يصلح لتقلد شؤون الأعمال والقضاء ويرجعون إليه في ذلك لسداد رأيه وصدوره فيه عن اخلاص ومراعاة للمصلحة العامة والدين مع زهده وورعه وعدله وولى الصلاة بجامع قرطبة بعد الامام محمد بن عبد الله بن أبي عيسى المتقدم ذكره الى أن توفي سنة ٣٥٣ رحمه الله ، وكان جده قد رحل مع عبد الرحمن بن معاوية الداخل في الجند الشاميين . « أحمد يوسف نجاشي »
(٢) في الأصل : والاستبدال بغيره منه ، وهو استعمال يعدل عنه فصيح اللغة

تَعَالَى - فَمَا أَظُنُّنَا نَعْتَاضُ مِنْهُ أَبَدًا . وَقِيلَ إِنَّ الْحُكْمَ
 اُعْتَذَرَ عَمَّا قَالَ مُنْذِرٌ وَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ رَجُلٌ صَالِحٌ
 وَمَا أَرَادَ إِلَّا خَيْرًا ، وَلَوْ رَأَى مَا أَنْفَقْتَ ^(١) وَحُسْنَ تِلْكَ الْبُنْيَةِ ^(٢)
 لَعَذَرَكَ ، فَأَمَرَ حِينَئِذٍ النَّاصِرُ بِالْقُصُورِ فُقِّرَتْ ، وَفُرُشُ
 ذَلِكَ الْمَجْلِسِ بِأَصْنَافِ فُرُشِ الدِّيَابِجِ ، وَأَمَرَ بِالْأَطْعَمَةِ
 وَقَدْ أُخْضِرَ الْعُلَمَاءُ وَغَصَّ بِهِمُ الْمَجْلِسُ ، فَدَخَلَ مُنْذِرٌ
 فِي آخِرِهِمْ ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّاصِرُ أَنْ يَقْعُدَ بِقُرْبِهِ ، فَقَالَ:
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا يَقْعُدُ الرَّجُلُ حَيْثُ انْتَهَى بِهِ الْمَجْلِسُ
 وَلَا يَتَخَطَّى الرَّقَابَ ، فَجَلَسَ فِي آخِرِ النَّاسِ وَعَلَيْهِ ثِيَابُ
 رَهَّةٍ . ثُمَّ ذَكَرَ هَذَا الْقَائِلُ بَعْدَ هَذَا كَلَامًا مِنْ كَلَامِ
 الْمُنْذِرِ يَأْتِي قَرِيبًا . وَقَحِطَ ^(٣) النَّاسُ آخِرَ مُدَّةِ النَّاصِرِ
 فَأَمَرَ الْقَاضِي مُنْذِرًا الْمَذْكُورَ بِالْبُرُوزِ إِلَى الْإِسْتِسْقَاءِ
 بِالنَّاسِ ، فَتَأَهَّبَ لَذَلِكَ وَصَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَيَّامًا ثَلَاثَةً
 تَنَفُّلاً وَإِنَابَةً وَرَهْبَةً ، وَاجْتَمَعَ لَهُ النَّاسُ فِي مُصَلَّى الرَّبَضِ

(١) قد تكون « ما أنفقت » (٢) البنية ما بنيت وجمعه بني وبني - أما البنية

« بالتشديد » فهي الكعبة سميت بذلك لشرفها فأشرف مبنى

(٣) القحط الجذب واحتباس المطر .

بِقُرْطُبَةَ بَارَزِينَ إِلَى اللَّهِ فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ ، وَصَعِدَ الْخَلِيفَةُ
النَّاصِرُ فِي أَعْلَى مَصَانِعِهِ الْمُرتَفَعَةِ مِنَ الْقَصْرِ لِیُشَارِفَ^(١)
النَّاسَ وَيُشَارِكَهُمْ فِي الْخُرُوجِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالضَّرَاعَةِ لَهُ ،
فَأَبْطَأَ الْقَاضِي حَتَّى اجْتَمَعَ النَّاسُ وَغَصَّتْ بِهِمْ سَاحَةُ
الْمُصَلَّى ، ثُمَّ خَرَجَ نَحْوَهُمْ مَاشِياً مُتَضَرِّعاً ، مُخْبِتاً^(٢) مُتَخَشِعاً ،
وَقَامَ لِيَخْطُبُ ، فَلَمَّا رَأَى بِدَارَ^(٣) النَّاسِ إِلَى أَرْتِقَائِهِ
وَأَسْتِكَاتِهِمْ مِنْ خِيفَةِ اللَّهِ وَإِخْبَاتِهِمْ لَهُ وَأُبْتِهَالِهِمْ إِلَيْهِ
رَقَّتْ نَفْسُهُ ، وَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ فَاسْتَعْبَرَ^(٤) وَبَكَى حِينًا ، ثُمَّ
أَفْتَحَ خُطْبَتَهُ بِأَنْ قَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ،
ثُمَّ سَكَتَ وَوَقَفَ شِبْهَ الْحَصْرِ^(٥) وَلَمْ يَكُ مِنْ عَادَتِهِ -
فَنَظَرَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ لَا يَدْرُونَ مَا عَرَاهُ وَلَا
مَا أَرَادَ بِقَوْلِهِ ، ثُمَّ أُنْدَفَعَ تَالِيًا قَوْلَهُ تَعَالَى « كَتَبَ رَبُّكُمْ

(١) شارفه وأشرف عليه إذا اطلع عليه من فوق ، واسم ذلك المكان
مشرف (٢) أخبت : خضع وتواضع ، وأخبتوا إلى ربهم أي اطمانوا إليه
وتواضعوا بين يديه (٣) بادر مبادرة وبدارا إذا عجل إلى فعل ما يرغب
فيه (٤) استعبر إذا جرت عبرته « أي انهملت دموعه بدون أن يسمع
البكاء » (٥) الحصر : العى في المنطق ، وأن يحاول المرء الكلام فيستعصى

عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ « إِلَى قَوْلِهِ رَحِيمٌ ، ثُمَّ قَالَ « اَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا » « اَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ » وَتَزَلَّفُوا ^(١) بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ لَدَيْهِ ، قَالَ الْحَاكِي : فَضَجَّ النَّاسُ بِالْبُكَاءِ ، وَجَارُوا ^(٢) بِالْدُّعَاءِ ، وَمَضَى عَلَى تَمَامِ خُطْبَتِهِ ، فَقَرَعَ ^(٣) النُّفُوسَ بِوَعْظِهِ ، وَأُنْبِثَتِ الْإِخْلَاصُ بِتَذَكِيرِهِ ، فَلَمْ يَنْقُضِ النَّهَارُ حَتَّى أَرْسَلَ اللَّهُ السَّمَاءَ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ ، رَوَّى الثَّرَى ، وَطَرَدَ الْمَحَلَّ ، وَسَكَنَ الْأَزْلَ ^(٤) ، وَاللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ . وَكَانَ لِمُنْذِرٍ فِي خُطْبِ الْإِسْتِسْقَاءِ اسْتِفْتَاخٌ عَجِيبٌ ، وَمِنْهُ أَنَّهُ قَالَ يَوْمًا - وَقَدْ سَرَّحَ طَرَفَهُ فِي مَلَأِ النَّاسِ عِنْدَمَا شَخَّصُوا ^(٥) إِلَيْهِ بِأَبْصَارِهِمْ فَهَتَفَ بِهِمْ كَالْمُنَادِي : أَيُّهَا النَّاسُ - وَكَرَّرَهَا عَلَيْهِمْ ^(٦) - مُشِيرًا بِيَدِهِ فِي نَوَاحِيهِمْ - « أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ » إِلَى بَعْزِيزٍ ، فَاشْتَدَّ وَجْدُ

عليه ، ويدعو القول فينفر منه (١) تقربوا (٢) جأروا الداعي « كمنع » إذا رفع صوته بالدعاء ، وجأروا إلى الله تضرع بالدعاء وضج واستغاث .
(٣) أو « ففرع » أي خوف ، وفي المطمح « فأفرع » (٤) الأزل : الضيق والشدة والقحط ، والأزل الداهية أيضا لشدها (٥) شخص بصره « كمنع » إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف (٦) في بعض النسخ « ثلاثا »

النَّاسِ ، وَأَنْطَلَقَتْ أُعْيِنُهُمْ بِالْبُكَاءِ ، وَمَضَى فِي خُطْبَتِهِ .
وَقِيلَ إِنَّ الْخَلِيفَةَ النَّاصِرَ خَرَجَ مَرَّةً لِلِاسْتِسْقَاءِ وَاشْتَدَّ
عَزْمُهُ عَلَيْهِ ^(١) فَتَسَابَقَ النَّاسُ لِلْمُصَلَّى ، فَقَالَ لِلرَّسُولِ - وَكَانَ
مِنْ خَوَاصِّ النَّاسِ - : ^(٢) لَيْتَ شِعْرِي ^(٣) مَا الَّذِي يَصْنَعُهُ الْخَلِيفَةُ
سَيِّدُنَا ؟ فَقَالَ لَهُ : مَا رَأَيْتَاهُ قَطُّ أَخْشَعَ مِنْهُ فِي يَوْمِنَا هَذَا ، إِنَّهُ
مُنْتَبِذٌ ^(٤) حَائِرٌ مُنْفَرِدٌ بِنَفْسِهِ ، لَا بَسُّ أَحْسَ ^(٥) الثِّيَابِ ،
مُفْتَرِشٌ التُّرَابَ ، وَقَدْ رَمَى ^(٦) بِهِ عَلَى رَأْسِهِ وَعَلَى لِحْيَتِهِ
وَبَكَى وَأَعْتَرَفَ بِذُنُوبِهِ - وَهُوَ يَقُولُ : هَذِهِ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ
أَتُرَاكَ تُعَذِّبُ بِي الرَّعِيَّةَ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ؟ ! لَنْ
يَفُوتَكَ شَيْءٌ مِنِّي . قَالَ الْحَاكِي : قَهْلَلْ وَجْهَ الْقَاضِي مُنْذِرٌ
عِنْدَ مَا سَمِعَ قَوْلَهُ ، وَقَالَ يَا غُلَامُ : أَتَحْمِلُ الْمَطَرَ ^(٧) مَعَكَ فَقَدْ

(١) في بعض المراجع «وقيل ان الخليفة الناصر طلبه مرة للاستسقاء واشتد
عزمه عليه الخ» أي ألح في طلب ذلك منه ، وهو أظهر لقوله بعد : فقال للرسل
الخ (٢) في المطمح وكان من خواص حلفاء الصفاء اليه (٣) أي ليتني أعلم
وأعرف (٤) الانتباز التنحي والاعتزال ، يقال انتبذ عن قومه اذا تنحى ،
وانتبذه لان الى ناحية أي تنحى منفردا قال تعالى في قصة مريم : «فانتبذت
من أهلها مكانا شرقيا» (٥) يجوز أن تكون أخشن (٦) في الأصل
« رمد » وهو تحريف ، ولم أجد رمد من الرماد (٧) كذا بكل الأصول

أَذِنَ اللَّهُ تَعَالَى بِالسُّقْيَا ، إِذَا خَشَعَ جَبَّارُ الْأَرْضِ فَقَدْ رَحِمَ
جَبَّارُ السَّمَاءِ ، وَكَانَ كَمَا قَالَ ، فَلَمْ يَنْصَرِفِ النَّاسُ إِلَّا عَنِ
السُّقْيَا . وَكَانَ مُنْذِرٌ شَدِيدَ الصَّلَابَةِ فِي أَحْكَامِهِ ، وَالْمَهَابَةِ
فِي أَقْضِيَّتِهِ ، وَقُوَّةِ الْحُكُومَةِ ^(١) ، وَالْقِيَامِ بِالْحَقِّ فِي جَمِيعِ
مَا يَجْرِي عَلَى يَدِهِ ، لَا يَهَابُ فِي ذَلِكَ الْأَمِيرِ الْأَعْظَمَ فَمَنْ
دُونَهُ .

« وَقَالَ ابْنُ الْحَسَنِ النَّبَاهِيُّ ^(٢) » - وَأَصْلُهُ فِي الْمَطْمَحِ
وغيرِهِ - وَمِنْ أَخْبَارِ مُنْذِرِ الْمُحْفُوظَةِ لَهُ مَعَ الْخَلِيفَةِ النَّاصِرِ
فِي إنْكَارِهِ عَلَيْهِ الْإِسْرَافَ فِي الْبِنَاءِ أَنَّ النَّاصِرَ كَانَ
قَدْ اتَّخَذَ لِسَطْحِ الْقُبَيْبَةِ الْمُصَغَّرَةِ الْأِسْمَ لِلْخُصُوصِيَّةِ الَّتِي

واعلمها محرفة عن المطر وهو ثوب من صوف يلبس في المطر ليتقي به -
كأنه لثقتة بزول الغيث أخذ يستعد لما يتوقى به انهماره في الطريق .
« أحمد يوسف نجاتي » (١) الحكم والقضاء ، « في المطمح » وقوة القلب
في القيام بالحق » (٢) أبو علي الحسن بن محمد بن الحسن النباهي الجذامي
من أهل مالقة ومن ذوى أحسابها وأهل المكانة والمنزلة بها ، ومن أعيانها
النابهين وقضائها العاملين ، وبيته بيت قضاء وعلم ونباهة وجلالة لم يزالوا
يرثون ذلك كبرا عن كابر ، واستقضى النصور بن أبي عامر جده الحسن
وولي هو قضاء غرناطة أيضا ، وكان نبيلًا ذا دين وفضل وصلاح وتوفى
سنة ٤٧٢ « أحمد يوسف نجاتي »

كَانَتْ مَائِلَةً عَلَى الصَّرْحِ الْمُرْدِ الْمَشْهُورِ شَأْنُهُ بِقَصْرِ
الزَّهْرَاءِ قَرَامِيدَ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ أَنْفَقَ عَلَيْهَا مَالًا جَسِيمًا وَقَرَمَدَ
سَقْفَهَا بِهِ ، وَجَعَلَ سَقْفَهَا صَفْرَاءَ فَاقِعَةٍ ، إِلَى يَبِضَاءٍ نَاصِعَةٍ ،
تَسْتَلِبُ الْأَبْصَارَ بِأَشِعَّةِ نُورِهَا^(١) ، وَجَلَسَ فِيهَا إِثْرَ تَمَامِهَا
يَوْمًا لِأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، فَقَالَ لِقَرَابَتِهِ وَمَنْ حَضَرَ مِنَ الْوُزَرَاءِ
وَأَهْلِ الْخِدْمَةِ مُفْتَخِرًا عَلَيْهِمْ بِمَا صَنَعَهُ مِنْ ذَلِكَ مَعَ مَا يَتَّصِلُ
بِهِ مِنَ الْبِدَائِعِ الْفِتَانَةِ : هَلْ رَأَيْتُمْ أَوْ سَمِعْتُمْ مَلِكًا كَانَ
قَبْلِي فَعَلَ مِثْلَ هَذَا أَوْ قَدَرَ عَلَيْهِ ؟ فَقَالُوا : لَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّكَ لَا وَحْدُ فِي شَأْنِكَ كُلِّهِ ، وَمَا
سَبَقَكَ إِلَى مُبْتَدَعَاتِكَ هَذِهِ مَلِكٌ رَأَيْنَاهُ ، وَلَا أَنْتَهَى
إِلَيْنَا خَبْرُهُ ، فَأَبْهَجَهُ قَوْلُهُمْ وَسَرَّهُ ، وَيَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ^(٢)
إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ الْقَاضِي مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ وَاجِمًا^(٣)

(١) فِي الْمَطْمَحِ : تَسْلُبُ الْأَبْصَارَ بِمَطَارِحِ أَنْوَارِهَا الْمَشْعُشَعَةِ .

(٢) فِي الْمَطْمَحِ زِيَادَةُ « سَارِضَا حَكْ » (٣) فِي الْأَصْلِ « وَاعِمَا » ، وَفِي

الْقِطْعَةِ الْأَوْرَبِيَّةِ « وَهُوَ نَاكِسُ الرَّأْسِ » وَفِي الْمَطْمَحِ « وَاجِمَا » أَمَّا ،

وَهُمْ « كَوَجَل » فَمَعْنَاهُ غُلَظُ وَسْطِهَا ، وَوَهُمْ فِي الشَّيْءِ « كَوَعْدٍ » ذَهَبٌ وَهَمَّهُ

إِلَيْهِ وَهُوَ يَرِيدُ غَيْرَهُ ، وَكَلَامُ الْمَعْنِيِّينَ غَيْرُ مُنَاسِبٍ هُنَا . أَمَّا « وَجَم » كَوَعْدٍ

نَاكِسَ الرَّأْسِ ^(١) ، فَلَمَّا أَخَذَ مَجْلِسَهُ قَالَ لَهُ كَالَّذِي
قَالَ لَوْزَرَائِهِ مِنْ ذِكْرِ السَّقْفِ الْمَذْهَبِ وَأَقْتِدَارِهِ عَلَى
إِبْدَاعِهِ ، فَأَقْبَلَتْ ^(٢) دُمُوعَ الْقَاضِي تَنَحُّدِرُ عَلَى لِحْيَتِهِ
وَقَالَ لَهُ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا ظَنَنْتَ أَنَّ
الشَّيْطَانَ - لَعَنَهُ اللَّهُ - يَبْلُغُ مِنْكَ هَذَا الْمَبْلَغَ ، وَلَا
أَنْ تُمَكِّنَهُ مِنْ قِيَادِكَ هَذَا التَّمَكِّينَ - مَعَ مَا آتَاكَ اللَّهُ مِنْ
فَضْلِهِ وَنِعْمَتِهِ ، وَفَضْلِكَ بِهِ عَلَى الْعَالَمِينَ - حَتَّى يُنْزِلَكَ مَنَازِلَ
الْكَافِرِينَ ، قَالَ فَاتَّقَعَل ^(٣) عَبْدُ الرَّحْمَنِ لِقَوْلِهِ ، وَقَالَ لَهُ :
أَنْظُرْ مَا تَقُولُ ، وَكَيْفَ أَنْزَلَنِي مَنَازِلَهُمْ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ أَلَيْسَ اللَّهُ
تَعَالَى يَقُولُ « وَلَوْ لَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً » الْآيَةُ ^(٤)

وجما ، ووجوما فهو واجم فمعناه أطرق لشدة الحزن ، والواجم أيضا من
أسكنه الهم وعلته كآبة لحزن أو خوف حتى أمسك عن الكلام ، وهذا
هو المعنى المناسب الذي أراه وأثره . « أحمد يوسف نجاتي » . (١) في
الطمح « واجما نا كسادقنه » (٢) في الطمح « فجرت » (٣) في الطمح
« فاقشعر » (٤) هي قوله تعالى في سورة الزخرف : « ولولا أن يكون
الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج
عليها يظهرون ، ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون ، وزخرفا ، وإن
كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين »

فَوَجَمَ الْخَلِيفَةُ وَأَطْرَقَ مَلِيًّا^(١) وَدُمُوعُهُ تَتَسَاقَطُ خُشُوعًا
لِلَّهِ تَعَالَى ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى مُنْذِرٍ وَقَالَ لَهُ : جَزَاكَ اللَّهُ يَا قَاضِي
عَنَّا وَعَنْ نَفْسِكَ خَيْرًا ، وَعَنِ الدِّينِ وَالْمُسْلِمِينَ أَجَلٌ
جَزَائِهِ ، وَكَثَرَتْ فِي النَّاسِ أَمْثَالُكَ ، فَالَّذِي قُلْتَ هُوَ
الْحَقُّ ، وَقَامَ عَنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ وَهُوَ يَسْتَغْفِرُ اللَّهُ تَعَالَى
وَأَمَرَ بِنَقْضِ سَقْفِ الْقُبَّةِ ، وَأَعَادَ قَرَامِيدَهَا تُرَابًا عَلَى
صِفَةِ غَيْرِهَا . أُنْتَهَى مَا حَكَاهُ ابْنُ الْحَسَنِ النَّبَاهِيُّ ،
وَلَنَذْكُرْ هَذِهِ الْحِكَايَةَ وَغَيْرَهَا وَإِنْ خَالَفَ السِّيَاقُ مَا
سَبَقَ - وَهَذَا مَنْقُولٌ مِنْ كَلَامِ الْحِجَارِيِّ فِي « الْمُسْتَهَبِ
فِي أَخْبَارِ الْمَغْرِبِ » فَإِنَّهُ أَتَمَّ فَائِدَةً ، إِذْ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ :
دَخَلَ مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ يَوْمًا عَلَى النَّاصِرِ بَانِي الزَّهْرَاءِ وَهُوَ
مُكَبِّ عَلَى الْأَشْتَغَالِ بِالْبُنْيَانِ فَوَعَظَهُ ، فَأَنْشَدَهُ عَبْدُ
الرَّحْمَنِ النَّاصِرُ :

هَمُّ الْمُلُوكِ إِذَا أَرَادُوا ذِكْرَهَا

مِنْ بَعْدِهِمْ فَبِالْسُنِّ الْبُنْيَانِ

(١) الملى: الوقت والساعة الطويلة ، ومنه قوله تعالى : « واهجرني مليا »
أى طويلا . « أحمد يوسف نجاتي » .

أَوْ مَا تَرَى الْهَرَمَيْنِ قَدْ بَقِيََا وَكَمْ
مُلْكٍ مَحَاهُ حَوَادِثُ الْأَزْمَانِ ؟
إِنَّ الْبِنَاءَ إِذَا تَعَاطَمَ شَأْنُهُ
أَضْحَى يَدُلُّ عَلَى عَظِيمِ الشَّانِ
قَالَ : فَمَا أَدْرِ أَهَذَا شِعْرُهُ أَمْ تَمَثَّلَ بِهِ ؟ فَإِنْ كَانَ شِعْرُهُ
فَقَدْ بَلَغَ بِهِ غَايَةَ الْإِحْسَانِ ، وَإِنْ كَانَ تَمَثَّلَ بِهِ فَقَدْ
أَسْتَحَقَّهُ بِالتَّمَثُّلِ بِهِ فِي هَذَا الْمَكَانِ . وَكَانَ مُنْذِرٌ يُكْثِرُ
تَعْنِيفَهُ عَلَى الْبُنْيَانِ ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ مَرَّةً وَهُوَ فِي قُبَّةٍ قَدْ
جَعَلَ قَرْمَدَهَا مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ ، وَأُحْتَفِلَ فِيهَا أُحْتِفَالًا ظَنُّ
أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْمُلُوكِ لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ ، فَقَامَ خَطِيبًا - وَالْمَجْلِسُ
قَدْ غَصَّ بِأَرْبَابِ الدَّوْلَةِ - فَتَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى « وَلَوْ لَا أَنَّ
يَكُونُ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ
لَبِئُوتَهُمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ » الْآيَةَ
وَاتَّبَعَهَا بِمَا يَلِيقُ بِذَلِكَ ، فَوَجَمَ الْمَلِكُ وَأَظْهَرَ الْكَابَةَ ،
وَلَمْ يُسَعِّهِ إِلَّا الْإِحْتِمَالُ لِمُنْذِرِ بْنِ سَعِيدٍ ، لِعِظَمِ قَدْرِهِ فِي

عَمَلِهِ وَدِينِهِ . وَحَضَرَ مَعَهُ يَوْمًا فِي الزَّهْرَاءِ فَقَامَ الرَّئِيسُ
أَبُو عُثْمَانَ بْنُ إِدْرِيسَ^(١) ، فَأَنشَدَ النَّاصِرَ قَصِيدَةً مِنْهَا :

سَيَشْهَدُ مَا أَبْقَيْتَ أَنَّكَ لَمْ تَكُنْ

مُضِيْعًا وَقَدْ مَكَّنْتَ لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا

فَبِالْجَامِعِ الْمَعْمُورِ لِلْعِلْمِ وَالْتَقَى

وَبِالزَّهْرَةِ الزَّهْرَاءِ لِلْمُلْكِ وَالْعُلْيَا

فَاهْتَزَّ النَّاصِرُ وَأَبْتَهَجَ ، وَأَطْرَقَ مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ

سَاعَةً ، ثُمَّ قَامَ مُنْشِدًا :

يَا بَانِي الزَّهْرَاءِ مُسْتَعْرِقًا أَوْقَاتَهُ فِيهَا أَمَا تُتْمَلُ^(١)

(١) هو الوزير أبو عثمان عبد الله بن يحيى بن إدريس كان وافر الأدب
كثير الشعر ، ومن شعره في الورد :

تخلت من الورد الأنيق حدائقه وبان حميد الأنس والعهد رائقه
أقام كرجع الطرف لم يشف غلة ولم يرو مشتاق الجوائح شائقه
فما كان إلا الطيف زار مسلما فسر ملاقيه وسمى مفارقه
على الورد من إلف التعابي تحية وإن صدمت إلف التصابي علائقه
ويهنأ الحدود الناضرات انفرادها بورد الحياء المستجبد شقائقه
وكان جليل النزلة ولا سيما في أيام عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر الملقب
بالناصر الأمير بعد أخيه الملك والمتوفى سنة ٣٩٩ هـ . « أحمد يوسف نجاتي »

(١) من المهمل والمهله وهو التؤدة والرفق ، وأمهله إذا نظره ووقفى به ولم
يعجل عليه ومثل البيت الثاني :

لِلَّهِ مَا أَحْسَنَهَا رَوْنَقًا لَوْ لَمْ تَكُنْ زَهْرَتَهَا تَذْؤِيلُ
فَقَالَ النَّاصِرُ : إِذَا هَبَّ عَلَيْنَا نَسِيمُ التَّذْكَارِ وَالْحَنِينِ ،
وَسَقَتَهَا مَدَامِيعُ الْخُشُوعِ - يَا أَبَا الْحَكَمِ - لَا تَذْؤِيلُ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، فَقَالَ مُنْذِرٌ : اللَّهُمَّ أَشْهَدُ أَنِّي قَدْ بَشَّتُ
مَا عِنْدِي وَلَمْ آلُ نَصْحًا^(١) . أَنْتَهَى .

وَلَقَدْ صَدَقَ الْقَاضِي مُنْذِرٌ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِيمَا قَالَ
فَإِنَّهَا ذُبُلَتْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْفِتْنَةِ ، وَقَلِبَ^(٢) مَا كَانَ فِيهَا
مِنْ مَنَحَةٍ مَحَنَةٍ ، وَذَلِكَ عِنْدَ مَا وَلِيَ الْحِجَابَةَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ
أَبْنُ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ الْمُلَقَّبُ بِسَنْجُولٍ^(٣) وَتَصَرَّفَ

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى غير أن لابقاء للإنسان
ليس فيما علمته فيك عيب كان في الناس غير أنك فان
(١) ما ألوت الشيء ألوا وألوا « كملوا » أي ما تركته وما قصرت فيه ، وما ألوت
جهدا أي لم أدعه ، ولا آلوك نصحا أي لم أفتر ولم أقصر (٢) في الأصل
« وقلما » وهو تحريف ، والمنحة العطية والهبة والنعمة ، والمنحة ما يمنح
به الإنسان من بلية « نستجير بكرم الله منها » ومحنة « كمنعه اذا ضرب به
أو اختبره » . « أحمد يوسف نجاتي » (٣) سنجول ، أو سنجول ، أو
سانكول أو سانكو الصغير اسم عرف به في التاريخ ، وذلك لأن أمه
كانت ابنة رجل مسيحي من أهل تلك البلاد يسمى « شانجة » أو « سانكو »
فلما كراهة القوم لعبد الرحمن « الملقب بالمأمون » أطلقوا عليه اسم صهره
تهكما وضاعف من بغضهم له سوء أخلاقه وضعف تدبيره وقلة خبرته السياسية
وعجزه عن إدارة الملك بكفاية ودراية . « أحمد يوسف نجاتي » .

فِي الدَّوْلَةِ مِثْلَ مَا تَصَرَّفَ أَخُوهُ الْمُظْفَرُ وَأَبُوهُمَا الْمَنْصُورُ ،
فَأَسَاءَ التَّدْبِيرَ ، وَلَمْ يُعَيِّزْ بَيْنَ الْقَتِيلِ وَالنَّقِيرِ ^(١) ، فَدَسَّ
إِلَى الْمُؤَيَّدِ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ مَنْ خَوَّفَهُ مِنْهُ حَتَّى وَلَّاهُ
عَهْدَهُ - كَمَا يَبْنَى نَصَّ الْعَهْدِ فِيمَا سَبَقَ - فَأُطْبِقَ الْخَاصَّةُ
وَالْعَامَّةُ عَلَى بُغْضِهِ وَإِضْمَارِ الشُّوءِ لَهُ ، وَذَلِكَ سَنَةَ ثَمَانٍ
وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ خَرَجَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ هِشَامِ
ابْنِ عَبْدِ الْجُبَّارِ بْنِ النَّاصِرِ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ ، وَتَلَقَّبَ
بِالْمُهْدِيِّ ، وَخَلَعَ الْمُؤَيَّدَ وَحَبَسَهُ ، وَأَسْلَمَتِ ^(٢) الْجُيُوشُ
شَنْجُولَ ، فَأَخَذَ وَأَبْرَ وَقَتَلَ .

خلافة المهدي
وزوال دولة
بني عامر

« قَالَ ابْنُ الرَّقِيقِ » : وَمِنْ أَعْجَبِ مَا رَأَيْتُ أَنَّهُ مِنْ
نِصْفِ نَهَارِ يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ لِأَرْبَعِ بَقِيْنَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ

(١) القَتِيلُ : السحابة التي تكون في شق النواة ، وبه فسر قوله تعالى
« وَلَا يَظْلَمُونَ قَتِيلًا » وقال ابن السكيت : النقيير النسكنة في ظهر النواة
كأن ذلك الموضع نقر منها ، ومنه قوله تعالى : « وَلَا يَظْلَمُونَ نَقِيرًا » ،
والقتيل ما كان في شق النواة ، والقطمير القشرة الرقيقة على النواة ، وهذه
الأمشياء يضرب بها المثل للشيء التافه الحقير القليل . وفي بعض المراجع
« بين القبيل والدير » ويأتي شرحهما (٢) أي خذله ولم تعن بنصرته .

(٦ - نفع الطبيب - خامس)

إِلَى نِصْفِ نَهَارِ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ فَتُحِتَ قُرْطُبَةُ ، وَهُدِمَتِ
الزَّهْرَاءُ ، وَخُلِعَ خَلِيفَةٌ وَهُوَ الْمُؤَيَّدُ ، وَوُلِيَ خَلِيفَةٌ وَهُوَ
الْمَهْدِيُّ ، وَزَالَتِ دَوْلَةُ بَنِي عَامِرٍ الْعَظِيمَةِ ، وَقُتِلَ وَزِيرُهُمْ
مُحَمَّدُ بْنُ عَسْقَلَاةٍ ^(١) ، وَأُقِيمَتِ جُيُوشٌ مِنَ الْعَامَّةِ ،
وَنُكِبَ خَلْقٌ مِنَ الْوُزَرَاءِ ، وَوُلِيَ الْوِزَارَةَ آخَرُونَ ، وَكَانَ
ذَلِكَ كُلُّهُ عَلَى يَدِ عَشْرَةِ رِجَالٍ فَحَامِينَ وَجَزَّارِينَ وَزَبَّالِينَ
وَهُمْ جُنْدُ الْمَهْدِيِّ هَذَا . انْتَهَى .

وَقَدْ تَقَدَّمَ بَعْضُ الْكَلَامِ عَلَى الْمَهْدِيِّ هَذَا ، وَهُوَ الَّذِي
قِيلَ فِيهِ لَمَّا قَامَ عَلَى الدَّوْلَةِ :

قَدْ قَامَ مَهْدِيْنَا وَلَكِنْ بِحِلَّةِ الْفِسْقِ وَالْمُجُونِ
وَشَارَكَ النَّاسَ فِي حَرِيمِ لَوْلَاهُ مَا زَالَ بِالْمَصُونِ

(١) فِي الْأَصْلِ « عِلَاجَةٌ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ وَسَقَطَ . وَابْنُ عَسْقَلَاةٍ كَانَ ابْنَ
عَمِّ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ وَوَزِيرَهُ ، وَيَكْنَى أَبَا حَفْصٍ ، وَأَبَا الْحَكَمِ ، وَهُوَ أَدِيبٌ
شَاعِرٌ ، أَرْسَلَهُ الْمَنْصُورُ إِلَى الْمَغْرِبِ لِمُحَارَبَةِ الْحَسَنِ بْنِ كُنُونِ الْأَدْرِيسِيِّ آخِرِ
مُلُوكِ الْأُدَارَةِ بِالْمَغْرِبِ وَمِنْ مَعِهِ مِنْ قِبَائِلِ الْبُرْبَرِ ، فَاسْتَوْلَى عَلَى مَدِينَةِ
فَاسَ سَنَةَ ٣٧٥ هـ وَعَلَى عِدْوَةِ الْأَنْدَلُسِ ، وَخَطَبَ بِهَا لِبَنِي أُمَيَّةٍ ، وَعَادَ إِلَى
الْأَنْدَلُسِ فَكَانَ عَوْنًا لِابْنِ أَبِي عَامِرٍ وَابْنَيْهِ مِنْ بَعْدِهِ حَتَّى قُتِلَ فِي هَذِهِ
الْفِتْنَةِ . « أَحْمَدُ يُونُسُفُ نَجَاتِي » .

مَنْ كَانَ مِنْ قَبْلِ ذَا أَجْمَا فَالْيَوْمَ قَدْ صَارَ ذَا قُرُونٍ
وَمِنْ شِعْرِ الْمَهْدِيِّ هَذَا وَقَدْ حَيَّاهُ فِي مَجْلِسِ شَرَابِهِ
غَلَامٌ بِقَضِيبِ آسٍ :

أَهْدَيْتَ شِبْهَ قَوَامِكَ الْمِيَّاسِ
غُصْنًا رَطِيبًا نَاعِمًا مِنْ آسٍ^(١)

وَكَأَنَّمَا يَحْكِيكَ فِي حَرَكَاتِهِ

وَكَأَنَّمَا تَحْكِيهِ فِي الْأَنْفَاسِ

وَقَدْ ذَكَرْنَا فِيمَا سَبَقَ فِي الْفَصْلِ الثَّالِثِ خَبَرَ الْمَهْدِيِّ
هَذَا وَقَتْلَهُ ، وَلَقَدْ كَانَ قِيَامُهُ مَشْتُومًا عَلَى الدِّينِ وَالْدُّنْيَا ،
فَإِنَّهُ فَاتَحَ أَبْوَابَ الْفِتْنَةِ بِالْأَنْدَلُسِ ، وَالْمَاحِي مَعَالِمَهَا ، حَتَّى
تَفَرَّقَتِ الدَّوْلَةُ ، وَأَنْتَثَرَ السَّلَاطُ ، وَكَثُرَ^(٢) الرُّؤُسَاءُ ، وَتَطَاوَلَ
الْعَدُوُّ إِلَيْهَا ، وَأَخَذَهَا شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى مَحَى أَسْمُ الْإِسْلَامِ
مِنْهَا - أَعَادَهَا اللَّهُ تَعَالَى - وَقَدْ أَلَمَ الْوَلِيُّ ابْنُ خَلْدُونٍ فِي

(١) ماس يمس ميسا وميساننا اذا تبختر واختال وتهادى فموماس وميوس
ومياس - والآس هذا النبت المعروف ، وخضرته دائما أبدا ، وقد ينمو حتى
يكون شجرا عظاما (٢) في الأصل « كسر » وهو تصحيف .

تَارِيخِهِ بِذِكْرِ الزَّهْرَاءِ فِي جُمْلَةِ مَبَانِي النَّاصِرِ فَقَالَ مَا نَصُّهُ :

وَلَمَّا اسْتَفْحَلَ مُلْكُ النَّاصِرِ صَرَفَ نَظْرَهُ إِلَى تَشْيِيدِ
الْقُصُورِ وَالْمَبَانِي، وَكَانَ جَدُّهُ الْأَمِيرُ مُحَمَّدٌ وَأَبُوهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ
الْأَوْسَطُ وَجَدُّهُ الْحَكَمُ قَدْ احْتَفَلُوا فِي ذَلِكَ، وَبَنَوْا قُصُورَهُمْ
عَلَى أَكْمَلِ الْإِتْقَانِ وَالضَّخَامَةِ، وَكَانَ فِيهَا الْمَجْلِسُ
الزَّاهِرُ وَالْبَهِيُّ^(١)، وَالْكَامِلُ، وَالْمُنِيفُ، فَبَنَى هُوَ إِلَى جَانِبِ
الزَّاهِرِ قَصْرَهُ الْعَظِيمَ وَسَمَّاهُ دَارَ الرِّوَضَةِ، وَجَلَبَ الْمَاءَ
إِلَى قُصُورِهِمْ مِنَ الْجَبَلِ، وَاسْتَدْعَى عُرَفَاءَ الْمُهَنْدِسِينَ
وَالْبَنَائِينَ مِنْ كُلِّ قُطْرٍ، فَوَفَدُوا عَلَيْهِ حَتَّى مِنْ بَغْدَادَ
وَالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، ثُمَّ أَخَذَ فِي بِنَاءِ الْمُتَنَزَّهَاتِ؛ فَاتَّخَذَ مِنْهُ
النَّاءُورَةَ خَارِجَ الْقُصُورِ، وَسَاقَ لَهَا الْمَاءَ مِنْ أَعْلَى الْجَبَلِ عَلَى
أَبْعَدِ مَسَافَةٍ، ثُمَّ اخْتَطَّ مَدِينَةَ الزَّهْرَاءِ، وَاتَّخَذَهَا دَارًا لِلزُّلَّةِ
وَكُرْسِيًّا لِمُلْكِهِ، وَأَنْشَأَ فِيهَا مِنَ الْمَبَانِي وَالْقُصُورِ
وَالْبَسَاتِينِ مَا عَفَى عَلَى مَبَانِيهِمُ الْأُولَى، وَاتَّخَذَ فِيهَا مَحَلَّاتٍ

وصف ابن
خلدون لمدينة
الزهراء

(١) في الأصل « والبهور » ولعله اسم أخذ من بهره إذا علاه وغلبه،
وبهرت فلانة النساء إذا فاقتهن حسنا، وبهر الشيء بهورا إذا أضاء.

لِلوَحْشِ فَسِيحَةَ الْفَنَاءِ ، مُتَبَاعِدَةَ السِّيَاحِ ^(١) وَمَسَارِحَ اللَّطِيُورِ
مُظَلَّلَةً بِالشِّبَاكِ ، وَاتَّخَذَ فِيهَا دُورًا لِصِنَاعَةِ آَلَاتٍ مِنْ
آَلَاتِ السَّلَاحِ لِلْحَرْبِ وَالْحُلِيِّ لِلزَّيْنَةِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمِهَنِ ،
وَأَمَرَ بِعَمَلِ الظِّلَّةِ عَلَى صَحْنِ الْجَامِعِ بِقُرْطُبَةَ وَقَايَةَ لِلنَّاسِ
مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ . اُنْتَهَى .

وَأَمَّا الزَّاهِرَةُ فَهِيَ مِنْ مَبَانِي الْمَنْصُورِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ ^{مدينة الزهراء}
« قَالَ ابْنُ خَلْدُون » فِي أَثْنَاءِ كَلَامِهِ عَلَى الْمَنْصُورِ
مَا صُورَتْهُ : وَأَبْتَنَى لِنَفْسِهِ مَدِينَةً لِنَزْلِهِ سَمَّاها الزَّاهِرَةَ
وَنَقَلَ إِلَيْهَا جُزْءًا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَسْلِحَةِ . اُنْتَهَى .

« وَقَالَ غَيْرُهُ » - وَأَظْنُهُ صَاحِبَ الْمَطْمَحِ - : وَفِي سَنَةِ
ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ أَمَرَ الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ بِنَاءَ
الزَّاهِرَةِ ، وَذَلِكَ عِنْدَ مَا تَكَامَلَ وَأُسْتَفْعَلَ أَمْرُهُ ، وَاتَّقَدَّ
جَهْرُهُ ^(٢) ، وَظَهَرَ اسْتِبْدَادُهُ ، وَكَثُرَ حُسَادُهُ ، وَأَصْدَادُهُ
وَأَنْدَادُهُ ، وَخَافَ عَلَى نَفْسِهِ فِي الدَّخُولِ إِلَى قَصْرِ السُّلْطَانِ ،

(١) السِّيَاحُ : الحَائِطُ وَالسُّورُ يَحِيطُ بِالْمَبَانِي أَوْ نَحْوِهَا ، وَجَمْعُهُ أَسْوَاجٌ
وَسُجُجٌ (٢) مجاز عن رفعة شأنه وعلو أمره وظهوره مثل : شبعته ناره .
« أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَاتِي » .

وَحَشِيَ أَنْ يَقَعَ فِي أَشْطَانٍ^(١)، فَتَوَثَّقَ لِنَفْسِهِ^(٢)، وَكُشِفَ
لَهُ مَا سَتَرَ عَنْهُ فِي أُمْسِهِ، مِنْ الْأَعْتَزَازِ عَلَيْهِ، وَرَفَعَ
الِاسْتِنَادَ^(٣) إِلَيْهِ، وَسَمَّا إِلَى مَا سَمَتْ إِلَيْهِ الْمُلُوكُ مِنْ
أَخْتِرَاعِ قَصْرِ يَنْزِلُ فِيهِ، وَيَحُلُّهُ بِأَهْلِهِ وَذَوِيهِ، وَيَضُمُّ إِلَيْهِ
رِيَاسَتَهُ، وَيَتِمُّ بِهِ تَدْيِيرَهُ وَسِيَاسَتَهُ، وَيَجْمَعُ فِيهِ فِتْيَانَهُ،
وَعِلْمَانَهُ، فَارْتَادَ^(٤) مَوْضِعَ مَدِينَتِهِ الْمَعْرُوفَةِ بِالزَّاهِرَةِ،
الْمَوْصُوفَةِ بِالْقُصُورِ الْبَاهِرَةِ، وَأَقَامَهَا بِطَرْفِ الْبَلَدِ عَلَى نَهْرِ
قُرْطُبَةَ الْأَعْظَمِ، وَنَسَقَ^(٥) فِيهَا كُلَّ اقْتِدَارٍ مُعْجَزٍ وَنَظْمٍ،
وَشَرَعَ فِي بِنَائِهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ الْمُورَخَةِ، وَحَشَدَ الصَّنَاعَ
وَالْفَعْلَةَ، وَجَلَبَ إِلَيْهَا آلَاتِ الْجَلِيلَةِ، وَسَرَبَلَهَا بِهَاءٍ يَرُدُّ
الْأَعْيْنَ كَلِيلَةً^(٦) وَتَوَسَّعَ فِي اخْتِطَاطِهَا، وَتَوَلَّعَ بِانْتِشَارِهَا
فِي الْبَسِيطَةِ وَأَنْبِسَاطِهَا، وَبَالَغَ فِي رَفْعِ أَسْوَارِهَا، وَثَابَرَ عَلَى
تَسْوِيَةِ أَنْجَادِهَا وَأَغْوَارِهَا^(٧)، فَاتَّسَعَتْ هَذِهِ الْمَدِينَةُ فِي

(١) جمع شطن وهو الحبل الطويل الشديد القتل، وشطنه اذا شده به
يريد أنه خشي أن تنصب له حبال المكايد (٢) أى أخذها بالثقة وحسن
الحزم والحيلة (٣) أى ازالة الاعتماد عليه والثقة به (٤) أى طلب واختار
(٥) أى نظم ورتب (٦) كل بصره كلولا اذا نبا وتعب ولم يحقق المنطور
إليه فهو كليل (٧) النجد فى الأصل : المكان المرتفع ضد الغور

الْمُدَّةِ الْقَرِيبَةِ ، وَصَارَ بِنَاوُهَا مِنَ الْأَنْبَاءِ الْغَرِيبَةِ ، وَبَنَى
مُعْظَمَهَا فِي عَامَيْنِ .

* *

نزول النصور
بالزاهية
واستبداده
بالحكم

وَفِي سَنَةِ سَبْعِينَ وَثَلَاثِينَ أَنْتَقَلَ الْمَنْصُورُ إِلَيْهَا وَنَزَلَهَا
بِمَخَاصِطِهِ وَعَامَّتِهِ ، قَتَبَوَّاهَا^(١) وَشَحَنَهَا بِجَمِيعِ أَسْلِحَتِهِ
وَأَمْوَالِهِ وَأَمْتِعَتِهِ ، وَاتَّخَذَ فِيهَا الدَّوَاوِينَ وَالْأَعْمَالَ ،
وَعَمِلَ فِي دَاخِلِهَا الْأَهْرَاءِ^(٢) وَأَطْلَقَ بِسَاحَتِهَا الْأَرْحَاءَ ، ثُمَّ
أَقْطَعَ مَا حَوْلَهَا لَوْزَرَاتِهِ وَكُتَّابِهِ ، وَقَوَّادِهِ وَحُجَّابِهِ ، فَأَبْتَنُوا
بِهَا كِبَارَ الدُّورِ ، وَجَلِيلَاتِ الْقُصُورِ ، وَاتَّخَذُوا خِلَالَهَا
الْمُسْتَغَلَّاتِ الْمَفِيدَةَ ، وَالْمَنَازِلَ الْمَشِيدَةَ ، وَقَامَتْ بِهَا
الْأَسْوَاقُ ، وَكَثُرَتْ فِيهَا الْأَرْفَاقُ^(٣) ، وَتَنَافَسَ النَّاسُ
بِالنُّزُولِ بِأَكْنَافِهَا ، وَالْحُلُولِ بِأَطْرَافِهَا ، لِلدُّنُوِّ مِنْ
صَاحِبِ الدَّوْلَةِ ، وَتَنَاهَى الْغُلُوُّ^(٤) فِي الْبِنَاءِ حَوْلَهُ ، حَتَّى
اتَّصَلَتْ أَرْبَاضُهَا بِأَرْبَاضِ قُرْطُبَةَ ، وَكَثُرَتْ بِحُوزَتِهَا

(١) سكنها وأقام فيها (٢) الأهراء جمع هري « بضم الهاء وكسر الراء
وتشديد الياء » وهو بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان وتخزن فيه الحبوب
(٣) أى المرافق وهى النافع وما يستعان به من لوازم الحياة ومطلوب العيش
(٤) أو « الغلو بالمعين المعجزة » « أحمد يوسف نجاتي »

الْعِمَارَةُ ، وَأَسْتَقَرَّتْ فِي مُجْبُوحَتِهَا ^(١) الْإِمَارَةُ ، وَأَفْرَدَ ^(٢) الْخَلِيفَةُ
مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ الْأَسْمِ الْخِلَافِيِّ ، وَصَيَّرَ ذَلِكَ هُوَ
الرَّسْمُ ^(٣) الْعَلَفِي ، وَرَتَّبَ فِيهَا جُلُوسَ وَزَرَائِهِ ، وَرُؤُوسَ
أَمْرَائِهِ ، وَنَدَبَ إِلَيْهَا كُلَّ ذِي خُطَّةٍ بِخُطَّتِهِ ، وَلَنَصَبَ بِبَابِهَا
كُرْسِيَّ شُرْطَتِهِ ، وَأَجْلَسَ عَلَيْهِ وَالِيًا عَلَى رَسْمِ كُرْسِيِّ
الْخَلِيفَةِ ، وَفِي صِفَةِ تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ الْمُنِيفَةِ ^(٤) ، وَكَتَبَ
إِلَى الْأَقْطَارِ بِالْأَنْدَلُسِ وَالْعُدُودِ بَأَن تَحْمَلَ إِلَى مَدِينَتِهِ
تِلْكَ أَمْوَالُ الْجَبَايَاتِ ، وَيَقْصِدَهَا أَصْحَابُ الْوَلَايَاتِ ،
وَيَنْتَابِهَا ^(٥) طُلَّابُ الْحَوَائِجِ ، وَحَذَرَ أَنْ يَمُوجَ عَنْهَا إِلَى
دَارِ الْخَلِيفَةِ عَائِجٌ ^(٦) ، فَاقْتَضَيْتْ لَدَيْهَا اللَّبَانَاتُ ^(٧) وَالْأَوْطَارُ ،
وَأُنْحَشَدَ النَّاسُ إِلَيْهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَقْطَارِ ، وَتَمَّ لِمُحَمَّدٍ
ابْنِ أَبِي عَامِرٍ مَا أَرَادَ ، وَأَنْتَضَمَ بِلَبَّةٍ ^(٨) أَمَانِيَّةٍ الْمُرَادُ ،

(١) أى سعتها ووسطها ، وتبجح الرجل اذا تمكن فى المقام والحلول ،
وتوسط المنزل (٢) الضمير فى أفرد راجع الى المنصور محمد بن أبى عامر
(٣) رسم الدار أثرها أو بقية الاثر منها - وعفا الرسم اذا محى وزالت
معالمه (٤) الرفيعة العالية ذات القدر والشرف (٥) يقصدها ويتردد عليها
(٦) عاجج بالمكان اذا مر به وقصده ، وفى بعض النسخ « باب » بدل « دار »
(٧) اللبانة : الحاجة والغرض كالوطر (٨) اللبة : موضع القلادة من الصدر

وَعَطَّلَ قَصْرَ الْخَلِيفَةِ مِنْ جَمِيعِهِ ، وَصَيَّرَهُ بِمَعَزِلٍ مِنْ سَامِعِهِ
وَمُطِيعِهِ ، وَسَدَّ بَابَ قَصْرِهِ عَلَيْهِ ، وَجَدَّ فِي خَبَرِ الْأَ
يَصِلَ إِلَيْهِ ، وَجَعَلَ فِيهِ ثِقَةً مِنْ صَنَائِعِهِ يَضْبِطُ الْقَصْرَ ،
وَيَنْسُطُ فِيهِ النَّهْيَ وَالْأَمْرَ ، وَيُشْرِفُ مِنْهُ عَلَى كُلِّ دَاخِلٍ ،
وَيَمْنَعُ مَا يَحْذَرُهُ مِنَ الدَّوَاخِلِ ^(١) ، وَرَتَّبَ عَلَيْهِ الْخُرَّاسَ
وَالْبَوَّائِينَ ، وَالسَّمَّارَ ^(٢) وَالْمُتَّائِينَ ، يُلَازِمُونَ حِرَاسَةَ مَنْ
فِيهِ لَيْلاً وَنَهَارًا ، وَيُرَاقِبُونَ حَرَكَاتِهِمْ سِرًّا وَجِهَارًا ، وَقَدْ
حَجَرَ عَلَى الْخَلِيفَةِ كُلَّ تَذِيرٍ ، وَمَنَعَهُ مِنْ تَمَلُّكِ قَبِيلٍ
أَوْ دَيْرٍ ^(٣) ، وَأَقَامَ الْخَلِيفَةُ هِشَامَ مَهْجُورَ الْفَنَاءِ ^(٤) ، مَحْجُورَ
الْفَنَاءِ ^(٥) ، خَفِيَ الذِّكْرُ ، عَلِيلَ الْفِكْرِ ، مَسْدُودَ الْبَابِ ،

(١) الدواخل جمع داخلة بمعنى دخيلة : وهي الدخيسة والحديمة أو الفساد والشر

(٢) سمر يسمر سمر أو سمورا : لم ينم فهو سامر ، وهم السمار والسامرة .

والسمر أيضا : حديث الليل خاصة (٣) القبيل القطن والدير الكتان ، أو القبيل

ما أقبلت به المرأة من غزلها حين تفتله ، والدير ما أدبرت به ، والغرض

أنه لا يملك كثيرا ولا قليلا (٤) من قول أبي عطاء السندي :

فإن تمس مهجور الفناء فر بما أقام به بعد الوفود وفوده

(٥) في الأصل « معجوز » ورأينا أنه تصحيف وتحريف ، فجعلنا مكانها

كلمة « محجور » أي ممنوع ، فاستقام المعنى وتم له السجع المرصع والجاس هو فردوج

الكلام . والفناء : النفع والكفاية . « أحمد يوسف نجاتي »

مَحْجُوبَ الشَّخْصِ عَنِ الْأَحْبَابِ ، لَا يَرَاهُ خَاصٌّ وَلَا عَامٌّ ،
وَلَا يُخَافُ مِنْهُ بَأْسٌ وَلَا يُرْجَى إِنْعَامٌ ، وَلَا يُعْهَدُ مِنْهُ إِلَّا
الْإِسْمُ السُّلْطَانِيُّ فِي السَّكَّةِ وَالِدَّعْوَةِ ، وَقَدْ نَسَخَهُ وَلَبَسَ
أُبَيْتَهُ ، وَطَمَسَ بَهْجَتَهُ ، وَأَغْنَى النَّاسَ عَنْهُ ، وَأَزَالَ أَطْمَاعَهُمْ
مِنْهُ ، وَصَيَّرَهُمْ لَا يَعْرِفُونَهُ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْهُمْ لَا يَذْكُرُونَهُ .
وَأَشْتَدَّ مُلْكُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ مُنْذُ نَزَلَ قَصْرَ الزَّاهِرَةِ
وَتَوَسَّعَ مَعَ الْأَيَّامِ فِي تَشْيِيدِ أُبْنَيْتِهَا ، حَتَّى كَمَلَتْ أَحْسَنَ
كَمَالٍ ، وَجَاءَتْ فِي نِهَايَةِ الْجَمَالِ ؛ تَقَاوَةً ^(١) بِنَاءٍ ، وَسِيعَةً
فِنَاءٍ ، وَأَعْتَدَالَ هَوَاءٍ رَقٍّ أَدِيمَةٍ ^(٢) ، وَصَقَالَةً ^(٣) جَوٍّ أَعْتَلٍّ ^(٤)
نَسِيمَةٍ ، وَنَضْرَةَ بُسْتَانٍ ، وَبَهْجَةً لِلنُّفُوسِ فِيهَا أُفْتَانٌ ،
وَفِيهَا يَقُولُ صَاعِدُ اللُّغَوِي :

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ مِنْ يَمَنِ وَالْمُبْتَنَى نَسَبًا غَيْرَ الَّذِي أَنْتَسَبَا

بِغَزْوَةٍ فِي قُلُوبِ الشُّرَكَ رَائِعَةٍ

بَيْنَ الْمَنَايَا تُنَاغِي ^(٥) الشُّمْرَ وَالْقُضْبَا

(١) في الأصل « تفاوت » وهو تصحيف (٢) الأديم من السماء والأرض

ماظهر منهما (٣) صقل الشيء : جلاه (٤) في الأصل « اعتدل » (٥) ناغاه

حادثه وناجاه ، وكلمه بمايهواه ، وناغى المرأة : غازلها بالمحادثة والملاطفة ، وأراد

أَمَّا تَرَى الْعَيْنَ تَجْرِي فَوْقَ مَرْمَرِهَا
 زَهْوًا فَتَجْرِي عَلَى أَخْفَافِهَا الطَّرَبَا^(١)
 أَجْرِيَّتَهَا فَطَمًا الزَّاهِي بِجَرِيَّتَهَا
 كَمَا طَمَوْتَ فَسَدْتَ الْعُجْمَ وَالْعَرَبَا^(٢)
 تَخَالُ فِيهِ جُنُودَ الْمَاءِ رَافِلَةً
 مُسْتَلِمَاتٍ تُرِيكَ الدَّرْعَ وَالْيَلْبَا^(٣)
 تَحْفُهَا مِنْ فُنُونِ الْأَيْكِ زَاهِرَةٌ
 قَدْ أَوْرَقَتْ فِضَّةً أَوْ أَوْرَقَتْ ذَهَبًا^(٤)

بالسمر الرماح ، والقضب السيوف - وفي بعض المراجع « راتعة » آخر
 صدر البيت بدل راتعة « وهو مجاز حسن » . « أحمد يوسف نجاني » .
 (١) كان عجز البيت في الأصل محرفا هكذا « هوى فيجري على
 أخفافها .. » والزهو الإعجاب والحسن والاشراق ، والزهو الكبير والتهيه
 والعظمة والفخر ، والأخفاف جمع « غير قياسي » مفردة حفاف أى جانب
 أو أثر (٢) طمى الماء إذا علا وارتفع ، وطمى النبات: طال وعلا (٣) رفل
 فى ثيابه « كنصر » اذا جرد ذيله وتبختر - واستلام اذ البس اللأمة « وهى
 عدة السلاح كاملة ، أو الدرع الحصينة - واليلب الترس أو الدرق (٤) الفنون:
 الغصون، والأيك: الشجر الملتف الكثير واحده أيكه ، وفي بعض المراجع :
 قد أورقت فضة أذا ثمرت ذهباً . وهو اللفظ من الأصل وأرقه ما ذيرسم
 صورة أجمل وأبدع ، ويخيل تعليل أحسن وأروع . « أحمد يوسف نجاني »

بَدِيعَةُ الْمَلِكِ مَا يَنْفَكُ نَاطِرُهَا
يَتَلَوُ عَلَى السَّمْعِ مِنْهَا آيَةً عَجَبًا
لَا يُحْسِنُ الدَّهْرُ أَنْ يُنْشِيَ لَهَا مَثَلًا
وَلَوْ تَعَنَّتْ ^(١) فِيهَا نَفْسُهُ طَلَبًا

* *

وَدَخَلَ عَلَيْهِ ابْنُ أَبِي الْحُبَابِ فِي بَعْضِ قُصُورِهِ مِنْ
الْمُنِيَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِالْعَامِرِيَّةِ ، وَالرَّوَضُ قَدْ تَفَتَّحَتْ أَنْوَارُهُ ،
وَتَوَشَّحَتْ أَنْجَادُهُ ^(٢) وَأَغْوَارُهُ ، وَتَصَرَّفَ فِيهَا الدَّهْرُ مُتَوَاضِعًا ،
وَوَقَفَ بِهَا السَّعْدُ خَاضِعًا ، فَقَالَ :

لَا يَوْمَ كَالْيَوْمِ فِي أَيَّامِكَ الْأَوَّلِ
بِالْعَامِرِيَّةِ ذَاتِ الْمَاءِ وَالظَّلْلِ ^(٣)
هَوَاؤُهَا فِي جَمِيعِ الدَّهْرِ مُعْتَدِلٌ
طَبِيبًا وَإِنْ حَلَّ فَضْلٌ غَيْرُ مُعْتَدِلٍ

(١) أى كلفها مشقة شديدة وطلب منها ما فوق الجهد . (٢) أى عمها
النبت وازدانت به حتى كان لها كالوشاح (٣) الظلة وهو بناء
كالصفعة يستتر به من الحر والبرد ، وما أظل المرء من شجر وماستره
من فوقه ، وفي بعض النسخ « والقال » وما هنا أحسن « أحمد يوسف نجاتي »

مَا إِنْ يُبَالَى الَّذِي يَحْتَلُّ سَاحَتَهَا
 بِالسَّعْدِ أَلَّا تَحُلَّ الشَّمْسُ بِالْحَمَلِ ^(١)
 وَمَا زَالَتْ هَذِهِ الْمُنِيَّةُ ^(٢) رَائِقَةً ، وَالشُّعُودُ بِلَبَّتِهَا مُتَنَاسِقَةً
 تُرَاوِحُهَا الْفُتُوحُ وَتُعَادِيهَا ، وَتُجْلِبُ إِلَيْهَا مُنْكَسِرَةً أَعَادِيهَا
 لَا تَرْحَفُ عَنْهَا رَايَةٌ إِلَّا إِلَى فَتْحٍ ، وَلَا يَصْدُرُ عَنْهَا تَذِيرٌ
 إِلَّا إِلَى نُجْحٍ ، إِلَى أَنْ حَانَ يَوْمُهَا الْعَصِيبُ ^(٣) ، وَقِيضُ ^(٤)
 لَهَا مِنَ الْمَكْرُوهِ أَوْفَرُ نَصِيبٍ ، فَتَوَلَّتْ فَقِيدَةً ، وَحُلَّتْ .
 مِنْ بَهْجَتِهَا كُلُّ عَقِيدَةٍ ^(٥) . أَنْتَهَى .
 « وَقَدْ حَكَى الْحُمَيْدِيُّ ^(٦) فِي جَذْوَةِ الْمُقْتَبِسِ » هَذِهِ

(١) تحل الشمس في الحمل أول فصل الربيع شباب الزمان وحين يرق الجو وتأخذ الأرض زخرفها وتزين ، وتظهر بدائع الطبيعة وعجائب صنع الله في خلقه
 (٢) في بعض النسخ « المدينة » (٣) أي الشديد ، من عصب الشيء إذا شده ،
 أو من العصب وهو جفاف الريق ويسه في الفم (٤) هي وسبب وقدر (٥) أي
 معقودة ، والجملة مجاز عن زوال البهجة وانتقاض الأمور ، وفي بعض المراجع
 « وخلت » بدل « حلت » (٦) هو أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح
 ابن عبد الله الأزدي الحميدي من أهل جزيرة ميورقة وأصله من قرطبة
 من رضى الرصافة منها ، رحل إلى المشرق سنة ٤٤٨ هـ وحال في بلاده وأخذ
 عن علمائه واستوطن بغداد ، وكان ذا دين وورع وفضل ونباهة ومعرفة
 واثقان ، وله كتاب ممتع في تاريخ علماء الأندلس وتوفي سنة ٤٨٨ هـ .
 « أحمد يوسف نجاشي » .

الْحِكَايَةُ الْوَاقِعَةَ لِابْنِ أَبِي الْحُبَابِ بِزِيَادَةٍ فَقَالَ - بَعْدَ أَنْ
ذَكَرَ هَذِهِ الْمُنِيَّةَ الْعَامِرِيَّةَ، وَهِيَ إِلَى جَانِبِ الزَّهْرَاءِ - إِنَّ
أَبَا الْمُطَرِّفِ بْنَ أَبِي الْحُبَابِ الشَّاعِرَ دَخَلَ إِلَى الْمَنْصُورِ فِي
هَذِهِ الْمُنِيَّةِ، فَوَقَفَ عَلَى رَوْضَةٍ فِيهَا ثَلَاثُ سَوَسِّنَاتٍ^(١) :

ثِنْتَانِ مِنْهَا قَدْ تَفَتَّحَتَا، وَوَاحِدَةٌ لَمْ تَتَفَتَّحْ، فَقَالَ :

لَا يَوْمَ كَالْيَوْمِ فِي أَيَّامِنَا الْأَوَّلِ

بِالْعَامِرِيَّةِ ذَاتِ الْمَاءِ وَالظُّلْلِ

هَوَاؤُهَا فِي جَمِيعِ الدَّهْرِ مُعْتَدِلٌ

طَيِّبًا وَإِنْ حَلَّ فَضْلٌ غَيْرُ مُعْتَدِلٍ

مَا إِنْ يُبَالِي الَّذِي يَحْتَلُّ سَاحَتَهَا

بِالسَّعْدِ أَلَّا تَحُلَّ الشَّمْسُ فِي الْحَمْلِ

كَأَنَّمَا غُرِسَتْ فِي سَاعَةٍ وَبَدَأَ السَّوُّ

سَانَ مِنْ حِينِهِ فِيهَا عَلَى عَجَلٍ

(١) سبق وصف السوسن وما قيل في لفظه ، وما قيل في وصفه :

وسوسن راق مرآه ومخبرة وجل في أعين الرائين منظره
كأفنة كؤس البلور قد وضعت مسدسات تعالى الله مظهره
وبينها السن قد طرقت ذهباً من بينها قائم بالملك تؤثره

أَبَدَتْ ثَلَاثًا مِنَ السَّوْسَانِ مَائِلَةً
 أَعْنَقَهُنَّ مِنَ الْإِغْيَاءِ وَالْكَسَلِ
 فَبَعْضُ نُوَارِهَا لِلْبَعْضِ ^(١) مُنْفَتِحٌ
 وَالْبَعْضُ مُنْعَلِقٌ عَنْهُنَّ فِي شُغْلٍ
 كَأَنَّهَا رَاحَةٌ ضَمَّتْ أَنْامِلَهَا
 مِنْ بَعْدِ مَا مِلَّتْ مِنْ جُودِكَ الْخَضِيلِ ^(٢)
 وَأُخْتُهَا بَسَطَتْ مِنْهَا أَنْامِلَهَا
 تَرْجُو نَدَاكَ كَمَا عَوَّدَتْهَا فَصِيلُ
 انْتَهَى

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ سَعِيدٍ أَنَّ ابْنَ الْعَرِيفِ النَّحْوِيَّ ^(٣) دَخَلَ
 عَلَى الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ وَعِنْدَهُ صَاعِدُ اللَّغْوِيِّ الْبَغْدَادِيُّ

(١) في بعض النسخ «بالحسن» (٢) الخضل في الأصل الندي الرطب. شبه جوده
 بنبت ريان خضل قد كثرت أوراقه. وتقول هم في خضلة من العيش أى نعمة
 ورفاهية وخصب وفضارة عيش، ونزلنا في خضلة من العشب اذا كان أخضر
 ناعماً رطباً (٣) هو أبو القاسم الحسين بن الوليد، كان اماماً في العربية
 والآداب مقدماً في الشعراء ذا منزلة ومكانة لدى المنصور بن أبي عامر ومن
 يحضر مجالسه ويقربه، رحل الى المشرق وأقام بمصر أعواماً ثم عاد الى الإندلس
 فأدب أولاد المنصور بن أبي عامر وتوفي بمدينة طليطلة سنة ٣٩٠.

فَأَنْشَدَهُ وَهُوَ بِالْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِالْعَامِرِيَّةِ مِنْ أَيْتَاتِ :
 فَالْعَامِرِيَّةُ تَزْهَى عَلَى جَمِيعِ الْمَبَانِي
 وَأَنْتَ فِيهَا كَسَيْفٍ^(١) قَدْ حَلَّ فِي عُغْمَدَانِ
 فَقَامَ صَاعِدٌ - وَكَانَ مُنَاقِضًا لَهُ - فَقَالَ : - أَسْعَدَ اللَّهُ تَعَالَى
 الْحَاجِبَ الْأَجَلَ وَمَكَّنَ سُلْطَانَهُ - هَذَا الشَّعْرُ الَّذِي قَدْ
 أَعَدَّهُ وَرَوَى فِيهِ أَقْدِرُ أَنْ أَقُولَ أَحْسَنَ مِنْهُ أُرْتِجَالًا ،
 فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : قُلْ لِيُظْهَرَ صِدْقُ دَعْوَاكَ ، فَجَعَلَ
 يَقُولُ مِنْ غَيْرِ فِكْرَةٍ طَوِيلَةٍ :

يَأَيُّهَا الْحَاجِبُ أَلُمَّ تَلِي عَلَى كِيَوَانٍ^(٢)
 وَمَنْ بِهِ قَدْ تَنَاهَى فَخَارُ كُلِّ يَمَانٍ
 الْعَامِرِيَّةُ أَضَحَتْ كَجَنَّةِ الرِّضْوَانِ
 فَرِيدَةً لِفَرِيدٍ مَا بَيْنَ أَهْلِ الزَّمَانِ

(١) يريد سيف بن ذي يزن ، من مشهورى ملوك اليمن . وعُغمدان القصر المعروف باليمن ، والبيت يشير الى قول أمية بن أبى الصلت من أَيْتَاتِ يمدح بها ذا يزن :

فاشرب هنيئًا عليك التاج مرتفقا في رأس عُغمدان دارا منك محلا
 (٢) تقدم القول فيه . « أحمد يوسف نجاتي » .

ثُمَّ مَرَّ فِي الشَّعْرِ إِلَى أَنْ قَالَ فِي وَصْفِهَا :
 أَنْظِرْ إِلَى النَّهْرِ فِيهَا يَنْسَابُ كَالشُّبَّانِ
 وَالطَّيْرُ يَخْطُبُ شُكْرًا عَلَى ذُرَا الْأَغْصَانِ
 وَالْقَضْبُ^(١) يَلْتَفُ شُكْرًا بِمَيْسٍ^(٢) الْقُضْبَانِ
 وَالرَّوْضُ يَفْتَرُ^(٣) زَهْوًا عَنْ مَبْسَمِ الْأَقْحَوَانِ
 وَالزَّجْسُ الْغَضُّ يَرْنُو بِوَجْنَةِ النُّعْمَانِ^(٤)
 وَرَاحَةُ الرِّيحِ تَمْتَا رُ نَفْحَةِ الرِّيحَانِ^(٥)
 فَدُمَ مَدَى الدَّهْرِ فِيهَا فِي غِبْطَةٍ وَأَمَانِ
 فَاسْتَحْسَنَ الْمَنْصُورُ أَرْتِجَالَهُ ، وَقَالَ لِابْنِ الْعَرِيفِ :
 مَالِكَ فَائِدَةٌ فِي مُنَاقِضَةٍ مِنْ هَذَا أَرْتِجَالَهُ ، فَكَيْفَ تَكُونُ

(١) القضب كل شجرة طالت وسبّطت أغصانها ، والقضب أيضا شجر سهل يثبت في مجامع الشجر له ورق كورق الكمثرى الا أنه أرق وأنعم وترعى الابل ورقه وأطرافه - والقضبان جمع قضيب وهو الغصن (٢) جمع حائس أي متأن متبختر (٣) أي يضحك إعجابا (٤) شقائق النعمان سبق وصفها (٥) تمتاز : مجاز من الميرة وهي جلب الطعام ، وهو يمتاز لا ولاده أي يجلب لهم أقواتهم - جعل ما يعلق بالريح من طيب رائحة الريحان امتيارا لها .
 وفي بعض المراجع « تمتاز » « أحمد يوسف نجاتي »

(٧ - نفح الطيب - خامس)

رَوَيْتُهُ ؟ فَقَالَ ابْنُ الْعَرِيفِ : إِنَّمَا أَنْطَقَهُ وَقَرَّبَ عَلَيْهِ الْمَأْخَذَ
إِحْسَانُكَ ، فَقَالَ لَهُ صَاعِدٌ : فَيَخْرُجُ مِنْ هَذَا أَنَّ قِلَّةَ
إِحْسَانِهِ لَكَ أَسْكَنْتَكَ وَبَعَدَتْ عَلَيْكَ الْمَأْخَذَ ، فَضَحِكَ
الْمَنْصُورُ وَقَالَ : غَيْرُ هَذِهِ الْمُنَازَعَةِ أَلْيَقُ بِأَدَبِكُمَا
« قُلْتُ » قَدْ ذَكَرَ مُورِّخُو الْأَنْدَلُسِ مِنِّي كَثِيرَةً بِهَا . مِنْهَا
مُنيَةُ النَّاعُورَةِ السَّابِقَةُ ، وَمُنيَةُ الْعَامِرِيَّةِ هَذِهِ ، وَمُنيَةُ
الْشُّرُورِ ، وَمُنيَةُ الزُّيُورِ - مَنْسُوبَةٌ إِلَى الزُّيُورِ بْنِ عُمَرَ
الْمُلْتَمِ مَلِكِ قُرْطُبَةَ

« قَالَ أَبُو الْحَسَنِ » ابْنُ سَعِيدٍ أَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ
قَالَ خَرَجَ مَعِيَ إِلَى هَذِهِ الْمُنيَةِ فِي زَمَانٍ فَتَحَ نُوَّارُ اللُّوزِ
أَبُو بَكْرٍ بْنُ بَقِيٍّ الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ ، فَجَلَسْنَا تَحْتَ سَطْرِ
لُوزٍ قَدْ نَوَّرَ ، فَقَالَ ابْنُ بَقِيٍّ :
سَطْرٌ مِنَ اللُّوزِ فِي الْبُسْتَانِ قَابِلِنِي

مَا زَادَ شَيْءٌ عَلَى شَيْءٍ وَلَا تَقْصَا

كَأَنَّمَا كُلُّ غُصْنٍ كُمٌ جَارِيَةٌ

إِذَا النَّسِيمُ تَنَّى أَعْطَافَهُ رَقْصَا

ثُمَّ قَالَ :

عَجِبْتُ لِمَنْ أَتَيْ عَلَى خَيْرِ دَنِّهِ

غَدَاةَ رَأَى لَوْزَ الْحَدِيقَةِ نَوْرًا

أَنْتَهَى .

« وَذَكَرَ » بَعْضُ مُؤَرِّخِي الْأَنْدَلُسِ أَنَّ الْمَنْصُورَ بْنَ

أَبِي عَامِرٍ كَانَ يَزْرَعُ كُلَّ سَنَةٍ أَلْفَ مُدٍّ ^(١) مِنَ الشَّعِيرِ

قَصَلًا لِذَوَابِّهِ الْخَاصَّةِ بِهِ ، وَأَنَّهُ كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ غَزْوَةٍ

مِنْ غَزَوَاتِهِ لَا يَحُلُّ عَنْ نَفْسِهِ حَتَّى يَدْعُوَ صَاحِبَ الْخَيْلِ

فَيَعْلَمَ مَا مَاتَ مِنْهَا وَمَا عَاشَ ، وَصَاحِبَ الْأُبْنِيَةِ لِمَا وَهَى

مِنْ أَسْوَارِهِ وَمَبَانِيهِ وَقُصُورِهِ وَدُورِهِ ، قَالَ : وَكَانَ لَهُ

دُخَالَةٌ كُلَّ يَوْمٍ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ رِطْلٍ مِنَ اللَّحْمِ - حَاشَا

الصَّيْدَ وَالطَّيْرَ وَالْحَيْتَانَ - وَكَانَ يَصْنَعُ فِي كُلِّ عَامٍ اثْنَيْ عَشَرَ

أَلْفَ تُرْسٍ عَامِرِيَّةٍ لِقَصْرِ الزَّاهِرَةِ وَالزَّهْرَاءِ ، قَالَ وَأَبْتَنَى

عَلَى طَرِيقِ الْمُبَاهَاةِ وَالْفَخَامَةِ مَدِينَةَ الْعَامِرِيَّةِ ذَاتَ الْقُصُورِ

وَالْمُنْتَزَهَاتِ الْمُخْتَرَعَةِ ؛ كَمُنِيَّةِ الشُّرُورِ وَغَيْرِهَا مِنْ مَنَاسِئِهِ

(١) المدي: مكيال ضخمة اختلف في تقديره ولعله نحو ثلث ارباب - والقصص

والقصالة ما عزل من البر اذا نقي فيرمى به . وفي الاصل « قصيلا »

الْبَدِيعَةِ . أَنْتَهَى . وَمِنْ الْمَطْمَحِ : إِنَّ الْمَنْصُورَ لَمَّا فَرَغَ
مِنْ بِنَاءِ الزَّاهِرَةِ غَزَا غَزْوَةً وَأَبْعَدَ فِيهَا الْإِيغَالَ ^(١) ،
وَعَالَ فِيهَا مِنْ عُظَمَاءِ الرُّومِ مَنْ غَالَ ^(٢) ، وَحَلَّ مِنْ
أَرْضِهِمْ مَا لَمْ يُطْرَقْ ، وَرَاعَ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُرْعَ قَطُّ وَلَمْ
يُفْرَقْ ^(٣) ، وَصَدَرَ صَدْرًا سَمَا بِهِ ^(٤) عَلَى كُلِّ حَسَنَاءٍ عَقِيلَةٍ ،
وَجَلَا بِهِ كُلِّ صَفْحَةٍ لِلْحُسْنِ صَقِيلَةٍ ، وَدَخَلَ قُرْطُبَةَ دُخُولًا
لَمْ يُعْهَدْ ، وَشَهِدَ لَهُ فِيهَا يَوْمٌ مِثْلُهُ لَمْ يُشْهَدْ ، وَكَانَ ابْنُ
شُهَيْدٍ مُتَخَلِّفًا عَنْ هَذِهِ الْغَزْوَةِ لِنَقْرِسٍ ^(٥) عَدَاهُ عَائِدُهُ ،
وَحَدَاهُ مُتَجِبُهُ وَرَائِدُهُ - وَأَبْنُ شُهَيْدٍ هَذَا أَحَدُ حُجَّابِ
النَّاصِرِ ، وَلَهُ عَلَى ابْنِ أَبِي عَامِرٍ أَيَادٍ مُحْكَمَةُ الْأَوَاصِرِ ،
وَهُوَ الَّذِي نَهَضَ بِهِ أَوَّلَ أَنْبِعَائِهِ ، وَشَقَى أَمْرَهُ زَمَنَ التِّيَّائِهِ ،

(١) أوغل في البلاد ونحوها وتوغل اذا ذهب فيها وسار فأبعد وبالع ،
وأوغلوا في سيرهم داخلين بين ظهرائي الجبال أو في أرض العدو (٢) غاله :
أهلكه وأخذه من حيث لم يدر (٣) راعه يروعه أفزعه وخوفه ، وفرق
منه « كفرح » اذا جزع وخاف وفزع (٤) صدر أى عاد من غزوته
وفي الأصل « وصد صدر أسماؤه » وهو تحريف مفسد وتصحيف عجيب
(٥) النهقوس درم ووجع في مفاصل الكعبيين وأصابع الرجلين ، وقد يكون
في غيرهما « وأظنه الرومانيزم ، والمرجع للأطباء » وعدها اذا عاقه ومنعه

وخاصَّ المصحف عنه بلسانٍ من الحماية الله ، وتوخاه
 بإحسانٍ قلده من الرعاية ما قلده ، وأسمى رتبته ، وحلّى
 بأعظم جاهٍ جيده ولبته^(١) ، وكان كثيراً ما يُثخفه ،
 ويصله ويلطفه - فلما صدر المنصور من غزوته هذه
 وقفل ، نسي متاحفته أو غفل ، فكتب إليه ابن شهيد :

أنا شيخٌ والشيخُ يهوى الصبأيا
 وبِنَفْسِي أَقِيكَ كُلَّ الرِّزَايَا
 وَرَسُولُ الْإِلَهِ أَشْهَمَ فِي النَّفَى
 لِمَنْ لَمْ يُخَبِّ فِيهِ الْمَطَايَا

وحده أى ساقه ، والمنتجع : طالب النجعة ، والرائد طالب الكلاء ، جعل
 من مرض النقرس - الذى عاق ابن شهيد عن الغزو - منتجعا ورائدا
 « وليس الا الأجسام موضع اتجاعه وارتياده » يحدو الشاعر ليصل به
 الى غرض من النجعة ، وهو مجاز فيه بعض تكلف حمله عليه خيال الشعر
 المنشور وقصد السجع والازدواج والترصيع فيه ، فوازن عداه بحداه ،
 وزاوج بين عائده ورائده ، فكان من ذلك جناس مقصود أيضا - وأصل
 هذه العبارة فى الأصل هكذا « لتفرس عداة عائده ، وحداء منتجعة ورائدة »
 فزاد نقط بعض الحروف فأفسدها ، وجعل العبارة قلقة غير مفهومة .
 « أحمد يوسف نجأتى » (١) كانت هذه العبارة فى الأصل هكذا « وحلى
 بأعظام جاهه لبته » ولا بأس به أيضا ، وكلا المعنيين ظاهر :

فَاجْعَلْنِي - فُديتَ - أَشْكُرُ مَعْرُو

فَكَ وَأَبْعَثْ بِهَا عَذَابَ الثَّنَائَا

فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِعَقِيلَةٍ مِنْ عَقَائِلِ الرُّومِ يَكْنُفُهَا ثَلَاثُ

جَوَارٍ ، كَأَنَّهِنَّ نُجُومٌ سَوَارٍ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ :

قَدْ بَعَثْنَا بِهَا كَشَمْسِ النَّهَارِ

فِي ثَلَاثٍ مِنْ أَلْمَا أَبْكَارِ

فَاتَّبِعْهُ وَأَجْتَهِدْ فَإِنَّكَ شَيْخٌ

سَلَخَ اللَّيْلَ عَنْ يَاضِ النَّهَارِ

صَانَكَ اللَّهُ عَنْ كَلَالِكَ فِيهَا

فَمِنْ أَلْعَارِ كَلَّةُ الْمِسْمَارِ

فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ شُهَيْدٍ :

قَدْ فَضَضْنَا خِتَامَ ذَاكَ السَّوَارِ

وَأَصْطَبَعْنَا مِنَ النَّجِيعِ الْجَارِي

وَنَعِمْنَا فِي ظِلِّ أَنْعَمِ لَيْلٍ

وَلَهَوْنَا بِالْبَدْرِ ثُمَّ الدَّرَارِي

وَقَضَى الشَّيْخُ مَا قَضَى بِحُسَامٍ
ذِي مَضَاءٍ عَضِبَ الظُّبَا بَنَارِ
فَاصْطَنِعَهُ فَلَيْسَ يَجْزِيكَ كُفْرًا
وَأَتَّخِذُهُ سَيْفًا عَلَى الْكُفَّارِ
أُنْتَهَى

وَقَدْ قَدَّمْنَا هَذِهِ الْحِكَايَةَ فِي أَخْبَارِ الْمَنْصُورِ مِنَ الْبَابِ
الثَّالِثِ ، وَلَكِنَّا أَعَدْنَا هُنَا بِلَفْظِ الْمَطْمَحِ لِمَا فِيهِ مِنَ
الْعُدُوبَةِ وَالْفَائِدَةِ الزَّائِدَةِ . وَمِمَّنْ كَانَ فِي أَيَّامِ الْمَنْصُورِ
مِنَ الْوُزَرَاءِ الْمَشْهُورِينَ الْوَزِيرُ الْكَاتِبُ أَبُو مَرْوَانَ عَبْدُ
الْمَلِكِ بْنُ إِدْرِيسَ^(١) الْخَوْلَانِيُّ ، قَالَ فِي الْمَطْمَحِ : عَلِمَ مِنْ
أَعْلَامِ الزَّمَانِ ، وَعَيْنٌ مِنْ أَعْيَانِ الْبَيَانِ ، بَاهِرُ الْفَصَاحَةِ ،
طَاهِرُ الْجَنَابِ وَالسَّاحَةِ ، تَوَلَّى التَّخْيِيرَ أَيَّامَ الْمَنْصُورِ
وَالْإِنْشَاءَ ، وَأَشْعَرَ بِدَوْلَتِهِ الْأَفْرَاحَ وَالْإِنْتِشَاءَ ، وَلَبَسَ
الْعِزَّةَ مُدَّةَ صَافِيَةِ الْبُرُودِ ، وَوَرَدَ بِهَا النُّعْمَةَ صَافِيَةَ الْوُرُودِ ،

(١) هو المعروف بابن الجزيري الأردني ، وتقدمت ترجمته ، وتوفي بالمطابق
« سجن المنصور بن أبي عامر » في نسخة المظفر عبد الملك بن أبي عامر
في ذي القعدة سنة ٣٩٤ هـ « أحمد يوسف نجاتي » .

وَأَمْتَطَى مِنْ جِيَادِ التَّوْجِيهِ^(١)، أَعْنَقَ مِنْ لَاحِقٍ وَالْوَجِيهِ^(٢)،

(١) التوجيه أى التشریف ، تقول وجه الأمير فلانا وأوجهه أى صبره وجيها ، قال امرؤ القيس :

وناديت قيصر فى ملكه فوجهنى وركبت البريدا

هذا ولا يخفى مافى « لاحق ، والوجيه » من النورية والتوجيه . « أحمد يوسف نجاشى » (٢) فى الأصل وفى كل المراجع « وأعنى » أو « وأعنى » ونرى فى الرواية الثانية تصحيفا وزيادة ، وفى الأولى زيادة فحسب إلا أنها مفسدة ، لأننا نرى أن « أعنى » إنما هو مفعول « امتطى » وأعنى أى أسرع من العنق وهو ضرب من السير فيه سرعة واستمرار ومنه قول أبى النجم :

ياناق سبرى عنقا فسيحا الى سليمان فنستريحا

« وفعله كفرح » وأعنى - وعنقت السحابة اذا خرجت من معظم الغيم هذا ولاحق والوجيه اسما فرسين جوادين معروفين ، ولاحق الأكبر كان لغنى بن أعصر ، ولاحق أيضا اسم فرس لعينة بن الحرث بن شهاب ولاحق الأصغر لبني أسد ، وهو من بناته ، قال النابغة :

فيهم بنات العسجدى ولاحق ورق مراكلها من الاضمار

وقال الكميت :

نجائب من آل الوجيه ولاحق تذكرنا أحفادنا حين نسهل

وقال طفيل الغنوى :

بنات الغراب والوجيه ولاحق وأعوج تنمى نسبة المتنسب

« العسجدى » فى بيت النابغة نسبة الى عسجد وهو اسم فحل من فحول الابل ، أو هى ابل كانت تزين للنعمان بن المنذر ، والأورق من الابل مافى لونه بياض الى سواد ، والورقة سواد فى غبرة ، ومراكل الدابة ماتصيبه رجل الراكب منها ، واضمارها : اعدادها للسباق فى الاضمار « وغراب » اسم

وَتَمَادَى طَلْقُهُ^(١) ، وَلَا أَحَدَ يَلْحَقُهُ ، إِلَى أَيَّامِ الْمُظَفَّرِ
فَمَشَى عَلَى سَنَنِهِ^(٢) ، وَتَمَادَى السَّعْدُ يَتَرَنَّمُ عَلَى فَنَنِهِ ، إِلَى
أَنْ قَتَلَ الْمُظَفَّرُ صِهْرَهُ عَيْسَى بْنَ الْقَطَّاعِ ، صَاحِبَ دَوْلَتِهِ
وَأَمِيرَهَا الْمُطَّاعَ ، وَكَانَ أَبُو مَرْوَانَ قَدِيمَ الْأَصْطِنَاعِ لَهُ
وَالْإِنْقِطَاعِ ، فَاتَّهَمَ مَعَهُ ، وَكَادَ أَنْ يَذُوقَ حَمَامَهُ
وَمَضْرَعَهُ^(٣) ، إِلَّا أَنَّ إِحْسَانَهُ شَفَعَ ، وَبَيَّانَهُ نَفَعَ^(٤)
وَدَفَعَ ، فَحُطَّ عَنْ تِلْكَ الرُّتَبِ ، وَحُمِلَ إِلَى طَرَطُوشَةٍ عَلَى
الْقَتَبِ^(٥) ، فَبَقِيَ هُنَالِكَ مُعْتَقِلًا فِي بُرْجٍ مِنْ أَبْرَاجِهَا نَائِي
الْمُنْتَهَى ، كَأَنَّمَا يُنَاجِي السُّهَاءَ^(٦) قَدْ بَعُدَ سَاكِنُهُ عَنْ

فرس كانت لابراء بن قيس ، واسم أخري كانت لغني ابن أعصر ، وكذا
« أعوج » سمى أعوج لأنهم حملوه في خرج وهو صغير وهربوا به
لنفاسته عندهم وهم في غارة شنت عليهم فاءوج في ذلك الخرج ، ولهم
في سيرة أعوج وأخباره أمور قد تستبعد . « أحمد يوسف نجاني » .
(١) الطلق: الشوط والغاية التي يجري إليها الفرس - ولا يخفى مراعاة النظر
في الجمل الثلاث (٢) سنن الطريق نهجه وجهته ومحجته ، يقال أقام فلان على
سنن واحد ، وامض على سننك أي على وجهتك التي أنت عليها (٣) في
بعض المراجع : وكاد أن يذوق الحمام ويجرعه (٤) في نسخة « منع » بهل
« نفع » وهي أليق مما بعدها (٥) القتب للجمل كالا كاف لغيره ، أو هو
عام للابل وغيرها وهو الظاهر هنا (٦) السها كوكب بعيد خفي الضوء يكون
مع الكوكب الأوسط من بنات نعش . « أحمد يوسف نجاني »

الأنيس ، وقعد من النجم بمنزلة الجليس ، تمر الطيور
دونه ولا تجوزه^(١) ، ويرى منه الثرى ولا يكاد يحوزه ،
فبقي فيه دهرًا لا يرتقي إليه راق ، ولا يرجى لبثه من
راق^(٢) ، إلى أن أخرج منه إلى ثراه^(٣) ، وأستراح مما
عراه . فمن بديع نظميه قوله يصف المعقل ، الذي
فيه اعتقل :

يأوى إليه كلُّ أغور ناعقٍ

وتهبُّ فيه كلُّ ريحٍ صرصر^(٤)

(١) كناية عن شدة علوه الشاهق ، وجاز المكان : تعدها وفاته (٢) البث
الحال والحزن الشديد والغم الذي يفضى به المرء الى صاحبه - و « راق »
هنا « فاعل » من الرقية أى العوذة التى يرقى بها صاحب الآفة ، وقوله
تعالى : « وقيل من راق » أى لاراقى يرقيه فيحميه ويصرف السوء عنه
ولا بأس أن يكون « راق » مشددا اسم فاعل من رق يرق رقة « بل
لعله أنسب » . « أحمد يوسف نجاشى » (٣) كناية عن موته ودفنه (٤) من
معانى الأغور الضعيف الجبان البليد الذى لا يدل على خير ولا يهتدى اليه
ولا خير فيه ، والدليل السيء الدلالة - والأغور الغراب « وهو يناسب
كلية ناعق » سمي بذلك على التشاؤم به لأن الأغور عندهم مشثوم
أولاه إذا أراد أن يصيح أغمض عينيه أو احداها - ونعق الغراب إذا
صاح ، والأفصح أن يقال فى الغراب « نعق » بالغين المعجمة « من بابى
ضرب ومنع » تعيقا وتعاقا إذا صاح ، أو يقال « نعق » فى الخير و « نعب »

وَيَكَادُ مَنْ يَرُقَى إِلَيْهِ مَرَّةً

مِنْ عُمْرِهِ يَشْكُو انْقِطَاعِ الْأُبْهَرِ^(١)

وَدَخَلَ لَيْلَةً عَلَى الْمَنْصُورِ وَالْمَنْصُورُ قَدْ اتَّكَأَ
وَأُرْتَفَقَ^(٢) ، وَتَحَلَّى بِمَجْلِسِهِ ذَلِكَ الْأَفُقُ ، وَالْدُّنْيَا بِمَجْلِسِهِ
ذَلِكَ مَسُوقَةٌ^(٣) وَأَحَادِيثُ الْأَمَانِيِّ بِهِ مَنُوقَةٌ ، فَأَمَرَهُ
بِالنُّزُولِ عِنْدَهُ فَتَزَلَّ فِي جُمْلَةِ الْأَصْحَابِ ، وَالْقَمَرُ يَظْهَرُ
وَيَحْتَجِبُ فِي السَّحَابِ ، وَالْأَفُقُ يَبْدُو بِهِ أَغَرَ ثُمَّ يَعُودُ
مُبْهِمًا^(٤) ، وَاللَّيْلُ يُتَرَاءَى مِنْهُ أَشْقَرُ ثُمَّ يَعُودُ أَدْهَمًا^(٥) ،

في الشر ، ويقال أيضا نفق في الشر - وريح صرصر أى شديدة الصوت
أو قارسة البرد (١) الأُبْهَرُ : عرق يستبطن الصلب والقلب ، فإذا انقطع
لم تكن معه حياة ، أو هو الأَكْحَلُ ، وهما أبهران يخرجان من القلب
ثم يتشعب منهما سائر الشرايين (٢) أى اعتمد على مرفق يده متكئا أو على
مخدة مثلا (٣) هذه الجملة في الأصل هكذا : فكم أمانيا بمجلسه ذلك مسوقة .
وهي ان خلت من التحريف لانسلم من التكرار مع بعدها مع خلوها من المبالغة
ووصف الملك بالأمر وانتهى والتصرف في أمور الدنيا ، وبصح أن تكون
« مشوقة » (٤) من قولهم : ليل بهيم أى أسود صُدا لأغر « الأبيض » ومن
أمثالهم : هذا أمر لا أغر ولا بهيم : إذا كان مشكلا لم تتضح جهته واستقامته
ومعرفته ، وطريق مبهم خفي لا يستبين (٥) الشقرة بياض تعلوه حمرة
صافية - والدهمة : السواد . « أحمد يوسف نجاتي » .

وَأَبُو مَرْوَانَ قَدْ أَنْتَشَى ، وَجَالَ فِي مَيْدَانِ الْأَنْسِ وَمَشَى ،
وَبُرْدُ خَاطِرِهِ قَدْ دَبَّجَهُ^(١) الشُّرُورُ وَوَشَى ، فَأَقْلَقَهُ ذَلِكَ
الْمَغِيبُ وَالْإِلْتِيَاخُ^(٢) ، وَأَنْطَقَهُ ذَلِكَ الشُّرُورُ وَالْإِرْتِيَاخُ .
فَقَالَ :

أَرَى بَدَرَ السَّمَاءِ يُلُوحُ حِينًا
فَيَبْدُو ثُمَّ يَلْتَحِفُ السَّحَابَا
وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا تَبَدَّى
وَأَبْصَرَ وَجْهَكَ أُسْتَحْيَا فَقَابَا
مَقَالَ لَوْ نَمَى عَنِّي^(٣) إِلَيْهِ
لَرَأَجَعَنِي بِذَا حَقًّا جَوَابَا
وَلَهُ فِي مُدَّةِ أَعْتِقَالِهِ ، وَتَرَدُّدِهِ فِي قَيْلِهِ وَقَالَهِ^(٤) :

(١) أى نقشه وزينه ، ووشى الثوب نقشه وحسنه (٢) من لاح النجم
وألح اذا بدا وأضاء وتلألأ قال المتنلس :

وقد ألح سهيل بعد ما هجعوا كأنه ضرم بالكف مقبوس
(٣) فى الأصل « عندى » وهو تحريف غير مناسب ، وفى البيتين الأولين
حسن تعليل بديع ، والبيت الثالث أحفظه هكذا :

مقال لو نعى عنى اليه لراجعنى بتصديقى جوابا
ونعى الحديث الى فلان اذا ارتفع اليه وبلغه . « أحمد يوسف نجاتى » .
(٤) فى بعض المراجع « وتردده فى قيده وعقاله »

شَحَطَ الْمَزَارُ فَلَا مَزَارَ وَنَافَرَتْ
 عَيْنِي الْهُجُوعَ فَلَا خِيَالٍ يَعْتَرِي^(١)
 أَزْرَى بِصَبْرِي وَهُوَ مَشْدُودُ الْعُرَا
 وَأَلَانَ عُوْدِي وَهُوَ صُلْبُ الْمَكْسِرِ^(٢)
 وَطَوَى سُرُورِي كُلَّهُ وَتَلَذَّذِي
 بِالْعَيْشِ طَى صَحِيفَةٍ لَمْ تُنْشَرْ
 هَا إِنَّمَا أَلْقَى الْحَبِيبَ تَوْهَمًا
 بِضَمِيرٍ تَذْكَارِي وَعَيْنٍ تَذْكَرِي
 عَجَبًا لِقَلْبِي يَوْمَ رَاعَتْنِي النَّوَى
 وَدَنَا وَدَاعٌ كَيْفَ لَمْ يَتَفَطَّرْ؟

(١) شحط المزار « كمنع » اذا بعد ، تقول لأنساك على بعد الدار وشحط المزار ، وقال النابغة :

وكل قرينة ومقر ألف مفارقة الى الشحط الفرين
 (٢) أزرى به أى قصر به أو عابه. ورجل صلب المكسر أى قوى شديد،
 والمكسر موضع الكسر أو الخبر ، ويقال فلان طيب المكسر أو ردىء
 المكسر ، وأصله من كسر ك العود لتخبره أصلب هو أم رخو؟ يقوله:
 ان بعده عن أحبابه لاعتقاله وسجنه أو هى قوة صبره بعد أن كان جلدا
 وأخضع نفسه وقد كان ممتنعا ألبا ، وكسر من سورته بعد أن كان لا تلينه
 الشدائد، والسجن قبر الأحياء، وشهامة الأعداء « أحمد يوسف نجاتي »

« رَجِعْ إِلَى الْمَنْصُورِ » وَكَانَ الْمَنْصُورُ إِذَا أَرَادَ أَمْرًا
 مِنْهُمَا شَاوَرَ أَرْبَابَ الدَّوْلَةِ وَالْأَكَابِرَ مِنْ خُدَّامِ الدَّوْلَةِ
 الْأُمَوِيَّةِ ، فَيُشِيرُونَ عَلَيْهِ بِالْوَجْهِ الَّذِي عَرَفُوهُ وَجَرَتْ
 الدَّوْلَةُ الْأُمَوِيَّةُ عَلَيْهِ ، فَيُخَالِفُهُمْ إِلَى الْمَنْهَجِ الَّذِي ابْتَدَعَهُ
 فَيَقْضُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِالْهَلَاكِ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي سَلَكَهُ
 وَالْمُهْيِجِ ^(١) الَّذِي اخْتَرَعَهُ ، فَتُسْفِرُ الْعَاقِبَةُ عَنِ السَّلَامَةِ
 التَّامَّةِ الَّتِي اقْتَضَاهَا سَعْدُهُ ، فَيَكْثُرُونَ التَّعَجُّبَ مِنْ مَوَارِدِ
 أُمُورِهِ وَمَصَادِرِهَا . وَقِيلَ لَهُ مَرَّةً : إِنَّ فُلَانًا مَشْتُومٌ فَلَا
 تَسْتَخْدِمُهُ ، فَقَالَ : أَفَ لِسَعْدٍ لَا يُعْطَى عَلَى شُؤْمِهِ ! فَاسْتَخْدَمَهُ
 وَلَمْ يَنْلَهُ مِنْ شُؤْمِهِ الَّذِي جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ شَيْءٌ . وَحُكِيَ
 عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ فِي قَصْرِهِ الَّذِي بِالزَّاهِرَةِ ، فَتَأَمَّلَ مُحَاسِنَهُ
 وَنَظَرَ إِلَى مِيَاهِهِ الْمُطَرَّدَةِ ، وَأَنْصَتَ لِأَطْيَارِهِ الْمُغَرَّدَةِ ، وَمَلَأَ

(١) طريق مهيج : واسع بين منبسط « وهو مفعول من التهيج وهو
 الانبساط والاتساع » ومن كلام سيدنا علي : « اتقوا البدع والزموا المهيع »
 وقال الشاعر :

ان الصنعة لانكون صنعة حتى يصاب بها طريق مهيع

عَيْنُهُ مِنَ الَّذِي حَوَاهُ مِنْ حُسْنٍ وَجَمَالٍ ، وَالتَفَتَ فِي الزَّاهِرَةِ
 مِنَ الْيَمِينِ إِلَى الشَّمَالِ ، فَاحْدَرَتْ دُمُوعُهُ وَتَجَهَّمُ^(١) وَقَالَ :
 وَيْلٌ لَكَ يَا زَاهِرَةٌ ! فَلَيْتَ شِعْرِي مَنْ الْخَائِنُ الَّذِي يَكُونُ
 خَرَابُكَ عَلَى يَدَيْهِ عَنْ قَرِيبٍ ؟ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ خَاصَّتِهِ : مَا هَذَا
 الْكَلَامُ الَّذِي مَاسَمِعْنَاهُ مِنْ مَوْلَانَا قَطُّ ؟ وَمَا هَذَا الْفِكْرُ
 الرَّدِيُّ الَّذِي لَا يَلِيقُ بِمِثْلِهِ شَغْلُ الْبَالِ ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ
 لَتَرُونَّ مَا قُلْتُ ، وَكَأَنِّي بِمَحَاسِنِ الزَّاهِرَةِ قَدْ مُحِيتُ ،
 وَبِرُسُومِهَا قَدْ غُيِّرَتْ ، وَبِمَعَانِيهَا قَدْ هُدِّمَتْ وَنُحِيتُ ،
 وَبِخَزَائِنِهَا قَدْ نُهِبَتْ ، وَبِإِسَاحَاتِهَا قَدْ أُضْرِمَتْ بِنَارِ الْفِتْنَةِ
 وَالْهَبْتِ .

* *

وفاة المنصور
 وقيام سنجول
 بالأمر

« قَالَ الْخَلَاكِيُّ » فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا أَنْ تُوفِّيَ الْمَنْصُورُ
 وَتَوَلَّى الْمُظْفَرُ ، فَلَمْ تَطُلْ مُدَّتُهُ ، فَقَامَ بِالْأَمْرِ أَخُوهُ
 عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمُلَقَّبُ بِسَنَجُولَ ، فَقَامَ عَلَيْهِ الْمَهْدِيُّ وَالْعَامَّةُ

(١) تجهم له اذا عبس واستقبله بوجه باسر كربه : « أحمد يوسف نجاتي »

وَكَاثَتْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ وَعَلَى قَوْمِهِ الطَّامَّةُ^(١)، وَأُنْقَرَضَتْ دَوْلَةُ
 آلِ عَامِرٍ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ آمِرٌ:
 كَانَ لَمْ يَكُنْ يَبْنِي الْحُجُونَ إِلَى الصَّفَا
 أَنِيسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرٌ^(٢)

(٢) الطامة: الداهية تطم أى تعلو وتغلب ماسواها (٢) الحجون جبل بمكة
 مكة على أقل من فرسخين من مكة، وكان عنده مدافن أهلها قال الأعرابي:
 فما أنت من أهل الحجون ولا الصفا ولا لك حق الشرب في ماء زمزم
 والبيتان من أبيات قالها عمرو بن الحرث بن مضاخ الجرهمي «جاهلي
 قديم» يتأسف على البيت ويتشوق مكة: لما أجلتهم عنها خزاعة، وقبلهما:
 وكنا ولاية البيت من بعد نابت نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
 وصاهرنا من أكرم الناس والدا فأبناؤه منا ونحن الأصاهر
 ونابت هو ابن سيدنا اسمعيل، وهو أكرم الناس والدا الذي صاهر قبيلة
 جرهم كما هو معروف. وبعدهما:

فأخرجنا منها المليك بقدرة كذلك يال للناس تجرى المقادر
 فصرنا أحاديثا وكنا بغبطة كذلك عضتنا السنون الغواير
 وبد لنا كعب بها دار غربة بها الذئب يعوى والعدو المكاشر
 فسحت دموع العين تجري لبلدة بها حرم أمن وفيها المشاعر
 وعثر جده إذا ساء حظه وانقلب سعدة نحسا، وصروف الليالي: حوادثها المتغيرة
 وكانت جرهم قد غلبت على ولاية البيت الحرام بعد اسماعيل وابنه، ثم بغت
 بمكة واستحلوا أموال الكعبة واتهكوا حرمتها فسلط الله عليهم الآفات
 وأجلى خزاعة من بقى منهم، فذلك معنى الأبيات بإيجاز «أحمد يوسف نجاتي»

يَلِي نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا فَأَبَادَنَا

صُرُوفُ اللَّيَالِي وَأُجْدُودُ الْعَوَائِرُ

وَحُرِّبَتِ الزَّاهِرَةُ وَمَضَتْ كَأَمْسِ الدَّائِرِ ، وَخَلَتْ

مِنْهَا الدُّسُوتُ^(١) الْمُلُوكِيَّةُ وَالْمَنَابِرُ^(٢) ، وَأُسْتُوَلِيَ النَّهْبُ

عَلَى مَا فِيهَا مِنَ الْعُدَّةِ وَالذَّخَائِرِ وَالسَّلَاحِ ، وَتَلَاشَى أَمْرُهَا

فَلَمْ يُرْجَ لِفَسَادِهَا صَلَاحٌ ، وَصَارَتْ قَاعًا^(٣) صَفْصَفًا ، وَبُدِّلَتْ

(١) الدسوت : جمع دست ، وهو لفظ معرب عن « دشت » أو عن « دسّتي » ويطلق في العربية على أربعة معان ؛ وهي اللباس والرياسة والحيلة ودست القهار « واستعمله المتأخرون بمعنى الديوان ومجلس الوزارة والرياسة » وقد جمع معانيها الحريري في المقامة الثالثة والعشرين في قوله : ناشدتك الله أأست الذي أعاره الدست ، فقلت لا والذي أجلسك في هذا الدست ، ما أنا بصاحب ذلك الدست ، بل أنت الذي تم عليه الدست . فالدست الأول اللباس ، والثاني صدر المجلس ، والثالث اللعبة والحيلة ، وهم يقولون لمن غلب : تم عليه الدست ، وانقلب عليه الدست ، ومن الأخير دست الشطرنج ، ويقال فلان حسن الدست ، أي شطرنجي حاذق . ويسلى نفسى قول الشاعر :

يقولون ساد الأردلون بأرضنا وصار لهم مال وخيل سوابق
فقلت لهم شاخ الزمان وإنما تفرزن في أخرى الدسوت البيادق
ويطلق الدست على التمكن في المناصب ، وأنسب المعاني هنا صدر المجلس وديوان الرياسة . « أحمد يوسف نجاتي » .

(٢) في الأصل « الدساكر » والمنابر أولى لفظا ومعنى (٣) القاع : أرض سهلة مطمئنة واسعة مستوية لا حزونة فيها ولا ارتفاع ولا انهباط قد

(٨ - نفح الطيب - خامس)

أَيَّامَ التَّرَحُّ بِأَيَّامِ الْفَرَحِ وَالصَّفَا^(١)

« وَيُرْوَى » أَنَّ بَعْضَ أَوْلِيَاءِ ذَلِكَ الزَّمَانِ مَرَّ بِهَا
وَنَظَرَ إِلَى مَصَانِعِهَا^(٢) السَّامِيَةِ الْفَائِقَةِ ، وَمَبَانِيهَا الْعَالِيَةِ
الرَّائِقَةِ ، فَقَالَ : يَا دَارُ فَيْكِ مِنْ كُلِّ دَارٍ ، فَجَعَلَ اللَّهُ مِنْكَ
فِي كُلِّ دَارٍ .

« قَالَ الْخَالِكِيُّ » فَلَمْ تَكُنْ بَعْدَ دَعْوَةِ ذَلِكَ الرَّجُلِ
الصَّالِحِ إِلَّا أَيَّامٌ يَسِيرَةٌ حَتَّى نُهِبَتْ ذَخَائِرُهَا ، وَغُمَّ بِالْخَرَابِ
سَائِرُهَا ، فَلَمْ تَبْقَ دَارٌ فِي الْأَنْدَلُسِ إِلَّا دَخَلَهَا مِنْ فِيئِهَا
حِصَّةٌ كَثِيرَةٌ أَوْ قَلِيلَةٌ ، وَحَقَّقَ اللَّهُ تَعَالَى دُعَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلِ
الَّذِي هَمَّتْهُ مَعَ رَبِّهِ جَلِيلَةٌ .

« وَلَقَدْ حُكِيَ » أَنَّ بَعْضَ مَا نُهِبَ مِنْهَا يَبِيعُ بِبَغْدَادَ

انفجرت عنها الجبال والآكام، ولا حصى فيها ولا حجارة، ولا تنبت الشجر،
وما حولها أرفع منها - أو هو ما استوى من الأرض وصلب ولم يكن فيه
نبات. والصمصم: المستوى من الأرض لا نبات فيه، ومنه قوله تعالى: « فيندرها
قاعا صمصما » (١) في الأصل « وبدلت بأيام الترح عن أيام » الخ وهو خلاف
الاستعمال العربي الذي إذا اتبع - واتباعه واجب - أدى إلى ضد المقصود
« أحمد يوسف نجاتي » (٢) المصانع: المباني والقصور جمع مصنع أو مصنعة

وغيرها من البلاد المشرقية ، فسبحان من لا يزول سلطانه
ولا ينقضي ملكه ، لا إله إلا هو .

« وتذكرت » هنا ما رآه في المنام بعض أهل
المغرب بالليلة التي أنقرض فيها ملك الموحدين أن
شخصاً ينشده :

ملك بني مؤمن تولى
وكان فوق السماء سميكة^(١)

فاعتبروا وأنظروا وقولوا
سبحان من لا يبدى ملكه
« لا إله إلا هو »

وكان المهدي القائم على العالمين ماجناً فاتكاً ، قال
وقد حيّاه في مجلس شرابه غلام يقضيبي آس :
أهديت شبه قوامك الميأس
غصناً رطيباً ناعماً من آس .

(١) بريد بن عبد المؤمن بن علي - وسمك البناء : ارتفاعه وعلوه ، والسمك
أيضا : السقف ، أو هو من أعلى البيت إلى أسفله . « أحمد يوسف نجاتي »

وَكَأَنَّمَا يَحْكِيكَ فِي حَرَكَاتِهِ

وَكَأَنَّمَا تَحْكِيهِ فِي الْأَنْفَاسِ

وَكَانَ الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ حِينَ تَغَلَّبَ عَلَى مُلْكِ
الْأُمَوِيِّينَ غَيْرَ مُكْتَرِتٍ بِمِثْلِ الْمَهْدِيِّ الْمَذْكُورِ ، فَسَلَّطَهُ
اللَّهُ تَعَالَى عَلَى كُلِّ مَا أُسِّسَهُ الْمَنْصُورُ حَتَّى هَدَمَهُ ، وَآخَرَ
كُلَّ مَا قَدَّمَهُ ، وَلَمْ يَنْفَعْ فِي ذَلِكَ أُحْتِيَاطٌ وَلَا حَزْمٌ ، وَلَا
رَادٌّ لِلْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ الْجَزْمِ .

وَاللَّهُ يَحْكُمُ مَا يَشَاءُ ، فَلَا تَكُنْ مُتَعَرِّضًا

وَقَدْ قَدَّمْنَا شَيْئًا مِنْ أَخْبَارِ الْمَنْصُورِ ، وَلَا بَأْسَ أَنْ
نُلِمَّ^(١) هُنَا بَعْضُهَا وَإِنْ حَصَلَ مِنْهُ نَوْعٌ تَكَرَّرَ فِي بُدْءِ
مِنْهَا لِإِزْتِبَاطِ الْكَلَامِ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ

« قَالَ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ » حَجَرَ

طرف من أخبار
المنصور

الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ عَلَى هِشَامِ الْمُؤَيَّدِ بِحَيْثُ لَمْ يَرَهُ
أَحَدٌ مُنْذُ وَلِيَ الْحِجَابَةَ ، وَرُبَّمَا أَرْكَبَهُ بَعْضُ^(٢) سِنِينَ

(١) فِي الْأَصْلِ « تَسْكَام » وَالْأَوَّلَى مَا ثَبَتْنَاهُ (٢) فِي بَعْضِ الْمَرَاJعِ « بَعْدَ »

وَجَعَلَ عَلَيْهِ بُرْنَسًا وَعَلَى جَوَارِيهِ مِثْلُ ذَلِكَ فَلَا يُعْرِفُ
 مِنْهُمْ ، وَيَأْمُرُ مَنْ يُنَحِّي النَّاسَ مِنْ طَرِيقِهِ حَتَّى يَنْتَهِيَ
 الْمُؤَيَّدُ إِلَى مَوْضِعٍ تَتَرَاهُ ثُمَّ يَعُودُ ، غَيْرَ أَنَّهُ أَرَكَبَهُ
 بِأُهَّةِ الْخِلَافَةِ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ لِعَرَضٍ لَهُ كَمَا أَلْمَعْنَا
 بِهِ فِيمَا سَبَقَ . وَكَانَ الْمَنْصُورُ إِذَا سَافَرَ وَكَلَّ بِالْمُؤَيَّدِ
 مَنْ يَفْعَلُ مَعَهُ ذَلِكَ ، فَكَانَ هَذَا مِنْ فِعْلِهِ سَبَبًا لِانْقِطَاعِ
 مُلْكِ بَنِي أُمَيَّةَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ ، وَأَخَذَ مَعَ ذَلِكَ فِي قَتْلِ
 مَنْ يَخْشَى مِنْهُ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ خَوْفًا أَنْ يَثُورُوا بِهِ ،
 وَيُظْهِرُ أَنَّهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ شَفَقَةً عَلَى الْمُؤَيَّدِ ، حَتَّى أَفْنَى
 مَنْ يَصْلَحُ مِنْهُمْ لِلْوِلَايَةِ ، ثُمَّ مَرَّقَ بَاقِيَهُمْ فِي الْبِلَادِ ،
 وَأَدْخَلَهُمْ زَوَايَا الْخُمُولِ عَارِينَ مِنَ الطَّرَافِ وَالتَّلَادِ ،
 وَرُبَّمَا سَكَنَ بَعْضُهُمُ الْبَادِيَةَ ، وَتَرَكَ مَجْلِسَ الْأُهَّةِ
 وَنَادِيَهُ ، حَتَّى قَالَ بَعْضُ مَنْ يَنْقِمُ عَلَى الْمَنْصُورِ ذَلِكَ
 الْفِعْلَ مِنْ قَصِيدَةٍ :

أَبْنَى أُمَيَّةَ أَيْنَ أَقْمَارُ الدُّجَى

مِنْكُمْ وَأَيْنَ نُجُومُهَا وَالْكَوْكَبُ ؟ !

غَابَتْ أُسُودٌ مِنْكُمْ عَنْ غَايَهَا
 فَلِذَاكَ حَازَ الْمَلِكُ هَذَا الثَّغْلُ
 مَعَ أَنْ لِلْمَنْصُورِ مَفَاخِرَ ، بَدَّ^(١) بِهَا الْأَوَائِلَ
 وَالْأَوَاخِرَ ، مِنْ الْمُثَابَرَةِ عَلَى جِهَادِ الْعَدُوِّ ، وَتَكَرَّرِ
 الذَّهَابِ بِنَفْسِهِ فِي الرِّوَاكِ وَالْعُدُوِّ ، وَلَهُ مَعَ الْمُصْحَفِيِّ
 وَغَيْرِهِ أَخْبَارٌ مَرَّتْ ، وَيَأْتِي بَعْضُهَا . وَلَا بَأْسَ أَنْ نُلَخِّصَ
 تَرْجَمَةَ الْمُصْحَفِيِّ فَقُولُ^(٢) .

« قَالَ الْفَتْحُ فِي الْمَطْمَحِ » الْحَاجِبُ جَعْفَرُ الْمُصْحَفِيِّ ؛ تَجَرَّدَ
 لِلْعُلْيَا ، وَتَمَرَّدَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا ، حَتَّى بَلَغَ الْمُنَى ، وَتَسَوَّغَ ذَلِكَ
 الْجَنَى ، فَسَادُوا نَسَابَةً ، وَأُرْتَقَى^(٣) إِلَى رُتْبَةٍ لَمْ تَكُنْ لِبَيْتِهِ^(٤)

جعفر المصحفي

(١) أى غلب وفاق وعلا ، وفي الأصل « لذ » وهو تصحيف .
 « أحمد يوسف نجاتي » (٢) قد سبقت له ترجمة في الجزء الثالث ببعض تصرف
 في عبارة المطمح هذه (٣) في الأصل « وارتقى » ومارأينا أحسن (٤) في
 بعض المراجع « لبنيته » وفي أخرى « لنفسه » وهي أبعد الروايات عندي
 فلم تكن نفس المصحفي دنيئة ولا وضعية بهذه الدرجة ، وقد سبقت كلمتنا
 فيه وفي بعض أهل بيته ، ولعلنا نخصه هو ومن نعرفهم من أسرته بمقال
 خاص ، نفي أثناء كلامنا على الأدب بالأندلس في كتابنا الجامع « آداب
 اللغة العربية » ان شاء الله . « أحمد يوسف نجاتي » .

بِمُطَابَقَةٍ ، وَالتَّاحَ فِي أَفْيَاءِ^(١) الْخِلَافَةِ ، وَارْتَاَحَ^(٢) إِلَيْهَا
بِعِطْفِهِ كَنَشْوَانِ السَّلَافَةِ ، وَأَسْتَوَزَرَهُ الْمُسْتَنْصِرُ ، وَعَنْهُ
كَانَ يَسْمَعُ وَبِهِ كَانَ يُبْصِرُ ، فَأَذْرَكَ بِذَلِكَ مَا أَدْرَكَ ،
وَنَصَبَ لِأَمَانِيهِ الْحَبَائِلَ وَالشَّرَكَ ، وَأَقْتَنَى وَأَدَّخَرَ ،
وَأَزْرَى بِمَنْ سِوَاهُ وَسَخَّرَ^(٣) ، وَأَسْتَعِظَفَهُ الْمَنْصُورُ
مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ وَنَجْمُهُ بَعْدُ غَائِرٌ لَمْ يَلُحْ ، وَسِرُّهُ
مَكْتُومٌ لَمْ يَبْحَ ، فَمَا عَظَفَ ، وَلَا جَنَى مِنْ رَوْضَةِ
دُنْيَاهُ وَلَا قَطَفَ ، فَأَقَامَ فِي تَذْيِيرِ الْأَنْدَلُسِ مَا أَقَامَ
وَالْأَنْدَلُسُ مُتَغَيِّرَةٌ ، وَالْأَذْهَانُ فِي تَكْيِيفِ سَعْدِهِ مُتَحَيِّرَةٌ ،
فَنَاهِيكَ مِنْ ذِكْرِ خَلَدٍ ، وَمِنْ فَخْرِ تَقَلَّدٍ ، وَمِنْ صَعْبِ
رَاضٍ^(٤) ، وَجَنَاحِ فِثْنَةٍ هَاضٍ^(٥) ، وَلَمْ يَزَلْ بِنِجَادِ تِلْكَ
الْخِلَافَةِ مُعْتَقِلًا^(٦) ، وَفِي مَطَالِعِهَا مُنْتَقِلًا ، إِلَى أَنْ تُؤَفَّى

(١) كذا بالأصل هنا والمطمح ، وهي فيما تقدم « أفق » وهي أظهر
وأحسن (٢) ارتاح الى كذا اذا اهتزله طرباوسرورا ، والارتياح الاختيل
(٣) سخر منه « كفرح » هزى به ، وسخره « كمنعه » قهره وكلفه
ملا يريد (٤) راض الدابة يروضها : ذللها ووطأها (٥) هاض العظم يهيضه
اذا كسره بعد الجبور ، وهو أشد ما يكون من الكسر (٦) النجاد : ما وقع

الْحَكْمُ ، فَانْتَقَضَ عَقْدُهُ الْمُحْكَمُ ، وَأُنْبِرَتْ إِلَيْهِ
النَّوَائِبُ ، وَتَسَدَّدَتْ إِلَيْهِ مِنَ الْخُطُوبِ سِهَامٌ صَوَائِبُ ،
وَأَتَّصَلَ إِلَى الْمَنْصُورِ ذَلِكَ الْأَمْرُ ، وَأُخْتُصَّ بِهِ كَمَا مَالَ
يَزِيدَ أَخُوهُ الْغَمَرُ^(١) ، وَأَنَافَ فِي تِلْكَ الْخِلَافَةِ : كَمَا
شَبَّ قَبْلَ الْيَوْمِ عَنْ طَوْقِهِ عَمْرُو^(٢) ، وَأَنْتَدَبَ لِلْمُصْحَفِ
بِصَدْرِكَانٍ قَدْ أَوْغَرَهُ^(٣) ، وَسَاءَهُ وَصَفَرُهُ ، فَأَقْتَصَّ مِنْ تِلْكَ
الْإِسَاءَةِ ، وَأَغَصَّ حَلْقَهُ كَمَا شَاءَهُ^(٤) ، فَأَخْلَهُ وَنَكَبَهُ ،

على العاتق من حمائل السيف ، أو هو الحماثل ، واعتقله اذا تقلده (١) انما
أعرف الغمر بن يزيد بن عبد الملك بن مروان أخا الخليفة الوليد بن يزيد
وكان عوناً لأخيه الوليد في حياته ، ومطالباً بدمه بعد مماته ، ففي سنة ١٢٦
كتب مروان بن محمد إلى الغمر بن يزيد أخى الوليد يأمره بالمطالبة بدم أخيه
الوليد (٢) هذا مثل وهو شطر بيت وأصله « شب عمرو عن الطوق » يضرب مثلاً
في تزوين الكبير بزينه الصغير والمثل قاله جذيمة في عمرو بن عدى وكان أبوه
عدى ينادم جذيمة ، فولد له عمرو ومن رقاش أخت جذيمة ، فلما كبر عمرو
ونادم جذيمة بعد أبيه مالكا وعقيل القينيين أرسل عمرا إلى أمه فزينته
وألبسته طوقاً ، فتعال جذيمة « شب عمرو عن الطوق » فلما كان من أمر
جذيمة ما كان قام عمرو ومقامه ، فلم يزل هو وولده وهم آل المنذر بالحيرة
من قبل الفرس حتى ملك قباذ فأزالهم (٣) أى ملاًه وغراً أى حقدوا وضغينة
(٤) فى الأصل « بأى إساءة » وهو تحريف لأمعنى له ، والصواب من

وَأَرْجَلَهُ عَمَّا كَانَ الدَّهْرُ أَرْكَبَهُ ، وَالْهَبَ جَوَانِحَهُ حَزَنًا ،
وَنَهَبَ لَهُ مُدَّخَرًا وَمُخْتَزَنًا ، وَدَمَّرَ عَلَيْهِ مَا كَانَ حَاطَ (١) ،
وَأَحَاطَ بِهِ مِنْ مَكْرُوهِهِ مَا أَحَاطَ ، وَغَبَرَ (٢) سِنِينَ فِي مَهْوَى
تِلْكَ النَّكْبَةِ ، وَجَوَى (٣) تِلْكَ الْكُرْبَةِ ، يَنْقُلُهُ الْمَنْصُورُ
مَعَهُ فِي غَزَوَاتِهِ ، وَيَعْتَقِلُهُ بَيْنَ ضِيقِ الْمُطْبِقِ وَلَهَوَاتِهِ (٤) ،

المطمح - وفي بعض المراجع « بأى مساءة » ولا بأس بها لولا تكرار
كأمتى « اساءة ، ومساءة » في فقرتى السجع ، وهما من مادة واحدة في
معنى واحد وان كان الأول من أساء والثانى من ساء (١) حاط الشيء يحوطه
إذا حفظه وصانه ، وكلاؤه ورعاه ، وذبح عنه وتوفر على مصالحه وتعهده
(٢) غبر « كقعده » أى بقى ومكث (٣) الجوى : الحزن والحرقه وشدة
الوجد من هم ، والجوى : تطاول المرض ، وداء يأخذ فى الصدر والباطن
لا يستمرأ معه طعام ، وفعله « كرضى » - وفى الأصل « جرائى » ولعلها
محرفة عن « جراء » من قولهم فعلته من جرائك أى من أجلك ، ولكن
المعنى عليه غير ظاهر والسياق يأباه ، أو لعله محرف عن « حرارة » -
وما اخترناه هو ما فى المطمح ، وبه تتوازن « جوى » مع « مهوى » .
« أحمد يوسف نجأتى » .

(٤) المطبق : سجن تحت الأرض ، من قولهم أطبق الشيء إذا غطاه ، ومنه
الجنون المطبق الذى يغطى العقل ، والطبق : غطاء كل شئ - واللهوات جمع
لهاة ، وهى فى الأصل الهنة المطبقة فى أقصى سقف الحلق ، قال الفرزدق
يمرح بنى تميم :

ذباب طار فى لهوات ليث كذاك الليث يزدد الذبابا •

جعل الكاتب للسجن لهوات تشبها له بالليث أو الحيوان المفترس الغائل

إِلَى أَنْ تَكْوَرَتْ شَمْسُهُ^(١) وَفَاطَتْ^(٢) بَيْنَ أَثْنَاءِ الْمِحَنِ
نَفْسُهُ . وَمِنْ بَدِيعِ مَا حُفِظَ لَهُ فِي نَكْبَتِهِ ، قَوْلُهُ يَسْتَرِيحُ
مِنْ كُرْبَتِهِ :

صَبَرْتُ عَلَى الْأَيَّامِ لَمَّا تَوَلَّتْ
وَأَلْزَمْتُ نَفْسِي صَبْرَهَا فَاسْتَمَرَّتْ
وَمَا النَّفْسُ إِلَّا حَيْثُ يَجْعَلُهَا الْفَتَى
فَإِنْ طَمِعَتْ تَأَقَّتْ وَإِلَّا تَسَلَّتْ
فَوَا عَجَبًا لِلْقَلْبِ كَيْفَ اعْتَرَفَهُ^(٣)
وَلِلنَّفْسِ بَعْدَ الْعِزِّ كَيْفَ اسْتَذَلَّتْ

(١) تكورت أى سقطت ، أو اضمحلت وذهبت ، أو جمع ضوءها ولف
فمحيت ، وبكل ذلك فسر قوله تعالى : « اذا الشمس كورت » (٢) فاطت
نفسه : أى خرجت روحه . وفى بعض النسخ « فاضت » (٣) ويروى
« اصطباره » اعترافه : أى صبره وذهله وانقياده ، قال قيس بن ذريح :

فيا قلب صبرا واعترافا لما ترى وياحبها قع بالذى أنت واقع

وهذا البيت أحفظه من قصيدة كثير عزة التى مطلعها :

يخليلي هذا ربع عزة فاعقلا فلو صيكما ثم ابكيا حيث حلت

وهو مشهور فيها ، يعجب كثير من صبره على الذل الذى يتجرعه من هوى
عزة ، ويخنوع نفسه لذلك مع أنفته ، فليس البيت من قطعة أبى عثمان
المصحفى . « أحمد يوسف نجاشى » .

وَكَاثَتْ عَلَى الْأَيَّامِ نَفْسِي عَزِيزَةً
فَلَمَّا رَأَتْ صَبْرِي عَلَى الذُّلِّ ذَلَّتْ
فَقُلْتُ لَهَا يَا نَفْسُ مُوتِي كَرِيمَةً
فَقَدْ كَاثَتْ الدُّنْيَا لَنَا ثُمَّ وَلَّتْ
وَكَانَ لَهُ أَدَبٌ بَارِعٌ ، وَخَاطِرٌ إِلَى نَظْمِ الْقَرِيبِ
يُسَارِعُ ، فَمِنْ مَحَاسِنِ نِظَامِهِ وَإِنْشَادِهِ ، الَّتِي بَعَثَهَا إِيَّانَا
دَهْرُهُ بِإِسْعَادِهِ ، قَوْلُهُ :
لِعَيْنَيْكَ فِي قَلْبِي عَلَى عُيُونُ
وَيَيْنَ ضُلُوعِي لِلشُّجُونِ فُنُونُ
لَئِنْ كَانَ جِسْمِي مُخْلَقًا^(١) فِي يَدِ الْهَوَى
فَحُبُّكَ غَضُّ فِي الْفُؤَادِ مَصُونُ
« وَلَهُ » وَقَدْ أَصْبَحَ عَاكِفًا عَلَى حُمَاهُ ، هَاتِفًا
بِإِجَابَةِ دُنْيَاهُ ، مُرْتَشِفًا ثَغْرَ الْأَنْسِ مُتَنَسِّمًا رِيَّاهُ ، وَالْمَلِكُ
يُغَازِلُهُ بِطَرْفِ كَحِيلٍ^(٢) ، وَالسَّعْدُ قَدْ عُقِدَ عَلَيْهِ مِنْهُ.

(١) أخلق الثوب : أبلاه ، وفي الأصل « فحبك عندي » (٢) في الأصل
« كليل » وهو تصحيف مفسد « أحمد يوسف نجاتي »

إِكْثِيلٌ ، يَصِفُ لَوْنَ مُدَامِهِ ، وَمَا تَعَرَّفَ لَهُ مِنْهَا دُونَ
نِدَامِهِ ^(١) :

صَفَرَاءُ تَطْرُقُ فِي الزُّجَاجِ فَإِنْ سَرَتْ
فِي الْجِسْمِ دَبَّتْ مِثْلَ صِلٍّ لَادِغٍ ^(٢)

(١) الندام : جمع نديم (٢) أطرق اذا سكت وسكن ، يشبه الحمر « بصل »
أى حية تقتل من ساعتها ، أو الصل هي الدقيقة « الصفراء » لاتنفع فيها
الرقية ، وجعلها مطرقة ساكنة عن الأذى مادامت محبوسة في زجاجها
فاذا تمكنت من الجسم سرت فيه ودبت حمياها وسورتها في كل أجزائه .
وأرى البيت مع ظهور الغرض منه وبيان مراده قد يتوهم منه أنه يذم
الحمر وينفر منها ولذا يروى « تشرق » و « تبرق » بدل « تطرق » -
غير أن بيته الثانى جيد جدا فى معناه ، وخياله رائع فى المبالغة فى وصف
الراح بشدة الصفاء ، ومثله قول البحتري :

تخفى الزجاج لونها فكأنها فى الكف قائمة بغير انا
وقول عبد المحسن الصورى :

رقت فكادت لا ترى فى كاسها الا التماسا
لولا الحباب لحالها شرابها فى الكاس كاسا

وقول النابغة :

وصفت فأحرق نورها بزجاجها فكأنما جعلت انا اناها
وتكاد ان مزجت لرقه مائها تمتاز عند مزاجها من مائها
والطف من هذا كله قول ابن المعتز :

وقد خفيت من لطفها فكأنها بقايا يقين كاد يذهب الشك

وقول أبى نواس :

صفت وصفت زجاجتها عليها كمنى دق فى ذهن لطيف
وحمينا هذا خشية من فضولى لا يفرق بين الأدب ، والغرام بابتة العنب .
« أحمد يوسف نجاشى » .

خَفِيتَ عَلَى شُرَّابِهَا فَكَأَنَّمَا
يَجِدُونَ رِيًّا مِنْ إِنَاءٍ فَارِغٍ
وَمِنْ شِعْرِهِ الَّذِي قَالَهُ فِي السَّفَرِ جَلِ مُشَبَّهًا ، وَغَدَا
بِهِ لِنَائِمِ الْبَدِيعِ مُنَبَّهًا ، قَوْلُهُ يَصِفُ سَفَرِجَلَةً ، وَيُقَالُ
إِنَّهُ أَرْجَلُهُ :

وَمُصْفَرَّةٌ تَخْتَالُ فِي ثَوْبٍ نَرْجِسٍ
وَتَعْبِقُ عَنْ مِسْكِ ذِكِيٍّ التَّنْفُسِ
لَهَا رِيحُ مَحْبُوبٍ وَقَسْوَةُ قَلْبِهِ
وَلَوْ أَنَّ مُحِبَّ حُلَّةِ السَّقَمِ مُكْتَسِي
فَصَفَرْتُهَا مِنْ صُفْرَتِي مُسْتَعَارَةً
وَأَنْفَاسُهَا فِي الطَّيِّبِ أَنْفَاسُ مُؤْنِسِي
وَكَانَ لَهَا ثَوْبٌ مِنَ الزُّغَبِ ^(١) أَغْبَرُ
عَلَى جِسْمِ ^(٢) مُصْفَرٍّ مِنَ التَّبَرِّ أَمْلَسِ

(١) جمع أزغب أي ذو زغب، وهو في الأصل الشعيرات الصفر الدقيقة على ريش الفرخ ، أو صغار الشعر والريش ولينه ، وكذا ما يعلو قشر الفاكهة في أول بروزها من أكامها، ويروى «أخضر» بدل «أغبر» ويروى عجز البيت:

* يرف على جسم من التبر أملس *

(٢) متعلق بمحذوف تقديره نسج أو نحو ذلك

فَلَمَّا أُسْتَمَّتْ فِي الْقَضِيْبِ شَبَابَهَا
 وَحَاكَتْ لَهَا الْأَوْرَاقُ أَثْوَابَ سُنْدُسٍ
 مَدَدَتْ يَدِي بِاللُّطْفِ ابْنِي اجْتِنَاءَهَا
 لِأَجْعَلَهَا رِيحَاتِي وَسَطَ مَجْلِسِي
 فَبَزَّتْ^(١) يَدِي غَضْبًا لَهَا ثَوْبَ جِسْمِهَا
 وَأَعْرَيْتُهَا بِاللُّطْفِ مِنْ كُلِّ مَلْبَسٍ
 وَلَمَّا تَعَرَّتْ فِي يَدِي مِنْ بُرُودِهَا
 وَلَمْ تَبْقَ إِلَّا فِي غِلَالَةِ نَرْجِسٍ
 ذَكَرْتُ لَهَا مَنْ لَا أَبُوحُ بِذِكْرِهِ
 فَأَذْبَلَهَا فِي الْكَفِّ حَرُّ النَّفْسِ
 وَلَهُ - وَقَدْ أَعَادَهُ الْمَنْصُورُ إِلَى الْمُطْبِقِ ، وَالشُّجُونُ
 تُسْرِعُ إِلَيْهِ وَتَسْبِقُ - مُعْزِيًا لِنَفْسِهِ ، وَمُجْتَزِيًا بِإِسْعَادِ أَمْسِهِ :
 أَجَازِي الزَّمَانَ عَلَى حَالِهِ
 مُجَازَاةً نَفْسِي لِأَنْفَاسِهَا

(١) أي سلبت ، وبزه من ثيابه اذا جرده منها وغلبه عليها - يريد أنه قشرها -
 ولقيداً أجاد وأحسن في وصف هذه السفرجلة وذكره تاريخ حياتها من
 أوله الى آخره . « أحمد يوسف نجاتي » .

إِذَا نَفْسٌ صَاعِدٌ شَفَّهَا ^(١)
 تَوَارَتْ بِهِ دُونَ جُلَاسِهَا
 وَإِنْ عَكَفَتْ نَكْبَةً لِلزَّمَانِ
 عَطَفْتُ بِنَفْسِي ^(٢) عَلَى رَاسِهَا
 وَمِمَّا حُفِظَ لَهُ فِي اسْتِعْطَافِهِ ، وَاسْتِنْزَالِهِ لِلْمَنْصُورِ
 وَاسْتِلْطَافِهِ ، قَوْلُهُ :
 عَفَا اللَّهُ عَنْكَ أَلَا رَحْمَةً
 تَجُودُ بِعَفْوِكَ أَنْ أُنْأَدَا
 لَيْنَ جَلِّ ذَنْبٍ وَلَمْ أَعْتِدْهُ
 فَأَنْتَ أَجَلُّ وَأَعْلَى يَدَا
 أَلَمْ تَرَ عَبْدًا عَدَا طَوْرَهُ
 وَمَوْلَى عَفَا وَرَشِيدًا هَدَى ؟
 وَمُفْسِدَ أَمْرٍ تَلَافَيْتَهُ
 فَعَادَ فَأَصْلَحَ مَا أَفْسَدَا

(١) شفه الهم : اذا هزله وأضره حتى دق ، ومنه قول العرجي :
 أنا امرؤ لج بى حب فأخرجنى حتى بليت وحتى شفنى السقم
 وشفه الحزن والحب اذا لدع قلبه وأذهل عقله وأظهر ما عنده من ما لجزع
 (٢) ويروى عجز البيت « عكفت بمدرى » « أحمد يوسف نجأتى »

أَقْلَنِي أَقَالَكَ مَنْ لَمْ يَزَلْ

يَقِيكَ وَيَصْرِفُ عَنْكَ الرَّدَى

« عَوْدٌ وَأَنْعِطَافٌ إِلَى أَخْبَارِ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ » رَحِمَهُ

اللَّهُ تَعَالَى وَجَازَاهُ عَنْ جِهَادِهِ أَفْضَلَ الْجَزَاءِ بِمَنْنِهِ وَكَرَمِهِ وَفَضْلِهِ

وَطَوْلِهِ ، فَتَقُولُ : وَكَانَ لَهُ فِي كُلِّ غَزْوَةٍ مِنْ غَزَوَاتِهِ

الْمُنِيفَةِ عَلَى الْخَمْسِينَ مَفْخَرٌ مِنَ الْمَفَاخِرِ الْإِسْلَامِيَّةِ ،

فَمِنْهَا أَنَّ بَعْضَ الْأَجْنَادِ نَسِيَ رَأْيَهُ مَرَّ كَوْزَةً عَلَى جَبَلٍ

بِقُرْبِ إِحْدَى مَدَائِنِ الرُّومِ ، فَأَقَامَتْ عِدَّةَ أَيَّامٍ لَا يَعْرِفُ

الرُّومُ مَا وَرَاءَهَا بَعْدَ رَحِيلِ الْعَسَاكِرِ ، وَهَذَا بِلَا خَفَاءٍ

مِمَّا يَفْتَخِرُ بِهِ أَهْلُ التَّوْحِيدِ عَلَى أَهْلِ التَّثَلُّتِ ، لِأَنَّهُمْ لَمَّا

أَشْرَبَتْ قُلُوبُهُمْ خَوْفَ شِرْذِمَةِ^(١) الْمَنْصُورِ وَحِزْبِهِ ، وَعَلِمَ

كُلٌّ مِنْ مُلُوكِهِمْ أَنَّهُ لَا طَاقَةَ لَهُ بِمُحَرِّبِهِ ، لَجَأُوا إِلَى الْفِرَارِ

وَالْتَحَصَّنَ بِالْمَعَاوِلِ وَالْقِلَاعِ ، وَلَمْ يَحْصُلْ مِنْهُمْ غَيْرُ

الْإِشْرَافِ مِنْ بَعْدِ وَالْإِطْلَاعِ

* *

« وَمِنْ مَفَاخِرِ الْمَنْصُورِ » فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ أَنَّهُ مَرَّ مَفَاخِرِ الْمَنْصُورِ

بَيْنَ جَبَلَيْنِ عَظِيمَيْنِ فِي طَرِيقِ عَرْضِ بَرِيدٍ بَوْسَطِ بِلَادِ
الْإِفْرَنْجِ ، فَلَمَّا جَاوَزَ ذَلِكَ الْمَحَلَّ وَهُوَ آخِذٌ فِي التَّخْرِيقِ
وَالْتَّخْرِيبِ وَالْفَارَاتِ وَالسَّيِّ يَمِينًا وَشِمَالًا لَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ
مِنَ الْإِفْرَنْجِ عَلَى لِقَائِهِ ، حَتَّى أَقْفَرَتِ الْبِلَادُ مَسَافَةَ أَيَّامٍ ، ثُمَّ
عَادَ فَوَجَدَ الْإِفْرَنْجِ قَدْ اسْتَجَاشُوا مِنْ وَرَائِهِ ^(١) ، وَضَبَطُوا ذَلِكَ
الْمَدْخَلَ الضِّيقَ الَّذِي بَيْنَ جَبَلَيْنِ - وَكَانَ الْوَقْتُ شِتَاءً -
فَلَمَّا رَأَى مَا فَعَلُوهُ رَجَعَ ، وَأَخْتَارَ مَنَزِلًا مِنْ بِلَادِهِمْ أَنَاخَ ^(٢)
بِهِ فِيمَنْ مَعَهُ مِنَ الْعَسَاكِرِ ، وَتَقَدَّمَ بَيْنَاءَ الدُّورِ وَالْمَنَازِلِ
وَيَجْمَعُ آلَاتِ الْحَرْثِ وَنَحْوَهَا ، وَبَثَّ سَرَايَاهُ ^(٣) فَسَبَتْ
وَغَنِمَتْ ، فَاسْتَرَقَّ الصُّغَارَ ، وَضَرَبَ أَغْنَاكَ الْكِبَارِ ، وَأَلْقَى
جُثَثَهُمْ حَتَّى سَدَّ بِهَا الْمَدْخَلَ الَّذِي مِنْ جِهَتِهِ ، وَصَارَتْ
سَرَايَاهُ تَخْرُجُ فَلَا تَجِدُ إِلَّا بَلَدًا خَرَابًا ، فَلَمَّا طَالَ الْبَلَاءُ عَلَى

(١) بعض النسخ « من وراءهم » (٢) أي أقام وثبت (٣) جمع سرية
وهي قطعة من الجيش ، سميت سرية لأنها تسري خفية ليلاً لئلا
ينذر بهم العدو فيحذروا .

الْعَدُوَّ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ فِي طَلَبِ الصُّلْحِ ، وَأَنْ يُخْرِجَ بَغِيرَ أُسْرَى
وَلَا غَنَائِمَ ، فَاِمْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ ، فَلَمْ تَزَلْ رُسُلُهُمْ تَتَرَدَّدُ إِلَيْهِ
حَتَّى سَأَلُوهُ أَنْ يُخْرِجَ بَغَنَائِمِهِ وَأُسْرَاهُ ، فَأَجَابَهُمْ : إِنَّ أَصْحَابِي
أَبَوْا أَنْ يُخْرِجُوا ، وَقَالُوا إِنَّا لَا نَكَادُ نَصِلُ إِلَى بِلَادِنَا إِلَّا
وَقَدْ جَاءَ وَقْتُ الْغَزْوَةِ الْآخَرَى ، فَتَقَعْدُ هَهُنَا إِلَى وَقْتِ الْغَزَاةِ
فَإِذَا غَزَوْنَا عُدْنَا ، فَمَا زَالَ الْإِفْرَنْجُ يَسْأَلُونَهُ إِلَى أَنْ قَرَّرَ
عَلَيْهِمْ أَنْ يَحْمِلُوا عَلَى دَوَابِّهِمْ مَا مَعَهُ مِنَ الْغَنَائِمِ وَالسَّبْيِ ،
وَأَنْ يَمِدُّوهُ بِالْمِيرَةِ حَتَّى يَصِلَ إِلَى بِلَادِهِ ، وَأَنْ يُنَحِّوْا جِيفَ
الْقَتْلِ عَنْ طَرِيقِهِ بِأَنْفُسِهِمْ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ كُلَّهُ وَأَنْصَرَفَ .
وَلَعَمْرِي إِنَّ هَذَا لَعِزُّ مَا وَرَاءَهُ مَطْمَحٌ ، وَنَصْرٌ لَا يَكَادُ
الزَّمَانُ يُجُودُ بِمِثْلِهِ وَيَسْمَحُ ، خُصُوصًا إِذَا لَتَهُمْ جِيفَ قَتْلَاهُمْ
مِنَ الطَّرِيقِ ، وَغَصَصَهُمْ ^(١) فِي شُرْبِ ذَلِكَ بِالرِّيقِ .

مآثر المنصور وَمِنْ مآثرِهِ الَّتِي هِيَ فِي جَبِينِ عَصْرِهِ غُرَّةٌ ، وَلَعَيْنِ

(١) غص بالماء أو بالطعام « كفرح » إذا شرب به أو وقف في حلقه فلم
يكذب يسبغه ، فهو غاص وغصان - وأغصه بريقه إذا أضجره أو غاظه ، وغص
بريقه كناية عن الموت أو شدة القهر والاذلال « أحمد يوسف نجاتي »

دَهْرِهِ قُرَّةً ، أَنَّهُ لَمَّا خَتَنَ أَوْلَادَهُ خَتَنَ مَعَهُمْ مِنْ أَوْلَادِ أَهْلِ
دَوْلَتِهِ خَمْسِمِائَةَ صَبِيٍّ ، وَمِنْ أَوْلَادِ الضُّعَفَاءِ عَدَدًا لَا يُحْصَرُ ،
فَبَلَغَتْ النِّفْقَةُ عَلَيْهِمْ فِي هَذَا الْإِعْذَارِ ^(١) خَمْسِمِائَةَ أَلْفِ
دِينَارٍ ، وَهَذِهِ مَكْرُمَةٌ مُخَلَّدَةٌ ، وَمِنَّةٌ مُقَلَّدَةٌ ، فَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى - يُجَازِيهِ عَنْ ذَلِكَ أَفْضَلَ الْجُزَاءِ ، وَيَجْعَلُ لِلْمُسْلِمِينَ
فِي فَقْدِ مِثْلِهِ أَحْسَنَ الْعَزَاءِ . وَمِنْ مَنَاقِبِهِ الَّتِي لَمْ تَتَّفِقْ
لِغَيْرِهِ مِنَ الْمُلُوكِ فِي غَالِبِ الظَّنِّ ، أَنَّ أَكْثَرَ جُنْدِهِ مِنْ
سَبْيِهِ - عَلَى مَا حَقَّقَهُ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ - وَذَلِكَ غَايَةُ الْمَنْحِ مِنْ
اللَّهِ وَالْمَنِّ . وَمِنْ أَخْبَارِهِ ، الدَّالَّةِ عَلَى إِقْبَالِ أَمْرِهِ وَخَيْبَةِ عَدُوِّهِ
وَإِدْبَارِهِ ، أَنَّهُ مَا عَادَ قَطُّ مِنْ غَزْوَةٍ إِلَّا أَسْتَعَدَّ لِأُخْرَى ،
وَلَمْ تَهْزَمْ لَهُ قَطُّ رَايَةٌ - مَعَ كَثْرَةِ غَزَوَاتِهِ شَاتِيَةً وَصَائِفَةً ،
وَكَفَاهُ ذَلِكَ فَخْرًا . وَمِنْهَا أَنَّهُ لَقِيَتْهُ - وَقَدْ عَادَ مِنْ بَعْضِ
غَزَوَاتِهِ - أَمْرَأَةٌ تَقَمَّتْ ^(٢) عَلَيْهِ بُلُوغُ مَنَاهُ وَشَهْوَاتِهِ ، وَقَالَتْ

(١) أصل الإعذار : الحتان ، ثم استعمل في الطعام الذي يصنع في الحتان ،
وأعذر للقوم إذا صنع لهم طعام الحتان وأعدده . وأعذر الغلام : ختنه ،
(٢) في الأصل « تقصت » وفي بعض المراجع « تقمت » - ونقم منه
الأمر ونقم عليه « كضرب وعلم » إذا كرهه وأنكره وعابه . وقد تكون

لَهُ : يَا مَنْصُورُ أَسْتَمِعْ نِدَائِي ، فَأَنْتَ فِي طِيبِ عَيْشِكَ وَأَنَا
فِي بُكَائِي ، فَسَأَلَهَا عَنْ مُصِيبَتِهَا الَّتِي عَمَّتْهَا وَغَمَّتْهَا ، فَذَكَرَتْ
لَهُ أَنَّ لَهَا ابْنًا أَسِيرًا فِي بِلَادٍ سَمَّتَهَا ، وَأَنَّهَا لَا يَهْنَأُ عَيْشُهَا
لِفَقْدِهِ ، وَلَا يَخْبُو^(١) ضِرَامُ قَلْقَمِهَا مِنْ وَقْدِهِ ، وَأَنْشَدَ لِسَانَ
حَالِهَا لِذَلِكَ الْمَلِكِ الْعَلِيِّ :

* وَيَحُ الشَّجِي مِنْ الْخَلِي^(٢) *

« نعت » - تقول : نعى عليه أعماله وهفواته « كسعى » إذا أظهرها وشهر بها ،
أو إذا قبحها وعابه عليها ووبخه (١) خبت النار تخبو إذا سكنت وطفئت
وخمد لهيبها . ومن المجاز : خمد لهبه ، إذا سكن نأثره وسكت غضبه ،
وضرام النار : اشتعلها (٢) ويح له ، ويحاله : يقال لمن وقع في بلية لاظهار
الشفقة عليه وطلب الرحمة والدعاء له بالخلاص منها - ورجل شج « كفرح »
أي حزين - والشجي « بالتخفيف » المشغول القلب ، والخلي « بالتشديد »
الفارغ من الهم رخي البال . وقيل بجواز التشديد في « خلي » بمعنى
المشجوع من شجاء يشجوه إذا حزنه وأوقعه في هم . وقد شدد ياؤه في
الشعر في قول الشاعر :

نام الخليون عن ليل الشجيننا شأن السلاة سوى شأن المحيينا

وفي بعض النسخ جعل ما أنشدته المرأة بيتا ، ونصه : وأنشد لسان حالها :

يا ذاك الملك العلي ويح الشجي من الخلي

وقد ورد المثل في مطلع قصيدة لأبي تمام يمدح بها الحسن بن وهب :

ألا ويل الشجي من الخلي وبالي الربع من إحدى بلى

والمثل يضرب لسوء مشاركة الرجل صاحبه . ومعناه ان الخلي لا يعرف بالشجي

فهو لا يساعده على حاله ولا يرثي لمآبه ، بل قد يزيد نارجواه اشتعالا بلومه

وتعنيفه . « أحمد يوسف نجاتي » .

فَرَحَّبَ الْمَنْصُورُ بِهَا ، وَأَظْهَرَ الرُّقَّةَ بِسَبَبِهَا ، وَخَرَجَ
مِنَ الْقَابِلَةِ إِلَى تِلْكَ الْمَدِينَةِ الَّتِي فِيهَا أُبْنُهَا ، وَجَاسَ أَقْطَارَهَا
وَتَخَلَّلَهَا ، حَتَّى دَوَّخَهَا إِذْ أَنَاخَ عَلَيْهَا بِكُلِّكَلِهِ وَذَلَّلَهَا ،
وَأَغْرَاهَا مِنْ حُمَاتِهَا وَيَبْنُودِ الْإِسْلَامِ الْمَنْصُورَةِ ظِلَّهَا ،
وَخَلَّصَ جَمِيعَ مَنْ فِيهَا مِنَ الْأَسْرَى ، وَجَلَبَتْ عَوَامِلُهُ إِلَى
قُلُوبِ الْكُفَرَةِ كَسْرًا ، وَأَنْقَلَبَتْ عُيُونُ الْأَعْدَاءِ حَسْرَى ،
وَتَلَا لِسَانُ حَالِ الْمَرْأَةِ : « فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ، إِنَّ مَعَ
الْعُسْرِ يُسْرًا » ، فَهَكَذَا تَكُونُ الْهَمَّةُ السُّلْطَانِيَّةُ ، وَالنَّخْوَةُ
الْإِيمَانِيَّةُ ، فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يُرَوِّحُ تِلْكَ الْأَرْوَاحَ فِي الْجَنَانِ ،
وَيُرَقِّقُ دَرَجَاتِهَا وَيُعَامِلُهَا بِمَحْضِ الْفَضْلِ وَالْإِمْتِنَانِ .

* * *

كتاب عبد الله
ابن يوسف إلى
المنصور بن أبي
عامر

وَقَدْ تَذَكَّرْتُ هُنَا - وَالْحَدِيثُ شُجُونٌ^(١) ، وَبِذِكْرِ
الْمُنَاسَبَاتِ يَبْلُغُ الطَّلَابُ مَا يَرْجُونَ - كِتَابًا كَتَبَهُ الْأَدِيبُ
الْكَاتِبُ أَبُو مُحَمَّدٍ^(٢) ابْنُ الْإِمَامِ الْحَافِظِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَنْدَلُسِيِّ أَبِي عُمَرَ

(١) يقال الحديث ذو شجون ، أى فنون وأغراض ، أى أنه ذو شعب
وامتسك يدخل بعضه فى بعض ، ويستدعى شئ منه شيئاً ، ويتفرق بالمتكلم
شعبه ووجهه ، يضرب مثلاً للحديث يستذكر به غيره ، جمع شجن
« بالتحريك » وهو الغصن المشتبك من غصون الشجرة . والشعبة من
كل شئ (٢) هو الأديب عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر

أَبْنِ عَبْدِ الْبَرِّ النَّمْرِىِّ إِلَى الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ ^(١) « وَهُوَ مِنْ ذُرِّيَّةِ الْمَنْصُورِ الْكَبِيرِ الَّذِى كُنَّا نَتَحَدَّثُ فِي أَخْبَارِهِ ، يُمِيتُ ^(٢) إِلَيْهِ بِسَلْفِهِ وَمُعَامَلَتِهِمْ لِمَنْ تَقَدَّمَ مِنْ آبَائِهِ بِتَعْظِيمِ قَدْرِهِ وَإِكْبَارِهِ » وَهُوَ : عَمَرُ اللَّهِ بِبَقَاءِ سَيِّدِي ذِكْرِى السَّابِقِينَ ^(٣) بِهَجَّةِ أَوْطَانِهِ ، وَمَلَكَةِ عِنَانِ زَمَانِهِ ، وَمَدَّةَ عَلَيْهِ ظِلَالِ أَمَانِهِ ، إِنِّى - أَبْقَى اللَّهُ الْمَلِكَ الْكَرِيمَ ،

النمري ، أصله من قرطبة وسكن مع أبيه مدينة بلنسية وغيرها. كان من أهل الأدب البارع والبلاغة الذائعة والتقدم فى العلم والذكاء ، وكانت له رسائل مدونة ، توفى قبل أبيه بمدينة دانية سنة ٤٥٨ هـ وتوفى الامام الحافظ والده سنة ٤٦٣ هـ بمدينة شاطبة ، وتوفى جده عبد الله بن محمد سنة ٣٨٠ هـ وفى الأصل « النمري » وهو تحريف فان الامام ينسب الى النمري بن قاسط لالا الى نمير . « أحمد يوسف نجاشى » .

(١) هو المنصور أبو الحسن عبدالعزیز بن عبدالرحمن بن محمد بن المنصور ابن أبي عامر ، وكان فى فتنه الاندلس وتغلب ملوك الطوائف عليها قد استقل بمدينة بلنسية ثم بمدينة دانية وما كان اليها. وقام بالأمر بعده ابنه محمد ودام فيها الى أن غدر به صهره المأمون بن اسمعيل بن ذى النون وأخذ منه رئاسة بلنسية فى ذى الحجة سنة ٤٥٧ هـ فنزح عنها الى المرية وأقام بها الى أن خلع ، وكان المنصور الصغير هذا أديبا شاعرا رقيقا ، وسنعرض له فيما بعد ان شاء الله . « أحمد يوسف نجاشى » .

(٢) أى يتوصل ويتقرب ، قال الشاعر :

نمت بأرحام اليك وشيعة ولا قرب بالأرحام ما لم تقرب

(٣) فى بعض المراجع « ذى السابقين » بدل « ذكرى السابقين »

وَالسَّيِّدَ الزَّعِيمَ - لَمَّا أَضَاءَتْ لِي أَهْلَةٌ مَفَاخِرِكُمْ فِي سَمَاءِ
 الْفَخَارِ ، وَأَشْرَقَتْ شُمُوسُ مَكَارِمِكُمْ عَلَى مَفَارِقِ الْأَحْرَارِ ،
 وَأَبْصَرْتُ شَمَائِلَكَ الزُّهْرَ تُهْدِي إِلَيْكَ مِنَ الْهَيْمِ مَحَامِدَهَا
 وَمَحَاسِنَكَ الْغُرَّ تُوقِظُ لَكَ مِنَ الْأَمَالِ رَوَاقِدَهَا ، أَيْقَنْتُ
 أَنَّهُ بِحَقِّ انْقَادَتِ لَكَ الْقُلُوبُ بِأَعْنَتِهَا ، وَتَهَادَتِ إِلَيْكَ
 النُّفُوسُ بِأَزِمَّتِهَا ، فَالَيْتُ إِلَّا أَلِمَّ إِلَّا بِحِمَاكَ ، وَلَا أَحُطَّ
 رَحْلًا إِلَّا بِفِنَاكَ^(١) ، عَلِمًا بِأَنَّكَ ثَرَّةُ^(٢) الْفَخْرِ ، وَغُرَّةُ الدَّهْرِ
 فَتَيَمَّمْتُ سَارِيًّا فِي سَاطِعِ نُورِكَ ، مُتَيَمِّنًا يَمُنُ^(٣) طَائِرُكَ ،
 مُحَقِّقًا لِلرُّبْعِ ، مُوقِنًا بِالْفَلَجِ^(٤) وَالنُّجَجِ ، حَتَّى حَلَلْتُ فِي
 دَوْحَةِ الْمَجْدِ ، وَأَنْخَتُ بِدَوْلَةِ السَّعْدِ ، وَأَسْتَشْعَرْتُ لِبَسَةِ
 الشُّكْرِ وَالْحَمْدِ ، وَجَعَلْتُ أَنْظِمُ مِنْ جَوَاهِرِ الْكَلَامِ ،

(١) فناء الدار : ما اتسع من أمامها ، أو ما امتد من جوانبها ، وفي بعض
 المراجع « بمغناك » (٢) الثرة : كوكبان بينهما قدر شبر ، وفيهما لطح بياض
 كأنه قطعة سحاب ، وهي أنف الأسد ، ينزلها القمر ، وتسميها العرب فثرة
 الأسد يريد علو منزلته في الفخر (٣) الطائر ما يمين به المرء أو تشاءم ،
 والطائر أيضا : الحظ (٤) الفلج : الظفر والفوز ، وفعله من باب فصر .
 « أحمد يوسف نجاني » .

مَا يُرْبِي عَلَى جَوَاهِرِ النَّظَامِ ، وَأَنْشُرُ مِنْ عِطْرِ الشَّنَاءِ ،
 مَا يُزْرِي بِالرَّوْضَةِ الْغَنَاءِ^(١) ، وَحَاشَا لِلْفَهْمِ أَنْ يُعْطَلَ لَيْلِي
 مِنْ أَقْمَارِكَ ، أَوْ يُخْلَى أَفْقِي مِنْ أَنْوَارِكَ ، فَأَرَانِي مُنْخَرِطًا
 فِي غَيْرِ سِلْكِهِ ، وَمُنْخَطًا إِلَى غَيْرِ مُلْكِهِ ، لَا جَرَمَ أَنَّهُ
 مَنْ اسْتَضَاءَ بِالْهَلَالِ ، غَنِيَ عَنِ الذُّبَالِ^(٢) ، وَمَنْ اسْتَنَارَ
 بِالصَّبَاحِ ، أَلْقَى سَنَى الْمِصْبَاحِ ، وَتَالَهُ مَا هَزَّتْ آمَالِي
 ذَوَائِبَهَا^(٣) إِلَى سِوَاكَ ، وَلَا حَدَّتْ^(٤) أَوْطَارِي رَكَائِبَهَا
 إِلَى مَنْ عَدَاكَ ، لِيَكُونَ فِي أَثَرِ الْوَسْمِيِّ فِي الْمَاحِلِ^(٥) ،
 وَعَلَى جَمَالِ الْحُلِيِّ عَلَى الْعَاطِلِ^(٦) ، لِسَيَادَتِكَ السَّنِيَّةِ ، وَرِيَّاسَتِكَ
 الْأَوَّلِيَّةِ ، الَّتِي يَقْصُرُ عَنْهَا لِسَانُ إِفْصَاحِي ، وَيَعْيَا فِي بَعْضِهَا
 بَيَانِي وَإِضَاحِي ، فَالْقَرَّاطِيسُ عِنْدَ بَثِّ مَنَاقِبِكَ تَفْنَى ،

(١) أربي عليه : زاد وفاق ، وأزري به : أظهر فيه عيبا وقصورا ، وروضة
 غناء : قد التف عشبها وكثر حتى تسمع لطيرها غنة ، وتمر الرياح فيها غير
 صافية الصوت لكثافة عشبها والتفاف أشجارها (٢) الذبالة الفتيلة التي تسرج
 (٣) هزت ذوائبها أي تحركت ونشطت ، وهو مأخوذ من قول الأعرابي :
 هزرت ذوائب الرجال فلم أجد معولا إلا عليك الخ (٤) حداه : ساقه
 (٥) مطرد الربيع الأول يسم الأرض ويزينها بالنبات ، والماحل : المجدب
 (٦) العاطل المرأة تجرد جيدها عن الحلي والزينة « أحمد يوسف نجاتي »

وَالْأَقْلَامُ فِي رَسْمِ مَا ثَرِكَ تَحَنَّى ، وَمَا أَمَلُ الْمُجْدِبِ ، فِي
حَيَاةِ الْمُخْصِبِ ، وَلَا جَذَلَ الْمَذْنِبِ ، بِرِضَا الْمُعْتَبِ ^(١) ،
كَأَمَلِي فِي التَّعَزُّزِ بِحَوْزَتِكَ ، وَالتَّجَمُّلِ بِجُمْلَتِكَ ، وَالتَّرَفُّعِ
بِخِدْمَتِكَ ، فَالْسَّعِيدُ مَنْ نَشَأَ فِي دَوْلَتِكَ ، وَظَهَرَ فِي أُمَّتِكَ ،
وَأَسْتَضَاءَ بِغُرَّتِكَ ، لَقَدْ فَازَ بِالسَّبْقِ مَنْ لَحَظَتْهُ عَيْنُ
رِعَايَتِكَ ، وَكَنَفَتْهُ حَوْزَةُ حِمَايَتِكَ ، فَأَنْتَ الَّذِي أُمِنْتُ
بِعَدْلِهِ نَوَائِبُ الْأَيَّامِ ، وَقَوِيَتْ بِسُلْطَانِهِ دَعَائِمُ الْإِسْلَامِ ،
تَحْتَالُ بِكَ الْمَعَالِي اخْتِيَالُ الْعُرُوسِ ، وَتَخَضَعُ لِجَلَالِكَ
أَعِزَّةُ ^(٢) الْنُفُوسِ ، سَابِقَةُ أَشْهُرٍ مِنَ الْفَجْرِ ، وَفِطْنَةُ
أَنْوَرٍ مِنَ الْبَدْرِ ، وَهَمَّةٌ أَنْقَذُ مِنَ الدَّهْرِ

لَقَدْ فَازَ مَنْ أَضْحَى بِكُمْ مُتَمَسِّكًا

يَشُدُّ عَلَى تَأْمِيلِ عِزِّكُمْ يَدَا

سَلَكَتْ سَبِيلَ الْفَخْرِ خُلُقًا مَرْكَبًا

وَعَيْتُكَ لَا يَأْتِيهِ إِلَّا تَجَلُّدًا

(١) الجذل : الفرح والسرور ، وأعتبه إذا منحه العتي أي الرضا وقبل عذره

(٢) جمع عزيز ، ويجوز « أعتة » جمع عنان « أحمد يوسف نجاتي »

فَأَنْتُمْ لِرِوَاءِ الدِّينِ لَا زَالَ قِيَمًا
 بِأَرَائِكُمْ فِي ظُلْمَةِ الْخَطْبِ يُهْتَدَى
 لِيَهْنِكُمْ مَجْدٌ تَلِيدٌ^(١) بَنِيْتُمْ
 أَغَارَ سَنَاهُ فِي الْبِلَادِ وَأُنْجَدَا
 وَمِثْلُهُ - أَبْقَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ - يُسْتَشْمِرُ إِبْرَاقَهُ فَيُشْمِرُ
 جَنَاهُ ، وَيُسْتَمْطَرُ إِبْرَاقُهُ فَيُمْطَرُ حَيَاهُ^(٢) ، وَلَا سِيَّمَا أَنِّي نَشَاءُ
 حَفَهَا إِحْسَانُ أَوَائِكَ الطَّاهِرِينَ ، وَالْفَهَا إِنْعَامُ أَكْبَرِكَ
 الْأَخْيَارِ الطَّيِّبِينَ ، وَجَدِيرُ بَقْبُولِكَ وَإِقْبَالِكَ ، وَبِرِّكَ
 وَإِجْمَالِكَ ، مَنْ أَصْلُهُ ثَابِتٌ فِي أَهْلِ مَحَبَّتِكُمْ ، وَفَرْعُهُ
 نَابِتٌ فِي خَاصَّتِكُمْ .
 وَمَا رَغْبَتِي فِي عَسْجَدٍ أَسْتَفِيدُهُ
 وَلَكِنَّهَا فِي مَفْخَرٍ أَسْتَجِدُّهُ^(٣)

(١) التليد القديم الثابت ضد الطريف (٢) الجنى ما يجنى من الثمر والحيا
 الغيث (٣) هذه الأبيات من قصيدة لأبي الطيب المتنبي يمدح بها كافورا
 الأخشيدي سنة ٣٤٦ هـ أولها :

أود من الأيام مالا توده وأشكو اليها ينناوهي جنده
 وقد أتت بها الكاتب هنا بغير نظامها في قصيدة أبي الطيب ، والعسجد : الذهب
 فهو يقول : انه لا يرغب في مال يناله ، فطلبه في الاتصال به فوق ذلك وأسمى

فَكُلُّ نَوَالٍ كَانَ أَوْ هُوَ كَانَ

فَلَحَظَةُ طَرْفٍ مِنْكَ عِنْدِي نِدْهُ^(١)

فَكُنْ فِي أَصْطِنَاعِي مُحْسِنًا كَمُجَرَّبٍ

يَبِينُ لَكَ تَقَرُّبُ الْجَوَادِ وَشَدُّهُ^(٢)

فانه يريد مفخرا يشرف به « ومنه يأتي الغنى والمال الجم » فقد كان يطلب منه عملا وأن يوليه ولاية . وهذا كقول الوزير المهلبى :

يا ذا اليمين لم أزرك ولم أصحبك من خلة ولا عدم
زورك في همة منازعة الى جسيم من غاية الهمم

ومثله له أيضا .

لم تزرني أبا على سنو الجدد بعندي بعد الكفاف فضول
غير أنى باغى الجليل من الأم روعند الجليل يبغى الجليل

ومثله لأبى تمام :

ومن خدم الاقوام يبغى نوالهم فاني لم أخدمك الا لاخدما

وله أيضا :

ياربما رفعة قد كنت آملها لديك لا فضة أبغى ولا ذهابا

ومثله قول صاحب بن عباد :

نسائلكم هل من قرى ليزيلكم بملء جفون لا بملء جفان ؟

وقد كرر أبو الطيب هذا المعنى في قوله :

وسرت اليك في طلب المعالى وسار الناس في طلب المعاش

(١) هذا قريب من بيت صاحب المتقدم - والتد: المثل والنظير، يقول ان

نظرك الى نظير كل نوال آخذه منك أو أخذته (٢) التقريب: ضرب من

عدو الفرس ، وقرب الجواد اذا رفع يديه معا ووضعهما معا في العدو،

إِذَا كُنْتَ فِي شَكٍّ مِنَ السَّيْفِ فَأَبْلُهُ

فَإِمَّا تُنْفِيهِ وَإِمَّا تُعِدُّهُ^(١)

وَمَا الصَّارِمُ الْهِنْدِيُّ إِلَّا كَغَيْرِهِ

إِذَا لَمْ يُفَارِقْهُ النَّجَادُ وَغَمْدُهُ^(٢)

وَلَا بَأْسَ أَنْ يَتَطَوَّلَ مَوْلَايَ بَغْرَسِ الصَّنِيعَةِ فِي

وهو دون الحضر ، والشدة : العدو - يقول جر بنى فى اصطناعك اياى ليبين لك أنى موضع الصنعة وأهلها - وإنما يعرف الجواد بتجربته فيظهر تقريره من عدوه . أو جر بنى ليظهر لك عظيم أمرى وصغيره وتقف على كل أحوالى فأما أن تقر بنى وتصطنعنى ، وأما أن تبعدنى ان لم أكن أهلا لاصطناعك فلا فضل بينى وبين غيرى ان لم تجرب بنى وتجرب جليلة أمرى (١) نفاه ونفاه بالتخفيف والتشديد أى بعده ، وبلاه اذا جربه واختبره . يقول اذا جربت السيف بان لك جوهره ، وعرفت صلاحه من فساد ، فأما أن تلقيه لأنه كهام غير صارم ، وأما اخترته ليكون عدة لك فى الحروب لأنه حسام قاض ولا فضل للسيف الماضى على غيره مادام خبيثا فى غمده لم تبلاه التجربة (٢) هذا البيت يوضح ما قبله ، والهندي القاطع من ضرب الهند ، والنجاد حمائل السيف . يقول ان السيف العضب والصارم الماضى يكون كغيره من كل سيف كليل كهام مادام كامنا فى غمده ، لم تميزه عما عداه التجربة والعمل به وإنما يعرف مضاهه اذا استل من غمده وجرب ، وأنا كذلك اذا لم تظهر التجربة قدرى كنت كغيرى ، ولم يعرف ما عندى ولم تظهر كفايتى وغنائى وهذا تقاض للولاية بالالطف وضرب الامثال وحسن الطلب ، وهو من قول أبى تمام :

لما انتضيتك للخطوب كفيتها والسيف لا يكفيك حتى ينتضى

أَزْكَى التُّرْبِ ^(١) ، وَوَضَعَ الْهِنَاءَ مَوْضِعَ النُّقْبِ ^(٢) وَاللَّهُ
سُبْحَانَهُ يُبْقِي مَوْلَايَ آخِذَا بِرِمَامِ الْفَخْرِ ، نَاهِضًا بِأَعْبَاءِ
الْبِرِّ ، مَالِكًا لِأَعِنَّةِ الدَّهْرِ ، وَصَنَّعَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِسَيِّدِي
أَتَمَّ الصَّنْعِ وَأَجْمَلَهُ ، وَأَفْضَلَهُ وَأَكْمَلَهُ ، بِمَنَّةِ لَارِبٍ
سِوَاهُ . أَتَتْهُ .

« رَجَعُ إِلَى أَخْبَارِ الْمَنْصُورِ الْكَبِيرِ » مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ ^{سجن المصطفى}
- رَحِمَهُ اللَّهُ - ، وَكُنَّا قَدْ ذَكَرْنَا أَنَّهُ قَبَضَ عَلَى الْوَزِيرِ
الْحَاجِبِ الْمُصْحَفِيِّ مَعَ أَنَّهُ كَانَ أَحَدَ أَتْبَاعِهِ .

(١) التطول: الانعام والامتنان ، وتربة زاكية أى أرض جيدة يزكو فيها
النبات (٢) هذا مثل عربى ، الهناء القطران ، وهنأ الابل يهنئها « مثلثة
النون » طلاها بالهناء - والنقب جمع نقبة وهى أول جرب يبدأ فى البعير
لأنها تنقب الجلد أى تثقبه وتخرقه ، فان لم تعالج بالقطران « الهناء » تمشت
فى جسم البعير كما حتى تشربه « تملأه » - ويقال - هو يضع الهناء
مواضع النقب ، اذا كان خبيرا ماهرا ومجربا مصيبا ومسددا يضع الأمور
فى مواضعها . قال دريد بن الصمة فى الحنساء من أبيات :

متبذلا تبدو محاسنه يضع الهناء مواضع النقب

والنقب أيضا هذه الفرحة التى تخرج فى جنب البعير أو الجرب ، وهو فى
بيت دريد بضم النون وسكون القاف مفردا بمعنى ثقب أو جمعا ، وفى الأصل
« النوب » بدل « النقب » وهو تصحيف . « أحمد يوسف نجاشى » .

« قَالَ » صَاحِبُ كِتَابِ « رَوْضَةِ الْأَزْهَارِ وَبَهْجَةِ
النُّفُوسِ وَتُرْهُةِ الْأَبْصَارِ » وَلَمَّا أَمَرَ الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ
بِسِجْنِ الْمُصْحَفِيِّ فِي الْمَطْبِقِ بِالزَّهْرَاءِ وَدَّعَ أَهْلَهُ وَوَدَّعُوهُ
وَدَّاعَ الْفُرْقَةَ ، وَقَدْ قَالَ لَهُمْ : لَسْتُ تَرَوْنِي بَعْدَهَا حَيًّا ، فَقَدْ
أَتَى وَقْتُ إِجَابَةِ الدَّعْوَةِ ، وَمَا كُنْتُ أَرْتَقِبُهُ مِنْذُ أَرْبَعِينَ
سَنَةً ؛ وَذَلِكَ أَنِّي شَارَكْتُ فِي سِجْنِ رَجُلٍ فِي عَهْدِ النَّاصِرِ
وَمَا أَطْلَقْتُهُ إِلَّا بِرُؤْيَا رَأَيْتَهَا ، بِأَنْ قِيلَ لِي : أَطْلِقْ فُلَانًا
فَقَدْ أُجِيبَتْ فِيكَ دَعْوَتُهُ ، فَأَطْلَقْتُهُ وَأَخْضَرْتُهُ وَسَأَلْتُهُ
عَنْ دَعْوَتِهِ عَلَيَّ ، فَقَالَ : دَعَوْتُ عَلَى مَنْ شَارَكَ فِي أَمْرِي
أَنْ يُعَيْتَهُ اللَّهُ فِي أَضْيَقِ الشُّجُونِ ، فَقُلْتُ : إِنَّهَا قَدْ أُجِيبَتْ
فَإِنِّي كُنْتُ مِمَّنْ شَارَكَ فِي أَمْرِكَ ، وَنَدِمْتُ حِينَ لَا يَنْفَعُ
النَّدَمُ ، فَيُرْوَى أَنَّهُ كَتَبَ لِلْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ بِهَذِهِ
الْأَيَّاتِ :

هَبْنِي أَسَاتُ فَإِنَّ الْعَفْوَ وَالْكَرَمُ

إِذْ قَادَنِي نَحْوُكَ الْإِذْعَانُ وَالنَّدَمُ ؟

يَا خَيْرَ مَنْ مَدَّتْ الْأَيْدِي إِلَيْهِ أَمَّا
تَرِنِي لِشَيْخٍ نَعَاهُ عِنْدَكَ الْقَلَمُ ؟ !
بَالَعْتُ فِي السُّخْطِ فَاصْفَحْ صَفْحَ مُقْتَدِرٍ
إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا مَا اسْتُرْجِمُوا رَحِمُوا
فَأَجَابَهُ الْمَنْصُورُ بِأَيَّاتِ لِعَبْدِ الْمَلِكِ الْجَزِيرِيِّ ^(١) :
يَا جَاهِلًا بَعْدَ مَا زَلَّتْ بِكَ الْقَدَمُ
تَبْنِي الشُّكْرَ لَمَّا فَاتَكَ الْكَرَمُ
نَدِمْتَ إِذْ لَمْ تَعُدْ مِنِّي بِطَائِلَةٍ
وَقَلَمًا يَنْفَعُ الْإِذْعَانُ وَالنَّدَمُ
نَفْسِي إِذَا جَمَحْتَ لَيْسَتْ بِرَاجِعَةٍ
وَلَوْ تَشَفَّعَ فِيكَ الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ
فَبَقِيَ فِي الْمُطْبِقِ حَتَّى مَاتَ - نَعُوذُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ دَعْوَةِ
الْمَظْلُومِ - . أَنْتَهَى .

وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُهُمْ فِي هَذِهِ الْأَيَّاتِ زِيَادَةَ حَسْبَمَا

(١) تقدم شرح هاتين القطعتين ، وترجمة الوزير عبد الملك الجزيري .

ذَكَرْنَاهُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَحَلِّ ، فَإِنَّ هَذِهِ الْأَيَّاتَ لِلْمَنْصُورِ
وَهَذَا الْمُوَرَّخُ مُصَرِّحٌ بِأَنَّهَا لِعَبْدِ الْمَلِكِ الْجَزِيرِيِّ ، وَقَدْ
يُقَالُ: لَا مُنَافَاةَ بَيْنَهُمَا ، فَإِنَّ الْمَنْصُورَ أَجَابَ بِالْأَيَّاتِ ، وَهَلْ
هُوَ قَائِلُهَا أَمْ لَا؟ الْأَمْرُ أَعْمُ^(٢) ، فَبَيَّنَ هُنَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .
« وَقَالَ بَعْضُ مُوَرِّخِي الْمَغْرِبِ » إِنَّ الْحَاجِبَ الْمُصْحَفِيَّ
حَصَلَ لَهُ فِي هَذِهِ النَّكْبَةِ مِنَ الْهَلَعِ^(٣) وَالْجَزَعِ مَا لَمْ
يُظَنَّ أَنَّهُ يَصْدُرُ مِنْ مِثْلِهِ ، حَتَّى إِنَّهُ كَتَبَ إِلَى الْمَنْصُورِ
أَبْنِ أَبِي عَامِرٍ يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَقْعُدَ فِي دِهْلِيزِهِ مُعَلِّمًا لِأَوْلَادِهِ
فَقَالَ الْمَنْصُورُ: - بَدَهَائِهِ وَحَذَقِهِ - إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ يُرِيدُ أَنْ
يَحُطَّ مِنْ قَدْرِي عِنْدَ النَّاسِ ، لِأَنَّهُمْ طَالَمَا رَأَوْنِي بِدِهْلِيزِهِ
خَادِمًا وَمُسَلِّمًا^(٣) ، فَكَيْفَ يَرَوْنَهُ الْآنَ فِي دِهْلِيزِي مُعَلِّمًا؟
وَكَانَ الْمَنْصُورُ يَذْهَبُ بِهِ بَعْدَ نَكْبَتِهِ مَعَهُ فِي غَزَوَاتِهِ ،

(١) فِي بَعْضِ النُّسخِ « أَعْمَى » أَيْ مَبْهَمٌ غَيْرُ مَبِينٍ (٢) الْهَلَعُ: الْجَزَعُ وَقَوْلُهُ
الصَّبْرُ ، أَوْ هُوَ أَخْشَى الْجَزَعِ وَأَسْوَأُهُ ، وَالْهَلَوَعُ هُوَ مَنْ يَجْزَعُ وَيَفْزَعُ مِنْ
النَّوَازِلِ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى تَحْمِيلِ الْمَصَائِبِ (٣) فِي الْأَصْلِ « وَمُعَلِّمًا » وَهُوَ تَكَرَّرَ
مَعَ مَا بَعْدَهُ « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نِجَاطِي »

حَتَّى إِنَّهُ حَكِيَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ رَأَى الْحَاجِبَ الْمُصْحَفِيَّ فِي
لَيْلَةٍ نَهَى الْمَنْصُورُ فِيهَا النَّاسَ عَنْ إِيقَادِ النَّيرانِ تَعْمِيَةً عَلَى
الْعَدُوِّ الْكَافِرِ وَهُوَ يَنْفُخُ فَحْمًا فِي كَانُونٍ صَغِيرٍ وَيُخْفِيهِ
تَحْتَ ثِيَابِهِ، أَوْ كَمَا قَالَ . فَسُبْحَانَ مُدِيلِ^(١) الدُّوَلِ ! لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ ، فَإِنَّ هَذَا الْمُصْحَفِيَّ بَلَغَ مِنَ الْجَلَالَةِ وَالْعِظَمِ وَالْتِحَكُّمِ
فِي الدَّوْلَةِ الْمُدَّةَ الْمَدِيدَةَ أَمْرًا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ . وَاللَّهُ وَارِثُ
الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا ، وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ .

« وَلَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ عُلَمَاءِ الْمَغَارِبَةِ » أَنَّ مِنْ أَعَاجِبِ
اتِّقْلَابِ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا قِصَّةَ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ مَعَ
الْحَاجِبِ جَعْفَرِ بْنِ عُثْمَانَ الْمُصْحَفِيِّ . وَلَمْ يَزَلْ أَعْدَاءُ الْمَنْصُورِ
ابْنَ أَبِي عَامِرٍ يَتَرَبَّصُونَ بِهِ الدَّوَائِرَ^(٢) ، فَغَلَبَ سَعْدُهُ الَّذِي

(١) أَدَالِ اللَّهِ الدَّوْلَةَ : نَقَلَهَا ، وَجَعَلَهَا فِي غَيْرِ مَنْ كَانَتْ لَهُ ، وَفِي بَعْضِ النُّسخِ
« مَزِيل » (٢) الدَّائِرَةُ : السُّوءُ وَالشَّرُّ وَالْهَزِيمَةُ ، وَفِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ :
« وَيَتَرَبَّصُ بِكُمْ الدَّوَائِرُ ، عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ » ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : « يَقُولُونَ
نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ » ، وَيُقَالُ : الدَّوَائِرُ تَدُورُ ، وَالدَّوَائِلُ تَدُولُ
— وَتَرَبَّصُ الشَّيْءُ : ائْتَنَظَرَهُ وَتَرَقَّبَهُ « أَحْمَدُ يُونُسُفُ نَجَاتِي » ..

هُوَ الْمَثَلُ السَّائِرُ ، وَرُبَّمَا هَمَسَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ بِهَجْوِهِ وَهَجْوِ
الدَّوْلَةِ جَمِيعًا إِذْ قَالَ :

أَقْتَرَبَ الْوَعْدُ وَحَانَ الْهَلَاكُ

وَكُلُّ مَا تَحْذَرُهُ قَدْ أَتَاكَ^(١)

خَلِيفَةً يَلْعَبُ فِي مَكْتَبِ

وَأُمَّةٌ حُبْلَى ، وَقَاضٍ يُنَاكَ

يَعْنِي بِالْخَلِيفَةِ هِشَامًا الْمُؤَيَّدَ لِكَوْنِهِ كَانَ صَغِيرًا ، وَأُمَّةٌ
صَبَحَ الْبَشْكَنِيَّةُ^(٢) كَانَ الْأَعْدَاءُ يَتَّهِمُونَ بِهَا الْمَنْصُورَ ،
وَذَلِكَ بُهْتَانٌ وَزُورٌ ، وَأَفْظَعُ مِنْهُمْ رَمِيَهُمُ الْقَاضِي بِالْفُجُورِ ،
وَاللَّهُ عَالِمٌ بِسَرَائِرِ الْأُمُورِ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ السِّنَةِ الشُّعْرَاءِ
الَّذِينَ لَا يُرَاعُونَ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً^(٣) ، وَيُطْلِقُونَ السِّنَتَهُمْ فِي
الْعُلَمَاءِ وَالْأَعْمَةِ :

(١) من قوله تعالى : « واقترب الوعد الحق » وفي الأصل « اقترب
الوقت » (٢) سبق القول في « البشكنس » وفي السيدة صبح - وفي
الأصل « البشتكية » مصحفا محرفا « أحمد يوسف نجاتي » :
(٣) الال: العهد والحلف والقراية ، ومنه قوله تعالى : « لا يرقبون في مؤمن
لا ولا ذمة » ، والال: كل ماله ذمة وحق وحرمة كالقراية والرحم والجوار
والعهد ، وهو من آلت إذا اجتهدت في الشيء وحافظت عليه ولم تضيعه

وَأَظْلَمُ أَهْلِ الْأَرْضِ مَنْ كَانَ حَاسِدًا

لِمَنْ بَاتَ فِي نِعْمَائِهِ يَتَقَلَّبُ^(١)

جَدِيرٌ بِالْأَلَا يُدْرِكُ مَا يُؤْمَلُ وَيَتَطَلَّبُ ، لِأَنَّهُ يَعْتَرِضُ
عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي أَحْكَامِهِ ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ أَنْفُسِنَا وَمِنْ
شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ يَجَاهُ نَبِينًا عَلَيْهِ أَزْ كَى صَلَوَاتِ اللَّهِ وَأَفْضَلُ
سَلَامِهِ . وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ الْمَنْصُورَ بْنَ أَبِي عَامِرٍ كَانَ يَخْدُمُ
أَوَّلًا جَعْفَرَ بْنَ عُثْمَانَ الْمُصْحَفِيِّ مُدَبِّرَ مَمْلَكَةِ هِشَامِ الْمُؤَيَّدِ
وَيُرِيهِ النَّصِيحَةَ ، وَأَنَّهُ مَا زَالَ يَسْتَجْلِبُ الْقُلُوبَ بِجُودِهِ
وَحُسْنِ خُلُقِهِ ، وَالْمُصْحَفِيُّ يُنْقَرُّهَا بِخُلُقِهِ وَسُوءِ خُلُقِهِ ، إِلَى

(١) هذا بيت للتمني من قصيدة في مدح كافور أولها:

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب

وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

ثم قال : وأظلم أهل الظلم من بات حاسدا الخ، يقول ان أشد الظلم وأقبحه
أن يحسد المرء كريما أنعم عليه، ومنعما يتقلب في احسانه ، فهو يعيش رافلا
في حلال نعمه، ومع هذا يبيت حاسدا له ، ولن تخرج النفس الخيثة من
الدنيا حتى تسيء الى من أحسن اليها . هذا وفي بعض المراجع لم يأت
بالبيت ، بل أخذ بعضه فقال : ومن كان حاسدا لمن بات في نعمائه يتقلب
جدير الخ - وما هنا يكون « جدير » خبرا لمبتدأ محذوف ، أي فهو جدير
الخ أو والحاسد جدير ونحو ذلك . « أحمد يوسف نجاتي » .

أَنْ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ ، فَاسْتَوَلَى عَلَى الْحِجَابَةِ وَسَجَنَ
الْمُصْحَفِيَّ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْمُصْحَفِيُّ :

غَرَسْتُ قَضِيْبًا خِلْتُهُ عُودَ كَرَمَةٍ

وَكَنتُ عَلَيْهِ فِي الْحَوَادِثِ قِيَمًا

شئ من شعر -
المصحفى

أَكْرَمُهُ دَهْرِي فِرْدَادُ خُبْتُهُ

وَلَوْ كَانَ مِنْ أَصْلِ كَرِيمٍ تَكَرَّمَا

وَلَمَّا يَسَّ الْمُصْحَفِيُّ مِنْ عَفْوِ الْمَنْصُورِ قَالَ :

لِي مُدَّةٌ لَا بُدَّ أَنْبُلُهَا

فَإِذَا انْقَضَتْ أَيَّامُهَا مِتُّ

لَوْ قَابَلْتَنِي الْأَسَدُ ضَارِيَةً^(١)

وَالْمَوْتُ لَمْ يَقْرُبْ لَمَّا خِفْتُ

فَانْظُرْ إِلَى وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ

فِي مِثْلِ حَالِكَ أَمْسٍ قَدْ كُنْتُ

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا نَعَى بِهِ نَفْسَهُ قَوْلُهُ - حَسْبَمَا تَقَدَّمَ :

(١) أى متعودة الصيد والافتراس ، وكاب ضار بالصيد اذا تطعم بلحمه

صَبَرْتُ عَلَى الْأَيَّامِ حَتَّى تَوَلَّيْتُ
وَالزَّمْتُ نَفْسِي صَبْرَهَا فَاسْتَمَرَّتْ
فَوَاعَجَبًا لِلْقَلْبِ ! كَيْفَ أُعْتِرَافُهُ
وَالنَّفْسِ بَعْدَ الْعِزِّ كَيْفَ اسْتَدَلَّتْ ؟
وَمَا النَّفْسُ إِلَّا حَيْثُ يَجْعَلُهَا الْفَتَى
فَإِنْ طَمِعَتْ تَأَقَّتْ ، وَإِلَّا تَسَلَّتْ
وَكَانَتْ عَلَى الْأَيَّامِ نَفْسِي عَزِيزَةً
فَلَمَّا رَأَتْ صَبْرِي عَلَى الذُّلِّ ذَلَّتْ
فَقُلْتُ لَهَا : يَا نَفْسُ مُوتِي كَرِيمَةً
فَقَدْ كَانَتْ الدُّنْيَا لَنَا تُمٌّ وَلَتْ
وَأُنْشَدَ لَهُ الْفَتْحُ فِي الْمَطْمَحِ - وَنَسَبَهُمَا غَيْرُهُ لِأَحْمَدَ بْنِ
الْفَرَجِ صَاحِبِ الْخَدَائِقِ ^(١) :
كَلَّمْتَنِي فَقُلْتُ : دُرٌّ سَقِيطٌ
فَتَأَمَّلْتُ عِقْدَهَا هَلْ تَنَاقَرُ ^(٢) ؟ .

(١) تقدم شرح الأبيات الماضية، كما سبق ترجمة أحمد بن الفرج . .

(٢) تشبيهه قد أحسن التصرف فيه، ونقل تشبيه الحديث والثغر بالدر من

فَارْزَدَهَا مَا تَبَسُّمٌ ، فَأَرْتَنِي
نَظْمَ دُرٍّ مِنْ التَّبَسُّمِ آخِرُ
وَلَهُ كَمَا مَرَّ (١) :

صَفْرَاءُ تُطْرِقُ فِي الزَّجَاجِ ، فَإِنْ سَرَتْ
فِي الْجِسْمِ دَبَّتْ مِثْلَ صِلٍّ لَادِغٍ
خَفِيتُ عَلَى شُرَّابِهَا فَكَأَنَّمَا
يَجِدُونَ رِيًّا مِنْ إِنَاءٍ فَارِغٍ

الابتذال لشهرته الى الغرابة بهذا الخيال البديع والتصرف الحسن . وهو
من قول البحترى :

ولما التقينا والنقا موعد لنا تعجب رائى الدر حسنا ولاقطه
فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه
والمصحف قد زاد أن ربط التبسم الذى أظهر ثغرها بالحديث الذى كلمته
به اذ جعل تبسمها ناشئا عن اعجابها بسروره من حديثها واعجابه به
حتى التبس عليه دره بدر عقدها ، فجعل الدر ين منتظمين فى عقد ملتصقين
فى نسق ، والبحترى قد أحسن الصياغة أيضا وان سلك طريقا آخر
بديعا . والبيت الأول مثل قول حمدونة الأندلسية فى وصف حصاء روض
تروع حصاء حالية العذارى فتلمس جانب العقد النظيم

ومن اللطيف فى ذلك قول الآخر :

وتحيرت أحسب الثغر عقدا لسليمى وأحسب العقد ثغرا
فلثمت الجميع قطعنا لشكى وكذا فعل كل من يتحجرى
وازدهاها ، وزهاها ، أى استخفها وحملها على الزهو أى الاعجاب والتهيه .
« أحمد يوسف نجاشى » (١) سبق شرح البيتين

وله :

يَا ذَا الَّذِي أُوْدَعَنِي سِرَّهُ لَا تَرْجُ أَنْ تَسْمَعَهُ مِنِّي
لَمْ أَجْرِهِ بَعْدَكَ فِي خَاطِرِي كَأَنَّهُ مَا مَرَّ فِي أُذُنِي

وَأَنْشَدَ لَهُ صَاحِبُ بَدَائِعِ التَّشْبِيهَاتِ :

سَأَلْتُ نُجُومَ اللَّيْلِ هَلْ يَنْقُضِي الدُّجَى

فَخَطَّتْ جَوَابًا بِالثُّرَيَّا كَخَطِّ لَا ؟

وَكُنْتُ أَرَى أَنِّي بِآخِرِ لَيْلَتِي

فَأَطْرَقَ حَتَّى خِلْتُهُ عَادَ أَوَّلًا (١)

وَمَا عَنْ هَوَى سَامِرَتُهَا ، غَيْرَ أَنِّي

أَنَا فِي سَهَاءِ الْمَجْرَى إِلَى طُرُقِ الْعَلَا

انتهى

(١) أطرق عليه الليل «والأكثر أطرق على وزن افعل» اذا تراكم ظلامه وركب بعضه بعضا ، أو استعار أطرق الليل من أطرق الرجل اذا سكت وأغضى وأقبل ببصره الى صدره ساكنا لا يتحرك . وتطارق الظلام : تتابع . هذا ويصح أيضا « فأطبق » أى عم ظلامه وشمل الكون ، وأطبقت نجومه أى كثرت غير متحركة ، ويقال بات يرعى طبق النجوم أى يرعاها ويرقب حالها في مسيرها . هذا وقد أحسن المصحف فيه تشبيه الثريا ، وفي حسن تعليله لسهره في البيت الثالث . « أحمد يوسف نجاتي »

* *

المصحف العثماني
بقرطبة

« رَجَعُ » وَكَانَ - كَمَا تَقَدَّمَ - بِقُرْطُبَةَ الْمُصْحَفِ، الْعُثْمَانِيُّ
وَهُوَ مُتَدَاوِلٌ بَيْنَ (١) أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ، قَالُوا ثُمَّ آتَى أَمْرُهُ إِلَى
الْمُوَحِّدِينَ، ثُمَّ إِلَى بَنِي مَرِينٍ. قَالَ الْخَطِيبُ أَبُو مَرْزُوقٍ (٢)
فِي كِتَابِ الْمُسْنَدِ الصَّحِيحِ الْحَسَنِ مَا مُلَخَّصُهُ: وَكَانَ السُّلْطَانُ
أَبُو الْحَسَنِ لَا يُسَافِرُ مَوْضِعًا إِلَّا وَمَعَهُ الْمُصْحَفُ الْكَرِيمُ
الْعُثْمَانِيُّ، وَلَهُ عِنْدَ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ شَأْنٌ عَظِيمٌ وَمَقَامٌ كَبِيرٌ،
وَكَيْفَ لَا؟ قَالَ أَبُو بَشْكُوَالٍ: أَخْرَجَ هَذَا (٣) الْمُصْحَفُ
الْعُثْمَانِيُّ مِنْهَا - أَيُّ قُرْطُبَةَ - وَغُرَبَاءَ عَنْهَا، وَكَانَ بِجَامِعِهَا
الْأَعْظَمِ - لَيْلَةَ السَّبْتِ الْحَادِي عَشَرَ مِنْ شَوَّالِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ

(١) فِي بَعْضِ النُّسخ « مُتَوَاتِرٌ عِنْدَ » بَدَلَ « مُتَدَاوِلٌ بَيْنَ »

(٢) هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَرْزُوقِ الْعَجِيسِيِّ، كَانَ
خَطِيبًا مَشْهُورًا، وَاسْتَوَزَرَهُ السُّلْطَانُ أَبُو سَالِمِ الْمُرِينِيُّ التَّوْفِي سَنَةَ ٧٦٢
وَأَلْقَى إِلَيْهِ زِمَامَ دَوْلَتِهِ. « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَاتِي ». (٣) فِي الْأَصْلِ
« وَيُقَالُ أَنَّ ابْنَ بَشْكُوَالٍ أَخْرَجَ هَذَا الْمُصْحَفَ » الْحُجَّ وَهُوَ تَحْرِيفٌ وَزِيَادَةٌ
مُفْسَدَةٌ وَظَلَمٌ لِابْنِ بَشْكُوَالٍ الْوَرِخِ الَّذِي قَصَّ عَلَيْنَا حَدِيثَ أَخْرَاجِ الْمُصْحَفِ
مِنْ قُرْطُبَةَ فِي حَيَاتِهِ، وَأَمَّا نَقْلُهُ عَبْدُاَوْمَنْ بْنِ عَلِيٍّ. وَتَقَدَّمَ تَرْجُمَةُ خَلْفِ
ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ بَشْكُوَالٍ، وَكَانَ مَوْلَدُهُ سَنَةَ ٤٩٤، وَتَوَفَّى سَنَةَ ٥٧٨.
وَهُوَ ثِقَةٌ فِي أَخْبَارِ الْأَنْدَلُسِ وَمَعْرِفَةُ رَجَالِهَا، وَاسِعُ الرِّوَايَةِ عَظِيمُ الدِّرَايَةِ
وَلَا سِيَّامَا يَتَعَلَّقُ بِمَدِينَةِ قُرْطُبَةَ. « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَاتِي ».

وَحَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةً ، فِي أَيَّامِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ
وَبِأَمْرِهِ ، وَهَذَا أَحَدُ الْمَصَاحِفِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي بَعَثَ بِهَا
عُثْمَانُ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - إِلَى الْأَمْصَارِ ؛ مَكَّةَ ، وَالْبَصْرَةَ ،
وَالْكُوفَةَ ، وَالشَّامَ . وَمَا قِيلَ مِنْ أَنَّ فِيهِ دَمَ عُثْمَانَ بَعِيدٌ ،
وَإِنْ يَكُنْ أَحَدَهَا فَلَعَلَّهُ الشَّامِيُّ ، قَالَ ^(١) ابْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ .
قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ التَّجِيبِيُّ السَّبْتِيُّ : أَمَّا الشَّامِيُّ فَهُوَ بَاقٍ
بِمَقْصُورَةٍ جَامِعِ بْنِ أُمَيَّةَ بِدِمَشْقَ الْمَحْرُوسَةِ ، وَعَايِنْتُهُ
هُنَاكَ سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةً ، كَمَا عَايَنْتُ الْمَكِّيَّ
بِقُبَّةِ الْيَهُودِيَّةِ وَهِيَ قُبَّةُ الشَّرَابِ ^(٢)

(١) وفي نسخة « قاله » (٢) وفي نسخة « قبة التراب » وقد
نقل هذا النص صاحب كتاب الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى قال :
« قال ابن عبد الملك قال أبو القاسم التجيبي السبتي : أما الشامي فهو باقٍ
بمقصورة جامع بني أمية بدمشق ، وعايينته هناك سنة ٦٥٧ كما عايينت المكي
بقبة الشراب ، قال فلعله الكوفي أو البصري » قال الخطيب ابن مرزوق
في كتاب المسند الصحيح الحسن : اختبرت الذي بالمدينة والذي نقل من
الأندلس فألفيت خطهما سواء .. الى قوله .. على كتب المصحف . اهـ »
وكان الوليد بن عبد الملك بن مروان لما سقف الجامع بعد أن فرغ من
بنائه قد جعل باطن أسقفه مبطنا بالذهب ، فقال له بعض أهله : أتعبت الناس
بعدك في حليه كل سنة فيخشى أن يخرب سريعا ، فأمر الوليد أن يسقف
بالرصاص ، وأن يجمع الرصاص الذي في البلاد جهد الطاقة ليجمعه عوض
الطين ، فوصل اليه ، وتبقى موضع لم يجد له رصاصا ، فكتب الى عماله يحرضهم

« قُلْتُ » عَايَنْتُهُمَا مَعَ الَّذِي بِالْمَدِينَةِ سَبْنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ
وَسَبْعِمِائَةٍ وَقَرَأْتُ فِيهِمَا . قَالَ النَّخَعِيُّ : أَعْلَهُ الْكُوفِيُّ أَوْ
الْبَصْرِيُّ ، وَأَقُولُ : اخْتَبَرْتُ الَّذِي بِالْمَدِينَةِ وَالَّذِي نُقِلَ مِنْ
الْأَنْدَلُسِ فَأَلْفَيْتُ خَطَّهُمَا سَوَاءً ، وَمَا تَوَهَّمُوهُ مِنْ أَنَّهُ
خَطَّهُ يَمِينِهِ فَلَيْسَ بِصَحِيحٍ ، فَلَمْ يَخُطَّ عُثْمَانُ وَاحِدًا

على طلبه ، فكتب اليه بعضهم : انا وجدنا عند امرأة يهودية شيئا منه
كثيرا قد ورثته ، وأبت أن تبيعه الا بوزنه فضة ، فأمر الوليد بشرائه
بما قالت ، فلما رأت المرأة الاسرائيلية ذلك قالت : هو هدية مني للجامع
فاني أحب أن يكون لي فيه شيء في حب الله تعالى ، فقد كنت أظن أن
صاحبكم يظلم الناس في بنائه ويأخذ أموالهم ، ولكي رأيت منكم الوفاء
وعلمت أن صاحبكم مخلص في بنائه صادق في حب الله تعالى . ويقال انه
كتب على الرصاص الذي أهدته تلك الاسرائيلية المحسنة «لله» مطبوعا . هذا وفي
سنة ٩٢٢ حدثت ملك الشام نفسه أن في القبة الغربية في صحن المسجد مالا
ففتحها فلم يجد غير أوراق مكتوبة بالخط الكوفي من القرآن الكريم
وهي نسخ جزيلة ، فأخذ الناس بعض ذلك وأعادوا الباقي . وكان لا يزال
الى أوائل هذا القرن الهجري بعض قطع من المصاحف الشريفة تلك القبة
التي في صحن الجامع بالقلم الكوفي ، ولكنها ما لبثت أن حلت الى الأستانة
كلها ولم يبق منها شيء ، وفي سنة ١٣١١ احترق المسجد ولم يبق فيه شيء
من الآثار ، وفي أواخر عهد السلطان عبد الحميد رحمه الله اقترحت الحكومة
الالمانية على الحكومة التركية بمشورة بعض المستشرقين الألمان أن تفتح
القبة للتحقيق في الشمال الغربي من صحن المسجد ، فوجد فيها بعض الصكوك
والمصاحف الشريفة وبعض المخطوطات القديمة . « أحمد يوسف نجاتي »

مِنْهَا، وَإِنَّمَا جَمَعَ عَلَيْهَا بَعْضًا مِنْ الصَّحَابَةِ - كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَلَى ظَهْرِ الْمَدَنِيِّ، وَنَصُّ مَا عَلَى ظَهْرِهِ : هَذَا مَا أُجْمَعَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مِنْهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ، وَسَعِيدُ بْنُ الْعَاصِي . وَذَكَرَ الْعَدَدُ الَّذِي جَمَعَهُ عُثْمَانُ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - مِنْ الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ - عَلَى كَتَبِ الْمُصْحَفِ . أَنْتَهَى . وَأُعْتِنِي بِهِ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَلَمْ يَزَلِ الْمُوَحِّدُونَ يَحْمِلُونَهُ فِي أَسْفَارِهِمْ مُتَبَرِّكِينَ بِهِ إِلَى أَنْ حَمَلَهُ الْمُعْتَصِدُ ^(١) وَهُوَ السَّعِيدُ عَلِيُّ بْنُ الْمَأْمُونِ أَبِي الْعَلَاءِ

(١) اليك خلاصة تاريخ الخلفاء من الموحدين وأخبار تنقل المصحف الشريف. لما توفي المهدي سنة ٥٢٤ قام بالأمر بعده عبد المؤمن بن علي الكومي « من كومية : قبيلة بربرية هم بنو عم زناتة » وتسمى سنة ٥٢٨ بأمير المؤمنين ، وتوفي سنة ٥٥٨ فتولى الأمر بعده ابنه أبو يعقوب يوسف ابن عبد المؤمن ، وتوفي سنة ٥٨٠ فبويغ ابنه أبو يوسف يعقوب بن يوسف ابن عبد المؤمن ، وتوفي سنة ٥٩٥ فبويغ لولده أبي عبد الله محمد الناصر لدين الله بن يعقوب المنصور بالله ، وتوفي سنة ٦١٠ فبويغ ابنه أبو يعقوب يوسف المنتصر بالله ، وتوفي سنة ٦٢٠ فبويغ للسيد أبي محمد عبد الواحد ابن يوسف بن عبد المؤمن ، ولكنه خلع وتوفي سنة ٦٢١ وبويغ لأبي محمد عبد الله العادل بن المنصور يعقوب ، وتوفي سنة ٦٢٤ فبويغ لأبي العلاء إدريس المأمون بن يعقوب المنصور ، وتوفي سنة ٦٢٩ فبويغ ابنه

الرشيد عبد الواحد ، وتوفي سنة ٦٤٠ فبويغ أخوه لآبيه أبو الحسن على السعيد بن المأمون بن المنصور « وهو هذا الملقب بالعتضد بالله » وكان يغمراسن بن زيان الزناتى قد اقتطع المغرب الأوسط وأقام به الدعوة الحفصية فأراد السعيد أن يخلصه منه ، فسار اليه بجيوشه ونهض من مرا كش آخر سنة ٦٤٥ وقصد أولا يريد مكناسة لحرب بنى مرين وكانوا قد تغلبوا على ضواحي المغرب ، فلما انتهى من أمرهم عسكر بظاهر فاس ، ثم ارتحل عنها في المحرم سنة ٦٤٦ يريد تلمسان ، وبينما كان محاصرا لها وقضى الحناق عليها ركب مهجرا في وقت القيولة على حين غفلة من الناس ليطوف بالقلعة ويستقرى مكانها ، فبصر به فارس من بنى عبد الواد يعرف بيوسف الشيطان كان بأسفل الجبل « الذى اعتمده السعيد بعسا كره » منيخا في ساحة القلعة بقصد الحراسة ، واتفق أن يغمراسن بن زيان وابن عمه يعقوب ابن جابر كانا قريبين منه ، فعرفوا السعيد فاقبضوا عليه من بعض الشعب أمثال العقبان ، وطعنه يوسف الشيطان فكبه عن فرسه ، ثم استلحموا مواليه وبعض أولاده ، وذلك في أواخر شهر صفر سنة ٦٤٦ وقضى السعيد نحيبه من جراحه ، وانتهب المعسكر وما فيه ، واستولى بنو عبد الواد على ما كان فيه من الأسلاب والغنائم والأثاث الثمين ، واختص يغمراسن بفسطاط السلطان فكان له خاصة دون قومه ، واستولى على الذخيرة التى كانت فيه ومنها هذا المصحف الشريف الذى يقال انه أحد المصاحف التى نسخت في عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه ، وانه كان في خزائن قرطبة عند ولد عبد الرحمن الداخل ، ثم صار في ذخائر لمتونة فيما صار اليهم من ذخائر ملوك الطوائف بالأندلس ، ثم صار الى ذخائر الموحدين من يد لمتونة ، فانتقل في هذه الحادثة الى زيان وبنى عبد الواد ملوك تلمسان ، ثم صار الى بنى مرين فيما استولوا عليه من ذخيرة آل زيان ، وذلك عند غلب السلطان أبى الحسن المرينى على تلمسان سنة ٧٣٧ فحصل المصحف الشريف عنده ، فكان يتبرك به ويحمله في أسفاره على العادة ، الى أن أصيب في وقعة طريف الى آخر ما هنا . وفي سنة ٧٥٠ ركب السلطان أبو الحسن البحر من تونس قافلا

الى المغرب بعد استيلائه على افريقية - وكان ذلك في ابان ثورة البحر
وهياجه - ففرقت مرا كبه وهلكت نفوس كثيرة، وفقدت نفائس يعز وجود
مثلها، ومن ضمنها هذا المصحف الكريم، فاستأثر البحر به، وكان ذلك
آخر عهد المغرب ببركته. ولما توفي أبو الحسن السعيد عقد الموحدون البيعة
لأبي حفص عمر بن السيد أبي ابراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن ولقب
بالمرتضى، واستوزر أخاه السيد أبا اسحق الذي كان وزيراً لأيهما السعيد
من قبل وأسند اليه أمره، وفي أيام المرتضى هذا استولى أبو بكر بن
عبد الحق أمير بني مرين على أكثر بلاد المغرب، واستفحل أمر بني مرين
وقويت شوكتهم، ثم كانت خطوب لحقت المرتضى حتى قتل سنة ٦٦٥.
فبويع لابن عمه أبي العلاء ادريس « الملقب بالوائق والمكني بأبي دبوس »
ابن السيد أبي عبد الله محمد بن السيد أبي حفص عمر بن عبد المؤمن، وبعد
حروب وحوادث قتل أبو دبوس في آخر سنة ٦٦٧ واستولى بنو مرين
على مرا كش، وفر الموحدون الذين كانوا بها الى جبل تينملل فبايعوا
اسحق بن أبي ابراهيم أخا المرتضى، فبقي الى سنة ٦٧٤ فاستولى على الأمر
يعقوب بن عبد الحق المريني، وانقرضت دولة بني عبد المؤمن، وذهبت محاسن
مرا كش يومئذ بذهاب دولتهم، والملك لله يؤتیه من يشاء. وكان السلطان
النصور بالله يعقوب بن عبد الحق سيد بني مرين، ودامت أيامه حتى توفي
سنة ٦٨٤ وقام بالأمر بعده السلطان الناصر لدين الله ابنه يوسف، وتوفي
سنة ٧٠٦ فقام بالأمر بعده السلطان أبو ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف
ابن يعقوب بن عبد الحق، وتوفي سنة ٧٠٨ فتولى بعده السلطان أبو الربيع
سليمان بن أبي عامر عبد الله بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق، وتوفي
سنة ٧١٠ فقام بالأمر بعده السلطان أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد
الحق، وتوفي سنة ٧٣١ فقام بالأمر بعده السلطان النصور بالله أبو الحسن
على بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق، وهو أرقى ملوك بني مرين وأعزهم
سلطاناً وأضخمهم ملكاً وأعظمهم أمة، وأكثرهم آثاراً بالمغربين والاندلس
وكان الفرنج قد استردوا بعض بلاد الاندلس وثغورها فاستعادها السلطان

إِدْرِيسَ بْنِ يَعْقُوبَ الْمَنْصُورِ حِينَ تَوَجَّهَ لِتِلْمِسَانَ آخِرَ
سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، فَقُتِلَ قَرِيبًا مِنْ تِلْمِسَانَ
« وَقَدَّمَ ابْنَهُ إِبْرَاهِيمَ ثُمَّ قُتِلَ » وَوَقَعَ النَّهْبُ فِي الْخَزَائِنِ
وَأَسْتَوْلَتْ الْعَرَبُ وَغَيْرُهُمْ عَلَى مُعْظَمِ الْعَسْكَرِ ، وَنُهِبَ
الْمُصْحَفُ وَلَمْ يُعْلَمْ مُسْتَقَرُّهُ ، وَقِيلَ إِنَّهُ فِي خِزَانَةِ مُلُوكِ
تِلْمِسَانَ . قُلْتُ لَمْ يَزَلْ هَذَا الْمُصْحَفُ فِي خِزَانَةِ
بَنِي عَبْدِ الْوَادِ مُلُوكِ تِلْمِسَانَ إِلَى أَنْ أُفْتَتِحَهَا إِمَامَنَا أَبُو الْحَسَنِ
أَوَاخِرَ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، فَظَفِرَ
بِهِ وَحَصَلَ عِنْدَهُ إِلَى أَنْ أُصِيبَ فِي وَقْعَةِ طَرِيفٍ ، وَحَصَلَ
فِي بِلَادِ بُرْتُقَالٍ ، وَأَعْمَلَ أَبُو الْحَسَنِ الْحِيلَةَ فِي اسْتِخْلَاصِهِ

أبو الحسن، وقد تقدم بيان ذلك وأنهم استولوا على جبل الفتح « جبل طارق » سنة ٧٠٩ فاسترد سنة ٧٣٣ وتقدمت وقعة طريف التي محص الله فيها المسلمين، وفيها قتل الأمير أبو مالك أمير الثغور الأندلسية ابن السلطان أبي الحسن سنة ٧٤٠ واحتوى الأعداء على معسكره بمافيه من أموال وذخائر، وكانت ملوك الفرنج قد احتشدوا وظاهرهم صاحب البرتقال وغرب الأندلس، وأنوا أعمالاً تبرا منها الشهامة وتأنف منها المدينة من قتل نساء المسلمين وأطفالهم ، وتوفي السلطان أبو الحسن سنة ٧٥٢ وفي دولته ألف الخطيب ابن مرزوق كتابه المسمى « المسند الصحيح الحسن من أحاديث السلطان أبي الحسن » « أحمد يوسف نجاتي » .

حَتَّى وَصَلَ إِلَى فَاسَ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ عَلَى يَدِ
أَحَدِ تُجَّارِ آزْمُورَ^(١) وَأَسْتَمَرَ بِقَاوُهُ فِي خِزَانَتِهِ إِلَى أَنْ
أَسْتَوَلَى عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ . أُنْتَهَى بِاخْتِصَارٍ . وَأُعْتِنَى بِهِ مُلُوكُ
الْمُوحِّدِينَ غَايَةَ الْإِعْتِنَاءِ كَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ رُشِيدٍ فِي رِحْلَتِهِ ،
وَلَا بَأْسَ أَنْ أَذْكَرَ كَلَامَهُ بِجُمْلَتِهِ وَالرَّسَالَةَ فِي شَأْنِ
الْمُصْحَفِ لِمَا فِيهَا مِنَ الْفَائِدَةِ . وَنَصُّ مَحَلِّ الْحَاجَةِ مِنْهُ :
أَنْشَدَنِي الْخَطِيبُ أَبُو مُحَمَّدٍ^(٢) بْنُ بَرْطُلَةَ مِنْ لَفْظِهِ ، وَكَتَبْتُهُ
مِنْ خَطِّهِ ، قَالَ أَنْشَدَنِي الشَّيْخُ الْفَقِيهُ الْقَاضِي أَبُو الْقَاسِمِ

(١) قال ياقوت : أزْمُورَةُ « بثلاث ضمت متوالية وتشديد الميم » بلد
بالمغرب في جبال البربر ، اه قلت كذا ضبطها ياقوت ، ولكن المشهور الذي
يؤخذ من قول الشعراء فيها أنها بعد الهمزة ، ومنها الشيخ القدوة أبو شعيب
أيوب بن سعيد الصنهاجي الملقب بسارية الورع الزاهد المتوفى سنة ٥٦١
وفيه يقول صاحب كتاب الاستقصاء من قصيدة طويلة :

بدر عدا في سماء المجد مكتملا به علا ذكر آزمور في الوطن
وأقول : وآزمور هذه هي التي التحأ إليها السلطان المرتضى بن السلطان أبي
الحسن السعيد لما قوى عليه ابن عمه أبو دبوس ، ونزل فيها على صهر له
من بني عطوش كان واليا عليها من قبله وكان متزوجا مابنة المرتضى ،
وبناحية آزمور قتل المرتضى سنة ٦٦٥ وكان بها كثير من قبائل صنهاجة
« أحمد يوسف نجاتي » .

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن موسى بن سليمان بن علي بن عبد الملك

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ كَاتِبِ الْخِلَافَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيَّاشٍ
لَأَيِّهِ^(١) رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى - مِمَّا نَظَّمَهُ وَقَدْ أَمَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
الْمَنْصُورُ بِتَحْلِيَةِ الْمُصْحَفِ :

وَنَقَّلْتُهُ^(٢) مِنْ كُلِّ مُلْكٍ ذَخِيرَةً

كَأَنَّهُمْ كَانُوا بِرِسْمِ مَكَاسِبِهِ

ابن يحيى بن عبد الملك بن الحسن بن محمد بن عميرة بن طريف الأزدي
من أهل مرسية ولد سنة ٤٨١ وكان شيخا جليلا عالما صالحا، ورحل الى
المشرق سنة ٥١٠ فأدى الفريضة وأخذ عن كثير من العلماء، وعاد الى
مرسية بلده فولى الصلاة بمسجدها الجامع حتى توفى بها سنة ٥٦٣ وابنه
أبو بكر عبد الرحمن كان ذا علم وصلاح، تولى قضاء مدينة دانية مدة، وولى
الصلاة بجامع مرسية كأبيه، وكان حافظا للحديث راوية متقنا ذا حظ عظيم
من الأدب وعلوم اللغة والفقه بليغا نبیلا، ولد سنة ٥٤٧ وتوفى سنة ٥٩٩
بمدينة مرسية. « أحمد يوسف نجاتي » (١) هو أبو عبد الله محمد بن
عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عياش التجيبي من أهل برشانة
من عمل المرية وسكن مراکش، ولد سنة ٥٥٠ كان عالما فاضلا ذا عناية
بالآداب رئيسا في صناعة الكتابة خطيبا معقعا بليغا مفوها شاعرا أديبا
واستكتبه السلطان بالمغرب سنة ٥٨٦ فدل على كفاية، ونال دنيا عريضة
وجاها عظيما، وتوفى بمراكش سنة ٦١٨. وابنه أبو القاسم عبد الرحمن
ابن محمد كان فقيها فاضلا، ولى قضاء مرسية وغرناطة وغيرها، وكان كأبيه
خطيبا مصقعا ولسنا بليغا، ولد سنة ٥٨١ وتوفى سنة ٦٣٦ بمدينة مالقة.
« أحمد يوسف نجاتي » (٢) نقلته أى نقلك الله إياه ووهبه لك وآثر لك به
ويجوز أن يقرأ : وَنَقَّلْتُهُ مِنْ كُلِّ مُلْكٍ ذَخِيرَةً (بإضافة ملك الى ذخيرة)

فَإِنْ وَرِثَ الْأَمْلَاقُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
فَكَمْ قَدْ أَخْلَوْا جَاهِلِينَ بِوَاجِبِهِ
وَكَيفَ يَفُوتُ النَّصْرُ جَيْشًا جَعَلَتْهُ
أَمَامَ قَنَاهُ فِي الْوَعَى وَقَوَاضِيهِ؟
وَأَلْبَسَتْهُ الْيَاقُوتَ وَالْذَرَّ حِلِيَّةً
وَعَيْرُكَ قَدْ رَوَّاهُ مِنْ دَمٍ صَاحِبِهِ^(١)

كيف وصل
المصحف الى
دولة الموحدين

وَعَلَى ذِكْرِ هَذَا الْمُصْحَفِ الْكَرِيمِ فَلَنَذْكُرْ كَيْفِيَّةَ الْأَمْرِ
فِي وُصُولِهِ إِلَى الْخَلِيفَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ، وَمَا أَبْدَى فِي
ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الْغَرِيبَةِ الَّتِي لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ
حَسَبًا أَطْرَفَنَاهُ الْوَزِيرُ الْأَجَلُّ أَبُو زَكْرِيَّا يَحْيَى بْنُ أَحْمَدَ بْنِ
يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ طَفِيلٍ الْقَيْسِيُّ - حَفِظَهُ اللَّهُ
وَشَكَرَهُ - مِمَّا اسْتَفَادَهُ وَأَفَادَهُ لَنَا مِمَّا لَمْ نَسْمَعْ بِهِ قَبْلُ، عَنْ
كِتَابِ جَدِّهِ الْوَزِيرِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ
طَفِيلٍ الْمَذْكُورِ، مِمَّا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ وَصْفِ قِصَّةِ الْمُصْحَفِ

(١) يشير الى يوم الدار وحادثة قتل سيدنا عثمان رضى الله عنه. وهو
يقرأ في المصحف الشريف . « أحمد يوسف نجاني »

فَقَالَ : وَصَلَ إِلَيْهِمْ - أَدَامَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَأْيِيدُهُمْ -
 قَمَرًا الْأَنْدَاسِ النَّيِّرَانِ ، وَأَمِيرَاهَا الْمُتَخَيَّرَانِ ، السَّيِّدَانِ
 الْأَجَلَانِ ، أَبُو سَعِيدٍ وَأَبُو يَعْقُوبَ ^(١) - أَيَّدَهُمَا اللَّهُ - وَفِي
 صُحْبَتِهِمَا مُصْحَفُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ -
 وَهُوَ الْإِمَامُ الَّذِي لَمْ يَخْتَلِفْ فِيهِ مُخْتَلِفٌ ، وَمَا زَالَ يَنْقُلُهُ
 خَلَفٌ عَنْ سَلَفٍ ، وَقَدْ حَفِظَ شَخْصُهُ عَلَى كَثْرَةِ الْمُتَنَاولِينَ ،
 وَذَخَرَهُ اللَّهُ لِخَلِيفَتِهِ الْمَخْصُوصِ بِمَنْ سُوَّخَّرَ لِحِدْمَتِهِ مِنْ
 الْمُتَدَاوِلِينَ ، وَلَهُ مِنْ غَرَائِبِ الْأَنْبَاءِ ، وَمُتَقَدِّمِ الْإِشْعَارِ بِمَا
 آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُ مِنَ الْإِيْمَاءِ ^(٢) مَا مُلِئَتْ بِهِ الطُّرُوسُ ^(٣) ، وَتَحَفَّظَهُ
 مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ الرَّائِسُ وَالْمَرْءُوسُ ، فَتَلَقَّى عِنْدَ
 وَصُولِهِ بِالْإِجْلَالِ وَالْإِعْظَامِ ، وَبُودِرَ إِلَيْهِ بِمَا يَجِبُ مِنْ
 التَّبَجِيلِ وَالْإِكْرَامِ ، وَعُكِفَ عَلَيْهِ أَطْوَلَ الْمَكُوفِ
 وَالتُّزِمَ أَشَدَّ الْإِلْتِزَامِ ، وَكَانَ فِي وَصُولِهِ ذَلِكَ الْوَقْتُ مِنْ
 عَظِيمِ الْعِنَايَةِ وَبَاهِرِ الْكِرَامَةِ مَا هُوَ مُعْتَبَرٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ

(١) هما ولدا السلطان أمير المسلمين عبد المؤمن بن علي (٢) في الأصل

« الانتمار » (٣) الطروس : جمع طرس وهو كل ما يكنب فيه

وَبَلَغَ فِي الْإِغْرَابِ وَالْإِعْجَابِ ، وَذَلِكَ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا
 الْخَلِيفَةَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ^(١) - أَدَامَ اللَّهُ لَهُ عَوَائِدَ النَّصْرِ
 وَالْتِمَكِينَ - كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ قَدْ جَرَى ذِكْرُهُ فِي
 خَاطِرِهِ الْكَرِيمِ ، وَحَرَّ كَتَهُ إِلَيْهِ دَوَاعِي خُلُقِهِ الْعَظِيمِ
 وَتَرَاءَى ^(٢) مَعَ نَفْسِهِ الْمُطْمَئِنَّةِ الْمَرْضِيَّةِ ، وَسَجَايَاهُ الْحُسْنَى
 الرِّضْيَةِ ، فِي مَعْنَى اجْتِلَابِهِ مِنْ مَدِينَةِ قُرْطُبَةَ مَحَلٍّ مَثْوَاهُ
 الْقَدِيمِ ، وَوَطْنِهِ الْمَوْصَلِ بِحُرْمَتِهِ لِلتَّقْدِيمِ ، فَتَوَقَّعَ أَنْ
 يَتَأَذَى أَهْلُ ذَلِكَ الْقَطْرِ بِفِرَاقِهِ ، وَيَسْتَوْحِشُوا لِفَقْدَانِ
 إِصْنَائِهِ فِي أَفْقِهِمْ وَإِشْرَاقِهِ ، فَتَوَقَّفَ عَنْ ذَلِكَ لِمَا جُبِلَ عَلَيْهِ
 مِنْ رَحْمَتِهِ وَإِشْفَاقِهِ ، فَأَوْصَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ تَخَفَةً سَنِيَّةً ، وَهَدِيَّةً
 هَنِيَّةً ، وَتَحِيَّةً مِنْ عِنْدِهِ مُبَارَكَةً زَكِيَّةً ، دُونَ أَنْ يُكَدِّرَهَا
 مِنَ الْبَشَرِ أَكْتِسَابٌ ، أَوْ يَتَقَدَّمَهَا أُسْتِدْعَاءٌ أَوْ اجْتِلَابٌ ،
 بَلْ أَوْقَعَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي نُفُوسِ أَهْلِ ذَلِكَ الْقَطْرِ
 مِنَ الْفَرَحِ بِإِرْسَالِهِ إِلَى مُسْتَحِقِّهِ ، وَالتَّبَرُّعِ بِهِ إِلَى الْقَائِمِ

(١) هو عبد المؤمن بن علي (٢) في نسخة « وتروى » وخير منهما

(وروى) أي فكر « أحمد يوسف نجاتي »

إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِحَقِّهِ ، مَا أُطْلِعَ بِالشَّاهِدَةِ وَالتَّوَاتُرِ عَلَى صِحَّتِهِ
وَصِدْقِهِ ، وَعَضَدَتْ مَخَايِلَ بَرَقِهِ سَوَا كِبُ وَدَقِّهِ ^(١) ، وَكَانَ
ذَلِكَ مِنْ كَرَامَاتِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الْخَلِيفَةِ مَعْدُودًا ، وَإِلَى
أَمْرِهِ الَّذِي هُوَ أَمْرُ اللَّهِ مَرْدُودًا ، وَاجْتَمَعَ عِنْدَ ذَلِكَ بِحَضْرَةِ
مُرَّا كَش ^(٢) - حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى - سَائِرُ الْأَبْنَاءِ الْكَرَامِ ،
وَالسَّادَةِ الْأَعْلَامِ ، بُدُورِ الْآفَاقِ ، وَكَوَا كِبِ الْإِشْرَاقِ ،
وَأَهْلِ الْإِسْتِثْنَالِ ^(٣) الْمَقَامَاتِ الرَّفِيعَةِ وَالِاسْتِحْقَاقِ ، فَانْتَضَمَ
عِنْدَ ذَلِكَ هَذَا الْقَصِيدُ مُشِيرًا إِلَى اجْتِمَاعِ هَذِهِ الدَّرَارِيِّ
الزَّاهِرَةِ ، وَالْتِثَامِ خُطُوطِهَا عَلَى مَرِّ كَزِ الدَّائِرَةِ ، وَوُصُولِ

(١) مخايل الشيء - علاماته وأماراته ، والودق المطر (٢) كذا ضبطها
صاحب كشف الظنون وصاحب كتاب الاستقصاء ، وضبطها ياقوت في
معجمه مرّا كش بفتح الميم وضم الكاف (٣) استأهل الشيء : استحقه
واستوجبه « وقد أنكر استعماله كثير من اللغويين » وقبله بعضهم
ولكن نفي فصاحته ، وقالوا الاستئمال إنما هو من الإهالة وهي الشحم ،
يقال استأهل أهالته وأحسن أياته ، ولكن صرح الأزهري والزنجشري
وغيرهما من أئمة التحقيق بجودة هذه اللغة ، ونطق بها الأعراب ، وتلقاها
عنهم الأدباء والشعراء ، ولا بُدَّ للمهيم خالد الكاتب يخاطب إبراهيم بن
المهدي لما يوبع له بالخلافة :

كن أنت للرحمة مستأهلا إن لم أكن منك بمستأهل
أليس من آفة هذا الهوى بكاء مقتول على قاتل

الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهُ، الْمَشْهُورِ فِي جَمِيعِ الْمَعْمُورِ أَمْرُهُ،
وَهُوَ هَذَا :

دَرَارِيٍّ مِنْ نُورِ الْهُدَى تَتَوَقَّدُ
مَطَالِعُهَا فَوْقَ الْمَجَرَّةِ أَسْعَدُ^(١)
وَأَنْهَارُ جُودٍ كُلَّمَا أَمْسَكَ الْحَيَا
أَمَدًا بِهَا طَامِي الْغَوَارِبِ مُزِيدُ^(٢)
وَأَسَادُ حَرْبٍ غَابَهَا شَجَرُ الْقَنَا
وَلَا لِبَدٍ إِلَّا الْعَجَاجُ الْمَلْبَدُ^(٣)
مَسَاعِيرُ فِي الْهَيْجَا، مَسَارِيْعُ لِلْنَدَى
بِأَيْدِيهِمْ يُحْمَى الْهَجِيرُ وَيَبْرُدُ^(٤)

(١) الكوكب الدرّي هو الثاقب المضيء، منسوب الى الدر لصفائه وحسنه وبهائه وبياضه وشدة إنارته - وسعود النجوم السكواكب التي يقال لكل منها سعد وهي عشرة (٢) طما الماء علا وارتفع، والبحر الطامي: الغزير، وغارب كل شيء أعلاه، وغوارب الماء أعالي موجه، يقال بحر ذو غوارب، شبه بغوارب الابل، وأزبد البحر: ثار زبدته وهاج موجه (٣) لبدة الأسد: الشعر المتدلى متراكبا بين كتفيه وعجاج ملبد أي متكاثف مجتمع بعضه الى بعض (٤) يقال فلان مسعر حرب اذا أرثها وأوقد نارها أي تحمي به الحرب وتشعل، والهيجاء الحرب - وفي الأصل «مساعير للندى» بدل «مساريع» وهو تحريف غير مناسب «أحمد يوسف نجاتي»

تُشَبُّ بِهِمْ نَارَانِ لِلْحَرْبِ وَالْقِرَى
وَيَجْرِي بِهِمْ سَيْلَانِ جَيْشٌ وَعَسَجَدُ
وَيَسْتَمْطِرُونَ الْبَرْقَ، وَالْبَرْقُ عِنْدَهُمْ
سُيُوفٌ عَلَى أَفْقِ الْعُدَاةِ تُجَرِّدُ
إِذَا مَنْ سَجَفَ السَّارِيَّاتِ مَضَاوُهَا
فَمَاذَا الَّذِي يُغْنِي الْحَدِيدُ الْمُسَرَّدُ^(١)
وَيَسْتَرِشِدُونَ النَّجْمَ، وَالنَّجْمُ عِنْدَهُمْ
نُصُولٌ إِلَى حَبِّ الْقُلُوبِ تُسَدِّدُ

(١) في هذا البيت تصحيف في بعض كلماته في كثير من نسخ الأصل في بعضها «عن» وفي بعضها «من» وكذلك «الساريات» و «السارات» ومن الشيء قطعه، والسجف: الستر. والسارية القوم يسرون ليلا كالسرية، وكأنه يقول اذا هتكت هذه السيوف حجب هذه الجيوش ومزقت جموعها السارية لم ينفعها ما تدرى به من الدروع، ويجوز أن يريد بالساريات السحب فيكون المعنى قريبا من بيت بشار :
اذا ما غضبنا غضبة مضرية

هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما
أى اذا مزقت ستار الغيوم يريقها ، أو هتك حجب الظلام بأشراقها
فكشفت عن السرايا لم يغنها دروعها التي أحكمت نسجها وقدرت سردها -
واعلم بهذا المعنى الأخير أقرب للمراد ، وللقارئ الكريم أن يفهم منه
بذكائه ما يشاء . « أحمد يوسف نجاتي »

تَزَاحَمُ فِي جَوْ السَّمَاءِ كَأَنَّمَا
 عَوَامِلُهَا فِي الْأَفْقِ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ^(١)
 تَخَازَرُ^(٢) الْحَاطُّ الْكَوَاكِبِ دُونَهَا
 وَيَفْرَقُ مِنْهَا الْعِرْزَمَانِ وَفَرَقْدُ
 أَلَمْ تَرَهَا فِي الْأَفْقِ خَافِقَةً الْحُشَا
 كَمَا تَطْرِفُ الْعَيْنَانِ، وَالْقَلْبُ يُزَادُ^(٣)
 وَلَيْسَ أَحْمَرَارُ الْفَجْرِ مِنْ أَثَرِ السَّنَى
 وَلَكِنَّهُ ذَاكَ النَّجِيعُ الْمُورَدُ^(٤)
 وَمَا أَنْبَسَطَتْ كَفُّ الثَّرِيَّا فَدَافَعَتْ
 وَلَكِنَّهَا فِي الْحَرْبِ شِلْوٌ^(٥) مُقَدَّدُ

(١) عامل الرمح وعاملته صدره دون السنان ، وجمعه عوامل ، وقد يسمى السنان عاملا ، ونصل الرمح حديدته - والصرح : القصر أو كل بناء عال. ومرد البناء : سواه وعظمه وجعله أملس ناعما (٢) تخازر اذا نظر بمؤخر عينيه ، أو ضيق جفنه ليحدد النظر ، وفرق « كفرح » خاف ، والمرزمان نجمان مع الشعر بين أحدهما في الشعرى والآخر في الذراع ، وهما من نجوم المطر ، والفرقد النجم الذي يهتدون به ، وهما فرقدان نجمان في السماء لا يغربان ، وقد جاء الفرقد في الشعر مثني وموحدا ومجموعا (٣) زأده « كمنع » اذا أفرعه وذعره (٤) النجيع الدم ، والمورد الإحمر (٥) الشلو : العضو ، أو جسد الانسان بعد بلاء وتفرق أجزائه ، وقد

وَحَطَّ سُهَيْلًا ذُعْرُهُ عَنْ سُمِيَّةٍ
فَأَضْحَى عَلَى أَفْقِ الْبَسِيطَةِ يُرْعَدُ^(١)
وَلَمَّا رَأَى نَسْرَهُ وَقُوعَ أَلِيفِهِ
تَطَايَرَ مِنْ خَوْفٍ فَمَا زَالَ يَجْهَدُ^(٢)
مَوَاقِعُ أَمْرِ اللَّهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ
يَكَادُ لَهَا رَأْسُ الثَّرَى يَتَمِيدُ^(٣)
أَهَابَ بِأَقْصَى الْخَافِقِينَ فَنُظِّمَتْ
وَهَيْبَ جَمْعِ الْمُخَفِقِينَ فَبَدَّدُوا^(٤)
وَأَضْنَى عَلَى الدُّنْيَا مَلَابِسَ رَحْمَةٍ
نَضَارَتُهَا فِي كُلِّ حِينٍ تُجَدِّدُ^(٥)

الشيء أو بدده : فرقه وقطعه (١) لعلها : وخط سهيلا ذعره عن «سموه» أي رفعته ، وأرعه فارتعد أي اضطرب ، وأرعد اذا أخذته الرعدة وأرعدت فرائضه عند الفزع (٢) يشير بقوله « وقوع أليفه » الى النسر الواقع ، وسبق القول في النسرين الطائر والواقع (٣) الثرى الأرض وتميد تضطرب وتزلزل (٤) أهاب بهم : دعاهم ، والخافقان المشرق والمغرب أو أفاقهما ، وقد تكون « فنظما » أو جمع ضمير الخافقين باعتبار أجزائهما ، وهيب أي خوف ، والمخفق من أخفق الرجل اذا غزا فلم يفتح ، ومن لم يدرك حاجته وخاب في غرضه (٥) ثوب ضاف أي سابغ ، وأضفاه أسبغه وأطاله « أحمد يوسف نجاتي »

وَأَخْضَلَ أَرْجَاءَ الرُّبَا فَكَأَنَّمَا
 عَلَيْهَا مِنَ النَّبْتِ النَّضِيرِ زَبْرَجْدٌ^(١)
 فَمِنْ طَرَبٍ مَا أَصْبَحَ الْبَرْقُ بِاسِمًا
 وَمِنْ فَرَحٍ مَا أَضْحَتِ الْمُرْنُ تُرْعِدُ
 وَغَنَى عَلَى أَفْنَانٍ كُلِّ أَرَاكَةِ
 غَذَاهَا حَيَا النُّعْمَى حَمَامٌ مُغَرَّدُ
 وَكَبَّرَ ذُو نُطْقٍ ، وَسَبَّحَ صَامِتُ
 وَكَادَ بِهِ الْمَعْدُومُ يُحْيَا وَيُوجَدُ

(١) أخضلها أى جعلها خضلة ندية ذات خصب وري ونعمة وخضرة ناضرة - هذا وقد افتن الشاعر أولا وحلق في سماء الخيال، واستعمل بديع حسن التعليل ولطيف التخيل في صفات الكواكب وخواصها وأحوالها التي كانت تراها العرب عليها، فالتمس لكل منها علة ترجع الى هيبة المدوح ورفعة قدره، بعد أن أثنى عليه وعلى بنيه بما رأهم أهلاله من البأس والكرم، وجعل سيوفهم ورماحهم وأستهم بمنزلة ظواهر الطبيعة من برق ورعد ونجم، فهي تعمل عملها وتغنى غناءها، لا بل انه فضلها عليها وجعل الكواكب تفرع منها على عادة الشعراء في المبالغة والجري وراء الخيال، ثم بين بدائع صنع الله في خلقه وأسرار حكمته فيها، وكيف زان الطبيعة بما جعلها باسمه ضاحكة طرية تسبح بحمده وتثنى على آلائه، ثم تخلص من ذلك الى عودته لمقام المدوح وذكر فضائله، وبدأ يؤسس دولة الموحدين الامام محمد المهدي بن تومرت الذي خلفه عبد المؤمن بن علي، فاسمع له بعد ذلك « أحمد يوسف نجاتي »

وَأَبْرَزَ لِلْأَذْهَانِ مَا كَانَ غَائِبًا
فَسَيَّانٍ فِيهَا مُطْلَقٌ وَمُقَيَّدٌ
سَلَامٌ عَلَى الْمَهْدِيِّ، أَمَّا قَضَاؤُهُ
فَحَتْمٌ، وَأَمَّا أَمْرُهُ فَمَوْكِدٌ
إِمَامُ الْوَرَى، عَمَّ الْبَسِيطَةَ عَدْلُهُ
عَلَى حِينَ وَجْهَةِ الْأَرْضِ بِالْجَوْرِ أَرَبْدٌ^(١)
بَصِيرٌ رَأَى الدُّنْيَا بِعَيْنِ جَلِيلَةٍ
فَلَمْ يُغْنِهِ إِلَّا الْمَقَامُ الْمُحَمَّدِيُّ^(٢)
وَلَمَّا مَضَى - وَالْأَمْرُ لِلَّهِ وَخَدَهُ
وَبُلَّغَ مَأْمُولٌ وَأُنْجِزَ مَوْعِدٌ
تَرَدَّى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رِدَاءَهُ
وَقَامَ بِأَمْرِ اللَّهِ وَالنَّاسِ هُجْدٌ^(٣)
بِعِزْمَةِ شَيْحَانِ الْفُؤَادِ^(٤) مُصَمِّمٌ
يَقُومُ بِهِ أَقْصَى الْوُجُودِ وَيَقْعُدُ

(١) الرَبْدَةُ: الغَبْرَةُ (٢) يشير إلى قوله تعالى « عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا » وفي الأصل « الممجّد » بدل « الحمد » أي الذي يكثر الناس حمده والثناء عليه (٣) المهجود: النوم والراحة (٤) الشيخان الغيور الحذر

مَشِيَّتُهُ مَا شَاءَهُ اللَّهُ ، إِنَّهُ
 إِذْ هُمْ فَالْحُكْمُ الْإِلَهِيُّ يُسْعِدُ
 كِتَابُهُ مَشْفُوعَةً بِمَلَائِكَ
 تُرَادِفُهَا فِي كُلِّ حَالٍ وَتُرْفِدُ^(١)
 وَمَا ذَاكَ إِلَّا نِيَّةٌ خَلَصَتْ لَهُ
 فَلَيْسَ لَهُ فِيهَا سِوَى اللَّهِ مَقْصِدُ
 إِذَا خَطَبَتْ رَايَاتُهُ وَسَطَ مَحْفِلٍ
 تَرَى قِمَمَ الْأَعْدَاءِ فِي الثَّرْبِ تَسْجُدُ
 وَإِنْ نَطَقَتْ بِالْفَصْلِ فِيهِمْ سِيُوفُهُ
 أَقَرَّ بِأَمْرِ اللَّهِ مَنْ كَانَ يَجْحَدُ
 مُعِيدُ عُلُومِ الدِّينِ بَعْدَ ارْتِفَاعِهَا
 وَمُبْدِي عُلُومٍ لَمْ تَكُنْ قَبْلُ تُعْهَدُ
 وَبَاسِطُ أَنْوَارِ الْهِدَايَةِ فِي الْوَرَى .
 وَقَدْ ضَمَّ قُرْصَ الشَّمْسِ فِي الْغَرْبِ مُلْحَدُ^(٢)

الجاد في الأمور القوي النفس (١) ترادفها تتبعها : وترفدها، تعينها. وفي
 الأصل « تزداد بها » بدل « ترادفها » ولا بأس بها لولا فوات الجنباس
 مع ترفد « وهو مقصد للشاعر » ومعنى المرادفة الاتباع والملازمة (٢) الملحد القبر،

وَقَدْ كَانَ ضَوْءُ الشَّمْسِ عِنْدَ طُلُوعِهَا
يُغَانُ بِأَكْنَانِ الضَّلَالِ وَيُنْعَدُ^(١)
فَمَا زَالَ يَجْلُو عَنْ مَطَالِعِهَا الصِّدَا
وَيُبْرِزُهَا بَيَظَاءَ وَأَجْوُءِ اسْوَدُ
جَزَى اللَّهُ عَنْ هَذَا الْأَنَامِ خَلِيفَةً
بِهِ شَرِبُوا مَاءَ الْحَيَاةِ فَخُلِدُوا
وَحَيَّاهُ مَا دَامَتْ مَحَاسِنُ ذِكْرِهِ
عَلَى مَدْرَجِ الْأَيَّامِ تُتْلَى وَتُنْشَدُ^(٢)
بِمُصْحَفِ عُثْمَانَ الشَّهِيدِ وَجَمْعِهِ
تَبَيَّنَ أَنَّ الْحَقَّ بِالْحَقِّ يَعُضِدُ

جعل ما كان عليه الغرب من الضلال ظلاما حالكا حتى كأن الشمس فيه قد قبرت أو غربت فيه ثم لم تشرق ، فأخرجت هدايته الناس من الظلمات الى النور « والمليح العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس منه »
(١) الغين: الغيم، وأغان الغيم السماء اذا ألبسها وغطاها ، وغانت السماء اذا طبقتها الغيم وحجبها السحاب ، والا كنان جمع كن وهو السر ، هذا وقد كان عجز البيت بالأصل هكذا « يغار بأكناف » ولعل ما رأيناه أحسن وأظهر وأكثر ملاءمة للكلام « أحمد يوسف نجاتي »

(٢) على مدرج الايام أى مسيرها وانقضائها وانطوائها - ومنه الريح الدروج وهى السريعة المرور ، والمدرج: المسلك والمذهب والمر

تَحَامَتُهُ أَيْدِي الرُّومِ بَعْدَ انْتِسَافِهِ
 وَقَدْ كَادَ لَوْلَا سَعْدُهُ يَتَبَدَّدُ
 فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ تَمَرَّسَ صَارِخُ
 بِدَعْوَتِهِ الْعُلَيَّا فَصَيْنَ الْمُبَدَّدُ^(١)
 وَجَاءَ وَلِيُّ الثَّارِ يَرْغَبُ نَصْرَهُ
 فَلَبَّاهُ مِنْهُ عَزْمُهُ الْمُتَجَرِّدُ
 رَأَى أَثَرَ الْمَسْفُوحِ فِي صَفَحَاتِهِ
 فَقَامَ لِأَخْذِ الثَّارِ مِنْهُ مُوَيَّدُ
 وَشَبَّهَهُ بِالْبَدْرِ وَقْتُ^(٢) خُسُوفِهِ
 فَلِلَّهِ تَشْبِيهُ لَهُ الشَّرْعُ يَشْهَدُ
 زَمَانَ أَرْتِفَاعِ الْعِلْمِ كَانَ خُسُوفُهُ
 وَقَدْ عَادَ بِالْمَهْدِيِّ وَالْعَوْدُ أَحْمَدُ^(٣)

(١) تمرس به : اذا تمسح واختلط - ويقال أيضا تمرس فلان بدينه اذا لعب به وتعبث « وما بفلان متمرس اذا نعت بالجلد والشدة حتى لا يقاومه من مارسه لانه قد مارس النوائب والخصومات » (٢) في الأصل « قبل » (٣) يريد أن المصحف الشريف كالبرمادام ظاهرا بين المسلمين فهم على هدى ونور ، فانما يغاب عنهم واختفى كانوا كأنهم في خسوف وظلام ، ولما استرد السلطان المصحف

أَتَتَكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْوَكَّةُ^(١)
 مِنْ الْحَرَمِ الْأَقْصَى لِأَمْرِكَ تَهْدُ
 سُيُوفُ بَنِي عَيْلَانَ قَامَتْ شَهِيرَةً^(٢)
 لِدَعْوَتِكَ الْعَلِيَاءَ تَهْدِي وَتُرْشِدُ
 وَطَافَتْ بَيْتَ اللَّهِ ، فَاشْتَدَّ شَوْقُهُ
 إِلَيْكَ ، وَلَبَّى مِنْهُ حِجْرٌ وَمَسْجِدُ
 وَحَجٍّ إِلَيْكَ الرُّكْنُ وَالْمَرْوُ وَالصَّفَا
 فَأَنْتَ لِذَاكَ الْحَجِّ حِجٌّ وَمَقْصِدُ
 مَشَاعِرُهَا الْأَجْسَامُ ، وَالرُّوحُ أَمْرُكُمْ
 وَمِنْكُمْ لَهَا يَرْضَى الْمَقَامُ الْمُخَلَّدُ ؟
 فَلِلَّهِ حِجٌّ وَأَعْتِمَارٌ وَزُورَةٌ
 أَتَنَّا وَلَمْ يَبْرَحْكَ بِالْغَرْبِ مَشْهَدُ

أعاد البدر الى بزوغه واشراقه ، فعاد العلم للناس بعد أن كان قد ارتفع
 وعمهم جهل حالك سواده (١) الؤكة : الرسالة ، ومهد الفراش « كمنع »
 بسطه ووطأه وأعدده ، ومهد لنفسه اذا كسب وعمل ، وتهيد الأمر نسويته
 واصلاجه (٢) عيلان أبو قيس وهو الياس بن مضر بن نزار ، وسيوف شهيرة
 أى مشهورة مستلة من أغمادها « أحمد يوسف نجاتي »

وَلِلَّهِ سَبْعُ نِيبَاتٍ تَقَارَنْتُ
 بِهَا فِتْنَةُ الْإِسْلَامِ تُحْمَى وَتَسْعَدُ^(١)
 إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا فِتْنَاكَ عِصْمَةٌ
 فَمَاذَا الَّذِي يَرْجُو الْقَصِيءَ الْمُبْعَدُ؟
 قَدُمُ لِلْوَرَى غِيثًا وَعِزًّا وَرَحْمَةً
 فَقَرُبُكَ فِي الدَّارَيْنِ مُنْجٍ وَمُسْعِدُ
 وَزَادَتْ بِكَ الْأَعْيَادُ حُسْنًا وَبَهْجَةً
 كَأَنَّكَ لِلْأَعْيَادِ زِيٌّ مُجَدِّدُ
 وَلَا زِلْتَ لِلْأَيَّامِ تُبْلِي جَدِيدَهَا
 وَعُمْرُكَ فِي رِيْعَانِهِ^(٢) لَيْسَ يَنْفَدُ

ثُمَّ إِنَّهُمْ - أَدَامَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ تَأْيِيدَهُمْ ، وَوَصَلَ
 سَعُودَهُمْ - لِمَا أَرَادُوا مِنَ الْمُبَالَغَةِ فِي تَعْظِيمِ الْمُصْحَفِ
 الْمَذْكُورِ ، وَأَسْتَخْدَامِ الْبَوَاطِنِ وَالظُّوَاهِرِ فِيمَا يَحِبُّ لَهُ
 مِنَ التَّوْقِيرِ وَالتَّعْزِيرِ^(٣) ، شَرَعُوا فِي انْتِخَابِ كُسُوتِهِ ،

انتخاب كسوة
المصحف

(١) يريد أبناء السلطان عبد المؤمن وفي نسخة « تحيا » مكان « تحمي »
 (٢) ريعان الشباب : أوله ومقبله وريعان كل شيء أفضله (٣) التعزير :
 التعظيم والتوقير، وفي التنزيل « فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه » الآية
 « أحمد يوسف نجاتي »

وَأَخَذُوا فِي اخْتِيَارِ حَلِيَّتِهِ ، وَتَأَنَّقُوا فِي اسْتِعْمَالِ أَحْفَظَتِهِ ،
وَبَالَعُوا فِي اسْتِجَادَةِ أَصْوَتِهِ ^(١) ، فَحَشَرُوا لَهُ الصَّنَاعَ الْمُتَقِينَ
وَالْمَهَرَةَ الْمُتَفَنِّينَ ، مِمَّنْ كَانَ بِمَحْضَرَتِهِمُ الْعِلْيَةُ ، وَسَاطِرُ
بِلَادِهِمُ الْقَرِيبَةِ وَالْقَصِيَّةِ ، فَاجْتَمَعَ لِذَلِكَ حُذَاقُ كُلِّ صِنَاعَةٍ
وَمَهَرَةُ كُلِّ طَائِفَةٍ ؛ مِنْ الْمُهَنْدِسِينَ وَالصَّوَّاعِينَ ، وَالنَّظَّامِينَ
وَالْحَلَّالِينَ ^(٢) وَالنَّقَّاشِينَ وَالْمُرَصِّعِينَ ، وَالنَّجَّارِينَ وَالزَّوَّاقِينَ ^(٣)
وَالرَّسَّامِينَ وَالْمُجَلِّدِينَ ، وَعُرَفَاءُ الْبَنَائِينَ ، وَلَمْ يَبْقَ مَنْ
يُوصَفُ بِبِرَاعَةٍ ، أَوْ يُنْسَبُ إِلَى الْحَذَقِ فِي صِنَاعَةٍ ، إِلَّا
أَخْضَرَ لِلْعَمَلِ فِيهِ ، وَالِاشْتِغَالِ بِمَعْنَى مِنْ مَعَانِيهِ ،
فَاشْتَغَلَ أَهْلُ الْحَيْلِ الْهِنْدَسِيَّةِ بِعَمَلِ أُمَثَلَةٍ مُخْتَرَعَةٍ ،
وَأَشْكَالٍ مُبْتَدَعَةٍ ، وَضَمَّنُوهَا مِنْ غَرَائِبِ الْحَرَكَاتِ ،
وَوَخَفِيَّ إِمْدَادِ الْأَسْبَابِ لِلْمُسَبِّبَاتِ ، مَا بَلَغُوا فِيهِ مُنْتَهَى
طَاقَتِهِمْ ، وَاسْتَفْرَغُوا فِيهِ جُهْدَ قُوَّتِهِمْ ، وَالْهَمَّةُ الْعِلْيَةُ

(١) الأصونة جمع صنوان وهو ما يصان فيه الشيء، كالأحفظه جمع حفاظ

(٢) الذين يصنعون الحلية (٣) في الأصل « الزرافين » مصحفة « أحمد

يوسف نجاني » .

أَدَامَ اللَّهُ سُمُوهَا - تَتَرَقَّى فَوْقَ مَعَارِجِهِمْ ^(١) ، وَتَتَخَلَّصُ
كَالشَّهَابِ الثَّاقِبِ وَرَاءَ مَوَالِجِهِمْ ^(٢) ، وَتُنِيفُ عَلَى مَا ظَنُّوهُ
الْغَايَةَ الْقُصْوَى مِنْ لَطِيفِ مَدَارِجِهِمْ ، فَسَلَكُوا مِنْ عَمَلٍ
هَذِهِ الْأُمُثَلَةِ كُلِّ شَيْءٍ ، وَرَأَوْا مِنْ مُنْتَشِرِهَا كُلِّ شَيْءٍ ^(٣)
وَأَشْرَفُوا عِنْدَ تَحْقِيقِهَا وَإِبْرَازِ دَقِيقِهَا عَلَى كُلِّ صَعْبٍ ، فَكَانَتْ
مِنْهُمْ وَقْفَةٌ كَادَتْ لَهَا النَّفْسُ تَيَّاسُ عَنْ مَطْلَبِهَا ، وَالْخَوَاطِرُ
تَكْرُرُ رَاجِعَةً عَنْ خَفِيِّ مَذْهَبِهَا ، حَتَّى أُطْلِعَ اللَّهُ خَلِيفَتَهُ فِي
خَلْقِهِ ، وَأَمِينَهُ الْمُرْتَضَى لِإِقَامَةِ حَقِّهِ ، عَلَى وَجْهِ انْقَادَتْ فِيهِ
تِلْكَ الْحَرَكَاتُ بَعْدَ اُعْتِيَاضِهَا ^(٤) ، وَتَخَلَّصَتْ أَشْكَالُهَا عَنْ
الْإِعْتِرَاضِ عَلَى أَحْسَنِ وُجُوهِ خَلَاصِهَا ، أَلْقَوْا ذَلِكَ - أَيْدَهُمُ
اللَّهُ بِنَصْرِهِ ، وَأَمَدَّهُمْ بِمَعُونَتِهِ وَيُسْرِهِ - إِلَى الْمُهَنْدِسِينَ
وَالصَّنَّاعِ قَبْلُوهُ أَحْسَنَ الْقَبُولِ ، وَتَصَوَّرُوهُ بِأَذْهَانِهِمْ

(١) عرج في السلم ونحوه، والعرج الدرجة والسلم ونحوها « كقعد » عرجا
ومعرجا إذا ارتقى (٢) جمع موج اسم مكان من ولى ولوجا إذا دخل، وهو هنا
مكان معنوي يريد به ما يصلون إليه من نتيجة تفكيرهم ، وما يهتدون إليه
من بحوثهم وعنايتهم (٣) الشعب « بالكسر » الطريق، والشعب « بالفتح »
التفرق والصدع ، ورأبه أصلحه (٤) اعتاص الشيء : صعب ولم ينقد ،
واعتاص الأمر اشتد والتوى ولم يهتد للصواب فيه .

فَرَأَوْهُ عَلَى مُطَابَقَةِ الْأُمُولِ ، فَوَقَّفَهُمْ حُسْنُ تَنْبِيهِهِ مِمَّا
جَهَلُوهُ عَلَى طَوْرِ غَرِيبٍ مِنْ مُوجِبَاتِ التَّعْظِيمِ ، وَعَلِمُوا أَنَّ
الْفَضْلَ لِلَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .
وَسَيَأْتِي بَعْدَ هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى تَفْصِيلِ تِلْكَ الْحَرَكَاتِ
الْمُسْتَعْرَبَةِ ، وَالْأَشْكَالِ الْمُوتِقَةِ الْمُعْجِبَةِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ
تَعَالَى - مِمَّا صُنِعَ لِلْمُصْحَفِ الْعَظِيمِ مِنَ الْأَصُونَةِ الْغَرِيبَةِ ،
وَالْأَخْفِظَةِ الْعَجِيبَةِ ، أَنَّهُ كُتِبَ كُلُّهُ بِصَوَانٍ وَاحِدٍ مِنَ
الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ذِي صَنَائِعٍ غَرِيبَةٍ مِنْ ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ
لَا يُشَبِّهُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، قَدْ أُجْرِيَ فِيهِ مِنَ الْوَانِ الزُّجَاجِ
الرُّومِيِّ مَا لَمْ يُعْهَدْ لَهُ فِي الْعَصْرِ الْأَوَّلِ مِثَالٌ ، وَلَا عُمرَ
قَبْلَهُ بِشَبِّهِ خَاطِرٌ وَلَا بَالٌ ، وَلَهُ مَفَاصِلُ تَجْتَمِعُ إِلَيْهَا أَجْزَاؤُهُ
وَتَلْتَمِمْ ، وَتَتَنَاسَقُ عِنْدَهَا عَجَائِبُهُ وَتَنْتَظِمُ ، قَدْ أُسْلِسَتْ^(١)
لِلتَّحَرُّكِ أَعْطَافُهَا ، وَأُخْكِمَ إِنْشَاؤُهَا عَلَى الْبُعْيَةِ وَأَنْعَاطُهَا ،
وَنُظِمَ عَلَى صَفْحَتِهِ^(٢) وَجَوَانِبِهِ مِنْ فَاخِرِ الْيَاقُوتِ وَنَقِيسِ

(١) أُسْلِسَتْ أَيِ جَعَلَتْ سَلْسَةً أَيْ سَهْلَةً لَيْسَ ذَاتَ انْقِيَادٍ ، وَفِي الْأَصْلِ

« أَمِيلَتْ » (٢) صَفْحَةٌ كُلُّ شَيْءٍ جَانِبِهِ وَوَجْهُهُ وَعَرْضُهُ ، وَفِي بَعْضِ النُّسخِ

« صَحِيفَتُهُ » وَلَا بَأْسَ بِهَا ، وَصَحِيفَةُ الْوَجْهِ : بَشْرَةٌ جُلْدُهُ « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَافِي »

الدُّرَّ وَعَظِيمِ الزُّمُرْدِ مَا لَمْ تَزَلِ الْمُلُوكُ السَّالِفَةُ وَالْقُرُونُ
 الْخَالِيَةُ تَتَنَافَسُ فِي أَفْرَادِهِ ، وَتَتَوَارَثُهُ عَلَى مُرُورِ الزَّمَنِ
 وَتَرَدَّادِهِ ، وَتَظُنُّ الْعِزَّ الْأَقْعَسَ ^(١) وَالْمَلِكَ الْأَنْفَسَ فِي ادِّخَارِهِ
 وَإِعْدَادِهِ ، وَتُسَمِّي الْوَاحِدَ مِنْهَا بَعْدَ الْوَاحِدِ بِالِاسْمِ الْعَلَمِ
 لِشُدُودِهِ فِي صِنْفِهِ ^(٢) وَأَتَّحَادِهِ ، فَاتَّظَمَ عَلَيْهِ مِنْهَا مَا شَاءَ كَلَّهُ
 زُهْرُ الْكَوَاكِبِ فِي تَلَالُؤِهِ وَأَتَّقَادِهِ ، وَأَشْبَهَهُ الرُّوضُ
 الْمُرْخَرَفُ غِبَّ سَمَاءٍ أَقْلَعَتْ عَنْ إِمْدَادِهِ ^(٣) وَأَتَى هَذَا
 الصُّوَانُ الْمَوْصُوفُ رَائِقَ الْمَنْظَرِ ، آخِذَا بِمَجَامِعِ الْقَلْبِ
 وَالْبَصَرِ ، مُسْتَوِيًّا بِصُورَتِهِ الْغَرِيبَةِ عَلَى جَمِيعِ الصُّورِ ،
 يَدْهَشُ الْعُقُولَ بِهَاءٍ ، وَيُحَيِّرُ الْأَلْبَابَ رِوَاءً ^(٤) وَيَكَادُ يُعْشَى ^(٥)
 النَّاطِرَ تَأَلُّقًا وَضِيَاءً ، فَحِينَ تَمَّتْ خِصَالُهُ ، وَأُسْتُرَّ كِبَتْ
 أَوْصَالُهُ ^(٦) ، وَحَانَ أَرْتِبَاطُهُ بِالْمُصْحَفِ الْعَظِيمِ وَأَتَّصَالُهُ

(١) عز أقعس ثابت ، وعزة قعساء « والاقعس الرجل العزيز المنيع » .
 (٢) في الأصل « صنعه » وشذوده : انفراده وخروجه عن نظائره في الحسن
 والنفاسة (٣) غب : بعد ، وأقْلَعَتْ : أمسكت وكفت ، ولا يخفى ما في الفقرتين من
 التشبيه المقلوب وحسنه (٤) الرواء جمال الشكل وحسن المنظر (٥) أعشى
 بصره : أضعفه ، وجعله أعشى ، وعشا عن الشيء يعشو إذا ضعف بصره
 عنه ، وعشا عن النار : أعرض ومضى عن ضوئها (٦) جمع وصل « بمكسر
 الواو وضمها » أي مفصل .

رَأَوْا - أَدَامَ اللَّهُ تَأْيِيدَهُمْ وَأَعْلَى كَلِمَتِهِمْ - مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ
تَعَالَى مِنْ مُلَاحَظَةِ الْجِهَاتِ ، وَالْإِشْرَافِ عَلَى جَمِيعِ الثَّنِيَّاتِ ،
أَنْ يُتَلَطَّفَ فِي وَجْهِ يَكُونُ بِهِ هَذَا الصَّوَانُ الْمَذْكُورُ
طَوْرًا مُتَّصِلًا ، وَطَوْرًا مُنْفَصِلًا ، وَيَتَأْتِي بِهِ لِلْمُصْحَفِ
الشَّرِيفِ الْعَظِيمِ أَنْ يَبْرُزَ تَارَةً لِلْخُصُوصِ مُتَبَدِّلًا ، وَتَارَةً
لِلْعُمُومِ مُتَجَمِّلًا ، إِذْ مَعَارِجُ النَّاسِ فِي الْإِسْتِبْصَارِ تَخْتَلِفُ ،
وَكُلٌّ لَهُ مَقَامٌ إِلَيْهِ يَنْتَهِي وَعِنْدَهُ يَقِفُ ، فَعَمِلَ فِيهِ عَلَى
مُشَاكَلَةٍ^(١) هَذَا الْمَقْصِدِ ، وَتُلَطَّفَ فِي تَثْمِيمِ هَذَا الْغَرَضِ
الْمُعْتَمَدِ ، وَكَسَى الْمُصْحَفُ الْعَزِيزُ بِصَوَانٍ لَطِيفٍ مِنْ
السُّنْدُسِ الْأَخْضَرِ ، ذِي حَلِيَّةٍ عَظِيمَةٍ خَفِيفَةٍ تُتَلَازِمُهُ فِي
الْمَغِيبِ وَالْمَحْضَرِ ، وَرُتَّبَ تَرْتِيبًا يَتَأْتِي مَعَهُ أَنْ يُكْسَى
بِالصَّوَانِ الْأَكْبَرِ ، فَيَلْتَمِسُ بِهِ التِّسَامًا يُغَطِّي عَلَى الْعَيْنِ مِنْ
هَذَا الْأَثَرِ ، وَكَمَلَ ذَلِكَ كُلُّهُ عَلَى أَجْمَلِ الصِّفَاتِ وَأَحْسَنِهَا
وَأَبْدَعَ الْمَذَاهِبِ وَأَتْقَنَهَا ، وَصُنِعَ لَهُ مَحْمَلٌ غَرِيبٌ الصَّنْعَةِ

(١) في بعض النسخ « شاكلة » ولعلها ألفت أخذاً من قوله تعالى : « قل كل

يعمل على شاكلة » والشاكلة : الشكل والطريقة والجهة « أحمد يوسف نجاتي »

بَدِيعُ الشَّكْلِ وَالصَّبْغَةِ^(١) ، ذُو مَفَاصِلَ يَنْبُو عَنْ دِقَّتِهَا
 الْإِذْرَاكُ ، وَيَشْتَدُّ^(٢) بِهَا الْإِرْتِبَاطُ بَيْنَ الْمَفْصِلَيْنِ وَيَصِحُّ
 الْإِشْتِرَاكُ ، مُغَشَّى كُلُّهُ بِضُرُوبٍ مِنَ التَّرْصِيعِ ، وَفُنُونٍ مِنَ
 النَّقْشِ الْبَدِيعِ ، فِي قِطْعٍ مِنَ الْأَبْنُسِ وَالْخَشَبِ الرَّفِيعِ ،
 لَمْ تَعْمَلْ قَطُّ فِي زَمَانٍ مِنَ الْأَزْمَانِ ، وَلَا أَنْتَهَتْ قَطُّ إِلَى
 أَيْسَرِهِ نَوَافِذُ^(٣) الْأَذْهَانِ ، مُدَارٌّ بِصَنَعَةٍ قَدْ أُجْرِيَتْ فِي
 صَفَائِحِ الذَّهَبِ ، وَأُمْتَدَّتْ أُمْتِدَادَ ذَوَائِبِ الشَّهْبِ ، وَصُنِعَ
 لِذَلِكَ الْمَحْمِلِ كُرْسِيٌّ يَحْمِلُهُ عِنْدَ الْإِنْتِقَالِ ، وَيُشَارِكُهُ فِي
 أَكْثَرِ الْأَحْوَالِ ، مُرَصَّعٌ مِثْلُ تَرْصِيعِهِ الْغَرِيبِ ، وَمُشَاكِلٌ
 لَهُ فِي جَوْدَةِ التَّقْسِيمِ وَحُسْنِ التَّرْتِيبِ ، وَصُنِعَ لِذَلِكَ
 كُلُّهُ تَابُوتٌ يَحْتَوِي عَلَيْهِ أَحْتَوَاءُ الْمَشْكَاةِ عَلَى أَنْوَارِهَا ،
 وَالصُّدُورِ عَلَى مَحْفُوظِ أَفْكَارِهَا ، مُكَعَّبُ الشَّكْلِ سَامٍ فِي
 الطُّولِ ، حَسَنُ الْجُمْلَةِ وَالتَّفْصِيلِ ، بَالِغٌ مَا شَاءَ مِنَ التَّسْمِيمِ

(١) أو «والصبغة» يعنى الصنع أو الهيئة (٢) فى الأصل « ويشهد » ولا
 بأس بها الآن « يشتد » أولى هنا (٣) أى الأذهان النافذة فى الأشياء
 المتوقدة ذكاء تنفذ الى حجب الغيب فتدركها . وفى الأصل « تواقد »

فِي أَوْصَالِهِ وَالتَّكْمِيلِ ، جَارٍ مَجْرَى الْمُحْمِلِ ^(١) فِي التَّزْيِينِ
وَالْتَّجْمِيلِ ، وَلَهُ فِي أَحَدِ غَوَارِبِهِ بَابٌ رُكِّبَتْ عَلَيْهِ
دَفْتَانِ ^(٢) قَدْ أُحْكِمَ ارْتِجَاهُمَا ^(٣) ، وَيُسَّرُّ بَعْدَ الْإِبْهَامِ
انْفِرَاجُهُمَا ، وَلِإِنْفِتَاحِ هَذَا الْبَابِ وَخُرُوجِ هَذَا الْكُرْسِيِّ
مِنْ تِلْقَائِهِ وَتَرَكَبِ الْمُحْمِلِ عَلَيْهِ مَا دُبِّرَتْ الْحَرَكَاتُ
الْهَنْدَسِيَّةُ ، وَتُلْقِيَتِ التَّنْبِيهَاتُ الْقُدْسِيَّةُ ، وَأُنْتَظِمَتِ
الْعَجَائِبُ الْمَعْنَوِيَّةُ وَالْحِسِّيَّةُ ، وَالتَّامَّتِ الذَّخَائِرُ النَّفِيسَةُ
وَالنَّفْسِيَّةُ ، وَذَلِكَ أَنَّ بِأَسْفَلِ هَاتَيْنِ الدَّفْتَيْنِ فِصْلًا ^(٤) فِيهِ
مَوْضِعٌ قَدْ أُعِدَّ لَهُ مِفْتَاحٌ أَطِيفٌ يَدْخُلُ فِيهِ ، فَإِذَا أُدْخِلَ
ذَلِكَ الْمِفْتَاحُ فِيهِ وَأُدِيرَتْ بِهِ الْيَدُ انْفَتَحَ الْبَابُ بِإِعْطَافِ

(١) مع صحة المعنى بكلمة «المحمل» ينحى إلى أن الأولى أن تكون «المثل»
مراعاة لقوله : التتميم ، والتكميل ، والجملة ، والتفصيل ، لأنه يلحق إلى
ما هو معروف من أنواع الاطناب وأسماؤها الاصطلاحية ، ومنها التذييل الجارى
مجرى المثل ، ومنها التتميم والتكميل والتفصيل بعد الاجمال ، والمعنى مع
هذا ابلغ كما لا يخفى «أحمد يوسف نجاتي» (٢) دفتان أى صفحتان وجانبان ،
ومنه ما بين دفتي الصحف كلام الله تعالى (٣) أى اغلاقهما ، وفي الأصل
«ارتجاجهما» (٤) كذا بالأصل ، ولعله «فصيلا» والفصيل القطعة ، وقد يصح
أن يكون مأخوذا من الفصيل وهو حائط قصير دون الحصن أو دون
سور البلد ، والفصيل : الفاصل . «أحمد يوسف نجاتي»

الدَّفَتَيْنِ إِلَى دَاخِلِ الدَّفَتَيْنِ مِنْ تَلْقَائِهِمَا ، وَخَرَجَ الْكُرْسِيُّ
 مِنْ ذَاتِهِ بِمَا عَلَيْهِ إِلَى أَقْصَى غَايَتِهِ ، وَفِي خِلَالِ خُرُوجِ
 الْكُرْسِيِّ يَتَحَرَّكُ عَلَيْهِ الْمَحْمِلُ حَرَكَةً مُنْتَظَمَةً مُقْتَرَنَةً
 بِحَرَكَتِهِ ، يَأْتِي بِهَا مِنْ مُؤَخَّرِ الْكُرْسِيِّ زَحْفًا إِلَى مُقَدِّمِهِ
 فَإِذَا كَمَلَ الْكُرْسِيُّ بِالْخُرُوجِ وَكَمَلَ الْمَحْمِلُ بِالتَّقَدُّمِ
 عَلَيْهِ انْفَلَقَ الْبَابُ بِرُجُوعِ الدَّفَتَيْنِ إِلَى مَوْضِعِهِمَا مِنْ
 تَلْقَائِهِمَا دُونَ أَنْ يَمْسَهُمَا أَحَدٌ ^(١) ، وَتَرْتِيبُ هَذِهِ الْحَرَكَاتِ
 الْأَرْبَعِ عَلَى حَرَكََةِ الْمِفْتَاحِ فَقَطْ دُونَ تَكْلُفِ شَيْءٍ
 آخَرَ ، فَإِذَا أُدِيرَ الْمِفْتَاحُ إِلَى خِلَافِ الْجِهَةِ الَّتِي أُدِيرَ إِلَيْهَا
 أَوَّلًا انْفَتَحَ « أَوَّلًا ^(٢) » الْبَابُ ، وَأَخَذَ الْكُرْسِيُّ فِي الدُّخُولِ
 وَالْمَحْمِلُ فِي التَّأَخُّرِ عَنْ مُقَدِّمِ الْكُرْسِيِّ إِلَى مُؤَخَّرِهِ ،
 فَإِذَا عَادَ كُلُّهُ إِلَى مَكَانِهِ انْسَدَّ الْبَابُ بِالدَّفَتَيْنِ أَيْضًا
 مِنْ تَلْقَائِهِ ، كُلُّ ذَلِكَ يَتَرْتَّبُ عَلَى حَرَكََةِ الْمِفْتَاحِ
 كَالَّذِي كَانَ فِي حَالِ خُرُوجِهِ ، وَصَحَّتْ هَذِهِ الْحَرَكَاتُ
 اللَّطِيفَةُ عَلَى أَسْبَابٍ وَمُسَبِّبَاتٍ غَائِبَةٍ عَنِ الْحِسِّ فِي بَاطِنِ

(١) فِي بَعْضِ النُّسخِ « وَتَرْتَبَتْ » (٢) كَلِمَةُ « أَوَّلًا » لَيْسَتْ فِي كَثِيرٍ مِنَ
 النُّسخِ « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نِجَاحِي »

الْكُرْسِيِّ ، وَهِيَ مِمَّا يَدِقُّ وَصَفُهَا وَيَضَعُ ذِكْرُهَا ،
أَظْهَرَتْهَا بَرَكَاتُ هَذَا الْأَمْرِ السَّعِيدِ ، وَتَنْبِيْهَاتُ سَيِّدِنَا
وَمَوْلَانَا الْخَلِيفَةِ - أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى أَمْرَهُمْ ، وَأَعَزَّ نَصْرَهُمْ - .

وَفِي خِلَالِ الْأَشْتِغَالِ ، بِهَذِهِ الْأَعْمَالِ ، الَّتِي هِيَ غَرَرُ
الدَّهْرِ ، وَفَرَائِدُ ^(١) الْعُمُرِ ، أَمَرُوا - أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى تَأْيِيدَهُمْ -
بِبِنَاءِ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ بِحَضْرَةِ مُرَّاكَشَ - حَرَسَهَا اللَّهُ
تَعَالَى - فَبَدِئَ بِنَائِهِ وَتَأْسِيسَ قِبْلَتِهِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ
مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْآخِرِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ،
وَكَمَلَ مُتَتَصِفَ شَعْبَانَ الْمُكَرَّمِ مِنَ الْعَامِ الْمَذْكُورِ عَلَى
أَكْمَلِ الْوُجُوهِ وَأَغْرَبِ الصَّنَائِعِ وَأَفْسَحِ الْمِسَاحَةِ وَأَبْعَدِ
الْبِنَاءِ وَالنَّجَارَةِ ، وَفِيهِ مِنْ شَمْسِيَّاتِ الزُّجَاجِ وَدَرَجَاتِ
الْمُنْبَرِ وَسِيَاجِ الْمَقْصُورَةِ مَا لَوْ عُمِلَ فِي السِّنِينَ الْعَدِيدَةِ
لَا سْتُغْرِبَ تَمَامُهُ ، فَكَيْفَ فِي هَذَا الْأَمَدِ الْيَسِيرِ الَّذِي

بناء المسجد الجامع

(١) الفريدة: الجوهرة النفيسة كأنها مفردة في نوعها. والشذرة تفصل بين
اللؤلؤ والذهب في نحو العقد ، والفريد الدر إذا نظم وفصل بغيره وهو هنا
مستعار لأنفس شيء عمل في العمر وأتمن ما صنع فيه ، وفي بعض النسخ
« فوائد » . « أحمد يوسف نجاتي »

لَمْ يَتَخَيَّلْ أَحَدٌ مِنَ الصَّنَاعِ أَنْ يَتِمَّ فِيهِ فَضْلًا عَنْ بِنَائِهِ
وَصُلِّيَتْ فِيهِ صَلَاةُ الْجُمُعَةِ مُتَّصِفَ شَعْبَانَ الْمَذْكُورِ ،
وَنَهَضُوا - أَدَامَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ تَأْيِيدَهُمْ - عَقِبَ ذَلِكَ لَزِيَارَةِ
الْبُقْعَةِ الْمُكَرَّمَةِ ، وَالزَّوْضَةِ الْمُعْظَمَةِ ، بِمَدِينَةِ تِينْمَلَلِ (١)
- أَدَامَ اللَّهُ رِفْعَتَهَا - فَأَقَامُوا بِهَا بَقِيَّةَ شَعْبَانَ الْمُكَرَّمِ ،
وَأَكْثَرَ شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُعْظَمِ ، وَحَمَلُوا فِي صُحْبَتِهِمُ الْمُصْحَفَ
الْعَزِيزَ وَمَعَهُ مُصْحَفُ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ الْمَعْلُومِ - رَضِيَ اللَّهُ

(١) تينممل: جبال بالمغرب كان بها قرى ومزارع يسكنها البربر، بين أولها
ومراكش كان سرير ملك بني عبد المؤمن بن علي، وبها كان أول خروج
المهدي محمد بن تومرت الذي أقام الدولة. ولما توفي صارت لعبد المؤمن ثم
لولده كما تقدم. وتجد ترجمة المهدي في وفيات الأعيان لابن خلكان،
ويقال انه كان قد اطلع على كتاب يسمى الجفر من علوم أهل البيت عثر
عليه عند أبي حامد الغزالي، وأنه رأى فيه صفة رجل يظهر بالمغرب الأقصى
بمكان يسمى السوس وهو من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو
إلى الله ويكون مقامه ومدفنه بموضع من المغرب يسمى باسم هجاء حروفه
ت ي ن م ل ل، وتوفي سنة ٥٢٤ ودفن بذلك الجبل، وكان قبره هناك
مشهورا مقصودا بالزيارة، وكان له شعر، منه قوله:

فكم أنت تنهى ولا تنتهى وتسمع وعظا ولا تسمع
فيا حجر السن حتى متى تسن الحديد ولا تقطع
والبيت الثاني مثل جيد لمن يعظ غيره ولا يعظ نفسه «أحمد يوسف نجاتي»

تَعَالَى عَنْهُ - فِي التَّابُوتِ الْمَوْصُوفِ ، إِذْ كَانَ قَدْ صُنِعَ
لَهُ غُرْفَةٌ فِي أَعْلَاهُ ، وَأُخْكِمَتْ فِيهِ إِحْكَامًا كَمَلَ بِهِ
مَعْنَاهُ ، وَاجْتَمَعَ فِي مِشْكَاةِ فَعَادِ النُّورِ إِلَى مُبْتَدَأِهِ ، وَخُتِمَ
الْقُرْآنُ الْعَزِيزُ فِي مَسْجِدِ الْإِمَامِ الْمَعْلُومِ خَتَمَاتٍ كَادَتْ
لَا تُحْصَى لِكثَرَتِهَا . وَهُنَا أَنْتَهَى مَا وَجَدْنَاهُ مِنْ هَذَا
الْمَكْتُوبِ . ثُمَّ قَالَ ابْنُ رُشِيدٍ بَعْدَ إِرَادِ مَا تَقَدَّمَ مَا
صُورَتُهُ : نَجَزَتِ الرِّسَالَةَ فِي الْمُصْحَفِ الْعَظِيمِ ، وَالْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . أَنْتَهَى مَحَلُّ الْحَاجَةِ مِنْهُ .

وداع أهل قرطبة وما أحسن قول الشيخ الإمام أبي محمد عبد الحق
ابن غالب بن عطية^(١) يستودع أهل قرطبة :

(١) تقدمت ترجمته في أثناء كلمتنا في بني عطية بالجزء الثاني ، وهو فقيه
حافظ محدث أديب شاعر بليغ عالم جليل ، ومن شعر أبيه له وقد غاب عنه
مجاهدا :

يا نازح الدار لم يحفل بمن تزحت	دموعه طارقات الهم والفكر
غيت شخصك عن عيني فما ألفت	من بعد مرآك غير الدمع والسهر
قد كان أولى جهاد في مواصلي	لا سيما عند ضعف الجسم والكبر
اعتل سمعي وجال الضر في بصرى	بالله كن أنت لي سمعي وكن بصرى

ومن شعر أبي محمد عبد الحق :

داء الزمان وأهله داء يعز له العلاج

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ أَهْلَ قُرْطُبَةَ
حَيْثُ عَهِدْتُ الْحَيَاءَ وَالْكَرَمَا
وَالْجَامِعَ الْأَعْظَمَ الْعَبِيقَ وَلَا
زَالَ مَدَى الدَّهْرِ مَأْمَنًا حَرَمًا

وَقَالَ أَبُو الرَّبِيعِ بْنُ سَالِمٍ ^(١) حَدَّثَنِي بِذَلِكَ أَبُو الْحُسَيْنِ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ رَبِيعٍ ^(٢) الْأَشْعَرِيُّ، قَالَ: أَنْشَدَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ

حديث أبي
الحسن الأشعري
القرطبي

أُطْلِعْتَ فِي ظُلُمَانِهِ رَأْيَا كَمَا سَطَعَ الزَّجَاجُ
لِمُعَاشِرِ أَعْيَا ثَقَا فِي مَنْ قَنَاتِهِمْ أَعْوَجَاجُ
كَأَلَدَرٍ مَا لَمْ تَخْتَبِرْ فَإِذَا اخْتَبَرْتَ فَهَمَّ زَجَاجُ
وَكُنَّا وَعَدْنَا بِاسْتِقْصَاءِ الْقَوْلِ فِي بَنِي عَطِيَّةٍ، وَسَنَسْجِزُ وَعَدَنَا قَرِيبًا إِنْ شَاءَ
اللَّهُ . وَتَوَفَّى عَبْدُ الْحَقِّ سَنَةَ ٥٤١ هـ . « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَاتِي » .

(١) أَبُو الرَّبِيعِ سُلَيْمَانُ بْنُ مُوسَى بْنِ سَالِمِ بْنِ حَسَّانِ الْهَمِيرِيِّ الْكَلَاعِيُّ
الْبَلَنْسِيُّ، كَانَ أَمَامًا مَحْدَثًا مَوْخَا أَدِيبًا كَاتِبًا بَلِيغًا شَاعِرًا خَطِيبًا مَفُوهًا مَبْرُزًا
فِي فَنُونِ كَثِيرَةٍ، ذَا جَاهٍ وَحَسَنِ شَارَةٍ، وَجِيهًا عِنْدَ الْمُلُوكِ يَتَكَلَّمُ عَنْهُمْ فِي
مَجَالِسِهِمْ وَيُنَبِّئُهُمْ عَمَّا يَرِيدُونَ عَلَى الْمَنَابِرِ وَفِي الْمَحَافِلِ، فَهُوَ لِسَانُهُمُ النَّاطِقُ
وخطيبهم الموثر، وله تأليف ممتعة في الحديث والأدب والأخبار وتراجم الرجال
ويعدهو آخر الحفاظ والبلغاء المترسلين بالانديلس، ولد سنة ٥٦٥ واستشهد
بالقرب من بلنسية مقبلا غير مدبر سنة ٦٣٤ رحمه الله «أحمد يوسف نجاتي»
(٢) أَبُو الْحُسَيْنِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ رَبِيعِ الْأَشْعَرِيِّ

أَبْنُ عَطِيَّةَ لِنَفْسِهِ - فَذَكَرَهُمَا بَعْدَ أَنْ قَالَ : إِنَّهُ لَمَّا أَرْمَعَ
الْقَاضِي أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ عَطِيَّةَ الْإِرْتِحَالَ عَنْ قُرْطُبَةَ قَصَدَ
الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ وَأَنْشَدَ الْبَيْتَيْنِ - أَنْتَهَى . وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ
أَيْضًا - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - :

بِأَرْبَعٍ فَاقَتْ الْأَمْصَارَ قُرْطُبَةُ

وَهُنَّ قَنْطَرَةُ الْوَادِي وَجَامِعُهَا

هَاتَانِ ثِنْتَانِ ، وَالزَّهْرَاءُ ثَالِثَةٌ

وَالْعِلْمُ أَكْبَرُ شَيْءٍ وَهُوَ رَابِعُهَا

وَقَدْ تَقَدَّمَ إِنْشَادُنَا لِهَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ مِنْ غَيْرِ نِسْبَتِهِمَا
لِأَحَدٍ . وَمِمَّا يَدْخُلُ فِي أَخْبَارِ الزَّاهِرَةِ مِنْ غَيْرِ مَا قَدَّمَناه
مَا حَكَاهُ عَنْ نَفْسِهِ الْوَزِيرُ الْكَاتِبُ أَبُو الْمُغِيرَةِ بْنُ حَزْمٍ ^(١)
قَالَ : نَادَمْتُ يَوْمًا الْمَنْصُورَ بْنَ أَبِي عَامِرٍ فِي مُنْيَةِ السُّرُورِ

القرطبي كان شيخا جليلا محدثا فقيها ، له تأليف مفيد في مشيخته ومن
أخذ عنه ، ولما أزمع القاضي أبو محمد عبد الحق بن عطية الارتحال عن قرطبة
قصد المسجد الجامع متبركا ومودعا ، وكان أبو الحسن هذا ممن مشى معه
فأنشده، البيتين المذكورين بالجامع ارتجالا ، ولد ابن ربيع سنة ٥١٩ هـ
وتوفي سنة ٥٨٥ هـ . « أحمد يوسف نجاتي » . (١) تقدمت ترجمته

بِالزَّاهِرَةِ ذَاتِ الْحُسْنِ النَّضِيرِ ، وَهِيَ جَامِعَةُ بَيْنِ رَوْضَةٍ
وَعَدِيرٍ ، فَلَمَّا تَضَمَّخَ النَّهَارُ بِزَعْفَرَانِ الْعَشِيِّ ، وَرَفَّرَفَ
غُرَابُ اللَّيْلِ الدَّجُوجِي^(١) ، وَأَسْبَلَ اللَّيْلُ جُنْحَهُ ، وَتَقَلَّدَ
السَّمَاءُ^(٢) رُمَحَهُ ، وَهَمَّ النَّسْرُ بِالطَّيْرَانِ ، وَعَامَ فِي الْأَفْقِ
زَوْرَقُ الزَّبْرَقَانِ^(٣) ، أَوْقَدَنَا مَصَابِيحَ الرِّيحِ ، وَأَشْتَمَلْنَا
مُلَاءَ الْإِرْتِيَاحِ ، وَلِلدَّجْنِ^(٤) فَوْقَنَا رُواقٌ مَضْرُوبٌ ،
فَعَنَّتْنَا عِنْدَ ذَلِكَ جَارِيَةٌ تُسَمَّى أَنْسَ الْقُلُوبِ ، وَقَالَتْ :

قَدِمَ اللَّيْلُ عِنْدَ سَيْرِ النَّهَارِ
وَبَدَأَ الْبَدْرُ مِثْلَ نِصْفِ سِوَارٍ^(٥)

(١) شديد السواد (٢) يريد السماء الرامح ، وسبق وصفه (٣) القمر
قال الشاعر :

نضى له المنابر حين يرقى عليها مثل ضوء الزبرقان
(٤) الدجن : ظل الغيم في اليوم المطير ، أو المطر الكثير (٥) تذكرت هنا
قول الشاعر وأحسن :

قلت لما اثنت لمغربها الشمس ولاح الهلال للنظار
أقرض الشرق صنوه الغرب ديناً را فأعطى الرهان نصف سوار
وهو خيال بديع ، لا يفوقه إلا صوت أنس القلوب بهذا الشعر الرائق .
« أحمد يوسف نجاتي » .

فَكَأَنَّ النَّهَارَ صَفْحَةٌ خَدٌّ
وَكَأَنَّ الظَّلَامَ خَطٌّ عِذَارِ
وَكَأَنَّ الْكُؤُوسَ جَامِدُ مَاءٍ
وَكَأَنَّ الْمُدَامَ ذَائِبُ نَارِ
نَظَرِي قَدْ جَنَى عَلَى ذُنُوبًا
كَيْفَ مِمَّا جَنَّتُهُ عَيْنِي أَعْتَذَارِي؟!
يَا لِقَوْمِي تَعَجَّبُوا مِنْ غَزَالِ
جَائِرٍ فِي مَحَبَّتِي وَهُوَ جَارِي
لَيْتَ لَوْ كَانَ لِي إِلَيْهِ سَبِيلٌ
فَأَقْضَى مِنْ حُبِّهِ أَوْطَارِي
قَالَ : فَلَمَّا أَكْمَلْتَ الْغِنَاءَ ، أَحْسَسْتُ بِالْمَعْنَى ، فَقُلْتُ :
كَيْفَ كَيْفَ الْوُصُولُ لِلْأَقْمَارِ
بَيْنَ سُمْرِ الْقَنَا وَبَيْضِ الشَّفَارِ^(١)
لَوْ عَلِمْنَا بِأَنَّ حُبَّكَ حَقٌّ
لَطَلَبْنَا الْحَيَاةَ فِيكَ^(٢) بِشَارِ

(١) جمع شفر : وشفرة السيف حده . (٢) في نسخة « منك »

وَإِذَا مَا الْكِرَامُ هَمُّوا بِشَيْءٍ
خَاطَرُوا بِالنُّفُوسِ فِي الْأَخْطَارِ

قَالَ : فَعِنْدَ ذَلِكَ بَادَرَ الْمَنْصُورُ لِحُسَامِهِ ، وَغَلَّظَ فِي كَلَامِهِ الْمَنُصُورَ وَالْجَارِيَةَ
وَقَالَ لَهَا : قُولِي وَأَصْدُقِي إِلَى مَنْ تُشِيرِينَ ، بِهَذَا الشَّوْقِ
وَالْحَنِينِ ! فَقَالَتْ الْجَارِيَةُ : إِنْ كَانَ الْكَذِبُ أَنْجَى ،
فَالصِّدْقُ أُخْرَى وَأَوَّلَى ، وَاللَّهِ مَا كَانَتْ إِلَّا نَظْرَةً ، وَلَدَّتْ
فِي الْقَلْبِ فِكْرَةً ، فَتَكَلَّمَ الْحُبُّ عَلَى لِسَانِي ، وَبَرَّحَ
الشَّوْقُ بِكِتْمَانِي ، وَالْعَفْوُ مَضْمُونٌ لَدَيْكَ عِنْدَ الْمَقْدِرَةِ ،
وَالصَّفْحُ مَعْلُومٌ مِنْكَ عِنْدَ الْمَعْدِرَةِ ، ثُمَّ بَكَتُ فَكَانَ
دَمْعَهَا دُرٌّ تَنَاطَرَ مِنْ عِقْدٍ ، أَوْ طَلٌّ تَسَاقَطَ مِنْ وَرْدٍ ،
وَأَنشَدَتْ :

أَذْنَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا فَكَيْفَ مِنْهُ أَعْتَذَرِي
وَاللَّهُ قَدَّرَ هَذَا وَلَمْ يَكُنْ بِاخْتِيَارِي
وَالْعَفْوُ أَحْسَنُ شَيْءٍ يَكُونُ عِنْدَ اقْتِدَارِ
قَالَ فَعِنْدَ ذَلِكَ صَرَفَ الْمَنْصُورُ وَجْهَ الْغَضَبِ إِلَى ،

وَسَلَّ سَيْفَ السُّخْطِ عَلَى ، فَقُلْتُ : أَيْدِكَ اللَّهُ تَعَالَى - إِنَّمَا
كَانَتْ هَفْوَةٌ جَرَّهَا الْفِكْرُ ، وَصَبْوَةٌ ^(١) أَيْدَهَا النَّظَرُ ،
وَلَيْسَ لِلْمَرْءِ إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ ، لَا مَا اخْتَارَهُ وَأَمَّلَهُ ، فَاطْرَقَ
الْمَنْصُورُ قَلِيلًا ، ثُمَّ عَفَا وَصَفَحَ ، وَتَجَاوَزَ عَنَّا وَسَمَحَ ، وَخَلَّى
سَبِيلِي ، فَسَكَنَ وَجِيبٌ ^(٢) قَلْبِي وَغَلِيلِي ، وَوَهَبَ الْجَارِيَةَ لِي
فَبِتْنَا بِأَنعَمِ لَيْلَةٍ ، وَسَحَبْنَا فِيهَا لِلصَّبَا ذَيْلَهُ ، فَلَمَّا شَمَّرَ
الَّيْلَ غَدَائِرُهُ ، وَسَلَّ الصَّبَاحُ بَوَاتِرَهُ ، وَتَجَاوَبَتِ الْأَطْيَارُ
بِضُرُوبِ الْأَلْحَانِ ، فِي أَعَالِي الْأَغْصَانِ ، أَنْصَرَفْتُ بِالْجَارِيَةِ
إِلَى مَنْزِلِي ، وَتَكَامَلَ سُرُورِي .

الرشيد والجارية قَالَ بَعْضُهُمْ : ذَكَرْتَنِي حِكَايَةً أَبِي الْمَغِيرَةِ هَذِهِ
حِكَايَةً قَرَأْتُهَا فِي النُّوَادِرِ لِأَبِي عَلِيٍّ الْقَالِي الْبَغْدَادِيِّ
حَدَّثَتْ فِي الظَّرْفِ حَدُوثَهَا ، وَزَهَتْ فِي الْإِغْرَابِ
زَهْوَهَا ، وَهِيَ مَا أَسْنَدَهُ عَنْ مَنْصُورِ الْبَرْمَكِيِّ أَنَّهُ
كَانَتْ لِلرَّشِيدِ جَارِيَةً غُلَامِيَّةً ، وَكَانَ الْمَأْمُونُ

(١) ميل إلى اللهو وهوى النفس ورقة الغزل (٢) وجيب القلب: خفقاؤه واضطرابه من نحو فزع ورعب .

يَمِيلُ إِلَيْهَا - وَهُوَ إِذْ ذَاكَ أَمْرُدُ ، فَوَقَفْتُ تَصُبُّ الْمَاءَ عَلَى يَدِ
الرَّشِيدِ مِنْ إِبْرِيْقٍ مَعَهَا - وَالْمَأْمُونُ خَلْفَ الرَّشِيدِ ، فَأَشَارَ
إِلَيْهَا يُقْبِلُهَا ، فَأَنْكَرَتْ ذَلِكَ بَعِيْنَهَا ، وَأَبْطَأَتْ فِي الصَّبِّ عَلَى
قَدْرِ نَظَرِهَا لِلْمَأْمُونِ وَإِشَارَتِهَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ الرَّشِيدُ مَا هَذَا ؟
ضَمِي الْإِبْرِيْقَ مِنْ يَدِكَ ، فَفَعَلْتُ . فَقَالَ لَهَا : وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ
تَصْدُقْنِي لِأَقْتُلَنَّكَ ، فَقَالَتْ : يَا سَيِّدِي أَشَارَ إِلَى كَأَنَّهُ
يُقْبِلُنِي ، فَأَنْكَرْتُ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، فَالْتَفَتَ إِلَى الْمَأْمُونِ ، فَنَظَرَ
إِلَيْهِ كَأَنَّهُ مَيِّتٌ لِمَا دَاخَلَهُ مِنَ الْجَزَعِ وَالْحَجَلِ ، فَرَحِمَهُ
وَضَمَّهُ إِلَيْهِ وَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ أَتُحِبُّهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
قَالَ : هِيَ لَكَ فَاخْلُ بِهَا فِي تِلْكَ الْقُبَّةِ ، فَفَعَلَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ :
هَلْ قُلْتَ فِي هَذَا الْأَمْرِ شَيْئًا ؟ فَقَالَ : نَعَمْ يَا سَيِّدِي ، وَأَنْشَدَ :

ظَنِّي كُنَيْتٌ ^(١) بِطَرْفِي مِنْ الضَّمِيرِ إِلَيْهِ
قَبْلَتُهُ مِنْ بَعِيدٍ فَاعْتَلَّ مِنْ شَفَقَتِهِ
وَرَدَّ أَخْبَثَ رَدٍّ بِالْكَسْرِ مِنْ حَاجِبِهِ
فَمَا بَرَحْتُ مَكَانِي حَتَّى قَدَرْتُ عَلَيْهِ

(١) و يروى « كتبت » « أحمد يوسف نجاتي » .

وَفِي هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : اللَّحْظُ يُعْرَبُ
عَنِ اللَّفْظِ .

« وَقَالَ آخَرُ » رَبُّ كِنَايَةٍ تُعْنِي عَنْ إِضَاحٍ ، وَرَبُّ
لَحْظٍ يَدُلُّ^(١) عَلَى ضَمِيرٍ ، وَنَظَّمَهُ الشَّاعِرُ فَقَالَ :

جَعَلْنَا عَلَامَاتِ الْمَوَدَّةِ بَيْنَنَا

دَقَائِقَ لَحْظٍ هُنَّ أَمْضَى مِنَ السَّحْرِ

فَأَعْرِفْ مِنْهَا الْوَصْلَ فِي لَيْنٍ لَحْظُهَا

وَأَعْرِفْ مِنْهَا الْهَجَرَ بِالنَّظَرِ الشَّرِّ

« وَفِي هَذَا قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ » الْعَيْنُ بَابُ الْقَلْبِ ، فَلَا

فِي الْقَلْبِ يَظْهَرُ فِي الْعَيْنِ . وَقَالَ الشَّاعِرُ^(٢) :

(١) فِي الْأَصْلِ « لَفْظٌ » وَأَرَاهُ تَصْحِيفًا غَيْرَ مُنَاسِبٍ لِلْمَقَامِ (٢) أَظَنَّهُ عِمَارَةُ

ابن عقيل بن بلال بن جرير ، وَأَحْفَظُ مَعَ الْبَيْتَيْنِ تِمَّةٌ لَهُمَا :

أَنْ الْبَغِيضَ لَهُ عَيْنٌ يَصْدُ بِهَا لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا فِي الْقَلْبِ كِتْمَانًا

وَعَيْنٌ ذِي الْوَدِّ لَا تَنْفَكُ مَقْبَلَةً تَرَى لَهَا مَحْجَرًا بَشًا وَانْسَانًا

وَيَعْجِبُنِي قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ :

وَلِذَاكَ قِيلَ مِنَ الظَّنُونِ جَبَلَةٌ عِلْمٌ وَفِي بَعْضِ الْقُلُوبِ عَيُونٌ

وَقَوْلُ مُحَمَّدِ بْنِ شَبَلٍ :

وَالْعَيْنُ تَقْرَأُ مِنَ لِحَازٍ جَلْبَسَهَا مَا خَطَمَنَهُ فِي ضَمِيرِ الْخَاطِرِ

الْعَيْنُ تُبْدِي الَّذِي فِي نَفْسِ صَاحِبِهَا
مِنَ الْمَحَبَّةِ أَوْ بُغْضٍ إِذَا كَانَ
فَالْعَيْنُ تَنْطِقُ وَالْأَفْوَاهُ صَامِتَةٌ
حَتَّى تَرَى مِنْ ضَمِيرِ الْقَلْبِ تَبْيَانًا
انتهى

أبو المغيرة عبد
الوهاب بن حزم

« وَأَبُو الْمَغِيرَةِ بْنُ حَزْمٍ * قَالَ فِي حَقِّهِ فِي الْمَطْمَحِ

ولكم قطوب عن وداد خالص وتبسم عن غل صدر واغر
واذا تعارفت القلوب تألفت ويصد منها نافر عن نافر
فتوق من يأباه قلبك انه سيبين باطنه بأمر ظاهر
والقول في هذا المعنى كثير ، وسبق لك شيء منه في الأجزاء السالفة .
« أحمد يوسف نجاتي » .

* ترجم له في كتاب الصلة لابن بشكوال « ج ١ ص ٣٧٤ » من
المكتبة الاندلسية بما يأتي :

عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن حزم من أهل
قرطبة، يكنى أبا المغيرة، له سماع من أبي القاسم الوهراني وغيره، وكان حسن
الخط ، ذكره الحميدى وقال : هو من المتقدمين في الأدب والشعر والبلاغة
وهو ابن عم أبي محمد بن حزم والد أبي الخطاب ، وشعره كثير مجموع
وأنشدني له غير واحد من أصحابنا قريضا مذكورا في نفح الطيب عند
ترجمته نكتفي بالإشارة إليه .

قال ابن حيان: توفي بعسكر ابن ذى النون صاحب طليطلة في مستهل
صفر من سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة، ودفن بطليطلة رحمه الله تعالى.

مَا نَصَّهُ : الْوَزِيرُ الْكَاتِبُ أَبُو الْمُغِيرَةِ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ
حَزْمٍ ، وَبَنُو حَزْمٍ فِتْيَةٌ عِلْمٌ وَأَدَبٌ ، وَثَنِيَّةٌ^(١) مَجْدٌ وَحَسَبٌ
وَأَبُو الْمُغِيرَةِ هَذَا فِي الْكِتَابَةِ أَوْحَدُ ، لَا يُنْعَتُ وَلَا يُحَدُّ ،
وَهُوَ فَارِسُ الْمِضْمَارِ ، حَامِي ذَلِكَ الذَّمَّارِ^(٢) ، وَبَطْلُ الرَّعِيلِ^(٣)
وَأَسَدُ ذَلِكَ الْغِيلِ^(٤) ، نَسَقَ الْمُعْجَزَاتِ ، وَسَبَقَ فِي
الْمُعْضِلَاتِ الْمُوجِزَاتِ ، إِذَا كَتَبَ وَشَى الْمَهَارِقَ^(٥) وَدَبَّجَ ،
وَرَكِبَ مِنْ بَحْرِ الْبَلَاغَةِ الشَّبَجَ^(٦) ، وَكَانَ هُوَ وَأَبُو عَامِرٍ
أَبْنُ شَهِيدٍ خَلِيلِي صَفَاءً ، وَحَلِيفِي وَفَاءً ، لَا يَنْفَصِلَانِ فِي

(١) كان الأصل هكذا « وأبو حزم فقيه علم وأدب ونبيه » والاولى
ما أثبتناه بدليل السياق ، فانه يثنى على بنى حزم عامة ويخص من بينهم
أبا المغيرة . والثنية المكان المرتفع ، والثنية من الجبل ما يحتاج في قطعه
وسلوكة الى صعود وحدور - شبههم بالثنية في الشهرة والرفعة ونبيلهم درجة
لا يصل اليها غيرهم الا بعناء ، وقال الشاعر :

اذا مارأوني طالعا من ثنية يقولون من هذا وقد عرفوني
ويجوز أن تكون « بنية » أى بناء أو بيت (٢) الذمار ما يلزم الانسان
حفظه وحياطته وحمايته ، وان ضيعه لزمه اللوم (٣) الرعيل : القطعة من الخيل
أو الجيش وجماعة الفرسان (٤) الأشجة ومأوى الأسد (٥) المهارق جمع
مهرق وهو الصحيفة البيضاء يكتب فيها ، وهو فارسي معرب (٦) شج
البحر : وسطه ومعظمه وأعلاه ، والشج علو وسط البحر اذا تلاقت أمواجه ،

رَوَاجٌ^(١) وَلَا مَقِيلٍ ، وَلَا يَفْتَرِقَانِ كَمَالِكٍ وَعَقِيلٍ^(٢) ، وَكَانَا
بِقُرْطُبَةٍ رَافِعِي الْوِيَةِ الصَّبُورَةِ ، وَعَامِرِي أَنْدِيَةِ السَّلْوَةِ ،
إِلَى أَنْ أُتْخِذَ أَبُو عَامِرٍ فِي حِبَالَةِ الرَّدَى وَعَلِقَ ، وَغَدَا رَهْنُهُ
فِيهَا وَعَلِقَ^(٣) ، فَانْقَرَدَ أَبُو الْمَغِيرَةِ بِذَلِكَ الْمِيدَانِ ، وَأُسْتَرَدَّ

وأعلى الأمواج ، وفي حديث الزهري : كنت إذا فاتحت عروة بن الزبير
فتقت به ثبج بحر (١) في الأصل « رواد » (٢) مالك وعقيل نديما جذيمة
الأبرش ، يضرب بهما المثل في الملازمة وطول الاصطحاب ، وكان عمرو بن
عدي ابن أخت جذيمة فقد زمانا ، ثم ظفر به مالك وعقيل فعرفاه وأكرماه
وقدماه على جذيمة فجعلهما نديمه ، ولم يناده أحد قبلهما ، وكان يزعم أنه
ليس في الدنيا من يصلح لمادته ذهابا بنفسه وفرط اعتداد بها . وفيهما
يقول متمم بن نويرة في رثاء أخيه مالك :

وَكُنَّا كَنَدِمَانِي جَذِيمَةَ حَقْبَةٍ مِنْ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَّصِدَا
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا لَطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا
وَقَالَ آخِرُ :

تَقُولُ أَرَاهُ بَعْدَ عُرْوَةَ لَاهِيَا وَذَلِكَ رِزْمٌ لَوْ عَلِمْتَ جَلِيلُ
فَلَا تَحْسِبِي أَتَى تَنَاسَيْتَ عَهْدَهُ وَلَكِنْ صَبْرِي يَا أُمَيْمُ جَمِيلُ
أَلَمْ تَعْلَمِي أَنْ قَدْ تَفَرَّقَ قَبْلُنَا خَلِيلَا صَفَاءَ مَالِكٍ وَعَقِيلِ
وَمَنْ هُنَا أَخَذَ صَاحِبُ الْمَطْمَحِ عِبَارَتَهُ . « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَاطِي » .

(٣) في نسخة « وغدا رهنه فيما قد غلق » غلق الرهن : استحققه المرتهن
وذلك إذا لم يفتك في الوقت المشروط ، قال زهير يذكر امرأته :
وفارقتك برهن لافكاك له يوم الوداع فأمسى الرهن قد غلقا
وقال عمار بن صفوان الضبي :

أَجَارْتَنَا مَنْ يَجْتَمِعُ يَتَفَرَّقُ وَمَنْ يَكُ رَهْنًا لِلْحَوَادِثِ يَغْلِقُ

مِنْ سَبْقِهِ مَا فَاتَهُ مُنْذُ زَمَانٍ ، فَلَمْ تَذْكُرْ لَهُ مَعَ أَبِي عَامِرٍ
حَسَنَةً ، وَلَا سَارَتْ^(١) لَهُ فَقْرَةٌ « وَإِنْ كَانَتْ » مُسْتَحْسَنَةً ،
لِتَعْذُرَ ذَلِكَ وَأُمْتِنَاعِهِ ، بِشُفُوفِ^(٢) أَبِي عَامِرٍ وَأُمْتِدَادِ بَاعِهِ ،
وَأَمَّا شِعْرُ أَبِي الْمُغِيرَةِ فَمُرْتَبِطٌ بِنَثْرِهِ ، وَمُخْتَلِطٌ زَهْرُهُ بِدُرِّهِ
وَقَدْ أَثْبَتَ لَهُ مِنْهُ فُتُونًا ، تُجَنُّ بِهَا الْأَفْهَامُ جُنُونًا ، فَمِنْ
ذَلِكَ قَوْلُهُ :

ظَعَنْتُ وَفِي أَحْدَاجِهَا مِنْ شَكْلِهَا
عَيْنٌ فَضَحْنَ بِحُسْنِهَا الْعَيْنَا^(٣)
مَا أَنْصَفَتْ فِي جَنْبٍ تُوضِحُ إِذْ قَرْتُ
صَيْفَ الْوِدَادِ بَلَاً بَلَاً وَشُجُونًا^(٤)

(١) في الأصل « سرت » (٢) الشفوف : الفضل والزيادة (٣) الأحداج
جمع حدج وهو مركب للنساء نحو الهودج تركبه نساء الأعراب ، والعين
جمع عيناء مؤنث أعين من العين وهو عظم سواد العين في سعة ، والعين :
بقر الوحش وهو صفة غالبية لها وبها شبهت النساء (٤) توضح اسم مكان
وهو كتيب أبيض من كتيبان حمر بالدهناء ، أوقرية من قرى النجامة ، وفيه
يقول يحيى بن طالب الحنفي :

أيا أثلاث القاع من بطن توضح حنيني الى أفيائكن طويل
ويا أثلاث القاع قلبي موكل بكن ، وجدوى خير كن قليل

أَصْحَى الْغَرَامُ قَطِينَ رَبْعٍ فُوَادِهِ
إِذْ لَمْ يَجِدْ بِالرَّقْمَتَيْنِ قَطِينًا^(١)
« وَلَهُ » :

لَمَّا رَأَيْتُ الْهَلَالَ مُنْطَوِيًا
فِي غُرَّةِ الْفَجْرِ قَارَنَ الزُّهْرَةَ
شَبَّهَتْهُ وَالْعِيَانُ يَشْهَدُ لِي
بِصَوْلَجَانِ أَنْثَى لِضَرْبِ كُرَّةٍ
انْتَهَى

وقرى الضيف: أضافه وقدم اليه الطعام وما يحتاج اليه - والبلابل جمع بلبال وهو شدة الهم والوساوس في الصدر، تقول: متى أخطرتك بالبال وقعت في بلبال. والشجون جمع شجن وهو الهم والحزن - هذا وأحفظ للايات رابعا وهو:

صن البدور بطل جثل قاحم وغرسن في كشبانهن غصونا
الجثل: الشعر الكثير الأسود الكثيف (١) الرقمتان موضع قرب البصرة وهما منزل مالك بن الريب المازني، وفيهما يقول:

فلله درى يوم أترك طائعا بنى بأعلى الرقمتين وماليا
وقد أكثر الشعراء من ذكرها والتغزل بسا كنتاجهما، قال زهير:
ودار لها بالرقمتين كائنها مراجيع وشم في نواشر معصم
وقد جرى ابن حزم الأعرابي شعرهم، وحذا حذوهم في غزلهم، فجعل غادته وصواحبها يركبن الأهداج، ويسكن توضع والرقمتين، لألفة هذه

« وَأَبُو عَامِرِ بْنِ شُهَيْدٍ الْمَذْكُورُ قَالَ فِي حَقِّهِ مَا صُورَتْهُ »
الْوَزِيرُ أَبُو عَامِرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ شُهَيْدٍ الْأَشْجَعِيُّ
عَالِمٌ بِأَقْسَامِ الْبَلَاغَةِ وَمَعَانِيهَا، حَائِزٌ قَصَبِ السَّبْقِ فِيهَا ،
لَا يُشَبِّهُهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِ ، وَلَا يَنْسُقُ^(١) مَا نَسَقَ

أبو عامر أحمد
الأشجعي

الأماكن والتبرك بذكرها ، ونحن الآن إنما نصينا كل هيفاء :
محلها غربي مصر وقصرها على النيل لأكناف سلع ولا الهضب
وحلت بأكناف الزملاك روضة يروح ويغدو بين أرجائها الحب
وعسى أن يكن في وفا. الأعرايات بنات الفطرة والطبيعة وفي تصونهن
« أحمد يوسف نجاتي » .

* ترجم له في سلم الوصول « ج ١ ص ٩٩ » بما يأتي :

أحمد بن عبد الملك بن مروان بن أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد
ابن عيسى المعروف بابن شهيد الأشجعي الأندلسي القرطبي .
المتوفى بهافي جمادى الأولى سنة ست وعشرين وأربعمائة عن أربع وأربعين
سنة ، له رسائل ونظم ، وكان بارعا متفنا ، وبينه وبين ابن حزم مكاتبات
وصنف كشف الدك وإيضاح الشك ، والتوايع والزوايع ، وكتاب الحكايات
والنوادير ، ذكره ابن خلكان نقلا عن ابن بسام .

(١) نسق الكلام : أتى به على نظام واحد من الحسن ، وأنسق المتكلم
إذا تكلم سجعاً ، وإذا كان الكلام مسجعا قيل له نسق حسن .
والتنسيق التنظيم ، وهذا كلام متناسق : حسن النظم جيد السياق

« أحمد يوسف نجاتي »

مِنْ دُرِّ الْبَيَانِ وَجَمَانِهِ ^(١) ، تَوَغَّلَ ^(٢) فِي شِعَابِ الْبَلَاغَةِ
وَطَرُقَهَا ، وَأَخَذَ عَلَى مُتَعَاتِطِهَا مَا بَيْنَ مَغْرِبِهَا وَمَشْرِقِهَا ،
لَا يُقَاوِمُهُ عَمْرُو بْنُ بَحْرٍ ^(٣) ؛ وَلَا تَرَاهُ يَغْتَرِفُ إِلَّا مِنْ بَحْرِ ،
مَعَ أَنْطِبَاعٍ ^(٤) ، مَشَى فِي طَرِيقِهِ بِأَمَدٍ بَاعٍ ^(٥) ، وَلَهُ الْحَسَبُ
الْمَشْهُورُ ، وَالْمَكَانُ الَّذِي لَمْ يَعُدَّهُ ^(٦) ظُهُورٌ ، وَهُوَ مِنْ
وَلَدِ الْوَضَّاحِ ، الْمُتَقَلِّدِ تِلْكَ الْمَفَاخِرِ وَالْأَوْضَاحِ ^(٧) ،
وَصَاحِبِ الضَّحَّاكِ يَوْمَ الْمَرْجِ ، وَرَاكِبِ ذَلِكَ الْهَرَجِ ،

(١) الجمان : الاواؤ (٢) توغل في البلاد والمكان والعلم اذا ذهب وبالع وسار فأبعد . والشعاب جمع شعب وهو في الأصل الطريق في الجبل ، أو ما انفرج بين الجبلين (٣) يريد به الجاحظ امام البلاغة المشهور (٤) يريد السهولة ومجىء الكلام عفو الطبع غير متكلف (٥) أمد أفل تفضيل من مد ، أى أطول (٦) أى لم تتجاوزه شهرة (٧) الوضع في الأصل بياض الصبح ، وقد يراد به مطلق الضوء والبياض ، ويطلق على الشية والغرة والتحجيل في القوائم وهو هنا مستعار للأعمال المشهورة والحاصل الكريمة الواضحة المعروفة . والوضاح جد أبى عامر بن شهيد هو الوضاح بن رزاح الذى كان مع الضحاك بن قيس الفهرى يوم مرج راهط . والوضاح هذا هو جد بنى وضاح الذين كانوا من أعيان أهل مرسية ، وهو من أشجع من قيس عيلان ابن مضر ، وأسر الوضاح بن رزاح في يوم المرج ، ومن عليه مروان بن الحكم ، وواقعة مرج راهط مشهورة بين قيس وتغلب وكانت سنة ٦٥هـ وتقدم موجز القول فيها ، وانتهت بقتل الضحاك بن قيس واستقامة الأمر

وَأَبُو عَامِرٍ حَفِيدُهُ هَذَا مِنْ ذَلِكَ النَّسَبِ ، وَنَبْعٌ ^(١) لَا يُرَاشُ
إِلَّا مَعَ ذَلِكَ الْغَرَبِ ^(٢) ، وَقَدْ أَثْبَتُ لَهُ مَا هُوَ بِالسَّحْرِ
لَا حِقُّ ، وَلِنُورِ الْمَحَاسِنِ مَا حِقُّ « فَمِنْ ذَلِكَ » قَوْلُهُ :
إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا نَابَتْهُ تَحْمَصَةٌ
أَبْدَى إِلَى النَّاسِ رِيًّا وَهُوَ ظَمَانُ
يَحْنِي الضُّلُوعَ عَلَى مِثْلِ اللَّظَى حُرْقًا
وَالْوَجْهَ غَمْرٌ بِمَاءِ الْبَشْرِ رِيَّانٌ ^(٣)

لمروان - ومرج راهط موضع في الغوطة من دمشق، وفي واقعة مرج راهط
يقول زفر بن الحرث الكلابي من قصيدته الطويلة الشهيرة :
لعمرى لقد أبقت وقية راهط لمروان صدعا بيننا متنائيا
وقال ابراهيم بن هرمة يمدح عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان :
أبوك غداة المرج أورثك العلي وخاض الوغى اذ سال بالموت راهط
هذا وراهط الذي ينسب اليه المرج رجل من قضاة «أحمد يوسف نجاتي»
(١) النبع : شجر من أشجار الجبال رزين العود صلب، كانوا يتخذون
منه القسي الجيدة ، قال أبو حنيفة: وكل القسي اذا ضمت الى قوس النبع
كرمتها قوس النبع لانها أجمع القسي للشدّة واللين، ولا يكون العود كريما
حتى يكون كذلك ، وتتخذ السهام من أغصانه (٢) في الأصل «الزغب»
وفي المصباح «الغرب» وهو المناسب ، وراش السهم ألزق عليه الريش - والغرب
شجر صلب تسوي منه الأقداح ، وهو من أكرم الأعواد كالنخ قال الشاعر :
لما بعدت عجمت الصبر أخبره فلم أجد عوده نبعا ولا غربا
يريد صاحب المصباح أن ابن شهيد فرع كريم كأصله، وأن هذا الشبل من
ذاك الأسد (٣) الحمصة : الجوع - والغمر المملوء ، والبيتان في معنى

وَهُوَ مَا أَخُوذُ مِنْ قَوْلِ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ :

مَا إِنْ رَأَيْتُ كَمَعَشَرَ صَبَرُوا

عِزًّا عَلَى الْأَزَلَاتِ وَالْأَزَمِ^(١)

بَسَطُوا الْوُجُوهَ وَيَنَّ أَضْلَعِهِمْ

حَرُّ الْجَوَى وَمَا لِمُ الْكَلَمِ^(٢)

قوله تعالى : « يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف » يقول ان الكريم اذا افتقر كتم عن الناس سوء حاله ، وأظهر لهم التجمل وحسن الحال حتى لا يتوهم أحد أنه يريد سؤاله اذا أظهر له سوء ما هو عليه ، فهو يضر في نفسه شدته ويكتمها ، ولكنه يظهر للناس ذا غبطة طلق الوجه ضاحك الثغر :
يبسم الثغر غير أن فؤادي يعلم الله كل ما هو فيه

والقول في هذا المعنى كثير متداول . وعجز البيت في بعض المراجع : أبدى الى الناس شبعاً وهو طيان ، والطيان الجائع والطوى الجوع « أحمد يوسف نجاتي »
(١) عجز البيت في الديوان « لقوارع اللزبات والأزم » واللزبة : الشدة والقحط ، واللزب الضيق والجذب ، والأزل أيضا الضيق والشدة والقحط وأزم عليهم العام أزمأ وأزوما اذا اشتد قحطه وقل خيره ، وسنة آزمة وأزومة : مجدة شديدة القحط والمحل (٢) في الديوان « حرق الجوى . . » والجوى الحرفة وشدة الوجد والحزن ، وما لم جمع مأل أي ألم ووجع ، والكلم الجرح ، مستعار هنا لنوائب الدهر وشدائد الأيام ، وبعد هذين البيتين ثالث وهو :

جمحت بهم خيل الأسي فثنوا أعناقها بأعنة الحزم

وَلَهُ أَيْضًا :

كَلِفْتُ بِالْهَبِّ حَتَّى لَوْ دَنَا أَجَلِي
لَمَّا وَجَدْتُ لَطْعَمَ الْمَوْتِ مِنَ الْمِ
كَلَا النَّدَى وَالْهَوَى قَدَمًا وَلِعْتُ بِهِ
وَيْلِي مِنَ الْهَبِّ أَوْ وَيْلِي مِنَ الْكَرَمِ^(١)

« وَأَخْبَرَنِي » الْوَزِيرُ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ سِرَاجٍ^(٢) - وَهُوَ
الوزير أبو الحسين
ابن سراج
بِمَنْزِلَةِ الْوَزِيرِ أَبِي عَامِرٍ بْنِ شَهِيدٍ ، وَكَانَ مِنَ الْبَلَاغَةِ فِي
مَدَى غَايَةِ الْبَيَانِ ، وَمِنَ الْفَصَاحَةِ فِي أَعْلَى مَرَاتِبِ التَّبْيَانِ ،
وَكُنَّا نَحْضُرُ مَجْلِسَ شَرَابِهِ ، وَلَا نَغِيبُ عَنْ بَابِهِ ، وَكَانَ
لَهُ بَابُ الصَّوْمَعَةِ مِنَ الْجَامِعِ مَوْضِعٌ لَا يَفَارِقُهُ أَكْثَرُ

(١) تقدم شرحهما ، وفي نسخة « ألت بالحب » بدل « كلفت » (٢) في
الأصل : أبو الحسن بن سراج الدين ، هذا ورأيت في بعض المراجع
أصل العبارة هكذا : وأخبرني الوزير أبو الحسين بن سراج أن منزل
الوزير أبي عامر بن شهيد كان منتدى الأعيان ، ومسرى البيان ،
وكان كل شاعر أو كاتب ، منه ما بين صلاة أوراتب ، وكانوا
يحضرون مجلس شرابه ، ولا ينفصلون ساعة عن بابه ، الخ وفي الطمخ :
أبو الحسين بن سراج ، وهو المعروف ، يريد الوزير الأستاذ أبا الحسين
سراج بن عبد الملك بن سراج بن عبد الله بن محمد بن سراج القرطبي
الأديب اللغوي الشاعر الرقيق ، كان مع علو جاهه حسن الخلق كامل المروءة

نَهَارِهِ ، وَلَا يُخْلِيهِ مِنْ نَثْرِ دُرَرِهِ وَأَزْهَارِهِ ، فَقَعَدَ فِيهِ لَيْلَةً
السَّابِعَ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ فِي لَمَّةٍ ^(١) مِنْ إِخْوَانِهِ ،
وَأُثْمَةً سُلُوَانِهِ ، وَقَدْ حَفُّوا بِهِ ، لِيَقْتَطِفُوا نَخْبَ ^(٢) أَدَبِهِ
وَهُوَ يَخْلِطُ لَهُمُ الْجَدَّ بِهَزْلٍ ، وَلَا يُفْرِطُ فِي أَنْبِسَاطٍ مُشْتَهَرٍ
وَلَا أَنْقِبَاضٍ جَزَلٍ ، وَإِذَا بِجَارِيَةٍ مِنْ أَعْيَانِ أَهْلِ قُرْطُبَةٍ
مَعَهَا مِنْ جَوَارِيهَا ، مَنْ يَسْتُرُهَا وَيُؤَارِيهَا ، وَهِيَ تَرْتَادُ مَوْضِعًا
لِمُنَاجَاةِ رَبِّهَا ، وَتَبْتَغِي مَنَزِلًا لِاسْتِغْفَارِ ذَنْبِهَا ، وَهِيَ مُتَنَقِّبَةٌ ،
خَائِفَةٌ يَمْنَنْ يَرْمُقُهَا مُتَرَقِّبَةٌ ، وَأَمَامَهَا طِفْلٌ لَهَا كَأَنَّهُ غُصْنُ
آسٍ ، أَوْ ظَنِّي يَمْرَحُ ^(٣) فِي كِنَاسٍ ، فَلَمَّا وَقَعَتْ عَيْنُهَا عَلَى
أَبِي عَامِرٍ وَلَّتْ سَرِيعَةً ، وَتَوَلَّتْ مَرُوعَةً ^(٤) ، خِيفَةً أَنْ

و بيت سراج بيت وزارة ونباهة وعلم وأدب وفضل ، وقد سبقت لنا كلمة
في هذه الأسرة فارجع إليها ، وتوفي الوزير أبو الحسين في جمادى الآخرة
سنة ٥٠٨ وكان مولده سنة ٤٣٩ . « أحمد يوسف نجاتي » .

(١) لمة الرجل : أصحابه وإخوانه ومن يأنس إليهم (٢) في الأصل « ليقطعوا
تحت » وقد أثبتنا ما في الطمع فهو أظهر ، والنخبة من الشيء مختاره
وجمع نخب (٣) مريح : تبخر ونشط واختال ، والمرح أيضا : الفرح
والتوسع فيه حتى يجاوز قدره . والكناس مأوى الظبي وحيث يستقر في
الشجر (٤) أي خائفة « أحمد يوسف نجاتي »

يُشَبَّبُ^(١) بِهَا ، أَوْ يُشْهَرَهَا بِاسْمِهَا ، فَلَمَّا نَظَرَهَا ، قَالَ قَوْلًا
فَضَحَهَا بِهِ وَشَهَرَهَا :

وَنَاطِرَةٌ تَحْتَ طَىِّ الْقِنَاعِ

دَعَاَهَا إِلَى اللَّهِ بِالْخَيْرِ دَاعِي

سَعَتْ خَفِيَّةً تَبْتَغِي مَنَزَلًا

لِوَصْلِ التَّبْتُلِ وَالْإِنْقِطَاعِ^(٢)

فَجَاءَتْ تَهَادِي كَمِثْلِ الرَّءُومِ

تُرَاعِي غَزَا الْبَرَوْضِ الْبِقَاعِ^(٣)

(١) شَبَّبَ بِالْمَرْأَةِ تَغَزَلَ: بِهَا وَذَكَرَهَا فِي شَعْرِهِ (٢) التَّبْتُلُ: الانْقِطَاعُ
إِلَى اللَّهِ قَالَ تَعَالَى: « وَتَبْتُلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا » وَمِنْهُ التَّبْتُولُ وَهِيَ الْمَرْأَةُ الْمُنْقَطِعَةُ
عَنِ الرِّجَالِ لِارْتِغَابِهَا فِيهِمْ ، وَبِهِ سَمِيَتِ السَّيِّدَةُ مَرْيَمُ الْعَذْرَاءُ - وَالتَّبْتُولُ
أَيْضًا الْمُنْقَطِعَةُ عَنِ الدُّنْيَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى (٣) تَهَادِي أَصْلُهُ تَهَادَى ، وَتَهَادَتِ
الْمَرْأَةُ: تَمَاطَلَتْ فِي مَشِيَّتِهَا اعْجَابًا وَدَلَالًا . وَالرَّءُومُ الْأُمُّ تَرَامُ وَلَدَهَا أَيْ تَعْطِفُ
عَلَيْهِ وَتَلْزِمُهُ وَتَحْبُوهُ - وَهَذَا الْبَيْتُ لَيْسَ فِي الْمَطْمَحِ لَتَكَرَّارِ كَلِمَةِ الْبِقَاعِ
قَافِيَةٍ فِيهِ مَعَ مَا بَعْدَهُ ، فَلَعَلَّهَا مَصْحُفَةٌ عَنْ « الْبِقَاعِ » وَهُوَ الْمَرْتَفَعُ مِنَ الْأَرْضِ
كَالْرَبْوَةِ . أَوْ يَكُونُ « الْبِقَاعُ » الْأَوَّلُ مَعْنَى آخِرٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ النِّظْمُ وَيَخْلُو
مِنَ الْإِطَاءِ الْعَيْبِ ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَمْعُ « بَقْعَةٍ » نَفْتَحُ الْبَاءَ وَهِيَ الْمَكَانُ
يَسْتَنْقِعُ فِيهِ الْمَاءُ - أَمَّا الْبِقَاعُ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي فَيَجْمَعُ بَقْعَةً « وَقَدْ تَفْتَحُ الْبَاءُ »
وَهِيَ الْقِطْعَةُ مِنَ الْأَرْضِ عَلَى غَيْرِ هَيْئَةِ الْقِطْعَةِ الَّتِي إِلَى جَنْبِهَا ، وَقَدْ يُطْلَقُ
عَلَى مُطْلَقِ الْقِطْعَةِ . وَيُرْوَى « تَنَاعَى » بَدَلُ « تُرَاعَى » وَنَاعَى الْمَرْأَةُ

وَجَالَتْ بِمَوْضِعِنَا جَوْلَةً
 فَحَلَّ الرَّيِّعُ بِتِلْكَ الْبِقَاعِ
 أَتَيْنَا تَبَخُّرُ فِي مَشِيهَا
 فَحَلَّتْ بَوَادٍ كَثِيرِ السَّبَاعِ^(١)
 وَرِيَعَتْ حِذَارًا عَلَى طِفْلِهَا
 فَنَادَيْتُ : يَا هَذِهِ لَا تُرَاعِي
 غَزَالِكَ تَفَرِّقُ مِنْهُ اللَّيْثُ
 وَتَفَرِّعُ مِنْهُ كَمَاةُ الْمِصَاعِ^(٢)

إذا داناها أو غازلها ولاطفها. والمناغة أيضا تكليمك الصبي بما يهواه. قال :
 ولم يك في بؤس إذا بات ليلة يناغي غزالا فآثر الطرف أكلها
 وناغت الأم صبيها لاطفته وشاغلته . « أحمد يوسف نجاتي »
 (١) أراد بالسباع هؤلاء اللمة من الأدباء ، الذين يفتنهم مثل هذه الغادة
 الهيفاء ، فتكاد عيونهم تكون نطاقا لحصرها ، وتكاد أحداقهم تنهبها
 بنظراتها (٢) الفرق : الخوف والفرع ، والكماة جمع كمي وهو الشجاع
 يتكمي في سلاحه أي يغطي . وصاع فلانا خوفه وأفرعه ، فأنصاع : خاف
 ونكص . وصاع الكمي أقرانه إذا حازهم من نواحيهم ، وحمل عليهم ففرق
 جمعهم - وصاع القوم : حمل بعضهم على بعض . ومصع فلانا : ضربه بالسيف
 وماصعوا مصاعا إذا قاتلوا وجالدوا بالسيوف . وتماصعوا : تضاربوا - ويروى
 « وتنصاع » بدل « وتفزع » . « أحمد يوسف نجاتي »

فَوَلَّتْ وَلِلْمِسْكِ فِي ذَيْلِهَا
عَلَى الْأَرْضِ خَطٌّ كَظْهِرِ الشُّجَاعِ^(١)
انْتَهَى الْمَقْصُودُ مِنْهُ .

« رَجَعُ » وَمِمَّا يَنْخَرِطُ فِي سِلْكِ أَخْبَارِ الزَّهْرَاءِ مَا
حَكَاهُ الْفَتْحُ فِي تَرْجَمَةِ الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ ، قَالَ : وَأَخْبَرَنِي
الْوَزِيرُ أَحْمَدُ بْنُ سِرَاجٍ^(٢) أَنَّهُ حَضَرَ مَعَ الْوُزَرَاءِ وَالْكَتَّابِ
بِالزَّهْرَاءِ فِي يَوْمٍ قَدْ غَفَلَ عَنْهُ الدَّهْرُ فَلَمْ يَرْمُقْهُ^(٣)
بِطَرْفٍ ، وَلَمْ يَطْرُقْهُ بِصَرْفٍ^(٤) ، أُرْخَتْ^(٥) بِهِ الْمَسَرَّاتُ
عَهْدَهَا ، وَأُبْرَزَتْ لَهُ الْأُمَانِيُّ خَدَّهَا وَنَهْدَهَا^(٦) ، وَأَرُشِفَتْ
فِيهِ لَمَاهَا^(٧) ، وَأَبَاحَتْ لِلزَّائِرِينَ حِمَاهَا ، وَمَا زَالُوا يَتَنَقَّلُونَ
مِنْ قَصْرِ إِلَى قَصْرٍ ، وَيَتَنَذِلُونَ الْغُصُونَ بِحَنَى وَهَضَرٍ^(٨) ،

(١) الشجاع : الحية أوضرب منها دقيق (٢) في قلائد العقيان :
وأخبرني الوزير الفقيه أبو الحسن بن سراج (٣) رmqه :
نظره ولحظه (٤) صرف الدهر حدثانه ونوائبه لأنه يصرف الأشياء عن
وجوهها (٥) قد يكون « أوفت » (٦) يعني برزت له الأمانى والآمال في
أحسن مناظرها وأجمل هيئاتها فنال منها أطيب ما يصبو إليه (٧) التي
سمرة في الشفه كانوا يستحسنونها ، فهو ألمى وهى لمياء ، ولثة لمياء أيضا
إذا كانت رقيقة (٨) ابتذل الشيء : أهانه بالاستعمال ، ضد صان ، وهضر
للعصن أدناه إليه وآماله : والانهمار والاهتصار : سقوط الغصن على الغصن

وَيَتَوَقَّلُونَ^(١) فِي تِلْكَ الْغُرُفَاتِ ، وَيَتَعَاطَوْنَ الْكُوُوسَ
 بَيْنَ تِلْكَ الشَّرَفَاتِ^(٢) ، حَتَّى اسْتَقَرُّوا بِالرَّوْضِ مِنْ بَعْدِ
 مَا قَضَوْا مِنْ تِلْكَ الْآثَارِ أَوْطَارًا ، وَأَوْقَرُوا^(٣) بِالْإِعْتِبَارِ
 قِطَارًا ، فَحَلُّوا مِنْهُ فِي دَرَانِكِ^(٤) رَيْعٍ مُفَوِّقَةٍ بِالْأَزْهَارِ ،
 مُطَرَّزَةٍ بِالْجَدَاوِلِ وَالْأَنْهَارِ ، وَالْغُصُونُ تَخْتَالُ فِي أَذْوَاحِهَا^(٥) ،
 وَتَتَشَّى فِي أَكْفٍ أَرْوَاحِهَا^(٦) ، وَآثَارُ الدِّيَارِ قَدْ أَشْرَفَتْ
 عَلَيْهِمْ كَشَكَالَى يَنْحَنَ عَلَى خَرَابِهَا ، وَأَنْقِرَاضِ أَتْرَابِهَا
 وَأَطْرَابِهَا ، وَالْوَهَى^(٧) بِمَشِيدِهَا لَاعِبٌ ، وَعَلَى كُلِّ جِدَارٍ
 غُرَابٌ نَاعِبٌ ، وَقَدْ مَحَتِ الْحَوَادِثُ ضِيَاءَهَا ، وَقَلَّصَتْ^(٨)
 ظِلَالَهَا وَأَفْيَاءَهَا ، وَطَالَمَا أَشْرَقَتْ بِالْخِلَافِ^(٩) وَأُبْتَهَجَتْ ،

(١) توقل في الجبل ونحوه اذا سعد فيه وعلا ، والتوقل أيضا : الاسراع
 في الصعود ، وفلان يتوقل مصاعدا الشرف اذا أسرع في الارتقاء اليها .
 (٢) الشرفات التي تعلو المنازل من الأمام وتطل على الطريق أو على ساحة
 الدار « البلكونات » (٣) أوقره : أثقله وحمله (٤) جمع درنوك وهو
 ضرب من البسط ذو خمل ، وكانوا يشبهون به فروة البعير والأسد ، وكذا
 « الدرنيك » والدرنك ، وبرد مفوف : رفيق موشى ذو خطوط ونقش .
 وفي الأصل « محفوفة » بدل « مفوفة » (٥) الدوحة الشجرة العظيمة
 ذات الفروع الممتدة ، وجمعها دوح وأدواح (٦) جمع ربح (٧) الضعف
 والخراب (٨) جمعه وقبضته « كناية عن تهديمها » (٩) جمع خليفة

(١٤ - نفح الطيب - خامس)

وَفَاحَتْ مِنْ شَدَاهُمْ وَتَأَرَّجَتْ ، أَيَّامَ نَزَلُوا خِلَالَهَا ،
وَتَقَيَّسُوا ظِلَالَهَا ، وَعَمَرُوا حَدَائِقَهَا وَجَنَاتِهَا ، وَنَبَّهُوا الْآمَالَ
مِنْ سِنَاتِهَا ^(١) ، وَرَاعُوا اللَّيُوثَ فِي آجَامِهَا ^(٢) ، وَأَخَجَلُوا
الْغُيُوثَ عِنْدَ أَنْسِجَامِهَا ^(٣) ، فَأَضْحَتْ وَلَهَا بِالتَّدَاعِي تَلْفَعُ
وَأَعْتَبَارُ ^(٤) ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ آثَارِهَا إِلَّا نُؤْيٌ ^(٥) وَأَخْجَارُ ،
قَدْ وَهَتْ قِبَابُهَا ، وَهَرِمَ شَبَابُهَا ، وَقَدْ يَلِينُ الْحَدِيدُ ،
وَيَبْلَى عَلَى طِيَّةِ الْجَدِيدُ ، فَيَيْنَمَا هُمْ يَتَعَاطَوْنَهَا صِغَارًا
وَكِبَارًا ، وَيُدِيرُونَهَا أَنْسًا وَأَعْتَبَارًا ، إِذَا بِرَسُولِ الْمُعْتَمِدِ
قَدْ وَافَاهُمْ بِرُقْعَةٍ فِيهَا :

حَسَدَ الْقَصْرِ فِيكُمْ الزَّهْرَاءُ

رقعة المعتمد

وَلَعَمْرِي وَعَمَرُكُمْ مَا أَسَاءُ

(١) السنة النوم (٢) جمع أجمة وهي الغاة مأوى الأسد (٣) انسجم الغيث :
توالى هطله وانسكابه (٤) التداعي : السقوط والانهيار ، وتلفعت المرأة إذا لبست
كساءها « الأسود » واللفاع : الرداء ، وكل ما يتلفع به من رداء أو لحاف أو
قناع يحلل به الجسد كله ، والاعتجار : لي الثوب على الرأس ، ولبسة للمرأة
شبه الالتحف - والغرض أن التداعي قد شملها والانهيار قد عمها وسرى
في كل أجزائها (٥) النوى : الحفير تحت الحباء أو الخيمة يمنع السيل .

قَدْ طَلَعْتُمْ بِهَا شُمُوسًا صَبَاحًا
فَاطْلَعُوا عِنْدَنَا بُدُورًا مَسَاءً
فَسَارُوا إِلَى قَصْرِ الْبُسْتَانِ بِيَابِ الْعَطَّارِينَ ^(١) فَأَلْفَوْا
مَجْلِسًا قَدْ حَارَ فِيهِ الْوَصْفُ ، وَاحْتَشَدَ فِيهِ اللَّهْوُ وَالْقَصْفُ ^(٢) ،
وَتَوَقَّدَتْ نُجُومٌ مُدَامِهِ ، وَتَأَوَّدَتْ قُدُودٌ ^(٣) خُدَامِهِ ،
وَأَرْبَى عَلَى الْخُورَزْتَقِ وَالسَّدِيرِ ، وَأَبْدَى صَفْحَةَ الْبَدْرِ مِنْ
أَزْرَارِ الْمُدِيرِ ^(٤) ، فَأَقَامُوا لَيْلَتَهُمْ مَا عَرَاهُمْ نَوْمٌ ، وَلَا

(١) من أبواب قرطبة ، وعنده كان يسكن أبو محمد قاسم بن موسى بن
يونس بن موسى الضنى - وبقربه كان مسجد النخيلة ، وفيه نزل أبو محمد
مكي بن أبي طالب القيسي المقرئ القيرواني أول قدومه الى قرطبة فأقرأه
ثم نقله المظفر عبد الملك بن أبي عامر الى جامع الزاهرة ، وتوفي سنة ٤٣٧
« أحمد يوسف نجاتي » .

(٢) احتشد: اجتمع ، والقصف هنا معناه اللهو واللعب والحلية والاعلان
بهما ، وفي الأساس هو الرقص مع الحلية ، مأخوذ من قصف العيدان
الصغيرة أى كسرها ، ورعد قاصف فى صوته تكسر ، ومنه قيل لصوت
المعازف قصف ، ثم تجوز به المولدون فى كل لهو ، ولعفيف الدين التلمسانى
يصف البان :

تبسم زهر البان عن طيب نشره وأقبل فى حسن يحل عن الوصف
هلموا اليه بين قصف ولذة فان غصون البان تصلح للقصف
(٣) تأودت : تثنت وتمايلت كغصون البان (٤) أى مدير الكاس والساقى
كانما الشمس من لباته طلعت حسنا أو البدر من أزواره طلعا

عَدَاهُمْ عَنْ طِيبِ اللَّذَاتِ سَوْمٌ^(١) ، وَكَانَتْ قُرْطُبَةُ
مُتَشَهِّى أَمَلِهِ ، وَكَانَ رَوْمٌ أَمْرَهَا أَشْهَى عَمَلِهِ ، وَمَا زَالَ
يَخْطُبُهَا بِمُدَاخَلَةِ أَهْلِهَا ، وَمُواصَلَةِ وَالِيهَا ، إِذْ لَمْ يَكُنْ فِي
مُنَازَلَتِهَا قَائِدٌ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهَا إِلَّا حِيلٌ وَمَكَايِدُ ، لِاسْتِمْسَاكِهِمْ
بِدَعْوَةِ خُلَفَائِهَا ، وَأَنْفَقَتِهِمْ مِنْ طُمُوسِ رُسُومِ الْخِلَافَةِ
وَعَفَائِهَا^(٢) ، وَحِينَ اتَّفَقَ لَهُ تَمَلُّكُهَا ، وَأُطْلِعَهُ فَلَكُهَا ،
وَحَصَلَ فِي قُطْبِ دَارَتِهَا^(٣) ، وَوَصَلَ إِلَى تَدْيِيرِ رِيَاسَتِهَا
وَإِدَارَتِهَا ، قَالَ :

مَنْ لِلْمُلُوكِ بِشَاوِ الْأَصِيدِ الْبَطْلُ
هَيْهَاتَ جَاءَتْكُمْ مَهْدِيَّةُ الدَّوَلِ^(٤)

وفي معنى ما هنا قول الشاعر :

وأسكر القوم دور كاس وكان سكرى من المدير

وصفحة البدر وجهه وعرضه وجانه (١) أصل السوم في البايعة عرض
السلعة على البيع ، وسام بها سوما إذا غالى ، والسوم أيضا سرعة المر ،
وسامت الماشية سوما : رعت حيث شاءت ، وسام فلانا الأمر سوما كلفه إياه ،
وعداه عن الشيء : صرفه ومنعه . « أحمد يوسف نجاتي »

(٢) طمس الرسم وعفا إذا درس وانمحى وزال أثره (٣) الدارة : ما أحاط
بالشيء كالدائرة ، وهالة القمر التي حوله (٤) الشاؤ : السبق والغاية والامد :
والأصيد الملك ذو القوة والبذخ ، وفي الأصل « مهديّة الأول » وفي بعض

خَطَبْتُ قُرْطُبَةَ الْحُسْنَاءِ إِذْ مَنَعَتْ

مَنْ جَاءَ يَخْطُبُهَا بِالْبَيْضِ وَالْأَسَلِ ^(١)

وَكَمْ غَدَتُ عَاطِلًا حَتَّى عَرَضْتُ لَهَا

فَأَصْبَحَتْ فِي سَرِيِّ الْحَلِيِّ وَالْحُلَلِ ^(٢)

عُرْسُ الْمُلُوكِ لَنَا فِي قَصْرِهَا عُرْسٌ

كُلُّ الْمُلُوكِ بِهِ فِي مَأْتَمِ الْوَجَلِ ^(٣)

المراجع «مهرية الدول» (١) البيض السيوف، والأسل الرماح (٢) العاقل المرأة يخلو جيدها من الحلّي، والثشي السرى النفيس الثمين (٣) العرس «بضم العين وسكون الراء وضماها» وليمة الاملاك والزفاف والاحتفال بهما أو طعامه خاصة - والعرس أيضا جمع عروس . واسم من الاعراس وهو الدخول بالعروس - هذا والبيت في كل الاصول والمراجع كما ترى ، وقد تكون « عرس » أول البيت مصحفة عن « عرش » بمعنى أن عرش الملوك الذين كانوا بقرطبة من قبل أصبح للمعتمد عرسا سارا له جارا على غيره من الملوك الوجل، فهو في عرس وهم في مأتم لحوفهم على عروشهم أن يثلها ويستوى عليها ، وان بقيت «عرس» كما هي فأكسر عينها مريدا بها قرطبة نفسها جعلت عرسا للملوك لأنها كانت أبهى مدائن الأندلس، ثم أخبر بأن له في قصرها عرائس أو اعراسا وزقافا « وهذا أظهر على ما أرى » أو ضمها والمعنى قريب من المكسورة ، وهذا كله جنابة الولوع بالبديع والجناس، وان كان الخطب سهلا . و « به » في عجز البيت : يروي : لها ، ويروي « بها » . « أحمد يوسف نجاتي » .

فَرَاقِبُوا عَنْ قَرِيبٍ - لَا أَبَالَكُمْ -

هُجُومَ لَيْثٍ بِدِرْعِ الْبَاسِ مُشْتَمِلٍ

وَلَمَّا انْتَضَمَتْ فِي سِلْكِهِ ، وَأُتْسِمَتْ بِمُلْكِهِ ،

أَعْطَى ابْنَهُ الظَّافِرَ زِمَامَهَا ، وَوَلَّاهُ تَقْضَاهَا وَإِزَامَهَا ،

فَافَاضَ فِيهَا نَدَاهُ ، وَزَادَ عَلَى أَمْدِهِ وَمَدَاهُ ، وَجَمَّلَهَا بِكَثْرَةِ

حِبَائِهِ ^(١) ، وَأَسْتَقَلَّ بِأَعْبَائِهَا عَلَى فَتَائِهِ ^(٢) ، وَلَمْ يَزَلْ فِيهَا أَمِيرًا

وَنَاهِيًا ، غَافِلًا عَنِ الْمَكْرِ سَاهِيًا ، حُسْنُ ظَنِّ بِأَهْلِهَا أُعْتَقَدَهُ ،

وَأَغْتَرَارًا بِهِمْ مَارَوَّاهُ وَلَا انْتَقَدَهُ ، وَهَيْهَاتَ كَمِ مِنْ مَلِكٍ كَفَنُوهُ

فِي دِمَائِهِ ، وَدَفَنُوهُ بِدِمَائِهِ ^(٣) ، وَكَمْ مِنْ عَرْشٍ ثَلَاثُ ^(٤) ،

وَكََمْ مِنْ عَزِيزٍ مُلْكٍ أَذَلُّهُ ، إِلَى أَنْ ثَارَ فِيهَا ابْنُ عُكَّاشَةَ ^(٥)

(١) الحباء : العطاء (٢) استقل بالشئ إذا نهض به وقوى على حمله والاضطلاع

بأموره ، والفتاء حداة السن والشباب (٣) الذماء بقية النفس ، وبقية

الروح في المذبوح (٤) هدموه وقوضوه ، والجملة كناية عن إزالة الملك

كما قال الشاعر :

ان يقتلوك فقد ثلثت عروشهم بعتيبة بن الحرث بن شهاب

وفي الأصل « فلوله » مصحفة (٥) خلاصة هذه الحادثة « وقد تقدمت »

ان المعتمد بن عباد كان قد اتسع ملكه وشمخ سلطانه ، وملك كثيرا من

بلاد الأندلس ومنها قرطبة ، وولى عليها ابنه الظافر بالله ، فباع خبر ملكه

لها الى الأمير المأمون يحيى بن ذي النون صاحب طليطلة ففسده عليها ، فضمن

لَيْلًا ، وَجَرَّ إِلَيْهَا حَرْبًا وَوَيْلًا ، فَبَرَزَ الظَّافِرُ مُنْفَرِدًا
عَنْ كُمَاتِهِ ، عَارِيًا مِنْ حُمَاتِهِ ، وَسَيْفُهُ فِي يَمِينِهِ « وَهَادِيهِ
فِي الظُّلُمَاءِ نُورُ جَبِينِهِ » فَإِنَّهُ كَانَ غُلَامًا قَدْ بَلَغَهُ الشَّبَابُ
بِأَنْدَائِهِ ، وَالْحَفَّةُ الْحُسْنُ بِرِدَائِهِ ، فَدَافَعَهُمْ أَكْثَرَ لَيْلِهِ ،
وَقَدْ مَنَعَ مِنْهُ تَلَا حَقَّ رَجُلِهِ وَخَيْلِهِ ، حَتَّى أَمَكَّنْتَهُمْ مِنْهُ

له جرير بن عكاشة « أو موسى » ابن عكاشة « وأصله من البربر » أن
يجعل ملكها له - وكان ابن عكاشة قبل ذلك متغلبا على قرطبة فغلبه عايبها
الأمير الظافر أبو القاسم محمد بن عباد سنة ٤٧١ - وسار الى قرطبة وأقام
بها يسعى في ذلك وهو ينتهز الفرصة ، فاتفق في بعض الليالي أن هطل مطر
عظيم ومعه ريح شديدة ورعد وبرق ، فثار جرير بن عكاشة فيمن معه
ووصل الى قصر الامارة فلم يجد من يمانعه ، فدخل صاحب الباب الى الظافر
وأعلمه ، فخرج بمن معه من العبيد والحرس - وكان صغير السن - وحمل عليهم
ودفعهم عن الباب ، ثم انه عثر في بعض كرائنه فسقط فوثب عليه بعض من يقاتله
وقتله ، ولم يبلغ الخبر الى الأجناد وأهل البلد الا والقصر قد ملك ، وتلاحق بابن
عكاشة أصحابه وأشياعه ، وترك الظافر طريقا على الأرض وهو عريان ، فمر
عليه بعض أهل قرطبة فأبصره على تلك الحال ، فنزع عنه رداءه وألقاه
عليه ، ولم يزل المعتمد يسعى في أخذها حتى أعاد ملكها وترك ولده المأمون
فيها ، فأقام بها حتى استولى عليها جيش أمير المسلمين يوسف بن تاشفين
سنة ٤٨٤ وأخذت اشبيلية من أبيه المعتمد ، وبقي محبوسا في أغمات الى
أن توفي بها سنة ٤٨٨ . وكان رحمه الله تعالى هو وأولاده جميعا إرشيدي
والمأمون والراضي وأبوه وجده علماء أدباء فضلاء شعراء « أحمد يوسف نجاتي »

عَثْرَةٌ لَمْ يُقَلِّ لَهَا لَعًا^(١) ، وَلَا اسْتَقَالَ مِنْهَا وَلَا سَعَى ،
 فَتَرِكَ مُلْتَحِفًا بِالظُّلَمَاءِ ، تَحْتَ نُجُومِ السَّمَاءِ ، مُعَفَّرًا فِي
 وَسْطِ الْجَمَاءِ^(٢) تَحْرُسُهُ الْكَوَاكِبُ ، بَعْدَ الْمَوَاكِبِ^(٣) ،
 وَيَسْتُرُهُ الْحِنْدُسُ^(٤) ، بَعْدَ السُّنْدُسِ ، فَمَرَّ بِمَصْرَعِهِ سَحَرًا
 أَحَدُ أَيْمَةِ الْجَامِعِ الْمُغْلَسِينَ^(٥) فَرَأَاهُ وَقَدْ ذَهَبَ مَا كَانَ
 عَلَيْهِ وَمَضَى ، وَهُوَ أَغْرَى مِنَ الْحُسَامِ الْمُتَضَى^(٦) ، فَخَلَعَ
 رِدَائَهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ وَنَضَاهُ^(٧) ، وَسَتَرَهُ بِهِ سِتْرًا أَقْنَعَ
 الْمَجْدَ^(٨) وَأَرْضَاهُ ، وَأَصْبَحَ لَا يُعْلَمُ رَبُّ تِلْكَ الصَّنِيعَةِ ،
 وَلَا يُعْرَفُ فَتُشْكِرَ لَهُ يَدُهُ الرَّفِيعَةَ ، فَكَانَ الْمُعْتَمِدُ
 إِذَا تَذَكَّرَ صَرَعَتَهُ ، وَسَعَّرَ^(٩) الْحُزْنَ لَوْعَتَهُ ، رَفَعَ بِالْعَوِيلِ

(١) يقال للعائر : لعالك ، دعاء له بأن ينتعش من سقطته ، فاذا دعى عليه قيل : لالعاله أى لا أقاله الله ولا أنهضه ، وفي بعض النسخ « استقل » أى هض ، واستقال طلب الاقالة (٢) جمع حماة وهى الطين الأسود « وفي الأصل » أوكاء (٣) جمع موكب وهو الجماعة من الناس ركبانا أو مشاة أو جماعة الفرسان للزينة والتنزه (٤) الليل المظلم الشديد الظلمة أو الظلمة نفسها (٥) غلس اذا صار بالغلس وهو ظلمة آخر الليل اذا اختلطت بضوء الصباح (٦) اتضى السيف اذا استله من غمده (٧) نضا ثوبه عنه اذا تزعجه (٨) فى الأصل « المجذب » وهى زيادة مفسدة (٩) سحر النار أوقدها وهيجهها واللوعة حرقه فى القلب وألم يشعر به الانسان من نحوهم أو حزن أو مرض

نِدَاءُهُ ، وَأَنْشَدَ :

* وَلَمْ أَدْرِ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءُهُ ^(١) *

والعويل رفع الصوت بالبكاء والصياح ، « وقد يكون العويل حرارة وجد الحزين من غير نداء ولا بكاء ، وقد يكون صوتا من غير بكاء » (١) هذا صدر بيت من أبيات لأبي خراش الهذلي ، وهو :

ولم أدري من ألقى عليه رداءه سوى أنه قد سل عن ماجد محض
وأبو خراش هو خويلد بن مرة شاعر فحل مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم، وتوفي في خلافة عمر بن الخطاب، وكان بنو كنانة قد أسروا عروة ابن مرة أخا أبي خراش ، فسعى أبو خراش حتى أطلق ، ثم خرج عروة وخراش بن أبي خراش مرة في جماعة مغيرين على بني ثماله طمعا أن يظفروا من أموالهم بشي ، فظفر بهما الثماليون ، واختلفت بطون ثماله فأما بنو رزام فنهوا عن قتلهما، وأبي بنو بلال الا قتلهما، حتى كاد يكون بينهم شر ، فألقى رجل من القوم ثوبه على خراش حين شغل القوم بقتل عروة ثم قال له انج بنفسك، وانحرف القوم بعد قتلهم عروة إلى الرجل وكانوا قد أسلموه إليه فقالوا له: أين خراش؟ فقال: أفلت مني، فذهب فسعى القوم في أثره فأعجزهم، فقال أبو خراش في ذلك يرثي أخاه عروة، ويذكر خلاص ابنه:

حمدت الهى بعد عروة اذ نجا خراش، وبعض الشر أهون من بعض
فو الله لأنسى قتيلا رزئت بجانب قوسي ما حيت على الأرض
بلى ، انها تعفو الكوم ، وانما نوكل بالأدنى وان جل ما يمضى
ولم أدري من ألقى عليه رداءه سوى أنه قد سل عن ماجد محض
ولم يك مثاوج الفؤاد مهبلا أضاع الشباب في الريلة والحفض
ولكنه قد نازعته مجاوع على أنه ذو مرة صادق النهض
«قوسي» بلد بالسراقة قتل عروة أخو أبي خراش ، والمثاوج الفؤاد: البليد والمهبل ، من يدعى عليه بالهبل أى بالفقد والهلاك لقلة غنائه ، والريلة السمن والحفض والدعة والنعمة ، ويروى « مهبجا » بدل مهبلا ، والمرة

وَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ حُزَّ رَأْسُهُ وَرُفِعَ عَلَى سِنَّ رُمَحٍ وَهُوَ يُشْرِقُ
 كَنَارٍ عَلَى عِلْمٍ ، وَيَرْتُشِقُ نَفْسَ كُلِّ نَاطِرٍ بِأَلَمٍ ، فَلَمَّا رَمَقَتْهُ
 الْأَبْصَارُ ، وَتَحَقَّقَتْهُ الْحُمَاءُ وَالْأَنْصَارُ ، رَمَوْا أَسْلِحَتَهُمْ ،
 وَسَوَّوْا لِلْفِرَارِ أَجْنِحَتَهُمْ ، فَمِنْهُمْ مَنْ اخْتَارَ فِرَارَهُ وَجَلَّاهُ ،
 وَمِنْهُمْ مَنْ أَتَتْ بِهِ إِلَى حَيْنِهِ ^(١) رِجْلَاهُ ، وَشُغِلَ الْمُعْتَمِدُ
 عَنْ رِثَائِهِ بِطَلَبِ ثَارِهِ ، وَنَصَبِ الْحَبَائِلِ لَوْقُوعِ ابْنِ عُكَّاشَةٍ
 وَعِثَارِهِ ، وَعَدَلَ عَنْ تَأْيِينِهِ ، إِلَى الْبَحْثِ عَنْ مَفْرِقِهِ وَجَبِينِهِ ،
 فَلَمْ تُحْفَظْ لَهُ فِيهِ قَافِيَةٌ ، وَلَا كَلِمَةٌ لِلْوَعْتِ شَافِيَةٌ ، إِلَّا
 إِشَارَتُهُ إِلَيْهِ ، فِي تَأْيِينِ أَخَوَيْهِ ، أَلَمَامُونَ وَالرَّاضِي
 الْمُقْتُولَيْنِ فِي أَوَّلِ النَّائِرَةِ ^(٢) ، وَالْفِتْنَةِ الثَّائِرَةِ ^(٣) . أُنْتَهَى .

القوة - يصف أخاه بأنه ممن هذبته الشدائد فظهرت غناؤه وقوة نفسه
 وصدق عزيمته ، وليس من الشبان الذين أبطروهم الغنى وأفسدتهم النعمة
 والفراغ حتى بلدا حساسهم ، وفقدوا قوة نفوسهم ، فاستحقوا سخط الناس
 ومقتهم وتمنيهم هلاكهم . « أحمد يوسف نجاتي » . (١) الحين : الهلاك ،
 والعبارة من المثل : أتتك بحائن رجلاه ، مثل : سعى الى حتفه بظلفه .
 (٢) النائرة الفتنة الحادثة ، ونار الحرب وناثرتها : شرها وهييجها (٣) من
 ذلك الرثاء قوله من قصيدة :

يقولون صبرا ! لاسبيل الى الصبر سأ بكى وأبكى ما تطاول من عمرى
 نرى زهرها فى مآتم كل ليلة نخمشن لها وسطه صفحة البدر
 ينحن على نجمين أنكلن ذا وذا فياصبر ما للقلب فى الصبر من عذر

* *

بجالس الأانس
بمنازعات قرطبة

« وَقَدْ رَأَيْتُ » أَنْ أَزِيدَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِمَّا قَصَدْتُ جَلْبَهُ

فِي هَذَا الْمَوْضِعِ نُبْذَةً مِنْ كَلَامِ الْفَتْحِ فِي ذِكْرِ مُتَنَزَّهَاتِ

مدى الدهر فليبك الغمام مصابه
بعين سحاب واكف قصر دمعها
وبرق ذكي النار حتى كأنما
هوى الكوكبان الفتح ثم شقيقه
أفتح لقد فتحت لي باب رحمة
هوى بكما المقدر عني ولم أمت
توليتما والسن بعد صغيرة
فلو عدتما لاخترتما العود في الثرى
يعيد على سمعي الحديد نشيده
ممي الأخوات الهالكات عليكما
فتبكي بدمع ليس للقطر مثله
أبا خالد أورثتني البث خالدا
وقبلكما ماودع القلب حسرة
وأما سقنا هذه الأبيات مع طولها لما اشتملت عليه من عواطف الأوبة
الحزينة المتاعية بحر الوجد ، فكانت جدم مؤثرة ، تثير الشجون ، وتستدر
شآبيب العيون ، وتستنزف ماء الشؤون - قلت : وأحد الولدين اللذين
يرثيها هو المأمون ، وكان ينوب عن والده في قرطبة ، فحصر بها أيام الفتنة
حتى قتل ، والثاني يزيد الراضي وكان أيضا نائبا عنه في مدينة « رندة » وهي
من الحصون المنيعه ، فنازلوه وأخذوها وقتلوا الراضي ، ولست ترى مايفتت
الأكباد ، ويسعر الجمر في الهوادم ، مثل فقد البنين والأولاد ، جعل الله من
فقدناه منهم لنا فرطا وذخرا حسنا . « أحمد يوسف نجاتي » .

قُرْطَبَةَ وَغَيْرَهَا مِنْ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ ، وَوَصَفِ مَجَالِسِ
الْأَنْسِ الَّتِي كَانَتْ بِهَا مِمَّا تَنْشَرِحُ لَهُ الْأَنْفُسُ ، وَوَقَعَ
ذِكْرُ غَيْرِ قُرْطَبَةَ وَالزَّهْرَاءِ لهُمَا تَبَعًا ، وَلَا يَخْلُو ذَلِكَ
مِنْ عِبْرَةٍ بِحَالِ مَنْ جَعَلَ فِي اللَّهِ مَصِيفًا وَمُرْتَبَعًا ، ثُمَّ طَوَاهُ
الدَّهْرُ طَى السَّجِلِ ، وَمَحَا آثَارَهُ الَّتِي كَانَتْ تَسْمُو وَتَجِلُ ،
وَمَا قَصَدْنَا - عِلْمَ اللَّهِ - غَيْرَ الْإِعْتِبَارِ ، بِهَذِهِ الْأَخْبَارِ ، لَا الْحَثَّ
عَلَى الْحَرَامِ ، وَتَسْهِيلَ الْقَصْدِ إِلَيْهِ وَالْمَرَامِ ، وَالْأَعْمَالُ
بِالنِّيَّاتِ ، وَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - كَفِيلٌ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ
يُلَوِّغُ الْأُمْنِيَّاتِ ، وَتَعْوِضُنَا عَنْ هَذِهِ النِّعَمِ الْفَانِيَّاتِ
بِالنِّعَمِ الْبَاقِيَّاتِ السَّنِيَّاتِ .

« قَالَ الْفَتْحُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى » فِي تَرْجَمَةِ الْوَزِيرِ
أَبِي الْوَلِيدِ بْنِ زَيْدُونَ مَاصُورَتُهُ : وَأَخْبَرَنِي الْوَزِيرُ الْفَقِيهُ
أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ سِرَاجٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - أَنَّهُ ^(١) فِي وَقْتِ

الوزير ابن سراج

(١) رأيت في بعض المراجع هذه العبارة هكذا : أنه أيام تواريه ، وجريه

فِرَارِهِ أَضْحَى ، غَدَاةَ الْأَضْحَى ، وَقَدْ ثَارَ بِهِ الْوَجْدُ بِمَنْ
كَانَ يَأْلَفُهُ وَالْغَرَامُ ، وَتَرَاءَتْ لِعَيْنَيْهِ تِلْكَ الطَّبَائِ الْأَوَانِسُ
وَالْأَرَامُ^(١) ، وَقَدْ كَانَ الْفِطْرُ وَافَاهُ ، وَالشَّقَاءُ قَدْ أُسْتَوَلَى
عَلَى رَسْمِ عَافِيَتِهِ حَتَّى عَفَاهُ^(٢) ، فَلَمَّا عَادَهُ مِنْهُمَا مَا عَادَ ،
وَأَعْيَاهُ ذَلِكَ النَّكَدُ^(٣) الْمُعَادُ ، أُسْتَرَّاحَ إِلَى ذِكْرِ عَهْدِهِ
الْحَسَنِ ، وَأَرَّاحَ جُفُونَهُ الْمُسَهَّدَةَ بِتَوَهُمِ ذَلِكَ الْوَسَنِ^(٤)
وَذَكَرَ مَعَاهِدَ كَانَ يُخْرِجُ إِلَيْهَا فِي الْعِيدِ ، وَيَتَفَرَّجُ بِهَا
مَعَ أَوْلَئِكَ الْعِيدِ ، فَقَالَ :

خَلِيلِي لَا فِطْرُ يَسْرُ وَلَا أَضْحَى

فَمَا حَالُ مَنْ أُمْسَى مَشُوقًا كَمَا أَضْحَى

أمام الطلب وتباريه ، أضْحَى الخ (١) الأرام جمع رثم : وهو الظبي الخالص
البياض (٢) محاء وأزال أثره (٣) في القلائد « الكد » (٤) السهد :
الأرق ، وسهده الهم والوجع إذا أرقه وأسهر ليله - والوسن : شدة النوم
أو أوله ، أو النعاس من غير نوم ، وقيل السنة نعاس يبدأ في الرأس ، فإذا
صار إلى القلب فهو نوم ، وقال عدي بن الرقاع العاملي :

وكانها بين النساء أعارها عينية أحور من جاذر جاسم
وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم

لئن شاقني «شَرَقُ الْعُقَابِ» فَلَمْ أَزَلْ
 أَخْصُ بِمَحْوِضِ الْهَوَى ذَلِكَ «السَّفْحَا»^(١)
 وَمَا أَنْفَكَ «جَوْفِي الرُّصَافَةِ» مُشْعِرِي
 دَوَاعِي بَثِّ تَعْقِبِ الْأَسْفِ الْبَرْحَا^(٢)
 وَيَهْتَاجُ «قَصْرُ الْفَارِسِيِّ» صَبَابَةً
 لِقَلْبِي لَا تَأْلُو زِنَادَ الْأَسَى قَدْحَا^(٣)
 وَلَيْسَ ذَمِيمًا عَهْدُ «مَجْلِسِ نَاصِحِ»
 فَأَقْبَلَ فِي فَرْطِ الْوَلُوعِ بِهِ نُصْحًا
 كَأَنِّي لَمْ أَشْهَدْ لَدَى «عَيْنِ شَهْدَةٍ»
 نِزَالَ عِتَابٍ كَانَ آخِرُهُ الْفَتْحَا
 وَقَائِعُ جَانِبِهَا التَّجَنِّي، فَإِنْ مَشَى
 سَفِيرُ خُضُوعٍ يَتَنَنَا أَكْثَرُ الصُّلَحَا^(٤)

(١) العقاب : موضع بقرب قرطبة، وسفح الجبل عرضه حيث يسفح فيه الماء، وممحوض الهوى : خالاه وصرفه (٢) تقدم شرح « جوفى الرصافة » والبرح أصله العذاب والشدة، وصف به هنا على معنى الشاق الشديد المؤلم. والبت الوجد والحزن والغم يفضى به المرء الى صاحبه (٣) قدح الزند : استخرج ناره ، ولا تألو : لا تمنع - وفي بعض المراجع « مجلس ناصح » بدل مجلس فى البيت الذى بعده (٤) جعل ما يدور بينهما عند « عين

وَأَيَّامَ وَصَلٍ « بِالْعَقِيقِ » أَقْتَضَيْتُهُ
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِيعَادُهُ الْعِيدَ فَالْفِصْحَا
وَأَصَالَ لَهُوَ فِي « مُسْنَاةٍ مَالِكٍ »
مُعَاطَاةٌ نَدَمَانٍ إِذَا شِئْتُ أَوْ سَبَحًا^(١)
لَدَى رَاكِدٍ تُصْبِيكَ مِنْ صَفَحَاتِهِ
قَوَارِيرُ خُضْرٍ خِلَتْهَا مُرَدَّتٌ صَرْحًا^(٢)
مَعَاهِدُ لَذَاتٍ ، وَأَوْطَانُ صَبْوَةٍ
أَجَلْتُ الْمُعَلَّى فِي الْأَمَانِي بِهَا قِدْحًا^(٣)

شهادة» من العتاب نزالا جناه التجنى والدلال، ثم يسفر عن الفتح، وينتهي
خضوع الحب الى الصلح (١) المسناة : السد يبنى في وسط الوادى لاحتجاز
الماء والتصرف فيه بما تقتضيه المصلحة ، له أبواب تفتح لاطلاق الماء عند
الحاجة - يذكر أوقات الأصائل وهى أطيب أوقات النهار التى كان يقضيها
لاهيا لاعبا عندهذا السد، فان شاء تساقى مع الندمان الراح ، وان شاء نزل
فى النهر للعوام والسباحة. والبيت يعطيك صورة كالتى نراها على الشواطىء*
وقرب الجسور فى أيام الصيف أو الربيع (٢) مرد البناء سواء وملسه، والصرح
الساحة و بلاط يتخذ من قوارير القصر - شبه سطح الماء الراكد فى
خضرته واستوائه وصفائه بالقوارير التى جعلت صرحا عمردا (٣) القدح السهم
من السهام التى كانوا يستقسمون بها الجزور فى اليسر ، وكان المولى أوفرها
حظاله سبعة أجزاء من الجزور « يقول ان هذه المعاهد نال فيها آماله، وظفر
بأغراضه، فكان سهمه فيها رابحا أعظم ربح ، فما رام مآربا الا أسفر سعيه

أَلَا هَلْ إِلَى «الزَّهْرَاءِ» أَوْبَةٌ نَازِحٌ
 تَقْضَى تَنَائِيهَا مَدَامِعُهُ نَزْحًا؟ ^(١)
 مَقَاصِيرُ مُلْكٍ أَشْرَقَتْ جَنَابَتُهَا
 فَخِلْنَا الْعِشَاءَ الْجُونَ أَتْنَاءَهَا صُبْحًا ^(٢)
 يُمَثِّلُ قُرْطِبَهَا لِي الْوَهْمُ جَهْرَةً
 فَقُبَّتْهَا، فَالْكُوكِبُ الرَّحْبُ، فَالسَّطْحَا ^(٣)
 مَحَلُّ أَرْتِيَاكِ يُذَكِّرُ الْخُلْدَ طِيبُهُ
 إِذَا عَزَّ أَنْ يَصْدَى الْفَتَى فِيهِ أَوْ يَضْحَى ^(٤)

عن حوز النجح، وفوز القدح (١) الأوبة العودة، والنازح البعيد المفاقر
 وتقضى: تقاضى وطالب، وأخذ وتناول واستوفى، يقول ان تنائي الزهراء
 عنه استوفى حقه من مدامعه حتى نزعها، فكأنه غريم تقاضى دينه وهو
 انتزاع ماء الجفون، واستنفاد الدموع من العيون. وفي الأصل «نقضت مبانيتها
 مدامعها» وفيه أوبة «ناصح» بدل «نازح» وهو تصحيف بعيد
 وتحريف فاسد، وكما كان فيه من مثل هذا العبث والعتى «أحمد يوسف نجاتي»
 (٢) في الأصل «شرفت» بدل «أشرفت» والجون الأسود هنا (٣) يريد
 أن توهم هذه الأماكن وتخيلها يصورها في نفسه فكأنه يراها عيانا
 وفي الأصل «يمثل قرطبها إلى الوهم جمرة»؟! و«الجون» في عجز
 البيت بدل «الرحب» ولا بأس به إذا أريد منه «الأبيض» (٤) يصدى
 يعطش، ويضحى يبرز للشمس ويتعرض لحرها. وعزام تمنع وشق - والبيت
 مأخوذ من وصف الجنة في قوله تعالى «ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى
 وانك لا تضام فيها ولا تضحي» وفي بعض النسخ «عن» بدل «عز»

هُنَاكَ الْجَمَامُ^(١) الزُّرْقُ تَنْدَى حِفَافُهَا
 ظِلَالٌ عَهَدْتُ الدَّهْرَ فِيهَا فَتَى سَمَحًا
 تَعَوَّضْتُ مِنْ شَدْوِ الْقِيَانِ خِلَالَهَا
 صَدَى فَلَوَاتٍ قَدْ أَطَارَ الْكَرَى صَبْحًا^(٢)
 وَمِنْ حَمَلِي الْكَأْسَ الْمُفَدَّى مُدِيرُهَا
 تَقَحَّمُ أَهْوَالٍ حَمَلْتُ لَهَا الرُّنْمَا^(٣)
 أَجَلٌ إِنْ لَيْلِي فَوْقَ « شَاطِيءٍ يَبِطَّةٍ »
 لَأَقْصِرُ مِنْ لَيْلِي بِآتَةٍ وَالْبَطْحَا^(٤)
 وَهَذِهِ مَعَاهِدُ بَنِي أُمَيَّةَ قَطَعُوا بِهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا، وَظَلَّتْ
 فِيهَا الْحَوَادِثُ عَنْهُمْ نِيَامًا، فَهَامُوا بِشَرْقِ الْعُقَابِ، وَشَامُوا

(١) الحمام جمع جمة وهو مكان اجتماع الماء وغزارته، وحفافها جوانبها وما يحيط بها : يقول ان هذه المياه الصافية تمتد على شواطئها الظل فيكون نديا رطبا ينعش النفس ويهب به النسيم عليلًا بليلا . وفي بعض النسخ « هناك الحمام الورق تندی جفافها » وفي الأصل « هناك الحمام الرزق تندی جفافها »
 (٢) الضبح : صوت الخيل، وقد يطلق على صوت غيرها كما استعاره هنا لما يتردد في الفلوات من الأصداء المزعجة المرهوبة ، وفي الأصل « صبحا »
 وقد كان في صدر البيت « شرق » بدل « شدو » وهو تصحيف وتحريف
 (٣) يقول ان الدهر أبدله من حملة الكأس التي يديرها ساق يفدى بالنفس حملة أهوالا يقتحم شداؤها محاربا (٤) بيطة وآتة والبطحاء مواضع كانت
 (١٥ - نفح الطيب - خامس)

بِهِ بَرْقًا يَبْدُو مِنْ نِقَابٍ ، وَنَعِمُوا بِجَوْفِي الرُّصَافَةِ ، وَطَعِمُوا
عَيْشًا تَوَلَّى الدَّهْرُ جَلَاءَهُ وَزِفَافَهُ ، وَأَبْعَدُوا نُصْحَ النَّاصِحِ ،
وَحَمِدُوا أُنْسَ « مَحْبِسِ نَاصِحٍ » ، وَعَمُّوا بِالزَّهْرَاءِ ، وَصَمُّوا
عَنْ نَبِيٍّ صَاحِبِ الزُّورَاءِ^(١) ، حَتَّى رَحَّلَهُمْ^(٢) الْمَوْتُ عَنْهَا
وَقَوَّضَهُمْ ، وَعَوَّضَهُمْ عَنْهَا مَا عَوَّضَهُمْ ، فَصَارُوا أَحَادِيثَ
وَأَنْبَاءَ ، وَلَمْ يَتَزَوَّدُوا مِنْهَا إِلَّا حَنُوطًا^(٣) وَكِبَاءَ ، وَغَدَتْ تِلْكَ
الْمَعَاهِدُ تُصَافِحُهَا أَكْفُ الْغَيْرِ ، وَتَنَاقِضُهَا^(٤) نَعْبَاتُ الطَّيْرِ ،^(٥)

بقرطبة وفي الأصل « نيطه ، ... بيانه » (١) الزوراء اسم لعدة مواضع
ما يناسب منها هنا مدينة المنصور ببغداد وكانت في الجانب الغربي، سميت
الزوراء لأنه جعل أبوابها الداخلة مزورة أي منحرفة عن أبوابها الخارجة
وليس على سمتها، واسم دار عثمان بن عفان رضى الله عنه بالمدينة ، واسم
دار كان النعمان بن المنذر قد بناها بالحيرة، وقيل ان المنصور هدمها. وكانت
رصافة هشام بن عبد الملك تسمى الزوراء، وكانت من قبله للنعمان «وهي
غير التي بالحيرة» وهي أدنى بلاد الشام الى الشيوخ والقيصوم (٢) في بعض
النسخ «راح بهم» (٣) الحنوط كل طيب يخلط للعت يطيب به أكفانه
وجسده، والكباء عود البخور أو ضرب منه :

قد ضعت ما يندسكم وكم بلد يعد عود الكباء من خطبه

(٤) التناوح التقابل، وقد يكون من النواوح - وفي بعض النسخ «وتراوحها»
ونعب الغراب وغيره «كمنع وضرب» نعيبا ونعيا ونعابا اذا صاح وصوت
(٥) الطيرة ما يتطير به أى يتشام به من الفأل الرديء ، أخذ اسمها من
«الطير» لأن العرب كانت تتطير بالطيور من نحو نعيق الغراب أو أخذها

وَرَاحَتْ بَعْدَ الزَّيْنَةِ سُدًى ^(١) ، وَأَمْسَتْ مَسْرَحًا
لِلْيَوْمِ وَمَلْعَبًا لِلصَّدَى ، يُسْمَعُ لِلْجِنِّ بِهَا عَزِيفٌ ^(٢) ،
وَيُضْرَعُ فِيهَا الْبَطْلُ الْبَاسِلُ وَالنَّزِيفُ ^(٣) ، وَكَذَا الدُّنْيَا
أَعْمَالُهَا خَرَابٌ ، وَأَمَالُهَا آلٌ وَسَرَابٌ ^(٤) ، أَهْلَكَتْ
أَصْحَابَ الْأَخْدُودِ ^(٥) ، وَأَذْهَبَتْ مَا كَانَ بِمَأْرِبٍ ^(٦) مِنْ
حَيَازَاتٍ وَخُدُودٍ . أَنْتَهَى .

« وَقَالَ الْفَتْحُ بَعْدَ كَلَامٍ مَا صُورَتْهُ » : وَلَمَّا عَضَّتْهُ أُنْيَابُ
الْإِعْتِقَالِ ، وَرَضَّتْهُ ^(٧) تِلْكَ الثُّوبُ الثَّقَالُ ، وَعُوضَ بِخَشَانَةِ
الْعَيْشِ مِنَ اللَّيْنِ ، وَكَابَدَ قَسْوَةَ خَطْبٍ لَا يَلِينُ ، تَذَكَّرَ

ذات اليسار إذا أثاروها . ويصح أن تكون « الطير » فيكون آخر السجعة
من الفقرة التي قبلها « الغير » يفتح فسكون في كل اللغتين « أحمد يوسف نجاتي »
(١) سدى أى مهملة عاطلة ، وفي بعض النسخ « للسيد » أى الذئب
بدل « لليوم » (٢) العزيف والعزف : صوت الجن وهو جرس يسمع في
المفاوز بالليل ، وله صوت الرياح في الحوfterهم أهل البادية صوت الجن
(٣) من معانى النزيف من عطش حتى يبت عروقه وجف لسانه
(٤) الآل : السراب أو هو خاص بما فى أول النهار مذغودة الى ارتفاع
الضحى الأعلى ، ثم هو سراب سائر اليوم ، والسراب الذى يجرى على
وجه الأرض لاصقائها كأنه الماء الجارى وهو نصف النهار (٥) من قوله
تعالى « قتل أصحاب الأخدود » وهو الحفرة المستطيلة الغامضة فى الأرض
(٦) مأرب من بلاد اليمن ، وقد تكون « حدود » مصحفة عن « سدود » وسد
مأرب معروف مشهور ، وكذا حديث سيل العرم (٧) رضاءا دقه وكسره

عَهْدَ عَيْشِهِ الرِّقِيقِ ، وَمِرَاحَهُ بَيْنَ الرُّصَافَةِ وَالْعَقِيقِ ، وَحَنٍّ
إِلَى سَعْدِ زُرَّتْ عَلَيْهِ جُيُوبُهُ ، وَأُسْتَهْدَى نَسِيمَ عَيْشٍ طَابَ
لَهُ هُبُوبُهُ ، وَتَأَسَّى بِمَنْ بَاتَتْ لَهُ النُّوَائِبُ بِمِرْصَادٍ ، وَرَمَتْهُ
بِسِهَامِ ذَاتِ إِقْصَادٍ^(١) ، فَقَالَ :

الْهَوَى فِي طُلُوعِ تِلْكَ النُّجُومِ

وَالْمَنَى فِي هُبُوبِ ذَاكَ النَّسِيمِ

سَرَّانَا عَيْشُنَا الرِّقِيقُ الْخَوَاشِي

لَوْ يَدُومُ الشُّرُورُ لِلْمُسْتَدِيمِ^(٢)

وَطَرُهُ مَا أَنْقَضَى إِلَى أَنْ تَقْضَى

زَمَنٌ مَا ذِمَامُهُ بِالذَّمِيمِ^(٣)

أَيُّهَا الْمُؤْذِنِي بِظُلْمِ اللَّيَالِي لَيْسَ يَوْمِي بِوَاحِدٍ مِنْ ظُلُومِ^(٤)

(١) أقصد السهم : أصاب فقتل مكانه ، وأقصد فلانا : طعنه أورماه
بسهم فلم يخطئ مقاتله . وفي بعض المراجع زيادة سبعة أخرى قبل الشعر
وهي : وضيم من عهد الأحص الى ذات الاصاد ، والأحص مكان كان
بنجد حماه كليب وائل ، والأحص أيضا اسم لكورة كبيرة كانت مشهورة ذات
قرى ومزارع قبلى حلب ، وقد خربت وبادت . وذات الاصاد موضع في بلاد
فزارة ، وبه كان مجرى داحس والغبراء «أحمد يوسف نجاني» (٢) عيش رقيق
الخواشي أى ناعم ذودعة وخفض (٣) الوطر : المأرب ، والغرض ، والذمام العهد
(٤) يقول ان أيامه القاسية الظالمة كثيرة طال عهده بها وليس يومه واحدا

مَا تَرَى الْبَدْرَ إِنْ تَأَمَّلْتَ وَالشَّمْسَ

سَاهُمَا يَكْسِفَانِ دُونَ النُّجُومِ ^(١)

وَهُوَ الدَّهْرُ لَيْسَ يَنْفَكُ يَنْحُو

بِالْمُصَابِ الْعَظِيمِ نَحْوَ الْعَظِيمِ ^(٢)

« وَقَالَ الْفَتْحُ أَيْضًا فِي شَأْنِ ابْنِ زَيْدُونَ مَا صُورَتُهُ » .

وَلَمَّا تَعَذَّرَ فِكَا كُهُ ، وَعُفِّرَ فَرَقْدُهُ ^(٣) وَسِمَا كُهُ ، وَعَاوَدَتْهُ

الْأَوْهَامُ وَالْفِكَرُ ، وَخَانَهُ مِنْ أَبِي الْحَزْمِ ^(٤) الصَّارِمُ الذِّكْرُ ،

قَالَ يَصِفُ مَا بَيْنَ مَسَرَّاتِهِ وَكَرُوبِهِ ، وَيَذْكُرُ بَعْدَ طُلُوعِ

سَعْدِهِ مِنْ غُرُوبِهِ ، وَيَبْكِي لِمَا هُوَ فِيهِ مِنَ التَّعْذِيرِ ،

وَيَعْذِرُ أَبَا الْحَزْمِ وَلَيْسَ لَهُ غَيْرُهُ مِنْ عَذِيرٍ ^(٥) ، وَيَتَعَزَّى

منها: ومن كلام سيدنا علي : ما يومى من مراد بواحد، يعنى أنه لاقى منها أياما كثيرة
(١) نحوه :

وفي السماء نجوم لا عداد لها وليس يكسف الا الشمس والقمر

ومثله :

ان الرياح اذا اشتدت عواصفها فليس ترمى سوى العالى من الشجر

(٢) لابي العلاء المعرى :

والخطب يهتاج الجليل وكم شكا نبأ على ماشكاه قنبر

قنبر خادم سيدنا على « أحمد يوسف نجاشى »

(٣) سبق القول فى هذين الكوكبين (٤) هو ابن جهور (٥) العذير

العاذر والنصير - والتعذير هنا بمعنى الاذلال والاهانة - وعذره الدار

تعذيرا : طمس آثارها

يَانْحَاءِ^(١) الدَّهْرِ عَلَى الْأَخْرَارِ، وَإِلْحَاحِهِ عَلَى التَّمَامِ بِالسَّرَارِ^(٢)،
وَيُخَاطَبُ وَلَادَةً بِوَفَاءِ عَهْدِهِ، وَيُقِيمُ لَهَا الْبَرَاهِينَ عَلَى أَرْقِهِ
وَسُهْدِهِ :

مَا جَالَ بَعْدَكَ لَحْظِي فِي سَنَى الْقَمَرِ
إِلَّا ذَكَرْتُكَ ذِكْرَ الْعَيْنِ بِالْآثَرِ^(٣)
وَلَا أُسْتَطَلْتُ ذِمَاءَ اللَّيْلِ مِنْ أَسْفٍ
إِلَّا عَلَى لَيْلَةٍ سَرَّتْ مَعَ الْقِصْرِ^(٤)
فِي نَشْوَةٍ مِنْ شَبَابِ الْوَصْلِ مُوَهِّمَةٍ
أَنْ لَا مَسَافَةَ بَيْنَ الْوَهْنِ وَالسَّحَرِ^(٥)

(١) أُنحَى عليهم الدهر : أتى عليهم وأهلكهم ، وأُنحَى عليه ضرباً : أقبل
(٢) السرار من الشهر : آخر ليلة منه
(٣) جعل سنى القمر أثراً من آثار ولادة يذكره بها (٤) يريد بذيماً
الليل البقية الباقية منه ، فقد جعله طويل النفس قوى الروح ، يقول
إنما استطال الليل لأنه مضى في هم وأسف على لياليه الماضية القصيرة
« أى السارة »

فقصارهن مع الهموم طويلة وطواهن مع السرور قصار
(٥) الوهن نحو من نصف الليل أو حين يدبر ، أو هو ساعة تمضي منه .
وقد يخيل الى أن « شباب » هنا ربما كانت مصحفة عن « سلاف »
يعنى لأنه لنشوته بسكر الوصال يستقصّر الليل حتى كأن لم تكن هناك
مسافة بين سحره وموهنه :

يَا لَيْتَ ذَاكَ السَّوَادَ الْجَوْنَ مُتَّصِلٌ

قَدْ اسْتَعَارَ سَوَادَ الْقَلْبِ وَالْبَصَرِ ^(١)

يَا لِرِّزَايَا ! لَقَدْ شَافَهُتُ مِنْهَا

غَمْرًا ، فَمَا أَشْرَبُ الْمَكْرُوهَ بِالْغَمْرِ ^(٢)

لَا يَهْنَأُ الشَّامِتَ الْمُرْتَاحَ خَاطِرُهُ

أَنْتَى مُعْنَى الْأَمَانِي ضَائِعُ الْخَطَرِ ^(٣)

ياليلة كاد من تقاصرها يعثر فيها العشاء بالسحر

أو الأصل من «سنت الدهر» أى غفلته عنه وعدم تنبيه له ، وفى الأصل « فى ليلة من شباب الوصل مرهقة » ومعناها - ان كان لها معنى - متعسف غث متكلف (١) يتمنى أن يطول سواد الليل بما يستعيره له من سواد عينه وسويداء قلبه ، وهما أئمن نفيس عند المرء ، وهو مأخوذ من قول أبى العلاء المعرى :

بود أن ظلام الليل دام له وزيد فيه سواد القلب والبصر

(٢) المنهل المورد حيث يشرب الانسان والحيوان وينهل - والغمر : الماء الكثير ومعظم البحر - وشافهه : دانه وأدنى شفته منه ، والغمر قدح صغير . قال أعشى باعلة فى رثاء أخيه المنتشر بن وهب الباهلى :

تكفيه حزة فلذ إن ألم بها من الشواء ويروى شربه الغمر

يقول ابن زيدون انه صار يكرع من منهل الرزايا كثير الماء بفيه ويعب منه حتى يفيض عنه ، وليس يتجرع منها بقاء صغير ، فذلك شأن من أعوزهم منها الكثير (٣) الخطر : الشأن والقدر والشرف والمنزلة ، وعناه : أتعبه أو حبسه « أحمد يوسف نجافى »

هَلِ الرِّيحُ بِنَجْمٍ ^(١) الْأَرْضِ عَاصِفَةٌ
 أَمْ الْكُسُوفُ لِغَيْرِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ؟؟
 إِنْ طَالَ فِي السَّجْنِ إِيدَاعِي فَلَا عَجَبُ
 قَدْ يُودَعُ الْجَفْنُ حَدُّ الصَّارِمِ الذِّكْرِ ^(٢)
 وَإِنْ يُتَبَّطُ أَبَا الْحَزْمِ الرِّضَا قَدَرُ
 عَنْ كَشْفِ ضُرِّي فَلَا عَتَبُ عَلَى الْقَدَرِ
 مَنْ لَمْ أَزَلْ مِنْ تَأْنِيهِ عَلَى ثِقَةٍ
 وَلَمْ أَبْتَ مِنْ تَجَنِّيهِ عَلَى حَذَرِ ^(٣)
 وَلَهُ يَتَغَزَّلُ ، وَيُعَاتِبُ مَنْ يَسْتَغْطِفُهُ وَيَتَنَزَّلُ :
 يَا مُسْتَخِفًّا بِعَاشِقِيهِ وَمُسْتَفِئًّا لِنَاصِحِيهِ
 وَمَنْ أَطَاعَ الْوُشَاةَ فِينَا حَتَّى أَطَعْنَا السُّلُوكَ فِيهِ

(١) النجم مالا ساق له من النبات « وفيه مع الشمس والقمر
 — ايها متناسب » (٢) الجفن : غمد السيف (٣) التأني التمهّل ،
 والتجني ادعاء ذنب لم يجنه — يقول اني على ثقة من تفكير الوزير
 الجليل في أمري وتأنيه في شأني حتى تتجلى له براءتي ، ولست أخاف أن
 يتجنى على فشيمته عدل وانصاف . وفي الاصل « من تدانيه » ولا بأس
 لولا أن يفوت على الناظم الترصيع والازدواج بين « تأنيه ، وتجنّيه »
 وهو يقصد مثل هذا الجنس وتلك الموازنة . « أحمد يوسف نجاتي »

الْحَمْدُ لِلَّهِ إِذْ أَرَانِي
تَكْذِيبَ مَا كُنْتُ تَدَّعِيهِ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَهْزِمَ النَّسْلُ وَيَغْلِبَ الشَّوْقُ مَا يَلِيهِ
انْتَهَى

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ ابْنِ زَيْدُونَ الْمَذْكُورِ فِي قَصِيدَتِهِ
النُّوَيْبَةِ الشَّهِيرَةِ :

غَصَّ الْعِدَا مِنْ تَسَاقِينَا الْهَوَى فَدَعَوْا
بِأَنْ نَغْصَّ فَقَالَ الدَّهْرُ آمِينًا^(١)

وَمِنْ أَغْرَبِ مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ مُوشِحَةُ لابْنِ الْوَكِيلِ
دَخَلَ فِيهَا عَلَى أَعْجَازِ نُوَيْبَةِ ابْنِ زَيْدُونَ، وَهِيَ :
غَدَا مُنَادِينَا مُحْكَمًا فِينَا
يَقْضِي عَلَيْنَا الْأَسَى لَوْلَا تَنَاسِينَا^(٢)

موشحة ابن
الوكيل

(١) في الديوان وغيره : غيظ العدا - وغص بالماء اذا شرب به أو وقف في حلقه فلم يكده يسيغه ، أو غص بالطعام وشرق بالشراب ، وغصت يا آكل أو يشارب تغص « كفرح » غصا ، ويقال غص فلان بمكان فلان اذا غاظه ما وصل اليه ونال منه حسدا حتى آلمه (٢) الرواية المشهورة تكاد حين تناجيكم ضاثرنا يقضي علينا الأسى لولا تناسينا

بَحْرُ الْهَوَى يُغْرِقُ مَنْ فِيهِ جُهْدُهُ عَامٌ
وَنَارُهُ تُحْرِقُ مَنْ هَمٌّ أَوْ قَدْ هَامٌ
وَرُبَّمَا يُقْلِقُ فَتَى عَلَيْهِ نَامٌ
قَدْ غَيَّرَ الْأَجْسَامَ وَصَيَّرَ الْأَيَّامَ
سُودًا وَكَانَتْ بِكُمْ بِيضًا لِيَا إِينَا^(١)

* * *

يَا صَاحِبَ النَّجْوَى قِفْ وَأَسْتَمِعْ مِنِّي
إِيَّاكَ أَنْ تَهْوَى إِنَّ الْهَوَى يُضْنِي
لَا تَقْرَبِ الْبَلْوَى أَسْمِعْ وَقُلْ عَنِّي
بِحَارُهُ مُرَّةٌ خُضْنَا عَلَى غِرَّةِ
حِينًا فَقَامَ بِهَا لِلنَّعَى نَاعِينَا^(٢)

أى تعزينا وأن كان لنا أسوة فى غيرنا :

ولولا الأسمى ماعشت فى الناس ساعة

ولكن اذا ماشئت جاوبنى مثلى

وقال ابن الفارض :

ياجنة فارقتها النفس مكرهة لولا التأسى بدار الخلد متأسى

وقال :

وان الألى بالطف من آل هاشم تأسوا فسنوا للكرام التأسيا

(١) أهل صدر البيت فى القصيدة : حالت لبعدم أيامنا فعدت (٢) أصل

البيت فى القصيدة :

مَنْ هَامَ بِالْعِيدِ لَاقَى بِهِمَ هَمًّا
 بَذَلْتُ مَجْهُودِي لِأَخْوَرِ أَلَمِي
 بِهِمْ بِالْجُودِ وَرَدَّ مَا هَمًّا
 وَعِنْدَ مَا قَدْ جَادَ بِالْوَصْلِ أَوْ قَدْ كَادَ
 أَضْحَى التَّنَائِي بَدِي مِ لَامِنٍ تَدَانِينَا

بِحَقِّ مَا يَنِي وَيَنَكُمْ إِلَّا
 أَقَرَرْتُمْ عَيْنِي فَتَجَمَّعُوا الشَّمْلَا
 فَالْعَيْنُ^(١) بِالْبَيْنِ بِفَقْدِكُمْ أَبْلَى
 جَدِيدَ مَا قَدْ كَانَ بِالْأَهْلِ وَالْإِخْوَانِ
 وَمَوْرَدُ اللَّهِ وَصَا فِي مِنْ تَصَافِينَا^(٢)

يَاجِيرَةٌ بَانَتْ عَنْ مُغْرَمٍ صَبٍّ

ألا وقد حان صبح البين صبحنا حين فقام بنا للبين ناعينا
 والحين الهلاك - والناعي من يخبر بموت من مات (١) في بعض المراجع
 « فالعيش » .

(٢) صدر البيت في القصيدة :

✽ اذ جانب العيش طلق من تألفنا ✽

لِعَهْدِهِ خَانَتْ مِنْ غَيْرِ مَا ذَنْبِ
مَا هَكَذَا كَانَتْ عَوَائِدُ الْعُرْبِ
لَا تَحْسَبُوا الْبُعْدَا يُغَيِّرُ الْعَهْدَا
إِذْ طَالَمَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِيطَنَا (۱)

يَا نَازِلًا بِالْبَانَ بِالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ
وَالنَّمْلِ وَالْفُرْقَانِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ
وَسُورَةِ الرَّحْمَنِ وَالنَّحْلِ وَالْحَجْرِ
هَلْ حَلَّ فِي الْأَذْيَانِ أَنْ يُقْتَلَ الظَّمْآنُ
مَنْ كَانَ صِرْفَ الْهَوَى
وَالْوُدِّ يَسْقِينَا (۲)

يَا سَائِلَ الْقَطْرِ عَرِّجْ عَلَى الْوَادِي

(۱) صدره :

* لَا تَحْسَبُوا نَأْيَكُمْ عَنَّا يَغَيِّرُنَا *

(۲) صدره :

* يَا سَارِيَ الْبَرْقِ غَادِ الْقَصْرِ وَاسْقِ بِهِ *

مِنْ سَا كِنِي بَدْرِ وَقِفْ بِهِمْ نَادِي
 عَسَى صَبَا تَسْرِي لِمُغْرَمٍ صَادِي
 إِنْ شِئْتَ تُحْيِينَا بَلِّغْ تَحْيِينَا
 مَنْ لَوْ عَلَى الْبُعْدِ حَيٌّ
 ا كَانْ يُحْيِينَا (١)

* * *

وَأَفَتْ لَنَا أَيَّامَ كَانَهَا أَغْوَامُ
 وَكَانَ لِي أَغْوَامُ كَانَهَا أَيَّامُ
 تَمُرُّ كَالْأَحْلَامِ بِالْوَصْلِ لِي لَوْ دَامَ
 وَالْكَاسُ مُتْرَعَةٌ حُثَّتْ مُشْعَشَعَةٌ
 فِينَا الشَّمُولُ وَغَنَانَا مُغْنِينَا (٢)

(١) صدره :

* ويانسيم الصبا بلغ تحييتنا *

وقد تكون « تحييتنا » هنا محرفة عن « تحاييتنا » جمع تحية كتهاني جمع

تهنئة ، وتعازي جمع تعزية (٢) صدره :

* نأسي عليك اذا حثت مشعشعة *

والمشعشعة : المزوجة « أحمد يوسف نجاني »

* * *

« رَجَعُ إِلَى مَا يَتَعَلَّقُ بِقُرْطُبَةَ » قَالَ الْوَزِيرُ أَبُو بَكْرٍ
ابْنُ الْقَبْطَرْنَةِ (١) يُخَاطِبُ الْوَزِيرَ أَبَا الْحُسَيْنِ بْنَ سِرَاجٍ
وَيَذْكُرُ لَمَّةً مِنْ إِخْوَانِهِ بِقُرْطُبَةَ :

قصيدة أبي بكر
ابن القبطرنة

يَا سَيِّدِي وَأَبِي هُدَى وَجَلَالَةَ
وَرَسُولَ وَدَى إِنْ طَلَبْتُ رَسُولًا
عَرَّجَ بِقُرْطُبَةَ ، وَلَدُّ إِنْ جِثَّتْهَا
بِأَبِي الْحُسَيْنِ ، وَنَادِهِ تَعْوِيلًا
فَإِذَا سَعِدْتَ بِنَظَرَةٍ مِنْ وَجْهِهِ
فَاهْدِ السَّلَامَ لِكَفِّهِ تَقْبِيلًا

(١) تقدمت منا كلمة في بني القبطرنة . منهم هذا : أبو بكر
عبد العزيز بن سعيد بن عبد العزيز من أهل اشبيلية ، كان من
جالة الأدباء وأعيان الكتاب ورؤسائهم شاعرا بليغا ، وكتب للمتوكل بن
الأفطس ، ولابن تاشفين من بعده ، وكان يقال : أبو بكر بن القبطرنة
وأبو محمد بن عبدون هما أدبا غرب الأندلس ، وتوفي أبو بكر بعد
سنة ٥٢٠ هـ وتقدمت أبياته وشرحها ، والبيت الأول فيه في الأصل « هوى »
بدل « هدى » . « أحمد يوسف نجاتي » .

وَأَذْكَرُ لَهُ شُكْرِي وَشَوْقِي مُجَمَّلًا
وَلَوْ اسْتَطَعْتُ سَرَدْتُهُ تَقْصِيلًا
بِتَحِيَّةٍ تُهْدِي إِلَيْهِ كَأَنَّمَا
جَرَّتْ عَلَى زَهْرِ الرِّيَاضِ ذُيُولًا
وَأَشِمَّ مِنْهَا الْمُصْحَفِيُّ عَلَى النَّوَى
نَفْسًا يُنْسِي السَّوْسَنَ الْمَبْلُولَا (١)
وَإِلَى أَبِي مَرْوَانَ مِنْهُ تَفْحَةٌ
تُهْدِي لَهُ نَوْرَ الرُّبَا مَطْلُولَا (٢)

(١) هذا المصحفي الذي اكتفى له الوزير أبو بكر بن القبطرنة برائحة السلام والتحية يشمها « وان كانت أرجة متضوعة تفقم المعاطس » هو أبو بكر محمد بن هشام بن محمد بن هشام بن محمد بن عثمان ابن نصر بن عبد الله بن حميد بن سلمة بن عباد بن يونس القيسي المصحفي كان فقيها عالما أديبا لغويا من أهل بيت وزارة ورياسة ونباهة ووجاهة مع دماثة أخلاق وحسن حديث وعناية بالعلم وصيانة وجمالة وسعة معرفة ومثابرة على الجهد والمطالعة، ولد سنة ٣٩٣ وتوفي سنة ٤٨١ وحضر جنازته المأمون الفتح بن محمد بن عباد - وأبوه هشام بن محمد أبو الوليد كان عالما باللغات والآداب ذا ذكاء وفهم ومعرفة بالفقه والحديث، ولد سنة ٣٦٠ وتوفي سنة ٤٤٠ - وجده أبو بكر محمد بن هشام بن محمد كان ذا علم باللغة وعناية بالآداب العربية ومعرفة بمعاني الشعر العربي القديم وأغراضه، وكان أبوه هشام بن محمد بن عثمان واليا على طرطوشة « أحمد يوسف نجاتي » (٢) مطلولا أي قد نزل عليه الطل والندي فرطب وابتل عطرًا، وأظنه يعني بأبي

وَإِذَا لَقِيتَ الْأَخْطِيَّ فَسَقَّهُ
 مِنْ صَفْوٍ وَدَّى قَرْقَفًا وَشَمُولًا^(١)
 وَأَبُو عَلِيٍّ سَقَّ^(٢) مِنْهَا رُبْعَهُ
 مِسْكًَا بِمَاءِ غَمَامَةٍ مَحْلُولًا
 وَأَذْكَرُ لَهُمْ زَمَنًا يَهْبُ نَسِيمُهُ
 أَصْلًا كَنَفَتْ الرَّاqِيَّاتِ عَلِيلًا^(٣)
 مَوْلَى وَمَوْلَى نِعْمَةٍ وَكَرَامَةٍ
 وَأَخًا إِخَاءٍ مُخْلِصًا وَخَلِيلًا

مروان عبد الملك بن سراج بن عبد الله بن محمد بن سراج الأديب العالم
 اللغوي توفي سنة ٤٨٩ هـ وهو والد أبي الحسن المكتوب إليه - لا بل أظنه
 يعني أبا مروان بن أبي الحصال الكاتب الشهير « وهو ابن أبي عبد الله
 محمد بن أبي الحصال الكاتب القدير والأديب المعروف » وأبو مروان هو
 عبد الملك بن محمد بن أبي الحصال الغافقي من أهل قرطبة ، توفي نحو
 سنة ٥٢٨ هـ شهيدا وثكاه أبوه وله فيه رثاء حار ينم عن حزن أليم ووجد
 شديد ، وأبو مروان عبد الملك بن « أبي الحصال » مسعود بن فرج بن
 خلصة الغافقي الكاتب أخو أبي عبد الله كان أديبا حافلا كاتباً بليغاً ، وولاه
 ملوك لمتونة وولاتها وأمرأؤها الكتابة بمراكش وفاس وغيرها ، وكانت له
 رسائل بديدة توفي سنة ٥٣٩ هـ . « أحمد يوسف نجاتي » . (١) القرقف:
 الخمر وكذا الشمول (٢) في بعض النسخ « بل » بدل « سق » (٣) الأصل
 جمع أصيل ، والنفث النفخ القليل اللطيف كما تنفخ الذفائنات في العقد

بِالْحَيْرِ مَا عَبَسْتَ هُنَاكَ غَمَامَةً
 إِلَّا تَضَاحِكُ إِذْخِرًا وَجَلِيلًا ^(١)
 يَوْمًا وَلَيْلًا كَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ
 . سَحَرًا وَهَذَا بُكْرَةً وَأَصِيلًا ^(٢)
 لَا أَدْرَكَتْ تِلْكَ الْأَهْلَةَ دَهْرَهَا
 نَقْصًا وَلَا تِلْكَ النُّجُومُ أَفُولًا
 قَالَ أَبُو نَصْرٍ : الْحَيْرُ الَّذِي ذُكِرَ هُنَا هُوَ حَيْرٌ ^(٣)
 الزَّجَالِيُّ خَارِجَ بَابِ الْيَهُودِ بِقَرْطَبَةَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ
 أَبُو عَامِرٍ بْنُ شُهَيْدٍ :

(١) الاذخر حشيش اخضر طيب الريح كانت العرب تسقف به بيوتها
 فوق الخشب ، وقد يطحنونه فيخلطونه بالطيب . والجليل « ويسمى
 الثمام » نبت ضعيف كانوا يحشون به خصاص بيوتهم ، قال بلال رضى
 الله عنه « أو تمثل » :

ألا ليت شعري هل أبين ليلة بمكة حولي اذخر وجليل
 وهل أردن يوما مياه مكة وهل يبدوون لى شامة وطفيل
 ومجنة جبل قرب مكة بحنب طفيل ، ويحاورهما أيضا جبل شامة .
 « أحمد يوسف نحاس » . (٢) يشير الى معنى قوله :

أيام صفو كاهن أصائن لك والليالى كلها أسحار

(٣) الحير والحائر البستان « وأصله المكان يجتمع فيه الماء » فكأنه يحار
 فيه ويقف ويتردد ويرجع أقصاه الى أدناه ولا يدري كيف يجري - وتقدم
 البيتان وشرحهما والقول فى باب اليهود ، والزجالي الذى ينسب اليه الحير

لَقَدْ أَطْلَعُوا عِنْدَ بَابِ الْيَهُودِ
 دِ شَمْسًا أَبِي الْحُسَيْنِ أَنْ تُكْسَفًا
 تَرَاهُ الْيَهُودُ عَلَى بَابِهَا أَمِيرًا فَتَحْسَبُهُ يُوسُفًا
 وَهَذَا الْخَيْرُ مِنْ أْبَدَعِ الْمَوَاضِعِ وَأَجْمَلِهَا ، وَأَتْمَمَهَا حُسْنًا
 وَأَكْمَلَهَا ، صَحْنُهُ مَرْمَرٌ صَافٍ الْبَيَاضُ ، يَخْتَرِقُهُ جَدُولٌ
 كَالْحَيَّةِ النَّضْنَضِ (١) ، بِهِ جَايِيَةٌ ، كُلُّ لُجَّةٍ فِيهَا (٢) كَايِيَةٌ ،
 قَدْ قُرِئَتْ بِالذَّهَبِ وَاللَّازُورِ سَمَؤُهُ ، وَتَأَزَّرَتْ بِهِمَا
 جَوَانِبُهُ وَأَرْجَاؤُهُ ، وَالرَّوْضُ قَدْ أُعْتَدِلَتْ أَسْطَارُهُ ،
 وَأُبْتُسَمَتْ مِنْ كَمَائِمِهَا أَزْهَارُهُ ، وَمَنَعَ الشَّمْسُ أَنْ تَرَهُقَ

اما أن يكون هو الكاتب الأديب والشاعر البليغ محمد بن سعيد الزجالي
 كان في أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم « ٢٠٦ - ٢٣٨ » وكان
 يلقب بالأصمعي لذكائه وكثرة حفظه ، وأصله من البربر ، وأعقب ابنا
 اسمه حامد كان كاتبة أدبا وحضور بديهة وحسن جواب ، وكان معاصرا
 للحاجب عيسى بن شهيد الجد الأكبر لدى الوزارتين أبي عامر أحمد
 ابن عبد الملك بن شهيد ، وأما أبو بكر عبد الله بن عبد الرحمن بن
 عبد الله الزجالي من أهل قرطبة استوزره المستنصر بالله ، وكان خيرا فاضلا
 أدبيا طاهرا عالما كثير البرجم المعروف متوفرا على التقوى والصلاح ، توفي
 سنة ٣٧٥ ودفن بالمقبرة المنسوبة الى الزحاجلة ، أو هو أبو مروان المحدث
 عنه بعد . « أحمد يوسف نجاتي » . (١) حبة نضناض : لا تستقر في مكان
 لشدها ونشاطها ، أو التي أخرجت لسانها تنضنضه أي تحركه حركة دائمة
 (٢) الجايية : ض صخم يحبي فيه الماء أي يجتمع ، وكايية أي مرتفعة
 عالية أو متعثرة تذهب الى حافة الغدير ثم ترند « أحمد يوسف نجاتي »

ثَرَاهُ ، وَتَعَطَّرَ النَّسِيمُ بِهُبُوبِهِ عَلَيْهِ وَمَسَرَّاهُ ، شَهِدْتُ بِهِ
 لَيْالِي وَأَيَّامًا كَأَنَّمَا تَصَوَّرْتُ مِنْ لَمَحَاتِ الْأَحْبَابِ ، أَوْ قُدَّتْ
 مِنْ صَفَحَاتِ أَيَّامِ الشَّبَابِ ، وَكَانَتْ لِأَبِي عَامِرِ بْنِ شُهَيْدٍ
 بِهِ فُرَجٌ وَرَاحَاتٌ ، وَغَدَوَاتٌ وَرَوَحَاتٌ ، أَعْطَاهُ فِيهَا الدَّهْرُ
 مَا شَاءَ ، وَوَالَى عَلَيْهِ الصَّخْوَ وَالْإِنْتِشَاءَ^(١) ، وَكَانَ هُوَ
 وَصَاحِبُ الرُّوضِ الْمَدْفُونُ بِإِزَائِهِ أَلْيَنُ صَبُوءٍ ، وَحَلِيفُ
 نَشْوَةٍ ، عَكْفًا فِيهِ عَلَى جَرِيَّالِهِمَا^(٢) ، وَتَصَرَّفَا بَيْنَ زَهْوَاهُمَا
 وَاخْتِيَالِهِمَا ، حَتَّى رَدَّاهُمَا الرَّدَى ، وَعَدَّاهُمَا الْحِمَامُ عَنْ ذَلِكَ
 الْمَدَى ، فَتَجَاوَرَا فِي أَلَمَاتٍ ، تَجَاوَرُهُمَا فِي الْحَيَاةِ ، وَتَقَلَّصَتْ
 عَنْهُمَا وَارِفَاتُ تِلْكَ الْفَيْثَاتِ^(٣) ، وَإِلَى ذَلِكَ الْعَهْدِ أَشَارَ
 ابْنُ شُهَيْدٍ وَبِهِ عَرَضَ ، وَبِشَوْقِهِ صَحَّحَ وَمَا مَرَّضَ^(٤) حَيْثُ
 يَقُولُ عِنْدَ مَوْتِهِ يُخَاطِبُ أَبَا مَرْوَانَ صَاحِبَهُ وَأَمَرَ أَنْ يُدْفَنَ
 بِإِزَائِهِ وَيُكْتَبَ عَلَى قَبْرِهِ :

يَا صَاحِبِي قُمْ فَقَدْ أَطْلُنَا أَنَحْنُ طُولَ الْمَدَى هُجُودًا؟

(١) الانتشاء ضد الصحو ، ونشئ من الشراب « كعلم » نشوا ونشوة
 وانتشى وتنشئ اذا سكر ، أو الانتشاء أول السكر ومقدماته (٢) الجريال : الحمر أو
 الحمراء منها (٣) الفئ الفئ : الظل ، والوارف الممتد السانغ (٤) من المجاز التمر يض
 في الأمور : التوهين فيها وألا يحكمها ، ومرض الرجل في كلامه اذا ضعفه
 ولم يتقنه ، ومرض في الأمر اذا لم يبالغ فيه « أحمد يوسف نجاتي »

فَقَالَ لِي لَنْ تَقُومَ مِنْهَا مَا دَامَ مِنْ فَوْقِنَا الصَّعِيدُ
تَذَكُّرُكُمْ لَيْلَةً نَعِمْنَا فِي ظِلِّهَا وَالزَّمَانُ عِيدُ؟
وَكَمْ سُرُورًا هَمَى عَلَيْنَا سَحَابُهُ ثَرَّةٌ تَجُودُ^(١)؟ !
فَخَيْرُهُ مُسْرِعًا تَقْضَى وَشَوْؤُهُ حَاضِرٌ عَتِيدُ^(٢)
حَصْلُهُ كَاتِبٌ حَفِيزُ وَضَمَّةٌ صَادِقٌ شَهِيدُ^(٣)
يَاوَيْلَنَا إِنْ تَنَكَّبْتَنَا^(٤) رَحْمَةً مَنْ بَطْشُهُ شَدِيدُ !
يَا رَبِّ عَفْوًا فَأَنْتَ مَوْلَى قَصَّرَ فِي شُكْرِكَ الْعَبِيدُ
انتهى

ثُمَّ قَالَ بَعْدَ كَلَامٍ : وَرَكِبَ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ الْقَبْطُرَةِ
إِلَى سُوقِ الدَّوَابِّ بِقُرْطُبَةٍ ، وَمَعَهُ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ سِرَاجٍ
فَنَظَرَ إِلَى أَبِي الْحَكَمِ بْنِ حَزْمٍ غُلَامًا كَمَا عَقَّ^(٥) تَمَائِمَهُ ،
وَهُوَ يَرُوقُ كَأَنَّهُ زَهْرٌ فَارَقَ كَمَائِمَهُ ، فَسَأَلَ أَبَا الْحُسَيْنِ
ابْنَ سِرَاجٍ أَنْ يَقُولَ فِيهِ ، فَأَرْتَجَ عَلَيْهِ ، وَثَنِي عِنَانَ الْقَوْلِ
إِلَيْهِ ، فَقَالَ :

(١) ثرة : غزيرة الماء (٢) عتيد حاضر مهيا ، وفي بعض النسخ « كل هـ ن
لم يكن تقضى الخ » (٣) حصله : جمعه واثبته وميزه (٤) أى جاوزهم وفاتهم
وعدت عنهم (٥) عق أى قطع ، وعق التام كناية عن مفارقة الطفولة الى
الحداثة والشباب

بلاد بها عق الشباب تمانى وأول أرض من جلدى تراها

رَأَى صَاحِبِي عَمْرًا فَكَلَّفَ وَصْفَهُ
وَحَمَّلَنِي مِنْ ذَلِكَ مَا لَيْسَ فِي الطُّوقِ
فَقُلْتُ لَهُ : عَمِّرُوا كَعَمِّرُوا ، فَقَالَ لِي :
صَدَقْتَ وَلَكِنْ ذَا أَشْبَ (١) عَلَى الطُّوقِ
انْتَهَى

شهرة بني
القبطرنة
بالأندلس

وَكَانَ بَنُو الْقَبْطَرْنَةِ بِالْأَنْدَلُسِ أَشْهَرَ مِنْ نَارٍ عَلَى عِلْمٍ ،
وَقَدْ تَصَرَّفُوا فِي الْبَرَاةِ وَالْقَلَمِ ، وَلَهُمُ الْوِزَارَةُ الْمَذْكُورَةُ ،
وَالْفَضَائِلُ الْمَشْكُورَةُ ، وَلِذَا قَالَ أَبُو نَصْرٍ (٢) فِي حَقِّهِمْ
مَا صُورَتْهُ : هُمْ لِلْمَجْدِ كَالْأَثَانِي (٣) ، وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَوْفُورُ
الْقَوَادِمِ وَالْخَوَافِي (٤) ، إِنْ ظَهَرُوا ، زَهَرُوا (٥) ، وَإِنْ تَجَمَّعُوا ،

والنمائ جمع تسمية وهي خرزة رقطاء كانوا ينظمونها في سيرهم يعقدونها في عنق
الطفل «أحمد يوسف بجاتي» (١) يشير إلى مثل انشعور : شب عمرو عن الطوق ،
وهو عمرو بن عدي بن نصر بن أخت جذيمة الأبرش ملك الحيرة ، وقد
تقدم شرح لثل . والطوق في البيت الأول بمعنى الطاقة والجد ، وروى
عجز البيت الثاني : «صدقك ولكن ذاك شب عن الطوق» (٢) أبو نصر
الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان صاحب كتاني فلاند العقبان ومطمح
الأنفس ، توفي سنة ٥٣٥ (٣) جمع أئمة وهي الحجر توضع عليه القدر ،
يعني أنهم أساس المجد وعماده لا ينهض إلا بهم (٤) الفوادم والخوافي من
رئيس الطائر تقدم شرحهما ، يريد أنهم ذوو قدرة كاملة على المجد والآداب
وقوة تامة لا يحتاج معها إلى معين (٥) أشرقوا وأضاءوا .

تَضَوُّعُوا^(١) ، وَإِنْ نَطَقُوا ، صَدَقُوا ، مَاؤُهُمْ صَفْوَةٌ ، وَكُلٌّ
مِنْهُمْ لِصَاحِبِهِ كُفْوٌ ، أَنْارَتْ بِهِمْ نُجُومُ الْمَعَالِي وَشُمُوسُهَا ،
وَدَانَتْ لَهُمْ أَرْوَاحُهَا وَنَفُوسُهَا ، وَلَهُمُ النِّظَامُ الصَّافِي
الزُّجَاجَةُ^(٢) ، الْمُضْمَحِلُّ الْعَجَاجَةُ^(٣) . أَنْتَهَى

ثُمَّ قَالَ : وَبَاتَ مِنْهُمْ أَبُو مُحَمَّدٍ^(٤) مَعَ أَخَوَيْهِ فِي أَيَّامِ
صِبَاهُ ، وَأَسْتِطَابَتِهِ جَنُوبَ الشَّبَابِ وَصِبَاهُ ، بِالْمُنِيَةِ الْمُسَمَّاةِ
بِالْبَدِيعِ ، وَهُوَ رَوْضٌ كَانَ الْمُتَوَكِّلُ يَكْلَفُ بِمُؤَافَاتِهِ ،
وَيَنْتَهِجُ بِحُسْنِ صِفَاتِهِ ، وَيَقْطُفُ رِيَّاحِيْنَهُ وَزَهْرَهُ ، وَيَقِفُ
عَلَيْهِ إِغْفَاءَهُ وَسَهْرَهُ ، وَيَسْتَفِرُّهُ الطَّرَبُ مَتَى ذَكَرَهُ ،
وَيَنْتَهِزُ فُرْصَ الْأُنْسِ فِيهِ رَوْحَاتِهِ وَبُكَرَهُ ، وَيُدِيرُ حُمَيَّاهُ
عَلَى صَفَةِ نَهْرِهِ ، وَيَخْلَعُ سِرَّهُ فِيهِ لِبَاطَةَ جَهْرِهِ ، وَمَعَهُ أَخَوَاهُ

ولع المتوكل
بمنية البديع

(١) تَضَوُّعُ الطَّيْبِ : انْتَشَرَتْ رَائِحَتُهُ الذَّكِيَّةُ (٢) كُنْيَاةٌ عَنْ صَفَاءِ
الدِّيَابِاجَةِ وَاشْرَاقَ مَعْنَى الْكَلَامِ ، شَبَّهَ بِالْحُمْرِ فِي آثَارِهِ فِي الْفُوسِ وَلَعِبِهِ
بِالْأَلْبَابِ ، دَلُولًا وَلَوْعَهُ بِلَزُومِ مَا لَا يَلْزِمُ فِي السَّجْعِ لَقُلْتُ أَنَّ «الزُّجَاجَةَ» هُنَا
مَصْحُفَةٌ عَنْ «الدِّيَابِاجَةِ» (٣) الْعَجَاجَةُ : الْغُبَارُ وَفِي نَسْخَةٍ «وَالنَّثْرُ الْمُضْمَحِلُّ الْحُ»
يُرِيدُ لَيْسَ بِهِ مَا يَحْتَجُّبُ مَعَانِيَهُ وَيُسْتَرُّ حُسْنَهُ وَصَفَاءَهُ أَوْ يَكْدُرُ حُسْنَهُ وَبِهَاءَهُ
(٤) هُوَ طَلْحَةُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَحَدُ الْأَدْبَاءِ الْأَذْكِيَاءِ وَالْبُلْغَاءِ
الْبَاقِيْنَ فِي عَصْرِهِ ، تَوَفَّى فِي حَيَاةِ أَخِيهِ أَبِي بَكْرٍ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ سَعِيدِ

فَطَارَدُوا اللَّذَاتِ حَتَّى أَنْصَوْهَا^(١) ، وَلَبِسُوا بُرُودَ الشَّرُورِ وَمَا
نَصَوْهَا^(٢) ، حَتَّى صَرَعَتْهُمْ الْمُقَارُ ، وَطَلَحَتْهُمْ^(٣) تِلْكَ الْأَوْقَارُ
فَلَمَّا هَمَّ رِدَاءُ الْفَجْرِ أَنْ يَنْدَى^(٤) ، وَجَبِينُ الصُّبْحِ أَنْ يَتَبَدَّى
قَامَ الْوَزِيرُ أَبُو مُحَمَّدٍ ، فَقَالَ :

يَا شَقِيقِي وَافِي الصَّبَاحِ بَوَجْهِ
سَتَرَ اللَّيْلَ نُورُهُ وَبَهَاؤُهُ

فَاصْطَبِحْ وَأُغْتِمِ مَسْرَّةَ يَوْمٍ
لَسْتُ تَذَرِي بِمَا يَجِيءُ مَسَاوُهُ
ثُمَّ اسْتَيْقِظَ أَخُوهُ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ :

يَا أَخِي قُمْ تَرَ النَّسِيمَ عَلِيلًا
بَاكِرِ الرُّوضِ وَالْمُدَامِ شَمُولًا
لَا تَمَنَّ وَأُغْتِمِ مَسْرَّةَ يَوْمٍ

إِنَّ تَحْتَ التُّرَابِ نَوْمًا طَوِيلًا
فِي رِيَاضٍ تَعَانِقُ الزَّهْرُ فِيهَا
مِثْلَ مَا عَانَقَ الْخَلِيلُ الْخَلِيلًا

(١) أنصى الدابة : أجهدها في السير (٢) نضا ثوبه عنه اذا نزع (٣) أعتبتهم
وأنعتبتهم : والاقار ، جمع وقرة وهو الحمل (٤) يتدل بالندى ويرطب بالطل

مَ اسْتَيْقَظَ أَخُوهُمَا أَبُو الْحَسَنِ ، وَقَدْ هَبَّ مِنْ غَفْلَةٍ
الْوَسَنِ ، فَقَالَ :

يَا صَاحِبِي ذَرَا لَوْ مَيِّ وَمَعْتَبَتِي
فَمَنْ نَصْطَبِحْ خَمْرَةً مِنْ خَيْرِ مَا ذَخَرُوا
وَبَادِرًا غَفْلَةَ الْأَيَّامِ وَاعْتِنَا
فَالْيَوْمَ خَمْرٌ وَيَبْدُو فِي غَدٍ خَيْرٌ^(١)

وَسَاقُ صَاحِبِ الْبِدَائِعِ^(٢) هَذِهِ الْقِصَّةُ فَقَالَ : وَذَكَرَ
الْفَتْحُ مَا هَذَا مَعْنَاهُ : إِنَّهُ خَرَجَ الْوُزَرَاءُ بَنُو الْقَبْطُرْنَةِ إِلَى
الْمُنِيَةِ الْمُسَمَّاةِ بِالْبَدِيعِ ، وَهُوَ رَوْضٌ قَدْ أَخْضَرَتْ مَسَارِحُ
نَبَاتِهِ ، وَأَخْضَلَّتْ^(٣) مَسَارِي هَبَاتِهِ ، وَدَمَعَتْ بِالطَّلِّ عُيُونُ
أَزْهَارِهِ ، وَذَابَ عَلَى زَبَرِ جَدِهِ بَلُورُ أَنْهَارِهِ ، وَتَجَمَّعَتْ فِيهِ
الْمَحَاسِنُ الْمُتَفَرِّقَةُ ، وَأَضْحَتْ مُقْلُ الْحَوَادِثِ عَنْهُ مُطَرِّقَةٌ ،
فَخَيُولُ النَّسِيمِ تَرَكُضُ فِي مِيَادِينِهِ فَلَا تَكْبُؤُ ، وَنُصُولُ

(١) يشير للنمل المشهور : اليوم خمر وغدا أمر (٢) كتاب بدائع البدائ
لابن ظافر الأزدي (٣) ابتلت وبديت مع خضرة ونضرة .

السَّوَاقِ تَصُولُ لِحَسَمِ أَدْوَاءِ الشَّجَرِ فَلَا تَنْبُو^(١) ، وَالزَّرْعُ
قَدْ نَقَبَتْ وَجْهَ الثَّرَى ، وَحَجَبَتِ الْأَرْضَ عَنِ الْعُيُونِ فَمَا
تُبْصِرُ وَلَا تُرَى . وَكَانَ الْمُتَوَكِّلُ بْنُ الْأَفْطُسِ^(٢) يُعِدُّهُ غَايَةَ
الْأَرْبِ ، وَيُعِدُّهُ مَشْهَدًا لِلطَّرَبِ ، وَمَدْفَعًا لِلْكَرْبِ ، فَبَاشُوا
فِيهِ لَيْلَتَهُمْ يُدِيرُونَ لَمَعَ لَهَبٍ يَتَمَنُّونَ فِيهِ الْخُلُودَ ،

(١) يريد الماء الذي تصبه السواقي لسقي الأشجار ، فشبهه بالنصول أى
السيوف فى الاستطالة والصفاء وتموج الماء وأن كلا منهما يحسم الداء الذى
يستعمل له « فالسيوف تشفى رؤوس من يشكو الصداع ونحوه وتحسم أدواء
الزراع والشقاق » وهذا الماء يزيل ما يعرض للأشجار من ذبول ونحوه وفى نسخة
« السواقي » أى الرياح ، ومن هذه الفقرات ترى أن هذا الروض قد استوفى شروط
الجمال من الماء والخضرة ، والعيم والنضرة ، والسيم العليل ، والزهر الندى البليل
(٢) هو المتوكل على الله أبو حفص عمر بن محمد المظفر بن الأفطس صاحب
بطليوس « وتقدم التعريف ببني الأفطس » وكان المتوكل ذا عناية بالآداب
والشعر يحف به من أدباء الأندلس جماعة اشتهروا بالرفقة وجودة البديهة ، وقد
تعرض لشيء من سيرته الأدبية عند المناسبة ، وقتله يوسف بن تاشفين
سنة ٤٨٩ باعراء المعتمد بن عباد به كما قيل ، وكان للمتوكل قدم راسخة فى
صناعة النظم والنثر مع شجاعة مفرطة وفروسية تامة ، وكان لا يغب الغزو
ولا يشغله عنه شيء من أسه ، وامتناع نفسه ، واتصلت مملكته الى أن قتله
المرابطون وقتلوا ولديه الفضل والعباس صبورا ، وكانت أيام بنى المظفر بن الأفطس
بمغرب الأندلس أعيادا ومواسم ، وكانوا ملجأ لأهل الآداب ، خللت فيهم
ولهم قصائد سائرة شادت ما أثرهم ، وأبقت على غابر الدهر حميد ذكروهم .
« أحمد يوسف نجاشى » .

وَيَتَحَسَّوْنَ^(١) ذَوْبَ ذَهَبٍ لَا يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ
وَالْجُلُودُ ، حَتَّى تَرَ كَتَمَهُمْ ابْنَةُ الْخَايَةِ^(٢) ، كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ
خَاوِيَةٍ^(٣) ، فَلَمَّا هَزَمَ رُومِي الصَّبَاحَ زَنْجِي الظَّلَامِ ،
« وَنَادَى الدِّيكُ حَيَّ عَلَى الْمُدَامِ » أَنْتَبَهَ كَبِيرُهُمْ
أَبُو مُحَمَّدٍ مُسْتَعْجِلًا ، وَأَنْشَدَ مُرْتَجِلًا ، يَا شَقِيقِي الْخ .
فَأَنْتَبَهَ أَخُوهُ أَبُو بَكْرٍ لِصَوْتِهِ ، وَتَخَوَّفَ لِدَهَابِ ذَلِكَ
الْوَقْتِ وَقَوْتِهِ ، وَأَنْتَبَهَ أَخَاهُمَا أَبَا الْحَسَنِ وَهُوَ يَرْتَجِلُ :
يَا أَخِي قُمْ تَرَى النَّسِيمَ إِلَى آخِرِهِ . فَأَنْتَبَهَ أَخُوهُ لِكَلَامِهِ ،

(١) تحسّى الشراب ونحوه واحتسّاه إذا شربه شيء فشيئا - وفي معنى الفقرة
قول الشاعر :

وخمارة من بنات اليهود ترى الدن في بيتها مائلا
وزنا لها ذهبا جامدا فكالت لنا ذهبا سائلا

وفيهما إشارة إلى قوله تعالى : « يصهر به ما في بطونهم والجلود » (٢) الخاوية
أنا كبر « الحب » « كالسمى بالزير » وابنة الخاوية كناية عن الحمر
(٣) من القرآن الكريم يعني أن الحمر صرعتهم : وفي معنى ذلك قول
ابن زهر الأندلسي من أبيات :

والحمر تعرف كيف تأخذ ثارها أنى أملت أناها فأما لى

رَافِضًا^(١) لَذَّةَ مَنَامِهِ ، لِلذَّةِ قِيَامِهِ ، وَأَرْتَجَل : يَا صَاحِبِي
ذَرَا الْخ . أَنْتَهَى .

* *

استقبال أبي
الحسن ذي
الوزارتين
ابن اليسع

« قَالَ الْفَتْحُ » وَلَمَّا أَمَرَ الْمُعْتَمِدُ بْنُ عَبَّادٍ أَبَا بَكْرٍ
ابْنَ الْقَبْطُرْنَةَ السَّابِقَ الذَّكَرِ مَعَ الْوَزِيرِ أَبِي الْحُسَيْنِ
أَبْنِ سِرَاجٍ بِلِقَاءِ ذِي الْوَزَارَتَيْنِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْيَسَعِ^(٢)
الْقَائِدِ وَالْمَشِيِّ إِلَيْهِ ، وَالنُّزُولِ عَلَيْهِ ، تَنْوِيهَا بِمَقْدَمِهِ ،
وَتَنْبِيهَا عَلَى حُظْوَتِهِ لَدَيْهِ وَتَقْدَمِهِ ، فَصَارَا إِلَى بَابِهِ ،
فَوَجَدَاهُ مُقْفِرًا مِنْ حُجَّابِهِ ، فَاسْتَغْرَبَا خُلُوهُ مِنْ خَوْلٍ^(٣)
وَوَظَنَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَتَأَوَّلَ ، ثُمَّ أَجْمَعَا عَلَى قَرْعِ الْبَابِ
وَرَفَعِ ذَلِكَ الْإِرْتِيَابَ ، فَخَرَجَ وَهُوَ دَهْشٌ ، وَأَشَارَ إِلَيْهِمَا

(١) في الأصل « دافعا » (٢) ذكره الفتح في الفلاذ ووصفه بالأدب
والانهماك في اللهو مهملا أمور الملك، ولهذا ثار به أهل مرسية حتى خلع،
وكان رئيسا شاعرا وقائدا أديبا، وكان قد قدم إلى المعتمد بن عباد ليعرض
عليه الاستيلاء على مدينة لورقة بعد موت صاحبها ابن ليون، فأكرم
المعتمد وفادته وأحسن مثواه (٣) الخول : الحاشية ونحوهم من العبيد والأماء،
مأخوذ من التخويل بمعنى التمليك - وقد يقال انهم وجدوا عنده بعد أن
دخلوا عليه « خولا » عن يتوارى بالحجاب، للاستقبال الوافدين وجراحة
الباب ! « أحمد يوسف نجاني »

بِالتَّحِيَّةِ وَيَدُهُ تَرْتَعِشُ ، وَأَنْزَلَهُمَا خَجَلًا ، وَمَشَى بَيْنَ
أَيْدِيهِمَا عَجَلًا ، وَأَشَارَ إِلَى شَخْصٍ فَتَوَارَى بِالْحِجَابِ ،
وَبَارَى الرِّيحَ سُرْعَةً فِي الْإِحْتِجَابِ ، فَقَعَدُوا وَمُقَلَّةٌ
أَلْخَشَفِ (١) ، تَرْمُقُ مِنْ خِلَالِ السَّجَفِ ، فَأَنْصَرَفَا عَنْهُ ،
وَعَزَمَا أَنْ يَكْتُبَا إِلَيْهِ بِمَا فِيهِمَا مِنْهُ ، فَكُتِبَا إِلَيْهِ :

سَمِعْنَا خَشْفَةَ الْخَشَفِ وَشِمْنَا طَرْفَةَ الطَّرْفِ (٢)
وَصَدَقْنَا وَلَمْ نَقْطَعْ وَكَذَبْنَا وَلَمْ نَنْفِ
وَأَغْضَيْنَا لِأَجَلَا لَكْ عَنْ أَكْرُومَةِ الظَّرْفِ (٣)
وَلَمْ تُنْصِفْ وَقَدْ جِئْنَا لَكْ مَا نَنْهَضُ مِنْ ضَعْفِ
وَكَانَ الْحُكْمُ أَنْ تَحْمِ لَ أَوْ تُرْدِفَ فِي الرَّدْفِ (٤)
فَرَا جَعَهُمَا فِي الْحَيْنِ بِقِطْعَةٍ مِنْهَا :
أَيَا أَسْنِي عَلَى حَالٍ سُلِّتُ بِهَا مِنَ الظَّرْفِ

كتاب المستقبلين
إلى ذى الوزارتين
ورده

(١) الخشف : ولد الظبية - والخشف الصوت والحركة ، والحس
الحفى - والسحف الستر (٢) خشف « كضرب ونصر » اذا سمع له صوت
وحس وحركة ، وخشف فى السبر أسرع - والطرفة من طرف بعينه
اذا لحظ وحرك جفنيها ، وشام : نظر (٣) الاكرومة المكرومة فعل الكرم
ويطلق على كريم القوم وكريمتهم مثل كريمة (٤) أردفه وردفه اذا تبعه

وَيَا لَهْفِي عَلَى جَهْلِي بِضَيْفٍ كَانَ مِنْ صِنْفٍ^(١)
انتهى .

* *

وَلِأَهْلِ الْأَنْدَلُسِ فِي مَعَانِي الْأَنْسِ الْحِسَانِ ، مَا لَا يَفِي
بِهِ لِسَانٌ . وَقَالَ الْفَتْحُ فِي تَرْجَمَةِ الْوَزِيرِ أَبِي الْفَضْلِ
أَبْنِ حَسْدَايَ^(٢) بَعْدَ كَلَامٍ مَا صُورَتْهُ : فَمِنْهَا هَذِهِ الْقِطْعَةُ
الَّتِي أَطْلَعَهَا نَبْرَةً ، وَتَرَكَ الْأَلْبَابَ بِهَا مُتَحَيِّرَةً ، فِي يَوْمٍ
كَانَ عِنْدَ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ^(٣) مَعَ عَلَيْهِ ، قَدْ اتَّخَذُوا الْمَجْدَ

وصار ردفاله ، وأردفه إذا أركبه خلفه ، وردف كل شيء مؤخره ، والكامل
والمعجز ، وأردف الشيء بالشيء وأردفه عليه اتبعه عليه (١) أي من صنف
معهود عنده ، صنف أي صنف يوافق ويسترىح إليه . وفي المصباح « وكان
الحق الخ » (٢) تقدمت ترجمته ، ويأتي شيء من سيرته ، وهو حسداي بن
يوسف بن حسداي ، وقد ذكره الفتح في قلائد العقيان وأثنى عليه ، وكان
من مدينة سرقسطة ، ومن بيت شرف اسرائيلي بالأندلس وأسرته يهودية
نبيلة ، عني بالعلوم على مراتبها ، وتناول المعارف من طرقها ، فأحكم علم لسان
العرب ، ونال حظا جزيلا من صناعة الشعر والكتابة والبلاغة ، وبرع في
علوم الرياضة والفلك والطب وأنقن علم المنطق ، وكان له نظر في الطب .
وجملة القول أنه كان نابغة في العربية وآدابها وفي العلوم العقلية والفنون
الجميلة ، وكان في سن الشباب في سنة ٤٥٨ ووزر للمقتدر بن هود وابنه
المؤمن وابنه المستعين وتوفي حوالي سنة ٥٠٠ هـ « أحمد يوسف نحاس »
(٣) هو المقتدر بن هود أحمد بن سليمان بن محمد بن هود بن عبد الله بن

وصف الأندلسيين
لمغاني الأندلس

حِلْيَةً ، وَالْأَمَلُ قَدْ سَفَرَ لَهُمْ عَنْ مُحْيَاةٍ ، وَعَبَقَ لَهُمْ رِيَاءَهُ ،
فَصَافَحَهُ الْكُلُّ مِنْهُمْ وَحَيَّاهُ ، وَشَمْسُ الرِّاحِ ، دَائِرَةٌ عَلَى
فَلَكَ أَنْ رَاحَ^(١) ، وَالْمَلِكُ يَنْشُرُ فَضْلَهُ ، وَيَنْثُرُ وَابِلَهُ
وَطَلَّهُ^(٢) ، يُسْدِي الْعُلَا ، وَيَهَبُ الْغَنَاءَ وَالْغِنَى ، فَصَدَحَتْ
الْفَوَانِي ، وَأَفْصَحَتْ الْمَثَالِثُ وَالْمَثَانِي^(٣) ، بِمَا أَسْتَنْزَلَ مِنْ
مَرْقَبٍ^(٤) الْوَقَارِ ، وَسَرَى فِي النُّفُوسِ مَسَرَى الْعُقَارِ :
تَوْرِيدُ خَدِّكَ لِلْأَحْدَاقِ لَذَاتُ

عَلَيْهِ مِنْ عَنَبِ الْأَصْدَاغِ لَامَاتٍ^(٥)

موسى مولى أبى حذيفة الجذامى من ملوك الطوائف ، كان صاحب سرقسطة
بعد أبيه المتوفى سنة ٤٣٨ هـ وتوفى أحمد المقتدر سنة ٤٧٩ هـ فتولى الأمر بعده
ابنه « الوثمن يوسف » المتوفى سنة ٤٧٨ هـ فتولى بعده أحمد المستعين وتوفى
سنة ٥٠٣ هـ وقتل شهيدا فى زحف الفرج إليها . « أحمد يوسف نجاتى » .
(١) جمع راحة وهى اليد أو الكف ، وفى الأصل « الأفراح » (٢) أصل
الوابل المطر الغزير ، والطل أقل منه (٣) يريد آلات الطرب ، والثانى
من أوتار العود الذى بعد الأول ، واحده منى ، وقال الشاعر :

يقولون تب والكاس فى يد أغيد وصوت الثانى والثالث على
فقلت لهم : لو كنت أزمعت توبة وأبصرت هذا كله لبدالى

(٤) المرقب : المكان العالى المرتفع ، وفى الفلاند « موقف »

(٥) أصل الصدغ ما بين لخط العين الى أصل الأذن ، ثم أطلق على الشعر الذى

نِيرَانُ هَجْرِكَ لِلْعُشَّاقِ نَارُ لَظَى
 لَكِنْ وَصَلَكِ - إِنْ وَاصَلْتَ - جَنَّاتُ
 كَأَنَّمَا الرِّاحُ وَالرَّاحَاتُ تَحْمِلُهَا
 بُدُورُتِمِ وَأَيْدِي الشَّرْبِ هَالَاتُ^(١)
 حُشَاشَةٌ مَا تَرَ كُنَّا الْمَاءَ يَقْتُلُهَا .
 إِلَّا لِتَحْيَا بِهَا مِنَّا حُشَاشَاتُ^(٢)

يتبدل على هذا الموضع ، وقد جرت عادة الشعراء أن يشبهوه بالعقرب والواو
 والدال واللام من الأحرف المهجائية لما فيها من الأعوجاج والدنى ، فمما قيل
 في ذلك :

وقلوا يصير الشعر في الماء حية اذا الشمس حادته فماخلته صدقا
 فلما التوى صدغاه في شمس وجهه وقد لسعا قلبي تيقنته حقا
 وقال آخر :

عسى عطة بالوصل ياواو صدغه فاني رأيت الواو في الوصل تعطف
 وقال غيره

أرى في صدغك المعوج دالا ولكن نقطت من مسك خلاك
 فصارت داله بالنقط ذالا واني هالك من أجل ذلك
 (١) الشرب الجملة يشربون ، وهو اسم جمع لشارب كركب وراكب
 « القوم يجتمعون للشراب » - والهالة دائرة القمر (٢) هذا ينظر الى قول
 حسان :

ان التي ناولتني فرددتها قلت قلت فهاتها لم تقتل

قَدْ كَانَ فِي كَاسِهَا مِنْ قَبْلِهَا ثَقُلُ

فَخَفَّ إِذْ مُلِئَتْ مِنْهَا الزُّجَاجَاتُ^(١)

عَهْدُ لِبْنَى تَقَاضَتْهُ الْأَمَانَاتُ

بَانتُ وَمَا قُضِيَتْ مِنْهَا لِبَانَاتُ^(٢)

يُدْنِي التَّوَهُّمُ لِلْمُشْتَاكِ مُنْتَزِحًا

مِنْ الْأُمُورِ، وَفِي الْأَوْهَامِ رَاحَاتُ^(٣)

(١) مثل هذا قول الشاعر :

ثقلت زجاجات أتنا فرغا حتى اذا ملئت بصرف الراح

خفت فكادت أن تطير بما حوت وكذا الجسم تخف بالراح

(٢) لبني علم امرأة - و يروي «عهد المني قد...» واللماثة الحاجة والغرض وانو طر-

وبانت بعدت والتقاضى الطلب والمطالبة بالدين ، وقد يطلق على قبضه واستيفائه ،

ومن هنا أخذ جمال الدين بن نباته مطلع قصيدته :

قضى وما قضيت منكم لبانات مقيم عبث فيه الصبايات

(٣) الانتزاح : البعد ، وفي معنى البيت :

يدنى مزارك حين شط به النوى وهم أكاد به أقبل فاك

وقول الآخر :

يابعيدا يدنيه لى الفكر حتى يترامى توهما كالعيان

وفي هذا المعنى يقول أبو عثمان سعيد بن الحسن الناجم فأحسن ماشاء :

لئن راح عن عيني أحمد غائبا لما هو عن عين الضمير بغائب

تُقْضَى عِدَاتُ إِذَا دَبَّ الْكَرَى، وَإِذَا
هَبَّ النَّسِيمُ فَقَدْ تُهْدَى تَحِيَّاتُ^(١)
زُورٌ يُعَلِّلُ قَلْبُ الْمُسْتَهَامِ بِهِ
دَهْرًا، وَقَدْ بَقِيَتْ فِي النَّفْسِ حَاجَاتُ^(٢)

له صورة في القلب لم تقصها النوى ولم تتخطفها أكف النوائب
إذا ساءني منه نزوح دياره وضافت على في نواه مذاهي
عطفت على شخص له غير نازح محلته بين الحشا والتراث
والقاريء الكريم يوازن بين نظم ابن حسداى وهذا الشعر .
« أحمد يوسف نجاتي » .

(١) الكرى النوم : يعلل نفسه بنيل أمانيه ووفاء محبوبته بوعداها في
عالم المنام . ويكتفى منها بالنسيم يفد من جهتها أو يذهب اليها ، وفي معناه
قول الطائي :

ضن غنى بالنزر إذا أنا يقظا ن وأعطى كثيره في المنام
وقوله :

مأتمنى يقظى فقد تؤتينه في النوم غير مصدر محسوب
(٢) مأرق قول الشريف الرضى وأجزله :

وزور زارنى والليل داج فعلنى بباطل ذاك حيننا
برينى أنه يأتى وسادى مضاجعة وزور مايرينا
نعمت بباطل ويود قلبى ودادا لو يكون له يقينا
وقوله أيضا :

وزور تخطى جنوب الملا فناديت أهلا بذا الزائر
أتى في عدو وعين الرقي ب مطروقة بالسرى الغامر .
وأحبب به يسعف الها جعين وتحرمه مقلة الساهر

(١٧ - نفح الطيب - خامس)

لَعَلَّ عَتَبَ اللَّيَالِي أَنْ يَعُودَ إِلَى عُنْبِي ^(١) فَتُبْلَغَ أَوْ طَارَ وَلَذَاتُ
حَتَّى نَفُوزَ بِمَا جَادَ الْخِيَالُ بِهِ فَرُبَّمَا صَدَقَتْ تِلْكَ الْمَنَامَاتُ

وَلَمَّا أُغْرَسَ الْمُسْتَعِينُ بِاللَّهِ بِنْتُ الْوَزِيرِ الْأَجَلِّ
أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ^(٢) أُحْتَفِلَ أَبُوهُ الْمُؤْتَمَنُ فِي ذَلِكَ
أُحْتِفَالًا شَهْرَهُ ، وَأَبْدَعَ فِيهِ إِبْدَاعًا رَاقٍ مِنْ حَضْرَةٍ وَبَهْرَةٍ ،
فَإِنَّهُ أَخْضَرَ فِيهِ مِنَ الْآلَاتِ الْمُبْتَدَعَةِ ، وَالْأَدَوَاتِ
الْمُخْتَرَعَةِ ، مَا بَهَرَ الْأَلْبَابَ ، وَقَطَعَ بِذِكَايِهِ دُونَ مَعْرِفَتِهَا
الْأَسْبَابَ ، وَأَسْتَدْعَى إِلَيْهِ جَمِيعَ أَعْيَانِ الْأَنْدَلُسِ مِنْ دَانَ
وَقَاصٍ ، وَمُطِيعٍ وَعَاصٍ ، فَآتَوْهُ مُسْرِعِينَ ، وَلَبَّوْهُ مُتَبَرِّعِينَ
وَكَانَ مُدِيرَ تِلْكَ الْآرَاءِ ^(٣) وَمُدَبِّرَهَا ، وَمُنْشِئَ مُخَاطَبَاتِهَا
وَمُحَبِّرَهَا ، الْوَزِيرُ الْكَاتِبُ أَبُو الْفَضْلِ ، وَصَدَرَتْ عَنْهُ فِي

زواج المستعين
بنت وزيره

وعهدى بتدويه عين المحب تم على قلبه الطاهر
ولما التفتينا برغم الرقا دموه قلبي على ناظري
هذا هو الشعر لا التقليد التكلف والنظم المتعسف . « أحمد يوسف نجاتي »
(١) العتبي الرضا ، وهو الرجوع عن الاساءة الى ما يرضى العاتب ، وأعتبه اذا
منحه العتبي وعاد الى مسرته ورجع الى الرضا بعد السخط (٢) هو من أعيان
بنى عبد العزيز ، وسيأتى حديث منهم صفحة ٢٩٨ (٣) فى بعض النسخ
« الاراغة » بدل الآراء ، وأراغ أى أراد وطلب ودعا . « أحمد يوسف نجاتي »

ذَلِكَ الْوَقْتِ كُتِبَ ظَهَرَ إِعْجَازُهَا، وَبَهَرَ اقْتِضَابُهَا وَإِيْجَازُهَا،
فَمِنْ ذَلِكَ مَا خَاطَبَ بِهِ صَاحِبَ الْمَظَالِمِ ^(١) أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ :

كتاب الوزير
أبي الفضل إلى
ابن طاهر

مَحْلُكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - فِي طَيِّ الْجَوَانِحِ ^(٢) ثَابِتٌ
وَإِنْ تَرَحَّتِ الدَّارُ ، وَعَيَانُكَ فِي أَحْنَاءِ ^(٣) الضُّلُوعِ بَادٍ وَإِنْ
شَحَطَ الْمَزَارُ ، فَالْنَفْسُ فَائِزَةٌ مِنْكَ بِتَمَثُّلِ الْخَاطِرِ بِأَوْفَرِ
الْحُظِّ ^(٤) ، وَالْعَيْنُ نَازِعَةٌ إِلَى أَنْ تُتَمَعَ مِنْ لِقَائِكَ بِنَظَرِ اللَّحْظِ ^(٥)

(١) في الأصل «صاحب المظالم» ولعل ذلك الوهم سبى إلى هذه النسخة
لمراعاة السجع والجناس مع «ابن طاهر» وليس هذا التحريف من
جرائر تكلف السجع بيكر ولا نثي - وكذا في الأصل أبو «عبد الله»
وفي القلائد «صاحب المظالم أبو عبد الرحمن بن طاهر» وهذا هو الذي
أعرفه - وهو أبو عبد الرحمن محمد بن أحمد بن إسحاق بن طاهر من
أهل مرسية ، كان من بيوتات الرفعة والرياسة والسبابة ، ومن ذوى العناية
بالأدب كاتباً شاعراً ووجيهاً ، توفي سنة ٥٠٨ «أحمد يوسف نجاتي»

(٢) الجوامح : الضلوع تحت الرائب مما يلي الصدر كالضلوع مما يلي الظهر
جمع جانحه ، سميت بذلك لجنوحها على القلب ، ويكنى بما بين الجوامح عن
القلب (٣) جمع حنو «نكسر الحاء وفتحها» كل ما فيه اعوجاج أو شبهه
من البدن ، وشحط : بعد كثره (٤) مثل قوله :

يمثلك الشوق الشديد لناظري فأطرق إجلالا كأنك حاضر

(٥) في بعض النسخ «بظفر» بدل «بنظر» يريد أن يقول ان العين
تميل أن تظفر برؤيته عياناً ومشاهدة ، كما فازت النفس بتمثله تصورا ،
فهو بحيث يراه قلبه وان غيب شخصه عن عينه

يرينيك عين الذكر حتى كأنما أناجيك عن قرب وان لم تكن قربى

فَلَا عَائِدَةً^(١) أَسْبِغُ بُرْدًا ، وَلَا مَوْهَبَةً أَسْوَعُ وَرْدًا ،
 مِنْ تَفَضُّلِكَ بِالْخُفُوفِ^(٢) إِلَى مَأْنَسٍ يَتِمُّ بِمُشَاهَدَتِكَ
 السَّامَةِ ، وَيَتَّصِلُ بِمُحَاضَرَتِكَ أَنْتِظَامُهُ ، وَلَكَ فَضْلُ الْإِجْمَالِ^(٣) ،
 بِالْإِمْتِنَاعِ مِنْ ذَلِكَ بِأَعْظَمِ الْأَمَالِ ، وَأَنَا - أَعَزُّكَ اللَّهُ - عَلَى
 شَرَفِ سُودْدِكَ حَاكِمٌ ، وَعَلَى مَشْرِعِ سَنَائِكَ حَاطِمٌ^(٤) ،
 وَحَسْبِي مَا تَحَقَّقَهُ مِنْ نِزَاعِي وَتَشَوُّقِي ، وَتَتَبَّقَهُ مِنْ تَطَلُّعِي

ونحو هذا قول عبد الصمد بن العذل :

بأبي غائب بشوقي وفكري فيه ألقاه حين لا ألقاه
 مثلته التي لقلبي وطرفي فكأنني أراه اذ لا أراه

وقول عبد الملك بن سعيد المرادي :

يا أقرب الناس من وهمي ومن ذكرى

وان تغيب منه الشخص عن بصرى

ان غاب عني ولم أظفر برؤيته فانه قائم التمثال في فكري

والقول في هذا المعنى كثير جدا « أحمد يوسف نجاتي »

(١) العائدة: الفائدة والصلة، وأسبغ: أطول وأضفى ، يقول ان تفضله بحضوره

وشخصه يكون أحسن نعمة وأجمل منة وأنتم منحة يهبها الله للكاتب أو

الداعى (٢) فى الأصل « باللحوق » وخف الى الداعى اذا نهض الى اجابته

وأسرع الى تلبية دعوته (٣) أجمل : صنع جميلا وأسدى معروفًا (٤) حام

على الأمر اذا رامه وطلبه. والمشرع: المورد ، وحام الطائر حول الماء اذا دار

حوله من العطش ، والسناء: الشرف ، ومعنى هذه الفقرة كمعنى سابقتها ،

وفى القلائد « حالم » بدل حاكم ، وقد تكون محرفة عن « هائم » والأصل

« بشرف سوددك هائم » « أحمد يوسف نجاتي »

وَتَتَوَقَّى ، وَقَدْ تَمَكَّنَ الْإِرْتِيَاخُ بِاسْتِحْكَامِ الثُّقَّةِ ، وَأَعْتَزَّضَ
الْإِنْشِرَاحُ بِإِرْتِقَابِ الصَّلَةِ ^(١) ، وَأَنْتَ - وَصَلَ اللَّهُ سَعْدَكَ -
بِسَمَاحَةِ شَيْمِكَ ^(٢) ، وَبَارِعِ كَرَمِكَ ، تُنْشِئُ لِلْمُؤَانَسَةِ
عَهْدًا ، وَتُورِي بِالْمُكَارَمَةِ زَنْدًا ^(٣) ، وَتَقْتَضِي بِالْمُشَارَكَةِ
شُكْرًا حَافِلًا وَحَمْدًا ، لَا زِلْتَ مُهْنًا ^(٤) بِالسُّعُودِ الْمُقْتَبِلَةِ ^(٥)
مُسَوِّغًا ^(٦) أَجْتِلَاءَ غُرَرِ الْأَمَانِيِّ الْمُتَهَلِّلَةِ ، بِمَنْهَ . أَنْتَهَى .

« ثُمَّ قَالَ » بَعْدَ هَذَا يَلْسِيرُ مَا نَصُّهُ : وَرَكِبَ الْمُسْتَعِينُ ^{وصف الوزير}
بِأَلَلِهِ يَوْمًا نَهْرَ سَرَقُشْطَةَ يُرِيدُ طِرَادَ لَذَّتِهِ ^(٧) ، وَأُرْتِيَادَ نُرْهَتِهِ ^{ابعض نزه المستعين}

(١) في الأصل « واعترض الاقتراح باستحباب » وفي القلائد « واعترض
الاتراح بارتقاب » وفي بعض المراجع ما أثبتناه فأثرناه « أحمد يوسف نجاتي »
(٢) الشيمة: الطبيعة والخلق ، والسماحة: السهولة واللين (٣) أوري الزند
أو قده واستخرج ناره، ويكنى بإبراء الزناد عن النجاح والظفر وادراك
المرام وسرعة قضاء الحاجات ، والمكارمة المعاملة بالكرم ، وأصل المكارمة
أن تهدي الى الانسان شيئاً ليكافئك عليه، وهي مفاعلة من الكرم (٤) في
الأصل « مضئاً » وهو تصحيف (٥) اقتبل أمره استأنفه واستقبل
ما يأتي منه ، وفي بعض النسخ « المقبلة » (٦) سوغ فلان الطعام أو
الشراب ونحوها وأسأغه اذا هنأه وتمتع به خالصاً صافياً ، وسوغ له الشيء
أباحه وتركه يتمتع به ، واجتلى الهلال والعروس وغيرها اذا نظر اليهما
مجلولين، واجتلاها: عرضها عليه مجلوة ، وغرة الشيء مخالصة (٧) جهل لذته
كالصيد يطارده فيسر ببلوغه والوصول اليه :

وَأَفْتَقَادَ أَحَدٍ حُصُونِهِ الْمُنتَظِمَةِ بِلَبَّتِهِ^(١) ، وَاجْتَمَعَ لَهُ مِنْ
أَصْحَابِهِ ، مَنْ اخْتَصَّهُ لِاسْتِصْحَابِهِ ، وَفِيهِمْ أَبُو الْفَضْلِ
مُشَاهِدًا لِانْفِرَاجِهِمْ ، سَالِكًا لِمِنْهَاجِهِمْ ، وَالْمُسْتَعِينُ قَدْ
أَخْضَرَ مِنْ آلَاتِ إِيْنَاسِهِ ، وَأَظْهَرَ مِنْ أَنْوَاعِ ذَلِكَ وَأَجْنَاسِهِ ،
مَا رَاقَ مِنْ حَضَرَ ، وَفَاقَ حُسْنَهُ الرُّوضِ الْأَنْضَرَ ، وَالزَّوَارِقُ
قَدْ حَفَّتْ بِهِ ، وَالتَّفَّتْ بِجَوَانِبِهِ ، وَنَعَمَاتُ الْأَوْتَارِ تَحْبِسُ

لولا طراد الصيد لم تك لذة فطاردى لى بالوصال قليلا

هذا الشراب أخو الحياة وماله من لذة حتى يصيب عليلا

(١) افتقد الشيء إذا تعاهده وبحث عنه وأراد تعرف حاله ، واللابة موضع
القلادة من النحر ، جعل الحصون التى على النهر كحبات عقد انتظم فى
لبته - وقد أورد صاحب البدائع هذه الحكاية بأسلوب أحسن من هذا ،
قال : ركب المستعين يوما نهر سرقسطة لتفقد بعض معادله ، المنتظمة
بجيد ساحله ، وهو نهر رق مأؤه وراق ، وأرى على نيل مصر ودجلة
العراق ، قد اكتنفته البساتين من جانبيه ، وألقت ظلالها عليه ، فما تكاد
عين الشمس تنظر اليه ، هذا على اتساع عرضه ، وبعد سطح الماء من
أرضه ، وقد توسط زورقه زوارق حاشيته توسط البدر للهاله ، وأحاطت
به احاطة الطداوة بالغزالة ، وقد أعدوا من مكاييد الصيد ما استخرج ذخائر
الماء ، وأخاف حتى حوت السماء ، وأهله الهالات طالعة من الموج فى
سحاب ، وقانصة من بنات الماء كل طائفة كالشهاب ، فلا ترى الا صيودا
كصيد الصوارم ، وقدود الهازم ، ومعاصم الأبكار النواعم . فقال أبو الفاضل
ابن حيداي والطرب قد استهواه ، وبديع ذلك الم رأى قد استرق هواه .
الآيات . اهـ « أحمد يوسف نجاشى »

السَّائِرَ عَنْ عَدُوهِ ، وَتُخْرِسُ الطَّائِرَ الْمُفْصِحَ بِشَدْوِهِ ،
وَالسَّمَكَ تُشِيرُهَا الْمَكَائِدُ ، وَتَعْوِصُ إِلَيْهَا الْمَصَايِدُ ، فَتَبْرُزُ
مِنْهَا لِلْعَيْنِ ، قُضْبَانُ دُرٍّ أَوْ سَبَائِكَ لُجَيْنٍ ، وَالرَّاحُ لَا يُطْمَسُ
لَهَا لَمَعٌ ، وَلَا يُخَسُّ مِنْهَا بَصَرٌ وَلَا سَمْعٌ ، وَالْدَّهْرُ قَدْ
غَضَّتْ صُرُوفُهُ ، وَأَقْصَى مِنْ مُنْكَرِهِ مَعْرُوفُهُ ، فَقَالَ .

لِلَّهِ يَوْمٌ أُنِيقُ وَاصِحُ الْغُرَرِ
مُفَضَّضٌ مُذْهَبٌ إِلَّا صَالٍ وَالْبُكَرِ
كَأَنَّمَا الدَّهْرُ لَمَّا سَاءَ أُعْتَبْنَا

فِيهِ بُعْتِي وَأَبْدَى صَفْحٍ مُعْتَدِرِ
نَسِيرُ فِي زَوْرَقٍ حَفَّ السَّفِينُ بِهِ
مِنْ جَانِبَيْهِ بِمَنْظُومٍ وَمُشْتَرِ
مُدَّ الشَّرَاعُ بِهِ نَشْرًا عَلَى مَلِكٍ
بَذَّ (١) الْأَوَائِلَ فِي أَيَّامِهِ الْآخِرِ

هُوَ الْإِمَامُ الْهَمَامُ الْمُسْتَعِينُ حَوَى
عَلَيَّاءَ مُؤْتَمَنٍ فِي هَدْيٍ مُقْتَدِرِ

تَحْوِي السَّفِينَةَ مِنْهُ آيَةً عَجَبًا
بَحْرًا تَجْمَعُ حَتَّى صَارَ فِي نَهْرٍ
تُشَارُ مِنْ قَعْرِهِ النِّينَانُ^(١) مُصْعِدَةً
صَيْدًا كَمَا ظَفَرَ الْغَوَاصُ بِالذَّرَرِ

(١) في الأصل «تصاد» وفي القلائد والبدايع «تثار» وهي أحسن - والنينان الحيتان جمع نون ، وهو جمع غير معروف ، فإن كلمة «نون» لم يحى جمعها على نينان ، وقد كان الأخفش لحن بشار بن برد في قوله في وصف السفينة :
تلاعب نينان البحور وربما

رأيت نفوس القوم من جريها تجري

فغيره بشار بتيار البحور « وان لم ينج الأخفش من هجو بشار »
فانه لما بلغه طعن الأخفش قال : ويلي على القصار ابن القصارين متى
كانت اللغة والفصاحة في بيوت القصارين ؟! دعوني وإياه - فجزع الأخفش
جزعا شديدا وتشفع اليه أن يكف عنه غرب لسانه فقال : وهبت للذم
عرضه ، وحمل هذا الأخفش على أن يتملق بشارا فكان يحتج في كتبه
بشعره ليبلغه ذلك فيسكت عنه ، وكان قد بلغ بشارا عن سيبويه أيضا
شيء من ذلك فهجاه . ولكن هذا كله لم يمنع بشارا أن يخضع لقوانين
اللغة فعدل عما لم يسمع منها ، وان كنت أرى أنه قد يسهله « حوت وحياتان »
فهو مثله لفظا ووزنا ومعنى ، وقد قال أبو الطيب المتنبي يصف خيلا :

فهن مع السيدان في البر عسل وهن مع النينان في البحر عوم
السيدان جمع سيد وهو الذئب ، والعسل جمع عاسل « كرا كع ور كع »
من عسلان الذئب وهو الاسراع - ولم يعدل أبو الطيب عن نينان
« أحمد يوسف نجاتي »

وَلِلنَّدَامَى بِهِ عَبٌّ وَمُرْتَشَفٌ
كَالرَّيْقِ يَعْذُبُ فِي وَرْدٍ وَفِي صَدْرٍ
وَالشَّرْبُ فِي وَدٍّ مَوَّلَى خُلُقِهِ زَهْرٌ
يَذْكُو، وَغُرَّتُهُ أَبْهَى مِنَ الْقَمَرِ
انتهى



وصف الوزير
لأبي عبد
البطلبوسى

« وَقَالَ » فِي تَرْجَمَةِ الْعَلَّامَةِ الْكَبِيرِ الْأُسْتَاذِ أَبِي مُحَمَّدٍ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّيِّدِ الْبَطْلَبُوسِيِّ ^(١) شَارِحِ أَدَبِ الْكِتَابِ
وَسَقَطِ الزُّنْدِ وَغَيْرِهَا مَا صُوِّرَتْهُ : أَخْبَرَنِي أَنَّهُ حَضَرَ
مَعَ الْمَأْمُونِ بْنِ ذِي النُّونِ ^(٢) فِي مَجْلِسِ النَّاعُورَةِ بِالْمِنَةِ

(١) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد ، كان اماما في اللغة عالما بالآداب
مقدما في ذلك ، وتأليفه فيهما دالة على رسوخه واتساعه ، ونفوذه وامتداد باعه
منها الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ، وقد طبع بمصر ، وقد شرح سقط
الزند لأبي العلاء المعري شرحا استوفى فيه مقاصده ، وبين أسرار ودقائقه
وهو أجود من شرح أبي العلاء صاحب الديوان الذي سماه ضوء السقط
وله غير ذلك كثير - وله مع هذا اثر ونظم جيدان ، وفي قلائد العقيان شيء .
منهما مختار ، ولد ابن السيد سنة ٤٤٤ هـ وتوفي سنة ٥٢١ هـ بمدينة بلنسية .
« أحمد يوسف نجاتي » (٢) هو أبو الحسن يحيى بن الظافر اسمعيل بن
عبد الرحمن بن ذى النون الهوارى من ملوك الطوائف صاحب
طليطلة ، ولي الملك بعد أبيه سنة ٤٢٩ هـ واستفحل ملكه ، وعظم بين ملوك

الَّتِي تَطْمَحُ إِلَيْهَا أَلْمَنَى ، وَمَرَّ آهًا هُوَ الْمُقْتَرَحُ وَالْمُتَمَنَّى ،
وَالْمَأْمُونُ قَدْ أَحْتَيَ^(١) ، وَأَفَاضَ الْحُبَّ ، وَالْمَجْلِسُ يَرُوقُ
كَأَنَّ الشَّمْسَ فِي أَفْقِهِ ، وَالْبَدْرُ كَالْتَّاجِ فِي مَفْرِقِهِ^(٢) ،
وَالنَّوْرُ عَبَقٌ^(٣) ، وَعَلَى مَاءِ النَّهْرِ مُصْطَبِحٌ وَمُعْتَبِقٌ^(٤) ،
وَالدُّوْلَابُ يَنْتُ كَنَاقَةٍ^(٥) إِنْزِ الْحُورِ^(٦) ، أَوْ كَشَكْلِي مِنْ
حَرِّ الْأَوَارِ^(٦) ، وَأَجْوُ قَدْ عَنَبَرْتُهُ أَنْوَاؤُهُ^(٧) ، وَالرَّوْضُ قَدْ
رَشَّتْهُ أَنْدَاؤُهُ^(٨) ، وَالْأَسَدُ قَدْ فَعَرَّتْ^(٩) أَفْوَاهَهَا ، وَمَجَّتْ
أَمْوَاهَهَا ، فَقَالَ :

الطوائف سلطانه ، وغلب على بلنسية وقرطبة ، ونوفي سنة ٤٦٧ هـ فولى بعده
حفبه النادر يحيى بن اسمعيل بن المأمون يحيى بن ذى النون ، فملك
ادفوش ملك المريج منه مدينته سنة ٤٧٨ هـ . « أحمد يوسف تجاني » .
(١) احتى بالثوب : اشتمل ، أو جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها ،
وغرضه أنه جلس جلسة ارتياح ووقار ، وحبا فلانا أعطاه ومنحه ، والاسم
منه حبوة « مثناة » وجمعها حبا « نضم الحاء وكسرها » (٢) في الأصل
« كالشمس في أفقه ، والبدر في مفرقه » وآثرا ما في القلائد لظهور معناه
(٣) ذو رائحة دكية منتشرة (٤) الاصطباح : شرب الصباح ، والاعتباق
شرب المساء (٥) ولد الناقة (٦) أصل الأوار حرارة العطش وحر النار ،
مستعار لحرارة الحزن وجمرة نار النكحل (٧) جمع نوء أراد به المطر
(٨) جمع ندى (٩) فتحت - يريد الأسد الصناعية التي تنج أفواهها
للمياه ، وتمدم وصف مثل ذلك - ولعلك تخيلت وصف هذا المجلس الذي

يَا مَنْظَرًا إِنْ نَظَرْتُ بِهَجَّتِهِ أَذْكَرَنِي حُسْنَ جَنَّةِ الْخُلْدِ
 تُرْبَةٌ مِسْكٍ ، وَجَوْهُ عَنَبَةٍ وَغَيْمٌ نَدٍّ ، وَطَشٌ^(١) مَا وَرَدِ
 وَالْمَاءُ كَاللَّازَوَرْدِ قَدْ نَظَمَتْ مِنْهُ اللَّالِي فَوَاغِرُ الْأَسَدِ
 كَأَنَّمَا جَائِلُ الْحُبَابِ بِهِ يَلْعَبُ فِي جَانِبَيْهِ بِالنَّزْدِ^(٢)
 تَرَاهُ يَزْهُو إِذَا يَحِلُّ بِهِ أَرْ مَأْمُونُ زَهْوِ الْفَتَاةِ بِالْعَقْدِ^(٣)
 تَخَالُهُ إِنْ بَدَأَ بِهِ قَمَرًا تَمَّا بَدَأَ فِي مَطَالِعِ السَّعْدِ
 كَأَنَّمَا أُلْبِسَتْ حَدَائِقُهُ مَا حَازَ مِنْ شِيَمَةٍ وَمِنْ مَجْدِ
 كَأَنَّمَا جَادَهَا فَرَوْضَهَا بَوَائِلٍ مِنْ يَمِينِهِ رَغْدِ^(٤)

كان الاهتمام بالشرب واللاهو في مثله من أسباب ضياع الفردوس المفقود
 « أحمد يوسف نجاتي » (١) الطش المطر الضعيف، وهو فوق الرذاذ، وطشت
 السماء تطش « بالضم ، والكسر » ، وفي نسخة « رش » وهو في معنى طش
 (٢) الحباب : نفاخات الماء التي تطفو فوق سطحه ، والطل على الشجر يصبح
 عليه ، قال :

تخال الحباب المرتقى فوق نورها الى سوق أعلاها جمانا مبسدا

(٣) في نسخة « الكعاب » بدل الفتاة ، والكعاب هي الناهد التي ارتفع
 نديها ، وكعب الندى « كضرب ونصر » اذا تتأ ونهد (٤) جادها: أمطرها
 بغيثه . والوابل المطر الغزير « أحمد يوسف نجاتي »

لَا زَالَ فِي رِفْعَةٍ مُضَاعَفَةٍ
مُتَمِّمَ الرِّفْدِ وَارِيَ الزَّندِ^(١)

* *

« وَقَالَ » فِي وَصْفِ هَذَا الْمَجْلِسِ بَعِيْنِهِ فِي الْكِتَابِ
الَّذِي أَفْرَدَهُ لِتَرْجَمَةِ ابْنِ السَّيِّدِ مَا صُوِّرَتْهُ : فَمِنْ ذَلِكَ
أَنَّهُ حَضَرَ مَعَ الْقَادِرِ بِاللَّهِ بْنِ ذِي الثُّنُونِ بِمَجْلِسِ النَّاعُورَةِ
بِطَلَيْطَلَةَ فِي الْمُنِيَّةِ الْمُتَنَاهِيَةِ الْبَهَاءِ وَالْإِشْرَاقِ ، الْمُبَاهِيَّةِ
لِزَوْرَاءِ الْعِرَاقِ^(٢) ، الَّتِي يَنْفَحُ^(٣) شَذَاهَا الْعَطِرُ ، وَتَكَادُ
مِنَ الْغَضَارَةِ^(٤) تُمَطِّرُ ، وَالْقَادِرُ بِاللَّهِ - رَحْمَةُ اللَّهِ - قَدْ اتَّحَفَ
الْوَقَارَ وَأَرْتَدَاهُ ، وَحَكَّمَ الْعُقَارَ فِي جُودِهِ وَنَدَاهُ^(٥) ،

وصف آخر
للمجلس

(١) الرِّفْدُ العطاء ، « ووارى الزند » يكنى به عن النجاح والظفر في الأمور
وإدراك الآمال ، وسداد الرأي وحسن التوفيق (٢) تقدم التعريف بها
(٣) نفح الطيب « كمنع » إذا أريج وتضوعت رياه الذكية ، والشذى :
قوة ذكاء الرائحة الطيبة وحدثها (٤) الغضارة : النعمة والخير والسعة
والخصب والبهجة ، وغضارة العيش : طيبه ونضرتة. والفقرة « تكاد من
الغضارة تمطر » من شطرييت ، ومثل ذلك في بعض الرسائل (٥) كأنه ينظر
إلى قول عنتره :

فَإِذَا شَرِبْتَ فَانْتِ مَسْتَهْلِكٌ مَالِي ، وَعَرَضِي وَافِرٌ لَمْ يَكَمْ
وَإِذَا صَحَوْتَ فَمَا أَقْصَرَ عَنْ نَدَى وَكَمَا عَلِمْتَ شِمَائِلِي وَتَكْرَمِي

وَالْمَجْلِسُ يُشْرِقُ كَالشَّمْسِ فِي الْحَمَلِ^(١) ، وَمَنْ حَوَاهُ
يَنْتَهِي كَالنَّفْسِ عِنْدَ مَنَالِ الْأَمَلِ ، وَالزَّهْرُ عَبَقٌ ، وَعَلَى
مَاءِ النَّهْرِ مُصْطَبِحٌ وَمُعْتَبِقٌ ، وَالذُّلَابُ يَنْثُ كَنَاقَةٍ
إِثْرَ حُوَارٍ ، إِلَى آخِرِ مَا سَبَقَ

وصف آخر
للمجلس

« وَقَالَ الْفَضْلُ » فِي وَصْفِ هَذَا الْمَجْلِسِ حَاضِرًا حَدَوَ
الْفَتْحِ مَا صُورَتْهُ : حَضَرَ الْأُسْتَاذُ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ السَّيِّدِ
عِنْدَ الْمَأْمُونِ بْنِ ذِي الثُّنُونِ فِي بَعْضِ مُتَنَزِّهَاتِهِ فِي وَقْتِ
طَابَ نَعِيمُهُ ، وَسَرَتْ بِالسُّعُودِ نُجُومُهُ ، وَالرَّوْضُ قَدْ أَجَادَ
وَشْيَهُ رَاقِمُهُ^(٢) ، وَالْمَاءُ قَدْ جَرَتْ بَيْنَ الْأَغْشَابِ أَرَاقِمُهُ^(٣) ،
وَتَمَّ بِرُكَّةٍ مَمْلُوءَةٍ ، كَأَنَّهَا مِرْآةٌ مَجْلُوءَةٌ ، قَدْ اتَّخَذَتْ
سِبَاعُ الصُّفْرِ^(٤) بِشَاطِئِهَا غَابَا ، وَمَجَّتْ بِهَا مِنْ سَائِغِ

(١) تحمل الشمس في الحمل في أول فصل الربيع شباب الزمان وأبهى
فصول العام (٢) وشي الثوب : نقشه وزخرفته - ورقم الثوب وشاه وخططه
وأعلمه (٣) الأرقام من الحيات مافي لونه سواد وبياض ، أو هي حية بين
حيتين رقم بحمرة وسواد وكبرة وبغثة « بياض الى الخضرة » والبعثاء
أيضاً مثل الرقطاء ، وهي التي فيها سواد وبياض وبياضها أكثر من سوادها
والبعثة أيضا الغبرة ، ولون رمادي (٤) النحاس الأصفر « أحمد يوسف نجاتي »

أَلْمَاءُ لُعَابًا ، فَكَأَنَّهَا آسَادُ عَيْنٍ ، أَذْلَعَتْ ^(١) أَلْسِنَةً مِنْ
لُجَيْنٍ ، وَهِيَ لَا تَزَالُ تَقْدِفُ أَلْمَاءَ وَلَا تَقْتَرُ ^(٢) ، وَتَنْظِمُ
لَا إِلَى الْحَبَابِ بَعْدَ مَا تَنْشُرُ ، فَأَمْرُهُ بِوَصْفِ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ
الَّذِي تَخَذُ إِلَيْهِ ^(٣) رَكَائِبُ الْقُلُوبِ وَتُوضِعُ ، فَقَالَ بَدِيهَاً :
يَا مَنْظَرًا الْخ . انْتَهَى .

« ثُمَّ قَالَ الْفَتْحُ » فِي هَذَا التَّصْنِيفِ بَعْدَ كَلَامٍ فِي
الْمَذْكُورِ مَا نَصُّهُ : وَمَا أَبْدَعَ قَوْلَهُ فِي وَصْفِ الرِّاحِ ،
وَالْحِضِّ عَلَى النَّبْذِ لِلْهُمُومِ وَالْإِطْرَاحِ ، بِمُعَاطَاةِ كَاسِهَا ،
وَمُؤَالَاةِ إِيْنَاسِهَا ، وَمُعَاقَرَةِ دِنَانِهَا ^(٤) وَأَهْتِصَارِ ثَمَارِ الْفُتُوَّةِ ^(٥)

(١) دافع لسانه « كمنع » وأدلهه إذا أخرجه ، والعين الذهب واللاحيي الفضة
(٢) الفتور : الضعف والسكون عن النشاط ، والتعب (٣) في الأصل
« تجدد » ولكن « اتخذ » أنسب بما بعده : ووخذ « كوعد » أسرع ،
والوخذ أيضا : سعة الخطو في المشي - وأوضع عدا عدوا سريعا .
(٤) الدنان جمع دن ، اناء من آنية الخمر عظيم (٥) اهتمصر الفصن إذا
جذبه وأماله اليه ، والفتوة أصلها في اللغة الكرم والسخاء والاثار
ومكارم الاخلاق ، ثم استعمله المولدون بمعنى اللهو والغزل والبلل الى
أعمال الشباب ودواعي الهوى

مِنْ أَفْئَانِهَا ، وَالْإِعْرَاضِ عَنِ الْآيَامِ وَأَنْكَادِهَا ، وَالْجُرَى
فِي مَيْدَانِ الصَّبُورَةِ ^(١) إِلَى أَبْعَدِ آمَادِهَا :

سَلِّ الْهُمُومَ إِذَا نَبَا زَمَنٌ ^(٢)

بِمُدَامَةٍ صَفْرَاءَ كَالذَّهَبِ

مُزِجَتٌ ، فَمِنْ دُرٍّ عَلَى ذَهَبٍ

طَافٍ وَمِنْ حَبَبٍ عَلَى لَهَبٍ ^(٣)

وَكَأَنَّ سَاقِيهَا يُشِيرُ شَذَى

مِسْكِ لَدَى الْأَقْوَامِ مُنْتَهَبٍ

وَلِلَّهِ هُوَ! فَقَدْ نَدَبَ إِلَى الْمُنْدُوبِ ^(٤) ، وَذَهَبَ إِلَى مُدَاوَاةِ

الْقُلُوبِ مِنَ النُّدُوبِ ^(٥) ، وَإِثْرَائِهَا مِنَ الْآلَامِ ، وَإِهْدَائِهَا

كُلَّ تَحِيَّةٍ وَسَلَامٍ ، وَإِبْنَاهِجَهَا بِأَصَالٍ وَبُكْرٍ ، وَعِلَاجِهَا

مِنْ هُمُومٍ وَفِكْرٍ ، فِي زَمَنِ حُلَى عَاطِلُهُ ، وَجُلَى فِي أَحْسَنِ

(١) الصبورة جهلة الفتوة واللهم كالفتوة (٢) نبأ به الزمن: أساء اليه ولم

توافق صروفه (٣) يصف الفواقع البيض الطافية فوق السكاس (٤) ندبه

الى الأمر « كصر » دعاه وحشه ، والأمر المندوب المستحب والمطلوب

(٥) جمع ندبة « بفتح النون والdal » أثر الجرح على الجلد إذا لم

يرتفع عنه « أحمد يوسف نجاتي »

الصُّورِ بِأُطْلُهُ ، وَتَقَقَّتْ^(١) مُحَالَاتُهُ ، وَطَبَّقَتْ أَرْضُهُ وَسَمَاءُهُ
أُسْتِحَالَاتُهُ ، فَلَيْثُهُ كَاسِدٌ^(٢) ، وَذَيْبُهُ مُسْتَأْسِدٌ^(٣) ، وَأَضْغَاثُهُ^(٤)

(١) راجت وأقبل عليها الناس، والمحال الباطل، وما عدل به عن وجهه من الكلام، وطبق ملاً وعم. (٢) بائرضد نافق ورائج، وفعله «كنصر» وأقول: إذا كان يقول هذا في عصره فماذا يقول لو رأى ما نحن عليه الآن، وقد راج البهرج الزائف، وكسد الابريز الجيد المصق، وشالت كفة جيف خف وزنها، وثبتت رزينة الجواهر التي غلت قيمتها، واستخف أناس بعقول بعض الأغرار، وموهوا بمحالهم المزور على ذوى الغفلة الأشجار فكانت لهم سوق نافقة؟! أظنه كان يعلل نفسه بإيثاره حفظ كرامتها، وارضائه ضميره واخلاصه في عمله الذي لا بد أن ينم عنه، وثقته بأن الحق لا بد أن يظهر، فإن ضاع بين الناس لم يضع عند الله «أحمد يوسف نجاتي» (٣) استأسد أي صار كالأسد في جرائمه وأخلاقه، واستأسد عليه اجتراً (٤) في الأصل «وأضغاثه» تنسر، ولا بأس بها لولا ما يكون إذا في تنسر من التحريف أو تكلمب المعنى، ولولا أن السياق قد ينبوعنه، مع فوت الازدواج بين «أضغاث وبغات» وهو يتحرى ذلك، هذا إلى أن الفقرات كلها أمثال تضرب متشابة المعنى متشابهة الغرض - والأضغاث جمع ضغت، وهو ما كان مختلطاً لا حقيقة له من الخبر والأمر، وكل عمل مختلط غير خالص، وكلام ضغت لا خير فيه - والضغت الحلم الذي لا تأويل له ولا خير فيه لاختلاطه والتباسه، والضغت قبضة من قضبان مختلفة مختلطة الرطب باليابس جمعها أصل واحد - ونسر الشيء إذا نشره وفرقه، فالمعنى على ما في الأصل أن أضغاثه ظاهرة، وأحقاد أهله على النابغين مكشوفة، أو أن أخباره التافهة، وأعماله المختلطة الفاسدة، وأحاديثه الغثة غير الخالصة قد ظهرت وانتشرت. وأرى كل هذا تعسفا متكلفا، وعندى أن أصل الفقرة «وأضغاثه تفسر» فقد عرفت أن الأضغاث هي الأحلام الملتبسة المختلطة

تُسَرُّ ، وَبُغَاثُهُ قَدْ أُسْتَنْسَرَ^(١) ، فَلَا أُسْتِرَاحَةَ إِلَّا فِي
مُعَاطَاةٍ حَمِيًّا ، وَمُؤَاخَاةٍ وَسِيمٍ الْمُحْيَا . وَقَدْ كَانَ ابْنُ عَمَّارٍ^(٢)
ذَهَبَ مَذْهَبُهُ ، وَفَضَّضَهُ بِالْإِبْدَاعِ وَذَهَبَهُ ، حِينَ دَخَلَ
سَرَقُطَةَ وَرَأَى غِبَاوَةَ أَهْلِهَا ، وَتَكَاثَفَ جَهْلُهَا ، وَشَاهَدَ
مِنْهُمْ مَنْ لَا يَعْلَمُ مَعْنَى وَلَا فَصْلًا ، وَوَاصَلَ مَنْ لَا يَعْرِفُ قَطْعًا
وَلَا وَصْلًا ، فَأَقْبَلَ عَلَى رَاحِهِ يَتَعَاطَاهَا ، وَعَكَفَ عَلَيْهَا مَا
تَعَدَّاهَا وَلَا تَخَطَّاهَا ، حَتَّى بَلَغَهُ أَنََّّهُمْ نَقَمُوا مُعَاقَرَتَهُ الْعُقَارَ ،

والرؤيا المتداخلة التي لا يستقيم تأويلها ولا يصح تعبيرها ، فهو يقول انها
في هذا الزمان الفاسد قد فسرت ، فهو يشكو انقلاب الأحوال والانعكاس
الأوضاع ، فيكون مثل الفقرة قبله والفقرة بعده « أحمد يوسف نجاتي »
(١) البغاث صغار الطير وضعافه ، أو ضرب منه بطيء الطيران ، وهو من شرار
الطير ومما لا يصيد منها « و بغات يكون واحدا فيجمع على بغاثان ، ويكون
جمعا لبغاثه » واستنسر صار كالنسر في القوة عند الصيد بعد أن كان من
ضعاف الطير وأرداله . وهو مثل يضرب للضعيف يصير قويا ، وللدليل يصبح بعد
الهوان عزيزا « وقد يستعمل بمعنى أن من جاورنا عز بنا ، أو أن الضعيف
يستضعفنا ويظهر قوته علينا » والمعنى الأول هو المراد هنا (٢) هو ذو
الوزارتين أبو بكر محمد بن عمار الشاعر الأديب المشهور ، كان وزيرا
للمتمد بن عباد ، وجعله أميرا على بعض البلاد ، ولكنه شق عصا الطاعة
على ولي نعمته ، وبعد حوادث معروفة قتله المتمد سنة ٤٧٧ ومضى شيء
من سيرته ، ويأتي حديث عنه . « أحمد يوسف نجاتي »

وَجَالَتْ أَلْسِنَتُهُمْ فِي تَوَيِّخِهِ مَجَالَ ذِي الْفَقَارِ^(١) ، فَقَالَ :

تَقَمُّمٌ عَلَى الرَّاحِ أَذْمِنُ شُرْبَهَا

وَقُلْتُمْ : فَتَى رَاحٍ وَيَسَ فَتَى مَجْدٍ

وَمَنْ ذَا الَّذِي قَادَ الْجِيَادَ إِلَى الْوَغَى

سِوَايَ؟ وَمَنْ أَعْطَى كَثِيرًا وَلَمْ يَكْدِ^(٢)؟

فَدَيْتُكُمْ لَمْ تَفْهَمُوا السَّرَّ ، إِنَّمَا

فَلَيْتُكُمْ^(٣) جُهْدِي فَأَبْعَدْتُكُمْ جُهْدِي

وَدُعِيَ ابْنُ السَّيِّدِ لَيْلَةً إِلَى مَجْلِسٍ قَدْ اخْتَشَدَ فِيهِ

الْأَنْسُ وَالطَّرَبُ ، وَقَرَعَ فِيهِ السُّرُورُ نَبْعَةً بِالْغَرْبِ^(٤) ،

(١) ذو الفقار سيف مشهور كان للعاص بن منبه « بن الحجاج بن عامر ابن حذيفة بن سعد بن سهم » ثم قتل يوم بدر كافرا ، قتله سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأخذ سيفه هذا ، وفيه قيل :

لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي

والغرض هنا أنهم سلقوا ابن عباد بالسنة حداد كهذا السيف (٢) أكدى أي بخل بالعطاء وقل خيره (٣) قلاه يقلبه : أبغضه وكرهه غاية الكراهة فتركه (٤) سبق شرح النبع والغرب ، والغرض أنه كان للسرور حرب قامت على ساقها ، وميدان جال فيه كل مجال ، وقال الشاعر :

فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه ببعض أبت عيدانه أن تكسرا

وقال أبو الطيب :

وَلَا حَتَّ نُجُومٌ أَكْوَاسِهِ^(١) ، وَفَاحَ نَسِيمُ رَنْدِهِ وَآسِهِ^(٢) ،
وَأَبْدَتْ صُدُورُ أَبَارِيقِهِ أُسْرَارَهَا^(٣) ، وَضَمَّتْ عَلَيْهِ

فلا تنلك الليالى ان أيديها اذا ضربن كسرن النبع بالغرب
يريد أن يدعوه بالآتناله الليالى ، فانها اذا ضربت كسرت القوى بالضعيف
(١) كذا بالأصل ، ولم يجمع « كاس » على أكواس ، وأظنها محرفة عن
« كئاس » أو كياس بقلب الالف التى أصلها واو ياء ، فقد سمع هذا الجمع
كما سمع أكؤس وكؤوس وكاسات - وتشبيه الراح وكاساتها وحبابها
بالنجوم كثير فى كلامهم ، ومنه :

نجوم الراح قد طلعت نهارا ونحن من المسرة فى ورود
وماء النيل زوج بالحميا فهل لك أن تكون من الشهود؟
ولابن الفارض :

لها البدر كاس ، وهى شمس يديرها هلال ، وكم يبدو اذا مزجت نجم
(٢) الرند شجر بالبادية طيب الرائحة ، وقد يسمون العود الذى يتبخر به
رندا - والآس معروف ، وهو بأرض العرب كثير ، وخضرته دائمة أبدا ،
ولهذا قيل :

الآس يبقى وان طال الزمان به والورد يفنى ولا يبقى على الزمن
وقال آخر :

أرى عهدكم كالورد ليس بدائم ولا خير فيمن لا يدوم له عمر
وعهدى لكم كالآس حسنا ومنظرا له بهجة تبقى اذا فنى الدهر
وقال آخر :

خليلى ماس الآس يعبق نشره اذا هب أنفاس الرياح العواطر
حكى لونه أصداع ريم معذر وصورته آذان خيل نوافر
(٣) مما قيل فى أباريق المدام قول ابراهيم الموصلى :

كأن أباريق المدام لديهم طباء بأعلى الرقتين قيام •
وقد شربوا حتى كأن رقابهم من الالين لم تخلق لهم عظام

الْمَحَاسِنُ ^(١) أَزْرَارَهَا ، وَالرَّاحُ يُدِيرُهَا أَهْيَفُ ^(٢) أَوْطَفُ ،
وَالْأَمَانِيُّ تُجْنَى وَتُقْطَفُ ، فَقَالَ :

يَا رَبَّ لَيْلٍ قَدْ هَتَكْتُ حِجَابَهُ
بِمُدَامَةٍ وَقَادَةٍ كَالْكَوْكَبِ
يَسْعَى بِهَا أَخْوَى الْجُفُونِ كَأَنَّهَا
مِنْ خَدِّهِ وَرُضَابٍ فِيهِ الْأَشْنَبُ ^(٣)
بَدْرَانِ : بَدْرٌ قَدْ أَمِنْتُ عُزُوبَهُ
يَسْعَى يَبْدُرُ جَانِحٍ لِلْمَغْرِبِ ^(٤)

ولآخر :

كأن ابريقنا والراح في فمه طير تناول ياقوتا بمنقار
(١) في الأصل « المجالس » فالضمير في عليه يرجع الى ابن السيد (٢) الهيف
ضمير البطن ورقة الحاصرة ، والوطف كثرة شعر الحاجبين والعينين والأشفار
مع استرخاء وطول ، وفتى أوطف وغادة وطفاء اذا كانا طويلي شعر أهداب
العينين مع كثرتة وسواده (٣) الحوة : السواد ، والشنب ماء ورقة تجري
على الثغر مع برد وعذوبة في الفم (٤) البدر الاول محبوبه ، والثاني الراح
تغرب في فم الشارب ، ومثله قول الشاعر من أبيات في نجوم الكؤوس
طالعات مع السقاء علينا فاذا ما غربن يغربن فينا
وقال ابن الصائغ :

سقيلا لا يامنا ما كان أطيبها وان نسيت فما أنسى ليالينا
حيث الكؤوس على الندما ن دائرة مثل الكواكب والأبراج أيدينا

فَإِذَا نَعِمْتَ بِرَشْفٍ بِدْرِ غَارِبٍ
فَإَنَّمْ بِرَشْفَةٍ طَالِعٍ لَمْ يَغْرُبِ^(١)
حَتَّى تَرَى زُهْرَ النُّجُومِ كَأَنَّهَا
حَوْلَ الْمَجَرَّةِ رَبَّ رَبٍّ فِي مَشْرَبِ^(٢)
وَاللَّيْلُ مُنْفَجِرٌ يُطِيرُ غُرَابَهُ وَالصُّبْحُ يُطْرِدُهُ بَيَازٍ أَشْهَبَ^(٣)

تبدو فتحرق شيطان الهموم وما زال الكواكب يحرقن الشياطينا
وقال عبد الرحمن القرشي الأموي الطليق « وتقدم التعريف به » .
أصبحت شمساً وفوه مغرباً ويد الساقى المحي مشرقاً
فإذا ما غربت في فوه أطلعت في الحد منه شفقاً
(١) في معنى هذا :

يد من يده خمرًا ومن فوه شهدا به لنفوس القوم لذات
فقت أشرب من فيه وخمرته شراباً تشن به في العقل غارات
(٢) الرب رب : القطيع من بقر الوحش أو من الأطباء (٣) منفجر من
الفجر وهو ضوء الصباح أو حمرة الشمس في سواد الليل ، وقد انفجر
الليل عن الصبح وانفجر الصبح - وفي نسخة « منحفر ، ومحتفر » من
حفزه يحفزه إذا دفعه وأزعجه وأعجله وحته ، وحفر الليل النهار أي حته
وساقه ، واحتفر فهو محتفر أي مستعجل مستوفز يريد النهوض مسرعاً
واحتفر في مشيته إذا احتث واجتهد ، وفي هذا المعنى قول ابن المعتز :
كأننا وضوء الصبح يستعجل الدجا نظير غراباً ذا قوادم جون
والشبهة : بياض يصدعه سواد في خلاله - يقول انه لا يزال يشرب وينعم
بخمرتي الشراب والرضاب حتى تتحدر النجوم مغربة ، ويطرده بازى
النهار غراب الليل . « أحمد يوسف نجاتي » .

« ثُمَّ قَالَ الْفَتْحُ » بَعْدَ كَلَامٍ كَثِيرٍ مَا صُورَتْهُ : وَدَخَلَ
 - يَعْنِي ابْنَ السَّيِّدِ - سَرَقُشْطَةَ أَيَّامِ الْمُسْتَعِينِ وَهِيَ جَنَّةُ
 الدُّنْيَا ، وَفِتْنَةُ الْمَحْيَا ، وَمُنْتَهَى الْوَصْفِ ، وَمَوْقِفُ الشُّرُورِ
 وَالْقَصْفِ ، مَلِكٌ تَمِيرٌ^(١) الْبَشَاشَةِ ، كَثِيرُ الْهَشَاشَةِ ، وَمُلْكٌ
 أَبْهَجٌ^(٢) الْفِنَاءِ ، أَرْجُ الْأَرْجَاءِ ، يَرْوِقُ الْمُجْتَلَى^(٣) ، وَيَفُوقُ
 النَّجْمَ الْمُعْتَلَى ، وَحَضِيرَةٌ^(٤) مُنْسَابَةُ الْمَاءِ ، مُنْجَابَةٌ^(٥) السَّمَاءِ ،
 يَبْسِمُ زَهْرُهَا ، وَيَنْسَابُ نَهْرُهَا ، وَتَفْتَحُ خُمَائِلُهَا^(٦) ، وَتَتَضَوِّعُ
 صَبَاهَا وَشَمَائِلُهَا^(٧) ، وَالْحَوَادِثُ لَا تَعْتَرِضُهَا ، وَالْكَوَارِثُ
 لَا تَفْتَرِضُهَا^(٨) وَنَازِلُهَا مِنْ عُرْسٍ إِلَى مَوْسِمٍ ، وَآمِلُهَا مُتَّصِلٌ

(١) مستعار من الماء النخير وهو الناجع في الري الهنيء ، والعذب الصافي
 (٢) قد تكون « بهج » الموازنة للصفة أرج ، أو بهيج ، وأرج الطيب
 « كفرح » فهو أرج إذا توهجت رائحته وتضوعت نفحته ، وبهيج
 بالشيء « كفرح » سر به ، والبهجة : ضحك أسارى الوجه وظهور الفرح
 دائما ، ورجل بهج أى مبتهج بأمر يسره (٣) أى يعجب من يشاهد حسنه
 ويسره (٤) قد تكون « حضرة » أى مدينة - أما الحضيرة فهي المياه
 يحضرها الناس (٥) منكشفة ساطعة (٦) جمع خميلة : وهي الشجر الكثير
 اللثف الكثيف ، وتضوع الطيب : انتشرت رائحته الذكية (٧) جمع شمال
 (٨) إمله مجاز من فرض الشيء وافترضه إذا حزه بأسنانه وعضه وأثر فيه.
 والغرض الحز في الشيء والقطع ، يريد أن مصائب الدهر ونوائبه لم تنل

بِالْأَمَانِيِّ وَمُتَّسِمٌ، قَتَزَلَ مِنْهَا فِي مِثْلِ الْخُورْتَقِ وَالسَّيْرِ^(١)،
وَتَصَرَّفَ فِيهَا بَيْنَ رَوْضَةٍ وَغَدِيرٍ، فَلَمْ يَخَفْ عَلَى الْمُسْتَعِينِ
اِخْتِلَالَهُ، وَلَمْ تَخَفْ لَدَيْهِ^(٢) خِلَالَهُ، فَذَكَرَهُ مُعَلِّمًا بِهِ
وَمُعَرِّفًا، وَأَخْضَرَهُ مُنَوَّهًا^(٣) بِهِ وَمُشَرِّفًا، وَقَدْ كَانَ فَرَّ
مِنْ ابْنِ رَزِينٍ^(٤) فِرَارَ الشُّرُورِ مِنْ نَفْسِ الْحَزِينِ، وَخَلَصَ

منها ولم تؤثر فيها تأثيرا يذهب بيهبتها ويضعف من حسنها ونضرتها،
وفي الحديث في صفة السيدة مريم عليها السلام: «لم يفترضها ولد» أي
لم يؤثر فيها ولم يحزها قبل مولد روح الله عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام،
وقد تكون «يفترضها» بالقاف من قرضه اذا قطعه، واقترض عرضه
اذا اغتابه، لأن الغتاب كأنه يقطع من عرض أخيه، ومنه الحديث:
«عباد الله رفع الله عنا الحرج الا من اقترض امرأ مسلما»، وفي رواية
الا من اقترض عرض مسلم، أراد قطعه بالغيبة والطعن عليه والنيل منه، فمآل
المادتين واحد، وهذا التكلف ارضاء للموازنة والازدواج في فقرتي السجعتين
وتوخى الجناس والتزام مالا يلزم «في حوادث وكوراث»، تعترض،
وتفترض «وما بمثل هذا يحسن البديع ويعذب» أحمد يوسف نجاتي «
(١) تقدم القول في هذين القصيرين (٢) يريد لم يخف ميزانها لديه
بل أكبرها واعتد بها - وقد تكون «لم تخف» من الخفاء لولا تكرار
المعنى وكراهة الايطاء (٣) نوه به اذا أشاد بذكره ورفع قدره وشهره
وقد تكون «لم تخف» وقد تكون الفقرة الأولى ولم يخف.. اختلاله
(٤) ابن رزين من ملوك الطوائف، وكان بنو رزين قد استبدوا بالسفلة
من ثغور الأندلس، وأول من ملك منهم مؤيد الدولة هذيل بن خلف
ابن رزين في أوائل المائة الخامسة بدعوة هشام المؤيد، وأصله بربري

مِنْ أَعْتَقَالِهِ ، خُلُوصَ السَّيْفِ مِنْ صِقَالِهِ ^(١) ، فَقَالَ يَمْدَحُهُ :
 هُمُ سَلَبُونِي حُسْنَ صَبْرِي إِذْ بَانُوا
 بِأَقْمَارِ أَطْوَاقٍ مَطَالِعُهَا بَانَ ^(٢)
 لَيْنٌ غَادَرُونِي بِاللَّوَى إِنَّ مُهْجَتِي
 مُسَايِرَةٌ أَطْعَانَهُمْ حَيْثَمَا كَانُوا
 سَقَى عَهْدَهُمْ بِالْحَيْفِ ^(٣) عَهْدُ غَمَائِمٍ
 يَنَازِعُهَا مُزْنٌ مِنَ الدَّمْعِ هَتَاتٌ
 أَأَحْبَابَنَا هَلْ ذَلِكَ الْعَهْدُ رَاجِعٌ ؟
 وَهَلْ لِي عَنْكُمْ آخِرُ الدَّهْرِ سُؤْلَانٌ ؟

ومولده بالأندلس ، وتلقب مؤيد الدولة وتوفي سنة ٤٥٠ هـ فولى بعده ابنه عبد الملك بن خلف ، وكان أديبا شاعرا بليغا ، وتلقب حسام الدولة ، وكان ذو الرياستين أبو مروان ملك السهلة هذا واسطة عقد بني رزين ، ودره تاجهم وغرة جبينهم « وكان يلي الثغر ويملك الى أول أعمال طليطلة » وكان كريما شجاعا جريئا ، وكانت دولته محط رجال الشعراء ورجال البيان ، ولكنه كان سريع الغضب شديد البادرة حاد السورة ، وهو الذي فر ابن السيد من سجنه ناجيا بنفسه ، ثم ولى بعده ابنه حسام الدولة ، ولم يزل أميرا عليها الى أن ملكها المرابطون عند تغلبهم على الأندلس وقد تقدم ذكر لبني رزين ملوك السهلة في الأجزاء السابقة « أحمد يوسف نجاتي » . (١) صقل السيف جلاه ، والاسم الصقال (٢) أقمار لأطواق يريد بها الوجوه ، ويريد بالبان القدود شبهها بأغصان البان في الاعتدال واللين والثنى والانعطاف والنعمة والرونق . (٣) الحيف بمنى وبه سمي مسجد الحيف ، وفيه يقول نصيب أو المجنون

وَلِي مُقَلَّةٌ عِبْرَى^(١) وَبَيْنَ جَوَانِحِي
 فُوَادٌ إِلَى لُقْيَاكُمْ الدَّهْرَ حَنَانُ
 تَنَكَّرَتِ الدُّنْيَا لَنَا بَعْدَ بَعْدِكُمْ
 وَحَفَّتْ بِنَا مِنْ مُعْضِلِ الْخُطْبِ الْوَانُ
 أَنَاخَتْ بِنَا فِي أَرْضِ شَنْتَمَرِيَّةٍ^(٢)
 هَوَاجِسُ ظَنِّ خَانَ ، وَالظَّنُّ خَوَّانُ
 وَشِمْنَا بُرُوقًا لِلْمَوَاعِيدِ أَتَعَبْتُ
 نَوَاطِرَنَا دَهْرًا ، وَلَمْ يَهْمِ تَهْتَانُ^(٣)
 فَسِرْنَا وَمَا نَلَوِي عَلَى مُتَعَذِّرٍ
 إِذَا وَطَنُ أَقْصَاكَ آوَتْكَ أَوْطَانُ^(٤)

ولم أر ليلي بعد موقف ساعة بخيف مني ترمي جمار المحصب
 والهتان : السائل بكثرة وغزارة (١) تفيض بالعبرات أي الدموع (٢) شنت
 مرية : حصن كان من أعمال شنتبرية ، وكانت شنتمرية من أعمال ابن
 رزبن (٣) في الأصل « هتان » فتكون مكررة في القافية مع البيت
 الثالث من القصيدة ، فأثرنا أن تكون مصحفة عن « تهتان » من
 هتنت السماء إذا انصب مطرها (٤) يقال مر ما يلاوي على أحد أو على شيء
 أي لم يعطف ولم يحم ، وما انتظر ولا تحبس ، وفي معنى البيت :
 وفي الأرض منأى كريم عن الأذى وفيها لمن خاف القلى متمزل

وَلَا زَادَ إِلَّا مَا أُنتَشَتْهُ مِنَ الصَّبَا
 أَنْوْفٌ، وَحَازَتْهُ مِنَ الْمَاءِ أَجْفَانُ^(١)
 رَحَلْنَا سَوَامَ الْحَمْدِ مِنْهَا لِغَيْرِهَا
 فَلَا مَاؤُهَا صَدَى، وَلَا النَّبْتُ سَعْدَانُ^(٢)

(١) نشاريحاطيبة ، ونشى نشوة وانتشى وتنشى اذا شمها - يقال لم يخرج بزاد الا بالنسيم يشمه بدل الطعام ، وبالماء ادخره دمعا في أجفانه عوضا من الشراب ، وكأنه يشير من طرف خفي بعجز البيت الى قول الشاعر:
 ترفق بدمعك لاتفنه فبين يديك بكاء طويل

(٢) السوام فى الاصل الابل السائمة أى التى ترسل لترعى ، وفى الاصل سوام «الحمر» بدل «الحمد» وفى نسخة «الحمر» وهو تصحيف، فهو يقول ان مدينة شتمرية لما نبت به رحل عنها ولم يحمدها وآثر بالحمد مدينة حملته وصدق فيها ظنه وتحقق رجاؤه ، وأشار بعجز البيت الى المثل المشهور:
 « ماء ولا كصداء ومرعى ولا كالسعدان »

وصدء ركية لم يكن عندهم ماء أعذب من مائها . وفيها يقول ضرار السعدى
 يرى دون برد الماء هولا وذادة اذا اشتد صاحوا قبل أن يتحجبا
 وانى وتهيامى بزيب كالذى تطلب من أحواض صدء مشربا
 يريد أنه لا يصل اليه الا بالمزاحمة لفرط حسنها ، كالذى يرد هذا الماء فانه يزاحم عليه الوارد لفرط عذوبته. وتحجب أى روى - والسعدان من أنجع المراعى، ولا تحسن الماشية على نبت حسنها عليه . قال النابغة :

الواهب المائة الا بكار زينها سعدان توضح فى أوبارها اللبد

والمثلان يضربان للشئ يفضل على أقرانه وأشكاله « أى هذا مرعى جيد وليس فى الجودة مثل السعدان » فيضرب كذلك للشئين أو الرجلين لهما فضل الا أن أحدهما أفضل . « أحمد يوسف نجاتى » .

إِلَى مَلِكٍ حَابَاهُ بِالْمَجْدِ يُوسُفُ
 وَشَادَ لَهُ الْبَيْتَ الرَّفِيعَ سُلَيْمَانُ^(١)
 إِلَى مُسْتَعِينٍ بِالْإِلَهِ مُؤَيَّدٍ
 لَهُ النَّصْرُ حِزْبُ، وَالْمَقَادِيرُ أَعْوَانُ
 جَفَّتْنَا بِلَا جُرْمٍ كَأَنَّ مَوَدَّةً
 تَنَى نَحْوَنَا مِنْهَا الْأَعِنَّةَ شَنَانُ^(٢)

(١) في البيت تورية في اسمي « يوسف، سليمان » وأراد جد المستعين أبا أيوب سليمان بن محمد بن هود « بن عبدالله بن موسى مولى أبي حذيفة الجذامي نسبا » وكان سليمان متغلبا على مدينة سرقسطة سنة ٤٣١ وتلقب المستعين ، واستفحل ملكه وقوى سلطانه ، وتوفي سنة ٤٣٨ - وأراد « بيوسف » يوسف المؤمن ، وهو أبو المستعين المدوح « وهو يوسف المظفر بن أحمد المقتدر بن سليمان بن محمد بن هود » وتوفي المؤمن سنة ٤٧٨ فولى بعده ابنه أحمد المستعين هذا « ولم يزل أميرا بسرقسطة حتى توفي شهيدا سنة ٥٠٣ في زحف ملك الفرنج اليها ، وقد سبق أن تكلمنا على بني هود وملكهم وتاريخ كل منهم فيها - والمورى بهما نبيا الله يوسف وسليمان عليهما السلام ، ولا يخفى مناسبة يوسف للمجد ، وسليمان للبناء الرفيع ، فالتورية مرشحة بذكر ما يلائم المعنى القريب المورى به .
 « أحمد يوسف نجاتي » (٢) الجرم الذنب ، والشنان البغض والكراهية - يقول كأن مودته كانت سببا لجلب البغض له ، فجاءه الضر من حيث كان يرجو النفع ، فقد جوزى كراهة عن مودة ، وبغضا عن محبة

وَلَوْ لَمْ تُقَدِّمْنَا سِوَى الشَّعْرِ وَخَدَهُ
لَحَقَّ لَنَا بِرُّ عَليهَا وَإِحْسَانُ^(١)
فَكَيْفَ وَلَمْ نَجْعَلْ بِهَا الشَّعْرَ مَكْسَبًا
فَيُوجِبَ لِلْمُكْدِيِّ جَفَاءً وَحِرْمَانُ^(٢) !
وَلَا نَحْنُ مِمَّنْ يَرْتَضِي الشَّعْرَ خُطَّةً
وَإِنْ قَصُرَتْ عَنْ شَأُونَا فِيهِ أَعْيَانُ^(٣)
وَمَنْ أَوْهَمَتْهُ غَيْرَ ذَلِكَ ظُنُونُهُ
قَتْمٌ مَجَالٌ لِلْمَقَالِ وَمَيْدَانُ

(١) في الأصل « لحن لنا بر عليه .. » وهو تصحيف ، يريد أن المدينة التي
نبت به وجفته بغير ذنب لو لم يكن له عليها إلا أنه زانها بجيد شعره وأقام فيها للأدب
سوقاً وافقة كان حقاً عليها أن تعد ذلك منه براً بها واحساناً اليها ، وفضلاً
يسترجب به الحب والشكر ، لا القلي والمهجر . « أحمد يوسف نجاتي »
(٢) أكدي الرجل اذا بنخل أو قل خيريه ، وسأله فأكدي : أي وجده
بنخيلاً كالصخرة لا تبل صفاته ولا تندي بناته ، وأكدي اذا ألح في المسألة
والمكدي من الرجال من لا يثوب له مال ولا ينمي ، وأكدي خاب ، وأنسب
المعاني للمكدي هنا السائل الملحف في الطلب ، يقول لم نكن ممن يتكسب
بالشعر ويسأل الناس به حتى كان يستوجب الجفاء والحرمان بالخافه
والحاحه وإراقه ماء وجهه ، وجعل الشعر تجارة كاسدة ساقطة القدر (٣) الشأو:
الغاية واللامد والسبق « أحمد يوسف نجاتي »

خَلِيلِي مَنْ يُعْدِي عَلَى زَمَنِ لَهُ
 إِذَا مَا قَضَى حَيْفٌ عَلَى وَعْدُوانٍ^(١)؟
 وَهَلْ رِيٍّ مِنْ قَبْلِي غَرِيقٌ مَدَامِعِ
 يَفِيضُ بِعَيْنَيْهِ الْحَيَا وَهُوَ حَرَّانٌ^(٢)؟
 وَهَلْ طَرَفَتْ عَيْنٌ لِمَجْدٍ وَلَمْ يَكُنْ
 لَهَا مُقَلَّةٌ مِنْ آلِ هُودٍ وَإِنْسَانٍ^(٣)؟
 بَوَجْهِ ابْنِ هُودٍ كُلَّمَا أَعْرَضَ الْوَرَى
 صَحِيفَةً إِقْبَالَ لَهَا الْبَشْرُ عُنْوَانُ
 فَتَى الْمَجْدِ، فِي بُرْدِيهِ بَدْرٌ وَضَيْغَمٌ
 وَبَحْرٌ وَقُدْسٌ ذُو الْهَضَابِ وَتَهْلَانُ^(٤)
 مِنَ النَّفْرِ الشَّمِّ الَّذِينَ أَكْفَهُمْ
 غِيُوثٌ، وَلَكِنْ الْخَوَاطِرَ نِيرَانُ^(٥)

- (١) الحيف : الجور والظلم ، وأعداءه اذا نصره وأعانه
 (٢) ومن عجب أني أروى ديارهم وحظي منها حين أسألهما الصدى
 والحيران الشديد العطش (٣) طرفت عينه الى الشيء اذا نظرت اليه
 وانصرف نحوه (٤) قدس جبل عظيم بأرض نجد ، وتهلان جبل ضخيم
 بالعالية ، وصف ممدوحه بالرفعة والشرف وعلو القدر والبهاء والإشراق ،
 وبالشجاعة والكرم ، وبالوقار والحلم والرزاة والثبات (٥) الشم : جمع

لِيُوثُ شَرِّى مَا زَالَ مِنْهُمْ لَدَى الْوَعَى
 هَزَبَرٌ يُمْنَاهُ مِنَ السَّمْرِ ثُعْبَانٌ^(١)
 وَهَلْ فَوْقَ مَا قَدْ شَادَ مُقْتَدِرٌ لَهُمْ
 وَمُؤْتَمَنٌ بِاللَّهِ لُقْيَاهُ إِيْمَانٌ^(٢)
 أَلَا لَيْسَ فَخْرٌ فِي الْوَرَى غَيْرُ فَخْرِهِمْ
 وَإِلَّا فَإِنَّ الْفَخْرَ زُورٌ وَبُهْتَانٌ
 فَيَا مُسْتَعِينًا مُسْتَغَاثًا لِمَنْ نَبَا
 بِهِ وَطَنٌ يَوْمًا وَعَظَّةٌ أَرْمَانٌ^(٣)

أشم، أى ذوى الأبناء ورفيع الذكر وعلو القدر . ومعنى البيت - وان كان المدح هنا بالكرم وسرعة الخاطر وتوقد الذكاء - قريب من قول البحترى : وصاعقة من نضله تنسكى بها على رأس الاقران خمس سحائب يكاد الندى منها يفيض على العدا لدى الحرب فى ثنى قنا وقواضب (١) شرى اسم مأسدة قال :

أسود شرى لاقت أسود خفية تساقوا على حرد دماء الأشاود وخفية موضع تكثر أسده، والحرد الغضب، أراد بالسمر الرماح تتثنى فى أيديهم للينها، وجعلها ثعابين لذلك ولأنها سم للأعداء، والهزبر الأسد، وفى الأصل « السم » بدل السمر وهو تصحيف وان كان غير بعيد « أحمد يوسف نجاتى » . (٢) سبق التعريف بالمقتدر والمؤمن قريبا (٣) نيا به الوطن اذا لم يوافقه ولم ينل غرضه فيه ويروى « فيا مستعينا مستعانا . . . » « أحمد يوسف نجاتى »

كَسَوْتُكَ مِنْ نَظْمِي قِلَادَةَ مَفْخَرٍ
يُبَاهِي بِهَا جِيدُ الْمَعَالِي وَيَزْدَانُ
وَإِنْ قَصَّرْتُ عَمَّا لَبِستَ فَرُبَّمَا
تَجَاوَرَ دُرٌّ فِي النِّظَامِ وَمَرْجَانُ^(١)
مَعَانٍ حَكَتْ غُنْجَ الْحَسَانِ ، كَأَنِّي
بِهِنَّ حَبِيبٌ أَوْ بَطْلِيُوسَ بَغْدَانُ^(٢)
إِذَا غَرَمْتَ كَفَاكَ غَرَسَ مَكَارِمِ
بَارُضِي أَجْتَنِكَ^(٣) الثَّانِمَةُ أَغْصَانُ

وصف مجلس
لأبي عيسى
ابن لبون

« وَقَالَ » فِي وَصْفِ مَجْلِسِ لِأَبِي عَيْسَى بْنِ لَبُونِ^(٤)

(١) كَأَنَّهُ يَقُولُ :

وَلَمْ أَمْدَحْكَ تَفْخِيماً لَشَعْرِي وَلَكِنِّي مَدَحْتُ بِكَ الْمَرْجَحَا
أَوْ يَقُولُ :

وَمَا بَلَغَ الْمُثَنُّونَ فِي النَّاسِ مَدْحَةً وَإِنْ أَطْنَبُوا إِلَّا الَّذِي فِيكَ أَفْضَلُ
(٢) الْغُنْجُ تَدَلُّلُ الْحُسْنَاءِ وَتَسْكُرُهَا ، أَوْ مَلَا حَةَ عَيْنَيْهَا وَحَسَنَ شِكْلِهَا -
وَحَبِيبٌ هُوَ أَبُو تَمَامٍ الطَّائِي ، وَبَطْلِيُوسُ الْمَدِينَةُ الَّتِي يَنْسَبُ إِلَيْهَا الشَّاعِرُ
« ابْنُ السَّيِّدِ الْبَطْلِيُوسِي » وَبَغْدَانُ أُمَمٌ لِمَدِينَةِ بَغْدَادِ (٣) أَيْ مِنْحَتِكَ
جَنَاهَا ، وَتَنَاوَلَتِ الثَّنَاءُ مِنْهَا (٤) هُوَ ذُو الْوَزَارَتَيْنِ الْقَائِدُ أَبُو عَيْسَى بْنُ
لَبُونٍ ، كَانَ مِنْ قَوَادِ الْمَأْمُونِ أَبِي الْحَسَنِ يَحْيَى بْنِ ذِي النُّونِ صَاحِبِ طَلِيظَةِ
وَالْمُتَغَلَّبِ عَلَى بَلَدْنِيَّةِ وَقَرْطَبَةِ ، وَمِنْ أَعْظَمِ رُؤَسَاءِ دَوْلَتِهِ وَأَخْصَ أَصْحَابِهِ ، كَانَ
رَئِيسًا جَلِيلَ الْقَدْرِ أَدِيبًا جَوَادًا ذَا كَرَمٍ وَمُرُوءَةٍ ، بَسَمَتْ لَهُ الدُّنْيَا زَمَنًا

أَحْضَرَ إِلَيْهِ ابْنُ السَّيِّدِ مُنَوَّهَا بِقَدَرِهِ مَا صُورَتْهُ : وَأَحْضَرَهُ
إِلَى مَجْلِسٍ نَامَ عَنْهُ الدَّهْرُ وَغَفَلَ ، وَقَامَ لِفَرْطِ أَنْسِهِ وَأَحْتَفَلَ
وَقَدْ بَانَتْ صُرُوفُهُ ، وَدَنَتْ مِنَ الزَّائِرِ قُطُوفُهُ ، وَقَالَ هَلُمَّ
بِنَا إِلَى الْاجْتِمَاعِ بِمَذْهَبِكَ ، وَالْإِسْتِمْتَاعِ بِمَا شِئْتَهُ ^(١) مِنْ
بِرَاعَةِ أَدَبِكَ ، فَأَقَامُوا يُعْمِلُونَ كَأَسْهَمٍ ، وَيَصِلُونَ إِيْنَسَهُمْ ،
وَبَاتُوا لِيَلْتَهُمْ مَا طَرَقَهُمْ نَوْمٌ ، وَلَا عَدَاهُمْ عَنْ طِيبِ اللَّذَاتِ
سَوْمٌ . ثُمَّ قَالَ بَعْدَ كَلَامٍ كَثِيرٍ : وَحَضَرَ ابْنُ السَّيِّدِ عِنْدَ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ الظَّافِرِ بْنِ ذِي الثُّنُونِ مَجْلِسًا رَفَعَتْ فِيهِ أَلْمَنَى
لَوَائِهَا ، وَخَلَعَتْ عَلَيْهِ أَضْوَاءَهَا ، وَزَفَّتْ إِلَيْهِ الْمَسَرَّاتُ
أَبْكَارَهَا ، وَفَارَقَتْ إِلَيْهِ الطَّيْرُ أَوْكَارَهَا ، فَقَالَ يَصِفُهُ :

لَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَهُ وَلَا تَرَى
أَنْفَسَ فِي نَفْسِي وَأَبْهَى مَنْظَرًا

ثم عيبت له ، فقد كانت له مدينة مريبط « من أعمال بلنسية من شرق
الأندلس » فتغلب عليها ابن رزين وأقعده بعد نهضته ، ولكن ذلك لم
ينزل به عن درجة الشرف بين كرام الناس ، وكان أخوه أبو محمد صاحب
لمورقة ، وتوفي وهو يملكها فرثاه بما ذكره ما آلت إليه حاله بعد أن أرهاقته
الرزايا ، ثم انتهت به الدنيا إلى أن أعرض عن زخرفها ، ونفض يده عن
التمسك بحبالها ، حتى توفي حوالي سنة ٥٠٠ هـ رحمه الله . « أحمد يوسف نجاني »
(١) قد تكون « وشيته » استعارة لما صاغه من جيد الشعر .

إِذَا تَرَدَّى وَشِيَهُ الْمُصَوَّرَا

مِنْ حَوْكٍ صَنَعَاءَ وَحَوْكٍ عَبْقَرَا^(١)

وَنَسَجٍ قُرْقُوبٍ وَنَسَجٍ تُسْتَرَا

خِلَتْ الرِّيعَ الطَّلَقَ فِيهِ نَوَّرَا^(٢)

(١) تردى : مجاز من تردى الثوب أو الرداء اذا لبسه وتوشع به ، والوشى نقش الثوب بألوان مختلفة ، ووشى الحائك ، وحاك الثوب يحوكه اذا نسجه وألف بين خيوطه وألوانه ، وصنعاء هى المدينة المشهورة باليمن ، وكانوا يضربون بها المثل فى جودة الصنعة حتى أن اسمها « صنعاء » نسبة الى جودة الصنعة واتقانها فى ذاتها ، كقولهم امرأة حسناء وعجزة وشهلاء أى ذات حسن وعجيزة وشهلاء - وعبقر موضع زعموا باليمن أو بالجزيرة كانت توشى فيه الثياب والبسط ، وكانت ثيابها فى غاية الحسن والجودة ، فصارت مثلاً لكل منسوب الى شىء رفيع جيد يتعجب من حسنه وجودة صنعته ، وكلما بالغوا فى شىء متناء نسبوه اليها (٢) قرقوب : بلدة كانت متوسطة بين واسط والبصرة والاهواز ، كانت تنسب اليها الثياب القرقبية « بحذف الواو فى النسب كما قالوا سابرى فى النسب الى سابور » وهى ثياب بيض من كتان دقيقة الصنع ، وقد يقال فيها فرق وبثرقب - وتستر كانت أعظم مدينة بخوزستان ، وكانت تعمل بها الثياب وأنواع النسيج الفاتقة - يحكى أن صاحب بن عباد لبس يوماً عمامة بطراز عريض من عمل تستر ، فجعل بعض جلسائه يتأملها ويطيل النظر اليها ، فقال صاحب : ما عملت بتستر لتستر « وهذا من نوادر صاحب الذى شغفه السجع والجناس حبا ، حتى عزل قاضى مدينة قم ليقول :

أيها القاضي بقم قد عزلناك فقم

(١٩ - نفح الطيب - خامس)

كَأَنَّمَا الْإِبْرِيْقُ حِينَ قَرَقَرَا
 قَدْ أُمُّ لَثَمَ الْكَاسِ حِينَ قَفَرَا^(١)
 وَخَشِيَّةٌ ظَلَّتْ تُنَاغِي جُوْذَرَا
 تُرْضِعُهُ الدَّرَّ وَيَرْنُو حَذِرَا^(٢)

ولكن كم كانت له مكارم . « أحمد يوسف نجاتي » (١) القرقرة
 حكاية صوت الضحك ، وهي شبه القهقهة ، وقرقر البعير اذا هدل صوته
 ورجع ، وصوت الحمام اذا هدر ، وفقرقاه اذا فتحه ، وعجز البيت في
 الأصل كما ترى ، ويروى « وأم لثم .. » وهذا أحسن ، ليكون البيت
 التالى خالصا لخبر كائن . وفي بعض المراجع « قدام فم الكاس الخ » فقدام
 ظرف مكان ، وفم بتشديد الميم على رأى من جوزه مستدلا بقول الراجز
 * ياليتها قد خرجت من فمه * يروى بضم فاء فم وفتحها مع تشديد الميم
 والغرض من البيتين ظاهر ، فهو يريد تصوير الهيئة التى ترى عند صب
 الراح من فم الابريق فى الكاس (٢) يريد بالوحشية الغزالة غير المستأنسة
 « والبقرة الوحشية » وتناغى : تلاطف وتنادى وتغازل ، وناغت الأم
 صبيها اذا لطفته وشاغلته ، والجوذر ولد البقرة الوحشية ، والد : الابن -
 والشعراء يشبهون ابريق المدام بالطبي ، قال الموصلى :

كَأَنَّ أَبَارِيْقَ الْمَدَامِ لَدَيْهِمْ ظَبَاءُ بِأَعْلَى الرِّقْمَيْنِ قِيَامُ
 وَقَالَ عَبْدَةُ بْنُ الطَّيِّبِ :

كَأَنَّ اِبْرِيْقَهُمْ ظَبِيَّ عَلَى شَرْفٍ مَقْدَمُ بِسْبَا الْكَتْنَانِ مَلْثُومُ
 « مقدم وملثوم أى مسدود باللثام » وفى المعنى قول السرى الرقاء :
 ابريقنا عاكف على قدح كأنه الأم ترضع الولدا
 وللصفدى :

كَأَنَّ اِبْرِيْقَنَا وَالرَّاحَ فِيْ فَمِهِ طَيْرٌ تَنَاولُ يَاقُوْتَا بِمَنْقَارِ

كَأَنَّمَا مَجَّ عَقِيقًا أَحْمَرًا
أَوْ فَتَ مِنْ رِيَّاهُ مِسْكَ أَذْفَرًا^(١)
أَوْ عَابِدُ الرَّحْمَنِ يَوْمًا ذُكِرَا
قَمَّ مِسْكَ ذِكْرُهُ وَعَنْبَرًا^(٢)
الظَّافِرُ الْمَلِكُ الَّذِي مَنْ ظَفِرًا
بِقُرْبِهِ نَالَ الْعَلَاءِ الْأَكْبَرَا
لَوْ أَنَّ كِسْرَى رَأَاهُ أَوْ قَيْصَرَا
هَلَّلَ إِكْبَارًا لَهُ وَكَبَّرَا^(٣)
تُبْدِي سَمَاءَ الْمَلِكِ مِنْهُ قَمَرَا
إِذَا حِجَابُ الْمَجْدِ عَنْهُ سَفَرَا

واصفى الدين الحلى :

وللاباريق عند المزج لجامعة كمنطق مرتبك الألفاظ مذعور
كانها وهي في الأكواب ساكبة طير ترق فراخا بالمنافير
(١) مج : صب ورمى ، وفَت أي دق وكسر بالأصابع ، وفَتَات المسك :
ما تفتت منه وتكسر ، والأذفر من الذفر وهو شدة ذكاء الريح ، وفعله
« كفرح » قالوا : انه لا يقال في شيء من الطيب « أذفر » الا في المسك
وحده (٢) نم : أظهر وأذاع . (٣) راء لغة في رأى أو مقلوب عنه

يَا أَيُّهَا الْمُنْضَى الْمَطَايَا بِالشَّرَى
تَبْنِي غَمَامَ الْمَكْرُمَاتِ الْمُطَرِّا^(١)
أُنْتَهَى

* *

« وَقَالَ الْفَتْحُ » فِي تَرْجَمَةِ الْأَدِيبِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ
الْعَطَّارِ مَا صُوِّرَتْهُ : هُوَ أَحَدُ أَدْبَاءِ إِشْبِيلِيَّةَ وَمُحَاطَتَهَا ، الْعَامِرِينَ
لِأَرْجَاءِ الْمَعَارِفِ وَسَاحَاتِهَا ، لَوْ لَا مُوَاصَلَةُ رَاحَاتِهِ^(٢) ، وَتَعْطِيلُ
بُكْرِهِ وَرَوْحَاتِهِ ، وَمُوَالاتُهُ لِلْفُرَجِ^(٣) ، وَمُغَالَاةُ فِي عَرَفِ
لِلْأُنْسِ أَوْ أَرْجٍ^(٤) لَا يُعْرِجُ إِلَّا عَلَى صَفَةِ نَهْرٍ ، وَلَا يَنْتَهِجُ

التعريف بابن
العطّار

(١) أنضى بغيره إذا هزله بالسير فذهب لجه ، والنضو : المهزول
من الابل وغيرها ، وهو في الابل أكثر . وفي الأصل « أنضى » بدل
أنضى ، وأراه مصحفا ، فإن الاستعمال جار في كد الابل واجهادها
بالسير على « أنضى » أما الضنا فهو المرض الخامر الشديد كلما ظن
برؤيه نكس ، وأضناه المرض إذا أثقله (٢) جمع راحة ضد تعب أو عمل ،
وقد يجوز أن تكون جمع « راح » وهي الحمر توث على معنى الحمر فيكون
« في راحاته » تورية - يعني أنه دائم الراحة وعدم العمل يقضى أوقاته
في تناول الراحة ، ويعطل في معاقرتها صباحه ومساءه (٣) الفرجة « مثله
الفاء » الخلاص من الهم ، والفرجة الراحة من الحزن أو المرض ، والفرجة :
الذهاب للتنزه وطلب الراحة ، قال الأرجاني :

* رياض لعين الناظر تنتفرج *

(٤) العرف الريح الطيبة ، والأرج : تضعوها وانتشارها

إِلَّا بِقَطْفَةِ زَهْرٍ ، لَمْ يَحْفَلِ^(١) بِمَلَامٍ ، وَلَمْ يَنْتَقِلْ عَنِ الْمُدَامِ
إِلَّا فِي طَاعَةِ غُلَامٍ ، نَاهِيكَ مِنْ رَجُلٍ مَخْلُوعِ الْعِنَانِ^(٢) فِي
مِيدَانِ الصَّبَابَةِ ، مُغْرَمٍ بِالْحُسَانِ غَرَامٍ يَزِيدَ بِحِبَابَةِ^(٣) ،
لَا تَرَاهُ إِلَّا فِي ذِمَّةِ أَنْهَمَاكَ ، وَلَا تَلْقَاهُ إِلَّا فِي لُمَّةِ^(٤)
أَنْهَتَاكَ ، رَافِعًا لِرَايَاتِ الْهَوَى ، فَارِعًا^(٥) لِثَنِيَّاتِ الْجَوَى ،

(١) أى لا يبالي ولا يكثر، وكذا احتفل يحتفل (٢) ناهيك بكذا أى حسبك منه وكفايتك. والعنان سير اللجام الذى تمسك به الدابة ، جعله كالفرس الذى ألقى عنانه وخلع عذاره فهو يعدو فى ميدان اللهو ويخب فيه كما يشاء (٣) حباة هى جارية يزيد بن عبد الملك بن مروان « تولى الخلافة سنة ١٠١ وتوفى سنة ١٠٥ » وكان يزيد قبل خلافته قد حج فى خلافة أخيه سليمان بن عبد الملك فاشترى حباة « وكان اسمها العالية » بأربعة آلاف دينار ، وشغفته حبا ، وكانت مغنية محسنة مجيدة ، فكانت اذا غنت يكاد يطير عن مجلسه ، وتوفيت فى أثناء خلافته فاشتد جزعه عليها ووجده ، ومكث سبعة أيام لا يخرج الى الناس أشار عليه بذلك أخوه مسleme خوفا أن يظهر منه شيء يسفه عند الناس ، وكانت حباة وسلامة القس كتأهما من جوارى يزيد ، ومن مطربات القيان فى الغناء ، وعاشت سلامة بعد موته حزينة عليه « أحمد يوسف نجاشى » (٤) الانهماك فى الشيء التماهى فيه ، يريد انهماكه فى البطالة والغنى ، والملة الجماعة ، والانهتك والتهتك : عدم مبالاة المرء بأن يهتك ستره عن عيوبه. وتهتك : افتضح فهو مهتوك الستر ومتهتكه ، وفى نسخة « انتهاك » (٥) فرع الشيء : علاه وصعد اليه ، والثنية المرتفع العالى كالجبل ، ويقال فلان طلاع الثنايا اذا كان ساميا المعالى الأمور ، ولكن صاحبنا انما يطلع ثنيات الجوى وهو الهوى ويقتحم عقباته ، ويحشم نفسه سلوك طرقه وتحمل متاعبه

لَا يُقْفِرُ فُؤَادُهُ مِنْ كَلَفٍ^(١)، وَلَا يَبِيتُ إِلَّا رَهْنًا تَلَفٍ، أَكْثَرُ
خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى عِلَاقَةً^(٢) وَأَحْضَرُهُمْ لِمَشْهَدِ خَلَاقَةٍ^(٣) مَعَ
جَزَالَةٍ تُحَرِّكُ الشُّكُونَ، وَتُضْحِكُ الطَّيْرَ فِي الْوُكُونِ^(٤)،
وَقَدْ أَثْبَتَ لَهُ مِمَّا أَرْتَجِلُهُ فِي أَوْقَاتِ أَنْسِهِ وَسَاعَاتِهِ، وَنَفَثَ
بِهِ أَثْنَاءَ زَفَرَاتِهِ وَلَوْعَاتِهِ^(٥).

(١) أقفر المكان خلا ، وكلف به كلفا اذا أولع به مع شغل قلب ومشقة .

(٢) علق بها وعلقها علاقة اذا هويها وأحبها حبا لازم قلبه ، قال ذوالرمة

لقد علقته على بقلبي علاقة بطيئا على مر الليالي انحلالها

(٣) لولا تكلف الجنس ولزوم مالا يلزم ما كانت «خلاقة» خليفة بهذا

المكان من العبارة : وهي اما من خلقت المرأة خلاقة اذا حسن خلقها

«أى أحضرهم لمشاهد الحسن والجمال» أو من خلق الثوب «كنصر

وسمع وكرم» خلوقه وخلاقة اذا بلى ، فيكون مجازا عن مواضع الريية

والمشاهد التي يخلق فيها العرض والدين والمروءة ، أو الخلقة بمعنى الملاسة

والنعومة وكأنه يعود الى المعنى الأول . «أحمد يوسف نجاتي» .

(٤) جمع وكن وهو عش الطائر في جبل أو جدار (٥) نفث ينفث نفثا

وهو كالنفخ، ونفثه من فيه اذا رمى به وألقى ، وربما سمو الشعر نفثا لأنه

كالشئ. ينفثه الشاعر من فيه مثل الرقية ، فيعبر به عما يجيش في نفسه

من آلامه أو آماله، ويعرض به صورة نفسه، وينفث به اذا ضاق عن صدره

والزفرة في الأصل اخراج النفس بعد مده، وتستعار لما يشعر به المكروب

من حرارة وألم يتنفس منهما الصعداء . واللوعة حرقه في القلب وألم يجده

المرء من حب أوهم أو مرض أو حزن أو نحو ذلك «أحمد يوسف نجاتي» .

فَمِنْ ذَلِكَ مَا قَالَهُ فِي يَوْمٍ رَكِبَ فِيهِ النَّهْرَ عَلَى
 عَادَاتِ أَنْكِشَافِهِ ، وَأَرْتِضَاعِهِ لِثُغُورِ اللَّذَاتِ وَأَرْتِشَافِهِ :
 عَبَرْنَا سَمَاءَ النَّهْرِ وَأَجْلَوْ مُشْرِقُ
 وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا الْحَبَابَ نُجُومٌ^(١)
 وَقَدْ أَلْبَسْتَهُ الْأَيْكُ بُرْدَ ظِلَالِهَا
 وَلِلشَّمْسِ فِي تِلْكَ الْبُرُودِ رُقُومٌ^(٢)
 وَلَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ :
 مَرَرْنَا بِشَاطِئِ النَّهْرِ بَيْنَ حَدَائِقِ
 بِهَا حَدَقُ الْأَزْهَارِ تَسْتَوْقِفُ الْحَدَقُ
 وَقَدْ نَسَجَتْ كَفُّ النَّسِيمِ مُفَاضَةً^(٣)
 عَلَيْهِ وَمَا غَيْرُ الْحَبَابِ لَهَا حَلَقُ

(١) حباب الماء : نفاخاته التي تطفو عليه ، وشبهه سطح النهر بالسماء
 وحبابه بالنجوم (٢) الأيك : الشجر الكثير الكثيف الملتف ، والبرد
 ضرب من الثياب ، والرقم الوشي ، شبه به ما يخرق خلال الأشجار من
 قطع الشعاع ، وهو كقول الشاعر :
 سماء غصون تحجب الشمس أن ترى على الأرض الا مثل ثر الدراهم
 (٣) المفاضة الدرع الواسعة شبه بها ما يحدثه النسيم اذا مر فوق سطح
 الماء من غصون وتجعد ، وهو تشبيه مألوف بينهم ، وقدم منه شيء في هذا
 الكتاب « أحمد يوسف نجاتي »

وَلَهُ فِيهِ :

هَبَّتِ الرِّيحُ بِالْعَشِيِّ فَحَاكَتْ
زَرَدًا لِلْغَدِيرِ نَاهِيكَ جُنَّةً^(١)
وَأَنْجَلَى الْبَدْرُ بَعْدَ هَذِهِ فَصَاغَتْ
كَفَّهُ لِلْقِتَالِ مِنْهُ أُسْنَةً^(٢)

وَقَوْلُهُ فِيهِ :

لِلَّهِ بِهَجَّةٍ مَنَزَهُ ضَرَبَتْ بِهِ
فَوْقَ الْغَدِيرِ رُواقَهَا الْأَنْسَامُ^(٣)

(١) الزرد الدرع للزرودة أى المحكمة النسيج أو السرد وتدخل حلقها بعضه فى بعض ، والجنة الوقاية ، ومعنى هذا البيت كمعنى سابقه. ولصاحب الترجمة أيضا :

ركبنا على اسم الله نهرا كأنه حباب على عطفه وشى حباب
والاحسام جال فيه فرنده له من مديد الظل أى قراب
(٢) انجلى أى انكشف . ومضى هده من الليل، أى بعد هزيع من الليل
وحين هدا وسكن الناس، أو الهدء « بفتح الهاء » من أول الليل الى ثلثه
وذهب طائفة منه وذلك ابتداء سكونه ، وفى الأصل « بعد هذا فحَاكَتْ »
وهو تصحيف، بعد أن جعل للغدير فى البيت الأول درعا جعل ما ينعكس
من شعاع القمر والنجوم على سطحه أسنة كأنها تطعن الغدير فيتقياها
بدرعه ، أو هى أسنة صيغت للغدير الدارع ليقا تل بها بعد أن استكمل
اللازمة (٣) الرواق : الخيمة أو بيت كالفسطاط . والأنسام جمع نسيم وهو
نفس الريح اذا كان ضعيفا كالنسيم أى الريح الطيبة اللطيفة

فَمَعَ الْأَصِيلِ النَّهْرُ دِرْعٌ سَابِغٌ
وَمَعَ الضُّحَى يَلْتَاخُ مِنْهُ حُسَامٌ^(١)

* *

وصف عشيّة أنس

وَلَهُ يَصِفُ عَشِيَّةَ أَنْسٍ :
مَا كَالْعَشِيَّةِ فِي رُوءٍ جَمَالِهَا
وَبُلُوغِ نَفْسِي مُنْتَهَى آمَالِهَا
مَا شِئْتُ شَمْسُ الْأَرْضِ مُشْرِقَةً أَسْنَى
وَالشَّمْسُ قَدْ شَدَّتْ مَطِيَّ رَحَالِهَا^(٢)
فِي حَيْثُ تَنْسَابُ الْمِيَاهُ أَرَاقِمًا
وَتُعِيرُكَ الْأَفْيَاءُ بُرْدَ ظِلَالِهَا^(٣)
وَلَهُ أَيْضًا :

(١) التّاح : تلالاً ولع وأضاء، والحسام السيف الصّقيل القاطع (٢) السّنى الضوء ، ولعله يريد بشمس الأرض من يحب ، ولا يبعد أن تكون « ماشئت » أصلها « ماشيت » فيكون هذا البيت بيانا للبيت الأول باللف والنشر غير المرتب ، يعنى أن لما شاته محبوبه « أو ما شاءه من وجوده معه » هو منتهى آماله التي بلغت نفسها ، وشد الشمس مطيها للرحيل هو رواء العشيّة وبهاؤها (٣) الأراقم جمع أرقم وهو الحية أو ما فيه سواد وبياض منها ، والأفيااء جمع فيء وهو ما كان شمساً فينسخه الظل . أو هو ما بعد الزوال من الظل ، قال حميد بن ثور يصف سرحة وكنى بها عن امرأة فلا الظل من برد الضحى تستطيعه ولا الفيء من برد العشى تذوق

لِلَّهِ حُسْنُ حَـدِيقَةٍ بَسَطَتْ لَنَا
مِنْهَا النُّفُوسَ سَوَافٍ وَمَعَاطِفٌ^(١)
تَخْتَالُ فِي حُلَلِ الرَّيِّعِ وَحَلِيهِ
وَمِنْ الرَّيِّعِ قَلَائِدُ وَمَطَارِفٌ^(٢)
أُنْتَهَى

« وَقَالَ الْفَتْحُ » فِي تَرْجَمَةِ ابْنِ عَمَّارٍ: أَخْبَرَنِي ذُو الْوِزَارَتَيْنِ
الْأَجَلُّ أَبُو الْمُطَرِّفِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ^(٣) أَنَّهُ حَضَرَ مَعَهُ عِنْدَ
الْمُؤْتَمَنِ فِي يَوْمٍ جَادَتْ فِيهِ السَّمَاءُ بِهَاطِلِهَا ، وَأَتْبَعَتْ وَبَلَّهَا
بِطَلِّهَا^(٤) ، وَأَعْقَبَ رَعْدُهَا بَرْقُهَا ، وَأَنْسَكَبَ دِرَاكًا

ما قيل في ترجمة
ابن عمار

فقد بين أن النوى بالعشى ما انصرفت عنه الشمس (١) السوائف : جمع
سائلة وهي ناحية مقدم العنق من لدن معلق القرط أى الترقوة ، وتطلق
على خصل الشعر المرسلة على الخد ، والمعاطف جمع معطف ، يريد الأغصان
المتنية ذوات الأوراق (٢) مطارف جمع مطرف ، وهو فى الأصل رداء من
خز مر بـع ذو أعلام ، مستعار لما خلعه الربيع على الحديقة من أوراق وأفنان ،
كما جعل الأزهار قلائد على الربيع والمطارف هى حامله «أحمد يوسف نجاشى»
(٣) بنو عبد العزيز كانوا أسرة عريقة فى المجد من أسر مدينة بلنسية
كان منهم الوزراء والأدباء ، وما منهم الا أديب بليغ وكاتب مجيد ، وشاعر
حاذق ، ومنهم الوزير الأجل أبو بكر بن عبد العزيز ، وكان المستعين
ابن هود صاحب سرقسطة والمتوفى سنة ٥٠٣ هـ متزوجا ابنته ، وقد أثنى عليه الفتح
ابن خاقان فى قلائد العقيان ، وساق بعض أخبار الوزير أبى بكر الآتى ذكره
وأورد شيئا من نظمه ونثره «أحمد يوسف نجاشى» (٤) الهطل : المطر الغزير

وَذُقْهَا^(١) ، وَالْأَزْهَارُ قَدْ تَجَلَّتْ مِنْ كِمَامِهَا^(٢) وَتَحَلَّتْ
بِدُرِّ غَمَامِهَا ، وَالْأَشْجَارُ قَدْ جُلِيَ صَدَاهَا ، وَتَوَشَّحَتْ بِبِنْدَاهَا ،
وَأَكْوُسُ الرِّاحِ كَأَنَّهَا كَوَاكِبُ تَتَوَقَّدُ ، تُدِيرُهَا أَنْامِلُ
تَكَادُ مِنَ اللَّطَافَةِ تَعْقُدُ^(٣) ، إِذَا بَفَتَى مِنْ فِتْيَانِ الْمُؤْتَمَنِ
أَخْرَسَ لَا يُفْصِحُ ، وَمُسْتَعْجِمٍ لَا يَكَادُ يُبَيِّنُ وَلَا يُوضِحُ ،
مُتَمَرِّ تَنْمُرُ اللَّيْثُ^(٤) ، مُتَشَمِّرٍ تَشْمُرُ الْبَطْلُ الْبَاسِلِ عِنْدَ
الْعَيْثِ ، وَقَدْ أَفَاضَ عَلَى نَفْسِهِ دِرْعًا ، تَضِيقُ بِهَا الْأُسِنَّةُ

كالوابل ، والطل المطر القليل (١) الودق المطر ، درا كما أى متناوعا متواليا
(٢) جمع كم وهو غلاف النور وغطاؤه (٣) من قول النابغة :

بمخضب رخص كأن بنانه عثم على أغصانه لم يعقد

(٤) تنمر: اذا تشبه بالنمر في القوة وشراسة الاخلاق ، وتنمر له اذا تنكر وتغير
وتوعد ، لأن النمر لا يلقي أبدا الامتنكرا غضبان ، وتشمر وشمر اذا مر جادا ،
وتشمر للامر اذا تهيأ واستعد ، والتشمير للامر الجد فيه والاجتهاد ، وعاث
فيهم اذا أخذهم بشدة من غير رفق ، والعيث أيضا أن تركب الامر لا تنبالي
على ما وقعت . قال :

فعث فيمن يليك بغير قصد فاني عاث فيمن يليني

والعيث: الاسد لفتكه واسراعه في الفساد ، وقد يكون مصحفا عن «الغيث»
بالعين المعجمة بمعنى الاغاثة أى النجدة والتخليص من الشدة والنقمه والعون
على الفكاك من الشدائد ، فقد يقال فيه غاثه يغيثه غيثا وان كان قليلا
« أحمد يوسف نجاشي »

ذَرَعًا^(١) ، وَهُوَ يُرِيدُ أَسْتِشَارَةَ الْمُؤْتَمَنِ فِي الْخُرُوجِ إِلَى
مَوْضِعٍ بَعَثَهُ إِلَيْهِ وَوَجَّهَهُ ، فَكَلَّمَ مَنْ صَدَّهُ عَنْهُ نَهْرَهُ
وَتَنَجَّهَهُ^(٢) ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى مَكَانٍ أَنْقَرَادِهِ ، وَوَقَفَ بِإِزَاءِ
إِسَادِهِ^(٣) ، فَلَمَّا وَقَعَتْ عَيْنُ ابْنِ عَمَّارٍ عَلَيْهِ ، أَشَارَ بِيَدِهِ
إِلَيْهِ ، وَقَرَّبَهُ وَأَسْتَدْنَاهُ ، وَضَمَّهُ إِلَيْهِ كَأَنَّهُ تَبَنَّاهُ ، وَأَرَادَ
أَنْ يَخْلَعَ عَنْهُ ذَلِكَ الْغَدِيرِ^(٤) ، وَأَنْ يَكُونَ هُوَ السَّاقِ

(١) أى لا تقوى عليها الأُسنة ولا تؤثر فيها لأحكام نسجها وتقدير سردها
(٢) النجى استقبالك المرء بما يكره وردك إياه عن حاجته ، ونجيه
« كمنعه » إذا رده واتهره ، واستقبله بما يكفه ويزجره فينقذ عنه
ويرتدع ، وكذا تنجيه ، وقال الشاعر :

حيالك ربك أيها الوجه ولنغيرك البغضاء والنجى

(٣) أى وسادة ، وقلب الواو المكسورة همزة فى أول الكلمة جائز كثير
مثل ارث ، افادة « فى وفادة » واكاف فى « وكاف » واشاح فى « وشاح »
والدة « جمع ولد » وقد قرئ : ثم استخرجها من إعاء أخيه ، وهو كثير
(٤) يريد الدرع تشبيها لها بالغدير ، كما يعكس فيشبه الغدير بالدرع قال :

وسابغة من جياذ الدرو ع تسمع للسيف فيها صليلا

كمتن الغدير زهته الدبو ربحر المدجج منها فضولا

ولابن المعتز :

غدير ترجرج أمواجه هبوب الرياح ومر الصبا

إذا الشمس من فوقه أشرقت توهمته جوشنا مذهبها

الجوشن : الدرع . وللبحتري :

يمشون فى زغف كأن متونها فى كل معركة متون نها.

وَالْمُدِيرَ ، فَأَمْرُهُ الْمُؤْتَمَنُ بِخَلْعِهِ ، وَطَاعَةِ أَمْرِهِ وَسَمْعِهِ ،
 فَنَضَاهُ^(١) عَنْ جِسْمِهِ ، وَقَامَ يَسْقِي عَلَى حُكْمِهِ وَرَسْمِهِ ،
 فَلَمَّا دَبَّتْ فِيهِ الْحُمَيَّا^(٢) ، وَشَبَّتْ^(٣) غَرَامَهُ بِهَجَّةٍ ذَلِكَ الْمُحْيَا ،
 وَأُسْتَنْزَلَتْهُ سَوْرَةُ الْعُقَارِ ، مِنْ مَرْقَبٍ^(٤) الْوَقَارِ ، قَالَ :
 وَهَوَيْتُهُ يَسْقِي الْمُدَامَ كَأَنَّهُ
 قَمَرٌ يَدُورُ بِكَوْكَبٍ فِي مَجْلِسِ
 مُتَارِّجٍ الْحَرَكَاتِ تَنْدَى رِيحُهُ
 كَالْغُصْنِ هَزَّتُهُ الصَّبَا بِتَنْفُسِ^(٥)

بيض تسيل على الكماة فضولها سيل السراب بقفرة يبداء
 فاذا الأُسنة خالطتها خلتها فيها خيال كواكب في ماء
 النهاء : الغدران . والزغف : الذراع « أحمد يوسف نجاتي » (١) نضا
 ثوبه عنه اذا خلعه ونزع (٢) حميا الكأس والخمر : سورتها وشدتها أو
 اسكارها وحدتها وأخذها بالرأس ، يقال سارت فيه حميا الكأس اذا بلغت
 الخمر من شار بها ودب ديبها الى رأسه فنالت منه سورتها (٣) هاجت وأثارت
 من شب النار اذا أشعلها ، والحيا الوجه (٤) العقار : الخمر ، والمرقب المكان
 العالى المشرف (٥) فى بعض المراجع « . . . يندى عطفه » أى يلين لتثنيه
 وذلك أنسب بمعجز البيت ، وفى البدائع « متناوح الحركات . . . »
 يريد دائم الحركة ذا نشاط ، من تناوحت الرياح اذا تقابلت واشتد هبوبها
 وتناوح الغصن اذا تحرك متديا - والندى شئ يتطيب به كالبخور

يَسْمَى بِكَاسٍ فِي أَنَامِلٍ سَوَسَنِ
وَيُدِيرُ أُخْرَى مِنْ مَحَاجِرِ نَرْجِسٍ ^(١)
يَا حَامِلَ السَّيْفِ الطَّوِيلِ نِجَادُهُ
وَمُصْرَفِ الْفَرَسِ الْقَصِيرِ الْمَجْبِسِ ^(٢)
إِيَّاكَ بَادِرَةَ الْوَغَى مِنْ فَارِسٍ
خَشِنِ الْقِنَاعِ عَلَى عِذَارٍ أَمْلَسِ ^(٣)
جَهْمٌ، وَإِنْ حَسَرَ اللَّثَامَ فَإِنَّمَا
كُشِفَ الظَّلَامُ عَنِ النَّهَارِ الْمُشْمِسِ ^(٤)

ومنه عود مندى اذا فتق بالندى أوماء الورد (١) يشبه أنامله بالسوسن
وعيون به بالترجس (٢) نجاد السيف علاقته وحمالته ، والمجسس هنا الالجام
لأنه يجسس الفرس أى يمنعها ويمسكها ، وجسس الشيء ضبطه ، واذا كان
لجام الفرس قصيرا كان صاحبه أقدر على ضبطه وكبح جماحه (٣) البادرة
ما يبدر من حدة الرجل فى الغضب من قول أو فعل ، وبادرة الشر ما يبدر
منه ويسرع ، يقال أخشى عليك بادرته ، وبادرت منه بوادر غضب أى
خطأ وسقطات عند ما احتد ، قال النابغة الجعدي :

ولا خير فى حلم اذا لم تكن له بوادر نحمى صفوه أن يكدر
والوغى أصله الصوت والجلبة فى الحرب ، وقد يراد به الحرب نفسها
لما فيها من الصوت والجلبة (٤) جهم « ككرم » وجهمه « كمنعه وسمعه »
اذا استقبله بوجه بأسر كربه ، وحسر اللثام . يحسره : كشفه

يَطْفَى وَيَلْعَبُ فِي دَلَالِ عِذَارِهِ
 كَالْمُهْرِ يَمْرَحُ فِي اللَّجَامِ الْمُجْرَسِ^(١)
 سَلَّمَ فَقَدْ قَصَفَ الْقَنَا غُصْنُ النَّقَا
 وَسَطًا بَلِيثِ الْغَابِ ظِيُّ الْمَكْنَسِ^(٢)
 عَنَّا بِكَاسِكَ ، قَدْ كَفَتْنَا مُقَلَّةً

حَوْرَاءُ قَائِمَةٌ بِسُكْرِ الْمَجْلِسِ
 وَأُورِدَ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ صَاحِبِ الْبِدَائِعِ بِقَوْلِهِ : حَضَرَ
 أَبُو الْمُطَرِّفِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عِنْدَ الْمُؤْتَمَنِ بْنِ هُوْدٍ فِي
 يَوْمٍ أَجْرَى الْجَوُّ فِيهِ أَشْقَرُ بَرْقِهِ ، وَرَمَى بِنَبْلٍ وَدَقِهِ ،
 وَتَحَمَّلَتْ الرِّيَّاحُ فِيهِ أَوْقَارَ^(٣) السَّحَابِ عَلَى أَعْنَاقِهَا ،
 وَتَمَايَلَتْ قَامَاتُ الْأَغْصَانِ فِي الْحُلَلِ الْخَضِرِ مِنْ أَوْرَاقِهَا^(٤) ،

(١) المرح شدة الفرح والتوسع فيه والنشاط حتى يجاوز قدره ، وفي الأصل
 «يرمح» وهو تصحيف ، والمجرس أى ذى الجرس وهو الصوت لما فيه من الحلية ،
 أولان به جرسا ، والجرس أيضا الحركة ، وأجرس الحلى اذا صات مثل صوت
 الجرس ، ودابة مجرسة مدربة مجربة فى السير والركوب (٢) الغاب مأوى
 الليث ، والمكنس مأوى الغزال ، وفي معنى البيت قول الشاعر :

كَمْ قُلْتُ إِيَّاكَ الْعَقِيقُ قَانَهُ ضَرِيتْ جَاذِرُهُ بِصِيدِ أَسْوَدِهِ
 وَأُرِدْتُ صِيدَ مَا الْعَقِيقُ فَلَمْ يَطَا وَعَلَكَ الْقَضَاءُ فَصُرْتُ بِبُضْ صَبُودِهِ

(٣) جمع وفر وهو الحمل (٤) بعد ذلك فى بدائع البدائى : والازهار قد
 تفتحت عيونها ، والكهائم قد ظهر مكنونها ، والاشجار قد انصقلت

وَالرَّاحُ^(١) قَدْ أَشْرَقَتْ نُجُومُهَا فِي بُرُوجِ الرَّاحِ ، وَحَاكَتْ
شَمْسُهَا شَمْسَ الْأَفُقِ فَتَلَفَعَتْ بِغُيُومِ الْأَقْدَاحِ ، وَمُدِيرُهَا
قَدْ ذَابَ ظَرْفًا فَكَادَ يَسِيلُ مِنْ إِهَابِهِ^(٢) ، وَأَخْجَلَ خَدَّهَا
حُسْنًا فَتَكَلَّلَ^(٣) بِعَرَقِ حَبَابِهِ ، إِذَا بَفَتَى^(٤) مِنْ فِتْيَانِ
الْمُؤْتَمَنِ قَدْ أَقْبَلَ مُتَدَرِّعًا كَالْبَدْرِ اجْتَابَ^(٥) سَحَابًا ،
وَالْحَمْرُ قَدْ أَكْتَسَتْ حَبَابًا^(٦) وَقَدْ جَاءَ يُرِيدُ اسْتِشَارَةَ

بمداوس القطر ، ونشرت ما يفوق ألوان البرز وبثت ما يعلو أرواح العطر
والراح الخ « الدوس الصقل ، والمداوس المصقلة ، وهي خشبة يشد عليها من
يدوس ليصقل السيف ونحوه حتى يجلوه . قال :

وأبيض كالغدير ثوى عليه قيون بالمداوس نصف شهر
والبرز ضرب من الثياب الجميلة « (١) في الأصل « والرياح » وهو تصحيف ،
والراح الحمر ، والراح في آخر الفقرة جمع راحة وهي السكف (٢) الإهاب
الجلد أو الجسد ، وكاد الفرس يخرج من إهابه مبالغة في عدوه (٣) علاه
كالاكليل ، وكاله فتكلل إذا ألبسه الاكليل أى التاج ، أو شبه عصابة تزين
بالجواهر ، وروضة مكالة أى محفوفة بالنور ، وفي الأصل « فتظلل » وفي
بعض النسخ « فتجلل » أى تغطي بالحباب حتى عمه ، وتجلله إذا علاه ،
والمراد أن حمرة خد الراح خجلت من الساقى لأنه أجمل منها وأبهى
فعرقت من شدة الخجل فظهر عرقها حبابا (٤) فى القلائد « بفتى روى »
(٥) قطعه وخرج منه ، أو قطع وسطها فخرقها ونقبها ودخل فيها وبدا فى
وسطها . واجتأب الظلمة قطعها - أو من اجتأب القميص إذا لبسه . وهذه
المعاني أظهر لأن الدرع كانت تغطي الفتى (٦) فى البدائع زيادة بعد ذلك وهى

الْمُؤْتَمِنِ فِي الْخُرُوجِ إِلَى مَوْضِعٍ قَدْ كَانَ عَوَّلَ فِيهِ عَلَيْهِ ،
وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ ، فَحِينَ ^(١) لَمَحَهُ ابْنُ عَمَّارٍ وَالشُّكْرُ
قَدْ اسْتَحْوَذَ ^(٢) عَلَى لُبِّهِ ، وَأُنْبِثَتْ سَرَايَاهُ فِي نَوَاحِي قَلْبِهِ ^(٣)
جَدًّا فِي أَنْ يَسْتَخْرِجَ تِلْكَ الدَّرَّةَ مِنْ مَاءِ ذَلِكَ الدَّلَاصِ ^(٤) ،
وَأَنْ يُجَلِّيَ عَنْهُ سَهْكَهَ ^(٥) كَمَا يُجَلِّي الْخَبْثَ ^(٦) عَنْ
الْخِلَاصِ ^(٧) ، وَأَنْ يَكُونَ هُوَ السَّاقِي ، فَأَمَرَهُ الْمُؤْتَمِنُ

والطاووس انقلب حبابا ، فهو ملك حسنا الا أنه جسد ، وغزال لنا الا
أنه في هيئة أسد» الحباب - بضم الحاء - المحبوب ، والحباب حية ليست من العوارم
فالغرض من تشبيه الساقى بها أنه يتثنى ويكثر من الحركة والتمايل والنشاط
مع حسنه الطاووسى « (١) في البدائع » فحين وصل الى حضرتة لمح
ابن عمار « (٢) غلبه واستولى عليه (٣) زاد في البدائع » فأشار اليه
وقربه ، واستبدع ذلك اللباس واستغربه ، وجد الخ « (٤) الدلاص : درع
ملساء لينة براقه - يريد أنه أراد أن ينزع عنه درعه ، فقد كان متدرعا
بدرع سترت جسمه وغطت بعض محاسنه ، كما يجتاب البدر السحاب ، أو
كما تغطي حمرة الخد بغطاء الحباب (٥) السهك : صدأ الحديد ، وجلاه
إذا صقله ، جعل الدرع كأنها صدأ يعاوصفها الجسم ويستر اشراقه
(٦) خبث الحديد والفضة مانقاه الكير اذا أذيبا وهو مالا خير فيه ،
وأصل الخبث كل مكروه ، فان كان من الكلام فهو الاقذاع والشتم ، وان
كان من الطعام فهو الحرام ، وان كان من الشراب فهو الضار ، وغير ذلك ،
ومنه الحديث : « ان الحمى تنفى الذنوب كما ينفى الكير الخبث » .

(٧) الخلاص والخلاصة ما أخلصته النار من الذهب والفضة ونحوهما بعد أن
تنفى الخبث والمواد الغريبة عنه ، وجلى الخبث عنه اذا كشفه وأذهبه ، وجلى

بِقَبُولِ أَمْرِهِ وَأُمْتِثَالِهِ ، وَأُحْتِذَاءُ مِثَالِهِ ^(١) ، فَحِينَ ظَهَرَتْ
تِلْكَ الشَّمْسُ مِنْ حُجُبِهَا ، وَرُمِيَتْ شَيَاطِينُ النُّفُوسِ مِنْ
كُمَيْتِ ^(٢) الْمُدَامِ بِشُهْبِهَا ، أُرْتَجَلَ ابْنُ عَمَّارٍ : وَهَوِيَتْهُ النَّخ
إِلَّا أَنَّهُ قَالَ إِثْرَ قَوْلِهِ :

إِيَّاكَ بَادِرَةَ الْوَعْيِ مِنْ فَارِسٍ
مَا صُورَتْهُ :

يَضَعُ السِّنَانَ عَلَى الْعِذَارِ الْأَمْلَسِ ^(٣)
أَنْتَهَى .

وَلَا بِنِ عَمَّارِ الرَّائِيَّةِ الشَّهُورَةِ فِي مَدْحِ الْمُعْتَضِدِ ^(٤)
وَالِدِ الْمُعْتَمِدِ ، وَهِيَ :

عنه المموم: كشفها ، وتجلت الشمس اذا انكشفت وخرجت من نحو
الكسوف ، وتجلي القمر انكشف عنه السحاب فأشرق وأضاء - وزاد
في البدائع بعد ذلك « وأن يوفر على ذلك الوفر نعمة جسمه ، ويكون
هو الساقى على عادته القديمة ورسومه » (١) احتذى مثاله اذا اقتدى به
في أمره (٢) الكميت الحمر فيها سواد وحمرة ، يريد لما أثرت في النفوس
الحمر ، واتقد فيها من الهوى والغرام الجمر (٣) الذي في البدائع : خشن
القناع على عذار أملس ، فلعلها نسخة أخرى نقل عنها (٤) هو أبو عمرو
عباد المعتضد بالله بن الظافر المؤيد بالله أبي القاسم محمد بن اسمعيل قاضي
اشبيلية ، قام المعتضد بالأمر بعد وفاة أبيه سنة ٤٣٣ هـ وتسمى أولا خرا الدولة
ثم بالمعتضد وتوفي سنة ٤٦١ هـ فقام بالملكة بعده ولده للمعتد على الله
أبو القاسم محمد « وله ذكر هنا » وتوفي سنة ٤٨٨ هـ - ومحمد بن عمار الشاعر
المشهور ولد سنة ٤٢٢ هـ وقتله المعتد سنة ٤٧٧ هـ . « أحمد يوسف نجاتي »

* * *

رائية ابن عمار
في مدح المعتضد

أَدْرِ الْمُدَامَةَ فَالْنَّسِيمُ قَدْ أَنْبَرَى
وَالنَّجْمُ قَدْ صَرَفَ الْعِنَانَ عَنِ الشَّرَى^(١)
وَالصُّبْحُ قَدْ أَهْدَى لَنَا كَافُورَهُ
لَمَّا اسْتَرَدَّ اللَّيْلُ مِنَّا الْعُنْبَرَا
وَالرَّوْضُ كَالْحَسَنَاءِ كَسَاهُ زَهْرُهُ
وَشَيْءٌ وَقَلَدَهُ نَدَاهُ جَوْهَرَا
أَوْ كَالْغَلَامِ زَهَا بِوَرْدٍ خُدُودِهِ
خَجَلًا وَتَاهَ بِآسِهِنَّ مُعْذَرَا^(٢)
رَوْضٌ كَانَ النَّهْرُ فِيهِ مِعْصَمٌ^(٣)
صَافٍ أَطْلَأَ عَلَى رِدَائِهِ أَخْضَرَا

(١) انبرى له اذا اعترض، والسرى سير الليل، وفي الديوان «أدر الزجاجة»

(٢) تاه من التيه وهو الزهو والدلال والاعجاب بالنفس، والمعذر من نبت عذاره، ويشبه العذار بالآس كما قيل:

خليلى ماس الآس يعبق نشره اذا هب أنفاس الرياح العواطر
حكى لونه أصداع ريم معذر وصورته آذان خيل نوافر

(٣) المعصم موضع السوار من الساعد. «أحمد يوسف نجاتي»

وَهَزُهُ رِيحُ الصَّبَا فَتَخَالُهُ
 سَيْفَ ابْنِ عَبَّادٍ يُدَدُّ عَسْكَرًا^(١)
 عَبَّادُ الْمُخَضَّرُ نَائِلُ كَفِّهِ^(٢)
 وَأَلْجَوْ قَدْ لَبَسَ الرِّدَاءَ الْأَغْبَرَ
 مَلِكٌ إِذَا أَزْدَحَمَ الْمُلُوكُ بِمَوْرِدٍ
 وَنَحَاهُ لَا يَرْدُونَ حَتَّى يَصْدُرَا^(٣)
 أُنْدَى عَلَى الْأَكْبَادِ مِنْ قَطْرِ النَّدَى
 وَالذُّفَى الْأَجْفَانِ مِنْ سِنَّةِ الْكَرَى^(٤)

(١) هذا حسن تخلص بديع (٢) يكنى بالحضرة عن الخصب والنعمة ،
 والحضراء: الخير والسعة والنعيم ، وفلان أخضر أى كثير الخير . ويوصف
 الجذب والجوع بالأغبر، كما يوصف الموت بالأحمر، كناية عن السنين المجدبة
 والقتل بالسيف ، وعجز البيت كناية عن اشتداد الحال وكلب الزمان حتى
 تظلم الدنيا فى العيون، وأسند فى صدر البيت الاخضرار الى نائل كفه أى
 عطائه توسعا ومبالغة (٣) يمدحه بالرياسة والشرف والعزة وأن الملوك تهابه
 وتقدمه اعترافا له بحق السبق وعجزا عن مباراته (٤) كأنه يقول :

حديثه أو حديث عنه يطربنى هذا اذا غاب أو هذا اذا حضرا
 فانى أظن أنه يريد بصدر البيت ارتياح النفس الى ذكره وانبساطها الى
 سماع سيرته ، وبعجزه السرور برؤيته واكتحال العين بنور طلعه، وقد
 صرح بهذا المعنى بعد فى قوله :

ملك يروك خلقه أو خلقه كالروض يحسن منظرا أو مخبرا
 ويقرب من معنى عجز البيت :

يَخْتَارُ إِذْ يَهَبُ الْخَرِيدَةَ كَاعِبًا
وَالطَّرْفَ أَجْرَدًا وَالْحُسَامَ مُجَوِّهَرًا^(١)
قَدَّاحُ زَنْدِ الْمَجْدِ لَا يَنْفَكُ مِنْ
نَارِ الْوَغَى إِلَّا إِلَى نَارِ الْقَرَى^(٢)
لَا خَلْقَ أَفْرَى مِنْ شِفَارِ حُسَامِهِ
إِنْ كُنْتَ شَبَّهْتَ الْمَوَاكِبَ أُسْطَرًا^(٣)

وأعدلى حديثه فلمعنى فرط وجد باللؤلؤ المنثور
وقد يحتمل معنى البيت غير هذا ولكن ذلك معنى لطيف دقيق .
« أحمد يوسف نجاتي » .

(١) يعنى أنه يجود بأنفس الأشياء وأثمنها وبما يضمن به غيره من كرائم
الأموال ، والخريدة الفتاة البكر العذراء . والحفرة الحية الطويلة السكوت
الحافضة الصوت المتسترة قد جاوزت الأعصار ولم تعنس ، والكاعب الناهد
أى التى نهى ثديها ، وكعب الندى « كضرب ونصر » اذا تتأ وارتفع ،
والطرف الجواد الكريم ، والأجرد قصير الشعر رقيقه ، وذلك من علامات
العتق والكرم ، والأجرد السباق الذى يسبق الخيل ويتجرد عنها السرعه
(٢) قدح بالزند رام الابراء « ايقاد النار به » والقري ما بعد للضيف (٣) فى
الأصل « لاشئ أقرأ » وكأنه نظر الى قوله فى آخر البيت « أسطرا »
وفى القلائد « أفرى » مراعاة لقوله « خلق » وهو المناسب للاستعمال ،
وخلق الأديم ونحوه اذا قدره وحزره ، أو قدره لما يريد قبل أن يقطعه
وقاسه ليقطع منه ما يشاء ثم يفرى ما خلقه بعد ذلك ، قال زهير يمدح هرم
ابن سنان :

ولأنت تفرى ما خلقت به ض القوم يخلق ثم لا يفرى

أَيَّقَنْتُ أَنِّي مِنْ ذَرَاهُ بِجَنَّةٍ
لَمَّا سَقَانِي مِنْ نَدَاهُ الْكَوْثَرُ^(١)
وَعَلِمْتُ حَقًّا أَنَّ رَبِّي مُخَصِّبٌ
لَمَّا سَأَلْتُ بِهِ الْغَمَامَ الْمُمْطِرَا
مَنْ لَا تُوَازِنُهُ الْجِبَالُ إِذَا أُحْتَبَى
مَنْ لَا تُسَابِقُهُ الرِّيَّاحُ إِذَا جَرَى^(٢)
مَاضٍ وَصَدْرُ الرَّمْحِ^(٣) يَكْهَمُ، وَالظُّبَا
تَنْبُو، وَأَيْدِي الْخَيْلِ تَعُثْرِ فِي الثَّرَى^(٤)

أى اذا قدرت أمرا قطعته وأمضيته ، وغيرك يقدر مالا يقطعه لأنه ليس بماضى العزم وأنت مضاء على ما عزمتم عليه . وفري الشيء يفريه اذا شقه والسطر الصف من الشيء ، يريد أن سيوفه أمضى الأشياء ، وشقها الصفوف : الفتك بها . وان بقيت « أقرأ » فالخلق بمعنى الناس ، ويكون قد جعل مباشرة السيوف للصفوف قراءة لأسطرها (١) الذرا الكنف والكن والستر . يقال أنا فى ظل فلان وفى ذراه أى فى كنفه وستره ودفئه (٢) كنى بالاحتباء عن السكون والاستقرار — ويقال فلان لا تحل حبوته أى لا يستقره جهل ولا يغضب لحلمه وثباته (٣) ويروى « وطرف الرمح » ، وسيف كهام أى كليلى لا يقطع ، كههم الرجل « ككرم ومنع » اذا بطؤ عن الحرب والنصرة ، وظبات السيوف : حدها وأطرافها . نبا السيف لم يؤثر فى الضريبة (٤) ويروى « تعثر فى البرى » والبرى التراب « أحمد يوسف نجأتى »

قَادَ الْكِتَابَ كَالْكُورِ كِبَ فَوْقَهُمْ
 مِنْ لَأَمِهِمْ مِثْلُ السَّحَابِ كَنُورًا^(١)
 مِنْ كُلِّ أَيْضٍ قَدْ تَقَلَّدَ أَيْضًا
 عَضْبًا ، وَأَسْمَرَ قَدْ تَقَلَّدَ أَسْمَرَ^(٢)
 مَلِكٌ يَرْوُقُكَ خَلْقُهُ أَوْ خُلُقُهُ
 كَالرَّوْضِ يَحْسُنُ مَنَظَرًا أَوْ مَخْبَرًا
 أَقْسَمْتُ بِاسْمِ الْفَضْلِ حَتَّى شِمْتُهُ
 فَرَأَيْتُهُ فِي بُرْدَتَيْهِ مُصَوَّرًا^(٣)
 وَجَهَلْتُ مَعْنَى الْجُودِ حَتَّى زُرْتُهُ
 فَقَرَأْتُهُ فِي رَاحَتَيْهِ مُفَسَّرًا

(١) اللام: عدة الحرب كاملة - والكنهور من السحاب قطع كالجبال ،
 أو المتراكم المتراكب التخين منه أو الأبيض العظيم. ويروى « فاذا الكتاب »
 (٢) يروى عجز البيت : قد تحمل أسمرًا ، وفي القلائد « قد تأبط »
 وأكثر ما تطلق العرب على الرجل « أبيض » إذا أرادوا نقاء العرض من
 الدنس والعيوب ، وهو كثير في كلامهم ، لا يريدون به بياض اللون ولكنهم
 يريدون المدح بالكرم ونقاء العرض قال زهير :
 وأبيض فياض يداه غمامة على معتفيه ماتعب فواضله
 والأبيض الثاني السيف ، والأسمر الرمح (٣) شامه رآه ، والأصل فيه
 سام البرق يشيمه إذا نظر إليه أين يقصد ، وفي البيت كناية عن نسبة

فَاحَ الثَّرَى مُتَعَطِّرًا بِثَنَائِهِ
 حَتَّى حَسِبْنَا كُلَّ تَرْبٍ عَنَبْرًا^(١)
 وَتَتَوَجَّتْ بِالزَّهْرِ صُلْعٌ^(٢) هِضَابِهِ
 حَتَّى ظَنَّنَا كُلَّ هَضْبٍ قَيْصَرًا
 هَصَرَتْ يَدَى غُصْنٍ الْغِنَى مِنْ كَفِّهِ
 وَجَنَّتْ بِهِ رَوْضَ الشَّرُورِ مُنَوَّرًا^(٣)
 حَسْبِي عَلَى الصَّنْعِ الَّذِي أَوْلَاهُ أَنْ
 أَسْعَى بِجِدٍّ أَوْ أَمُوتَ فَأَعْذَرًا^(٤)

الفضل اليه وقصره عليه فقد جعله في بردتيه ، وإنما الذي في بردتيه هو نفسه فكانه هو الفضل عينه (١) هذا مثل قول ابن هاني :
 قد طيب الأفواه طيب ثنائه من أجل ذا تجد الثغور عذابا
 وقال أبو الطيب :

وما طيب الرياض لها ولكن كساها دفنهم في الأرض طيبا
 (٢) جبل أصلع وصليع ليس عليه نبت (٣) هصر الغصن اذا جذبه اليه
 وأماله أو كسره من غير ابانة (٤) الجد الاجتهاد . والجد « بالفتح » الحظ
 وهو من قول الشاعر :

فسر في بلاد الله والتمس الغنى تمش ذا يسار أو تموت فتعذرا
 ومن المثل العربي : « اسع بجد أو دع » يعني ان طلبت فاطلب بجد والا
 فدع فإنه لا يغني عنك الكد مع عدم الجد ، والجد الحظ من الخير يجعله
 الله للعبد ، ومنه قول الشاعر :

يَأْيُهَا الْمَلِكُ الَّذِي حَازَ الْعُلَا
وَحَبَاهُ مِنْهُ بِمِثْلِ حَمْدِي أَنْوَرًا^(١)
السَّيْفُ أَفْصَحُ مِنْ زِيَادٍ خُطْبَةً
فِي الْحَرْبِ إِنْ كَانَتْ يَمِينُكَ مِنْبَرًا^(٢)
مَا زِلْتَ تُغْنِي مَنْ عَنَّا^(٣) لَكَ رَاجِيًا
نَيْلًا ، وَتُغْنِي مَنْ عَنَّا وَتَجَبِّرَا
حَتَّى حَلَلْتَ مِنَ الرِّيَّاسَةِ مَحْجَرًا^(٤)
رَحْبًا ، وَضَمَّتْ مِنْكَ طَرْفًا أَحْوَرًا

تقلبت ان كان القلب نافعى وبالجد يسعى المرء لابلتقلب
فابن عمار يقول انه بصنيع الممدوح وهب الله له جدا سعيدا ينجح به سعيه
حتى يموت . « أحمد يوسف نجاشي » .
(١) يريد حمده وثنائه عليه ووصفه بالانارة (٢) هذا البيت من أجود
ما قيل في معناه وأبلغه ، يريد زياد بن « سمية » أو ابن أبي سفيان ، وكانت
بلاغته وقدرته الخطابية وقوة تأثيره بها مثلا ، وهو صاحب الخطبة البتراء
المشهورة وغيرها ، وقريب من هذا المعنى قول أبي تمام :
السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب
(٣) عنا يعنو اذا خضع وانقاد وذل (٤) المحجر من العين ما دار بها ،
والمحجر : الحديقة والموضع فيه رعى كثير وماء ، ومحجر الرئيس : حوزته
وناحيته التي لا يدخل فيها غيره - وكأئن في المحجر تورية رشح لها بقوله
« حلت » وبقوله « طرفا أحور » والطرف أيضا الرجل الكريم الآباء

شَقِيتَ بِسَيْفِكَ أُمَّةً لَمْ تَعْتَقِدْ
 إِلَّا الْيَهُودَ وَإِنْ تَسَمَّتْ بَرَبْرًا^(١)
 أَثْمَرْتَ رُمَحَكَ مِنْ رُءُوسِ كُمَاتِهِمْ
 لَمَّا رَأَيْتَ الْفُصْنَ يُعْشَقُ مُشْمِرًا
 وَصَبَغْتَ دِرْعَكَ مِنْ دِمَاءِ مُلُوكِهِمْ
 لَمَّا عَلِمْتَ الْحُسْنَ يُلْبَسُ أُحْمَرًا^(٢)

الى الجدا الاكبر . ومن معاني الاحور العقل . والغرض انه حل من
 الرياسة في عينها اكراما وعلو منزلة ، وكنت أنت عينها التي بها تبصر .
 وان شئت أن تفهم معنى آخر من المعاني التي ذكرناها وحملت
 « المحجر والطرف وأحور » على التورية كان لك ذلك .
 (١) قام المعتضد عباد بالأمر سنة ٣٣٤هـ واشتدت حروبه واستولى على
 كثير من بلاد الأندلس ، وكان من البربر أن أغروا ابنه اسمعيل
 بالخروج عليه والسعى في انزاع الملك منه ، فثار على أبيه بمعوتهم حتى كان
 ذلك سببا في أن قتل الوالد ابنه ، ثم رجع الى الانتقام من البربر المنتزعين
 بالثغور ومطالبتهم بماجنوه ، وكان منهم من يسمى المستظهر العزيز بن محمد
 ابن عبد الله البرزالي التغلب على قرمونة واستجة وغيرها ، وكان منهم
 رؤساء آخرون في بعض مدن الجزيرة وثغورها ، فحاربهم واستولى على كثير
 من ممالكهم وضايقهم ، وانتقم منهم بالقوة مرة وبالحيلة والسكر أخرى
 حتى تغلب على معاقلم فكانت مملكته أعظم ممالك الطوائف في عصره
 « أحمد يوسف نجاتي »

(٢) سبق القول في « الحسن أحمر » ويأتى كلام فيه ، ومن كلامهم :

وإِلَيْكُمَا كَالرَّوْضِ زَارَتْهُ الصَّبَا
وَحَنَا لَمْلَمِهِ الْبَلُّ حَتَّى نَوْرًا
نَمَقَّتْهَا وَشْيَا بِذِكْرِكَ مُذْهَبًا
وَفَتَقَّتْهَا مِسْكًَا بِحَمْدِكَ أَذْفَرًا^(١)
مَنْ ذَا يُنَافِحُنِي^(٢) وَذِكْرُكَ مَنَدَلٌ
أَوْرَدَتْهُ مِنْ نَارِ فِكْرِي مِجْمَرًا ؟
فَلَيْتُ وَجَدْتُ نَسِيمَ مَدْحِي عَاطِرًا
فَلَقَدْ وَجَدْتُ نَسِيمَ بَرِّكَ أَعْطَرًا
أُنْتَهَى .

« وَقَالَ فِي تَرْجَمَةِ عَبْدِ الْجَلِيلِ بْنِ وَهْبُونَ الْمُرْسِيِّ^(٣) » التعريف
بأبن وهبون

الحسن أحمر ، أى الحسن فى الحمرة ، وقيل المعنى انه شاق يحتاج الى حمل
المصاعب ، أو أنه يلقى العاشق منه مايلقى المحارب فى الحرب (١) فتق
الطيب اذا طيبه وخلطه بعود أو غيره ، وفق المسك بغيره اذا أخرج
رائحته بشيء يدخله عليه ، ومسك أذفر متوهج الرائحة (٢) نالقه اذا
كالقه وخاصمه ، ويجوز أن يكون من نفح الطيب وهو أرجه ، أى من
يبارينى فى ذكاء الرائحة وتضوع الطيب ، ففيه تورية مرشحة بقوله
« مندل الخ » والمندل العود الرطب ، أو أجوده وهو القاقلى ، أو عود الطيب
الذى يتبخر به (٣) أبو محمد عبد الجليل بن وهبون الأديب شاعر

رَكِبَ بِإِشْبِيلِيَّةَ زَوْرَقًا فِي نَهْرِهَا الَّذِي لَا تُدَايِنِيهِ الصَّرَاةُ^(١) ،
وَلَا يُضَاهِيهِ الْفُرَاتُ ، فِي لَيْلَةٍ تَنْقَبَتْ بِظُلُمَتِهَا ، وَلَمْ
يَبْدُ وَضَحٌ^(٢) فِي دُحْمَتِهَا ، وَبَيْنَ أَيْدِيهِمْ شَمْعَتَانِ قَدْ اُنْعَكَسَ
شُعَاؤُهُمَا فِي اللَّجَّةِ ، وَزَادَ فِي تِلْكَ الْبَهْجَةِ ، فَقَالَ :

كَأَنَّمَا الشَّمْعَتَانِ إِذْ سَمَتَا

جَيْدُ غَلَامٍ مُحَسِّنِ الْغَيْدِ^(٣)

الاعتماد على الله بن عباد ومن أخص ندمائه والمقرين اليه، وهو من الشعراء
المجيدين ذوى الرقة وحضور البديهة ، وكان من فرسان تلك الحلقة الأدبية
من شعراء ملوك الطوائف التي ازدان بها عصرهم . منهم ابن عمار وابن
خفاجة وأبو بكر بن القبطرنة وغيرهم مما سنفصل القول فيه في كلامنا
على الأدب بالاندلس في كتابنا الجامع ، فقد أفردنا للأدب بالاندلس
جزءاً ضخماً . وتوفي ابن وهبون حوالى سنة ٤٨٠ « أحمد يوسف نجاشي »
(١) الصراة اسم لنهرين ببغداد الصراة الكبرى والصراة الصغرى ،
يخرج أحدهما من نهر عيسى بالقرب من بغداد ويتفرع منه أنهار حتى
يصل الى بغداد ثم يصب في دجلة . وفي نهر الصراة قيل :

وقفت على الصراة وليس تجرى مغانيها لنقصان الفرات

فلما أن ذكرتك فاض دمعى فأجراهن جرى العاصفات

(٢) الوضوح البياض أو النور ، وفي بعض المراجع « تنقبت بظلمائها ولم يلح قمر
في سمائها » والدهمة السواد أو الظلمة (٣) الغيد مصدر غيد « كفرح » اذا مالت

وَفِي حَشَا النَّهْرِ مِنْ شُعَاعِهَا
 طَرِيقُ نَارِ الْهَوَى إِلَى كِبْدِي
 وَكَانَ مَعَهُ غَلَامٌ الْبَكْرِيُّ^(١) مُعَاطِيًا لِلرَّاحِ ، وَجَارِيًا
 فِي مِيدَانِ ذَلِكَ الْمِرَاحِ ، فَلَمَّا جَاءَ عَبْدُ الْجَلِيلِ بِمَا جَاءَ ،
 وَحَلَّى لِلْإِبْدَاعِ الْجَوَانِبَ وَالْأَرْجَاءَ ، حَسَدَهُ عَلَى ذَلِكَ
 الْإِرْتِجَالِ ، وَقَالَ بَيْنَ الْبُطْءِ وَالِاسْتِعْجَالِ :
 أَعْجِبْ بِمَنْظَرِ لَيْلَةٍ لَيْلَاءٍ^(٢)
 تُجْنَى بِهَا اللَّذَاتُ فَوْقَ الْمَاءِ
 فِي زَوْرَقٍ يُرْهِى بِغُرَّةٍ أَغْيَدٍ
 يَخْتَالُ مِثْلَ الْبَانَةِ الْغَيْنَاءِ^(٣)

عنقه ولانت أعطافه ، والغيداء المرأة تثني لنا ، وفي بعض النسخ « خدا »

تثنية خد بدل « جيد » « أحمد يوسف نجاتي »

(١) هو أبو الحسن حكم بن محمد أديب شاعر محسن ذو بديهة حاضرة وخواطر
 جياش ، له حسن تصرف في المعاني واختراعها والتوليد من معاني غيره من
 الشعراء . كان من شعراء ابن عباد ومن ذوى المقام المحمود في الدولة العبادية
 وعاش حتى أدرك دولة المثلثين ومدح أول ملوكها « أحمد يوسف نجاتي »
 (٢) شديدة الظلمة (٣) الغيناء : الخضراء من الشجر الكثيرة الورق
 الملتفة الأغصان الناعمة ، وفي الأصل « الغناء » « أحمد يوسف نجاتي »

قَرَنْتُ يَدَاهُ الشَّمْعَتَيْنِ بِوَجْهِهِ
كَالْبَدْرِ بَيْنَ النَّسْرِ وَالْجُوزَاءِ^(١)
وَالْتَّاحِ^(٢) تَحْتَ الْمَاءِ ضَوْءُ جَبِينِهِ
كَالْبَرْقِ يَخْفِقُ فِي غَمَامِ سَمَاءِ

« وَقَالَ الْفَتْحُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - « دُعِيتُ يَوْمًا إِلَى مُنْيَةٍ
الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ بِلَنْسِيَّةَ ، وَهِيَ مُنْتَهَى الْجَمَالِ ،

وصف الفتحة
منية المنصور

(١) أراد بالبدر وجهه. وبالنسر والجوزاء الشمعتين ، والنسران كوكبان معروفان على التشبيه بالنسر الطائر ، وهما النسر الطائر والنسر الواقع ، وقد تقدم شرحهما ووصفهما في الأجزاء السابقة . أما الجوزاء فتبدو في السماء على شكل خمس غير منتظم واقع على حافة المجرة ، وأضواء نجمين في الجوزاء تسميهما العرب « الذراع المبسوطة » أو التوأمين « التوأم المقدم والتوأم المؤخر » ويمكن مشاهدة الأول بالمنظار الصغير لشدة توهجه ولمعانه ، وتسمى العرب النجمين اللذين عند رجلي التوأم المؤخر « الهنعة » وتوافق المنزلة السادسة من منازل القمر ، وسابعة المنازل « الذراع المبسوطة » وتطلق كتب الفلك العربية لفظ « الجوزاء » على كوكبي التوأمين والجبار . ومن أبدع ما قيل في وصفها قول أبي بكر الخالدي :

وتمايل الجوزاء يحكي في الدجا ميلان شارب قهوة لم تخرج
وتنقبت بخفيف غيم أبيض هي فيه بين تبخر وتبرج
كتنفس الحساء في المرأة إذ كملت محاسنها ولم تتزوج
وسموم! جوزاء لا اعتراضها في جوز السماء أي وسطها « أحمد يوسف نجاتي »
(٢) التاح : لاح وأشرق ، وصدر البيت كان في الأصل هكذا

وَمُزْدَهَى^(١) الصَّبَا وَالشَّمَالِ ، عَلَى وَهْيِ^(٢) بِنَائِهَا ، وَسُكْنَى
الْحَوَادِثِ بُرْهَةً يَفْنَأُهَا ، فَوَافِئُهَا وَالصُّبْحُ قَدْ أَلْبَسَهَا قَمِيصَهُ ،
وَالْحُسْنُ قَدْ شَرَحَ بِهَا عَوِيصَهُ^(٣) وَبَوَسَطَهَا مَجْلِسُ قَدْ تَفَتَّحَتْ
لِلرَّوْضِ أَبْوَابُهُ ، وَتَوَشَّحَتْ بِالْأُزْرِ الذَّهِيَّةِ أَثْوَابُهُ^(٤) ،
يَخْتَرِقُهُ جَدُولٌ كَالْحُسَامِ الْمَسْلُولِ ، وَيَنْسَابُ فِيهِ أَنْسِيَابُ

« والتاج تحت الماء أضواء منهما » (١) أى موضع ازدهائهما وحسنهما وبهها كاتنا
ترهيان وتعجبان (٢) ضعف « وكان ذلك فى أول القرن الخامس »
(٣) العويص الغامض المشكل ، والغرض أن الحسن قد ظهر فيها جليا
نأما . واعلم أن المنصور هذا هو عبد العزيز بن الناصر عبد الرحمن بن
أبى عامر من ملوك الطوائف ، وكان أميرا بشاطبة وما معها من شرق
الأندلس بويغ له سنة ١١٤٠ أقامه الموالى العامريون عند الفتنة البربرية ،
ثم ثار عليه أهل شاطبة فتركها ، ثم لحق ببلنسية فملكها وفوض أمره للموالى
العامريين ، ثم ولى على بلنسية ابنه عبد الملك بن عبد العزيز فقام بأمره وجاهد
المأمون بن ذى النون فغلبه على بلنسية وانتزعها منهم فى سنة ٥٧٤ وبقى للمنصور
مدينة مرسية ملكها بعد موت زهير العامرى سنة ٢٩٤ وكذا مدينة
المرية ولى عليها قائده معن بن صمادح سنة ٣٣٤ وغزا الموالى العامريين بشاطبة
فغلبهم عليها ، وقد تقدم القول فى ملوك الطوائف وأماراتهم « أحمد يوسف نجاشى »
(٤) التوشح بالثوب أن يلقبه عليه ثم يخرج طرفه الذى ألقاه على عاتقه
الأيسر من تحت يده اليمنى ثم يعقد طرفيهما على صدره « هذا هو الأصل »
ثم استعمل « توشح » فى معنى « ازدان » وتجميل ، والأزر جمع أزار -

الْأَيْمِ^(١) فِي الطُّلُولِ ، وَصَفَاتُهُ بِالْأَذْوَاحِ مُحْفُوفَةٌ ،
وَالْمَجْلِسُ يَرُوقُ كَالْخَرِيدَةِ الْمَرْفُوفَةِ ، وَفِيهِ يَقُولُ عَلِيُّ
ابْنُ أَحْمَدَ أَحَدُ شُعَرَاءِهَا ، وَقَدْ حَلَّهُ مَعَ طَائِفَةٍ مِنْ وُزَرَاءِهَا :

قُمْ فَاسْقِنِي وَالرِّيَاضُ لَابِسَةٌ وصف على بن
أحمد لمجلس منية
المنصور
وَشَيْئًا مِنَ النُّورِ حَاكُهُ الْقَطَرُ
فِي مَجْلِسٍ كَالسَّمَاءِ لَاحٍ بِهِ
مِنْ وَجْهِ مَنْ قَدْ هَوَيْتُهُ بَدْرُ
وَالشَّمْسُ قَدْ عَصِفَتْ^(٢) غَلَاثِلُهَا
وَالْأَرْضُ تَنْدَى ثِيَابُهَا الْخَضِرُ
وَالنَّهْرُ مِثْلُ الْمَجَرِّ حَفَّ بِهِ
مِنَ النَّدَايِ كَوَاكِبُ زُهْرُ
فَحَلَلْتُ ذَلِكَ الْمَجْلِسَ وَفِيهِمْ أَخْدَانُ^(٣) ، كَأَنَّهُمُ الْوِلْدَانُ

يصف ما بالروض من أزهار وأنوار (١) الأيم الحية البيضاء، والثعبان الذي لا يضر أحداً، ويقال فيه أيضاً « أيم » « مثل كيس » وفي نسخة « في الطول » بدل « الطلول » (٢) أي صبغت بالعصفر وهو نبت معروف وبزره القرطم « وصبغه بين الأحمر والأصفر » يريد أن الشمس قد آذنت بالمغيب ودنت من الغروب (٣) جمع خدن وهو الصديق والصاحب « أحمد يوسف نجاتي »

وَهُمْ فِي عَيْشٍ لَدُنْ^(١) ، كَانَهُمْ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ ، فَأَنْخَتُ
لَدَيْهِمْ رَكَائِي وَعَقَلْتُهَا^(٢) ، وَتَقَلَّدْتُ بِهِمْ رَغَائِي وَأَعْتَقَلْتُهَا^(٣)
وَأَقَمْنَا نَتْنَعَمُ بِحُسْنِهِ طُولَ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَوَأَفَى اللَّيْلُ
فَذُدْنَا^(٤) عَنِ الْجُفُونِ طُرُوقَ النَّوْمِ ، وَظَلَّلْنَا بِلَيْلَةٍ كَأَنَّ
الصُّبْحَ مِنْهَا مَقْدُودٌ^(٥) وَالْأَغْصَانُ تَمِيسُ كَأَنَّهَا قُدُودٌ ،
وَالْمَجَرَّةُ تَتَرَاءَى نَهْرًا ، وَالْكَوَاكِبُ تَخَالِفُ فِي الْجَوْزِ زَهْرًا
وَالثَّرِيَّا كَأَنَّهَا رَاحَةٌ تُشِيرُ^(٦) ، وَعُطَارِدُ لَنَا بِالطَّرَبِ بِشِيرُ ،

(١) اللدن اللين وفعله « ككرم » يريد في نعمة ورغد عيش (٢) يريد أقام
بينهم وسكن اليهم (٣) أي نالها وتمكن منها ، وأصله من تقلدت إذا بست
القلادة ، وتقلد السيف إذا ألقى حمالته في عنقه فتقلده ، واعتقل الرمح جعله
بين ركابه وساقه ، أو أن يجعله الراكب تحت فخذه ويجر آخره على الأرض
وراءه - وإذا شبه الرغائب بالسيف والرمح لأنها قوة للراء إذا نالها تغلب على
شدائد الدهر ومصاعب الحياة وانتصر على خطوبها « أحمد يوسف نجاتي »
(٤) ذاد : منع وطرده (٥) قد الشئ إذا شقه وقطعه ، يصف الليلة بالاشراق
والبهاء حسا أو معنى لما فيها من الصفاء والسرور (٦) من تشبيه الثريا
بالراحة قول الشاعر وأدمج فيه الشكوى من طول الليل :

كأن الثريا راحة تشير الدجا لتنظر طال الليل أم قد تعرضا
ومنه قول أبي الفرج البغاء :

كأن نجم اثريا كف ذي كرم مبسوطة بالعطايا ليس تنقبض
ولابن الرومي :

وكان الهلال نصف سوار والثرى كف تشير اليه

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ وَافَيْتُ الرَّئِيسَ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ^(١) زَائِرًا
فَأَفْضَنَّا فِي الْحَدِيثِ إِلَى أَنْ أَفْضَى بِنَا إِلَى ذِكْرِ مُتَزَهِنَا

ونشاعروأحسن :

زارني في الدجا فم عليه طيب أردانه لدى الرقباء
والثريا كأنها كف خود برزت في غلالة زرقاء

ولابن سكرة الهاشمي :

تري الثريا والغرب يجذبها والبدر يسرى والفجر ينفجر
كف عروس لاحت خواتمها أو عقد در في الجو ينتثر
أما عطارد فهو أصغر الكواكب وأدناها من الشمس فاه لا يكاد يرى
الا بجوارها ، ويشاهد في أكثر شهور الشتاء أكثر ضوءا وأقوى
سطوعا منه في معظم أشهر الصيف ، ويدعى « نجم الصباح » حين
يكون الى الغرب من الشمس فيشرق قبل شروقها ، ثم يسمى نجم
المساء حين ينتهى بعد أن يسبح في فلكه الى أن يكون الى الشرق
من الشمس فيغرب بعد مغيبها ، وهو في كالأحاليه يبدو لعين الراى
مشرق الوجه جميل الطامة ، يتألق بحياه بشرا ، ويتلأأ سرورا وبهجة ،
وفيه يقول الشريف الموسوى :

أرى كل نجم عاريا وعطارد اذا مابدا مثل الغلام المدرع
وتحت شعاع الشمس ان راح ساريا كألوة في كأس خمر مشعشع
وكانوا يجعلون عطارد كوكب الكتاب « أحمد يوسف نجاتي »

(١) هو أبو عبد الرحمن محمد بن طاهر كان من جلة الرؤساء المبرزين في
الأدب المجيد في منشوره ومنظومه ، تقلبت به الأيام بين رضا وسخط
حتى توفي سنة ٥٠٧ هـ ، وهو ممن عنيينا بالتوسع في ترجمتهم وبيان أثرهم
في الأدب من أعيان الأدباء الأندلسيين في كتابنا الجامع « أحمد يوسف
نجاتي »

بِالْأَمْسِ ، وَمَا لَقِينَا فِيهِ مِنَ الْأَنْسِ ، فَقَالَ لِي : وَمَا بِهِجَةٌ
 مَوْضِعٌ قَدْ بَانَ^(١) قَطِينُهُ وَذَهَبَ ، وَسَلَبَ الزَّمَانُ بِهِجَتَهُ
 وَأَنْتَهَبَ ، وَبَادَ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا رَسْمُهُ ، وَمَحَاهُ الْخَدَتَانِ فَمَا يَكَادُ
 يُلَوِّحُ وَسْمُهُ ؟! عَهْدِي بِهِ عِنْدَ مَا فُرِغَ مِنْ تَشْيِيدِهِ ، وَتُنْوِيهِ
 فِي تَنْسِيقِهِ وَتَنْضِيدِهِ ، وَقَدْ أَسْتَدْعَانِي إِلَيْهِ الْمَنْصُورُ فِي يَوْمٍ
 حَلَّتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَنْتَ شَرَفَهَا ، وَأَكْتَسَتْ فِيهِ الْأَرْضُ
 بَرْخُفَهَا ، فَحَلَّتْ بِهِ وَالْدَّوْحُ تَمِيسُ مَعَاظِفُهُ ، وَالنَّوْرُ
 يُخْجِلُهُ قَاطِفُهُ ، وَالْمُدَامُ تَطْلُعُ بِهِ وَتَغْرُبُ ، وَقَدْ حَلَّ فِيهِ
 قَحْطَانُ وَيَعْرُبُ ، وَيَبْنَ يَدَيِ الْمَنْصُورِ مِائَةُ غَلَامٍ مَا يَزِيدُ
 أَحَدُهُمْ عَلَى الْعَشْرِ غَيْرَ أَرْبَعٍ ، وَلَا يُحِلُّ غَيْرَ الْفُؤَادِ مِنْ
 مَرْبَعٍ^(٢) ، وَهُمْ يُدِيرُونَ رَحِيقًا^(٣) ، خِلَتَهَا فِي كَاسِهَا دُرًّا
 وَعَقِيقًا ، فَأَقَمْنَا وَالشَّهْبُ تُغَارِلُنَا ، وَكَأَنَّ الْأَفْلَاكَ مَنَازِلُنَا ،
 وَوَهَبَ الْمَنْصُورُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَا يَزِيدُ عَلَى عِشْرِينَ أَلْفًا

(١) فارقه ساكنوه (٢) أصل المربع مكان الإقامة زمن الربيع ، ثم أطلق
 على أي مكان يقيم فيه ساكنه (٣) الرقيق : الحمر ، أو صفوتها وأطيبها ،
 واعتقها وأجودها « أحمد يوسف نجاني »

مِنْ صِلَاتٍ، مُتَّصِلَاتٍ، وَإِقْطَاعٍ، ضِيَاعٍ^(١)، ثُمَّ تَوَجَّعَ لِذَلِكَ
الْعَهْدِ، وَأَفْصَحَ بِمَا يَنْبَغُ ضُلُوعِهِ مِنَ الْوَجْدِ، وَقَالَ :

سَقِيًّا لِمَنْزِلَةِ اللّٰوِي وَكَثِيرَهَا

إِذْ لَا أَرَى زَمَنًا كَأَزْمَانِي بِهَا

انتهى

« وَمَا أَحْسَنَ مَا كَتَبَ بِهِ الْفَتْحُ إِلَى بَعْضِ الْمُلُوكِ »
يَصِفُ نَزْهَةً يَبْعُضُ مُنْتَزَهَاتِ الْأَنْدَلُسِ الْمُورِنَقَةِ، وَيَذْكُرُ
اِسْتِضَاءَتَهُ فِيهَا بِشُمُوسِ الْمَسَرَّةِ الْمَشْرِقَةِ، وَهُوَ : أَطَالَ اللَّهُ
سُبْحَانَهُ بَقَاءَ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ، وَمُحْيِي الْمِلَّةِ، الَّذِي حَسُنَ بِلُقْيَاهُ
الْعَيْشُ، وَتَزَيَّنَ بِمُحْيَاهُ الْجَيْشُ، وَرَاقَ بِاسْمِهِ الْمَلِكُ،
وَجَرَتْ بِسَعْدِهِ الْفُلُكُ، وَأَنَارَ بِهِ اللَّيْلُ الدَّامِسُ^(٢)، وَلَا حَ لَهْ
الْأَثَرُ الطَّامِسُ^(٣)، وَجَرَى الدَّهْرُ لِسَطْوَتِهِ خَائِفًا، وَغَدَا
السَّعْدُ بِعَقْوَتِهِ^(٤) طَائِفًا، وَالزَّمَانُ بِرُودِ عَلَيْهِ مُلْتَحِفًا،

وصف نزهة
ببعض منزهات
الأندلس

(١) كذا في القلائد، وقد كان في الأصل « وأقطع ضياعا » (٢) شديد
الظلام (٣) طمس « كنصر وضرب » الاثر وغيره اذا درس وانمحي
(٤) العقوة ماحول الدار أو المحلة وجمعه عقاء « أحمد يوسف نجاتي »

وَلِثُغُورٍ نَدَاهُ مُرْتَشِفٌ ، وَلَا زَالَ لِلْمَجْدِ يَتَمَلَّكُهُ ، وَالسَّعْدِ
يَحْمِلُهُ فَلَكُهُ ، أَمَا وَقَدْ وَاقَقْتَنِي أَيَّامُهُ - أَيَّدَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ -
وَفَاقًا وَرَأَيْتُ لِلْبَيَانِ عِنْدَهُ تَفَاقًا^(١) ، فَلَا بُدَّ أَنْ أُرْسِلَ كِتَابُهُ
أَفْوَاجًا ، وَأَفِيزَ مِنْ بَحْرِهِ أَمْوَاجًا ، وَأُصِفَ مَا شَاهَدْتُهُ
مِنْ أَقْدَارِهِ ، وَعَايَنْتُهُ مِنْ حُسْنِ إِرَادِهِ وَإِصْدَارِهِ ، بِمَقَالِ
أَفْصَحَ مِنْ شَكْوَى الْمَحْزُونِ ، وَأَمْلَحَ مِنْ رِيَاضِ
الْحَزُونِ^(٢) وَقَدْ كُنْتُ - أَيَّدَ كُمْ اللَّهُ تَعَالَى - كَلِفًا بِالذُّوْلِ
وَبَهَائِهَا ، لَهَجًا^(٣) بِالْبُلُوغِ إِلَى أَنْتِهَائِهَا ، لِأَجَدِ دَوْلَةٍ أَرْتَضِيهَا ،
وَحُظُوءَةٍ عَلَيَّاءُ أَقْتَضِيهَا ، فَكُلُّ مُلِكٍ فَارَوْضَتُهُ سِرًّا أَوْ جَهْرًا ،
وَكُلُّ مُلِكٍ قَلْبَتُهُ بَطْنًا وَظَهْرًا ، وَالنَّفْسُ تَصَدُّ عَنْهُ صُدُودَ
الْجَبَانِ عَنِ الْحَرْبِ ، وَالْمَلَائِكَةُ الْكَرَامِ عَنِ الشَّرْبِ^(٤)

(١) رواجاً وقبولاً (٢) جمع حزن وهو ماغلظ من الأرض في ارتفاع ،
والحزن في قول الأعشى :

ماروضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل الخ
موضع كانت ترعى فيه ابل الملوك، وهو من أرض بنى أسد (٣) لهج بالأمر
« كفرح » اذا أغرى به وأولع فتأبر عليه واعتاده (٤) القوم يشربون
ويجتمعون على الشراب « أحمد يوسف نجاتي »

إِلَى أَنْ حَصَلْتُ لَدَيْهِ ، وَوَصَلْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقُلْتُ الْآنَ
أَمُكِّنْ مِنْ رَاحِ الْبُغْيَةِ الْإِنْتِشَاءُ^(١) وَتَمَثَّلْتُ « الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحُزْنَ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوا مِنْ الْجَنَّةِ
حَيْثُ نَشَاءُ » وَمَا زِلْتُ أُسَايِرُهُ حَيْثُ سَارَ ، وَأَخُذُ الْيَمِينَ
تَارَةً وَتَارَةً الْيَسَارَ ، وَكُلُّ نَاحِيَةٍ تُسْفِرُ لِي عَنْ خَدِّ رَوْضٍ
أَزْهَرَ ، وَعِذَارٍ نَبَتْ أَخْضَرَ ، وَتَبَسُّمٌ عَنْ ثَغْرِ حَبَابٍ ، فِي
نَهْرٍ كَالْحَبَابِ ، وَتَرْفُلٌ^(٢) مِنْ الرَّيِّعِ فِي مَلَابِسٍ سُنْدُسيَّاتٍ
وَتُهُدًى إِلَيْنَا نَوَافِحُ^(٣) مِسْكِيَّاتٍ ، وَتُزْهِى مِنْ بَهْجَتِهَا
بِأَحْسَنِ مَنَظَرٍ ، وَتَتِيهُ بِجِلْبَابٍ أَيْنَعٍ مِنْ بُرْدِ الشَّبَابِ الْأَنْضَرِ ،
فَجَلْنَا فِيهَا يَمِينًا وَشِمَالًا ، وَأُسْتَخْبَرْنَا عَنْ أَسْرَارِهَا صَبًا وَشِمَالًا .
ثُمَّ مَالَ بِنَا - أَيْدُهُ اللَّهُ تَعَالَى - عَنْ هَذِهِ الْمَسَارِحِ السَّنِيَّةِ ،
وَالْمَنَازِلِ الْبَهِيَّةِ ، إِلَى إِحْدَى ضِيَاعِهِ الْحَالِيَةِ^(٤) ، وَبِقَاعِهِ

(١) يريد أتمكن التمتع بنيل البغية كلها والسرور بالحصول عليها تامة
هنيئة . والراح الحجر ، والانتشاء منها السكر بها وعملها في شاربها .

(٢) رفل في ثيابه إذا جر ذيله وتبعثر ، وامرأة رفلة تجر ذيلها جراحسنا
إذا مشت وتميس في ذلك معجبة مختالة (٣) جمع نافعة من نفح الطيب
إذا أريج وفاح ، وفي نسخة « نوافج » بالجيم جمع نافجة وهي وعاء المسك
« وهو معرب » (٤) ذات الحلى والزينة . يريد المزدانة بالنبات والمناظر ذات

الْعَالِيَةِ ، فَحَلَّلْنَاهَا وَالْأَيْمُ^(١) قَدْ عَرِيَ مِنْ جِلْبَابِهِ ، وَالْيَوْمُ
قَدْ أَكْتَهِلَ بَعْدَ شَبَابِهِ ، فَزَلْنَا فِي قُصُورٍ يَقْصُرُ عَنْهَا
جَعْفَرِي^(٢) جَعْفَرٍ ، وَقُصُورُ بَنِي^(٣) الْأَصْفَرِ ، تُهْدِي مِنْ
لَبَائِهَا^(٤) بُرْدًا مُحَبَّرًا ، وَتُبْدِي مِنْ شَذَاهَا مِسْكًَا وَعَنْبَرًا ،
وَقَدْ لَاحَتْ مِنْ جَوَانِبِهَا نُجُومُ أَكْوَاسٍ ، لَوْ رَأَاهَا أَبُو نُوَّاسٍ
لَجَعَلَهَا شِعَارَهُ ، وَوَقَفَ عَلَى نَعْتِهَا أَشْعَارُهُ ، وَلَمْ يَتَّخِذْ سِوَاهَا
نُجْمَةً^(٥) ، وَلَا نَبَّهَ خَمَّارُهُ بَعْدَ هَجْعَةٍ^(٦) فَتَعَاطَيْنَاهَا وَالسَّعْدُ لَنَا

الحسن والبهجة (١) الایم فی الاصل الثعبان الابيض الذي لا يضر أحدا
استعير هنا للنهار (٢) الجعفری قصر بناء سنة ٢٤٥ أمير المؤمنين جعفر
المتوكل على الله الخليفة العباسی بن المعتصم قرب سامراء ، فاستحدث عنده
مدينة وانتقل اليها ، وأقطع القواد منها قطائع فصارت أكبر من سامراء
وفيه قتل المتوكل سنة ٢٤٧ فعاد الناس الى سامراء ، وللشعراء في ذكر
الجعفری قصائد بديعة ، ومن أحسن ما قيل فيه قصيدة البحتری التي منها :

قد تم حسن الجعفری ولم يكن ليتم الا بالخليفة جعفر

(٣) اسم كانوا يطلقونه على الروم أو ملوكهم . قال عدی بن زيد :

وبنو الأصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذکور

(٤) اللبة فی الاصل موضع القلادة من الصدر أو وسط الصدر ، والبرد
ثوب مخطط ذووشى ، وجبره اذا وشاه وحسنه ونقشه (٥) النجمة طلب
الكلاء فی موضعه ، ويقال هو نجعتى أى أملى ومطلبي على المثل (٦) أى
بعد نومة خفيفة ومضى طائفة من الليل وفى نسخة « خمارة » ، يشير الى

خَادِمٌ ، وَمَا غَيْرُ الشُّرُورِ عَلَيْنَا قَادِمٌ ، وَخُدُودُ سُقَاتِهَا
 قَدْ أَكْتَسَتْ مِنْ سَنَاهَا ، وَقُدُودُهُمْ تَهِيلٌ^(١) عَلَيْنَا بِجَنَاهَا ،
 وَنَحْنُ بَيْنَ سُكْرِ وَصَحْوٍ ، وَإِثْبَاتٍ وَمَحْوٍ ، وَإِصَاخَةٍ إِلَى
 بَمٍّ^(٢) وَزِيرٍ ، وَالتَّفَاتَةِ إِلَى مَلِكٍ وَوَزِيرٍ ، إِلَى أَنْ وَلَّى النَّهَارُ
 فَحَيَّانَا ، وَأَقْبَلَ اللَّيْلُ الْمَمِيتُ فَأَحْيَانَا ، فَوَصَلْنَاهُ بِلَهْوٍ

قول أبي نواس من أبيات له فيها عبث رقيق ماجن، ورفث نواسي غير
 عفيف :

وخمارة نهبتها بعد هجمة وقد غابت الجوزاء وانحدر النسر
 فقالت: من الطراق؟ قلنا: عصابة خفاف الأداوى يتغنى لهم خمر
 الأداوى جمع إداوة اناء صغير من جلد، يريد أنهم قد نفد شرابهم فخفت
 أداواهم، وكانوا يحملون بها الماء، ومثل أبي نواس وصحبه انما تملأ أداواهم
 بغير الماء، فليسوا بمن يكرع القراح، ولكنهم ممن يرتوون بالراح، وبعد
 البيتين قص حديثه مع الحمارة وما ارتكبه في حانها بعد أن شربوا الاثم
 وذهبت بصوابهم أم الحباث « أحمد يوسف نجاتي »
 (١) تميل، من قولهم تهيل الرمل اذا تساقط ولم يثبت مكانه، شبه
 قدودهم بأغصان تترنخ متثنية، وجناها ورد الحدود وتفاحها « وأظنه يريد
 أنهم كانوا يقتطفون منهم القبل ونحوها مما دعاهم اليه ثمل الشراب ونشوة
 الخمر (٢) البم من أوتار العود وكذلك الزير، قال :

البم والزير وكأس الطلا أولى بمثلى من سؤال الديار

وقال ابن الرومي :

فيه بم وفيه زير من النغم وفيه مثالث ومثاني

« وهذه أسماء الأوتار كلها » « أحمد يوسف نجاتي »

وَقَصَفٍ ، وَعَيْشٍ يَتَجَاوَزُ كُلَّ وَصَفٍ ، فَكَأَنَّ يَوْمَنَا مُقِيمٌ
 أَوْ كَأَنَّ لَيْلَنَا مِنَ الظَّلَامِ عَقِيمٌ ، وَلَمَّا سَلَ الْفَجْرُ حُسَامَهُ ،
 وَأَبْدَى لِعُبُوسِ اللَّيْلِ ابْتِسَامَهُ ، وَجَاءَ يَخْتَالُ اخْتِيَالًا ، وَيَمْحُو
 مِنْ بَقَايَا اللَّيْلِ نِيَالًا^(١) ، قُمْنَا نَتَنَاقِبُ^(٢) الْمَسِيرِ ، وَكُلُّنَا فِي يَدِ
 النَّشْوَةِ أَسِيرٌ ، فَسِرْنَا وَالْمَلِكُ الْأَجَلُ يَقْدُمُنَا ، وَالْأَيَّامُ
 تَخْدُمُنَا ، فَلَا زَالَتِ الْأَيَّامُ بِهِ زَاهِيَةً ، وَعَنْ سِوَاهُ لَاهِيَةً ،
 مَا عَمَرَ وَكَرًّا عُقَابٌ^(٣) وَكَانَ لِلشُّهُورِ غُرْرٌ وَأَعْقَابٌ^(٤) .
 أَنْتَهَى .



الراضى بالله
ابن عباد

« وَقَالَ الْفَتْحُ فِي تَرْجَمَةِ الرَّاضِي بِاللَّهِ أَبِي خَالِدٍ يَزِيدَ »

(١) يريد صبغوا أثرا باقيا ، وفي بعض النسخ « خيالا » أى أثرا (٢) وفي نسخة
 « تنادب » (٣) العقاب هذا الطائر المعروف ، كانوا يدعونه سيد الطيور ، و يرونها
 أحزم الطير وأشدّه بأسا . وقيل لبشار بن برد : لو خيرك الله أن تكون حيوانا
 ماذا كنت تختار ؟ قال : العقاب لأنها تلبث حيث لا يباغها سبع ولا ذو أربع
 وتحيد عنها سبع الطير ولا تعاني الصيد الا قليلا بل تسلب كل ذى صيد
 صيده (٤) الغرة من الشهر ليلة استهلال القمر لبياض أولها تشبها بغرة
 الفرس في جبهته ، وغرة كل شيء أوله ، والأعقاب جمع عقب وهو آخر كل
 شيء ، ويقال : جئت في عقب الشهر وعلى عقبه أى لآيام بقيت منه ،
 فى آخره « أحمد يوسف نجاتي »

أَبْنِ الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ^(١) « بَعْدَ كَلَامِ مَا صُوِّرَتْهُ : وَأَخْبَرَنِي
الْمُعْتَمِدُ بِاللَّهِ أَنَّ أَبَاهُ الْمُعْتَمِدَ وَجَّهَهُ - يَعْنِي أَخَاهُ الرَّاضِيَ -
إِلَى شَلَبِ^(٢) وَإِلَيَّا ، وَكَانَتْ مَلْعَبَ شَبَابِهِ ، وَمَأْلَفَ أَحْبَابِهِ ،

(١) الأمير يزيد بن محمد العتمد بن عباد المعتضد، نشأ نشأة أبناء
الملوك، ونهل من العلوم والعارف، ونال ثقافة عالية، وشب شجاعا كريما أديبا
ثم ولاه أبوه أعمال الجزيرة الخضراء ومدينة رندة فظهرت كفايته وحسن
سياسته، إلى أن كان بالأندلس ما كان من تغلب العدو على مدنها وثغورها
شيئا فشيئا، ودخول يوسف بن تاشفين للجهاد ونزوله بالجزيرة الخضراء
سنة ٤٧٩ ثم استولى بعد ذلك على ماللك ابن عباد، وقتل في هذه الحروب
المأمون بن العتمد بن عباد بقرطبة سنة ٤٨٤ وقتل كذلك ابنه يزيد
الراضى فى تلك الفتنة غدرا، وقد تقدمت القصيدة التى رثاها بها أبوها
المعتمد، وله أيضا قصيدة أخرى يرثيها فيها قالها وقد رأى قرية تبوح
على غصن وأمامها وكر فيه طائران يرددان نغما، ويفردان ترحة وترنما
بكت أن رأت الفين ضمهما وكر مساء وقد أخنى على الفها الدهر
وناحت فباحث واستراحت بسرها وما نطقت حرفا يبوح به سر
فما لى لا أبكى أم القلب صخرة؟! وكم صخرة فى الأرض يجرى بها نهر
بكت واحدا لم يشجها غير فقدته وأبكى لآلاف عبيدهم كثر
بنى صغير أو خليل موافق يمزق ذا قفر، ويفرق ذا بحر
ونجمان زين للزمان احتواهما بقرطبة النكداء أو رندة القبر
غدرت اذا ان ضن جفنى بقطرة وان أو مت نفسى فصاحبها الصبر
فقل للنجوم الزهر تبكيهما معى لثلهما فلتحزن الانجم الزهر
وتقدم ما آلت إليه حال العتمد بن عباد بعد ذلك من أسره ووفاته غريبا
« أحمد يوسف نجاشى » (٢) شلب مدينة بغرب الاندلس غربى قرطبة

الَّتِي عَمَرَ نُجُودَهَا غُلَامًا ، وَتَذَكَّرَ عُهودَهَا أَحْلَامًا ، وَفِيهَا
يَقُولُ - يُخَاطِبُ ابْنَ عَمَّارٍ وَقَدْ تَوَجَّهَ إِلَيْهَا :

أَلَا حَيَّ أَوْطَانِي بِشَلْبٍ أَبَا بَكْرٍ
وَسَلَمُنْ : هَلْ عَهْدُ الْوِصَالِ كَمَا أَذْرِي !

وَسَلَّمَ عَلَى قَصْرِ الشَّرَاجِبِ مِنْ فَتَى
لَهُ أَبَدًا شَوْقٌ إِلَى ذَلِكَ الْقَصْرِ (١)

وَقَصْرُ الشَّرَاجِبِ هَذَا مُتَنَاهٍ فِي الْبَهَاءِ وَالْإِشْرَاقِ ،
مُبَاهٍ لِرِوَاءِ الْعِرَاقِ ، رَكَضَتْ فِيهِ جِيَادُ رَاحَاتِهِ ، وَأَوْمَضَتْ

كانت قاعدة ولاية أشكونية من الممالك المضافة الى اشيلية الى الغرب
والشمال منها، ولم يكن بالأندلس بعد اشيلية مثلها ، وقل أن كان المرء
يرى من أهلها من لا يقول شعرا ولا يعنى بالأدب حتى الصانع في مصنعه
والملاح خلف فدانه ، وكان العتضد عباد قد ولي ابنه المعتمد ولاية شلب
في حين شبابه وصباه ، فقضى بها شطرا من أنضر أيام حياته ، فلذلك كان
يحن اليها ويعطف عليها (١) بعدها :

منازل آساد وبيض نواعم	فناهيك من غيل، وناهيك من خدر
وكم ليلة قدبت أنعم جنحها	بمخصة الأرداف مجدبة الخصر
وبيض وسمر فاعلات بمهجتي	فعال الصفاق البيض والأسل السمر
وليل بسند النهر لهوا قطعه	بذات سوار مثل منعطف البدر
نضت بردها عن غصن بان منع	نضير كما انشق الكمام عن الزهر

بُرُوقُ أَمَانِيهِ فِي سَاحَاتِهِ ، وَجَرَى الدَّهْرُ مُطِيعًا بَيْنَ بُكْرِهِ
وَرَوْحَاتِهِ ، أَيَّامَ لَمْ تُحَلَّ عَنْهُ تَمَائِمُهُ^(١) ، وَلَا خَلَتْ مِنْ
أَزَاهِيرِ الشَّبَابِ كَمَائِمُهُ^(٢) ، وَكَانَ يَعْتَدُّهَا مُشْتَهَى آمَالِهِ ،
وَمُشْتَهَى أَعْمَالِهِ ، إِلَى بَهْجَةِ جَنَابَتِهَا ، وَطِيبِ نَفَحَاتِهَا وَهَبَاتِهَا
وَالْتِفَافِ خَمَائِلِهَا^(٣) ، وَتَقْلِيدِهَا بِنَهْرَهَا مَكَانَ حَمَائِلِهَا ، وَفِيهَا
يَقُولُ ابْنُ اللَّبَّانَةِ^(٤) :

أَمَّا عِلْمُ الْمُعْتَدِّ بِاللَّهِ أَنَّنِي
بِحَضْرَتِهِ فِي جَنَّةٍ شَقَّهَا نَهْرٌ؟!
وَمَا هُوَ نَهْرٌ أَغْشَبَ النَّبْتَ حَوْلَهُ
وَلَكِنَّهُ سَيْفٌ حَمَائِلُهُ خُضْرُ

فَلَمَّا صَدَرَ عَنْهَا وَقَدْ حَسُنَتْ آثَارُهُ فِي تَدْيِيرِهَا ،
وَأُنْسَدَلَتْ رِعَايَتُهُ عَلَى صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا ، نَزَلَ الْمُعْتَمِدُ عَلَيْهِ
مُشَرِّفًا لِأَوْبَتِهِ ، وَمُعَرِّفًا بِسُوءِ قَدَرِهِ لَدَيْهِ وَرُبَّتِهِ ، وَأَقَامَ

(١) كناية عن حداثة سنه وصغره ، والتميمة اسم لحرزة رقطاء كانت
تنظم في سير ثم يعقد في عنق الصبي (٢) جمع كمامة وهي غلاف النور
وغطاء الزهر (٣) جمع خميلة وهي الشجر الكثير الملتف الذي لا ترى فيه
الشيء إذا وقع في وسطه (٤) تقدمت ترجمته « أحمد يوسف نجاتي »

يَوْمَهُ عِنْدَهُ مُسْتَرْيَحًا ، وَجَرَى فِي مِيدَانِ الْإِنْسِ بَطْلًا
 مُشِيحًا^(١) ، وَكَانَ وَاجِدًا^(٢) عَلَى الرَّاضِي فَجَلَّتِ الْحُمَيَّا أَفْقَهُ
 وَمَحَتْ غَيْظَهُ عَلَيْهِ وَحَنَقَهُ ، وَصَوَّرَتْهُ لَهُ عَيْنُ حُنُوِّهِ ،
 وَذَكَرَتْهُ بَعْدَهُ فَجَنَحَ إِلَى دُنُوِّهِ ، وَيَنْمَأِ اسْتُدْعَى وَأَوْفَى ،
 مَالَتْ بِالْمُعْتَمِدِ نَشْوَتُهُ وَأَغْنَى^(٣) ، فَأَلْفَاهُ صَرِيحًا فِي مُتَدَاهُ ،
 طَرِيحًا فِي مُنْتَهَى مَدَاهُ ، فَأَقَامَ تُجَاهَهُ ، يَرْتَقِبُ أَنْتِبَاهَهُ ،
 وَفِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ صَنَعَ شِعْرًا أَتَقَنَهُ وَجَوَدَهُ ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ
 أَنشَدَهُ :

الآن تَعُودُ حَيَاةُ الْأَمَلِ وَيَدْنُو شِفَاءُ فُؤَادٍ مُعَلِّ

- (١) الشيخ الجاد في الأمور الحذر لا يكاد عدوه يناله . قال عمرو بن الأظينة :
 واقدامي على المكروه نفسي وضربني هامة البطل الشيخ
 (٢) غاضبا ، وكان المعتمد كثيرا ما يرمى ابنه الراضي بعلامه ، ويصميه
 بسهامه ، وكان الراضي يستعطفه بشعر يسيل رقة وعذوبة ، فمن ذلك
 قوله له وقد أنهض جماعة من اخوته وأقعدته ، وأدناهم وأبعدته .
 أعينك أن يكون بنا خمول ويطلع غيرنا ولنا أفعال
 حنانك ! ان يكن جرمي قبيحا فان الصفح عن جرمي جميل
 أأست بفرعك الزاكي ؟ ! وماذا يرجي الفرع خاتته الأصول ؟ !
 (٣) أوفى عليه أشرف ، وأوفى القوم ووافاهم اذا جاءهم وأقبل عليهم ،
 وأغنى نفس ونام « أحمد يوسف نجاتي »

وَيُورِقُ لِلْعِزِّ غُصْنُ ذَوَى
وَيَطْلُعُ لِلسَّعْدِ نَجْمٌ أَفْلٌ^(١)
فَقَدْ وَعَدْتَنِي سَحَابُ الرِّضَا
بَوَائِلِهَا حِينَ جَادَتْ بِطَلٍّ
أَيَّا مَلِكًا أَمْرُهُ نَافِذٌ
فَمَنْ شَاءَ عَزَّ وَمَنْ شَاءَ ذَلٌّ
دَعَوْتَ فَطَارَ بِقَلْبِي الشُّرُورُ
إِلَيْكَ وَإِنْ كَانَ مِنْكَ الْوَجَلُ
كَمَا يَسْتَطِيرُكَ حُبُّ الْوَغَى
إِلَيْهَا وَفِيهَا الظُّبَا وَالْأَسَلُ^(٢)
فَلَا غَرَوْا إِنْ كَانَ مِنْكَ أُغْتِفَارٌ
وَإِنْ كَانَ مِنَّا جَمِيعًا زَلَلٌ^(٣)

(١) ذوى ذبل وجف ، وأفل غاب (٢) استطاره الأمر إذا ذهب به بسرعة كأنه سار إليه على جناح طير ، واستطير الفرس إذا أسرع الجرى ، واستطار السيف إذا سله وانتزعه من غمده مسرعا ، والظبا جمع ظبة وهي حد السيف والسنان ونحوهما كالنصل والخنجر وشبهه. والأسل الرماح والنبل (٣) لاغرو أى لاعجب ، والزلال الخطأ

فَمِثْلُكَ - وَهُوَ الَّذِي لَمْ نَجِدْ
هُ - عَادَ بِحِلْمٍ عَلَى مَنْ جَهِلٌ^(١)
انتهى

* *

« وَقَالَ فِي تَرْجَمَةِ الْمُتَوَكَّلِ عَلَى اللَّهِ ابْنِ الْأَفْطَسِ^(٢)
مَا صُورَتْهُ » وَأَخْبَرَنِي الْوَزِيرُ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِوَنٍ^(٣) أَنَّ
الْأَرْضَ تَوَالَى عَلَيْهَا الْجَذْبُ بِحَضْرَتِهِ حَتَّى جَفَّتْ مَذَانِبُهَا^(٤)
وَأَغْبَرَّتْ جَوَانِبُهَا ، وَغَرَّدَ الْمَكَاءُ^(٥) فِي غَيْرِ رَوْضَةٍ ، وَخَاضَ

(١) هذا مثل قول البحترى :

قد طلبنا فلم نجد لك في السؤدد والمجد والمكارم مثلاً

(٢) هو أبو حفص عمر بن محمد المظفر بن عبد الله بن مسلمة التجيبي المعروف بابن الأفطس صاحب بطليوس ، قام المتوكل بالأمر بعد وفاة أبيه المظفر سنة ٤٦٠ فلم يزل حتى قتله يوسف بن تاشفين سنة ٤٨٩ وتقدم التعريف ببني الأفطس وغيرهم من ملوك الطوائف « أحمد يوسف نجاتي »
(٣) هو الوزير الكاتب البارع والشاعر المجيد والمؤرخ الخبير ذو الوزارتين عبد المجيد بن عبد الله بن عبدون الفهرى من أهل يابرة ، كان من كتاب المتوكل على الله ونمت حاله معه ، وهو من كتاب المغرب المبرزين غزير الأدب نبيه القدر حاضر البديهة سريع الخاطر ، توفي بمدينة يابرة منصرفاً لزيارة من له بها سنة ٥٢٩ « أحمد يوسف نجاتي » (٤) جمع مذهب وهو الحدول يسيل عن الروضة بمائها إلى غيرها فيفرق ماءها فيها ، والتي يسيل عليها الماء مذهب أيضاً ، والمذهب مسيل ما بين التلعتين ، أو مسيل الماء إلى الأرض ، وأذئاب الأودية ومذانيها أسافلها (٥) المكاء طائر صغير

الْيَأْسُ بِالنَّاسِ أَعْظَمَ خَوْضِهِ ، وَأَبْدَتِ الْحَمَائِلُ عُيُوسَهَا ،
وَشَكَتِ الْأَرْضُ لِلسَّمَاءِ بُؤْسَهَا ، فَأَقْلَعَ الْمُتَوَكِّلُ عَنْ
الشَّرْبِ وَاللَّهُوِ ، وَنَزَعَ مَلَابِسَ الْخِيَلَاءِ وَالزَّهْوِ ، وَأَظْهَرَ
الْخُشُوعَ ، وَأَكْثَرَ السُّجُودَ وَأَرُكُوعَ ، إِلَى أَنْ غَيَّمَ الْجُودُ
وَأَنْسَجَمَ النَّوْ ، وَصَابَ^(١) الْغَمَامُ ، وَتَرَنَّمَتِ الْحَمَامُ ، وَسَفَرَتِ
الْأَزْهَارُ ، وَزَهَتِ النُّجُودُ وَالْأَغْوَارُ ، وَاتَّفَقَ أَنْ وَصَلَ
أَبُو يُوسُفَ الْمَغْنَى وَالْأَرْضُ قَدْ لَبِسَتْ زَخَارِفَهَا ، وَرَقَمَ^(٢)

يزقو ويصبح في الرياض ويألف الريف، وهو طائر أبيض يكون بالحجاز
وله صفير، ولأنه إنما يألف الرياض ويفرد فيها كان تغريده في غير روضة
علامة على إفراط الجذب وعدم النبات، قال الشاعر:

إذا غرد المكاء في غير روضة فويل لأهل الشاء والحمرات
لأنه إذا اشتد الجذب ولم يكن بالأرض نبات هلك الشاء والحمر، فالويل
لمن لم يكن له مال غيرها، وورد أعرابي الحضر فرأى مكاء يصيح فحن
إلى بلاده فقال:

ألا أيها المكاء مالك هاهنا ألاء ولا شيع فأين تبيض
فأصعد إلى أرض الكاكي واجتنب قرى الشام لا تصبح وأنت مريض
والمكاء من طير البادية، وجمعه مكاكى، وهو من مكاء يمشى إذا صفر،
ومنه قوله تعالى « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية »
« أحمد يوسف نجاتي » (١) النوء المطر، وصاب المطر يصب إذا نهمل
(٢) رقمها إذا وشاها بألوان الزهر « أحمد يوسف نجاتي »

الْغَنَامُ مَطَارِفَهَا ، وَتَتَوَجَّعُ الْغِيْطَانُ^(١) وَالرُّبَا ، وَأَرْجَتْ
نَفَحَاتُ الصَّبَا ، وَالْمُتَوَكِّلُ مَا فَضَّ لِتَوْبَتِهِ خِتَامًا ، وَلَا
قَوَّضَ عَنْ قَلْبِهِ مِنْهَا خِيَامًا^(٢) ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

أَلَمْ أَبُ يُوسُفَ وَالْمَطَرَ

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَا يُنْتَظَرُ

وَلَسْتُ بِأَبٍ - وَأَنْتَ الشَّهِيدُ -

حُضُورَ نَدِّيكَ فِيمَنْ حَضَرَ^(٣)

وَلَا مَطْلَعِي وَسَطَ تِلْكَ السَّمَاءِ

بَيْنَ النُّجُومِ وَبَيْنَ الْقَمَرِ

وَرَكْضِي فِيهَا جِيَادَ الْمَدَا مِ مَحْشُوثَةً بِسَيَاطِ الْوَتَرِ^(٤)

(١) جمع غوط وهو المظمن الواسع من الأرض فيه انخفاض ، والربوة المرتفع من الأرض . وفي القلائد « تدبجت » بدل « تتوجت » والمآل واحد ، ودبج : نقش وزين ، والغرض أن الغيث وشي الأرض بالنبات وأحيائها بعد موتها فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج (٢) الذي في القلائد « ولا نقض عن قلبه منها قتاماً » والقتام الغبار ، وما في النسخ أولى مما في القلائد ، وقوض الحيام إذا هدمها يريد الارتحال (٣) أبي الشئ إذا لم يرضه وامتنع منه . والندى : المجلس مكان الاجتماع (٤) الركض استحثاث الفرس للعدو ، يريد الشراب والغناء « أحمد يوسف نجاني »

فَبَعَثَ إِلَيْهِ مَرْكُوبًا وَكَتَبَ مَعَهُ :
 بَعَثْتُ إِلَيْكَ جَنَاحًا فِطْرًا
 عَلَى خَفِيَّةٍ مِنْ عُيُونِ الْبَشَرِ
 عَلَى ذُلٍّ مِنْ نِتَاجِ الْبُرُوقِ
 وَفِي ظُلَلٍ مِنْ نَسِيجِ الشَّجَرِ^(١)
 فَحَسْبِيَ يَمَنٌ نَأَى مِنْ دَنَا
 فَمَنْ غَابَ كَانَ فِدَاً مَنْ حَضَرَ
 فَوَصَلَ الْقَصَبَةَ^(٢) الْمِطْلَةَ عَلَى الْبَطْحَاءِ^(٣) ، الْمُزْرِيَّةَ
 بِمَنَازِلِ الرُّوحَاءِ^(٤) ، فَأَقَامَ مِنْهَا حَيْثُ قَالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ

(١) في الأصل «على فلك» والذال جمع ذلول الدابة المنقادة ليست بصعبة - يريد جوادا كريما سريعا كالبرق ، والظلل جمع ظلة ما يستظل به من الشمس ، وما أظلك من شجر ، وشيء كالصفة يستتر به من الحر والبرد (٢) في الأصل « القبة » والقصة المدينة ، وقصة البلاد مدينتها ، والقصة أيضا القصر أو جوفه (٣) سبل واسع فيه دقاق الحصى (٤) الروحاء بلدة من رحبة الشام « أي رحبة مالك بن طوق » وبلدة أخرى من أعمال نهر عيسى بن علي بن عبدالله بن العباس ، وهو كورة واسعة غربي بغداد ، وموضع بين الحرمين الشريفين على نحو ٣٦ ميلا من المدينة ، وفيه يقول بعض الأعراب :

أفي كل يوم أنت رام بلادها بعينين انساها غرقان

يَصِفُ صَنْعَاءَ^(١) :

* *

عدي بن زيد
يصف صنعاء
(والصحيح أنه
يزيد بن معاوية)

فِي قِبَابٍ حَوْلَ دَسْكَرَةٍ حَوْلَهَا الزَّيْتُونُ قَدْ يَنْعَا
وَمَضَى لَهُمْ مِنَ الشُّرُورِ يَوْمَ مَأْمَرٍ لِدِي رُعَيْنِ^(٢) ، وَلَا

إذا اغرورقت عيناى قال صحابتي لقد أولعت عيناك بالهملان
ألا فاحملاني بارك الله فيكما إلى حاضر الروحاء ثم ذراني
واسمها مأخوذ من الراحة ، ويوم روح أى طيب ، والروح الانبساط
والسعة « أحمد يوسف نجاشي » (١) في الأصل « مصنعا » وصنعاء هنا
قرية كانت بالغوطة من دمشق ، وقد خربت وصارت مزرعة وبساتين -
ثم المعروف أن هذا البيت ليزيد بن معاوية من أبيات في الماطرون « موضع
بالشام قرب دمشق » منها :

آبَ هَذَا الِهِمِّ فَاكْتَنَعَا وَأَمَرَ النَّوْمَ فَامْتَنَعَا
جَالِسَا لِلنَّجْمِ أَرْقَبِهِ فَإِذَا مَا كَوَّكَبَ طَلَعَا
صَارَ حَتَّى أَتْنِي لَا أَرَى أَنَّهُ بِالْعُورِ قَدْ وَقَعَا
وَلَهَا بِالْمَاطِرُونَ إِذَا أَكَلَ النَّمْلُ الَّذِي جَمَعَا
خُرْفَةً حَتَّى إِذَا ارْتَبَعْتَ سَكَنْتَ مِنْ جَلَقِ بَيْعَا
فِي قِبَابٍ حَوْلَ دَسْكَرَةٍ بَيْنَهَا الزَّيْتُونُ قَدْ يَنْعَا

والأبيات يقولها يزيد يتغزل في نصرانية كانت قد ترهبت في دير كان
عند الماطرون « بستان بظاهر دمشق يسمى المنطور » آب عاد ، واكتنع
قرب ودنا ، والد سكرة بناء على هيئة القصر فيه منازل وبيوت للخدم
والحشم - وتنسب الأبيات أيضا إلى الأخطل - والد سكرة بيوت الأعاجم
يكون فيها الشراب والملاهي ، معرب : دست كره ودست بمعنى الشيء
الذي مع أفراد التامة ، وكره بيت الحان والدرسة ، ونسبت الأبيات
للأحوص ، وزعم بعضهم أنها لأبي دهب الجمحي ، والصحيح أنها ليزيد
ابن معاوية كما قدمنا « أحمد يوسف نجاشي » (٢) ذورعين من ملوك

تَصَوَّرَ قَبْلَ عُيُونِهِمْ لَعَيْنٍ ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ سَايَرَهُ إِلَى
شَنْتَرِينَ^(١) قَاصِيَةِ أَرْضِ الْإِسْلَامِ ، السَّامِيَةِ الذَّرَا وَالْأَغْلَامِ ،
الَّتِي لَا يَرُوعُهَا صَرْفٌ ، وَلَا يَقْرَعُهَا^(٢) طَرْفٌ ، لِأَنَّهَا
مُتَوَعَّرَةٌ الْمَرَاقِي ، مُعَقَّرَةٌ^(٣) لِلرَّاقِي ، مُتَمَكِّنَةٌ الرُّوَاسِي

حمير من ولد الحرث بن عمرو بن حمير ، وقيل في نسبه غير ذلك ، ورعين
حصن له أو جبل فيه حصن ، وهو القائل :

أَلَا مَنْ يَشْتَرِي سَهْرًا بِنُومٍ سَعِيدٍ مِنْ بَيْتِ قَرِيرٍ عَيْنٍ

فَأَمَّا حَمِيرٌ غَدَرَتْ وَخَانَتْ فَمَعْذَرَةُ الْإِلَهِ لَدَى رَعِينٍ

وكان من أقبال حمير العقلاء ذوى السداد وأصالة الرأى «أحمد يوسف نجاشى»
(١) شنترين مدينة كانت مضافة الى أعمال قاعدة أشبونة ، وكانت
قديما من جليقية شمالى الأندلس ، ثم استقرت من أعمال أشبونة التى
كانت مضافة الى بطليوس حين كان ملكها ابن الأفطس - وقد تضاف
الى أعمال باجة فى غرب الأندلس - وشنترين غربى قرطبة على نهر
تاجه قرب انصابه فى البحر المحيط «بحر برطانية وهو بحر برديل
«بورديو» الخارج من البحر المحيط» وأرضها طيبة ، وكانت منيعة ذات
حصانة ، واستولى الفرنج عليها فى سنة ٥٤٣ هـ «أحمد يوسف نجاشى»

(٢) فرعه علاه ، يريد أن الطرف لاسمو اليها لعلوها الشاهق (٣) فى
الأصل «معفرة» وفى نسخة أخرى «مغفرة» وفى القلائد «معثرة»
من عثر اذا كبا وسقط ، يعنى أنها تجعل من يحاول أن يرقى عليها كثير
التعثر لصعوبتها ووعورتها وكثرة عقباتها ، واصل «معفرة» من عفر
الرجل «كفرح» اذا لم تطاوعه رجلاه فى الشد ، وعقر البعير تعقيرا

وَالْقَوَاعِدِ ، عَلَى صَفَةِ نَهْرٍ أَسْتَدَارَ بِهَا أَسْتِدَارَةَ الْقُلْبِ^(١)
بِالسَّاعِدِ ، قَدْ أَطَلَّتْ عَلَى خَمَائِلِهَا إِطْلَالَ الْعُرُوسِ مِنْ
مِنْصَتِّهَا^(٢) وَأَقْتَطَعَتْ مِنْ أَلْجُوٍّ أَكْثَرَ مِنْ حِصَّتِهَا ، فَمَرُّوا
بِأَنْفَسِ^(٣) قُطْرِ سَالَتْ بِهِ جَدَاوِلُهُ ، وَأُخْتَالَتْ فِيهِ خَمَائِلُهُ
فَمَا يَجُولُ الطَّرْفُ مِنْهُ إِلَّا فِي حَدِيقَةٍ ، أَوْ بُقْعَةٍ أَنْيَقَةٍ ،

إذا قطع قوائمه ، والعقر الجرح (١) القلب: السوار (٢) المنصة ما ترفع عليه
العروس لتجلى كسريرها وكرسیها ، ونص العروس أجلسها على المنصة
(٣) كذا بالأصل، وفي القلائد « بألبش » وألبش من الثغور الجوفية
مدينة كانت من أعمال بطليوس من غرب الأندلس « ومملكة بطليوس
في الشمال والغرب من مملكة قرطبة ، وفي الغرب بميلة الى الجنوب عن
مملكة طليطلة في بسط من الأرض مخضر على جانب نهر ، وقد عرفت
أنها كانت بيد المتوكل على الله عمر بن الأفطس » ومن أهل ألبش
أبو الحسن عبيد الله بن خليفة المعروف بابن الموصلي نسبة الى موصل
قرية بأشبونة - كان من أهل العلم والنباهة ، وولى قضاء اشبيلية في الدولة
اللتونية بعد أبي بكر بن العربي استقدم لذلك من بلده بالثغر ، وتوفي بهامصروفا
عن عمله سنة ٥٦٠ ودفن هنالك . ومن ألبش أيضا أبو محمد عبد الله بن
ننتان « أو منتان » النحوي ، سكن اشبيلية وقرطبة وأقرأ بهما ، وكان
علما بالعربية والآداب حافظا لكثير من كلام العرب ذا كرا لكتابي
الكامل للبرد والامالي للقالى ، وكان له حظ من قرض الشعر ، وعلم بقرطبة
سنة ٥٩٨ وتوفي حوالى سنة ٥٦٠ ولم أعر على ألبش هذه بمعجمه ياقوت
« أحمد يوسف نجاتي »

فَتَلَقَّاهُمْ ابْنُ مُقَانَا^(١) قَاضِي حَضْرَتِهِ^(٢) وَأَنْزَلَهُمْ عِنْدَهُ ، وَأَوْزَى لَهُمْ بِالْمَبَرَّةِ زَنْدَهُ ، وَقَدَّمَ لَهُمْ طَعَامًا ، وَأَعْتَقَدَ قَبُولَهُ مِنْهَا وَإِنْعَامًا ، وَعِنْدَمَا طَعِمُوا قَعَدَ الْقَاضِي بِبَابِ الْمَجْلِسِ رَقِيبًا لَا يَبْرَحُ ، وَعَيْنُ الْمُتَوَكِّلِ حَيَاءٍ مِنْهُ لَا تَجُولُ وَلَا تَمْرَحُ فَخَرَجَ أَبُو مُحَمَّدٍ^(٣) وَقَدْ أَبْرَمَهُ الْقَاضِي بِثَقِيلِهِ ، وَحَرَمَهُ رَاحَةَ رَوَاحِهِ وَمَقِيلِهِ ، فَلَقِيَ ابْنَ خَيْرُونَ^(٤) مُسْتَظِرًّا لَهُ ، وَقَدْ أَعَدَّ لِحُلُولِهِ مَنْزِلَهُ ، فَسَارَ إِلَى مَجْلِسٍ قَدْ ابْتَسَمَتْ نُغُورُ نُوَّارِهِ ، وَخَجِلَتْ خُدُودُ وَرْدِهِ مِنْ زُورَارِهِ ، وَأَبْدَتْ صُدُورُ أَبَارِيقِهِ أَسْرَارَهَا ، وَضَمَّتْ عَلَيْهِ الْمَحَاسِنُ أَزْرَارَهَا ،

(١) تقدم ذكر أبي زيد عبد الرحمن بن مقانا الأشبوني البطليوسي ، وكان مع فقهه شاعرا أديبا مشهورا ، وفي بعض المراجع « ابن مقاناة » . « أحمد يوسف نجاتي » (٢) كذا بالأصل ، والذي في الفلائي « قاضي رندة » وقد تقدم ذكر مدينة رندة ، وكانت من كور اشبيلية من مملكة المعتمد بن عباد ، وهي أيضا غربي مملكة قرطبة (٣) الأديب ابن عبدون ، وأبرمه أضجره (٤) هو أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يونس القضاعي أصله من مدينة أندة وسكن مريبطر « من أعمال بلنسية » كان راوية فقيها حافظا أديبا ، وتوفي سنة ٥١٠ ، وأبو عمر يوسف بن عبد الله بن خيرون الأديب النحوي توفي نحو سنة ٤٧٠ ، وسيأتي ذكر لابن خيرون بعد ذلك فتعين أيهما المراد هنا من هذين . « أحمد يوسف نجاتي » .

وَلَمَّا حَضَرَ لَهُ وَقْتُ الْأَنْسِ وَحِينُهُ ، وَأَرْجَتْ لَهُ رِيَّاحِينُهُ ،
 وَجَّهَ مَنْ يَرْقُبُ الْمُتَوَكَّلَ حَتَّى يَقُومَ جَلِيسُهُ ، وَيَزُولَ
 مُوحِشُهُ لَا أَنْيْسُهُ ، فَأَقَامَ رَسُولُهُ وَهُوَ بِمَكَانِهِ لَا يَرِيْمُهُ^(١)
 قَدْ لَازَمَهُ كَأَنَّهُ غَرِيْمُهُ ، فَمَا أَنْفَصَلَ ، حَتَّى ظَنَّ أَنَّ عَارِضَ
 اللَّيْلِ قَدْ نَصَلَ^(٢) ، فَلَمَّا عَلِمَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِانْقِصَالِهِ بَعَثَ إِلَى
 الْمُتَوَكَّلِ قَطِيعَ رَاحٍ وَطَبَقَ وَرَدٍ وَكَتَبَ مَعَهُمَا :
 إِلَيْكَهَا فَاجْتَلِهَا مُنِيرَةً

وَقَدْ خَبَا^(٣) حَتَّى الشَّهَابُ الثَّاقِبُ

وَاقِفَةٌ بِالْبَابِ لَمْ يُؤْذَنْ لَهَا

إِلَّا وَقَدْ كَادَ يَنَامُ الْحَاجِبُ

فَبَعْضُهَا مِنَ الْمَخَافِ جَامِدٌ وَبَعْضُهَا مِنَ الْحَيَاءِ ذَائِبٌ

(١) أى لا يبرحه ولا يفارقه ، وأكثر ما يستعمل فى النقي ، قال الأعشى
 أبانا فلا رمت من عندنا فانا بنخير اذا لم ترم

(٢) أى زال سواده ، ونصل الشعر « كقعد » زال عنه الحضاب ، ونصلت
 اللحية خرجت من الحضاب وزال عنها لونه (٣) فى الأصل « دجا » وفى
 القلائد « خبا » وخبث النار اذا سكنت وطفئت وخمد لهيها - يريد قد
 هدأ العالم وسكنت الطبيعة ، ودجا الليل اذا أظلم ، وسكن ، والدجا سواد
 الليل مع غيم وألا ترى نجما ولا قمرًا . « أحمد يوسف نجاشى »

فَقَبِلَهَا مِنْهُ - رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَعَفَا عَنْهُ - وَكَتَبَ إِلَيْهِ :
 قَدْ وَصَلْتَ تِلْكَ الَّتِي زَفَفْتَهَا
 بِكَرًّا وَقَدْ شَابَتْ لَهَا ذَوَائِبُ
 فَهَبْ حَتَّى نَسْتُرِدَّ ذَاهِبًا
 مِنْ أُنْسِنَا إِنْ أُسْتُرِدَّ ذَاهِبُ
 فَرَكَبَ إِلَيْهِ ، وَتَقَلَ مَعَهُ مَا كَانَ بِالْمَجْلِسِ بَيْنَ
 يَدَيْهِ ، وَبَاتَا لَيْلَتَهُمَا لَا يَرِيحَانِ السَّهَرُ ، وَلَا يَشِيْمَانِ
 بَرَقًا إِلَّا الْكَاسَ وَالزَّهَرَ

وصف روض « ثُمَّ قَالَ » بَعْدَ كَلَامٍ : وَأَخْبَرَنِي الْوَزِيرُ الْفَقِيهُ
 أَبُو أَيُّوبَ (١) بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ أَنَّهُ مَرَّ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ بِرَوْضٍ

(١) ذكره الفتح بن خاقان في كتابه « مطمح الأنفس » وأثنى عليه ،
 قال : واحد الأندلس الذي طوقها نخارا ، وطبقها بأوانه افتخارا ، ..
 ثم قال : ودعى للقضاء فما رضى ، وعفى عنه فكأنه استقضى
 ووصفه بالأدب والوقار والمجد وكرم السجايا وحسن الشائل ، وآتى بشي
 من ثره وشعره . قلت أما أبوه أبو أمية فهو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم
 ابن عبد الله بن عصام قاضي قضاة الشرق في عصره ، كان قاضيا بمدينة مرسية
 ثم في دولة المثلثين صرفه عنها على بن يوسف بن تاشفين وولى مكانه

مُفْتَرٍّ^(١) الْمَبَاسِمِ ، مُعْطَرِّ الرِّيحِ النَّوَاسِمِ^(٢) قَدْ صَقَلَ
الرَّيِّعُ حَوْذَانَهُ^(٣) ، وَأَنْطَقَ بُلْبُلُهُ وَوَرَشَانَهُ^(٤) ، وَأَلْخَفَ
غُصُونَهُ بُرُودًا مُخْضَرَّةً ، وَجَعَلَ إِشْرَاقَهُ لِلشَّمْسِ ضَرَّةً ،
وَأَزَاهِيرُهُ تَتِيهُ عَلَى الْكَوَاكِبِ ، وَتَخْتَالُ فِي خِلْعِ الْغَمَامِ
السَّوَاكِبِ ، فَارْتَحَ إِلَى الْكَوْنِ بِهِ بَقِيَّةَ نَهَارِهِ ، وَالتَّغَمَّرَ
بِنَفْسِهِ وَبِنَهَارِهِ^(٥) ، فَلَمَّا حَصَلَ مِنْ أَنْسِهِ فِي وَسْطِ الْمَدَى ،
عَمَدَ إِلَى وَرَقَةٍ كُرْنَبٍ قَدْ بَلَّلَهَا النَّدى ، وَكَتَبَ فِيهَا

القاضي الامام أبا علي ابن سكرة الصدي السرقسطي المعروف بابن الدراج،
وكان أبو أمية فقيها أديبا شاعرا ، من أهل بيت جلالة ووزارة ، بليغا
متصرفا في فنون القول مهيبا وقورا ، يأخذ عليه بعض منافسيه
شيئا من الزهو وحب العظمة والاعجاب بالنفس ، ولكنه كان ذاعلاء
وحدة ذكاء ، وقوة مضاء ، استوفى شرط الرياسة ، وعرف بأصالة الرأي
وحسن السياسة ، وله شعر جيد وثر حسن ، وتوفي سنة ٥١٦ وكان ابنه
عبد الرحمن بن أبي أمية بن عصام فقيها محدثا أديبا « أحمد يوسف نجاتي »
(١) افتر ضاحكا اذا أبدى أسنانه ، وافتر ثغره اذا تبسم وضحك ضحكا
حسنا (٢) جمع ناسمة من نسمت الريح اذا هبت بلطف وكانت ذات نفس
ضعيف كالنسيم (٣) الحوذان بقلة من بقول الرياض لها نور أصفر ذو رائحة
ذكية (٤) الورشان طائر مغرد شبه الحمام ، ويسمى ساق حر . أو هو
نوع من القمارى (٥) البهار نبت طيب الريح أو هو العرار له زهرة صفراء
تنبت أيام الربيع . « أحمد يوسف نجاتي »

بِطَرَفِ غُصْنٍ يَسْتَدْعِي الْوَزِيرَ أَبَا طَالِبٍ بْنُ غَانِمٍ أَحَدَ
نُدَمَائِهِ ، وَنُجُومِ سَمَائِهِ :

أَقْبِلْ أَبَا طَالِبٍ إِلَيْنَا وَقَعَ وَقُوعَ النَّدَى عَلَيْنَا
فَنَحْنُ عِقْدٌ بَغِيرٍ وَسَطَى ^(١)

مَا لَمْ تَكُنْ حَاضِرًا لَدَيْنَا

« وَقَالَ فِي تَرْجَمَةِ الْمُعْتَصِمِ بْنِ صَمَادِحٍ ^(٢) مَا صُورَتْهُ » :
وَأَخْبَرَنِي الْوَزِيرُ أَبُو خَالِدٍ بْنُ بَشْتَغِيرٍ ^(٣) أَنَّهُ حَضَرَ مَجْلِسَهُ

ترجمة المعتصم
ابن صمادح

(١) وسطى العقد أكرم جواهره وأنفس حباته ، وبه يتم انتساقه ، ويحسن
نظمه ، ويجمل شكله ، ويكمل التثامه (٢) هو أبو يحيى محمد بن معن بن
محمد بن أحمد بن صمادح التجيبي صاحب المرية ، قام بالأمر فيها سنة ٤٤٤
بعد وفاة أبيه معن بن صمادح « وكان قائد عبد العزيز بن أبي عامر » ولم
يزل المعتصم أميرا بها حتى توفي سنة ٤٨٤ فوليه ابنه أحمد وبقى حتى خلعه
يوسف بن تاشفين . وقد سبقت كلمتنا في بني صمادح وولايتهم فارجع
إليها . « أحمد يوسف نجاتي » (٣) في الأصل « بشتغين » وهو تصحيف
وابن بشتغير Ibn Baxtagair وهو لقب من كلمة لاتينية Bastagarius
معناها من يوكل إليه نقل أمتعة الدولة أو الكنيسة في أيام الاحتفالات العامة
وكانت وظيفة ذات شرف ، والقائم بها أمين ثقة ، وبنو بشتغير كانوا من
ذوى البيوتات النبيلة بالأندلس ومن ولوا الأعمال العظيمة والولايات
الرفيعة بها ، ولهم أثر في العلوم والمعارف والآداب ، وليس هذا موضع بسط
القول في هذه الأسرة الراقية ، فسيكون لهم مكان متسع من كتابنا الجامع
في الأدب ، وهم ينسبون إلى لحم ، وموطنهم مدينة لورقة - ومنهم أبو قاسم

بِالصُّمَادِحِيَّةِ فِي يَوْمِ غَيْمٍ وَفِيهِ أَغْيَانُ الزُّرَّاءِ ، وَنُبَهَاءُ
الشُّعْرَاءِ ، فَقَعَدَ عَلَى مَوْضِعٍ يَتَدَاخَلُ الْمَاءُ فِيهِ ، وَيَلْتَوِي
فِي نَوَاحِيهِ ، وَالْمُعْتَصِمُ مُنْشَرِّحُ النَّفْسِ ، مُجْتَمِعُ الْأَنْسِ ،
فَقَالَ :

أَنْظِرْ إِلَى حُسْنِ هَذَا الْمَاءِ فِي صَبَبِهِ^(١)

كَأَنَّهُ أَرْقَمُ قَدْ جَدَّ فِي هَرَبِهِ

فَاسْتَبَدَّعُوهُ ، وَتَيَّمُوهُ بِهِ وَأَوَّلَعُوهُ ، فَاسْكَبَ عَلَيْهِمْ
شَايِبَ^(٢) نَدَاهُ ، وَأَغْرَبَ^(٣) بِمَا أَظْهَرَهُ مِنْ بَشَرِهِ وَأَبْدَاهُ
ثُمَّ قَالَ بَعْدَ كَلَامٍ : وَخَرَجَ إِلَى بَرْجَةٍ^(٤) وَدَلَايَةٍ وَهُمَا

عباس بن أحمد بن بشتغير الأحمي الباجي توفي حوالي سنة ٤٥٠ - ومنهم
أبو جعفر أحمد بن سعيد بن خالد بن بشتغير كان محدثاً ثقة واسع الرواية
وفقيهاً أديباً توفي سنة ٥١٦ ، وأبو عامر يحيى بن سعيد وكان يسكن مرسية
وكان من أهل الفضل والرواية ، ولأبي عبد الله بن أبي الحصال الكاتب
المشهور « وقد تقدم ذكره » اليه رسالة بليغة يخاطبه بها « تدل على عظم
قدره ورفعة شأنه ، وابنه أبو عامر سعيد بن يحيى ، وأبو جعفر أحمد بن يحيى
كانا من ذوى العلم والأدب ، وكانوا غرة في جبين القرن السادس .
« أحمد يوسف نجاتي » (١) انحداره ، والصبب تصوب نهر أو طريق
يكون في حدود ، وما انحدر من الأرض ، والأرقم الحية مرقومة ذات
خطوط (٢) جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر ، وأسكبه : صبه . منهمرا
(٣) بالغ (٤) تقدم وصف مدينة برجة ، ودلاية بلد قريب من الرية من

نَظْرَانِ^(١) لَمْ يَجُلْ فِي مِثْلِهِمَا نَاطِرٌ ، وَلَمْ تَدَّعِ حُسْنَهُمَا
الْخُدُودُ النَّوَاضِرُ ، غُصُونٌ تُشِيهَا الرِّيحُ ، وَمِيَاهُ لَهَا
أَنْسِيَاخٌ ، وَحَدَائِقُ تُهْدِي الْأَرْجَ وَالْعَرْفَ ، وَمَنَازِلُهُ تُبْهِجُ
النَّفْسَ وَتُمَتِّعُ الطَّرْفَ ، فَأَقَامَ فِيهَا أَيَّامًا يَتَدَرَّجُ فِي
مَسَارِحِهَا ، وَيَتَصَرَّفُ فِي مَنَازِلِهَا وَمَسَاجِحِهَا ، وَكَانَتْ نَزْهَةً
أَرْبَتَ عَلَى نَزْهَةِ هِشَامٍ بِدَيْرِ^(٢) الرِّصَافَةِ ، وَأَنَافَتِ^(٣) عَلَيْهَا
أَيَّ إِنَافَةٍ .

ترجمة ابن رزين « وَقَالَ فِي تَرْجَمَةِ ابْنِ رَزِينِ^(٤) مَا مُلَخَّصُهُ » : أَخْبَرَنِي

سواحل بحر الأندلس (١) عملان أو بلدان ، وفي الأصل « منظران »
والمناظر أشرف الأرض لانه ينظر منها ، والنظر : الحكم بين القوم ، وقد
يطلق النظر على المدينة أو الولاية التي يتولى فيها الحاكم الحكم .

(٢) هو في رصافة هشام بن عبد الملك بن مروان التي بينها وبين الرقة
مرحلة ، وكان من عجائب الدنيا حسنا وعمارة ، وعنده بني هشام مدينته
وفيه يقول أبو نواس :

ليس كالدير بالرصافة دير فيه ما تشتهي النفوس وتهوى

بته ليلة فقضيت أو طارا وياوما ملأت قطريه لهوا

وكان لبني أمية في هذه الأثناء أيام سرور ، ومجالس أنس وحبور ، وكانت
خلافة هشام سنة ٩٦ وتوفي سنة ١٢٥ وجدد الرصافة وسكنها ، وكان يجد
فيها راحة وأنسا . « أحمد يوسف نجاتي » (٣) أناف : أشرف وزاد
(٤) تقدم التعريف بالحاجب ذي الرياستين أبي مروان عبد الملك بن رزين

الْوَزِيرُ أَبُو عَامِرٍ^(١) أَنَّهُ أَصْطَبَحَ يَوْمًا وَأَجْوُ سَمَا كِي^(٢)
 الْعَوَارِفِ ، لَا زَوْرَدِي الْمَطَارِفِ^(٣) ، وَالرَّوْضُ أَيْقَنَةُ
 لَبَّاتُهُ^(٤) ، رَقِيقَةُ^(٥) هَبَّاتُهُ ، وَالنَّوْرُ مُبْتَلًى ، وَالنَّسِيمُ
 مُعْتَلًى ، وَمَعَهُ قَوْمُهُ ، وَقَدْ رَاقَهُمْ يَوْمُهُ ، وَصِلَاتُهُ تُصَافِحُ
 مُعْتَفِيَهُمْ^(٦) ، وَمَبْرَاتُهُ تُشَافِيهِ مُوَافِيَهُمْ ، وَالرَّاحُ تُشَعِّشُهُ^(٧) ،
 وَمَاءُ الْأَمَانِيِّ يُنْشَعُ ، فَكَتَبَ إِلَى ابْنِ عَمَّارٍ وَهُوَ ضَيْفُهُ :

(١) في القلائد : أبو عامر بن سنون (٢) كذا بالأصل والقلائد ، وفي
 بعض المراجع « مسكى » فالسماكى نسبة الى السماء الكوكب المعروف
 « وسبق القول في السماكين » وكأنه يريد أن الجوفى أخريات الربيع
 فإن العرب يقول ساجعها : اذا طلع السماء ، ذهب العكاك ، وقل على الماء
 اللكاك ، فأصلح قنأك ، وأجد حذاك ، فأن الشتاء قد أتناك . والعكاك
 شدة الحر مع سكون الريح ، واللكاك شدة الزحام . والسماء من الكواكب
 التي كانت العرب تنسب اليها الانواء والمطر والسحب كما قيل :

فليت سما كيا يطير ربابه يقاد الى أهل الغضا بزمام

والعوارف جمع عارفة أى معروف ، يريد بها الغيث على رواية سما كى ، أو
 ذكاء الرائحة والعرف على رواية مسكى (٣) يريد صفاء السماء وزرقة
 أديمها (٤) أصل الالة موضع القلادة من النحر ، وكأنه يريد بها الشجر
 وعقودها الأزهار والانوار (٥) وفي نسخة « عبقرة » أى ذات رائحة
 ذكية ثابتة أرجة (٦) المعتنى والعافى : الضيف وكل طالب فضل أو رزق
 (٧) تمزج . « أحمد يوسف نجاشى »

ضَمَانٌ عَلَى الْأَيَّامِ أَنْ أَبْلُغَ الْغَنَى
إِذَا كُنْتُ فِي وَدَى مُسِرًّا وَمُعِلِنَا
فَلَوْ تَسَأَلُ الْأَيَّامُ مَنْ هُوَ مُفْرَدٌ
بِوَدِّ ابْنِ عَمَّارٍ لَقُلْتُ لَهَا أَنَا
فَإِنْ حَالَتْ الْأَيَّامُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
فَكَيْفَ يَطِيبُ الْعِيشُ أَوْ يَحْصُلُ الْغَنَى^(١)؟!

فَلَمَّا وَصَلَتْ الرُّقْعَةُ إِلَيْهِ تَأَخَّرَ عَنِ الْوُصُولِ ،
وَأَعْتَذَرَ بِعُذْرٍ مُخْتَلٍّ الْمَعَانِي وَالْفُصُولِ ، فَقَالَ أَحَدُ الْحَاضِرِينَ :
إِنِّي لَأَعْجَبُ مِنْ قُعُودِ ابْنِ عَمَّارٍ ، عَنْ هَذَا الْمِضْمَارِ^(٢) ،
مَعَ مِيلِهِ إِلَى السَّمَاعِ ، وَكَلْفِهِ بِمِثْلِ هَذَا الْاجْتِمَاعِ ! فَقَالَ
ذُو الرِّيَّاسَتَيْنِ : إِنَّ الْجَوَابَ تَعَذَّرَ ، فَلِذَلِكَ أَعْتَذَرَ ، لِأَنَّهُ
يُعَانِي قَوْلَهُ وَيَعْلَلُهُ ، وَيُرْوِيهِ وَلَا يَرْتَجِلُهُ ، وَيَقُولُهُ فِي
الْمُدَّةِ ، وَالسَّاعَاتِ الْمُتَدَّةِ ، فَرَأَى أَنَّ الْوُصُولَ بِلَا جَوَابٍ
إِنْجَالٌ لِأَدَبِهِ ، وَإِخْلَالٌ بِمَنَازِلِهِ فِي الشُّعْرِ وَرُتَبِهِ . فَلَمَّا

(١) وفي رواية « أويحسن الغنى » و « يحسن الغنا مخفف » « غناء »
أي يطيب السماع ويلذ (٢) في الفوائد « اني لأعجب من ابن عمار ،

كَانَ مِنَ الْغَدِ وَرَدَ ابْنُ عَمَّارٍ وَمَعَهُ الْجَوَابُ ، وَهُوَ :
 هَصَرْتُ لِي الْأَمَالَ طَيِّبَةَ الْجَنَى
 وَسَوَّغْتِي الْأَحْوَالَ مُقْبِلَةَ الدُّنَى ^(١)
 وَالْبَسْتِي النُّعْمَى أَغْضَ ^(٢) مِنَ النَّدَى
 وَأَجْمَلَ مِنْ وَشَى الرَّيِّعِ وَأَحْسَنًا ^(٣)
 وَكَمْ لَيْلَةٍ أَخْظَيْتَنِي بِحُضُورِهَا
 فَبِتُّ سَمِيرًا لِلْسَّيِّئِ وَلِلْسَّيِّئِ ^(٤)
 أَعْلَلْتُ نَفْسِي بِالْمَكَارِمِ وَالْعَمَلِ
 وَأُذِنِي وَكَفَيْ بِالْغِنَاءِ وَبِالْغِنَى ^(٥)
 سَاقِرُنُ بِالتَّمْوِيلِ ذِكْرَكَ كَلَمًا
 تَعَاوَرَتِ ^(٦) الْأَسْمَاءُ غَيْرَكَ وَالْكُنَى

وكيف فقد عن هذا الغمار « (١) و يروى : وسوغتني الأيام مقبلة
 لى - وهصر الغصن اذا جذبه اليه وأماله، أو كسره من غير أن يبين.
 والغرض أنه مكنه من آماله، وجعله يتصرف فيها كما يشاء، ويجنى ثمراتها
 كيف أراد ، وسوغه الشيء أباحه له وجعله سائغا هنيئا ، والدنا جمع الدنيا
 (٢) الغض الطرى الرطب الندى والناضر البهى (٣) و يروى « وشى
 الرياض » (٤) السناء الشرف والرفعة ، والسنى النور والضياء (٥) فى
 عجز البيت لف ونشر مرتب وهو ظاهر . (٦) تداولت وتناوبت

لَأَوْسَعَتْنِي قَوْلًا وَطَوَّلًا^(١) كِلَاهُمَا
يُطَوِّقُ أَعْنَاقًا وَيُخْرِسُ السُّنَا
وَشَرَّفَتْنِي مِنْ قِطْعَةِ الرُّوْضِ بِأَلَّتِي
تَنَاطَرَ فِيهَا الطَّبَعُ وَرَدًّا وَسَوْسَنَا^(٢)
تَرْوِقُ بِجِيدِ الْمَلِكِ عِقْدًا مُرَصَّعًا
وَتَرْهُو عَلَى عِطْفِيهِ بُرْدًا مُزِينًا^(٣)
فَدُمُّ هَكَذَا يَافَارِسَ الدَّسْتِ وَالْوَغَى
لِتَطْعَنَ طَوْرًا بِالْكَلامِ وَبِالْقِنَا^(٤)
وَأَخْبَرَنِي الْوَزِيرُ الْكَاتِبُ أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ سَعْدُونَ :
أَنَّهُ أَصْطَبَحَ يَوْمًا بِحَضْرَتِهِ وَلِلرَّذَاذِ رَشٌّ ، وَلِلرَّيِّعِ عَلَى

(١) فضلا ونعمة (٢) يريد بقطعة الروض الأبيات الثلاثة الشعرية التي كتب المدوح بها إليه ، وشرح المجاز بذكر الورد والسوسن ، ووصفها بأنها بريئة من التكلف ، يترق في ماء الطبع ، فتروق النفس وتشنف السمع (٣) في القلائد « وشيا معينا » (٤) ويروى عجز البيت « لتطعن بالأقلام فيها وبالقنا » يريد بالدست هنا الرياسة والديوان « وتقدم بسط الكلام في الدست » ومعانيه وتصرف المولدين فيه ، ففي عجز البيت لف ونشر مرتب ، فالطعن بالكلام أو بالأقلام راجع إلى الدست ، والطعن بالقنا عائد إلى الوغى أي الحرب « أحمد يوسف نجاتي »

وَجْهَ الْأَرْضِ فَرَشْتُ ، وَقَدْ صَقَلَ النِّعَامُ الْأَزْهَارَ حَتَّى أَذْهَبَ
نَمَشَهَا ^(١) ، وَسَقَاهَا فَأَرْوَى عَطَشَهَا ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ :
فَدَيْنَاكَ لَا يَسْطِيعُكَ النِّظْمُ وَالنَّثْرُ
فَأَنْتَ مَلِيكَ الْأَرْضِ وَأَنْفَصَلَ ^(٢) الْأَمْرُ
مَرَيْنَا نَدَاكَ الْغَمْرَ فَانْهَلْ صَيِّبًا
كَمَا سَكَبْتَ وَطَفَاءً أَوْ سَكَبَ الْبَحْرُ ^(٣)
وَجَاءَ الرَّيِّعُ الْطَلْقُ يَنْدَى غَضَارَةً
فَحَيَّتِكَ مِنْهُ الشَّمْسُ وَالرَّوْضُ وَالنَّهْرُ ^(٤)

(١) النمش في الأصل نقط بيض وسود ، أو يقع تقع في الجلد تخالف لونه (٢) أى قضى وانتهى ، وفي الأصل « وانصل » (٣) مرى النفاة وغيرها إذا مسح ضرعها لتدر « يريد طلبنا وتعرضنا له بالمدائح والطلب ، وسحابة وطفاء مسترخية الجوانب لكثرة مائها ، وفي القلائد « كما أثبتت وطفاء أو فتق الزهر » (٤) هو من قول البحترى - وهو من أجود ما قيل في الربيع - :

أَتَاكَ الرَّبِيعُ الْطَلْقُ يَخْتَالُ ضَا حَاكَ مِنْ الْحَسَنِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ
وَقَدْ نَبِهَ النِّيرُوزَ فِي غُلَسِ الدَّجَا أَوَائِلَ وَرْدِ كُنْ بِالْأَمْسِ نَوْمَا
يَفْتَقُهَا بَرْدُ النَّدَى فَكَأَنَّهُ يَبْتَ حَدِيثًا كَانَ قَبْلَ مَكْتَمَا
وَرَقَ نَسِيمُ الرِّيحِ حَتَّى كَأَنَّهُ يَجِيءُ بِأَنْفَاسِ الْأَحْبَةِ نَعْمَا
وَالْغَضَارَةُ : الْحَسَنُ وَالْبَهْجَةُ وَالْحَصْبُ وَالْخَيْرُ وَالنِّعْمَةُ وَالسَّعَةُ فِي الْعَيْشِ ،
(٢٣ - نفح الطيب - خامس)

إِلَى أَنْ قَالَ : ثُمَّ وَجَّهَ فِيهِ إِلَى رَوْضَةٍ قَدْ أُرِجَتْ
نَفَحَاتُهَا ، وَتَدَبَّجَتْ^(١) سَاحَاتُهَا ، وَتَفَتَّحَتْ كَمَاثُهَا ، وَأَفْصَحَتْ
حَمَائِمَهَا ، وَتَجَرَّدَتْ جَدَاوِلُهَا كَالْبَوَاتِرِ^(٢) ، وَرَمَقَتْ أَزَاهِرُهَا
كَالْعَيُونِ الْفَوَاتِرِ^(٣) ، وَأَقَامُوا يُعْمِلُونَ أَكْوَاسَهُمْ ،
وَيَشْتَمِلُونَ^(٤) إِيْنَاسَهُمْ ، فَقَالَ ذُو الرِّيَّاسَتَيْنِ :

وصف روضة وَرَوْضٍ كَسَاهُ الطَّلُّ وَشَيْئًا مُجَدِّدًا
فَأَضْحَى مُقِيمًا لِلنُّفُوسِ وَمُقْعِدًا^(٥)
إِذَا صَافَحَتْهُ الرِّيحُ خِلَتْ غُصُونُهُ
رَوَاقِصٍ فِي خُضْرٍ مِنَ الْقُضْبِ مُيِّدًا^(٦)

وعجز البيت في القلائد « فحيتك منه الشمس والانجم الزهر »
« أحمد يوسف نجاتي » (١) نقشت وازدانت بألوان الزهر
(٢) جرد السيف اذا نضاه واستله من غمده ، والباير السيف القاطع الماضى
(٣) طرف فائر ذو فتور أى ضعف مستحسن وانكسار نظر من غير آفة ، بل
قد يكون من تيه أودلال ، و يروى « عيون فواتر » (٤) أى يشتملون به كالثوب
والغرض أن الأنس قد تمكن منهم واستولى عليهم ، وفي القلائد « يشملون »
أى يجعلونه عاماً يشمل المجلس (٥) فى نسخة « فأضحى مقياً للعيون .. »
يعنى أنها لاتفتأ تردد الطرف فيه ولا تكاد تنقضى عجائبها منه وقرتها
من حسنه (٦) ميذا جمع مائد من ماد يمد اذا ثنى وتمايل ، وفي القلائد
« العصب » بدل القضب . وأصل العصب ضرب من البرود الخنية يعصب

إِذَا مَا أُنْسِكَ الْمَاءُ عَايَنْتَ خِلْتَهُ
وَقَدْ كَسَّرَتْهُ رَاحَةُ الرِّيحِ مِبْرَدًا^(١)
وَإِنْ سَكَنْتَ عَنْهُ حَسِبْتَ صَفَاءَهُ
حُسَامًا صَقِيلًا صَافِي الْمَتْنِ جُرْدًا
وَعَنَّتْ بِهِ وَرَقُ الْحَمَائِمِ يَتَنَّا^(٢)
غِنَاءُ يُنْسِيكَ الْغَرِيضَ وَمَعْبَدًا
فَلَا تَجْفُونَ الدَّهْرَ مَا دَامَ مُسْعِدًا
وَمُدَّ إِلَى مَا قَدْ حَبَاكَ بِهِ يَدَا
وَاخُذْهَا مُدَامًا مِنْ غَزَالٍ كَأَنَّهُ
إِذَا مَا سَقَى بَدْرٌ تَحْمَلُ فَرَقْدَا
إِلَى أَنْ قَالَ : وَأَخْبَرَنِي الْوَزِيرُ أَبُو عَامِرٍ ابْنُ سَنُونِ

غزله أى يجمع ويشد ثم يحاك ويصبغ فيأتى موشيا بديعا يروق منظره ،
وأراد بها هنا ما على الأرض من نبات موشى بألوان الزهر مما دبحه الربيع
« صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » ورواية القلائد أظهر وأحسن
من رواية النفح « أحمد يوسف نجاشي » (١) يشبه ما يعلو سطح الماء
إذا جرى فوقه النسيم من الطرائق والتجاعيد والحبك (٢) فى نسخة
« حولنا » وتقدم التعريف بالغريض ومعبد الغنيين « أحمد يوسف نجاشي »

أَنَّهُ كَانَ مَعَهُ فِي مُنِيَةِ الْعُيُونِ ، فِي يَوْمٍ مُطَرَّرِ الْأَدِيمِ ،
وَمَجْلِسٍ مُعَزَّزِ النَّدِيمِ ، وَالْأُنْسُ يُغَازِلُهُمْ مِنْ كُلِّ ثَنِيَّةٍ
وَيُوَاصِلُهُمْ بِكُلِّ أُمْنِيَّةٍ ، فَسَكِرَ أَحَدُ الْحَاضِرِينَ سُكْرًا
مَثَلُ لَهُ مَيْدَانِ الْحَرْبِ ، وَسَهْلَ عَلَيْهِ مُسْتَوَعِرِ الطَّعْنِ
وَالضَّرْبِ ، فَقَلَبَ مَجْلِسَ الْأُنْسِ حَرْبًا وَقِتَالًا ، وَطَلَبَ
الطَّعْنَ وَخَدَّهُ وَالنَّزَالَ^(١) ، فَقَالَ ذُو الرِّيَّاسَتَيْنِ :

نَفْسُ الدَّلِيلِ تَعِزُّ بِالْجُرْيَالِ^(٢) فَيُقَاتِلُ الْأَقْرَانَ دُونَ قِتَالِ

كَمْ مِنْ جَبَانٍ ذِي افْتِخَارٍ بَاطِلٍ

بِالرَّاحِ تَحْسِبُهُ مِنْ الْأَبْطَالِ

كَبَشُ النَّدَى تَخْمُطًا وَعَرَامَةً

وَإِذَا تُشِبُّ الْحَرْبُ شَاةُ نِزَالِ^(٣)

(١) هو من قول أبي الطيب :

وَإِذَا مَا خَلَا الْجَبَانَ بِأَرْضِ طَلَبَ الطَّعْنَ وَخَدَّهُ وَالنَّزَالَ

وَفِي مَعْنَاهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

يَقُولُ جَبَانُ الْقَوْمِ فِي حَالِ سُكْرِهِ وَقَدْ شَرِبَ الصُّهْبَاءُ : هَلْ مِنْ مَبَارِزِ ؟

وَأَيْنَ الْحَيُولُ الْأَعْوَجِيَّاتُ فِي الْوَغَى أَطَاعَنَ مِنْهَا كُلَّ قَرْمٍ مَنَاجِزِ ؟

فَفِي الْبَكْرِ قَيْسُ وَابْنُ مَعْدَى وَعَامِرٌ وَفِي الصَّحْوِ تَلْقَاهُ كِبَعُ الْعَجَائِزِ

(٢) الْحُمُرُ (٣) كَبَشُ الْقَوْمِ : قَائِدُهُمْ وَحَامِيهِمْ ، وَسَيِّدُهُمْ ، وَرَتِيسُهُمْ . وَالنَّدَى



« وَقَالَ فِي تَرْجَمَةِ ابْنِ طَاهِرٍ ^(١) مَا صُورَتُهُ « وَجِئْتُهُ تَرْجَمَةُ ابْنِ طَاهِرٍ
يَوْمًا وَقَدْ وَقَفْتُ ^(٢) بِبَابِ الْخَنْشِ فَقَالَ لِي : مِنْ أَيْنَ ؟ فَأَعْلَمْتُهُ ،
وَوَصَفْتُ لَهُ مَا عَايَنْتُهُ مِنْ حُسْنِهِ وَتَأَمَّلْتُهُ ، فَقَالَ لِي : كُنْتُ
أَخْرُجُ إِلَيْهِ فِي أَكْثَرِ اللَّيَالِي مَعَ الْوَزِيرِ الْأَجَلِّ أَبِي بَكْرٍ
- يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ^(٣) - إِلَى رَوْضَتِهِ الَّتِي وَدَّتِ الشَّمْسُ

المجلس ، وتخمط الرجل اذا تغضب وتكبر ، وثار وأجلب ، شبه بهدير الفحل ،
والتخمط الاخذ والقهر بغلبة ، وقال الكميت :

وقد كان زينا للعشيرة مدرها اذا ماتسامت للتخمط صيدها
« الصيد جمع أصيد وهو ذو الكبر المعجب بنفسه ، والملك المدل بقوة »
وعرم الرجل « كضرب ونصر وكرم وعلم » عرامة وعراما اذا كان ذا
شراسة وقوة وشدة وأذى ، قال وعلة الحرمي :

ألم تعلموا أتى تخاف عرامتي وأن قناتي لاتلين على الكسر
(١) هو الرئيس الجليل محمد بن أحمد بن اسحق بن طاهر أديب بليغ
وكاتب قدير ، من بيت فضل ورياسة ، ومعدن أدب ونباهة ، تقلبت به
الأيام من رفعة الى خفض ، ومن ولاية الى عزل ، حتى أقام بمرسية زمانا
فلما شبت بها نار الفتنة وقع في قبضة الأسر ، ثم خلص منه خلوص
السيف من غمده ، فلجأ الى شاطبة فسكنها حيناً حتى خمدت ثورة
اشبيلية فعاد اليها عودا حللى الى العاطل ، حتى توفي بها سنة ٥٠٧ عن نحو
تسعين سنة ودفن بمدينة مرسية « أحمد يوسف نجاتي » (٢) في القلائد « وقف »
(٣) هو بقرية وزراء ابن أبي عامر ، وكان المأمون بن ذى النون كما تقدم

أَنْ يَكُونَ مِنْهَا طُلُوعُهَا ، وَتَمَنَّى الْمِسْكُ أَنْ تُضَمَّ عَلَيْهِ
 صَلَوعُهَا ، وَالزَّمَانُ غُلَامٌ ، وَالْعَيْشُ أَحْلَامٌ ، وَالْدُّنْيَا تَحِيَّةٌ
 وَسَلَامٌ ، وَالنَّاسُ قَدْ اُنْتَشَرُوا فِي جَوَانِبِهِ ، وَقَعَدُوا إِلَى
 مَذَانِبِهِ^(١) ، وَفِي سَاقِيَتِهِ الْكُبْرَى دُولَابٌ يَبْنِي كَنَاقَةَ
 إِثْرٍ حُورٍ^(٢) ، أَوْ كَشَكْلِي مِنْ حَرِّ الْأَوَارِ^(٣) ، وَكُلُّ

قد تغلب على بلنسية، ولما مات سنة ٤٦٧ ولى حفيده القادر فولى على
 بلنسية أبا بكر بن عبد العزيز هذا فحسن له المقتدر بن هود صاحب
 سرقسطة الانتفاض على القادر ففعل واستبد بمدينة بلنسية، وتوفي سنة
 ٤٧٨ ثم استولى الفرنج في سنة ٤٧٩ على مدينة بلنسية حتى جاء
 يوسف بن تاشفين وكان منه ما تقدم بعضه « أحمد يوسف نجاني »
 (١) جمع مذهب « كمنبر » وهو مسيل الماء الى الأرض ليس بخد واسع
 وجدول يسيل عن الروضة بمائها الى غيرها فيفرق ماؤها فيها ، والتي يسيل
 عليها الماء مذهب أيضا ، وقال امرؤ القيس :

وقد أغتدى والطير في وكناتها وماء الندى يجري على كل مذهب
 (٢) الحوار ولد الناقة ساعة تضعه أمه ، أو من حين أن يوضع الى أن
 ينفطم ويفصل عن أمه ، فاذا فصل عن أمه فهو فصيل ، وجمعه أحورة
 وحيران ، وحوران ، ومن أمثالهم : « حرك لها حوارها تحن » وقالوا :
 « أمسخ من لحم الحوار » ، قال الشاعر

وقد علم العثر والطارقون بأنك للضيف جوع وقر
 مسيخ مليخ كاحم الحوار فلا أنت حلو ولا أنت مر
 « المسيخ والمليخ الذي لا طعم له » وقالوا : « كسور العبد من لحم الحوار »
 ويضرب للشيء الذي لا يدرك منه شيء ، وأصله أن عبدا نحر حورا وأكله
 كله ولم يبق لمولاه منه شيئا فضرب به المثل لما يفقد البتة (٣) حر العطش

مُغْرَمٌ يَجْعَلُ فِيهِ أَرْتِيَا حَهُ ، بُكْرَتَهُ وَرَوَاحَهُ ، وَيُغَازِلُ
عَلَيْهِ حَيِّبَهُ ، وَيَصْرِفُ إِلَيْهِ تَشْبِيهَهُ^(١) ، فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ لَيْلَةً
وَالْمُتَنَّبِيَّ^(٢) الْجَزِيرِيَّ وَقَافٍ وَأَمَامَهُ ظِيَّ أَنْسٍ ، تَهِيمٌ بِهِ
الْمَكَانِسُ^(٣) ، وَفِي أُذُنَيْهِ قُرْطَانٍ ، كَأَنَّهُمَا كَوْ كَبَانٍ ، وَهُوَ
يَتَأَوَّدُ^(٤) تَأَوَّدَ غُصْنِ الْبَانِ ، وَالْمُتَنَّبِيَّ يَقُولُ :

مَعَشَرَ النَّاسِ يَبَابِ الْحُنْشِ
بَدْرُ تَمِّ طَالِعٍ فِي غَبْشٍ^(٥)

عَلَّقَ الْقُرْطَ عَلَى مِسْمَعِهِ
مَنْ عَلَيْهِ آفَةُ الْعَيْنِ خَشِيَ
فَلَمَّا رَأَى أَمْسَكَ ، وَسَبَّحَ كَأَنَّهُ قَدْ تَنَسَّكَ :

(١) غزله ، والتشبيب في الأصل ذكر أيام الشباب واللهو والغزل (٢) هو أبو طالب الجزيري الملقب بالمتنبي من أهل جزيرة شقر في شرقي الأندلس كان أديبا عظيما وشاعرا مجيدا ، وله تاريخ ألفه منظوما جاري به التاريخ الذي ألفه يحيى بن حكم الغزال « وقد تقدم ذكره » وكان المتنبي معاصرا للافتح بن خاقان وتوفي حوالي سنة ٥٣٠ هـ ، وسيأتي له ذكر في نفح الطيب بعد . « أحمد يوسف نجاتي » (٣) المكنس : مأوى الظبي (٤) يتثنى ويتمايل مختالا (٥) الغبش : شدة الظلمة ، أو هو بقية الليل أو ظلمة آخره وغبش الليل « كضرب وفرح » وأغبش اذا أظلم « أحمد يوسف نجاتي »

* *

التعريف بابن
عمار

« وَقَالَ فِي تَرْجَمَةِ ابْنِ عَمَّارٍ مَا صُورَتْهُ ^(١) » وَتَنَزَّهَ
بِالدَّمَشَقِ بِقُرْطُبَةَ وَهُوَ قَصْرُ شَيْدِهِ بَنُو أُمَيَّةَ بِالصَّفَّاحِ
وَالْعَمَدِ ، وَجَرَوْا فِي إِتْقَانِهِ إِلَى غَيْرِ أَمَدٍ ، وَأُبْدِعَ بِنَاؤُهُ ،
وَنَمَّقَتْ سَاحَتُهُ وَفِنَاؤُهُ ، وَأَتَّخَذُوهُ مَيْدَانِ مَرَاكِحِهِمْ ، وَمِضْمَارًا
لِإِنْشِرَاحِهِمْ ، وَحَكَمُوا بِهِ قَصْرَهُمْ بِالْمَشْرِقِ ، وَأَاطَلَعُوهُ
كَالْكَوْكَبِ الثَّاقِبِ الْمَشْرِقِ ، فَحَلَّهُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَمَّارٍ
عَلَى أَثَرِ بُوسِهِ ، وَأَبْتَسَمَ لَهُ دَهْرُهُ بِهِ بَعْدَ عُبُوسِهِ ، وَالْدُّنْيَا
قَدْ أَعْطَتْهُ عَفْوَهَا ، وَسَقَتْهُ صَفْوَهَا ، وَبَاتَ فِيهِ مَعَ لُمَّةٍ مِنْ
أَتْبَاعِهِ ، وَمُتَقَيٍّ ^(٢) رِبَاعِهِ ، وَكُلُّهُمْ يُحْيِيهِ بِكَأْسٍ ، وَيُقَدِّيهِ
بِنَفْسِهِ مِنْ كُلِّ بَأْسٍ ، فَطَابَتْ لَهُ لَيْلَتُهُ فِي مَشِيدِهِ ،
وَأَطْرَبَهُ الْإِنْسُ بِبَسِيطِهِ وَنَشِيدِهِ ^(٣) ، فَقَالَ :

(١) تقدمت هذه الحكاية وشرحها . (٢) في القلائد « ومتقيلي » والمعنى
واحد ، والرباع جمع ربع وهو الدار والمحلة والمنزل والوطن ، وتقيأه إذا استظل
بظله ، وتقيله وتقيله فيه إذا نام فيه وقت القيالة وتقيله تبعه وحذا حذوه ،
والغرض أنهم يلتجئون إليه ويستظلون بكنفه (٣) في بعض النسخ « ببسيطه »
ومد يده « وهو من توجيهات علم العروض « أحمد يوسف نجاتي »

كُلُّ قَصْرِ بَعْدَ الدَّمَشْقِ يُذَمُّ
فِيهِ طَابَ الْجَنَى وَفَاحَ الْمِشْمُ
مَنْظَرُهُ رَائِقٌ وَمَاءُهُ نَمِيرٌ
وَتَرَى عَاطِرُهُ وَقَصْرُهُ أَشَمُّ (١)
بِتُّ فِيهِ وَاللَّيْلُ وَالْفَجْرُ عِنْدِي
عَنْبَرٌ أَشْهَبُ وَمِسْكٌ أَحْمُ (٢)
انتهى

* * *

وَعَبَّرَ صَاحِبُ الْبَدَائِعِ عَنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ بِقَوْلِهِ : تَنَزَّهَ
أَبْنُ عَمَّارٍ بِالدَّمَشْقِ بِقُرْطُبَةٍ وَهُوَ قَصْرٌ شَيْدَهُ خُلَفَاءُ بَنِي أُمَيَّةَ
وَزَخَرَفُوهُ ، وَدَفَعُوا صَرْفَ الدَّهْرِ عَنْهُ وَصَرَفُوهُ ، وَأَجْرَوهُ
عَلَى إِرَادَتِهِمْ وَصَرَفُوهُ . وَذَهَبُوا سَقْفَهُ وَفَضَّضُوهَا ، وَرَخَّمُوا
أَرْضَهُ وَرَوَّضُوهَا ، فَبَاتَ بِهِ وَالسَّعْدُ يَلْحَظُهُ بِطَرَفِهِ ،
وَالرَّوْضُ يُحْيِيهِ بِعَرَفِهِ ، فَلَمَّا أَسْتَنْفَدَ كَافُورُ الصَّبَاحِ مِسْكَ

وصف قصر
شيدته خلفاء
بنى أمية

الْفَسَقِ^(١) ، وَرَصَّعَ آبِنُوسُ الظَّلَامِ نُضَارُ الشَّفَقِ^(٢) قَالَ
مُرْتَجِلًا : كُلُّ قَصْرِ بَعْدَ الدَّمَشَقِ يُذَمُّ ، إلخ . اُنْتَهَى .

« وَقَالَ فِي تَرْجَمَةِ ذِي الْوِزَارَتَيْنِ أَبِي عَيْسَى بْنُ
لَبُونِ^(٣) » أَخْبَرَنِي الْوَزِيرُ أَبُو عَامِرٍ بْنُ الطَّوِيلِ أَنَّهُ كَانَ
بِقَصْرِ مُرَيْطَرِ^(٤) بِالْمَجْلِسِ الشَّرْقِيِّ^(٥) مِنْهَا وَالْبَطْحَاءُ قَدْ
لَبِسَتْ زُخْرُفَهَا^(٦) ، وَدَبَّحَ الْغَمَامُ مُطَرَفَهَا^(٧) ، وَفِيهَا حَدَائِقُ

ترجمة ذى
الوزارتين بن
لبون

(١) الفسق الظلمة « وأكثر ما يطلق على ظلمة أول الليل » أو ظلمة الليل
إذا غاب الشفق (٢) النضار الذهب أو الفضة ، وغلب على الذهب والجوهر
الخالص من التبر وغيره ، وجمعه نضار « بالكسر » وأنضر - والشفق : الحمرة
التي في الأفق من الغروب إلى العشاء الآخرة ، أو اختلاط ضوء النهار بسواد
الليل عند غروب الشمس ، والبياض الباقي في الأفق بعد الحمرة المذكورة
وقد يطلق الشفق على النهار « وهو المراد هنا - وبه فسر قوله تعالى :
« فلا أقسم بالشفق » (٣) تقدم التعريف به (٤) تقدم التعريف بها ،
وبينها وبين بلنسية ع فراسخ ، ينسب إليها قاضيها ابن خيرون المريبطرى
وقد سبق أنها كانت مع ذى الوزارتين القائد أبى عيسى بن لبون ، ثم
أخذها منه ابن رزين (٥) فى القلائد « المشرف » (٦) الزخرف الزينة
وكمال حسن الشيء . وزخرف الأرض ألوان نباتها المختلفة ، ومنه قوله تعالى :
« حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت » أى زينتها من ألوان الزهر
وناصع النور ، وقيل تمامها وكماها (٧) دبح : نقش وزين ، والمطرف فى

تَرْنُو عَنْ مُقْلٍ نَرْجِسِهَا ، وَتَبْتُ طِيبَ تَنْفُسِهَا ، وَالْجُلْنَارُ^(١)
 قَدْ لَبَسَ أَرْدِيَةَ الدَّمَاءِ ، وَالرَّاحُ قَدْ مَلَكَتْ أَفْئِدَةَ^(٢) النَّدْمَاءِ
 فَقَالَ :

قُمْ يَا نَدِيمُ اذِرْ عَلَى الْقَرْقَفَا
 أَوْ مَا تَرَى زَهْرَ الرِّيَاضِ مُفَوَّقًا^(٣) !

فَتَخَالَ مَحْبُوبًا مُدِلًّا وَرَدَهَا
 وَتَظُنُّ نَرْجِسَهَا مُحِبًّا مُدِنَفًا^(٤)
 وَالْجُلْنَارُ دِمَاءٌ قَتَلَى مَعْرَكُ
 وَالْيَاسَمِينُ حَبَابَ مَاءٍ قَدْ طَفَا^(٥)

إِلَى أَنْ قَالَ : وَشَرِبَ مَعَ الْوُزَرَاءِ الْكِتَابِ^(٦)

الأصل رداء من خزم ربع ذو أعلام. وترنو : تديم النظر (١) زهر الرمان
 (٢) كذا بالقلائد ، وفي الأصل « وراع أفئدة الندماء » (٣) القرقف
 الحجر الصافية ذات البرد : وبرد مفوف أى رقيق موشى (٤) أدل فهو
 مدل اذا تدلل وانبسط ، وأدنفه الحب ونحوه اذا أمرضه مرضاً ثقيلاً لازماً
 (٥) حباب الماء طرائفه كأنها الوشى ، ونفاخاته وفاقيعه التى تعلو سطحه
 كأنها القوارير ، وتسمى اليعاليل ، وطفا الشئ فوق الماء اذا علا ولم يرسب
 « أحمد يوسف نجاشى » (٦) وفي نسخة « والكتاب »

يَبْطَحَاءُ لُورَقَةَ^(١) فِي عَشِيَّةٍ تَجُودُ بِدِمَائِهَا ، وَيَصُوبُ^(٢) عَلَيْهَا
 دَمْعُ سَمَائِهَا ، وَالْبَطَحَاءُ قَدْ خَلَعَ عَلَيْهَا سُنْدُسُهَا ، وَدُرُّهَا^(٣)
 نَرَجِسُهَا ، وَالشَّمْسُ تَنْقُضُ عَلَى الرُّبَا زَعْفَرَانَهَا^(٤) وَالْأَنْوَارُ ،
 تُغَمِّنُ أَجْفَانَهَا ، فَكَتَبَ إِلَى ابْنِ الْيَسَعِ :
 لَوْ كُنْتَ تَشْهَدُ يَا هَذَا عَشِيَّتَنَا
 وَالْمُزْنَ^(٥) تَسْكِبُ أَحْيَانًا وَتَنْحَدِرُ
 وَالْأَرْضُ مُصْفَرَّةٌ بِالزَّهْرِ^(٦) كَاسِيَّةٌ
 أَبْصَرْتَ تَبْرًا عَلَيْهِ الدُّرُّ يَنْثَرُ

(١) البطحاء أرض واسعة منبسطة ، أو مسيل فيه دقاق الحصى ، ولورقة مدينة من أعمال تدمير ، وكانت ذات شهرة بالغنب الجيد « وتقدم التعريف بها في الجزء الأول » وفي القلائد : وشرب مع الوزراء والكتاب ببطحاء لورقة عند أخيه وابن اليسع غائب عنهما في عشيّة الخ « وقد تقدم أن أخاه أبا محمد بن لبون كان يملك مدينة لورقة وبها توفي ، وتقدم التعريف بذي الوزارتين القائد أبي الحسن بن اليسع (٢) صاب : انصب ، والصوب : محيى السماء بالغيث (٣) كذا بالأصل ، وفي القلائد « ودنرها » أى جعلها ذات دنانير ، شبه زهرة النرجس بالدينار ، وفرس مدنر فيه تدمير : سواد تخالطه شبهة ، ودنر وجهه إذا أشرق وتلاّ (٤) يعنى أن الوقت أميل وهو أطيب أوقات النهار (٥) السحاب ذو الماء (٦) فى الأصل « بالشمس » وفى بعض المراجع « بالزهر » وهو أولى كما يدل عليه هيئة المشبه به فى

* *

« وَقَالَ فِي تَرْجَمَةِ ذِي الْوِزَارَتَيْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنُ رُحَيْمٍ ^(١)
 مَا صُورَتْهُ » وَوَصَلَ هُوَ وَأَبْنُ وَصَّاحٍ ^(٢) صَهْرُ الْمُرْتَضَى
 وَأَبْنُ جَمَالٍ الْخَلَّافَةُ صَاحِبُ صِقْلِيَّةٍ إِلَى إِحْدَى جَنَّاتِ مُرْسِيَّةٍ
 فَحَلُّوا مِنْهَا فِي قُبَّةٍ فَوْقَ جَدُولٍ مُطَرَّدٍ ^(٣) ، وَتَحْتَ أَذْوَاحٍ ^(٤)
 طَيْرُهَا غَرْدٌ ، فَأَقَامُوا يَتَعَاطَوْنَ رَحِيقَهُمْ ، وَيَعْمُرُونَ
 بِالْمُؤَانَسَةِ طَرِيقَهُمْ ، إِذَا بِالْجَنَّانِ ^(٥) قَدْ وَقَفَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ :

عجز البيت . « أحمد يوسف نجاني » (١) هو ذو الوزارتين الكاتب
 الشاعر الأديب أبو بكر محمد بن أحمد بن رحيم أو « دحيم » وكانت بينه
 وبين القاضي أبي أمية إبراهيم بن عصام مدة قضائه بمرسية معاتبات رقيقة
 وله مدائح وتهاني في الأمير أبي اسحق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين
 في سنة ٥١٥ هـ ويأتي له ذكر بعد (٢) هو أبو جعفر محمد بن وضاح الأديب
 الشاعر توفي حوالي سنة ٥٤٠ هـ (٣) يجري ماؤه متناها (٤) أشجار كثيرة
 ملتفة (٥) في الأصل « بالجناني » وفي الفلاذ « بالجنان » وأظنه
 يريد أبا اسحق إبراهيم بن خفاجة الأندلسي فقد كان أهل الأندلس
 يسمونه الجنان لولوعه في شعره بوصف الجنان والحدائق والأنهار والأشجار
 والرياض والأزهار والمياه وما يتصل بذلك من وصف مناظر الطبيعة الفاتنة
 ومشاهدها البديعة الساحرة التي توحى بالشعر وتسمو بالخيال . وقد يكون
 « ابن الجنان » وهو أبو الوليد بن الجنان ، أو أبو القاسم خلف بن مفرج

كَانَ بِمَوْضِعِكُمْ هَذَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُ الْمَوْضِعِ وَمَعَهُ شُعُورٌ
مَنْشُورَةٌ ، وَخُدُودٌ غَيْرُ مَسْتُورَةٍ ، قَدْ رُفِعَتْ عَنْهَا الْبَرَاقِعُ ،
وَمَا مِنْهَا نَظْرَةٌ إِلَّا وَمَعَهَا سَهْمٌ وَاقِعٌ ، فَاسْتَدْعَى فَحْمًا
وَكَتَبَ فِي إِحْدَى زَوَايَا الْقُبَّةِ :

قَادَنَا وَدُّنَا إِلَيْكَ فَجِئْنَا بِنُفُوسٍ تَقْدِيكَ مِنْ كُلِّ بُوسٍ
فَنَزَلْنَا مَنَازِلًا لِبُدُورٍ وَحَلَلْنَا مَطَالِعًا لِشُمُوسٍ

« وَقَالَ فِي تَرْجَمَةِ الْوَزِيرِ الْكَاتِبِ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِوَنَ
مَا صُورَتُهُ » حَلَّتْ يَابِرَةٌ^(١) فَأَنْزَلَنِي وَإِلَيْهَا بِقَصْرِهَا ،
وَمَكَّنَتْنِي مِنْ جَنَى الْأَمَانِيِّ وَهَضَرِهَا^(٢) ، فَأَقَمْتُ لَيْلِي ، أَجْرُ
عَلَى الْمَجَرَّةِ ذَيْلِي ، وَتَتَطَارَدُ فِي مَيْدَانِ الشُّرُورِ خَيْلِي ، فَلَمَّا
كَانَ مِنَ الْغَدِ بَا كَرَنِي الْوَزِيرُ أَبُو مُحَمَّدٍ مُسَلِّمًا ، وَمِنْ

ترجمة أبي محمد
ابن عبدون

ابن سعيد الكنانى من أهل شاطبة ولى القضاء بأحدى الكور الشرقية
لأبى أمية ابراهيم بن عصام وكان أديبا فقيها مشاورا ، وأبو العلاء عبدالحق
ابن خلف بن مفرج الكنانى يعرف بابن الجنان ، وصحب أبا اسحق بن
خفاجة ، وكان من كبار الأدياء وجملة الشعراء وأعظم البلغاء وله بصر بالطب
توفي سنة ٥٣٩ . « أحمد يوسف نجاشى » (١) يابرة بلد فى غربى الأندلس
(٢) هضر الغصن : جذبه وأماله اليه « يريد التمتع بنيل آماله والتصرف فيها كما
يشاء » « أحمد يوسف نجاشى »

تَكْبِي^(١) عَنْهُ مُتَأَلِّمًا ، ثُمَّ عَطَفَ عَلَى الْقَائِدِ عَاتِبًا عَلَيْهِ ،
 فِي كَوْنِي لَدَيْهِ ، ثُمَّ أَنْصَرَفَ وَقَدْ أَخَذَنِي مِنْ يَدَيْهِ ، فَحَلَلْتُ
 عِنْدَهُ فِي رُحْبٍ ، وَهَمَّتْ عَلَيَّ مِنَ الْبَرِّ أَمْطَارُ سُحْبٍ ، فِي
 مَجْلِسٍ كَانَ الدَّرَارِيُّ فِيهِ مَصْفُوفَةً^(٢) ، أَوْ كَانَ الشَّمْسُ إِلَى
 مَرْفُوفَةٍ^(٣) ، فَلَمَّا حَانَ أَنْصِرَافِي ، وَكَثُرَ تَطَلُّعِي إِلَى مَا بِي^(٤)
 وَأَسْتَشْرِفِي ، رَكِبَ مَعِيَ إِلَى حَدِيقَةِ نَضْرَةٍ ، مُجَاوِرَةٍ
 لِلْحَضْرَةِ ، فَأَنَحْنَا عَلَيْهَا أَيْدِيَ عَيْسِنَا^(٥) ، وَنَلْنَا مِنْهَا مَا شِئْنَا
 مِنْ تَأْنِسِنَا ، فَلَمَّا أَمْتَطَيْتُ عَزْمِي^(٦) ، وَسَدَدْتُ إِلَى غَرَضِ
 الرُّحْلَةِ سَهْمِي ، أَنْشَدَنِي :

سَلَامٌ يُنَاجِي مِنْهُ زَهْرَ الرُّبَا عَرَفُ
 فَلَا سَمْعَ إِلَّا وَدَّ لَوْ أَنَّهُ أَنْفُ^(٧)
 حَنِينِي إِلَى تِلْكَ السَّجَايَا فَإِنَّهَا
 لَا تَارُ أَعْيَانِ الْمَسَاعِي الَّتِي أَقْفُو^(٨)

(١) انصرافي عنه وعدم النزول عنده (٢) رجوعي وعودتي «وفي القلائد :
 قيامي» واستشرف الى الشيء اذا تطلع اليه (٣) أي أقاموا بها ، والعيس
 في الأصل: الابل البيض يخالط بياضها شيء من الصفرة (٤) عزمي على
 الارتحال (٥) العرف: الرائحة الذكية (٦) ففأثر ما ذابعه «أحمد يوسف نجاتي»

ثُمَّ سَرَدَ الْقَصِيدَةَ ، إِلَى أَنْ قَالَ : وَلَهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - :

سَقَاهَا الْحَيَا مِنْ مَعَانٍ ^(١) فِصَاحٍ

فَكَمْ لِي بِهَا مِنْ مَعَانٍ فِصَاحٍ

وَحَلَّى أَكَا لَيْلَ تِلْكَ الرُّبَا

وَوَشَّى مَعَاطِفَ تِلْكَ الْبِطَاحِ ^(٢)

فَمَا أَنَسَ لَا أَنَسَ عَهْدِي بِهَا

وَجَرَّيَ فِيهَا ذُيُولَ الْمِرَاحِ ^(٣)

وَنَوَمِي عَلَى حَبَرَاتِ الرِّيَاضِ

يُجَاذِبُ بُرْدَيَّ مَرُّ الرِّيَاحِ ^(٤)

وَلَمْ أُعْطِ أَمْرَ النُّهْيِ طَاعَةً

وَلَمْ أَصْغِ سَمْعِي إِلَى قَوْلِ لَاحِي ^(٥)

(١) الغنى منزل القوم ومحل اقامتهم (٢) يدعو للربا بأن تزينا
الازهار والاشجار ، والبطاح جمع أبطح و بطحاء (٣) المراح اسم من
مرح « كفرح » وهو شدة الفرح والنوسع فيه والاختيال والنشاط حتى
يجاوز قدره (٤) الحبرة « كعنبه » ضرب من ضروب اليمن ذو وشى
(٥) اللاحي اللائم للعنف ، يقول انه لم يجب داعي العقل ، بل لبي نداء عواطفه
وخضع لدواعي نفسه ورغبات قلبه « أحمد يوسف نجاتي »

وَلَيْلٍ كَرَجَّةٍ طَرْفِ الْمُرِيبِ

لَمْ أَذْرِ لَهُ شَفَقًا مِنْ صَبَاحٍ^(١)

« وَقَالَ » فِي تَرْجَمَةِ الْوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ مَالِكٍ^(٢) - بَعْدَ تَرْجَمَةِ الْوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ مَالِكٍ

كَلَامٍ لَهُ فِيهِ ، وَإِنْشَادِهِ يَتَّبِعُهُ الْبَدِيعَيْنِ الَّذِينَ هُمَا

(١) صدر البيت كناية عن مزيد قصر الليل ، والمريب من كان ذا ريبة أى تهمة وظنة وشك « بأن كان يخالس النظر الى من يهوى منتهزا غفلة الرقيب فيكون طرفه سريع النظر والرجع خيفة أن يراه أحد » قال ابن المعتز :

تفقد مساقط لحظ المريب فان العيون وجود القلوب

وطالع بواده في الكلام فانك تجنى ثمار الغيوب

وعجز البيت يدل على قرب مسافة ما بين الشفق الى الصباح « أحمد يوسف نجاتي »

(٢) هو الوزير الجليل أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن مالك الماعزى من ولد عقبة بن نعيم الداخل الى الأندلس فى جند دمشق كان أحد وزراء الأندلس كثير الصنائع جزل المواهب عظيم المكارم على سنن عظماء الملوك وأخلاق السادة ، وأحد رجالها ومحاسنها جلالة ونباهة وجزالة أديبا بليغا كاتباً مجيداً شاعراً بارعاً فقيهاً محدثاً ذا مروءة عظيمة وثروة طائلة جاد بها فى ابتناء المكارم ، وكان اليه النظر فى المستخلص باشبيلية وغرناطة ، ووجهه أميره على بن يوسف بن تاشفين الى طرطوشة برسم بنائها ، فأحسن الى أهلها ووسع أرزاقهم وأنعم عاثرهم ، وتوفى بغرناطة فى غرة رمضان سنة ٥١٨ وحضر جنازته الخاصة والعامة . ورتاه الكاتب البليغ أبو عبد الله بن أبى الحصال وأثنى عليه ، ودفن بازاء قبر صهره أبى بكر القليعى القاضى رحمهم الله جميعاً . « أحمد يوسف نجاتي »

(٢٤ - نفع الطيب - خامس)

لَا تَلْمَنِي بِأَنْ طَرَبْتُ لِشَدْوٍ^(١)

يَبْعَثُ الْآنَسَ فَالْكَرِيمُ طَرُوبُ

لَيْسَ شَقُّ الْجُيُوبِ حَقًّا عَلَيْنَا^(٢)

إِنَّمَا الشَّأْنُ أَنْ تُشَقَّ الْقُلُوبُ

مَا صُورَتُهُ : وَخَرَجْتُ بِإِشْبِيلِيَّةَ مُشِيْعًا لِأَحَدِ زُعَمَاءِ

الْمُرَابِطِينَ ، فَأَلْفَيْتُهُ مَعَهُ ، مُسَافِرًا لَهُ فِي جُمْلَةٍ مِنْ شِيعَتِهِ ،

فَلَمَّا أَنْصَرَفْنَا مَالَ بِنَا إِلَى مُعَرَّسٍ^(٣) أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ - أَدَامَ

اللَّهُ تَعَالَى تَأْيِيدَهُ - الَّذِي يَنْزِلُهُ عِنْدَ حُلُولِهِ بِإِشْبِيلِيَّةَ ، وَهُوَ

مَوْضِعٌ مُسْتَبَدَعٌ ، كَانَ الْحُسْنُ فِيهِ مُودَعٌ ، مَا شِئْتُ مِنْ

نَهْرٍ يَنْسَابُ أَنْسِيَابَ الْأَرَاقِمِ ، وَرَوْضٍ كَمَا وَشَّتِ الْبُرْدُ

(١) فِي الْأَصْلِ « لَشَجْوٍ » وَفِي الْقَلَائِدِ « لَشَدْوٍ » وَهُوَ أَحْسَنُ ، وَالشَدْوُ

الْغَنَاءُ (٢) فِي الْقَلَائِدِ « إِنَّمَا الْحَقُّ » وَفِي مَعْنَى الْبَيْتِ قَوْلُ الْأَوَّلِ :

لَوَامِي زَلِيخَا لَوْرَيْنِ جَبِينِهِ لَا تَرْنُ بِالْقَطْعِ الْقُلُوبَ عَلَى الْإِيْدَى

« لَوَامِي جَمْعُ لَائِمَةٍ وَأَصْلُهُ لَوَائِمُ فَقَلْبٌ وَأَعْلَى » أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَاتِي .

(٣) مَوْضِعُ تَزْوُلِهِ مِنْ عَرَسِ الْقَوْمِ وَأَعْرَسُوا إِذَا نَزَلُوا فِي آخِرِ اللَّيْلِ لِلِاسْتِرَاحَةِ

ثُمَّ أَنَاخُوا وَنَامُوا نَوْمَةً خَفِيفَةً ثُمَّ سَارُوا مَعَ انْفِجَارِ الصَّبْحِ سَائِرِينَ ، وَفِي

بَعْضِ الْمَرَاجِعِ « قَصْرٌ » بَدَلُ مُعَرَّسٍ ، وَهُوَ الصَّقُّ بِالسِّيَاقِ كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ

« أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَاتِي »

يَدُ رَاقِمٍ ، وَزَهْرٍ يَحْسُدُ الْمِسْكَ رِيَّاهُ ، وَيَتَمَنَّى الصُّبْحُ أَنْ
يَسِمَ بِهِ^(١) مُحْيَاهُ ، فَقَطَفَ غُلَامٌ وَسِيمٌ مِنْ غِلْمَانِهِ نَوْرَةً
وَمَدَّ يَدَهُ إِلَى وَهْيٍ فِي كَفِّهِ ، فَعَزَمَ عَلَى أَنْ أَقُولَ يَتَنَّا
فِي وَصْفِهِ ، فَقُلْتُ :

وَبَذَرَ بَدَا وَالطَّرْفُ مَطْلَعُ حُسْنِهِ
وَفِي كَفِّهِ مِنْ رَائِقِ النَّوْرِ كَوْكَبُ
فَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ :

يَرْوَحُ لَتَعْدِيبِ النَّفُوسِ وَيَعْتَدِي
وَيَطْلُعُ فِي أَفْقِ الْجَمَالِ وَيَغْرُبُ
وَيَحْسُدُ مِنْهُ الْعُصْنُ أَيْ مُهْفَهَفٍ
يَجِيءُ عَلَى مِثْلِ الْكَثِيبِ وَيَذْهَبُ

« وَقَالَ فِي تَرْجَمَةِ الْوَزِيرِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ السَّقَّاطِ^(٢) تَرْجَمَهُ أَبِي الْقَاسِمِ
ابْنُ السَّقَّاطِ

(١) وسمه أعلمه وجعل له سمة . والمحيا الوجه ، وبقية الألفاظ قد سبق
شرحها وبيان معانيها في غير موضع (٢) وصفه الفتح في القلائد بلبلاغة
واجادة الكتابة والشعر والخطابة ، وأورد له كثيرا من نظمه وثره

بَعْدَ كَلَامٍ كَثِيرٍ مَا صُورَتْهُ : وَحَمَلْنَا الْوَزِيرُ الْقَاضِي
أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ أَضْحَى^(١) إِلَى إِحْدَى ضِيَاعِهِ بِخَارِجِ غَرْنَاطَةِ
وَمَعَنَا الْوَزِيرُ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ مَالِكٍ ، وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَعْيَانِ
تِلْكَ الْمَمَالِكِ ، فَحَلَلْنَا بِضِيعَةً لَمْ يَنْحَتِ الْمَحَلُّ أَثْلَهَا^(٢) ،
وَلَمْ تَرْمُقِ الْعُيُونُ مِثْلَهَا ، وَجَلَلْنَا بِهَا فِي أَكْنَافِ جَنَّاتِ
أَلْفَافٍ^(٣) ، فَمَا شِئْتَ مِنْ دَوْحَةٍ لَفَاءً^(٤) ، وَغُصْنٍ يَمِيسُ
كَعِطْفَى هَيْفَاءٍ^(٥) ، وَمَاءٍ يَنْسَابُ فِي جَدَاوِلِهِ ، وَزَهَرٍ يُضْمَخُ^(٦)
بِالْمِسْكِ رَاحَةً مُتَنَاوِلِهِ . وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ تِلْكَ الْخَدَائِقِ
أَرْبَابًا ، وَافْتَضَضْنَا مِنْهَا أَتْرَابًا^(٧) عُرْبًا ، مِلْنَا إِلَى مَوْضِعٍ

(١) تقدمت ترجمته في بعض الأجزاء السابقة والقول في بني أضحي ،
وسياتي ذكر للقاضي أبي الحسن بن أضحي هذا (٢) الأثل : شجرة وهونوع
من الطرفاء أو عضاهة « شجرة ذات شوك » طويلة قوية كانوا يعملون
منها الاقداح ونحوها « ونحت أثله كناية عن العيب والنقص ، ونحت أثله
إذا انتقصه وذمه ، ونحت الأثل هنا كناية عن شدة الجذب والقحط حتى ينحت
الناس والأشجار (٣) الألفاف الأشجار الملتفة بعضها ببعض واحدها لف
« بكسر اللام وفتحها » ومنه قوله تعالى : « وجنات ألفافا » ، أي بساتين
ملتفة (٤) أي ملتفة الأغصان (٥) الهيف دقة الحاصرة مع ضمير البطن
(٦) أي يعمها بالطيب (٧) أتراب جمع ترب ، وأصل ترب الفتاة من كانت في
سناها ، وهي تربها أي لدها ، وفسرت الأتراب أيضا في قوله تعالى : « عربا
أترابا » بالأمثال إذ ليست هناك ولادة . وأصل العروب « وجمعه عرب »
للرأة الحسنة التحببة الى زوجها الطبيعة له المظهرة له مودة وفرط شغف

الْمَقِيلِ^(١) ، وَزُلْنَا^(٢) عِنْدَ مَنَازِهِ تُرْزَى بِمَنَازِهِ جَذِيمَةً مَعَ
 مَالِكٍ وَعَقِيلِ^(٣) ، وَعِنْدَ وُصُولِنَا بَدَأَ لِي مِنْ أَحَدِ الْأَصْحَابِ
 تَقْصِيرٌ فِي الْمَبَرَّةِ ، عَرَضَ لِي مِنْهُ تَكْدِيرٌ لِتِلْكَ الْعَيْنِ
 الثَّرَى^(٤) ، فَأَظْهَرْتُ الثَّقْلُ أَكْثَرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، ثُمَّ
 عَدَلْتُ عَنْهُمْ إِلَى الْأَضْطِجَاعِ وَالنَّوْمِ ، فَمَا اسْتَيْقَظْتُ إِلَّا
 وَالسَّمَاءَ قَدْ نُسِخَ^(٥) صَحْوُهَا ، وَغَيَّمَ جَوْهَا ، وَالْغَمَامُ مُنْهَمِلٌ ،
 وَالثَّرَى مِنْ سُقْيَاهُ ثَمَلٌ ، فَبَسَطَنِي بِتَحْفِيهِ^(٦) وَأَبْهَجَنِي بِرِّ
 لَمْ يَزَلْ يُتَمِّمُهُ وَيُوفِّيهِ ، وَأُنْشَدَنِي :

يَوْمٌ تَجْهَمُ^(٧) فِيهِ الْأَفْقُ وَأَنْتَثَرَتْ

مَدَامِيعُ الْغَيْثِ فِي خَدِّ الثَّرَى هَمَلًا

(١) النوم بالظهر للاستراحة من الحر (٢) كذا بالقلائد، وفي الأصل «ونزلنا
 عن منازره» (٣) جذيمة الأبرش ونديمة قد سبق التعريف بهم (٤) كثيرة
 المياه غزيرة «وهو مستعار للملاقاة من توالى الأكرام وتتابع الصفاء» (٥) تغير
 وزال (٦) بسطه أزال ما عنده من الانقباض ، والتحقى: المبالغة في الأكرام والبر
 واطهار مزيد السرور والفرح وحسن اللقاء والملاطفة ، والقيام بكل حاجاته
 ومطالبه ، واكرام الوفادة واحسان الثوى (٧) عبس وتغير بالغمام . والهمل
 الماء السائل الذي لا مانع له ، والمتروك غير المستعمل ولا المنتفع به

رَأَى وَجُومَكَ فَارْبَدَّتْ طَلَاقَتُهُ^(١)

مُضَاهِيًا لَكَ فِي الْأَخْلَاقِ مُمْتَثِلًا

« وَقَالَ فِي تَرْجَمَةِ الْوَزِيرِ الْقَاضِي أَبِي الْحَسَنِ بْنِ
أَضْحَى مَا نَصَّهُ »: وَكَانَ لِصَاحِبِ الْبَلَدِ الَّذِي كَانَ يَتَوَلَّى الْقَضَاءَ
بِهِ ابْنٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صُورَةً ، وَكَانَتْ مُحَاسِنُ الْأَفْعَالِ
وَالْأَقْوَالِ عَلَيْهِ مَقْصُورَةً ، مَعَ مَا شِئَتْ مِنْ لِسَنِ^(٢) ،
وَصَوْتٍ حَسَنِ ، وَعَفَافٍ ، وَاخْتِلَاطٍ بِالْبَهَاءِ^(٣) وَالتِّفَافِ ،
فَحَمَلْنَا إِلَى إِحْدَى ضِيَاعِهِ بِقُرْبٍ مِنْ حَضْرَةِ غَرْ نَاطَةِ ، فَحَلَلْنَا
قَرْيَةً كَانَتْ عَلَى صَفَةِ نَهْرٍ ، أَحْسَنَ مِنْ شَاذِ مِهْرٍ^(٤) ، تَشْقُهَا

ترجمة القاضي أبي
الحسن ابن أضحى

(١) وجم وجوما اذا سكت على غيظ وغضب، والواجم العبوس المنطرق ساكتا
لشدة الحزن تملوه كآبة، وار بدوجه وتر بد اذا تغير لونه من الغضب الى العبرة
وعبس. وار بدت السماء وتر بدت اذا تغيمت، وفي الاصل والقلائد «فارتدت»
وهو تصحيف وان صح معناه «أحمد يوسف نجاتي» (٢) فصاحة وطلاقة
لسان (٣) كذا بالأصل والقلائد، وفي بعض النسخ «بالنبهاء». .
(٤) مدينة أو موضع بنيسابور، وكان هناك بستان لعبده الله بن طاهر
ابن الحسين أنيق، وقصور شائخة، ونعيم وملك كبير، ثم انقضت دولة
آل طاهر وخربت تلك القصور، وفيها يقول بعض الشعراء:

جَدَاوِلُ كَالصَّلَالِ^(١) ، وَلَا تَرْمُقُهَا الشَّمْسُ مِنْ تَكَاثُفِ
الظَّلَالِ - وَمَعْنَا جُمْلَةٌ مِنْ أَعْيَانِهَا - فَأَخْضَرْنَا مِنْ أَنْوَاعِ
الطَّعَامِ ، وَأَرَانَا مِنْ فَرْطِ الْإِكْرَامِ وَالْإِنْعَامِ ، مَا لَا يُطَاقُ
وَلَا يُحَدُّ ، وَيَقْصُرُ عَنْ بَعْضِهِ الْعَدُّ ، وَفِي أَثْنَاءِ مُقَامِنَا بَدَا لِي
مِنْ ذَلِكَ أَلْفَتِي الْمَذْكُورِ مَا أَنْكَرْتُهُ ، فَقَابَلْتُهُ بِكَلَامٍ
أَعْتَقَدُهُ^(٢) ، وَمَلَامٍ أَحَقَّدُهُ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ لَقِيتُ مِنْهُ
أَجْتِنَابَهُ ، وَلَمْ أَرِ مِنْهُ مَا عَهْدْتُهُ مِنَ الْإِنَابَةِ^(٣) ، فَكَتَبْتُ إِلَى
أَبِي الْحَسَنِ مُدَاعِبًا ، فَرَأَجَعَنِي بِهَذِهِ الْقِطْعَةِ :

أَتَتْنِي أَبَا نَصْرِ نَتِيجَةُ خَاطِرِ

سَرِيعِ^(٤) كَرَجَعِ الطَّرْفِ فِي الْخَطَرَاتِ

فتلك قصور الشاذياخ بلاقع خراب يباب والبيان مزارع
وأضحت خلاء شاذمهر وأصبحت معطلة في الأرض تلك المصانع
والشاذياخ مدينة نيسابور بناها عبد الله بن طاهر بجوارها في بستانه العظيم.
والبيان بلد « أحمد يوسف نجاتي » (١) جمع صل وهي الحية ، والسيف
القاطع (٢) أضمره في نفسه ، أو اعتقد صحته فغاظه ، أو أغضبه ، ويقال
تحملت عقده إذا سكن غضبه ، وعقد ناصيته إذا غضب وتهيباً للشر
(٣) الرجوع والاقبال (٤) في الأصل « مريع » وهو تصحيف لا يساءد
عليه بقية البيت وإن صح وصف الخاطر بأنه خصب مريع « أحمد يوسف نجاتي »

فَأَعْرَبْتُ عَنْ وَجْدٍ كَمِينٍ طَوَيْتَهُ^(١)
 بِأَهْيَفَ طَاوٍ فَاتِرِ اللَّحَظَاتِ
 غَزَالٍ أَحْمَ الْمُقْلَتَيْنِ عَرَفْتَهُ
 بِخَيْفٍ مَنَى لِلْحُسْنِ أَوْ عَرَفَاتٍ^(٢)
 رَمَاكَ فَأَصْمَى^(٣) ، وَالْقُلُوبُ رَمِيَّةٌ
 لِكُلِّ كَحِيلِ الطَّرْفِ ذِي فَتَكَاتٍ
 وَظَنَّ بِأَنَّ الْقَلْبَ مِنْكَ مُحَصَّبٌ
 فَلَبَّاكَ مِنْ عَيْنَيْهِ بِالْجُمَرَاتِ^(٤)

(١) في القلائد « فأعرب » والوجد : الغرام ، والطاوى : الضامر البطن
 الأهياف (٢) خيف منى وعرفات بمكة ، ولعله يشير الى أن هذا الغزال
 في حرم لا يحل صيده . كقوله :

بيض أوانس ما هممن بريبة كظباء مكة صيدهن حرام
 ويقرب من معنى البيت قول الشاعر :

فيادارها بالخياف ان مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال
 وفي القلائد وبعض نسخ النفح « للحين » أى الهلاك بدل « للحسن »
 (٣) رماه فأصماه اذا قتله مكانه وهو يراه ، والرمية : الهدف وما يرمى من الصيد
 ومنه :

تشكى الحب وتلقى الدهر شاكية كالقوس تسمى الرمايا وهى مرنان
 واذا كانت القلوب رمايا فالسهم هى العيون كما يدل عليه عجز البيت .
 « أحمد يوسف نجاشى » .

(٤) فى البيت كالبيتين السابقين والبيت بعده وفى البيت الأخير توجيه

تَقَرَّبَ بِالنُّسَاكِ فِي كُلِّ مَنْسَكٍ ^(١)
وَضَعَى غَدَاةَ النَّحْرِ بِالمُهَجَّاتِ
وَكَانَتْ لَهُ جَيَّانٌ ^(٢) مَثْوًى فَأَصْبَحَتْ
ضُلُوعُكَ مَثْوَاهُ بِكُلِّ فَلَاةٍ
يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ تَهِيْمَ فَتَنْطَوِي
كَثِيبًا عَلَى الْأَشْجَانِ وَالزَّفَرَاتِ
فَلَوْ قُبِلَتْ لِلنَّاسِ فِي الْحَبِّ فِدْيَةٌ
فَدَيْنَاكَ بِالْأَمْوَالِ وَالْبَشَرَاتِ

في أسماء أما كن الحج وتورية بها . والمحصب اسم الشعب الذي نخرجه الى الأبطح بين مكة ومنى يقام فيه ساعة من الليل ثم يخرج الى مكة ، سمي به للحصباء التي فيه ، أو المحصب موضع رمى الأحجار بمنى ، وحصبه اذا رماه بالحصبة أو الحصباء وهي الحجارة والحصى (١) المنسك العبادة والطاعة « وأراد بالنسك العشاق ومن يتقربون بأرواحهم وقلوبهم الى من يحبون » وأصل المنسك الموضع المعتاد الذي يعتاده ، ويقال ان لفلان منسكا يعتاده في خير كان أو غيره ، ثم سميت أمور الحج مناسك ، والمنسك : الموضع الذي تزدج فيه النسيكة « أي الذبيحة » ومنه قولهم : منى منسك الحج (٢) جيان مدينة كانت لها كورة واسعة بالاندلس في شرقي قرطبة بينهما ١٧ فرسخا ومملكتها بين مملكتي غرناطة وطليطلة ، وكانت في غاية المنعة والحصانة ، ومن أكثر مدن الاندلس خصبا ، كثيرة العيون طيبة البقعة كثيرة الثمار

* *

« وَقَالَ فِي تَرْجَمَةِ أَدِيبِ الْأَنْدَلُسِ وَشَاعِرِهَا أَبِي إِسْحَقَ
ابن خفاجة ترجمه أبي اسحق
ابن خفاجة
أَبْنِ خَفَاجَةَ بَعْدَ كَلَامٍ مَا صُورَتْهُ » : وَقَالَ يَنْدُبُ مَعَاهِدَ
الشَّبَابِ ، وَيَتَفَجَّعُ لَوْفَةِ الْإِخْوَانِ وَالْأَحْبَابِ ، بِعَقِبِ سَيْلِ
أَعَادِ الدِّيَارِ آثَارًا ، وَقَضَى عَلَيْهَا وَهْيَا^(١) وَأَنْتَارًا :

أَلَا عَرَّسَ الْإِخْوَانُ فِي سَاحَةِ الْبَلَى
وَمَا رَفَعُوا غَيْرَ الْقُبُورِ قَبَابًا
فَدَمَعُ كَمَا سَحَّ الْغَمَامُ وَلَوْعَةٌ
كَمَا أَضْرَمَتْ رِيحُ الشَّمَالِ شَهَابًا
إِذَا أُسْتَوْقَفْتَنِي فِي الدِّيَارِ عَشِيَّةً
تَلَدَدْتُ فِيهَا جِيئَةً وَذَهَابًا^(٢)

أَكْرَهْتُ بَطْرَفِي فِي مَعَاهِدِ فِتْيَةٍ تَكَلَّتْهُمْ بِيضُ الْوُجُوهِ شَبَابًا

(١) الوهي التصدع والشق في الشيء ، ووهي الحائط اذا ضعف وهم بالسقوط
وأراد أن ينقض (٢) في الأصل والقلائد والديوان « تلذت » وأراها
مصحفة عن « تلددت » أي تلفت يمينا وشمالا متحيرا متبلدا ، مأخوذ من لديدى
الوادي أي جانبيه ، أو اللديدين صفحتي العنق دون الأذنين ، وتلدد الرجل أيضا
اذا تلبت وتمكث ومنه « فمالك والتلدد حول نجد » . « أحمد يوسف نجاتي » .

فَطَالَ وَقُوفِي بَيْنَ وَجْدٍ وَفُرْقَةٍ^(١)
 أَنَادِي رُسُومًا لَا تُحِيرُ جَوَابًا
 وَأَتُحَوِّجِمِلَ الصَّبْرَ طَوْرًا بِعَبْرَةٍ
 أَخْطُ بِهَا فِي صَفْحَتَيْ كِتَابَا^(٢)
 وَقَدْ دَرَسْتَ أَجْسَامَهُمْ وَدِيَارَهُمْ
 فَلَمْ أَرَ إِلَّا أَعْظَمًا وَيَبَابَا^(٣)
 وَحَسْبِي شَجْوًا أَنْ أَرَى الدَّارَ بَلَقَمًا^(٤)
 خَلَاءَ ، وَأَشْلَاءَ الصَّدِيقِ تَرَابَا

(١) في القلائد والديوان « بين وجد و زفرة » وأحارجوا با رده (٢) صفحتا الوجه جانباه ، يريد خديه ، ووري عنهما بالصفحتين ورشح لذلك بقوله أخط كتابا، جعل مايسيل من الدموع على الخدين فيبقى بهما آثارا سطورا مكتونة يقرأ منها الراى الحزن والجزع، وجعل ديباجة الوجه واشراقه ممحوة بهذه الدموع « يعنى أنه محاشيتا كان يدل على الصبر والخلو من الحزن، وأثبت مايقراء منه آيات الانسى ، ففي البيت مراعاة نظير وتورية وطباق وحسن تعليل بديع، هذا الى أنه بافراطه فى الحزن والجزع وعدم الصبر انما يخط فى صحائف أعماله ، وينقش فى كتاب حسابه ، وقد أمر الله بالصبر ، ووعدا الصابرين حسن الأجر ، ولكن مصابه غلب الغزاء وأعوز معه التصبر ، فالبيت كما ترى يشير الى كل هذه المعانى » « أحمد يوسف نجأتى » (٣) اليباب الحراب . وفى الديوان « أقبرا » بدل « أعظما » وفى البيت لف ونشر مرتب « أحمد يوسف نجأتى » (٤) الشجوا الحزن والههم ، والبلقع

وَلَقَدْ أَحْلَنِي بِهَذِهِ^(١) الدِّيارِ المَنْدُوبَةِ وَهِيَ كَعَهْدِهَا فِي
جَوْدَةٍ مَبْنَاهَا ، وَعَوْدَةٍ سَنَاهَا ، فِي لَيْلَةٍ أَكْتَحَلْنَا ظِلَامَهَا
إِثْمِدًا^(٢) ، وَنَحَوْنَا بِهَا مِنْ نُفُوسِنَا كَمَدًا ، وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ
الْأَنْسُ يَنْسُطُهُ ، وَالشُّرُورُ يَنْشُطُهُ ، حَتَّى نَشْرِي مَا طَوَاهُ^(٣)
وَبَتَّ مَكْتُومَ لَوَعَتِهِ وَجَوَاهُ ، وَأَعْلَمَنِي بِلِيَالِيهِ فِيهَا مَعَ
أُتْرَابِهِ ، وَمَا قَضَى بِهَا مِنْ أَطْرَابِهِ . انْتَهَى مَا وَقَعَ عَلَيْهِ
أَخْتِيَارِي مِنْ كَلَامِ أَبِي نَصْرِ الْفَتْحِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ - رَحِمَهُ
اللَّهُ تَعَالَى - فِي وَصْفِ بَعْضِ مُتَنَزِّهَاتِ الْأَنْدَلُسِ الْبَدِيعَةِ ،
وَرِيَاضِهَا الْمُؤْتِقَةِ الْمَرِيعةِ^(٤)

وَمَا أَحْسَنَ رِسَالَةً لَهُ مُخْتَصَرَةً ، كَتَبَهَا مُهَنَّاتًا بَعْضُ مُلُوكِ
الْأَنْدَلُسِ بِمَا مَنَحَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ التَّمَكِينِ الَّذِي أَيْدَهُ بِهِ
وَنَصَرَهُ . وَقَدْ جَوَّدَ أَوْصَافَهُ ، وَأَسْتَطَرَدَ مِنْهَا إِلَى ذِكْرِ النَّاصِرِ
وَوَلَدِهِ الْحَكَمِ الَّذِينَ عَمَرَا الزَّهْرَاءَ وَالرُّصَافَةَ ، وَنَصَّهَا :

رسالة بتهنئة بعض
ملوك الأندلس

القفر الخالية من السكان . والاشلاء جمع شلو أى عضو (١) فى القلائد
« أحد » بدل « هذه » (٢) حجر الكحل وهو أسود الى حمرة (٣) يعنى
أفضى اليه بما كان يكتمه ويخفيه (٤) الحصبة ، ومرع الوادى « مثلثة
الراء » مراعاة ومرعا اذا كلاً وأخصب وأعشب كأمرع « وهو أكثر استعمالاً »

أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى أَيَّامَ الْأَمِيرِ لِلْأَرْضِ^(١)، يَتَمَلَّكُهَا، وَيَسْتَدِيرُ
بِسَعْدِهِ فَلَكُهَا، وَقَدْ اسْتَبَشَرَ الْمَلِكُ - أَيَّدَكَ اللَّهُ - وَحَقَّ لَهُ
الِاسْتِبْشَارُ، فَقَدْ أَوْمَأَ إِلَيْهِ السَّعْدُ وَأَشَارَ، بِمَا اتَّفَقَ لَهُ مِنْ
تَوَلِّيَتِكَ، وَخَفَقَ عَلَيْهِ مِنَ الْوَلِيَّتِكَ، فَلَقَدْ حُبِّي مِنْكَ بِمَلِكِ
أَمْضَى مِنَ السَّهْمِ الْمُسَدَّدِ^(٢)، طَوِيلِ نَجَادِ السَّيْفِ رَحْبِ
الْمُقْلَدِ^(٣)، يَتَقَدَّمُ حَيْثُ يَتَأَخَّرُ الذَّابِلُ^(٤)، وَيَتَكَرَّمُ إِذَا
بَخِلَ الْوَابِلُ^(٥)، وَيَحْمِي الْحَمَى كَرَبِيعَةَ بْنِ مُكْدَمٍ^(٦)،
وَيَسْقِي الظُّبَا نَجِيعًا كَلَوْنَ الْعَنْدَمِ^(٧)، فَهَنِيئًا لِلْأَنْدَلُسِ فَقَدْ
اسْتَرَدَّتْ عَهْدَ خُلَفَائِهَا، وَاسْتَجَدَّتْ رُسُومَ تِلْكَ الْإِمَامَةِ
بَعْدَ عَفَائِهَا^(٨)، فَكَأَن لَمْ تَمُتْ أَعَاصِرُهَا، وَلَمْ يَمُتْ حَاكِمُهَا

(١) في بعض النسخ « للأزمن » (٢) سدد السهم إلى الرمي وجهه وصوبه
(٣) هذه الفقرة شطر بيت، والقلد موضع نجاد السيف على المنكبين
(٤) الرمح (٥) المطر الغزير النهمر (٦) فارس جاهلي مشهور وهو ربيعة
ابن مكدم بن حدثان بن جذيمة بن علقمة بن فراس من بني كنانة، والحمل
ماحمى من الشيء ومنع « يحمي الحمى كربيعة بن مكدم » شطر بيت وشتر
الشعر وتضمن الأبيات وأشطرها في رسائل ذلك العصر كان شائعا (٧) صبغ
أحمر يسمى دم الأخوين كان يتخذ من قشر بعض الشجر الأحمر ودم
الغزال (٨) زوال أثرها ومحوها « أحمد يوسف نجاتي »

وَلَا نَاصِرُهَا ، أَلَلَّذَانِ عَمَرَا الرُّصَافَةَ وَالزَّهْرَا ، وَنَكَحَا
عَقَائِلَ الرُّومِ ^(١) وَمَا بَدَلَا غَيْرَ الْمَشْرِفِيَّةِ ^(٢) مَهْرًا ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ
أَسْأَلُهُ إِظْهَارَ أَيَّامِكَ ، وَبِهِ أَرْجُو أَنْتِشَارَ أَعْلَامِكَ ، حَتَّى
يَكُونَ عَصْرُكَ أَجْمَلَ مِنْ عَصْرِهِمْ ، وَنَصْرُكَ أَغْرَبَ مِنْ
نَصْرِهِمْ ، بِمَنَّةٍ ، وَكَرَمِهِ وَيُمْنِهِ .

* * *

« وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي تَرْجِمَةِ الْفَقِيهِ الْقَاضِي
الْحَافِظِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْحَقِّ بْنِ عَطِيَّةَ ^(٣) صَاحِبِ

ترجمة الفقيه
الحافظ عبد الحق
ابن عطية

(١) أصل العقيلة الكريمة من النساء المخدرة النفيسة ، ثم استعمل في
الكريم من كل شيء من الذوات والمعاني ، يريد هنا بالعقائل المدن والمعقل
والحصون ، وشبهها بالعرائس - ومن هذا قول الشاعر ابن خطيب سوسة
مهنثا تميم بن: العزيز بفتح مدينة قابس سنة ٤٨٩ :

ضحك الزمان وكان يلقي عابسا لما فتحت بجمد سيفك قابسا
أنكحتها عذراء ما أمهرتها الاقنى وقواضيا وفوارسا
من كان بالبيض القواضب خاطبا كانت له بيض الثغور عرائسا

(٢) السيوف المشرفية نسبة الى مشارف الشام قرى من أرض العرب
تدنو من الريف ، أو هي من أرض اليمن ، والمشارف كل قرية بين بلاد
الريف وجزيرة العرب لأنها أشرفت على السواد ، ويقال لها أيضا المزارع
وقال أبو عبيدة : سيف البحر شطه ، وما كان عليه من المدن يقال لها المشارف
تنسب اليها السيوف المشرفية (٣) تقدم القول في بني عطية وترجمة الامام

التفسير الشهير ، بعد كلام كثير ، ماصورته : « ومررنا في
إحدى زهتنا بمكان مقفر ، وعن المحاسن مسفر ،
وفيه بكير نرجس كأنه عيون مراض ، يسيل وسطه
ماء رضراض ^(١) بحيث لا حس إلا للهام ^(٢) ولا أنس
إلا ما تعرض للأوهام ، فقال :

نرجس باكرت منه روضة

لذ قطع الدهر فيها وعذب

حش الرياح بها خمر حيا ^(٣)

رقص النبت لها ثم شرب

فعدا يسفر عن وجنته نوره الغض ويهتر طرب

خلت لمع الشمس في مشرقه لهبا يحمده منه في لهب ^(٤)

عبد الحق بن عطية المتوفى بمدينة لورقة سنة ٥٤٢ (١) ماء رضراض أى
مطر د يترقق ، وماء رضراض « بالاضافة » أى يجرى على الرضراض
وهو صغار الحصى ومادق منها يجرى عليه الماء. والرضراض الفطر من المطر
الصغار (٢) الهامة طائر من طير الليل صغير يألف المقابر ، قيل هو الصدى أو
هو البومة (٣) غيث (٤) يروى صدر البيت : خلت لمع الشمس في حافانه
وعجزه في القلائد : لهبا يحمله منه لهب . « أحمد يوسف نجاتي »

وَيَاضَ الطَّلُّ فِي صُفْرَتِهِ
نُقْطَ الْفِضَّةِ فِي خَطِّ الذَّهَبِ
أُنْتَهَى .

وَسَيَاتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى كَثِيرٌ مِنْ وَصْفِ بِلَادِ
الْأَنْدَلُسِ وَمُنَازِلِهَا وَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْمَحَاسِنِ
فِي كَلَامٍ غَيْرِ وَاحِدٍ مِمَّنْ يَجْرِي ذِكْرُهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ ،
وْخُصُوصًا أَدِيبَ زَمَانِهِ غَيْرَ مُدَافِعٍ ، مَنْ اعْتَرَفَ لَهُ أَهْلُ
الشَّرْقِ ، بِالسَّبْقِ ، وَأَهْلُ الْمَغْرِبِ ، بِالْإِبْدَاعِ الْمَغْرِبِ ،
النُّورُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ سَعِيدٍ الْعَنْسِيُّ^(١) فَإِنَّهُ لَمَّا اتَّصَلَ
بِمِصْرَ وَدَخَلَهَا اشْتَقَ إِلَى تِلْكَ الْمَوَاطِنِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ الرَّائِقَةِ ،
وَوَصَفَهَا بِالْقَصَائِدِ وَالْمَقْطُوعَاتِ الْفَائِقَةِ . وَقَدْ أَسْلَفْنَا أَيْضًا
فِيمَا مَرَّ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ بَعْضَ مَا يَتَعَلَّقُ بِمَحَاسِنِ
الْأَنْدَلُسِ ، فَلْيُرَاجَعْ فِي مَحَلِّهِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ .

قُلْتُ: وَمَا ذَاعَسَى أَنْ نَذْكُرَ مِنْ مَحَاسِنِ قُرْطُبَةَ وَالزَّاهِرَةِ
وَالزَّهْرَاءِ أَوْ نَصِفَ مِنْ مَحَاسِنِ الْأَنْدَلُسِ الَّتِي تُبْصَرُ بِكُلِّ مَوْضِعٍ

(١) سبقت ترجمته ويأتي له حديث طويل « أحمد يوسف نجاتي »

مِنْهَا ظِلًّا صَافِيًا^(١) وَنَهْرًا صَافِيًا وَزَهْرًا ، وَيَرْحَمُ اللَّهُ تَعَالَى
أَدِيبَهَا الْمَشْهُورَ ، الَّذِي اعْتَرَفَ لَهُ بِالسَّبْقِ الْخَاصَّةِ وَالْجَمْعُورِ ،
أَبَا أُسْحُقَ بْنَ خَفَاجَةَ إِذْ قَالَ :

يَا أَهْلَ أُنْدَلُسِ لِلَّهِ دَرُّكُمْ
مَاءٍ وَظِلٌّ وَأَنْهَارٌ وَأَشْجَارٌ

مَاجِنَةٌ أُنْخَلِدُ إِلَّا فِي دِيَارِكُمْ
وَلَوْ تَخَيَّرْتُ هَذَا كُنْتُ أُخْتَارُ

لَا تَخْتَشُوا بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ تَدْخُلُوا سَقَرًا^(٢)

فَلَيْسَ تَدْخُلُ بَعْدَ الْجَنَّةِ النَّارُ

وَيُرْوَى مَكَانَ قَوْلِهِ « وَلَوْ تَخَيَّرْتُ هَذَا كُنْتُ أُخْتَارُ »

مَامِثَالُهُ « وَهَذِهِ كُنْتُ لَوْ خَيَّرْتُ أُخْتَارُ » وَمَكَانَ لَا تَخْتَشُوا ،

لَا تَحْسَبُوا ، وَكَذَا رَأَيْتُ بِخَطِّ الْحَافِظِ التَّنْسِي^(٣)

(١) ممتدا وارفأوسا بنغا كثيرا (٢) فيروى صدر البيت : لا تحسبوا في غد أن
تدخلوا سقرا (٣) نسبة إلى نفس قرية بساحل إفريقية بينها وبين البحر ميلان
وكانت آخر إفريقية مما يلي المغرب من أعمال تلمسان، بينها وبين وهران
٨ مراحل، منها جمال الدين محمد بن محمد التنسي - ويقال سبط التنسي - محدث
اسكندري، كان له نسل منهم جماعة فضلاء آخرهم كان قاضي المالكية بمصر

وَالْأَوَّلُ رَأَيْتُهُ بِخَطِّ الْعَلَّامَةِ الْوَانْشَرِيَّيْنِ^(١) - رَحِمَهُمَا اللَّهُ
تَعَالَى - وَحُكِيَ أَنَّ الْخَلِيلِيَّ لَمَّا قَدِمَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ رَسُولًا
إِلَى سُلْطَانِ الْمَغْرِبِ أَبِي عِنَانَ^(٢) فَارِسِ بْنِ السُّلْطَانِ
أَبِي الْحَسَنِ الْمَرِينِيِّ أَنْشَدَ بِحَضْرَةِ السُّلْطَانِ الْمَذْكُورِ

ناصر الدين أحمد بن التنسي . ومن أسلافهم أبو عبد الله محمد بن المعز التنسي ،
ومحمد بن عبد الله التنسي من القرن التاسع ، وفي الأصل « الشمني » بدل
« التنسي » التي في بعض النسخ « الشمني نسبة إلى شمن مزرعة ظاهر
قسنطينة أو اسم قبيلة من العرب ينزلون هناك ، منها الفقيه شرف الدين
محمد بن خلف الشمني القسنطيني ، وكان من المتصدرين بجامع عمرو
لافراء مذهب الإمام الشافعي ، وحفيده كمال الدين محمد بن محسن
من أخذ عن الحافظ ابن حجر ، توفي سنة ٨٢١ وولده تقي الدين أحمد
ولد سنة ٨٠١ روى عن والده وعن ابن حجر وغيرهما وله مصنفات مليحة
« أحمد يوسف نجاتي » (١) أبو العباس أحمد بن يحيى الوانشريشي ، أصله
من تلمسان واستوطن مدينة فاس ، وله تأليف حسان في التاريخ والفقه
وغيرهما ، وتوفي سنة ٩١٤ وابنه الفقيه أبو محمد عبد الواحد بن أحمد توفي
سنة ٩٥٥ وهو منسوب إلى وانشريش جبل بين مليانة وتلمسان من نواحي
المغرب ، وينسب إليه أيضا محمد بن عبد الله الوانشريشي الذي أعان محمد
ابن تومرت على أمره يوم قام بدعوة عبد المؤمن بن علي (٢) هو السلطان
التوكل على الله أبو عنان فارس بن السلطان أبي الحسن علي بن عثمان
ابن يعقوب بن عبد الحق المريني ، قام بالامر بعد وفاة والده سنة ٧٥٢
وتوفي سنة ٧٥٩ وكان مولده في ١٢ ربيع الأول سنة ٧٢٩ وأمّه رومية
اسمها شمس الضحى . « أحمد يوسف نجاتي » .

أَيَّاتَ ابْنِ خَفَاجَةَ هَذِهِ كَالْمُفْتَخِرِ بِيَلَادِ الْأَنْدَلُسِ ، فَقَالَ
السُّلْطَانُ أَبُو عِنَانٍ : كَذَبَ هَذَا الشَّاعِرُ « يُشِيرُ إِلَى كَوْنِهِ
جَعَلَهَا جَنَّةَ الْخُلْدِ ، وَأَنَّهُ لَوْ خَيْرٌ لَاخْتَارَهَا عَلَى مَا فِي الْآخِرَةِ »
وَهَذَا خُرُوجٌ مِنْ رِبْقَةٍ ^(١) الدِّينِ ، وَلَا أَقْلٌ مِنَ الْكَذِبِ
وَالْإِغْرَاقِ ، وَإِنْ جَرَتْ عَادَةُ الشُّعْرَاءِ بِذَلِكَ الْإِطْلَاقِ ،
فَقَالَ الْخَلِيلِيُّ ^(٢) : يَأْمُو لَنَا بَلْ صَدَقَ الشَّاعِرُ لِأَنَّهَا مَوْطِنُ جِهَادٍ ،
وَمُقَارَعَةُ لِلْعَدُوِّ وَجِلَادٍ ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّئُوفُ
الْوَدُودُ الرَّحِيمُ الْعَطُوفُ - يَقُولُ : « الْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلَالِ
السُّيُوفِ » فَاسْتَحْسَنَ مِنْهُ هَذَا الْكَلَامَ ، وَرَفَعَ عَنْ
قَائِلِ الْأَيَّاتِ الْمَلَامَ ، وَأَجْزَلَ صِلَتَهُ ، وَرَفَعَ مَنَزِلَتَهُ ،

(١) الرِّبْقَةُ فِي الْأَصْلِ : عُرْوَةٌ مِنْ عُدَّةٍ عَرَا فِي حَبْلِ تَشَدُّ بِهِ الْبَهْمُ الصَّغَارُ
مِنْ أَيْدِيهَا لِثَلَا تَرْضَعُ ، وَيَسْتَعَارُ لِمَا يَقِيدُ بِهِ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ مِنْ شَرِّعٍ أَوْ
قَانُونٍ ، وَيُرْوَى عَنْ حَذِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ
خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ » فَاسْتَعَارَ الرِّبْقَةَ لِلْإِسْلَامِ لِمَا يَشُدُّ بِهِ الْمُسْلِمُ
نَفْسَهُ مِنْ عَرَا الدِّينِ ، وَلِحُدُودِهِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ يَقِفَ عِنْدَهَا وَلَا يَتَعَدَّهَا .
فَلَيْسَ كَمَهْدِ الدَّارِ يَا أَمَّ مَلَاكٍ وَلَكِنْ أَحَاطَتْ بِالرَّقَابِ السَّلَاسِلِ
وَلَوْلَا تِلْكَ الْحُدُودُ لَكَانَ الْإِنْسَانُ كَالِدَابَةِ الرِّسَالَةِ وَالْبَهِيمَةِ الْمَهْمَلَةِ .
« أَحْمَدُ يُونُسُ نَجَاتِي » .

(٢) فِي الْأَصْلِ « الْخَالِيلُ » فِي الْمَوْضِعَيْنِ ، وَمَا أَثْبَتْنَاهُ هُوَ مَا فِي بَعْضِ الْمَرَاجِعِ

وَلَعَمْرِي إِنَّ هَذَا الْجَوَابَ ، لَجَدِيرٌ بِالصَّوَابِ ، وَهَكَذَا
يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ رُسُلُ الْمُلُوكِ فِي الْإِفْتِنَانِ ، رَوْحَ اللَّهِ
تَعَالَى أَرْوَاحَ الْجَمِيعِ فِي الْجِنَانِ .

* *

وَأَبُو إِسْحَقَ بْنُ خَفَاجَةَ ^(١) كَانَ أَوْحَدَ النَّاسِ فِي
وَصْفِ الْأَنْهَارِ ، وَالْأَزْهَارِ ، وَالرِّيَاضِ ، وَالْحِيَاضِ ، وَالرِّيَّاحِينَ ،
وَالْبَسَاتِينَ . وَقَدْ سَبَقَ بَعْضُ كَلَامِهِ ، وَيَأْتِي أَيْضًا مِنْهُ
بَعْضٌ فِي اثْنَاءِ الْكِتَابِ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ :

تفوق أبي اسحاق
ابن خفاجة في
الوصف

وَكِمَامَةٌ ^(٢) حَدَرَ الصَّبَاحُ قِنَاعَهَا
عَنْ صَفْحَةٍ تَنْدَى مِنَ الْأَزْهَارِ
فِي أَبْطَحٍ رَضَعَتْ ثُغُورُ أَقَاحِهِ
أَخْلَافَ كُلِّ غِمَامَةٍ مِدْرَارِ

(١) ولد ابن خفاجة بجزيرة شق من أعمال بلنسية سنة ٤٥٠ هـ ونشأ بشرقي الأندلس ، ولم يتعرض لاستباحة ملوك طوائفها مع تهافتهم على أهل الأدب وتوفي سنة ٥٣٣ هـ (٢) الكمامة : غطاء النور ، وحدرها حسرهما وكشفها ، والأخلاف جمع خلف وهو الضرع ، أو حلمته ، ومدرار أى كثيرة الدر أى اللبن ، أو من در اذا جرى وسال كثيرا ، ودرت السماء بالمطر اذا كثرت مطرها فهي مدرار ، وكذا سحابة مدرار . « أحمد يوسف نجاتي »

نَثَرَتْ بِحَجَرِ الْأَرْضِ ^(١) فِيهِ يَدُ الصَّبَا
 دُرَّرَ النَّدَى وَدَرَاهِمَ النُّوَارِ
 وَقَدْ ارْتَدَى غُصْنُ النِّقَا، وَتَقَلَّدَتْ
 حَلَى الْخَبَابِ سَوَالِفُ الْأَنْهَارِ ^(٢)
 فَحَلَلَتْ حَيْثُ الْمَاءِ صَفْحَةً ضَاكِ
 جَذِلٍ، وَحَيْثُ الشَّطِّ بَدْءَ عِذَارِ ^(٣)
 وَالرَّيْحُ تَنْفُضُ بُكْرَةً لِمَ الرُّبَا
 وَالطَّلُّ يَنْضَحُ أَوْجُهُ الْأَشْجَارِ ^(٤)
 مُتَقَسِّمَ الْأَلْحَاطِ بَيْنَ مُحَاسِنِ
 مِنْ رَذْفِ رَايِيَةٍ وَخَصْرِ قَرَارِ
 وَأَرَاكَةَ سَجَعِ الْهَدِيلِ بِفُرْعَيْهَا
 وَالصُّبْحُ يُسْفِرُ عَنْ جَبِينِ نَهَارِ ^(٥)

(١) في الديوان « الروض » (٢) ارتدى لبس الرداء واكتسى ، والنقا
 الكتيب من الرمل ، والسوالف جمع سالفه وهي مقدم العنق (٣) يصف
 الماء بالصفاء والشاطئ بالحضرة (٤) اللة في الأصل: الشعر المجاوز شحمة
 الأذن، سميت لمة لأنها تلم بالنسكين، ونضحه إذا رشه (٥) الأراك شجر
 معروف يستاك بفروعه له حمل كعناقيد العنب ، وسجع : غنى وغرد ،
 والهديل ذكر الحمام ، أوفرخه ، والهديل أيضا صوته «أحمد يوسف نجاتي»

هَزَّتْ لَهُ أُعْطَافَهَا ، وَلَرَبَّمَا
خَلَعَتْ عَلَيْهِ مُلَاءَةَ الْأَنْوَارِ
وَقَوْلُهُ
سَقِيًّا لِيَوْمٍ قَدْ أَنْحْتُ بِسَرْحَةٍ
رَيًّا تُلَاعِبُهَا الرِّيَّاحُ فَتَلْعَبُ^(١)
سَكْرَى ، يُغْنِيهَا الْحَمَامُ فَتَنْثِي
طَرَبًا ، وَيَسْقِيهَا الْغَمَامُ فَتَشْرَبُ
يَلْهُو^(٢) فَتُرْفَعُ لِلشَّيْبَةِ رَايَةً
فِيهِ ، وَيَطْلُعُ لِلْبَهَارَةِ كَوْكَبُ
وَالرَّوْضُ وَجْهٌ أَزْهَرُ ، وَالظِّلُّ فَرْعُ
عِشَّةٍ أَسْوَدُ ، وَالْمَاءُ ثَغْرٌ أَشْنَبُ^(٣)
فِي حَيْثُ أَطْرَبْنَا الْحَمَامُ عَشِيَّةً
فَشَدَا يُغْنِينَا الْحَمَامُ الْمُطْرَبُ

(١) السرحة : الشجرة الكبيرة العظيمة يستظل فيها ، أو السرح كل شجر لا شوك فيه ، والسرحة دوحة محلال واسعة يحل تحتها الناس في الصيف ويننون تحتها البيوت وظلها صالح (٢) قد تكون « نلهو » (٣) أزهر : مشرق وضئ ، والفرع الشعر التام ، والشنب : ماء ورقة تجرى على الثغر مع برد وعذوبة في الفم . « أحمد يوسف نجاتي »

وَأَهْتَرَّ عِطْفُ الْغُصْنِ مِنْ طَرَبٍ بِنَا
وَأَفْتَرَّ عَنْ ثَغْرِ الْهِلَالِ الْمَغْرِبِ
فَكَأَنَّهُ وَالْحُسْنُ مُقْتَرِبٌ بِهِ
طَوْقٌ عَلَى بُرْدِ الْعِمَامَةِ مُذْهَبٌ
فِي فِتْيَةٍ تَسْرَى فَيَنْصَدِعُ الدُّجَى
عَنْهَا، وَتَنْزِلُ بِالْجَدِيدِ فَيُخْصِبُ^(١)
كَرُمُوا فَلَا غَيْثُ السَّمَاحَةِ مُخْلِفٌ
يَوْمًا، وَلَا بَرْقُ اللَّطَافَةِ خُلْبٌ^(٢)
مِنْ كُلِّ أَزْهَرَ لِلنَّعِيمِ بِوَجْهِهِ
مَاءٌ يُرْقِرُهُ الشَّبَابُ فَيَسْكُبُ^(٣)

مدح أبي اسحاق
للأمير أبي يحيى

وَقَالَ يَمْدَحُ الْأَمِيرَ أَبَا يَحْيَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ :

(١) انصدع أى انشق وانجلت ظلمته ، وانصدع الصبح اذا انشق عنه الليل
والصديع الصبح لانه يصدع الليل أى يشقه (٢) برق خلب لاغيث معه
كأنه خادع خلاب ، يومض حتى تطمع ببطره ، ثم يخلفك عدته (٣) يرققه
أى يحركه ويجريه ، وترقق الماء اذا تحرك وجاء وذهب ، وترقق الشيء
اذا لمع ، والرقراقة: المرأة التى كأن الماء يجرى فى وجهها نضرة ونعمته وصبا
ورفاهية « أحمد يوسف نجاشى »

سَمَحَ الْخَيَالُ عَلَى النَّوَى بِمَزَارِ
وَالصُّبْحُ يَمْسَحُ عَنْ جَبِينِ نَهَارِ
فَرَقَعْتُ مِنْ نَارِي لِضَيْفِ طَارِقِ
يَعْشُو إِلَيْهَا مِنْ خَيَالِ طَارِي^(١)
رَكِبَ الدُّجَى أَحْسَنَ بِهَا مِنْ مَرَكَبِ
وَطَوَى الشَّرَى أَحْسَنَ بِهِ مِنْ سَارِي^(٢)
وَأَنَاخَ حَيْثُ دُمُوعُ عَيْنِي مَنَهْلُ
يُرْوَى ، وَحَيْثُ حَشَايَ مَوْقِدُ نَارِ
وَسَقَى فَأَرْوَى غَلَّةً مِنْ نَاهِلِ
أُورَى بِجَانِحَتَيْهِ زَنْدُ أَوَارِ^(٣)

(١) عشا النار وعشا إليها إذا رآها ليلا من بعيد فقصدتها مستضيئا بها، يرجو بها هدى وخيرا أو اصطلاء وقرى (٢) أظن «أحسن» في صدر البيت مصحفة عن «أخسن» كما في قول أبي تمام :
أعاذلتى ما أخسن الليل مركبا وأخسن منه في اللغات راكبه
دعيني وأهوال الزمان أقاسها فأهواله العظمى تليها رغائبه
الا إذا أراد بكون الدجا أحسن مركب أن خيال محبوبه زاره فيها ، وأن لها يدا في ستر الزائر من الحب والمحبوب كما قال أبو الطيب :
وكم لظلام الليل عندك من يد تخبر أن المانوية تكذب
وقال كردى الأعداء تسرى إليهم وزارك فيه ذوالدلال المحجب
(٣) الغلة: شدة العطش وحرارته. والناهل العطشان، قال النابغة :

خَلَعَ الْهُوَى ثَوْبًا عَلَيْهِ مِنَ الضَّنَى
 قَدْ شَفَّ عَنْهُ فَهُوَ كَأْسٍ عَارِي
 يَلْوِي الضَّلُوعَ مِنَ الْوُلُوعِ لِخَطَرَةٍ
 مِنْ شَمِيمٍ بَرَقَ أَوْ شَمِيمٍ عَرَّارٍ^(١)
 وَاللَّيْلُ قَدْ نَضَحَ أَنْتَدَى سِرْبَالَهُ
 فَانْهَلَ دَمْعُ الْطَلِّ فَوْقَ صِدَارٍ^(٢)

الطاعن الطعنة يوم الوغى ينهل منها الأسل الناهل
 والنهل أول الشرب ، والثاني العلل ، ونهلت الابل « كفرح » شربت
 في أول الورد ، والأوار: حرارة العطش ، مجاز عن الأوار حر النار ووهجها.
 والجائحة الضلع ، والجوانح أوائل الضلوع تحت الترائب مما يلي الصدر كالضلوع
 مما يلي الظهر ، أو الضلوع القصار التي في مقدم الصدر ، سميت بذلك لجنوحها
 على القلب ، وأورى الزند استوقده : لاستخراج ناره « أحمد يوسف نجاتي »
 (١) ولع به ولعا ، وولوعافهو ولوع أى لج فيه وأغرى به ، وشام البرق اذا نظر
 اليه أين يقصدوا أين يطر ، والعرار بهار البر ، وهو نبت طيب الريح ، وهو
 النرجس البرى ، وللصمة بن عبد الله القشيري من أبيات :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

(٢) نضح رش . والسربال القميص ، وانهل انصب ، والطل المطر الضعيف
 والندى ، والصدار فى الأصل ثوب رأسه كالمقنعة وأسفله يغشى ، كانت نساء
 الأعراب تلبسه ، وكانت الثكلى اذا فقدت حميمها فأحدث عليه لبست
 صدارا من صوف ، ويقال لما يلي الصدر من الدرع صدار ، أو هو قميص
 صغير يلي الجسد ، وفى المثل : كل ذات صدار خالة : أى من حق الرجل أن

مُتَرَقِّبٌ رُسُلَ الرِّيحِ عَشِيَّةً
 بِمَسَاقِطِ الْأَنْوَاءِ وَالْأَنْوَارِ^(١)
 وَمَجَرِّ ذَيْلِ غَمَامَةٍ لَبِسَتْ بِهِ
 وَشَى الْحَبَابِ مَعَاطِفُ الْأَنْهَارِ
 خَفَقَتْ ظِلَالُ الْأَيْكِ فِيهِ ذَوَائِبًا
 وَأَرْتَجَجَ رِدْفًا مَائِجٍ^(٢) الْتِيَارِ
 وَلَوَى الْقَضِيبُ هُنَاكَ جِيدًا أَتْلَعَا^(٣)
 قَدْ قَبَّلَتْهُ مَبَاسِمُ النُّوَارِ
 بَاكَرَتْهُ وَالْفَيْمُ قِطْعَةً عَنَبَرِ
 مَشْبُوبَةٌ ، وَالْبَرْقُ لَفْحَةٌ نَارِ^(٤)

يغار على كل امرأة كما يغار على حرمة (١) الأنواء جمع نوء ، وهو في الأصل
 النجم اذا مال للغيب ، ولا يكون نوء حتى يكون معه مطر ، وكانت العرب
 تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد الى الأنواء ، وقد يسمى المطر نوءا
 مجازا (٢) في الأصل « مائل » والتيار موج البحر ولجته تسيل وتضطرب
 (٣) التلع طول العنق وفعله « كفرح وكرم » وجيد أطلع وتليع : طويل
 قال الأعشى :

« يوم تبدي لنا قتيلة عن جدي د تليع تزينه الأطواق

(٤) مشبوبة : موقدة ملتهبة تتأرجح راحتها وتوهج ، ولفحة النار : وهجها

وَالرَّيْحُ تَلُطِمُ^(١) فِيهِ أَرْدَافَ الرُّبَا
لَعِبًا ، وَتَلِيمُ أَوْجُهُ الْأَزْهَارِ
وَمَنَابِرُ الْأَشْجَارِ قَدْ قَامَتْ بِهَا
خُطَبَاءُ مُفْصِحَةٍ مِنْ الْأَطْيَارِ
فِي فِتْيَةٍ جَنَّبُوا الْعَجَاجَةَ لَيْلَةً
وَلَرُبَّمَا سَفَرُوا عَنِ الْأَقْمَارِ^(٢)
ثَارَ الْقَتَامُ بِهِمْ دُخَانًا ، وَأَرْتَمَى
زَنْدُ الْحَفِيفَةِ مِنْهُمْ بِشَرَارِ^(٣)
شَاهَدْتُ مِنْ هَيْبَاتِهِمْ^(٤) وَهَبَاتِهِمْ
إِشْرَافَ أَطْوَادٍ وَفَيْضَ بَحَارِ

(١) في الأصل « تطلع » (٢) يصفهم بالشجاعة والجمال ، والعجاجة الغبار يريد غبار الحرب (٣) القتام: الغبار . والحفيظة الحمية والغضب لحرمة تنتهك من حرمان المرء أو جار ذي قرابة يظلم من ذويه ، أو عهدينكث أو نحو ذلك (٤) في الأصل « من هيئاتهم » ويروى « هيباتهم » و « هباتهم » و « هوماتهم » ففي البيت لف ونشر مرتب ، فأشراف الأطواد في عجزه يعود إلى الأول من صفاتهم في صدره ، والمألوف في التشبيه بالأطواد « الجبال » إذا قصد الحلم أو الرزاة والوقار والثبات فيناسب ذلك « هيباتهم » أو القوة والصلابة والمتانة واحكام الخلق وشدة الأسر ، ويناسب ذلك « هباتهم » أو « هيئاتهم » . « أحمد يوسف نجاتي »

مِنْ كُلِّ مُشَقِّبٍ بِوَرْدَةٍ خَجَلَةٍ
 كَرَمًا، وَمُشْتَمِلٍ بِشَوْبٍ وَقَارٍ
 فِي عِمَّةٍ خُلِعَتْ عَلَيْهِ لِلْمَةِ
 وَذَوَابَةٍ قُرِنَتْ بِهَا لِعِذَارٍ
 ضَافِي رِدَاءِ الْمَجْدِ، طَمَاحِ الْمُلَا
 طَامِي عُبابِ الْجُودِ، رَحْبِ الدَّارِ^(١)
 جَرَّارِ أَذْيَالِ الْمَعَالِي وَالْقَنَا
 حَامِي الْحَقِيقَةِ وَالْحَمَى وَالْجَارِ^(٢)
 طَرَدِ الْقَنِيصِ بِكُلِّ قَيْدٍ طَرِيدَةٍ
 زَجَلِ الْجَنَاحِ مُورِدِ الْأُظْفَارِ^(٣)

(١) العباب: معظم السيل وارتفاعه وكثرته ، أو الموج (٢) الحقيقة كل ما يحق على المرء أن يحميه ويدود عنه ويجب عليه حفظه ومنعه ، قال عامر بن الطفيل :

لقد علمت عليا هوازن أنني أنا الفارس الحامي حقيقة جعفر
 جعفر هنا القبيلة ، و عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب
 «أحمد يوسف نجاتي» (٣) يصف خروجهم الى القنص بالبراة وجوارح
 الطيور المعلمة كما كان عادة الملوك. والطرْد مزاوله الصيد، وطردت الكلاب
 الصيد طردا : نحتة وراهقته « والطريدة : ما طرد من الصيد ، ويحسن
 قراءة «طرْد القنيص» بجعل طرد اسما ، واطافة القنيص اليه للمبالغة ومشاكاة

مُلْتَفَةً أَعْطَافُهُ بِحَبِيرَةٍ
مَكْحُولَةٍ أَجْفَانُهُ بِنُضَارٍ^(١)
يُرْمَى بِهِ الْأَمَلُ الْقَصِيُّ فَيَنْشِي
مَخْضُوبَ رَأْيِ الظُّفْرِ وَالْمِنْقَارِ^(٢)

« قيد الاوابد » والقنيص والقنص الصيد المقنوص أى الصيد ، وقيد الطريدة كناية عن البازى القوى السريع يقيد الطريدة لسرعة ادراكها ولحاقه اياها ، جعله قيذا لها لانه سبقها فكانه قيدها . وأقدم من سبق الى هذا الوصف امرؤ القيس فى قوله :

وقد أغتدى والطير فى وكناتها بمنجرد قيد الاوابد هيكلا والزجل الصوت والجلبة والصوت الرفيع العالى ، وزجل الجناح كناية عن السرعة والقوة ، ومورد الاظفار : أحمرها لما يصبغها من دماء الفرائس (١) الحبرة ضرب من برود اليمن ، والحبير البرد الموشى ذو الخطوط ، وقد تكون « بحيرة » مصغر حبرة ، ومادة « ح ب ر » تفيد معنى الحسن والبهاء والنقش والوشى ، ويقولون : لبس حبير الحبور ، واستوى على سرير السرور - والنضار : الذهب . وأحسن أنواع البراة مائل ريشه واحمرت عيناه مع حدة فيهما كما قال الناشئ :

لو استضاء المرء فى ادلاجه بعينه كفته عن سراجهِ
ومن أنواع الصقور ما يسمى باليؤيؤ ، وهو خفيف الجناح سريع الطيران قصير الذنب ، وفيه يقول الناشئ أيضا :

ويؤيؤ مهذب رشيق كأن عينيه لدى التحقيق

✽ فسان مخروطان من عقيق ✽

(٢) راء . اما من الرؤية ، واما أنه يشبه ظفره ومنقاره بحرف « الراء » لانهما معقوفان منحنيان ، وفيه خيال بديع أن شبه مسمى الظفر والمنقار بطرفى اسميهما ، وقد شبه ابن المعتز المنقار برأس حرف الجيم

وَبِكُلِّ نَائِي الشَّوْطِ أَشْدَقَ أَخْزَرِ

طَاوِي الْحَشَى حَالِي الْمُقَلِّدِ ضَارِي^(١)

يَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ النَّصَالِ ، وَإِنَّمَا

يَمْشِي عَلَى مِثْلِ الْقَنَّا الْخُطَارِ^(٢)

مُسْتَقْرِيًا أَثَرَ الْقَنِيصِ عَلَى الصَّفَا

وَاللَّيْلِ مُشْتَمِلٌ بِشَمْلَةِ قَارِ^(٣)

(١) يصف كلاب الصيد المضراة - وأشدق أى واسع الشدق ، وأخزر من الخزر وهو ضيق العين وصغرها ، أو هو النظر الذى كأنه فى أحد الشقين . وفى الديوان « أصدر » وهو العظيم الصدر ، وهو أحسن مما هنا . والطاوى الضامر ، والمقلد موضع القلادة ، والضارى للعود الافتراس المغرى به (٢) يصف حدة أنيابه ويشبها بالنصال كما قال أبو نواس :
كأنا الأظفور فى قرابه موسى صناع رد فى قرابه
وله من أرجوزة أخرى

يطير فى الجد بلا جناح يفتر عن مثل شبا الرماح

وكان أبو نواس من أوصف الشعراء لـ كلاب الصيد وجوارحه ، فقد لعب بالكلاب زمانا ، وعرف منها ما لا تعرفه الأعراب ، وترى كثيرا من نعتها فى شعره - ولا سيما فى أرجوزه - مع جودة الطبع وحسن السبك والحدق بالصنعة « أحمد يوسف نجاشى » (٣) مستقريا متتبعا . والصفة : الحجر الصلد الأملس الضخم الذى لا ينبت ، وجمعه صفي وأصفاء وصفي ، ويصفى فى عجز البيت شدة ظلام الليل ، والقار الزفت . والبيت يدل على شدة معرفة الكلب بآثار الصيد حتى فى صم الحجارة لتعوده ذلك ، ويدل على حدة نظره

مِنْ كُلِّ مُسْوَدٍّ تَلَهَّبُ طَرَفُهُ
 تَرْمِيكَ فَحَمَتُهُ بِشُعْلَةٍ نَارٍ^(١)
 وَمُورَسٍ^(٢) السَّرْبَالِ يُخْلَعُ قَيْدُهُ
 عَنْ نَجْمٍ رَجَمَ فِي سَمَاءِ غُبَارٍ
 يَسْتَنُّ فِي سَطْرِ الطَّرِيقِ وَقَدْ عَفَا
 قَدَمًا فَتَقَرُّ أَحْرُفُ الْآثَارِ^(٣)

(١) في الديوان «تهديك» بدل «ترميك» يصف ألوان الكلاب ، فهو في هذا البيت يصف كلبا أسود قد احمرت عيناه وتوقدنا ، كما قال أبو نواس :
 كأن عينيه لدى ارتياحه فصا عقيق قد تقابلا به
 (٢) يصف كلبا أصفر ، وخير الكلاب ما كان لونه يذهب الى ألوان الأسد من الصفرة والحمرة ، ثم الأسود ، قال الجاحظ وكل شيء من الحيوان اذا اسود شعره أو جلده أو صوفه كان أقوى لبدنه . والمورس الأصفر كأنه مصبوغ بالورس ، وهو نبات أصفر يصبغ به ، وأصفر وارس أى شديد الصفرة ، وورسه اذا صبغه بالورس ، والسربال القميص ، وشبهه في عجز البيت بنجوم الرجم في سرعة الانقضاء والقضاء على ما يقع عليه ، وبسرعة العدو حتى يثير غبارا كالسما . وراعى المناسبة بين النجم والسما . وفي الأصل « نده » بدل « قيده » وفي بعض النسخ « قده » والغرض أنه متى فك من قيده أو متى أطلق نفسه وراء الصيد انقض كالنجم مثيرا غبارا يملأ الفضاء « أحمد يوسف نجاتي » (٣) يصف شدة وقعه على الأرض وتأثيره فيها بأظافره ، واستن اذا جرى يعدو في غاية النشاط وسار على سننه في جهة واحدة. وعفا اذا محى أثره ودرس

عَطَفَ الضُّمُورُ سَرَاتَهُ فَكَانَهُ
وَالنَّقْعُ يَخْجِبُهُ هِلَالُ سِرَارِ^(١)
وَلَرُبَّ رَوَّاعٍ هُنَالِكَ أَنْبَطٍ
ذَلِقَ الْمَسَامِعِ أَطْلَسِ الْأَطْمَارِ^(٢)
يَجْرِي عَلَى حَذَرٍ فَيُجْمَعُ بَسْطُهُ
يَهْوِي فَيَنْعَطِفُ أَنْعِطَافَ سِوَارِ^(٣)
مُتَدِّ حَبْلِ الشَّأْوِ، يَعْسِلُ رَائِعًا
فَيَكَادُ يُفْلِتُ أَيْدِيَ الْأَقْدَارِ^(٤)

(١) يصفه بالضمور ودقة الجسم وشدة الأسر ، وعطفه : حناه ،
والسراة الظهر ، والنقع الغبار ، والسرار : آخر ليلة في الشهر (٢) راغ
الثعلب ونحوه اذا مال وحاد عن الشيء وانحرف في استخفاء ، وراغ
الصيد : ذهب هنا وهنا ، وفي المثل « أروغ من ثعلب » والأنبط ما كان ذا
بياض تحت ابطه و بطنه ، وربما عرض النبط حتى يغشى البطن والصدر ،
وذاق أى حاد . وفي الأصل « خلق » وخلق الشيء املأه ، والذلق أيضا
القلق . والأطلس ما كان في لونه غبرة الى السواد ، والأطمار جمع طمر
وهو الثوب الخلق والكساء البالى - ومن هنا أخذ يصف ما ترسل
الكلاب أو البراة خلفه لصيده من ثعلب أو ذئب أو طير ، ثم أحسن
التخلص من ذلك الى المدح (٣) بين كيف يروغ وكيف ينقبض في
عدوه وينبسط (٤) الشأو : الغاية ، والامد ، والسبق ، وعسل الثعلب أو الذئب
أو الفرس « كضرب » اذا اضطرب في عدوه وهز رأسه ، وفي الأصل
« رائعا » بدل « رائعا » « أحمد يوسف نجاتي »

مُتَرَدِّدًا يَرَى بِهِ خَوْفُ الرَّدَى
كُرَّةً تَهَادَتْهَا أَكْفُ قِفَارٍ^(١)

وَلَرُبَّ طَيَّارٍ خَفِيفٍ قَدْ جَرَى
فَشِلًّا بِجَارٍ^(٢) خَلْفَهُ طَيَّارٍ
مِنْ كُلِّ قَاصِرَةٍ انْخَطَى مُخْتَالَةً

مَشَى الْفَتَاةُ تَجْرُ فُضْلَ إِزَارِ
مَخْضُوبَةِ الْمِنْقَارِ، تَحْسَبُ أَنَّهَا
كَرَعَتْ عَلَى ظَمَاءٍ بِكَأْسِ عُقَارِ
لَا تَسْتَقِرُّ بِهَا الْأَيَادِي خَشِيَةً

مِنْ لَيْلٍ وَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ بَوَارِ
وَلَوْ اسْتَجَارَتْ مِنْهُمَا بِحِمَى أَبِي
يَحْيَى لَأَمَّنَهَا أَعَزُّ جَوَارِ

(١) تهادتها أى تناولتها كأنها هدية، وفي رواية «تهادها» أى تهادها. وقد وصف أبو نواس الثعلب وكيف أرسل وراء الكلب فصاده في أرجوزة حسنة في ديوانه أولها:

لما غدا الثعلب من وجاره يلتبس الكسب على صفاره

بما استعان به الشاعر هنا من المعاني والألفاظ «أحمد يوسف نجاشي»
(٢) في الأصل «بشلا بجار» يقول ان هرب الطير لا ينفعها لأن خافها جاريا أسرع منها «أحمد يوسف نجاشي».

حَرَمٌ إِذَا اشْتَمَلَ الطَّرِيدُ يَظْلَهُ
 لَمْ يَخْشَ مِنْ جَوْرِ هُنَالِكَ جَارِي
 خَدَمَ الْقَضَاءِ مُرَادُهُ، فَكَأَنَّمَا
 مَلَكَتْ يَدَاهُ أَعِنَّةُ الْأَقْدَارِ
 وَعَنَا^(١) الزَّمَانُ لِأَمْرِهِ فَكَأَنَّمَا
 أَصْنَى الزَّمَانُ بِهِ إِلَى أَمَارِ
 وَجَلَّ الْإِمَارَةُ فِي رَفِيفِ^(٢) نَضَارَةٍ
 جَلَّتِ الدُّجَى فِي حُلَّةِ الْأَنْوَارِ
 فِي حَيْثُ وَشَّحَ لَبَّةً بِقِلَادَةٍ
 مِنْهَا، وَحَلَّى مِعْصَمًا بِسِوَارِ
 جَذْلَانُ يَمَلَأُ مِئْخَةً وَبَشَاشَةً^(٣)
 أَيْدِي الْعُقَاةِ وَأَعْيُنَ الزُّوَارِ
 أَرَجَ النَّدَى بِذِكْرِهِ، فَكَأَنَّهُ
 مُتَنَفِّسٌ عَنْ رَوْضَةٍ مِعْطَارِ

(١) عنا يعنو إذا خضع وأطاع (٢) في الأصل « رقيق » ولا بأس أن
 تكون « رقيق » ورف لونه رفيفا إذا برق وتلألأ . (٣) في الأصل
 « منحه وبشاشه » يصفه بأنه يهش للعفاة ويشرق وجهه للزائرین .
 « أحمد يوسف نجاتي » .

بَطْلٌ جَرَى ^(١) الْفَلَاحُ الْمُحِيطُ بِسَرِّهِ
وَأَسْتَلَّ صَارِمَهُ يَدُ الْمِقْدَارِ
يَمِينِهِ يَوْمَ الْوَعَى وَشِمَالِهِ
مَا شَاءَ مِنْ نَارٍ وَمِنْ إِعْصَارٍ ^(٢)
وَالشَّمْرُ حُمْرٌ ، وَالْجِيَادُ عَوَابِسُ
وَالْجَوْ كَاسٍ ، وَالشُّيُوفُ عَوَارِي ^(٣)
وَالْخَيْلُ تَعَثُّ فِي شَبَا شَوْكِ الْقَنَا
قَصِيدًا ، وَتَسْبَحُ فِي الدَّمِ الْمَوَارِ ^(٤)

(١) في الأصل « حوى » وفي بعض النسخ « سرى » ولا بأس بها
(٢) الأعصار الريح التي فيها نار ، قال تعالى « فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت »
والعصر المطر من العصور « السحاب التي فيها المطر » والعصر « بالتحريك ،
المجأ والمنجاة ، وجمعهما أعصار (٣) كان صدر البيت في الأصل والديوان
« والشمس خمر والجياذ عوابس » والسمر الرماح ، وحمرتها من الدم ،
والبيت من قول الشاعر :

تبسمت والخيال العناق عوابس وأنجبتها والحرب لم تتأجج
فما وطئت إلا على هام سيد ولا عثرت إلا برأس متوج
يصف الشاعر شدة الهول وقد شمرت الحرب عن ساقها « أحمد يوسف نجاتي »
(٤) الشبا جمع شبة وهي طرف كل شيء حاد ، وفي الديوان « وتظن »
مكان « قصدا » وقصد العود اذا كسره ، وانقصد الرمح انكسر نصفين
حتى يبين ، وصارت الرماح قصدا أى قطعا ، والقصدة من كل شجرة
شائكة أن يظهر نباتها أول ما تنبت ، والقصدة القطعة مما يكسر ، وجمعه

وَالْبَيْضُ تُحْنِي فِي الطُّلَى ^(١) فَكَأَنَّمَا
تُلَوَّى عُرَى مِنْهَا عَلَى أَزْرَارِ
وَالنَّقْعُ يَكْسِرُ مِنْ سَنَى شَمْسِ الضُّحَى
فَكَأَنَّهُ صَدَأٌ عَلَى دِينَارِ
صَحِبَ الْحَسَامُ النَّصْرُ صُحْبَةَ غِبْطَةٍ
فِي كَفٍّ صَوَّالٍ بِهِ سَوَّارِ ^(٢)
لَوْ أَنَّهُ أَوْمَى ^(٣) إِلَيْهِ بِنَظَرَةٍ
يَوْمًا لَثَارَ فَلَمْ يَنْمَ عَنْ ثَارِ
وَمَضَى ^(٤) وَقَدْ مَلَكَتْهُ هَزَّةٌ عِزَّةٌ
تَحْتَ الْعَجَاجِ وَضَحْكَةُ أُسْتَبْشَارِ
وَقَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - :

قصد ، ورمح قصد وقصيد أى متكسر ، ومار الدم سال وجرى على
وجه الأرض ، والور الموج والاضطراب والجريان على وجه الأرض
والتحرك (١) الطلى الأعناق أو أصولها وصفحاتها ، جمع طلية أو طلاة ،
وفي الأصل « تجنى » مكان « تحنى » (٢) سورة السلطان : بطشه وسطوته ،
وسار الرجل : وثب وثار (٣) أو ما تخفف من أوما أى أشار ، وفي بعض
النسخ « أوحى » يصف هيبة المدوح وقوة بأسه ، وأن السيف يخضع
لإشارته ، ويعمل بنظرته ، ويتصر بعزته وصولته « أحمد يوسف نجاني »
(٤) في الأصل « وقضى » وفي بعض النسخ « نحوه » مكان « عزة »

وَأَرَاكَ ضَرَبْتَ سَمَاءَ فَوْقَنَا
تَنَدَى، وَأَفْلَاكَ الْكُؤُوسِ تُدَارُ
حَفَّتْ بِدَوْحَتِهَا مَجْرَّةُ جَدُولِ
نَثَرَتْ عَلَيْهِ نُجُومَهَا الْأَزْهَارُ
وَكَاَنَّهَا وَكَأَنَّ جَدُولَ مَائِهَا
حَسَنَاءُ شَدَّ بِخَصْرِهَا زُنَّارُ
زَفَّ الزُّجَاجُ بِهَا عَرُوسَ مُدَامَةٍ
تُجَلَّى، وَنُورُ الْغُصُونِ نِشَارُ
فِي رَوْضَةٍ جُنْحُ الدُّجَى ظِلٌّ بِهَا
وَتَجَسَّمتْ نُورًا بِهَا الْأَنْوَارُ
غَنَاءُ يَنْشُرُ وَشْيَهُ الْبَزَّازُ لِي
فِيهَا، وَيَفْتِقُ مِسْكُهُ الْعَطَّارُ^(١)
قَامَ الْغِنَاءُ بِهَا وَقَدْ نَضَحَ النَّدَى
وَجْهَ الثَّرَى وَأَسْتَيْقِظَ النُّورُ

(١) البزاز: بائع البز أي الثياب، وفتق المسك إذا خلطه بغيره كالعنبر إذا طيبه وخلطه بعود وغيره، والطار: بائع العطر «أحمد يوسف نجاتي»

وَالْمَاءُ مِنْ حَلِي الْحَبَابِ مُقَلَّدٌ
زَرَّتْ عَلَيْهِ جُيُوبَهَا الْأَشْجَارُ^(١)
وَقَالَ مُلْتَزِمًا مَا لَا يَلْزَمُ^(٢) :

(١) مقلد ذو قلائد وفي الاصل والديوان « الحياء » بدل « الحباب » وهو تصحيف « أحمد يوسف نجاتي »

(٢) لزوم ما لا يلزم « ويسمى الالتزام والتضمين والتشديد والاعنات » هو من المحسنات البديعية اللفظية : وهو أن يأتي الشاعر في أبيات شعره بحرف يلتزمه قبل حرف الروى - أو في فواصل سجعته كذلك - أو أكثر من حرف مع عدم التكلف ، فابن عمار التزم في أبياته حرف الراء قبل حرف الروى « الهمزة » والالف اللازمة ، وهو انما يحسن كغيره من المحسنات اللفظية اذا كان غير متكلف ، وكانت الالفاظ فيه تابعة للمعاني ، فان المعاني اذا تركت على سجيته ، وأسلمها الشاعر البليغ إلى الطبع طلبت لا نعتسها ألفاظا تليق بها وتجلى في معرضها ، فيحس اللفظ والمعنى جميعا ، أما إذا جاءت الالفاظ متكلفة ، واقتسرت على أن تحل مواضع نائية بها تصنعاء ، وجاءت المعاني تابعة لها مرغمة على البروز فيها كان الكلام مموه الظاهر ، مشوه الباطن ، كمن أثقل الفتاة التي لم ترزق حظا من الجمال بأنواع الحللى والحلل ، وأرهقها بكثرة الزينة والنقش ، فلم يفدها ذلك غناء ولم يكسبها جمالا ولا بهاء ، والله در ابن الرومى إذ يقول :

وما الحللى إلا زينة لنقيصة يتم من حسن إذا الحسن قصرا
ولكن إذا كان الجمال موفرا كحسنك لم يحتج إلى أن يزورا
وما أحسن قول الآخر :

وإذا الدر زان حسن وجوه كان للدر حسن وجهك زينا
ولا يبي العلاء المعرى ديوان اللزوميات وهو مشهور ، ولم يخل فيه من تكلف « أحمد يوسف نجاتي »

خُذْهَا إِلَيْكَ، وَإِنَّهَا لَنَظِيرَةٌ^(١)
 طَرَأَتْ عَلَيْكَ قَلِيلَةُ النُّظَرَاءِ
 حَمَلَتْ وَحَسْبُكَ بِهِجَةً مِنْ تَفَحَّةٍ
 عَبَقُ الْعُرُوسِ وَخَجَلَةُ الْعَذَرَاءِ
 مِنْ كُلِّ وَارِسَةِ الْقَمِيصِ كَأَنَّمَا
 نَشَأَتْ تَعْلُ بِرِيقَةِ الصَّفَرَاءِ
 نَجَمَتْ تَرُوقُ بِهَا نُجُومٌ حَسْبُهَا^(٢)
 بِالْأَيْكَةِ الْخَضَرَاءِ مِنْ خَضَرَاءِ
 وَأَتَتْكَ تُسْفِرُ عَنْ وُجُوهِ طَلْقَةٍ
 وَتَتُوبُ مِنْ أَطْفٍ عَنِ الشُّفَرَاءِ^(٣)
 يَنْدَى بِهَا وَجْهُ النَّدَى، وَرُبَّمَا
 بَسَطَتْ هُنَاكَ أَوْجُهُ السَّرَّاءِ^(٤)

(١) لعله يريد أن لها نظائر منه قد سبق أن مدح بها بمدوحه وسيلحقها بمثلها وشبهها في الحسن، وليس مدحه إياه مقصورا على هذه وحسب، وفي نسخة «نضيرة» والمعنى عليها أنضر وأظهر «أحمد يوسف نجاتي»
 (٢) في الأصل «حسنها» والخضراء الأخيرة «السماء» (٣) في الأصل «الشعراء» (٤) في الأصل «يندى بها وجه الندى ولربما» وفي بعض الروايات، عجز البيت «بسطت هناك أسرة السراء» والأسرة جمع

فَاسْتَضْحَكَتْ وَجْهَ الدُّجَى مَقْطُوعَةً

جُمِلَتْ جَمَالَ الْغُرَّةِ الْفَرَاءِ

وَقَالَ أَيْضًا :

وَصَدْرٍ نَادٍ نَظَمْنَا لَهُ الْقَوَافِي عِقْدًا

فِي مَنْزِلٍ قَدْ سَحَبْنَا بِظِلِّهِ الْعِزَّ بُرْدًا

قَدْ طَنَّبَ الْمَجْدُ يَتًّا فِيهِ ، وَعَرَّسَ وَفْدًا

تَذْكُوهَ الشَّهْبُ جَمْرًا وَيَعْبِقُ اللَّيْلُ نَدَا

وَقَدْ تَأَرَّجَ نَوْزُ غَضٍّ يُخَالِطُ وَرْدًا

كَمَا تَنْفَسُ (١) ثَغْرُ عَذْبٍ يُقْبَلُ خَدَا

وَقَالَ مِنْ قَصِيدَةٍ يَصِفُ مُتَنَزِّهًا :

وصف متزه

يَا رَبِّ وَضَّاحِ الْجَبِينِ كَأَنَّمَا

رَسَمُ الْعِذَارِ بِصَفْحَتَيْهِ كِتَابُ

سرار ، وهو خط الوجه والجبهة ، ويجمع أسرة على أسارير . وفي حديث عائشة رضي الله عنها في صفته صلى الله عليه وسلم : تبارق أسارير وجهه ، وبسط الأسرة كناية عن السرور والبشر والطلاقة (١) ويروى « تبسم » كما في الديوان وهو أحسن . « أحمد يوسف نجاتي »

تُغْرَى بِطَلْعَتِهِ الْعُيُونُ مَهَابَةً^(١)
وَتَبَيَّتْ تَعْشَقُ عَقْلَهُ الْأَلْبَابُ
خُلِعَتْ عَلَيْهِ مِنَ الصَّبَاحِ غِلَالَةٌ
تَنْدَى، وَمِنْ شَفَقِ الْمَسَاءِ^(٢) نِقَابُ
فَكَرَعَتْ مِنْ مَاءِ الصَّبَا فِي مَنْهَلٍ
قَدْ شَفَّ عَنْهُ مِنَ الْقَمِيصِ سَرَابُ^(٣)
فِي حَيْثُ لِلرَّيْحِ الرُّخَاءُ تَنْفَسُ
أَرْجُ، وَلِلْمَاءِ الْفُرَاتِ عُبابُ^(٤)
وَلَرُبَّ غَضَبٍ الْجِسْمِ مَرَّةً^(٥) بِخَوْضِهِ
سَبَحًا كَمَا شَقَّ السَّمَاءُ شِهَابُ

(١) كذا بالأصل والديوان وفي نسخة «ملاحة» (٢) في الأصل والديوان «السماء» (٣) شف عنه الثوب إذا نم على ماتحته ، أو إذا قصر عنه ، وشف الثوب يشف إذا رق فحكى ماتحته ورثى ماخلفه . وفي الديوان «شق» وفي موضع آخر منه يروى البيت هكذا :

ويعطفه للشيبية منهل قد شف عنه من القميص سراب
(٤) الرخاء الريح اللينة طيبة المهبوب ، والفرات الشديد العذوبة القامع للعطش لشدة عذوبته ، سمي بذلك لأنه يرفق العطش أي يسكنه ويكسر سوره ، والعباب معظم السيل وارتفاعه وكثرته أو موجه المتلاطم
(٥) في الأصل «مد» وفي الديوان «مد بخوضه صيحا» وجسم

وَلَقَدْ أَنْخْتُ بِشَاطِئِهِ يَهْزُنِي
 طَرَبًا شَبَابٌ رَاقِي وَشَرَابُ
 وَعَبَرْتُ^(١) دَجَلَتَهُ يُضَاحِكُنِي بِهَا
 مَرَحًا حَبِيبُ شَاقِنِي وَحَبَابُ
 تُجَلِّي مِنَ الدُّنْيَا عَرُوسُ يَنِينَا
 حَسَنَاءُ تُرْشَفُ وَالْمُدَامُ رُضَابُ
 ثُمَّ أَرْتَحَلْتُ وَلِلنَّهَارِ ذُوَابَةٌ
 شَيْبَاءُ^(٢) تُخْضَبُ وَالظَّلَامُ خِضَابُ

غض أى ناعم رقيق ناضر (١) فى الأصل «وبكيت» وكذا بالديوان
 وفى موضع آخر منه «وركبت» وهى مثل «عبرت» (٢) قالوا
 هو أشيب على غير قياس لأن هذا النعت إنما يكون من باب «فرح»
 وشرطه الدلالة على العيوب أو الألوان أو الحلى ، والأشيب المبيض
 الرأس ، وأعلمهم جعلوه وصفا من المصائب الخلقية كالأعمى والأعرج فعدوه
 من العيوب :

تعيب الغانيات على شيبى ومن لى أن أمتع بالمعيب

كفى الشيب عيبا أن صاحبه إذا أردت به وصفاله قلت أشيب
 وكان قياس الأصل لو قلت شائبا ولكنه فى جملة العيب يحسب
 ولكنهم لم يقولوا منه «شيباء» فلم يؤثروه على فعلاء بل أهملوه ولم يرد
 فى كلام من بعدهم ، اكتفوا «بالشمطاء» عن «الشيباء» ولكن ابن
 خفاجة استعمله . وقد تكون مصحفة عن «شهباء» وفى الأصل «والنهار

تَلْوِي مَعَاظِنِ الصَّبَابَةِ وَالصَّبَا
وَاللَّيْلِ دُونَ الْكَاشِحِينَ^(١) حِجَابُ
وَقَالَ :

مَرَّ بِنَا وَهُوَ بَدْرٌ تَمَّ^(٢) يَسْحَبُ مِنْ ذَيْلِهِ سَحَابًا
بِقَامَةٍ تَنْشِي قَضِيْبًا وَغُرَّةٌ تَلْتَظِي شِهَابًا
يَقْرَأُ وَاللَّيْلُ مُدْلَهُمْ^(٣) لِنُورِ إِجْلَالِهِ كِتَابًا
وَرُبَّ لَيْلٍ سَهَرْتُ فِيهِ أَزْجُرُ مِنْ جُنْحِهِ غُرَابًا^(٤)
حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ مَالَ سُكْرًا وَشَقَّ سِرْبَالَهُ وَجَابَا^(٥)
وَحَامَ مِنْ سُدْفِهِ غُرَابٌ طَالَتْ بِهِ سِنُّهُ فَشَابَا^(٦)

خضاب» بدل «والظلام» فهو المناسب للخضاب الذي يدل عليه السياق
ويؤيده البيت بعده «أحمد يوسف نجاتي» (١) الكاشح : من يضر
العداوة ويتولى عنك بودة ، والعدو البغض كأنه يطوى العداوة في
كشحه «أى خصره وجانبى بطنه» وفيه كبد والكبد بيت العداوة
والبغضاء . ومنه قيل للعدو أسود الكبد كأن نار الحقد أحرقت كبده
أو كأنه يوليك كشحه ويعرض عنك بوجهه . «أحمد يوسف نجاتي»
(٢) بدر تم وتمام يقال ذلك للبدر إذا تم امتلاؤه ليلة البدر فبهر (٣) ادلهم
الظلام إذا اشتد وكشف (٤) فى الأصل والديوان «نكبا» ؟ والجنح
من الليل الطائفة منه أو أوله ، وقد يطلق على ظلامه (٥) جاب الشيء :
خرقه ونقبه وقطعه (٦) السدفة : الظلمة كالسدف ، أو السدفة ظلمة فيها ضوء
من أول الليل وآخره ما بين الظلمة إلى الشفق وما بين الفجر إلى الصلاة

ازْدَدْتُ مِنْ لَوْعَتِي خَبَالًا^(١) فَحَثَّ مِنْ غُلَّتِي شَرَابًا
وَمَا خَطَا قَادِمًا فَوَافِي حَتَّى أُنْثَنَى نَاكِصًا فَأَبَا^(٢)
وَيَنْ جَفْنِي بَحْرُ شَوْقٍ يَعْْبُ فِي وَجْتِي عُبابًا
قَدْ شُبَّ فِي وَجْهِهِ شُعَاعٌ وَشُبَّ^(٣) عَنْ قَلْبِي أَلْتِهَابًا
وَرَوْضَةٌ طَلْقَةٌ حَيَاءً غَنَاءٌ مُخْضَرَّةٌ جَنَابًا^(٤)
يَنْجَابُ عَنْ نَوْرِهَا كِمَامٌ يَحْطُ عَنْ وَجْهِهِ نِقَابًا^(٥)
بَاتَ بِهَا مَبْسِمُ الْأَقَاحِي يَرْشَفُ مِنْ طَلْهَا رُضَابًا^(٦)
وَمِنْ خُفُوقِ الْبُرُوقِ فِيهَا أَلْوِيَّةٌ مُحْمَرَّتْ خِضَابًا

و يروى صدر البيت « وحام في سدفه غراب » وهى أرجح لأنه لا يقال سدف بل « سدف » « بفتح الدال ، إلا إذا كانت سدف اسم جنس جمعيا واحده سدفه » والشاعر يريد بهذا البيت وما قبله إقبال الصباح بعد ليل طويل قضاء ساهدا حتى شاب غرابه ، وشاب الغراب كما تعرف مستحيل ، ففي البيت مبالغة في طول الليل مع حسن تعليل (١) و يروى « فجئت » والحبال العناء والهلاك وفساد العقل ، والالوعة : حرقه في القلب وألم يشعر به ذو الحب أو الهم أو المرض أو نحو ذلك ، ويقرب من معنى البيت قول امرئ القيس :

* وما إلا أصبح منك بأمثل *

(٢) نكص إذا رجع على عقبيه عائدا ، وفعله « كضرب ونصر »
(٣) و يروى « في قلبي » وفي الديوان « عن قلبه » . « أحمد يوسف نجاتي »
(٤) الجنب الناحية والقناء كالجنب (٥) انجاب انشق وانكشف ، والكمام جمع كم وهو غلاف النور وعطاؤه (٦) الأقاحي جمع أقحوان والرضاب الريق

كَأَنَّمَا أُنْمِلُ وَرَادٌ ^(١) تَحْصُرُ قَطْرَ الْحَيَا حِسَابًا
وَلَهُ :

رَحَلْتُ عَنْكُمْ وَلِي فُوَادٌ تُنْقِضُ ^(٢) أَضْلَاعُهُ حَيْنًا
أَجُودُ فِيكُمْ بِلِقِ ^(٣) دَمْعٍ كُنْتُ بِهِ قَبْلَكُمْ ضَيْنًا
يُشُورُ فِي وَجَّتِي جَيْشًا وَكَانَ فِي جَفْنِهِ كَمِينًا
كَأَنَّنِي بَعْدَكُمْ شِمَالٌ قَدْ فَارَقَتْ مِنْكُمْ يَمِينًا
وَقَالَ :

فِيَا لَشَجَا قَلْبٍ ^(٤) مِنَ الصَّبْرِ فَارِغٍ !
وَيَا لَقَذَى طَرْفٍ مِنَ الدَّمْعِ مَلَانٍ !

أو الريق المرشوف ، ورضب ريقها اذا رشفه وامتصه (١) جمع ورد أى
أحمر ، والحيا: الغيث (٢) أنقض أى صوت، والنقيض من الأصوات ما يكون
لمفاصل الانسان وأضلاعه وأصابه ونحوها . وفى التنزيل : « الذى أنقض
ظهرك » أى أثقله حتى جعله نقضا أى مهزولا ، أو أثقله حتى سمع نقيضه
أى صوته - ويصح أن يكون « تنقض » تنفعل من قضض لا من « نقض »
قض الشيء اذا كسره ودقه ، وانقض الجدار إذا تصدع ، وقض الحائط: هدمه
بالعنف ، ولكن الأولى أن يكون من الأول فهو المستعمل كثيرا فى صوت
الأضلاع ونحوها ، وفى الأصل والديوان « تنقض » « أحمد يوسف نجاشى »
(٣) نفيس ثمين غال يضن به (٤) ويروى « فى الشجى صدر » كما يروى
« جفن » فى عجز البيت بدل « طرف » والمعنى واحد ، واذا فرغ القلب
من الصبر ، وضاق بالشجو الصدر ، قذيت العين بكثرة الدموع ، ونيا الطرف
عن الهجوع . « أحمد يوسف نجاشى » .

وَنَفْسٍ إِلَى جَوِّ الْكَنِيسَةِ صَبَّةٍ وَقَلْبٍ إِلَى أَفْقِ الْجَزِيرَةِ حَنَانٍ
تَعَوَّضْتُ مِنْ وَاهاً بِآهٍ ، وَمِنْ هَوًى
بِهُونٍ ، وَمِنْ إِخْوَانٍ صِدْقٍ بِخُورَانٍ ^(١)
وَمَا كُلُّ بَيْضَاءٍ تَرُوقُ بِشَحْمَةٍ ^(٢)
وَمَا كُلُّ مَرَعًى تَرْتَعِيهِ بِسَعْدَانٍ
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ لِدَهْرِي عَطْفَةٌ
فَتُجْمَعَ أَوْطَارِي عَلَى وَأُوطَانِي ؟
مَيَادِينُ أَوْطَارِي ، وَبَلَدَةٌ ^(٣) لَذَّتِي
وَمَنْشَأُ تَهْيَامِي ، وَمَلْعَبُ غَزْلَانِي

(١) « وَاها » كلمة تعجب من طيب الشيء وحسنه تقول : وَاها له ما أطيبه
كما قال أبو النجم :

وَاها لِسُلْمَى ثُمَّ وَاها وَاها نلنا المنى لو أننا نلناها الخ
أما « آه » فكلمة تقال عند التوجع والتألم ، والهون الدل والعذاب والهوان
(٢) في الأصل « بروق » ولعله مبالغة من « برق » أي أضاء ، وصدر البيت
من المثل « ما كل بيضاء شحمة ولا كل سوداء تمر » وقال أبو الهذيل
زفر بن الحرث الكلبي « وهو من التابعين » :

وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة ليالي لاقينا جذام وحميرا
أي كنا نطمع في أمر فوجدناه على خلاف ما كنا نظن . وتقدم شرح
المثل « مرعى ولا كالسعدان » قريبا . « أحمد يوسف نجاني » (٣) في
الأصل والديوان « ولذة لذتي » و « بروي » و « موطن » « أحمد يوسف نجاني »

كَأَنَّ لَمْ يَصِلْنِي فِيهِ ظَبْيٌ يَقُومُ لِي
 لَمَاءُ^(١) وَصُدْغَاهُ بِرَاحِي وَرِيحَانِي
 فَسَقِيًّا لَوَادِيهِمْ وَإِنْ كُنْتُ إِنَّمَا
 أَيْتُ لِدِكْرَاهُ بِغُلَّةٍ^(٢) ظَمَانٍ
 فَكَمْ يَوْمَ لَهْوٍ قَدْ أَدْرَنَّا بِأَفْقِهِ
 نُجُومَ كَوْوُسٍ بَيْنَ أَقْمَارٍ نُدْمَانٍ
 وَلِلْقُضْبِ وَالْأَطْيَارِ مَلْهَى بِجَزَعِهِ^(٣)
 فَمَا شِئْتُ مِنْ رَقْصٍ عَلَى رَجْعِ الْحُنَانِ
 وَبِالْحُضْرَةِ الْغَرَاءِ غِرٌّ عَلِقَتْهُ^(٤)
 فَأَحْبَبْتُ حُبًّا فِيهِ قُضْبَانٌ نَعْمَانِ

(١) اللى سمرة في الشفة كانوا يستحسنونها ، وفي البيت لفونشر مرتب
 (٢) الغلة شدة العطش وحرارته ، وفي معنى البيت قول المرحوم محمود باشا سامي
 البارودي :

أدعوا إلى الدار بالسقيا وبي ظمأ أحق بالرى ، لكنى أخو كرم
 (٣) في الأصل والديوان « بجرة » وجزع الوادى : منعطفه أو وسطه أو
 منعطفه أو منحناه ، أو ما اتسع من مضايقه ، أو لا يسمى جزعا حتى تكون
 له سعة تنبت الشجر وغيره - ويروى « بأفقه » وهو الطف (٤) الغر :
 الحدث السن الذى لا تجر به له ، والغرة الفتاة الشابة لم تجرب الأمور ولم

رَقِيقُ الْحَوَاشِي ، فِي مُحَاسِنِ وَجْهِهِ
وَمَنْطِقِهِ مَسْلَى قُلُوبٍ وَأَذَانٍ^(١)
أَغَارُ لِحْدَيْهِ عَلَى الْوَرْدِ كُلَّمَا
بَدَأَ ، وَلِعِطْفِيهِ عَلَى أَغْصَنِ الْبَانِ
وَهَبْنِي أَجْنَى وَرَدَّخَدٍ بِنَظَرِي فَمَنْ أَيْنَ لِي مِنْهُ بِتَفَاحِ لُبَّانٍ
يُعَلِّلَنِي مِنْهُ بِمَوْعِدِ رَشْقَةٍ
خَيَالُهُ يُغْرَى بِمُطْلٍ وَلَيَّانٍ^(٢)
حَبِيبٌ عَلَيْهِ لُجَّةٌ مِنْ صَوَارِمٍ
عَلَاهَا حَبَابٌ مِنْ أَسِنَّةٍ مُرَّانٍ^(٣)

تسكن تعلم ماتعلم النساء من الحب ، ويقال فيها أيضا غرير وغيرة ، ومن ذلك قول الشاعر :

ولقد لموت بطفلة ميالة بلهاء تطلعنني على أسرارها
أراد أنها غر لادهاء لها فهي تخبره بأسرارها ولا تفطن لما عليها في ذلك
« أحمد يوسف نجاتي (١) » رقيق الحواشي أي دمت الطباع سهل الأخلاق ،
لطيف المعاشرة ، وفي البيت بعد ذلك لف ونشر مرتب .
(٢) لواه دينه وبدينه ليا وليانا « وفتح اللام في ليان أشهر » اذا مطله ،
وقال ذو الرمة :

تطيلين ليسانى وأنت مليئة وأحسن يا ذات الوشاح التقاضيا
ومليئة أي غنية غير محتاجة الى المطال فليانك بخل وضن بالحق .
« أحمد يوسف نجاتي » (٣) المران : الرماح الصلبة اللدنة واحدة مرانة ،

تَرَأَى لَنَا فِي مِثْلِ صُورَةِ يُوسُفَ
تَرَأَى لَنَا فِي مِثْلِ مُلْكِ سُلَيْمَانَ
طَوَى بُرْدَهُ مِنْهَا صَحِيفَةً فَتْنَةً
قَرَأْنَا لَهَا مِنْ وَجْهِهِ سَطْرَ عُتْوَانَ

وفي معنى البيت قول الطغرائي :

يحمون بالبيض والسمر اللدان به سود الفدائر حمر الحلى والحلل
وصف حلالهن بالحمرة لأن الأحمر يزيد الحسن بهجة وحسنا ، كما قيل :
هيجان عليها حمرة في بياضها تروق به العينين والحسن أحمر
والهيجان : الخيار من كل شيء ، وللسراج الوراق .

من البيض تمشي البيض حول خباياها شبيهة نومي ليس يأوى الى جفن
غزالة أنس والرماح كناسها ومن حولها قوم يخالون كالجن
لهم غيرة قد ساء بالطيف ظنها فضنوا عليها بالكري خيفة الظن
وله أيضا وقد أحسن :

ومحجوبة أما الدجا فغدائر عجبت لسرى الطيف لي من كناسها
عليها ، وأما الصبح فهو جبينها ومن حوله أسد الشرى وعرينها
ولابن النبيه :

وفي الكاة الحمراء بيضاء طفلة بزرق عيون السمر يحمي احوارها
أثار لها تقع الجياد سرادقا به دون ستر الحدر عنا ستارها
وما أجود قول بعضهم في هذا المعنى :

وأرى لليلي العامرية منزلا بالجود يعرف والندى أصحابه
قد أشرعت بيض الصوارم والقنا من حوله فهو المنيع حجابيه
وعلى حماه جلالة من أهله فلذاك طارقة العيون تهابه
والقول في هذا المعنى كثير لا نطيل به . « أحمد يوسف نجاتي » .

(٢٧ - نفح الطيب - خامس)

مَحَبَّتُهُ دِينِي ، وَمَشْوَاهُ كَعْبَتِي
وَرُؤُوسُهُ حَجَّتِي ، وَذِكْرَاهُ قُرْآنِي
وَقَالَ :

وَلَيْلٍ تَعَاظِينَا الْمُدَامَ وَيِّنَنَا
حَدِيثُ كَمَا هَبَّ النَّسِيمُ عَلَى الْوَرْدِ
نُعَاوِدُهُ وَالْكَاسُ يَعْبِقُ نَفْحُهَا
وَأَطْيَبُ مِنْهَا مَا نُعِيدُ وَمَا نُبْدِي^(١)
وَتَقْلِي أَقَا حُ الثَّغْرِ أَوْ سَوْسَنُ الطُّلَى
وَنَرْجِسَةُ الْأَجْفَانِ أَوْ وَرْدَةُ الْخَدِّ^(٢)

(١) يريد بعجز البيت الحديث ، ومنه قول ابن المعتز :

بين أقداحهم حديث قصير هو سحر وما عساه كلام

في الديوان « بعبق نفحة » (٢) النقل « بفتح النون وقد تضم » ما ينقل
على الشراب من الفواكه ونحوها « الزة » ولابن عمار من محبوبه أزهار
مختلفة وثمار غضة جنية هي خير ما ينتفل به والد وأطيب ، ولابن النبية :
رضابك راحي ، آس صدغيك ريجاني شقيق جنى خديك ، جيدك سوساني
وقال عمر بن الفارض :

عليك بها صرفاً فإن رمت مزجها فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم
الظلم الأول بفتح الظاء وهو الريق أو الرضاب يرشف من الثغر .
« أحمد يوسف نجاني »

إِلَى أَنْ سَرَتْ فِي جِسْمِهِ الْكَاسُ وَالْكَرَى
وَمَا لَا بَعْطْفِيهِ فَمَالَ عَلَى عَضْدِي
فَأَقْبَلْتُ أَسْتَهْدِي لِمَا بَيْنَ أَضْلُعِي
مِنْ الْحَرِّ مَا بَيْنَ الثَّنَائِيَا^(١) مِنْ الْبُرْدِ
وَعَايَنْتُهُ قَدْ سُلَّ مِنْ وَشْيِ بُرْدِهِ
فَعَايَنْتُ^(٢) مِنْهُ السَّيْفَ سُلَّ مِنَ الْعِمْدِ

(١) استهدى: أطلب هدية - وفي الأصل والديوان «الضلوع» في عجز البيت بدل «الثنايا» وهو خطأ لا يصلح المعنى المراد عليه بل قد يفسد فانه يقول انه لما مالت بمن يحب سنة الكرى طوقه ذراعيه، وبات يعمل من رضابه وينهل، ويطفىء نار أشواق تتوقد في ضلوعه يبرد رضاب من مقبل محبوبه العذب، وان كنت أخشى أن ذلك قد يزيد نار الوجد اشتعالا كما يقول ابن الرومي:

أعانقه والنفس بعد مشوقة إليه وهل بعد العناق تداني
وأثم فاه كي تزول حرارتي فيشتد ما ألقى من الهيمان
ولم يك مقدار الذي بي من الجوى ليطفئه ما ترشف الشفتان
كأن فؤادي ليس يروى غليله سوى أن ترى الروحان تمتازجان
ولكن ذلك الحر برد وسلام يشفي من غلة الوجد. «أحمد يوسف نجاتي»
(٢) وىروى «فعاينت» والبيت يصف محبوبه وقد تجرد من ثيابه للنوم وكأني به ينشد عند ذلك قول بعض الأدباء:

تجردت عن جسم كأعواد مرمر أغار عليه عند نظرة أحداق
ولما كشفت الساق قامت قيامتي فياويح قلبي يوم يكشف عن ساق
والبيت بعده يبين وجه الشبه بينه وبين السيف وان كانت تلك المحاسن تفوق ما فيه

لِيَانَ مَجَسٍّ وَأُسْتِقَامَةً قَامَةً
 وَهَزَّةَ أَعْطَافٍ وَرَوْنَقَ إِفْرِنْدٍ^(١)
 أَغَازِلُ مِنْهُ الْغُصْنُ فِي مَغْرَسِ النَّقَا
 وَالْتَمُّ وَجْهَ الشَّمْسِ فِي مَطْلَعِ السَّعْدِ
 فَإِنْ لَمْ يَكُنْهَا أَوْ تَكُنْهُ فَإِنَّهُ
 أَخُوهَا كَمَا قَدْ الشَّرَّاءُ مِنَ الْجِلْدِ^(٢)
 تُسَافِرُ كِلْتَا رَاحَتَيَّ بِجِسْمِهِ
 فَطَوْرًا إِلَى خَصْرِ وَطَوْرًا إِلَى نَهْدِ
 فَتَهْبِطُ مِنْ كَشْحِيهِ كَفِّي تِهَامَةً
 وَتَصْعَدُ مِنْ نَهْدِيهِ أُخْرَى إِلَى نَجْدِ^(٣)

(١) فرند السيف وافرنده رونقه وماؤه وصفائه ، وجوهره ووشيه

(٢) هذا من قول الشاعر في الحمر والعنب :

فَإِلَّا يَكُنْهَا أَوْ تَكُنْهُ فَإِنَّهُ أَخُوهَا غَذَتْهُ أُمُّهُ بِلَبَانِهَا

ومع حسن الأبيات لا تراني مستريحاً جداً لتشبيهه جسم المحبوب بالسيف من كل جهة ، ولا في جعله مع السيف والغصن والشمس أخاً مثل قد الشراك من الجلد ، نعم ان الغرض بيان المساواة التامة ولكن كلمة الشراك أئزه المحبوب عنها . « أحمد يوسف نجاني » (٣) أراد بتهامة غور الحصر ، وبنجد علو النهدي وارتفاعه . وتهامة تلك الأرض المعروفة وهي ما بين ذات عرق الى مرحلتين من وراء مكة « وذات عرق أول تهامة الى البحر »

وَقَالَ أَيْضًا :

وَرِدَاءُ لَيْلٍ بَاتَ فِيهِ مُعَانِقِي
 طَيْفُ أَلَمٍ بِظَبْيَةِ الْوَعَسَاءِ^(١)
 فَجَمَعْتُ يَيْنَ رُضَايِهِ وَشَرَابِهِ
 وَشَرِبْتُ مِنْ رِيقِ وَمِنْ صَهْبَاءِ
 وَلَثَمْتُ فِي ظِلْمَاءِ لَيْلَةٍ وَفَرَةٍ^(٢)
 شَفَقًا هُنَاكَ لِوَجَنَةِ حَمْرَاءِ
 وَاللَّيْلُ مُشْمَطُ الذَّوَائِبِ كَبْرَةٍ
 خَرَفُ يَدِبُّ عَلَى عَصَا الْجُوزَاءِ^(٣)

وماوراء ذلك من الغرب فهو غور ، وقد يكنى بتهامة عن المكان المنخفض
 وبنجد عن المرتفع ، ومثل البيت قول ابن مطروح :
 وكم تهت في غور خصرله وأشرفت في نجد ذاك الكفل
 وأنت تعرف الفرق بين النجدين نجد ابن عمار ونجد ابن مطروح ، وكل
 امرئ ومايهوى وقد هديناه النجدين . « أحمد يوسف نجاشي » .
 (١) الوعساء : رابية من رمل لينة تنبت أحرار البقول ، والوعساء موضع
 بعينه في بلاد العرب ، وفيه يقول ذو الرمة :

أيا ظبية الوعساء بين حلالح وبين النقا آ أنت أم أم سالم
 ويروى و « لرب ليل » بدل « ورداء ليل » (٢) الوفرة : الشعر المجتمع على
 الرأس ، أو ماسال على الأذنين منه ، أو ماجاوز شحمة الأذن (٣) الهمط :
 بياض شعر الرأس يخلط سواده ، وفعله شمط « كفرح وأشمط » وفي

ثُمَّ أَنْثَنِي وَالصُّبْحَ يَسْحَبُ فَرْعَهُ
 وَيَجْرُ مِنْ طَرْبٍ فُضُولَ رِدَاءِ^(١)
 تَنْدَى فِيهِ أَقْحَوَانَةٌ أَجْرَعُ
 قَدْ غَاظَلَتْهَا الشَّمْسُ غِبًّا سَمَاءِ^(٢)
 وَتَمِيسُ فِي أَثْوَابِهِ رِيحَانَةٌ كَرَعَتْ عَلَى ظَمًا يَجْدُولُ مَاءَ
 نَفَاحَةِ الْأَنْفَاسِ إِلَّا أَنَّهَا حَذَرَ النَّوَى خَفَاقَةً الْأَفْيَاءِ^(٣)
 فَلَوَيْتُ مَعْطِفَهَا أُعْتِنَاقًا حَسْبُنَا
 فِيهِ بِقَطْرِ الدَّمْعِ مِنْ أَنْوَاءِ
 وَالْفَجْرُ يَنْظُرُ مِنْ وَرَاءِ غَمَامَةٍ
 عَنْ مُقْلَةٍ كَحِلَتْ بِهَا زَرْقَاءُ

البيت حسن تعليل لطيف ، وعلته كبرة اذا طعن في السن ، وخرف الرجل
 « كفرح ونصر وكرم » فهو خرف اذا فسد عقله من الكبر (١) الفرع
 الشعر التام ، وفي بعض النسخ « ثم انثنى والسكر الخ » وأظنه سحب فرعه
 ليكون منه في الصباح ليل يستره عن أعين الرقباء فلا يغريهم به بياض
 الصبح . « أحمد يوسف نجاتي » .

(٢) يصف ثغره وطيب نكهته ، والسماء هنا المطر ، وغيب بعد (٣) نفاحة
 أى دائمة النفح وطيب الرائحة ، وفي الأصل « الندى » وأراه مصحفا عن
 « النوى » ويريد بالافياء الشعر ، والافياء في الأصل جمع فى وهو الظل

فَرَعَبْتُ عَنْ نُورِ الصَّبَاحِ لِنُورَةِ
أَغْرَى لَهَا يَنْفَسَجُ الظُّلُمَاءُ
أُنْتَهَى.

تنزه المعتمد
ابن عباد
بوادي الطلح

« وَكَانَ الْمُعْتَمِدُ بْنُ عَبَّادٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى » كَثِيرًا
مَا يَنْتَابُ وَادِي الطَّلَحِ مَعَ رُمَيْكِيَّتِهِ^(١) وَأُولَى أَنْسِهِ وَمَسَرَّتِهِ،
وَهُوَ وَادٍ بِشَرْقِ إِشْبِيلِيَّةٍ مُلْتَفٍّ الْأَشْجَارِ، كَثِيرُ تَرْنَمِ
الْأَطْيَارِ، وَفِيهِ يَقُولُ نُورُ الدِّينِ بْنُ سَعِيدٍ^(٢) :
سَائِلُ بَوَادِي الطَّلَحِ^(٣) رِيحَ الصَّبَا
هَلْ سُخِّرَتْ لِي مِنْ زَمَانِ الصَّبَا

(١) تقدم التعريف بالرميكية جارية المعتمد وأم أولاده وفي الأصل « زملمته »
وهو تصحيف فاسد . « أحمد يوسف نجاتي » (٢) سبقت ترجمته، وسيأتي
حديث عنه طويل (٣) الطلح شجر عظام حجازية الأصل ومنابتها بطون
الأودية، وهي أعظم العضاء شوكا وأصلبها عودا وأجودها صمغا، لها ظل وارف
مدود وخضرة شديدة ناضرة، وأغصان طوال عظام طيبة الريح، وساق ضخمة
لا تلتقي عليها يد الرجل، ولا ينبت إلا في أرض غليظة شديدة خصبة، قلت وادي
الطلح هو الذي خاطب نائحه المرحوم أمير الشعراء أحمد بك شوقي في مطلع إحدى
أندلسياته الرائقة التي يجارى بها ابن زيدون وأولها :

يانائح الطلح أشباه عوادينا نأسي لواديك أم نأسي لوادينا
وسنعرض ان شاء الله للموازنة بين القصيدتين في كتاب الأدب العربي .
« أحمد يوسف نجاتي » .

كَأَنْتَ رَسُولًا فِيهِ مَا يَنْتَنَّا
لَنْ نَأْمَنَ الرُّسُلَ وَلَنْ نَكْتُبَا^(١)
يَا قَاتِلَ اللَّهِ أَنْسَا إِذَا
مَا أَسْتَوْفَيْنَا خَانُوا ، فَمَا أُعْجِبَا
هَلَّا رَعَوْا أَنَا وَثِقْنَا بِهِمْ
وَمَا اتَّخَذْنَا عَنْهُمْ مَذْهَبًا
يَا قَاتِلَ اللَّهِ الَّذِي لَمْ يَتُبْ
مِنْ غَدَرِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَرَّبَا
وَالَيْمُ^(٢) لَا يَعْرِفُ مَا طَعْنُهُ
إِلَّا الَّذِي وَافَى لِأَنْ يَشْرَبَا
دَعْنِي مِنْ ذِكْرِ الْوُشَاةِ الْأَلَى
لَمَّا يَزَلْ فِكْرِي بِهِمْ مُلْهَبَا
وَأَذْكُرْ بَوَادِي الطَّلْحِ عَهْدًا لَنَا
لِلَّهِ مَا أَخْلَى وَمَا أَطْيَبَا

(١) مالى اليك سوى النسيم رسول يحكى صبايات الهوى ويقول
(٢) البحر، أو الذى لا يدرك قعره ولا شطاه، ولكن يقع اسم اليم على ما كان
ماؤه ملحا زعاقا، وعلى النهر الكبير العذب الماء، وقد أمرت أم موسى حين

بِجَانِبِ الْعَطْفِ وَقَدْ مَالَتْ أَلْ
 أَغْصَانُ وَالزَّهْرُ يَبْتَ الصَّبَا
 وَالطَّيْرُ مَازَتْ^(١) يَنْ أَلْخَانِهَا
 وَلَيْسَ إِلَّا مُعْجِبًا مُطْرَبًا
 وَخَافَنِي مَنْ لَا أُسْمِيهِ مِنْ
 شَحَّ أَخَافُ الدَّهْرَ أَنْ يُسْلِبَا
 قَدْ أَتْرَعَ^(٢) الْكَأْسَ وَحَيَا بِهَا
 وَقُلْتُ أَهْلًا بِالْعَنَى مَرْحَبًا
 أَهْلًا وَسَهْلًا بِالَّذِي شِئْتُهُ يَا بَدْرِيَّ مُهْدِيَا كَوْكَبَا
 لَكِنِّي آلَيْتُ أُسْقِي بِهَا أَوْ تُودِعْنَهَا ثَغْرَكَ الْأَشْنَبَا^(٣)
 فَمَجَّ لِي^(٤) فِي الْكَأْسِ مِنْ ثَغْرِهِ
 مَا حَبَّبَ الشُّرْبَ وَمَا طَيَّبَا

ولدته وخافت عليه فرعون أن يجعله في تابوت ثم تقذفه في اليم وهو نهر النيل ، وقال تعالى : « فليلقه اليم بالساحل » فجعل له ساحلا ، وهولفظ معرب (١) فصلت بينها وتفاوتت أصواتها واختلفت نغماتها (٢) ملاها حتى فاضت (٣) أي أقسمت أن لا أشربها حتى تمزجها برضاب ثغرك ، والشنب ماء ورقة تجرى على الثغر مع برد وعذوبة في الفم (٤) مجج الشراب من فيه ألقى به ، ومجج بريقه اذا لفظه. وحقيقة المج طرح المائع من الفم فاذا

وَقَالَ هَا لَثْمِي نُقْلًا وَلَا تَشْمُ إِلَّا عَرَفِي^(١) الْأَطْيَبَا
وَأَقْطَفُ بِخَدِّي الْوَرْدَ وَالْآسَ وَالْذَّ

نَسْرِينَ لَا تَحْفِلُ بِزَهْرِ الرُّبَا
أَسْعِفْتُهُ غُصْنًا غَدَا مُشِيرًا وَمِنْ جَنَاهُ مَيْسُهُ قَرَبَا
قَدْ كُنْتُ ذَا نَهْيٍ وَذَا إِمْرَةٍ حَتَّى تَبْدَى فَحَلَلْتُ الْحَبَا^(٢)
وَلَمْ أَصْنُ عَرْضِي فِي حُبِّهِ وَلَمْ أُطِيعْ فِيهِ الَّذِي أَنَبَا
حَتَّى إِذَا مَا قَالَ لِي حَاسِدٌ

تَرْجُوهُ وَالْكَوْ كَبَّ أَنْ يَقْرُبَا^(٣)

أَرْسَلْتُ مِنْ شِعْرِي سِجْرًا لَهُ

يَسْرُ الْمَرْغَبَ وَالْمَطْلَبَا^(٤)

فَقَالَ عَرَفُهُ بِأَنِّي سَاحُ تَالُ فَمَا أَجْتَنِبُ الْمَكْتَبَا^(٥)

لم يكن مافي الفم مائعا قيل « لفظ » وقد يستعمل المج في غير المائع مجازا،
نحو هذا كلام تمجده الاسماع بتشبيه اللفظ بالماء والاذن بالفم « لأن كلا
منهما حاسة مدركة » (١) الرائحة الذكية . « أحمد يوسف نجاني »
(٢) حل الحبوة كناية عن الانبساط وترك التوقر ، وعن استخفاف شيء
للرء واستفزازه اياه ، وسبق شرح الاحتباء ، وفلان لا تحل حبوته أي انه
حليم غير طائش ، ورزين ثابت (٣) في الاصل « يغرب » والغرض ان
رجاءه محبوبه كرجاء الكوكب أن يدنومنه ، كناية عن البعد وعزة المطلب
(٤) أراد أن يؤثر فيه بشعره ويرقيه بتأثيره وغزله (٥) أثرت رقية الشيطان

فزَادَ فِي شَوْقِي لَهُ وَعَدُهُ وَلَمْ أَزَلْ مُقْتَعِدًا^(١) مَرْقَبًا
 أَمْدُ طَرْفِي ثُمَّ أَثْنِيهِ مِنْ
 خَوْفِ أَخِي التَّنْغِيصِ أَنْ يَرْقُبَا
 أَصَدَّقُ الْوَعْدَ ، وَطَوْرًا أَرَى
 تَكْذِيبَهُ ، وَالْحَرْ لَنْ يَكْذِبَا
 أَتَى وَمَنْ سَخَّرَهُ بَعْدَ مَا أَيَّاسَ بَطْنًا كَادَ أَنْ يُغْضِبَا
 قَبَّلْتُ فِي التُّرْبِ ، وَلَمْ أَسْتَطِعْ
 مِنْ حَصَرٍ^(٢) اللَّقِيَا سِوَى مَرْحَبَا
 هَنَأْتُ رَبِّي إِذْ غَدَا هَالَةً
 وَقُلْتُ يَا مَنْ لَمْ يُضِغْ أَشْعَبًا^(٣)
 بِاللَّهِ مِلْ مُعْتَنِقًا لَائِمًا
 فَمَالَ كَالْغُصْنِ ثَنَّتُهُ الصَّبَا

(١) في الأصل « معتقدا » واقتعده أى جعله مقعدا يجلس عليه، والمرقب:
 المكان المرتفع (٢) حصر « كفرح » العجز عن القول والعى في المنطق
 لسبب من خجل أو نحوه (٣) الربع المنزل ، والهالة دائرة القمر ، وأشعب
 ابن جبير مولى عبد الله بن الزبير من أهل المدينة يضرب به المثل في
 الطمع وهو مشهور « أحمد يوسف نجاتي »

فَقَالَ مَا تَرْغَبُ؟ قُلْتُ أَتَيْدُ
أَدْرَكْتُ إِذْ كَلَّمْتَنِي الْمَرْغَبَا^(١)
فَقَالَ: لَا مَذْهَبَ^(٢) عَنْ ذِكْرِ مَا
تَرْغَبُهُ، قُلْتُ: إِذَنْ مَرَّ كَبَا
وَكَانَ مَا كَانَ، فَوَاللَّهِ مَا ذَكَرْتُهُ دَهْرِي أَوْ أُغْلِبَا^(٣)
وَسَتَأْتِي هَذِهِ الْقَصِيدَةُ بِكَمَالِهَا فِي جُمْلَةٍ مِنْ نَظْمِ
أَبْنِ سَعِيدٍ الْمَذْكُورِ. وَقَالَ يَتَشَوَّقُ إِلَى إِشْبِيلِيَّةَ - وَهِيَ
جَمْعُ الْأَنْدَلُسِ:

تشوق نور الدين
الى اشبيلية

أَنْ أُلْحِيجُ وَغَتِ الْوَرَقَاءُ
هَلْ بُرَّحَا إِذْ هَاجَتِ الْبُرَحَاءُ^(٤) ؟

(١) اتشد: تأن وتمهل، قالت الخنساء :
فتى كان ذا حلم رزين وتؤدة اذا ما الحبا من طائف الجمل حلت
والبيت مثال لقولهم « حل حبوته » وتؤدة أصلها وأدة من مادة « وأد »
وفي بعض النسخ « المأربا » بدل « المرغب » آخر البيت « أحمد يوسف نجاتي »
(٢) أى لا معدل عنه ولا فرار منه ، وفي الأصل « لا مرغب » (٣) من
قول ابن المعتز :

وكان ما كان مما لست أذكره فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر
(٤) الورقاء الحمامة « والأوراق الذي لونه لون الرماد فيه سواد » قال :
وما أهاج هذا الشوق غير حمامة من الأوراق حمام الجناح بكور

أَنَا مِنْكُمْ أَوْلَى بِحِلْيَةِ عَاشِقٍ
أَفْنَى وَمَا نَمَّتْ بِي الصُّعْدَاءُ^(١)
أَخْشَى الْوُشَاةَ فَمَا أَفْوَهُ بِلَفْظَةٍ
وَالَكُمْ عِنْدَ الْعَاشِقِينَ عَنَاءٌ
لَوْ لَا تَشَوُّقُ أَرْضِ حِمَصٍ مَا جَرَى
دَمْعِي، وَلَا شَمِيتَ بِي الْأَعْدَاءُ
لَمْ أَسْتَطِعْ كِتْمَانَهُ فَكَأَنِّي
مَا كَانَ لِي كَتْمٌ وَلَا إِخْفَاءُ
وَالْبَدْرُ مَهْمَا رَامَ كَتْمًا مِنْ سَرَى
فِيهِ يَنْمُ عَلَى سُرَاهُ ضِيَاءُ

وبرح به الأمر إذا جهده وألح عليه فهو مبرح به من البرح وهو الشدة والأذى والعذاب الشديد والمشقة ، ويقال لقي منه برحا بارحا ، وبرحا مبرحا . وبرحاء الحمى وغيرها شدة الأذى وقوة تأثيرها وشدة كربها (١) الحلية الصفة والصورة وما يتحلى به ، والصعداء تنفس ممدود طويل يتوجع منه ، ومنه :

وتنفس الصعداء ليس شكاية مني لحبك يا حياة الناظر
لكن حر هواك آلم مهجتي فرأيت فيه راحة للخاطر

بَلَدٌ مَتَى يَخْطُرُ لَهُ ذِكْرُهُ هَفَاً
 قَلْبِي ، وَخَانَ تَصَبُّرُهُ وَعَزَاهُ^(١)
 مِنْ بَعْدِهِ مَا الصُّبْحُ يُشْرِقُ نُورُهُ
 عِنْدِي ، وَلَا تَتَبَدَّلُ الظُّلُمَاءُ
 كَمْ لِي بِهِ مِنْ ذِي وَفَاءٍ لَمْ يَخُنْ
 عَهْدِي ، وَيَنْمُو بِالْوَدَادِ وَفَاءً
 فَتَرَاهُ إِذَا مَا مَرَّ ذِكْرِي سَائِلاً
 عَنْ حَالِي إِنْ قَلَّتِ الْأَنْبَاءُ
 يُمَسِّي وَيُصْبِحُ فِي تَذَكُّرٍ مُدَّةٍ
 يَرْضَى بِهَا الْإِصْبَاحُ وَالْإِمْسَاءُ
 مَعَ كُلِّ مَبْدُولٍ الْوِصَالِ ، مُنَمَّعٍ
 مِنْ غَيْرِنَا ، تَسْمُو بِهِ الْخِيَلَاءُ^(٢)
 كَالظَّبْيِ ، كَالشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ ، كَالنَّقَا
 كَالْعُصْنِ يَتْنِي مَعْطِفِيهِ رُخَاءً^(٣)

(١) هفا فؤاده اذا ذهب في أثر الشيء ، أو طرب ، وهفا الطائر خفق
 بجناحه وطار (٢) الخيلاء الكبر والاعجاب عن تخيل زينة تتراءى
 للانسان من نفسه (٣) الرخاء: ربح سهلة لينه «أحمد يوسف نجاتي»

يَسْعَى بِرَاحٍ كَالشَّهَابِ ، بِرَاحَةٍ
كَالْبَدْرِ ، وَالْوَجْهَ الْمُنِيرُ ذُكَا^(١)
مَا لَانَ نَحْوُ^(٢) الْوَصْلِ حَتَّى طَالَ مِنْهُ
هُ الْهَجْرُ وَأُتِّصَلَتْ بِهِ الْبَلَوَاءُ
خَيْرُ الْمَحَبَّةِ مَا تَأْتَتْ عَنْ قَلِيٍّ^(٣)
تُدْرِي بِبُؤْسِ الْفَاقَةِ النِّعْمَاءُ
مَا زِلْتُ أَرْقِي بِالْقَرِيضِ جُنُونَهُ
حَتَّى اسْتَكَانَ ، وَكَانَ مِنْهُ إِبَاءٌ^(٤)
فَظَفَرْتُ مِنْهُ بِمُدَّةٍ لَوْ أَنَّهَا
دَامَتْ لَدَامَتْ لِي بِهَا السَّرَاءُ
صَفْوُهُ تَكَدَّرَ بِالتَّحَرُّكِ ، لَيْتَهُ
مَا زَالَ ، لَكِنْ لَا يُرَدُّ قَضَاءُ

(١) ذكاء اسم للشمس « معرفة لا تدخلها الألف واللام » وابن ذكاء الصبح ،
وهو من ذكت النار تذكو إذا اشتعلت (٢) في الأصل « تحت » (٣) القلي
البغض والعداوة والكراهة (٤) استكان خضع وسكن وانتقاد ، والاباء التمتع
والنفار ، وتقدم لابن سعيد في قصيدته مثل هذا المعنى من أنه يجعل
الشعر وسيلة لاستمالة من يهواه « أحمد يوسف نجاتي »

إِنَّ الْفِرَاقَ هُوَ الْمَنِيَّةُ ، إِنَّمَا
 أَهْلُ النَّوَى مَاتُوا وَهُمْ أَحْيَاءُ
 لَوْلَا تَذَكُّرُ لَذَّةٍ طَابَتْ لَنَا
 بِذَرَى^(١) الْجَزِيرَةِ حَيْثُ طَابَ هَوَاءُ
 وَجَرَى النَّسِيمُ عَلَى الْخَلِيجِ مُعْطَرًا
 وَتَبَدَّدَتْ فِي الدَّوْحَةِ الْأَنْدَاءُ
 مَا كَابَدَتْ نَفْسِي أَلِيمَ تَفَكُّرٍ
 أَلْوَى بِهِ عَنْ جَفْنِي الْإِغْضَاءِ^(٢)
 يَأْنِزُ حِمَاضٍ لَا عَدَتِكَ مَسْرَّةً
 مَا يَسِيلُ لَدَيْكَ أَمْ صَهْبَاءُ^(٣) ؟
 كُلُّ النُّفُوسِ تَهَشُّ فَيْكَ ، كَأَنَّمَا
 جَمَعَتْ عَلَيْكَ شَتَاتَهَا^(٤) الْأَهْوَاءُ

(١) الذرا : الظل والستر والكنف والكن ، يقال أنا في ظل فلان وفي ذراه أى في كنفه وستره وحماه (٢) وفي نسخة « الاغفاء » أى النوم ، وألوى به التفكير عن جفنه أى ذهب به وأبعده ، وألوى برأسه أمال وأعرض (٣) لا عدتك أى لا تجاوزتك ولا فارقتك (٤) الشتات المتفرق المختلف ، يعنى أن الأهواء المختلفة واليول المتفرقة والأغراض المتباينة أجمعت كلها متفقة على الارتياح إليه والسرور به «أحمد يوسف نجاتي»

وَدَّى إِلَيْكَ مَعَ الزَّمَانِ مُجَدِّدٌ

مَا إِنْ يَحُولُ تَذَكُّرٌ وَعَنَاءٌ

وَلَوْ أَنَّي لَمْ أُحْيِ ذِكْرًا لِلَّذِي

أَوْلَيْتُهُ مَا كَانَ فِي حَيَاةٍ

مَا كُنْتُ أَطْمَعُ فِي الْحَيَاةِ لَوْ أَنَّي

أَيَقَنْتُ أَنْ لَا يُسْتَرَدُّ^(١) لِقَاءُ

غَيْرِي إِذَا مَا بَانَ حَانَ^(٢) ، وَإِنَّمَا

أَبْقَى حَيَاتِي حِينَ بَنْتُ^(٣) رَجَاءُ

وَسَيَاتِي - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - لِهَذَا النَّمَطِ وَغَيْرِهِ

مَزِيدٌ فِي أَثْنَاءِ الْكِتَابِ بِحَسَبِ مَا اقْتَضَتْهُ الْمُنَاسَبَةُ ، وَاللَّهُ

تَعَالَى الْمَرْجُو فِي حُسْنِ الْمَتَابِ^(٤) ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

الْمَوْفَّقُ لِلصَّوَابِ .

(١) أن هنا مخففة من أن «الثقيلة» لأنها مسبوقه «بأيقن» ولذا رفع

المضارع بعدها (٢) هلك وقضى عليه ، وبان : بعد وفارق (٣) في الأصل

«بان» وهو تحريف ظاهر (٤) لعلها «المتاب» «أحمد يوسف نجاتي»

﴿ انتهى الجزء الخامس من كتاب تفح الطيب ﴾
ويليه الجزء السادس إن شاء الله وأوله

﴿ الباب الخامس ﴾

في التعريف ببعض من رحل من الأندلسيين الى بلاد المشرق

حقوق الطبع محفوظة للمترجم

الدكتور احمد فريد رفاعي

جميع النسخ موهورة بتوقيع ناشره

فهرست

الجزء الخامس من كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب

الموضوع	الصفحة	
	من	الى
كلمة العماد الأصفهانى	٣	٤
وصف مسجد قرطبة	٥	١٢
» منارة مسجد قرطبة	١٢	٢٠
» ابراهيم الولينى لجامع قرطبة	٢١	٣٣
اعتماد عمل قرطبة بالمغرب	٣٣	٤٠
مدن قرطبة قاعدة بلاد الأندلس	٤٠	٤٢
قنطرة قرطبة	٤٣	٥١
مصحف عثمان بن عفان رضى الله عنه	٥١	٥١
مدينة الزهراء ومسجدها	٥١	٥٦
قصر الزهراء	٥٦	٨١
خلافة المهدي وزوال دولة بنى عامر	٨١	٨٤
وصف ابن خلدون لمدينة الزهراء	٨٤	٨٥
مدينة الزاهرة . وفي العنوان الزهراء وهو تحريف	٨٥	٨٧
زول المنصور بالزاهرة واستبداده بالحكم	٨٧	٩٢
وصف قصر العاصرية	٩٢	١١١

٢ فهرست الجزء الخامس من كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب

الموضوع	الصفحة	
	من	الى
وفاة المنصور وقيام سنجول بالأمر	١١١	١١٦
طرق من أخبار المنصور	١١٦	١١٨
الحاجب جعفر المصحفي	١١٨	١٢٨
مفاخر المنصور	١٢٩	١٣٠
مآثر المنصور	١٣٠	١٣٣
كتاب عبد الله بن يوسف الى المنصور بن أبي عامر	١٣٣	١٤١
سجن جعفر المصحفي	١٤١	١٤٨
شيء من شعر جعفر المصحفي	١٤٨	١٥١
المصحف العثماني بقرطبة	١٥٢	١٦١
كيف وصل المصحف الى دولة الموحدين	١٦١	١٧٥
انتخاب كسوة المصحف	١٧٥	١٨٤
بناء المسجد الجامع	١٨٤	١٨٦
وداع أهل قرطبة	١٨٦	١٨٧
حديث أبي الحسن الأشعري القرطبي	١٨٧	١٩١
المنصور والجارية	١٩١	١٩٢
الرشيد والجارية	١٩٢	١٩٥
أبو المغيرة عبد الوهاب بن حزم	١٩٥	١٩٩
أبو عامر احمد الأشجعي	٢٠٠	٢٠٤
الوزير أبو الحسين بن سراج	٢٠٤	٢١٠
رقعة المعتمد	٢١٠	٢١٨

فهرست الجزء الخامس من كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ٣

الموضوع	الصفحة	
	من	الى
مجالس الأنس بمتنزهات قرطبة	٢١٩	٢٢٠
التعريف بالوزير أبي الوليد بن زيدون - وفي العنوان	٢٢٠	٢٣٣
الوزير ابن السراج وهو خطأ		
موشحة ابن الوكيل	٢٣٣	٢٣٧
قصيدة أبي بكر بن القبطرنة	٢٣٨	٢٤٥
شهرة بني القبطرنة بالأندلس	٢٤٥	٢٤٦
ولع المتوكل بمنية البديع	٢٤٦	٢٥١
استقبال أبي الحسن ذي الوزارتين ابن اليعسم	٢٥١	٢٥٢
كتاب المستقبلين الى ذي الوزارتين ورده	٢٥٢	٢٥٣
وصف الأندلسيين لغاني الأندلس	٢٥٣	٢٥٨
زواج المستعين بنت وزيره	٢٥٨	٢٥٩
كتاب الوزير أبي الفضل الى ابن طاهر	٢٥٩	٢٦١
وصف الوزير لبعض نزه المستعين	٢٦١	٢٦٥
وصف الوزير لأبي محمد البطليوسي في مجلس الناعورة	٢٦٥	٢٦٨
وصف آخر للمجلس	٢٦٨	٢٦٩
وصف آخر للمجلس	٢٦٩	٢٨٧
وصف مجلس لأبي عيسى ابن لبون	٢٨٧	٢٩٢
التعريف بابن المطار	٢٩٢	٢٩٤
وصف يوم ركوب النهر	٢٩٥	٢٩٧
وصف عشية أنس	٢٩٧	٢٩٨

٤ فهرست الجزء الخامس من كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب

الموضوع	الصفحة	
	من	الى
ما قيل في ترجمة ابن عمار	٢٩٨	٣٠٦
رائية ابن عمار في مدح المعتضد	٣٠٧	٣١٥
التعريف بابن وهبون	٣١٥	٣١٨
وصف الفتى لنية المنصور	٣١٨	٣٢٠
وصف علي بن أحمد لمجلس منية المنصور	٣٢٠	٣٢٤
وصف زهرة ببعض متزهات الأندلس	٣٢٤	٣٢٩
الرازي بالله بن عباد	٣٢٩	٣٣٥
المتوكل بن الأفطس	٣٣٥	٣٣٨
عدي بن زيد يصف صنعاء . والصحيح أنه يزيد بن معاوية	٣٣٩	٣٤٤
وصف روض	٣٤٤	٣٤٦
التعريف بالمعتمد بن صمدح	٣٤٦	٣٤٨
التعريف بابن رزين	٣٤٨	٣٥٤
وصف روضة	٣٥٤	٣٥٦
التعريف بابن طاهر	٣٥٧	٣٥٩
التعريف بابن عمار	٣٦٠	٣٦١
وصف قصر شيده خلفاء بني أسية	٣٦١	٣٦٢
التعريف بنى الوزارتين ابن لبون	٣٦٢	٣٦٤
التعريف بأبي بكر بن رحيم	٣٦٥	٣٦٦
التعريف بأبي محمد بن عبدون	٣٦٦	٣٦٩
التعريف بالوزير أبي محمد بن مالك	٣٦٩	٣٧١

فهرست الجزء الخامس من كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ٥

الموضوع	الصفحة	
	من	الى
التعريف بأبي القاسم بن السقاط	٣٧١	٣٧٤
التعريف بالقاضي أبي الحسن بن أضحي	٣٧٤	٣٧٧
التعريف بأبي اسحاق بن خفاجة	٣٧٨	٣٨٠
رسالة بتهنئة بعض ملوك الأندلس	٣٨٠	٣٨٢
التعريف بالفقيه عبد الحق بن عطية	٣٨٢	٣٨٨
تفوق أبي اسحاق بن خفاجة في الوصف	٣٨٨	٣٩١
مدح أبي اسحاق للأmir أبي يحيى	٣٩١	٤٠٨
وصف متنزه	٤٠٨	٤٢٣
تنزه المعتمد بن عباد بوادي الطلح	٤٢٣	٤٢٨
تشوق نور الدين الى اشبيلية	٤٢٨	٤٣٣

مطبعة عانت دار المأهون

الوقت من ذهب
الرسول المبرر برفق

مكتبة الفتاة والثقافة مدير صحف الصحافة والنشر والثقافة العامة

الأدبيات المصرية

سلسلة المصادر العربية

فتح الطب

تأليف العلامة أحمد المقرئ المغربي المالكي الأشعري

مضبوطة ومشروحة ومعلقة عليها

راجعت وزارة المعارف العمومية هذا الكتاب

الجزء السادس

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

طبع بمطبعة عيسى الباني الحلبي وشركاه بمصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ أَمَّا بَعْدُ
فَقَدْ قَالَ الْعَمَادُ الْأَصْفَحَانِي

إِنِّي رَأَيْتُ أَنَّهُ لَا يَكْتُوبُ إِنْسَانٌ كِتَابًا بَانِي يَوْمِهِ إِلَّا قَالَ
فِي غَدِهِ : لَوْ غُيِّرَ هَذَا الْكَانَ أَحْسَنَ ، وَلَوْ زِيدَ كَذَا الْكَانَ يُسْتَحْسَنُ ،
وَلَوْ قُدِّرَ هَذَا الْكَانَ أَفْضَلَ ، وَلَوْ تَرِكَ هَذَا الْكَانَ أَجْمَلَ ، وَهَذَا
مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَرِ ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى اسْتِيلَاءِ النَّقْصِ عَلَى جُمْلَةِ
الْبَشَرِ .

الْعَمَادُ الْأَصْفَحَانِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿البَابُ الْخَامِسُ﴾

التعريف ببعض
من رحل من
الأندلسيين
الى المشرق

فِي التَّعْرِيفِ بَعْضِ مَنْ رَحَلَ مِنَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ إِلَى
بِلَادِ الْمَشْرِقِ الزَّاكِيَةِ الْعَرَارِ وَالْبَشَامِ^(١) ، وَمَدْحِ
جَمَاعَةٍ مِنْ أَوْلِيكَ الْأَعْلَامِ ، ذَوِي الْعُقُولِ الرَّاجِحَةِ

(١) تقدم وصف العرار ، وأنه هو النرجس البري واحدته عرارة ، قال الأعشى
بيضاء غدوتها وصف راء العشية كالعراره

« معناه أن المرأة الناصعة البياض الرقيقة البشرة تبيض بالغداة أول النهار
وأثناءه بياض الشمس وتصفّر صفرة مليحة بالعشي باصفرار شمس الأصيل »
والبشام شجر عطر الرائحة طيب الطعم ذو ساق وأفنان وورق صغار أكبر
من ورق الصعتر ولا ثمر له وإذا قطعت ورقته أو قصف غصنه بض لبنا
أبيض ، وكانوا يدقون ورقه ويخلط بالحناء ويجعل خضابا يسود الشعر
كما كانوا يستأكون بقضبه ، قال جرير :

أتذكر يوم تصقل عارضها بفرع بشامة سقى البشام

أى أنها أشارت بسوا كهها فكان ذلك وداعها ، ولم تنطق خيفة الرقباء .
« أحمد يوسف نجاشي »

وَالْأَخْلَامِ ، لِشَامَةِ^(١) وَجَنَةِ الْأَرْضِ دِمَشْقِ الشَّامِ ، وَمَا
اُقْتَضَتْهُ الْمُنَاسَبَةُ مِنْ كَلَامِ أَغْيَانِهَا وَأَرْبَابِ بَيَانِهَا ذَوِي
السُّوْدُدِ وَالْإِحْتِشَامِ . وَمُخَاطَبَاتِهِمْ لِلْفَقِيرِ الْمُؤَلَّفِ حِينَ حَلَّهَا
سَنَةِ أَلْفٍ وَسَبْعٍ وَثَلَاثِينَ لِلْهِجْرَةِ وَشَاهِدَ بَرَقَ فَضْلِهَا
الْمُبِينِ وَشَامِ^(٢) .

إِغْلَمْ - جَعَلَنِي اللَّهُ تَعَالَى وَإِيَّاكَ مِمَّنْ لَهُ لِلْمَذْهَبِ الْحَقِّ
اُنْتِحَالَ - أَنْ حَضَرَ أَهْلَ الْإِرْتِحَالِ ، لَا يُمَكِّنُ بَوَجْهِ وَلَا بِحَالٍ
وَلَا يَعْلَمُ ذَلِكَ عَلَى الْإِحَاطَةِ إِلَّا عِلَامُ الْغُيُوبِ الشَّدِيدُ
الْمِحَالِ^(٣) وَلَوْ أَطْلَقْنَا عِنَانَ الْأَقْلَامِ ، فِيمَنْ عَرَفْنَاهُ فَقَطُّ
مِنْ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءِ الْأَعْلَامِ ، لَطَالَ الْكِتَابُ وَكَثُرَ
الْكَلَامُ ، وَلَكِنَّا نَذْكُرُ مِنْهُمْ لَمَعًا عَلَى وَجْهِ التَّوَسُّطِ

(١) متعلق «بمدح» قبله معمولاً لها (٢) نظر (٣) المحال: القوة والكيد والتدبير

والسكر بالحق، وبذلك فسر قوله تعالى: «وهو شديد المحال»، وقول الأعشى:

فرع نبع يهتز في غصن الحجد عزيز الندى شديد المحال

أى شديد القوة والسكر عظيم القدرة، والمحال أيضا: العذاب والعقاب

والمجدال «والمباحلة» وبذلك فسرت الآية أيضا، وقرئ المحال بفتح الميم

أى شديد الحول عظيم القدرة. والله أعلم. «أحمد يوسف نجاتي» .

مِنْ غَيْرِ إِطْنَابٍ دَاعٍ إِلَى الْمَلَالِ وَأَخْتِصَارٍ مُؤَدٍّ لِلْمَلَامِ،
فَنَقُولُ ، مُسْتَمِدِّينَ مِنْ وَاهِبِ الْعُقُولِ :

* *

« مِنْهُمْ عَالِمُ الْأَنْدَلُسِ عَبْدُ الْمَلِكِ * بْنُ حَبِيبِ السَّامِيِّ »
وَقَدْ عَرَّفَ بِهِ الْقَاضِي عِيَّاضٌ فِي الْمَدَارِكِ وَغَيْرُ وَاحِدٍ ،

عبد الملك بن
حبيب السلمي

* ترجم له في تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي « ج ١ ص ٢٢٥ »
ترجمة طويلة يجتري منها بما يأتي :

عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن بطلهمة بن عباس بن
مرداس السلمي يكنى أبا مروان .

كان بألبيرة وسكن قرطبة ، وقد قيل انه من موالى سليم ، روى عن
صعصة بن سلام والغازي بن قيس وزباد بن عبدالرحمن ، ورحل فسمع
من عبد الملك بن الماجشون وكثير غيره ، وانصرف الى الأندلس وقد
جمع علما عظاما ، وكان مشاورا مع يحيى بن يحيى وسعيد بن حسان ،
وكان حافظا للفقهاء على مذهب المدنيين نبيلافيه ، وله مؤلفات في الفقه
والتواريخ والآداب كثيرة حسان ، منها الواضحة لم يؤلف مثلها ، والجوامع
وكتاب فضل الصحابة رضي الله عنهم ، وكتاب غريب الحديث ، وكتاب
تفسير الموطأ ، وكتاب حروب الاسلام ، وكتاب المسجدين ، وكتاب
سيرة الامام في الملحين ، وكتاب طبقات الفقهاء والنابعين ، وكتاب
مصاييح الهدى ، وغير ذلك من كتبه المشهورة . قال أحمد : وذكر أنه
سئل ابن الماجشون من أعلم الرجلين عندك ؟ القروى التنوخى أم الأندلسي
السلمي ؟! فقال السلمي مقدمه علينا أعلم من التنوخى منصرفه عنا ،
ثم قال للسائل : أفهمت ؟ قال : نعم - يعني سحنونا وعبد الملك - وأخبرنا عبيد

وَرَأَيْتُ فِي بَعْضِ التَّوَارِيخِ أَنَّ تَوَالِيْفَهُ بَلَغَتْ أَلْفًا ، وَمِنْ أَشْهَرِهَا كِتَابُ الْوَاضِحَةِ فِي مَذْهَبِ مَالِكٍ كِتَابٌ كَبِيرٌ مُفِيدٌ ، وَلِابْنِ حَبِيبٍ مَذْهَبٌ فِي كُتُبِ الْمَالِكِيَّةِ مَسْطُورٌ وَهُوَ مَشْهُورٌ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْمَشْرِقِ ، وَقَدْ نَقَلَ عَنْهُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ وَصَاحِبُ الْمَوَاهِبِ وَغَيْرُهُمَا . وَمِنْ نَظْمِهِ يُخَاطَبُ سُلْطَانُ الْأَنْدَلُسِ :

الله بن محمد قال أخبرنا عثمان بن عبد الرحمن قال أخبرنا ابن واضح قال سمعت أبا زيد بن أبي الغمر بالفسطاط يقول : لم يقدم إلينا ههنا أحد أفقه من سحنون ، إلا أنه قدم علينا من هو أطول لساناً منه - يعني ابن حبيب - وكان عبد الملك بن حبيب رحمه الله نحويًا عروضيًا شاعرًا حافظًا للأخبار والأنساب والأشعار طويل اللسان متصرفًا في فنون العلوم ، روى عنه مطرف بن قيس وبقى ابن مخلد وابن واضح ويوسف بن يحيى المغامى (١) في جماعة كان المغامى آخرهم موتًا ، وتوفي عبد الملك بن حبيب - رحمه الله - في أول ولاية الأمير محمد - رحمه الله - سنة ثمان وثلاثين ومائتين ، أخبرني بذلك أبو محمد الباجي وغيره ، ذكره أحمد ، وقال لنا أبو الحسن مجاهد بن أصبغ قال لما سعيد بن خفون : مات عبد الملك بن حبيب يوم السبت لأربع ليال مضين من شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين ومائتين . أخبرني بذلك ختنة أبو عبد الله محمد بن قمر الزاهد الفقيه - رحمه الله - وكانت علة الحصا ، مات وهو ابن أربع وستين سنة

(١) هو أبو عمر يوسف بن يحيى المغامى « نسبة إلى مغامة بلد بالأندلس » الفقيه العلامة الأندلسي واستوطن القيروان ، وله تصانيف منها كتاب في الرد على الشافعي توفي سنة ٢٨٨ . « أحمد يوسف نجاشي » .

لَا تَنْسَ - لَا يَنْسَكَ الرَّحْمَنُ - عَاشُورَا
وَأَذْكُرْهُ لَا زِلْتَ فِي التَّارِيخِ مَذْكُورَا
قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ تَسْمَلُهُ
قَوْلًا وَجَدْنَا عَلَيْهِ الْحَقَّ وَالنُّورَا
فِيَمَنْ يُوسِّعُ فِي إِنْفَاقٍ مُوسِمِهِ

أَلَا يَزَالُ بِذَلِكَ الْعَامِ مَيَسُورَا ^(١)

وَهَذَا الْبَيْتُ الثَّلَاثُ نَسِيتُ لَفْظَهُ فَكَتَبْتُهُ بِالْمَعْنَى
وَالْوَزْنَ ، إِذْ طَالَ عَهْدِي بِهِ . وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ . وَقَالَ الْفَتْحُ
فِي الْمَطْمَحِ : الْفَقِيهَ الْعَالِمُ أَبُو مَرْوَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ
حَبِيبِ السُّلَمِيِّ ، أَيْ شَرَفٍ لِأَهْلِ الْأَنْدَلُسِ وَأَيْ مُفَخَّرٍ ، وَأَيْ
بَحْرٍ بِالْعُلُومِ يَزْخَرُ ^(٢) ، خَلَدَتْ مِنْهُ الْأَنْدَلُسُ فَقِيهَاً عَالِمًا
أَعَادَ مَجَاهِلَ أَهْلِهَا مَعَالِمًا ، وَأَقَامَ فِيهَا لِلْعُلُومِ أَسْوَاقًا نَافِقَةً ^(٣) ،
وَنَشَرَ مِنْهَا الْوَيْةَ خَافِقَةً ، وَجَلَا عَنْ الْأَلْبَابِ صَدَأُ الْكَسَلِ ،
وَشَحَذَهَا شَحَذَ الصَّوَارِمِ وَالْأَسَلِ ^(٤) ، وَتَصَرَّفَ فِي فُنُونِ
الْعُلُومِ ، وَغَرَفَ كُلَّ مَعْلُومٍ ، وَسَمِعَ بِالْأَنْدَلُسِ وَتَفَقَّهَ ،

(١) أَظَنَّهُ انْتَهَزَ فُرْصَةَ يَوْمِ عَاشُورَاءَ وَذَكَرَ السُّلْطَانُ بِمَطْلَبِ لَهُ
وَأَشَارَ إِلَى مَا يُوَثِّرُ مِنَ التَّوَسُّعِ فِي النِّفْقَةِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ (٢) يَزْخَرُ : يَعْلُو
وَيُضْطَرِّبُ وَيَرْتَفِعُ مُوجُهُ (٣) رَائِجَةٌ (٤) الصَّوَارِمُ : السُّيُوفُ ،

حَتَّى صَارَ أَعْلَمَ مَنْ بِهَا وَافَّقَهُ ، وَلَقِيَ أَنْجَابَ^(١) مَالِكٍ ، وَسَلَكَ
 مِنْ مُنَازَرَتِهِمْ أَوْعَرَ الْمَسَالِكِ ، حَتَّى أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْإِتِّفَاقُ ،
 وَوَقَعَ عَلَى تَفْضِيلِهِ الْإِصْفَاقُ^(٢) ، وَيُقَالُ إِنَّهُ لَقِيَ مَالِكًا
 آخِرَ عُمرِهِ وَرَوَى عَنْهُ « عَنْ رِبِيعَةَ » عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ^(٣)
 أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ - كَانَ يَرْكَبُ إِلَى
 بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَيَتَغَدَّى بِهِ ، ثُمَّ يَعُودُ فَيَتَعَشَّى بِإِصْطَخَرِ^(٤) ،
 وَلَهُ فِي الْفِقْهِ كِتَابُ الْوَاضِحَةِ ، وَمِنْ أَحَادِيثِهِ غَرَائِبُ ،
 قَدْ تَحَلَّتْ بِهَا لِلزَّمَانِ نُحُورُ تَرَائِبِ^(٥)

والأنسل الرماح (١) جمع نجيب وهو الرجل الكريم الحبيب الفاضل
 ونجيب « ككرم » اذا كان نفيسا فاضلا في نوعه ، وفي نسخة « أصحاب »
 (٢) الاصفاق : الاجماع (٣) هو سيد التابعين ، جمع بين الحديث والفقہ
 والزهد والعبادة والورع ، توفي بالمدينة سنة ١٠١ وكان مولد الامام مالك
 رضى الله عنه سنة ٩٥ فلم يرو عن سعيد بن المسيب ، ولهذا آثرت زيادة
 « عن ربيعة » نقلا عن بعض المراجع وهو ربيعة بن أبي عبد الرحمن
 فروخ المعروف بربيعة الرأي ، فقيه أهل المدينة ، وعنه أخذ مالك ، وتوفي
 سنة ١٣٦ بالهاشمية - وهي مدينة بناها السفاح بأرض الأنبار وكان يسكنها
 ثم انتقل الى الأنبار - رحمه الله تعالى . « أحمد يوسف نجاتي » .
 (٤) بلدة بفارس ، كانت من أعيان حصون فارس ومدنها وكورها ، ومن
 أقدم مدنها وأشهرها ، وبها كان مسكن ملك فارس حتى تحول أردشير الى
 جور ، وبها مسجد يعرف بمسجد سليمان عليه السلام (٥) الترائب : عظام الصدر

* *

عبد الملك
بن حبيب

« وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ لُبَابَةَ ^(١) : فَقِيهُ الْأَنْدَلُسِ عِيسَى
ابْنُ دِينَارٍ ^(٢) ، وَعَالِمُهَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ حَبِيبٍ ، وَرَأْوِيهَا ^(٣)
يَحْيَى بْنُ يَحْيَى . وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ قَدْ جَمَعَ إِلَى عِلْمِ الْفِقْهِ
وَالْحَدِيثِ عِلْمَ اللُّغَةِ وَالْإِعْرَابِ ، وَتَصَرَّفَ فِي فُنُونِ
الْآدَابِ ، وَكَانَ لَهُ شِعْرٌ يَتَكَلَّمُ بِهِ مُتَجَرِّراً ^(٤) ، وَيُرَى ^(٥)
يَنْبُوْعُهُ بِذَلِكَ مُتَفَجِّراً . وَتُوفِيَ بِالْأَنْدَلُسِ فِي رَمَضَانَ
سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً بَعْدَ
مَا جَالَ ^(٦) فِي الْأَرْضِ ، وَقَطَعَ طُولَهَا وَالْعَرْضَ ، وَجَالَ فِي
أَكْنَافِهَا ، وَأُنْتَهَى إِلَى أَطْرَافِهَا . وَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ :

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن لبابة من أهل قرطبة ، كان
مفتى الأندلس فقيها محدثا أديبا أخباريا شاعرا مؤرخا ، وكان مشاورا
في أيام الأمير عبد الله وأيام أمير المؤمنين الناصر ، توفي سنة ٣١٤ .
« أحمد يوسف نجاتي » (٢) هو أبو عبد الله عيسى بن دينار بن وافر
الغافقي ، أصله من طليطلة وسكن قرطبة ، رحل فسمع من ابن القاسم وعاد
إلى الأندلس فكانت الفتيا تدور عليه لا يتقدمه في وقته أحد ، واتهم
عيسى أيضا يوم الهيج فهرب واستخفى ، ثم أمانه الحكم بن هشام فرجع ،
وكان فقيها محدثا فاضلا عابدا ورعا ، توفي بطليطلة سنة ٢١٢
« أحمد يوسف نجاتي » (٣) ويروى « وعافلها » (٤) في المطمح « سحرا »
(٥) في الأصل « وسرى » (٦) في المطمح « بعد مادوخ الأرض »

قَدْ طَاحَ ^(١) أَمْرِي ، وَالَّذِي أَبْتَغِي
 هَيْنٌ عَلَى الرَّحْمَنِ فِي قُدْرَتِهِ
 أَلْفٌ مِنَ الْحُمْرِ ^(٢) ، وَأَقْلِلُ بِهَا
 لِعَالِمِ أَرْبَى ^(٣) عَلَى بُغْيَتِهِ
 زُرْيَابٌ قَدْ أُعْطِيَهَا جُمْلَةً
 وَحِرْفَتِي أَشْرَفُ مِنْ حِرْفَتِهِ ^(٤)
 وَكَتَبَ إِلَى الزَّجَالِيِّ ^(٥) رِسَالَةً وَصَلَهَا بِهِذِهِ الْأَيَّاتِ :
 كَيْفَ يُطِيقُ الشَّعْرُ مَنْ أَصْبَحَتْ
 حَالَتُهُ الْيَوْمَ كَحَالِ الْفَرْقِ
 وَالشَّعْرُ لَا يَسْلَسُ ^(٦) إِلَّا عَلَى فَرَاحِ قَلْبٍ وَاتِّسَاعِ الْخُلُقِ

(١) ويروى « صلاح حالي » بدل « قد طاح أمرى » (٢) الحمرة :
 الذهب ، يريد ألف دينار (٣) أربى : زاد (٤) يريد زرياب المغنى ومالقي
 في الأندلس من قبول وإقبال ، وقد تقدم التعريف به ، وسيأتى حديث عنه
 (٥) هو الأديب الكاتب والشاعر البليغ محمد بن سعيد الزجالي ، أصله من
 البربر ، وكان يلقب بالأصمعي لقوة ذكائه وكثرة حفظه ، وكان مكيئلا لدى
 الأمير عبد الرحمن بن الحكم « من سنة ٢٠٦ - ٢٣٨ » وله ابن نابه
 يسمى حامدا ، وكان معاصرا للحاجب عيسى بن شهيد الجند الأكبر لدى
 الوزارتين أبي عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد ، وكان كأبيه ذكاء
 وقوة بديهة وسرعة خاطر وحسن جواب ووفرة أدب « أحمد يوسف نجاتي »
 (٦) يسهل تناوله ويلين قياده

فَاقْنَعُ بِهَذَا الْقَوْلِ مِنْ شَاعِرٍ
يَرْضَى مِنَ الْخَطِّ بِأَذْنَى الْعَنْقِ^(١)
فَضْلُكَ قَدْ بَانَ عَلَيْهِ كَمَا
بَانَ لِأَهْلِ الْأَرْضِ ضَوْءُ الشَّفَقِ
أَمَّا ذِمَامُ^(٢) الْوُدِّ مِنِّي لَكُمْ
فَهُوَ مِنَ الْمَحْتُومِ فِيمَا سَبَقُ
وَلَمْ يَكُنْ لَهُ عِلْمٌ بِالْحَدِيثِ يَعْرِفُ بِهِ صَحِيحَةً مِنْ
مُعْتَلَةٍ ، وَيَفْرُقُ مُسْتَقِيمَةً مِنْ مُخْتَلَةٍ ، وَكَانَ غَرَضُهُ الْإِجَازَةُ ،
وَأَكْثَرُ رَوَايَاتِهِ غَيْرُ مُسْتَجَازَةٍ . قَالَ ابْنُ وَضَّاحٍ^(٣) قَالَ
إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ^(٤) أَتَى صَاحِبُكُمْ الْأَنْدَلُسِيَّ^(٥) - يَعْنِي

(١) العنق ضرب من السير ، ويروى « يرضى من الحضر »
والحضر ارتفاع الفرس في عدوه (٢) الذمام : العهد والحرمة وما يجب
على المرء حفظه ويذم بالتفريط فيه (٣) هو الامام الحافظ أبو عبد الله محمد
ابن وضاح بن بزيع مولى الامام عبد الرحمن بن معاوية محدث قرطبة ،
رحل مرتين الى المشرق ، وكان محدثا فاضلا كثير الصلاح والزهد ، وتوفي
سنة ٢٨٦ عن نحو تسعين سنة . روى عن يحيى بن يحيى وعبد الملك بن
حبيب وغيرها « أحمد يوسف نجاتي » (٤) هو أبو اسحق ابراهيم بن
المنذر بن عبد الله بن المنذر بن المغيرة بن عبد الله بن خالد بن حزام
الأسدي الحزامي الدني الحافظ محدث المدينة توفي سنة ٢٣٦ ، وكان أحد كبار
العلماء المحدثين عن مالك « أحمد يوسف نجاتي » (٥) في الأصل « الأندلس »

عَبْدَ الْمَلِكِ هَذَا - بِغِرَارَةٍ مَمْلُوءَةٍ كُتِبًا فَقَالَ لِي : هَذَا
عِلْمُكَ ، تُجِيزُهُ لِي ؟ قُلْتُ لَهُ : نَعَمْ ، مَا قَرَأْتُ عَلَى مِنْهُ حَرْفًا ، وَلَا
قَرَأْتُهُ عَلَيْهِ . وَحُكِيَ أَنَّهُ قَالَ فِي دُخُولِهِ الْمَشْرِقِ - وَحَضَرَ
مَجْلِسَ بَعْضِ الْأَكَابِرِ ، فَازْدَرَاهُ مَنْ رَأَاهُ :

لَا تَنْظُرَنَّ إِلَى جِسْمِي وَقَلْبِي
وَأَنْظُرْ لِيْصْدْرِي وَمَا يَحْوِي مِنَ الشُّنَنِ
فَرُبَّ ذِي مَنْظَرٍ مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ
وَرُبَّ مَنْ تَزْدَرِيهِ الْعَيْنُ ذُو فِطْنٍ
وَرُبَّ لَوْ لَوْءَةٍ فِي عَيْنٍ ^(١) مَرْبَلَةٍ
لَمْ يُلْقَ بِأَلِّهَا إِلَّا إِلَى زَمَنِ

(١) ويروى « في قعر » ومثل هذا ما يحكى عن الحريري وكان دميما
قبيح المنظر أنه جاءه شخص غريب يزوره ويأخذ عنه، فلما رآه افتحمت
عينه واستزرى شكله، ففهم الحريري ذلك منه، فلما التمس منه أن يلقى
عليه قال: اكتب :

ما أنت أول سار غره قمر ورائد أعجبته خضرة الدمن
فاخترا لفسك غيري، انني رجل مثل العيدي فاسمع بي ولا ترفني
نفجل الرجل منه وانصرف . وكان جحظة البرمكي تأتيه العينين قبيح
الوجه ، ولكن كان طيب الغناء ، فقال فيه ابن الرومي :

انتهى ما في المطمح الصغير . قلت أمّا ما ذكره
 من عدم معرفته بالحديث فهو غير مسلم ، وقد نقل
 عنه غير واحد من جهابذة^(١) المحدثين ، نعم لأهل الأندلس
 غرائب لم يعرفها كثير من المحدثين ، حتى إن في شفاء
 عياض أحاديث لم يعرف أهل المشرق النقاد مخرجها
 مع اعترافيهم بحالة حفاظ الأنداس الذين نقلوها . كبقى
 ابن مخلد^(٢) وابن حبيب ، وغيرهما ، على ما هو معلوم .
 وأمّا ما ذكره عنه في الإجازة بما في الغرارة فذلك
 على مذهب من يرى الإجازة ، وهو مذهب مستفيض ،
 وأعتراض من أعترض عليه إنما هو بناء على القول بمنع
 الإجازة ، فأعلم ذلك ، والله سبحانه الموفق .

نبئت جحظة يستعير جحوظة من فيل شطرنج ومن سرطان
 يارحمنا لمناديه ! تحملوا ألم العيون للذة الآذان
 والبيت الثاني حسن « أحمد يوسف نجاني » (١) جمع جهبذ وهو النقاد
 الخبير بغوامض الأمور البارع العارف بطرق النقد ، وهو لفظ معرب
 (٢) ستأتي ترجمته « أحمد يوسف نجاني »

* *

يحيى بن يحيى الليثي « وَمِنْ الرَّاخِلِينَ » مِنَ الْأَنْدَلُسِ الْفَقِيهُ الْمُحَدِّثُ

يَحْيَى بْنُ يَحْيَى اللَّيْثِيُّ رَأَوِيَ الْمُوَطَّأُ عَنْ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ

تَعَالَى عَنْهُ - وَيُقَالُ إِنَّ أَصْلَهُ مِنْ بَرَابِرٍ مَصْمُودَةٍ (١) ، وَحُكِيَ

(١) « مصمودة » قبيلة من البربر بالمغرب كانوا أهل شوكة وعدد ، ويحيى أبو صاحب الترجمة هو أبو عيسى يحيى بن كثير بن وسلاس الليثي ، ووسلاس بربري من مصمودة أسلم على يد يزيد بن عامر الليثي « ليث كنانة » ودخل ابنه كثير الأندلس وولد له يحيى هذا بها ، وخرج إلى الحج فلقى عبد الرحمن بن معاوية في طريقه فدفع إليه كتابا كلفه أن يوصله إلى نساء خلفهن بالشام ، فخرج يحيى وانصرف إلى الشام وتلقى أجوبة الكتب ، وقدم بها على الأمير عبد الرحمن بن معاوية وقد استوسقت له الخلافة بالأندلس ، فأعادته إلى الشام بأمانات ، فأدى أمانته وقدم عليه فشكر وولاه الجزيرة ، ثم ولاه شذونة ، ثم أعاده إلى الجزيرة ، وكان قبره بها معروفا - وابن يحيى صاحب الترجمة محمد بن يحيى بن يحيى بن كثير بن كثير بن حاجب حاجب سحنون بن سعيد بافريقية ، واتي بمصر رجلا من أصحاب مالك فسمع منهم ، وعرف بالفقه والزهد ، وجاور بمكة وتوفي هنالك ، ولما آتى أباه نعيه وجد عليه وجدا شديدا . وابن له آخر هو أبو اسمعيل اسحق ابن يحيى بن يحيى الليثي القرطبي توفي سنة ٢٦١ ، وآخر هو أحمد بن يحيى ابن يحيى ، سمع من ابن وضاح ومن عم أبيه عبد الله وغيرهما ، وكان من جملة المشاورين بقرطبة في أيام الأمير عبد الله بن محمد ، وتوفي سنة ٢٩٧ وآخر هو أبو مروان عبيد الله بن يحيى بن يحيى الليثي ، رحل حاجبا وتاجرا ودخل بغداد فسمع بها . وكان رجلا عاقلا كريما واسع المال والجاه مقدما

أَنَّهُ لَمَّا أُرْتَحَلَ إِلَى مَالِكٍ لَازَمَهُ ، فَيَنِمَا هُوَ عِنْدَهُ فِي مَجْلِسِهِ
مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِذْ قَالَ قَائِلٌ : حَضَرَ الْفِيلُ ، فَخَرَجَ
أَصْحَابُ مَالِكٍ كُلُّهُمْ وَلَمْ يَخْرُجْ يَحْيَى ، فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ :
مَالِكٌ لَمْ تَخْرُجْ وَلَيْسَ الْفِيلُ فِي بِلَادِكَ ؟ فَقَالَ : إِنَّمَا جِئْتُ
مِنْ الْأَنْدَلُسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْكَ وَأَتَعَلَّمَ مِنْ هَدْيِكَ وَعِلْمِكَ ، وَلَمْ
أَكُنْ لِأَنْظُرَ إِلَى الْفِيلِ ، فَأَعْجَبَ بِهِ مَالِكٌ وَقَالَ : هَذَا
عَاقِلٌ الْأَنْدَلُسِ ، وَلِذَلِكَ قِيلَ إِنَّ يَحْيَى هَذَا عَاقِلُ الْأَنْدَلُسِ ،
وَعِيسَى ابْنُ دِينَارٍ فَقِيهٌ ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ حَبِيبٍ عَالِمٌ ،
وَيُقَالُ إِنَّ يَحْيَى رَاوِيَهَا وَمُحَدِّثُهَا . وَتُوفِيَ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى سَنَةَ
أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ فِي رَجَبٍ ، وَقَبْرُهُ يُسْتَسْقَى بِهِ بِقُرْطَبَةٍ

في المشاورة في الأحكام منفردا برياسة البلد غير مدافع. وتوفي سنة ٢٩٨ ،
ومن ذريته أبو عبدالله يحيى بن عبيد الله بن يحيى بن يحيى اللثي ، كان يشاور
مع أبيه ويستفتى. توفي سنة ٣٠٣ وأبو اسمعيل يحيى بن اسحق بن يحيى
ابن يحيى ، رحل إلى العراق ، وكان مشاورا في الأحكام ، توفي سنة ٣٠٣ وأبو
عيسى يحيى بن عبدالله بن يحيى بن يحيى اللثي ، كان قاضيا ببجاية
والبيرة ، وكان محدثا راوية ، ورحل الناس إليه من جميع كور الأندلس
وتوفي سنة ٣٦٧ - ومنهم غير هؤلاء ممن سيكون لنا حديث ممتع عنهم في
غير هذا الكتاب ان شاء الله تعالى « أحمد يوسف نجاتي »

وَقِيلَ إِنَّ وَفَاتَهُ فِي السَّنَةِ الَّتِي قَبْلَهَا، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. وَرِوَايَتُهُ
الْمُوطَّأُ مَشْهُورَةٌ، حَتَّى إِنَّ أَهْلَ الْمَشْرِقِ الْآنَ يُسْنِدُونَ
الْمُوطَّأَ مِنْ رِوَايَتِهِ كَثِيرًا مَعَ تَعَدُّدِ رِوَاةِ الْمُوطَّأِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.
وَكَانَ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى رَوَى الْمُوطَّأَ بِقُرْطُبَةَ عَنْ زِيَادِ بْنِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ اللَّخْمِيِّ الْمَعْرُوفِ بِشَبْطُونَ^(١) وَسَمِعَ مِنْ يَحْيَى
ابْنِ مُضَرَ الْقَيْسِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ^(٢)، ثُمَّ أَرْتَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ وَهُوَ
ابْنُ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً فَسَمِعَ مِنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ الْمُوطَّأَ غَيْرَ
أَبْوَابٍ فِي كِتَابِ الْإِعْتِكَافِ شَكَّ فِي سَمَاعِهَا فَأَثْبَتَ رِوَايَتَهُ
فِيهَا عَنْ زِيَادٍ، وَذَلِكَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى وَرَعِهِ - وَسَمِعَ بِمِصْرَ مِنْ
الْأَيْثِ بْنِ سَعْدٍ^(٣) وَبِمَكَّةَ مِنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ^(٤)، وَتَفَقَّهَ

(١) ستأتي ترجمته (٢) هو أبو زكريا يحيى بن مضر القيسي من أهل قرطبة، وهو شامي الأصل، سمع من سفیان بن سعيد الثوري والامام مالك بن أنس، وكان علما متفنا، وكان ممن قتل بسبب الهيج صلب هو وأصحابه سنة ١٨٩ وكانوا قد أرادوا خلع الحكم بن هشام «أحمد يوسف نجاتي» (٣) هو شيخ الديار المصرية وعلمها أبو الحرث الأيث بن سعد ابن عبد الرحمن المحدث الثقة السري الجواد السخي، وفيه يقول الامام الشافعي: الأيث بن سعد أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به، ولد سنة ٩٤ وتوفي سنة ١٧٥ وقبره بمصر معروف، وأصله من قلعشندة من مديرية القليوبية (٤) هو أبو محمد سفیان بن عيينة بن أبي عمران ميمون

بِالْمَدَنِيِّينَ وَالْمِصْرِيِّينَ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهَبٍ ^(١) وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ
ابْنِ الْقَاسِمِ الْعَتَقِيِّ ^(٢) وَسَمِعَ مِنْهُمَا - وَهُمَا مِنْ أَكْبَرِ أَصْحَابِ
مَالِكٍ - بَعْدَ انْتِفَاعِهِ بِمَالِكٍ وَمُلَازِمَتِهِ لَهُ : وَأَنْتَهَتْ إِلَيْهِ الرِّيَاسَةُ
بِالْأَنْدَلُسِ ، وَبِهِ اشْتَهَرَ مَذْهَبُ مَالِكٍ فِي تِلْكَ الدِّيَارِ ، وَتَفَقَّهَ
بِهِ جَمَاعَةٌ لَا يُحْصَوْنَ عَدَدًا ، وَرَوَى عَنْهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ . وَأَشْهَرُ
رُؤَاةِ الْمَوْطَأِ وَأَحْسَنُهُمْ رِوَايَةً يَحْيَى الْمَذْكُورُ وَكَانَ مَعَ
أَمَانَتِهِ وَدِينِهِ مُعَظَّمًا عِنْدَ الْأُمَرَاءِ يُكَنَّى ^(٣) عِنْدَهُمْ ، عَفِيفًا عَنِ

الهلالي ولواء ، وأصله من الكوف ، وانتقل إلى مكة ، كان إماماً عالمياً ثبتاً زاهداً
ورعاً محدثاً ثقة ، ولد سنة ١٠٧ هـ وتوفي سنة ١٩٨ هـ بكة (١) هو أبو محمد
عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي ولواء الفقيه المالكي المصري ، كان أحد
أئمة عصره ، وصاحب الإمام مالك بن أنس طويلاً ، وكان عالماً حليلاً وفقيهاً
محدثاً ورعاً صالحاً كثر الحشية لله تعالى ، ولد بمصر سنة ١٢٤ هـ وتوفي بها
سنة ١٩٧ هـ (٢) هو الإمام أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد
ابن جنادة العتقي بالولاء الفقيه المالكي العالم الزاهد ، وهو صاحب المدونة
في مذهب الإمام مالك ، وهي من أجل كتب المالكية ، ولد سنة ١٣٢ هـ وتوفي
بمصر سنة ١٥١ هـ « والعتقي » نسبة إلى العتقاء ، وهم لسوا من قبيلة واحدة
بل من قبائل شتى ، وكان عامتهم بمصر ، وكانوا في الأصل يقطون الطريق
على من قصد النبي صلى الله عليه وسلم ، فبعث إليهم فأتى بهم أسرى ، فأعتقهم
فقليل لهم العتداء ، ولما فتح عمرو بن العاص مصر سنة ٢٠ هـ كان العتقاء
معه فاستوونوا بمصر « أحمد يوسف نجاتي » (٣) يلقب بالسكنية ويدعى
بها ، وذلك من أمارات التعظيم كما قد :

الْوَلَايَاتِ مُتَنَزِّهًا ، جَلَّتْ رُبَّتُهُ عَنِ الْقَضَاءِ ، وَكَانَ أَعْلَى مِنْ
الْقُضَاةِ قَدْرًا عِنْدَ وُلَاةِ الْأَمْرِ بِالْأَنْدَلُسِ لِزُهْدِهِ فِي الْقَضَاءِ
وَأَمْتِنَاعِهِ . قَالَ الْخَافِضُ بْنُ حَزْمٍ : مَذْهَبَانِ اُنْتَشَرَا فِي بَدْءِ
أَمْرِهِمَا بِالرِّيَّاسَةِ وَالسُّلْطَانِ : مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ - فَإِنَّهُ لَمَّا
وَلِيَ الْقَضَاءِ أَبُو يُوسُفَ كَانَتْ الْقُضَاةُ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ أَقْصَى
الْمَشْرِقِ إِلَى أَقْصَى عَمَلِ إِفْرِيقِيَّةَ ، فَكَانَ لَا يُوَلَّى إِلَّا
أَصْحَابَهُ وَالْمُنْتَسِبِينَ لِمَذْهَبِهِ - وَمَذْهَبُ مَالِكٍ عِنْدَنَا
بِالْأَنْدَلُسِ ، فَإِنَّ يَحْيَى بْنَ يَحْيَى كَانَ مَكِينًا عِنْدَ السُّلْطَانِ
مَقْبُولَ الْقَوْلِ فِي الْقُضَاةِ ، وَكَانَ لَا يُوَلَّى قَاضٍ فِي أَقْطَارِ
الْأَنْدَلُسِ إِلَّا بِمَشُورَتِهِ وَأَخْتِيَارِهِ ، وَلَا يُشِيرُ إِلَّا بِأَصْحَابِهِ
وَمَنْ كَانَ عَلَى مَذْهَبِهِ - وَالنَّاسُ سِرَاعٌ إِلَى الدُّنْيَا - فَاقْبَلُوا عَلَى
مَا يَرْجُونَ بُلُوغَ أَغْرَاضِهِمْ بِهِ ، عَلَى أَنْ يَحْيَى لَمْ يَلِ قَضَاءً
قَطُّ ، وَلَا أَجَابَ إِلَيْهِ ، وَكَانَ ذَلِكَ زَائِدًا فِي جَلَالَتِهِ عِنْدَهُمْ
وَدَاعِيًا إِلَى قَبُولِ رَأْيِهِ لَدَيْهِمْ . اُنْتَهَى .

أَكْبَنِيهِ حِينَ أَنْادِيهِ لَا كَرَمَهُ وَلَا أَتْقَبُهُ وَالسُّوءَةُ اللَّاقِبَا *

أَوْ يَعْرِفُ عَنْهُمْ بِالْعَفِيفِ عَنِ الْوَلَايَاتِ الْحِ « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَاتِي »

وَذَكَرْنَا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ قَوْلًا آخَرَ فِي سَبَبِ
اَنْتِشَارِ مَذْهَبِ مَالِكٍ بِالْأَنْدَلُسِ . وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ
بِحَقِيقَةِ الْأَمْرِ .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي الْفَيَاضِ ^(١) : جَمَعَ الْأَمِيرُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ
الْحَكَمِ الْفُقَهَاءَ فِي قَصْرِهِ - وَكَانَ وَقَعَ عَلَى جَارِيَةٍ يُحِبُّهَا فِي
رَمَضَانَ ، ثُمَّ نَدِمَ أَشَدَّ نَدَمٍ - فَسَأَلَهُمْ عَنِ التَّوْبَةِ وَالْكَفَّارَةِ
فَقَالَ يَحْيَى : تُكْفَرُ بِصَوْمِ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ، فَلَمَّا بَادَرَ
يَحْيَى بِهَذِهِ الْفُتْيَا سَكَتَ الْفُقَهَاءُ حَتَّى خَرَجُوا ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ
لَهُ : لِمَ لَمْ تُفْتِ بِمَذْهَبِ مَالِكٍ بِالتَّخْيِيرِ ^(٢) ؟ فَقَالَ : لَوْ فَتَحْنَا لَهُ
هَذَا الْبَابَ سَهَّلَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّأَ كُلَّ يَوْمٍ وَيُعْتِقَ رَقَبَةً ، وَلَكِنْ
حَمَلَتْهُ عَلَى أَصْعَبِ الْأُمُورِ لِئَلَّا يَعُودَ . وَقَالَ بَعْضُ الْمَالِكِيَّةِ
إِنَّ يَحْيَى وَرَى بِهَذَا ، وَرَأَى أَنَّهُ لَمْ يَمْلِكْ شَيْئًا ، إِذْ هُوَ

(١) هو أبو بكر أحمد بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن أبي الفياض
أصله من مدينة استجة وسكن المرية ، له تأليف في التاريخ والخبر يسمى
العبر ، وتوفي سنة ٤٥٩ « أحمد يوسف نجاشي » (٢) أي بين العتق
والإطعام والصيام ، والمقدم العتق لمن يقدر عليه فالكفارة بالصيام
« أحمد يوسف نجاشي »

مُسْتَفْرَقُ الذِّمَّةِ، فَلَا عِتْقَ لَهُ وَلَا إِطْعَامَ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الصِّيَامُ
أُنْتَهَى .

وَلَمَّا اُنْتُصَلَ يَحْيَى عَنْ مَالِكٍ وَوَصَلَ إِلَى مِصْرَ رَأَى
أَبْنَ الْقَاسِمِ يُدَوِّنُ سَمَاعَهُ مِنْ مَالِكٍ، فَتَشَطَّ لِلرُّجُوعِ إِلَى مَالِكٍ
لِيَسْمَعَ مِنْهُ الْمَسَائِلَ الَّتِي رَأَى أَبْنَ الْقَاسِمِ يُدَوِّنُهَا، فَرَحَلَ
رِحْلَةً ثَانِيَةً، فَأَلْفَى مَالِكًا عَمِلًا، فَأَقَامَ عِنْدَهُ إِلَى أَنْ مَاتَ
وَحَضَرَ جَنَازَتَهُ، فَعَادَ إِلَى أَبْنَ الْقَاسِمِ وَسَمِعَ مِنْهُ سَمَاعَهُ مِنْ
مَالِكٍ . هَكَذَا ذَكَرَهُ أَبْنُ الْفَرَضِيِّ فِي تَارِيخِهِ، وَهُوَ مِمَّا يَرُدُّ
الْحِكَايَةَ الْمَشْهُورَةَ الْآنَ بِالْمَغْرِبِ : أَنَّ يَحْيَى سَأَلَ مَالِكًا
عَنْ زَكَاةِ التِّينِ، فَقَالَ: لَا زَكَاةَ فِيهَا، فَقَالَ: إِنَّهَا تُدَّخَرُ عِنْدَنَا
وَنَذَرُ إِنْ وَصَلَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ أَنْ يُرْسِلَ لِمَالِكٍ سَفِينَةً
مَمْلُوءَةً تِينًا، فَلَمَّا وَصَلَ أَرْسَلَهَا فَإِذَا مَالِكٌ قَدْ مَاتَ . أُنْتَهَى .

قَالَ أَبْنُ الْفَرَضِيِّ: وَلَمَّا اُنْتُصَرَ يَحْيَى إِلَى الْأَنْدَلُسِ
كَانَ إِمَامَ وَقْتِهِ وَوَاحِدَ بِلَادِهِ، وَكَانَ مِنْ أَتَمِّمٍ بِالْهَيْجِ فِي
وَقْعَةِ الرِّبَاضِ الْمَشْهُورَةِ، فَقَرَّ إِلَى طَلِيطَةَ، ثُمَّ اسْتَأْمَنَ فَكَتَبَ

لَهُ الْأَمِيرُ الْحَكَمُ أَمَانًا وَأُنْصَرَفَ إِلَى قُرْطُبَةَ . وَقِيلَ
لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ مِنْذُ دَخَلَهَا الْإِسْلَامُ مَا أُعْطِيَ
يَحْيَى مِنْ الْحُظُوءَةِ وَعِظَمِ الْقَدْرِ وَجَلَالَةِ الذِّكْرِ . وَقَالَ
ابْنُ بَشْكُوَال: إِنَّ يَحْيَى بْنَ يَحْيَى كَانَ مُجَابَ الدَّعْوَةِ ، وَإِنَّهُ
أَخَذَ فِي سَمِّهِ وَهَيْئَتِهِ وَتَقْسِهِ وَمَقْعَدِهِ هَيْئَةَ مَالِكٍ . وَيُحْكِي
عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: أَخَذْتُ بِرِكَابِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ ، فَأَرَادَ غَلَامُهُ أَنْ
يَمْنَعَنِي ، فَقَالَ: دَعْنِي ، ثُمَّ قَالَ لِي اللَّيْثُ : خَدَمَكَ الْعِلْمُ ، فَلَمْ
تَزَلْ بِي الْأَيَّامُ حَتَّى رَأَيْتُ مَالِكًا . انْتَهَى .

« وَمِنْهُمْ » الْقَاضِي « أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى » قَالَ
فِي الْمَطْمَحِ : مِنْ بَنِي يَحْيَى بْنِ يَحْيَى اللَّيْثِيُّ ، وَهَذِهِ ثَنِيَّةٌ^(١)
عِلْمٍ وَعَقْلٍ ، وَصِحَّةٌ^(٢) ضَبْطٍ وَتَقْلٍ ، كَانَ عِلْمُ الْأَنْدَلُسِ ،
وَعَالِمَهَا النَّدُسُ^(٣) ، وَلِيَ الْقَضَاءِ بِقُرْطُبَةَ بَعْدَ رِحْلَةِ رَحْلَهَا

(١) فِي بَعْضِ الْمَرَاجِعِ « بَيْنَةُ » (٢) أَوْ « حُجَّةٌ » كَمَا فِي نَسَخَةِ (٣) أَيْ

الْفَهْمُ الْعَطْنُ الْكَبِيرُ الْعَالَمُ بِالْأُمُورِ وَالْأَخْبَارِ . وَفَعَلَهُ نَدَسُ « كَفَرَحَ »

إِلَى الْمَشْرِقِ ، وَجَمَعَ فِيهَا مِنَ الرُّوَايَاتِ وَالسَّمَاعِ كُلِّ مُفْتَرِقٍ .
وَجَالَ فِي آفَاقِ ذَلِكَ الْأُفُقِ ، لَا يَسْتَقِرُّ فِي بَلَدٍ ، وَلَا يَسْتَوْطِنُ
فِي جَلَدٍ ^(١) ، ثُمَّ كَرَّ إِلَى الْأَنْدَلُسِ فَسَمَتْ رُبَّتُهُ ، وَتَحَلَّتْ
بِالْأَمَانِيِّ لَبَّتِهِ ^(٢) ، وَتَصَرَّفَ فِي وِلَايَاتٍ أُحْمَدَ فِيهَا مَنَابَهُ ^(٣) ،
وَاتَّصَلَتْ بِسَبَبِهَا بِالْخَلِيفَةِ أَسْبَابُهُ ، وَوَلَّاهُ الْقَضَاءَ بِقُرْطُبَةَ
فَتَوَلَّاهُ بِسِيَاسَةٍ مَحْمُودَةٍ ، وَرِيَاسَةٍ فِي الدِّينِ مُبْرَمَةٍ ^(٤) الْقُوَى
مَجْهُودَةٍ ، أَلْزَمَ فِيهَا الصَّرَامَةَ ^(٥) فِي تَنْفِيزِ الْحُقُوقِ ،
وَالْحَزَامَةَ فِي إِقَامَةِ الْحُدُودِ ، وَالْكَشْفَ عَنِ الْيَنَابِتِ ^(٦)
فِي السَّرِّ ، وَالصَّدْعَ ^(٧) بِالْحَقِّ فِي الْجَهْرِ ، لَمْ يَسْتَمِلْهُ مُخَادِعٌ

(١) الجلد الأرض الصلبة المستوية الثن. وفي المصاح « ولا يستوطن في
مظلومة جلد » والمظلومة الأرض التي لم تحفر قط ثم حفرت ، وظلم الأرض
إذا حفرها في غير موضع حفرها ، وأرض مظلومة حفر فيها بئر أو حوض
ولم يحفر فيها قط ، والمظلومة أيضا الأرض التي لم تمطر « أحمد يوسف نجاتي »
(٢) اللبة: موضع القلادة من الصدر (٣) أحمد فلانا إذا رضى فعله ومذهبه
وأحمد أمره إذا صار عنده محمودا ، والناب النياحة والقيام بالامر (٤) محكمة
متينة ، وفي الأصل « مبرقة » وهو تصحيف « أحمد يوسف نجاتي » (٥) الشدة
(٦) في الأصل « البيان » وهو تحريف « أحمد يوسف نجاتي » (٧) صدع
بالامر إذا كشفه وأبانه وجهريه ، ومنه « فاصدع بما تؤمر » « أحمد يوسف نجاتي »

وَلَمْ يَكِدْهُ مُخَاتِلٌ^(١) وَلَمْ يَهَبْ ذَا حُرْمَةٍ ، وَلَا دَاهَنٌ^(٢)
 ذَا مَرْتَبَةٍ ، وَلَا أَغْضَى لِأَحَدٍ مِنْ أَرْبَابِ^(٣) السُّلْطَانِ وَأَهْلِهِ
 حَتَّى تَحَامَوْا حِدَّةَ جَانِبِهِ ، فَلَمْ يَحْسُرْ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَيْهِ . وَكَانَ
 لَهُ نَصِيبٌ وَافِرٌ مِنَ الْأَدَبِ ، وَحَظٌّ مِنَ الْبَلَاغَةِ إِذَا نَظَّمَ
 وَإِذَا كَتَبَ . وَمِنْ مُلَحِّ شِعْرِهِ مَا قَالَهُ عِنْدَ أُوَيْتِهِ ، مِنْ
 غُرْبَتِهِ :

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنُ وَلَمْ تَكُ فُرْقَةٌ
 إِذَا كَانَ مِنْ بَعْدِ الْفِرَاقِ تَلَاقِي
 كَانَ لَمْ تُورِّقْ بِالْعِرَاقَيْنِ مُقْلَتِي
 وَلَمْ تَمُرْ كَفُ الشُّوقِ مَاءَ مَا قِي^(٤)

(١) خاله اذاخادعه وراوغه (٢) المداهنة المصانعة ، أو اظهار المرء خلاف ما يضر ، وقد أطلق على المداراة والملاينة وترك الجدة «أحمد يوسف نجاتي»
 (٣) في المطمح « من أسباب » (٤) الأثرق السهد وعدم النوم ، ومرى الضرع اذا مسحه ليدر ، والماقي ، جمع مؤق وهو مؤخر العين ، ومايلي الصدغ منها ، وكذا موق ، وماق والماقي ، وجمعه ماقي ، وجمع موق ومؤق وماق أماق ، ويجوز فيه القلب المكنى فيقال أماق نحو آبار «أعفال»
 شبه الشاعر عينه بضرع ، ولما كان هيج الشوق يستدر دموع العين جعل له كفا تمرى ماءها ، وتحلب بكاءها « أحمد يوسف نجاتي »

وَلَمْ أَزِرِ الْأَغْرَابَ فِي جَنْبِ أَرْضِهِمْ
بِذَاتِ اللَّوَى مِنْ رَامَةٍ وَبِرَاقٍ^(١)
وَلَمْ أَصْطَبِحْ بِالْيَدِ مِنْ قَهْوَةِ النَّدَى
وَكَأْسٍ سَقَاهَا فِي الْأَزَاهِرِ سَاقٍ
وَلَهُ أَيْضًا :

مَاذَا أَكَابِدُ مِنْ وَرَقٍ مُغَرَّدَةٍ
عَلَى قَضِيبٍ بِذَاتِ الْجَزْعِ مَيَّاسٍ؟!^(٢)

(١) في بعض المراجع « في خبت » بدل « جنب » والحبب المتسع من بطون الأرض ، وما اطمان منها وغمض ، أو الوادي العميق الوطى فيه رمل ، واللوى في الأصل منقطع الرمل ، وهو أيضا موضع بعينه قد أكثر الشعراء من ذكره ، ورامه هضبة أو منزل في طريق البصرة الى مكة بينه وبين البصرة ١٢ مرحلة ، وقيل رامه جبل لبنى دارم ، قال جرير :
حي الغداة برامة الأطلالا رسما تحمل أهله فأحالا
وقد أكثر الشعراء أيضا من ذكره ولا سيما المتأخرون في المدائح النبوية .
وبراق من قرى حلب ، وبراق خبت صحراء بين مكة والدينة . قال بشر :
فأودية اللوى فبراق خبت عفتها العاصفات من الرياح
وبراق اللوى موضع بعينه . قال :

عنينا زمانا باللوى ، ثم أصبحت براق اللوى من أهلها قد تملت
والبراق جمع برقة ، وأصلها الأرض ذات الحجارة المختلفة الألوان (٢) الجزع
منعطف الوادي ، أو ما اتسع من مضايقه ، أو لا يسمى جزعا حتى تكون له

رَدَّدْنَ شَجْوًا شَجَا قَلْبَ الْخَلِيِّ، فَهَلْ
 فِي عِبْرَةٍ ذَرَفَتْ فِي الْحُبِّ مِنْ بَاسٍ؟^(١)
 ذَكَرَتْهُ^(٢) الزَّمَنَ الْمَاضِيَ بِقُرْطَبَةِ
 بَيْنَ الْأَحْبَةِ فِي أَمْنٍ وَإِنَاسٍ
 هُمْ. الصَّبَابَةُ لَوْ لَا هِمَّةٌ شَرُفَتْ
 فَصَيَّرَتْ قَلْبَهُ كَالْجُنْدَلِ^(٣) الْقَاسِي
 وَلَهُ أَخْبَارٌ تَدُلُّ عَلَى رِقَّةِ الْعِرَاقِ^(٤)، وَالتَّغْذَى بِمَاءِ تِلْكَ

سعة تبت الشجر وغيره، والميأس: المبالى المتشى (١) ذرف الدمع: سال، وذرفت عينه: سال دمعها، وذرفت العين دمعها إذا أسالته، ويروى صدر البيت «... شجا قلبي الخلى» «أحمد يوسف نجاشي» (٢) في الأصل «ذكرته» مصحفة (٣) الجندل: الحجر (٤) كانوا يضربون المثل في ذلك بالرقعة العراقية. وللشاعر أحمد بن منير الطرابلسي من قصيدة غزلية رقيقة:

أبَاءَ فَارِسٍ فِي لَيْلٍ الشَّامِ مَعَ الْـ ظَرْفِ الْعِرَاقِ وَالنُّطْقِ الْحِجَازِي
 وَكَذَلِكَ الْحِجَازِ، يَحْكِي أَنَّ أَبَا حَازِمٍ سَمِعَ امْرَأَةً حَاجَةً تَرَفَّتْ فِي كَلَامِهَا،
 فَقَالَ لَهَا: يَا أُمَّةَ اللَّهِ أَلَسْتَ حَاجَةً؟! أَلَا تَتَّقِينَ اللَّهَ؟ فَسَفَرَتْ عَنْ وَجْهِ صَبِيحٍ
 ثُمَّ قَالَتْ لَهُ: أَنَا مِنَ اللَّوَاتِي قَالَ فِيهِنَّ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ:

أَمَاطَتْ كِسَاءَ الْحَزَنِ حُرُوجَهَا وَرَدَّتْ عَلَى الْحَدِيدِ بَرْدًا مَهْلَهْلًا
 مِنَ الْإِلَاءِ لَمْ يَحْجِجْنِ يَبْغِينَ حَسْبَةً وَلَكِنْ لِيَقْتُلَنَّ الْبَرِيءَ الْمَغْفَلَا
 فَقَالَ أَبُو حَازِمٍ: أَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَلَا يَعَذِّبُ هَذَا الْوَجْهَ بِالسَّارِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ سَعِيدُ
 ابْنِ الْمُسَيْبِ فَقَالَ: رَحِمَ اللَّهُ أَبَا حَازِمٍ، لَوْ كَانَ مِنْ عِبَادِ الْعِرَاقِ لَقَالَ لَهَا عِزِّي
 يَا عَدُوَّةَ اللَّهِ، وَلَكِنَّهُ أَظْرَفُ نَسَاكِ الْحِجَازِ. فَهَذَا جَعَلَ الظَّرْفَ حِجَازِيَا

الآفاق ؛ فَمِنْهَا أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى حُضُورِ جَنَازَةِ بِمَقَابِرِ قُرَيْشٍ
- وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي حُدَيْرٍ ^(١) كَانَ يُوَأْخِيهِ لَهُ مَنَزِلٌ - فَعَزَمَ عَلَيْهِ
فِي الْمَيْلِ إِلَيْهِ وَعَلَى أَخِيهِ ^(٢) ، فَتَزَلَّاعَلَيْهِ ، فَأَحْضَرَ لَهُمَا طَعَامًا
وَأَمَرَ جَارِيَةً لَهُ بِالْعِنَاءِ ، فَغَنَّتْ :

طَابَتْ بِطِيبٍ لثَاتِكَ الْأَقْدَاحُ
وَزَهَا بِحُمْرَةِ خَدِّكَ التُّفَّاحُ
وَإِذَا الرَّيِّعُ تَنَسَّمَتْ أَرْوَاحُهُ
طَابَتْ بِطِيبٍ نَسِيمِكَ الْأَرْوَاحُ
وَإِذَا الْخَنَادِسُ الْبِسَتْ ^(٣) ظِلْمَاءُهَا

فَضِيَاءُ وَجْهِكَ فِي الدُّجَى مِصْبَاحُ
فَكَتَبَهَا الْقَاضِي فِي ظَهْرِ يَدِهِ ، وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ ،
قَالَ يُونُسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ^(٤) : فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يُكَبِّرُ لِلصَّلَاةِ عَلَى

لأعراقيا - وقد سبقت كلمتنا في ابن أبي عيسى وحكايته هذه وعلقنا عليها
« أحمد يوسف نجاتي » (١) في الأصل والمطمح « جابر » وهو تحريف
وقد تقدم تعريفنا بيني حدير في هذه الحكاية وغيرها « أحمد يوسف نجاتي »
(٢) هو أبو عيسى يحيى بن عبد الله بن يحيى بن يحيى وقد تقدم قريبا تعريفنا به ،
توفي سنة ٣٦٧ هـ . « أحمد يوسف نجاتي » (٣) أو بالبناء للمعوم (٤) لعل يونس
ابن عبد الله يحكى عن أبيه عبد الله بن محمد بن مغيث بن عبد الله الأنصاري

الْجَنَازَةَ وَالْأَيَّاتُ مَكْتُوبَةٌ عَلَى ظَهْرِ كَفِّهِ . وَكَانَ - رَحِمَهُ
 اللَّهُ تَعَالَى - فِي غَايَةِ اللُّطْفِ ، حَكَمَى بَعْضُ أَصْحَابِهِ قَالَ :
 رَكِبْنَا مَعَهُ فِي مَوْكَبٍ حَافِلٍ مِنْ وَجُوهِ النَّاسِ إِذْ عَرَضَ
 لَنَا فَتَى مُتَأَدِّبٌ قَدْ خَرَجَ مِنْ بَعْضِ الْأَزِقَّةِ سَكْرَانٌ يَتَمَايَلُ
 فَلَمَّا رَأَى الْقَاضِيَ هَابَهُ ، وَأَرَادَ الْإِنْصِرَافَ فَخَانَتْهُ رِجْلَاهُ
 فَاسْتَنَدَ إِلَى الْحَائِطِ وَأَطْرَقَ ، فَلَمَّا قَرُبَ الْقَاضِيَ رَفَعَ رَأْسَهُ
 وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَلَا أَيُّهَا الْقَاضِي الَّذِي عَمَّ عَدْلُهُ

فَأُضْحِي بِهِ بَيْنَ الْأَنَامِ فَرِيداً^(١)

من أشرف قرطبة ، كان من أهل المعرفة والباهة والذكاء والفطنة والحدق والفهم ، ومن أهل الأدب البارع والشعر الرائق والكتابة البليغة ، مع الدين والفضل والنسك والعبادة والتواضع والزهد واللطف ، وله كتاب جمعه في شعر الخلفاء من بني أمية ، وكان أثيراً عند الخليفة الحكم ، ولد سنة ٢٨٥ وتوفي سنة ٣٥٢ فهو كان من أقران ابن أبي عيسى صاحب الترجمة وعلى شاكلته . أما ابنه أبو الوليد يونس قاضي الجماعة بقرطبة فلم يدرك المترجم له لأنه ولد سنة وفاته أي سنة ٣٣٨ وكان على جانب عظيم من العلم والفضل ، ولى أحكام القضاء والصلاة والخطبة بالمسجد الجامع بقرطبة مع الوزارة ، ثم صرف عن ذلك إلى أن قلده المعتد بالله هشام بن محمد قضاء الجماعة بقرطبة سنة ٤١٩ حتى توفي سنة ٤٢٩ - رحمه الله تعالى .

« أحمد يوسف نجاتي » . (١) في المطمح « فأضحى به في العالمين »

قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ تِسْعِينَ مَرَّةً
 فَلَمْ أَرَ فِيهِ لِلشَّرَابِ حُدُودًا
 فَإِنْ شِئْتَ جَلِدًا لِي فَدُونَكَ مَنْكِبًا
 صَبُورًا عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ جَلِيدًا
 وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَعْفُو تَكُنْ لَكَ مِنَّةٌ
 تَرُوحُ بِهَا فِي الْعَالَمِينَ حَمِيدًا
 وَإِنْ أَنْتَ تَخْتَارُ الْحَدِيدَ^(١) فَإِنَّ لِي
 لِسَانًا عَلَى هَجْوِ الزَّمَانِ حَدِيدًا
 فَلَمَّا سَمِعَ شِعْرَهُ وَمَيَّزَ أَدَبَهُ أَغْرَضَ عَنْهُ وَتَرَكَ الْإِنْكَارَ
 عَلَيْهِ، وَمَضَى لِشَأْنِهِ . أُنْتَهَى مُلَخَّصًا مِنَ الْمَطْمَحِ .

وَرَأَيْتُ بِخَطِّي فِي بَعْضِ مُسَوِّدَاتِي مَا صُوِّرَتْهُ : مُحَمَّدُ
 ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى بْنِ يَحْيَى اللَّيْثِيُّ قَاضِي الْجَمَاعَةِ بِقُرْطُبَةٍ
 سَمِعَ عَمَّ أَيْيَهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ يَحْيَى وَمُحَمَّدَ بْنَ عُمَرَ بْنَ لُبَابَةَ^(٢)
 وَأَحْمَدَ بْنَ خَالِدٍ^(٣) وَرَحَلَ مِنْ قُرْطُبَةٍ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ

محمد بن عبد الله
ابن يحيى الليثي

(١) لعله يريد القيد، وعجز البيت في المطمح «لسانا على مر الزمان حديدًا»
 (٢) تقديم تعريفنا به وبطائفة من بني يحيى بن كثير (٣) هو أبو عمر
 أحمد بن خالد بن يزيد بن محمد بن سالم بن سليمان ، يعرف بابن الحجاب

وَتَلْثِمَانَةٌ، وَدَخَلَ مِصْرَ، وَحَبَّجَ، وَسَمِعَ بِمَكَّةَ مِنْ ابْنِ الْمُنْذِرِ^(١)
وَالْعَقِيلِيِّ^(٢) وَابْنِ الْأَعْرَابِيِّ^(٣) وَغَيْرِهِمْ . وَكَانَ حَافِظًا مُعْتَنِيًا
بِالْآثَارِ، جَامِعًا لِلشُّتَنِ، مُتَصَرِّفًا فِي عِلْمِ الْأَعْرَابِ وَالْأَدَبِ
وَمَعَانِي الشُّعْرِ، شَاعِرًا مَطْبُوعًا . وَشَاوَرَهُ الْقَاضِي أَحْمَدُ
ابْنُ بَقِيٍّ^(٤)، وَأُسْتَقْضَاهُ النَّاصِرُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ عَلَى
إِلْيَةِ وَبِجَانَةِ^(٥) ثُمَّ وَلَّاهُ قِضَاءَ الْجَمَاعَةِ بِقُرْطُبَةَ بَعْدَ

من أهل قرطبة، سمع من محمد بن واضح وقي بن محمد وغيرهما، ورحل
إلى المشرق فأخذ عن أعلامه، وعاد إلى الأندلس وكان إمام وقته غير
مدافع في الفقه والحديث والعبادة، وكان حافظًا متقنًا، وراويًا للحديث
مكثرًا، وألف في مسند حديث مالك وغيره، ولد سنة ٢٤٦ وتوفي سنة ٣٢٢
رحمه الله . « أحمد يوسف نجاتي » (١) هو الإمام الحافظ أبو بكر محمد
ابن إبراهيم بن المنذر النيسابوري شيخ الحرم ومفتيه، كان مجتهدًا لا يتقلد
أحدًا، فقيها محدثًا ثقة توفي سنة ٣١٨ (٢) هو أبو بكر محمد بن خريم
العقيلي محدث دمشق، توفي سنة ٣١٦ (٣) هو أبو سعيد بن الأعرابي
أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم البصري نزيل مكة المحدث الصوفي
القدوة، كان ثقة نبيلًا عارفاً عابداً جليل القدر بعيد الصيت، جمع وصنف
ورحل إليه من كل فج، وكان شيخ الحرم في وقته سنداً وعلماً وزهداً
وعبادة واقبالاً على الله تعالى، توفي سنة ٣٢٠ . « أحمد يوسف نجاتي »
(٤) هو أبو عبد الله أحمد بن بَقِيٍّ بن مخلد القرطبي، كان قاضي الجماعة
بالأندلس فقيها محدثًا ثقة زاهداً هذلاً، توفي سنة ٣٢٤ في أيام الأمير
عبد الرحمن الناصر (٥) بجانية مدينة بالأندلس كانت من أعمال كورة

أَبِي طَالِبٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِينَ^(١) وَجُمِعَتْ لَهُ مَعَ الْقَضَاءِ الصَّلَاةُ. وَكَانَ كَثِيرًا مَا يُخْرِجُ إِلَى الشُّغُورِ، وَيَتَصَرَّفُ فِي إِصْلَاحِ مَا وَهَى مِنْهَا، فَاعْتَلَّ فِي آخِرِ خَرَجَاتِهِ، وَمَاتَ فِي بَعْضِ الْخُصُونِ الْمُجَاوِرَةِ لَطَلِيْطَةَ سَنَةِ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِينَ^٥ وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ. انْتَهَى. وَأُظُنُّ أَنِّي نَقَلْتُهُ مِنْ كِتَابِ ابْنِ الْأَبَارِ الْخَافِظِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

« وَمِنْهُمْ » عَتِيقُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْبَاقِي الْأَنْدَلُسِيُّ عَتِيقُ بْنُ أَحْمَدَ
الدمشقي وفاة - يُكْنَى أَبَا بَكْرٍ - نَزِيلُ دِمَشْقَ، وَكَانَ مَشْهُورًا
بِالصَّلَاحِ. وَانْتَفَعَ بِهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفُقَرَاءِ. وَوُلِدَ عَلَى مَا قِيلَ
سَنَةَ سِتِّ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَتُوفِّيَ سَنَةَ أَرْبَعِ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ
بِدِمَشْقَ، وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ الصُّوفِيَّةِ، فَيَكُونُ عُمرُهُ عَلَى هَذَا

ألبيرة، ثم خربت وانتقل أهلها إلى الرية، وبينهما فرسخان، وبينها وبين
غرناطة ألف ميل - وفي الأصل « بجاية » وهو تصحيف، فان بجاية
مدينة على الساحل الجنوبي من البحر الأبيض ومن مدن بلاد المغرب
وتقدم الكلام فيها « أحمد يوسف نجاتي » (١) في نسخة سنة ٣٢٦ وفي
الأصل « ٣٣٧ » والصواب سنة ٣٣٩ كما في تاريخ علماء الأندلس وغيره.
« أحمد يوسف نجاتي ».

مِائَةِ سَنَةٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - وَتَفَعْنَا بِرِكَاتِهِ وَبَرَكَاتِ
أَمثَالِهِ .

اسماعيل بن
محمد الأنصاري

« وَمِنْهُمْ » أَبُو إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ يُوسُفَ
الْأَنْصَارِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ الْأَبْدِيُّ الْمَلَقَّبُ فِي الْبِلَادِ الْمَشْرِقِيَّةِ
بِرُهَانَ الدِّينِ - وَأَبْدَةُ بِضَمِّ الهمزة وَتَشْدِيدِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ
وَفَتْحِهَا وَبَعْدَهَا ذَا لُ مُعْجَمَةٌ بِلَدٍّ بِالْأَنْدَلُسِ^(١) - سَمِعَ الْمَذْكُورُ
بِمَكَّةَ وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ، وَبِدِمَشْقَ مِنَ الْخَافِظِ ابْنِ طَبَرْزَدِ^(٢)
وَأُمٍّ بِالصَّخْرَةِ، وَكَانَ فَاضِلًا صَالِحًا شَاعِرًا، تُوُفِّيَ سَنَةَ سِتِّ
وِخْمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَأُخْبِرَ عَنْ بَعْضِ الْأَوْلِيَاءِ الْمُجَاوِرِينَ
بَيْتِ الْمُقَدَّسِ أَنَّهُ سَمِعَ هَاتِفًا يَقُولُ لَمَّا خَرَّبَ الْقُدْسُ :

(١) كانت من كورة جيان تعرف بأبدة العرب اختطها عبد الرحمن بن
الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك وتممها
ابنه الأمير محمد (٢) هو مسند عصره أبو حفص موفق الدين عمر بن
محمد بن معمر الدارقزي للأودب، ولد سنة ٥١٦ وروى عن أجلاء وقته
فأكثر، ثم قدم دمشق في آخر أيامه فازدحم الناس عليه، وقد أملى مجالس
بجامع المنصور، وكان عالما جليلا ظريفا ذا دعابة مليحة ومزاح ظريف
توفي في شهر رجب سنة ٦٠٧ بمدينة بغداد . « أحمد يوسف نجاتي » .

(٣ - نفح الطيب - سادس)

إِنْ يَكُنْ بِالشَّامِ قَلٌّ نَصِيرِي
 ثُمَّ خُرْبْتُ وَأُسْتَمَرَّ هُلُوكِي
 فَلَقَدْ أَثْبَتَ الْغَدَاةَ خَرَابِي
 سَمَرَ الْعَارِ فِي حَيَاةِ الْمُلُوكِ^(١)
 هَكَذَا رَأَيْتُهُ بِخَطِّ الصَّفْدِيِّ « فِي حَيَاةٍ » وَيَحْتَمِلُ أَنْ
 يَكُونَ « فِي جِبَاهٍ » جَمْعُ جَبْهَةٍ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ

« وَمِنْهُمْ » الْقَاضِي مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدِ الْبُلُوطِيِّ قَاضِي
 الْجَمَاعَةِ بِقُرْطُبَةٍ ، وَقَدْ قَدَّمْنَا جُمْلَةً مِنْ أَخْبَارِهِ فِي الْبَابِ
 الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِنْ هَذَا الْقِسْمِ ، وَكَانَ لَا يَخَافُ فِي اللَّهِ
 لَوْمَةً لَأَمٍّ . وَمِنْ مَشْهُورٍ مَا جَرَى لَهُ فِي ذَلِكَ قِصَّتُهُ فِي
 أَيَّامِ أَخِي نَجْدَةَ ، وَحَدَّثَ بِهَا جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالرِّوَايَةِ ؛
 وَهِيَ أَنَّ الْخَلِيفَةَ النَّاصِرَ اجْتَنَحَ إِلَى شِرَاءِ دَارٍ بِقُرْطُبَةٍ لِحَظِيَّةٍ
 مِنْ نِسَائِهِ تَكْرُمُ عَلَيْهِ ، فَوَقَعَ اسْتِحْسَانُهُ عَلَى دَارٍ كَانَتْ

منذر بن سعيد
البلوطي

(١) هكذا في الأصل « سمر العار » وأرى أنها محرفة عن « سمة » ولا سيما
 إذا كانت « حياة » مصحفة عن « جباه » كما قال المؤلف وهو الظاهر
 فيكون عجز البيت « سمة العار في جباه الملوك . » أحمد يوسف نجاتي

لِأَوْلَادِ زَكْرِيَّا أَخِي نَجْدَةَ - وَكَانَتْ بِقُرْبِ النَّشَارِينَ فِي
الرَّبَضِ الشَّرْقِيِّ مُنْفَصِلَةً عَنْ دُورِهِ ، وَيَتَّصِلُ بِهَا حَمَامٌ لَهُ
غَلَّةٌ^(١) وَاسِعَةٌ - وَكَانَ أَوْلَادُ زَكْرِيَّا أَخِي نَجْدَةَ أَيْتَامًا فِي
حِجْرِ الْقَاضِي ، فَأَرْسَلَ الْخَلِيفَةُ مَنْ قَوْمِهَا لَهُ بِقَدْرِ^(٢) مَا طَابَتْ
نَفْسُهُ ، وَأَرْسَلَ نَاسًا أَمَرَهُمْ بِمُدَاخَلَةِ وَصِيِّ الْأَيْتَامِ فِي بَيْعِهَا
عَلَيْهِمْ ، فَذَكَرَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ إِلَّا بِأَمْرِ الْقَاضِي ، إِذْ لَمْ يَجُزْ
بِيعُ الْأَصْلِ إِلَّا عَنْ رَأْيِهِ وَمَشُورَتِهِ ، فَأَرْسَلَ الْخَلِيفَةُ إِلَى
الْقَاضِي مُنْذِرٍ فِي بَيْعِ هَذِهِ الدَّارِ ، فَقَالَ لِرَسُولِهِ : الْبَيْعُ عَلَى
الْأَيْتَامِ لَا يَصِحُّ إِلَّا لَوْجُوهٍ ؛ مِنْهَا الْحَاجَةُ ، وَمِنْهَا الْوَهْيُ^(٣)
الشَّدِيدُ ، وَمِنْهَا الْغَبْطَةُ ، فَأَمَّا الْحَاجَةُ فَلَا حَاجَةَ لِهَؤُلَاءِ الْأَيْتَامِ
إِلَى الْبَيْعِ ، وَأَمَّا الْوَهْيُ فَلَيْسَ فِيهَا ، وَأَمَّا الْغَبْطَةُ فَهَذَا
مَكَانُهَا ، فَإِنْ أَعْطَاهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِيهَا مَا تَسْتَبِينَ بِهِ الْغَبْطَةُ
أَمَرْتُ وَصِيَّهُمْ بِالْبَيْعِ ، وَإِلَّا فَلَا ، فَنُقِلَ جَوَابُهُ إِلَى الْخَلِيفَةِ

(١) الغلة : الدخل من كراء دار أو نحوها ، أو فائدة أرض من ريعها ، أو
كراثها وغير ذلك من نحو ما يحصل من الزرع والتمر واللبن والاجارة والنتاج
ونحو هذا ، وأغات الضيعة وغيرها إذا أعطت غلة (٢) في الأصل « بعدد » (٣) وهي
الشيء وهي إذا بلى ، وهي الحائط إذا ضعف وهم بالسقوط وأراد أن ينقض

فَظَهَرَ الزُّهْدَ فِي شِرَاءِ الدَّارِ طَمَعًا أَنْ تُتَوَخَّى ^(١) رَغْبَتُهُ فِيهَا ،
وَخَافَ الْقَاضِي أَنْ تَنْبَعِثَ مِنْهُ عَزِيمَةٌ تَلْحَقُ الْإِيْتَامَ
سَوْرَتَهَا ^(٢) ، فَأَمَرَ وَصِيَّ الْإِيْتَامِ بِنَقْضِ الدَّارِ وَيَبِيعِ أَنْقَاضِهَا ،
فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَبَاعَ الْأَنْقَاضَ ، فَكَانَتْ لَهَا قِيَمَةٌ أَكْثَرُ مِمَّا
قَوِّمَتْ بِهِ لِلْإِسْلَاطَانِ ، فَاتَّصَلَ الْخَبْرُ بِهِ ، فَعَزَّ عَلَيْهِ خَرَابُهَا ،
وَأَمَرَ بِتَوْقِيفِ الْوَصِيِّ عَلَى مَا أَحْدَثَهُ فِيهَا ، فَأَحَالَ الْوَصِيُّ
عَلَى الْقَاضِي أَنَّهُ أَمَرَهُ بِذَلِكَ ، فَأَرْسَلَ عِنْدَ ذَلِكَ لِلْقَاضِي مُنْذِرٌ
وَقَالَ لَهُ : أَنْتَ أَمَرْتَ بِنَقْضِ دَارِ أَخِي نَجْدَةَ ؟ فَقَالَ لَهُ :
نَعَمْ ، فَقَالَ وَمَا دَعَاكَ إِلَى ذَلِكَ ؟ قَالَ : أَخَذْتُ فِيهَا بِقَوْلِ
اللَّهِ تَعَالَى « أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي
الْبَحْرِ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أُعِيبَهَا ، وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ
سَفِينَةٍ غَصْبًا » مُقَوِّمُوكَ لَمْ يُقَدِّرُوهَا إِلَّا بِكَذَا ، وَبِذَلِكَ تَعَلَّقَ
وَهُمُكَ ، فَقَدْ نَضَّ ^(٣) فِي أَنْقَاضِهَا أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ ، وَبَقِيَتْ

(١) يقصد ويتحرى (٢) السورة: الحدة . وسورة السلطان: سطوته واعتداؤه
و بطشه، وفي الأصل « ثورتها » من ثار إذا هاج أو وثب (٣) النض: الحاصل،
يقال خذ ما نض لك من غريمك أى تيسر وحصل وأمكن . وفي بعض النسخ
« نص » أى رفع وبلغ ، وأصل النص أقصى الشئ وغايته ، ونص الرجل
غريمه ونأصه : إذا استقصى عليه وناقشه ، ونص رأيه أى استخرجه وأظهره

الْقَاعَةُ وَالْحَمَامُ فَضْلًا ، وَنَظَرَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْأَيْتَامِ . فَصَبَرَ
 الْخَلِيفَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَى مَا أَتَى مِنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ : نَحْنُ أَوْلَى
 مَنْ أَنْقَادَ إِلَى الْحَقِّ ، فَجَزَاكَ اللَّهُ تَعَالَى عَنَّا وَعَنْ أَمَانَتِكَ خَيْرًا .
 قَالُوا : وَكَانَ عَلَى مَتَانَتِهِ وَجَزَالَتِهِ حَسَنَ الْخُلُقِ ، كَثِيرَ الدُّعَابَةِ ،
 فَرُبَّمَا سَاءَ ظَنُّ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ بِهِ ، حَتَّى إِذَا رَامَ أَنْ يُصِيبَ مِنْ
 دِينِهِ شَعْرَةً ثَارَ لَهُ ثَوْرَةٌ الْأَسَدِ الضَّارِي ، فَمِنْ ذَلِكَ مَا حَدَّثَ
 بِهِ سَعِيدٌ^(١) أَبْنَهُ قَالَ : قَعَدْنَا لَيْلَةً مِنْ لَيْلَى شَهْرِ رَمَضَانَ
 الْمُعْظَمِ مَعَ أَيْنَا لِلْإِفْطَارِ بِدَارِهِ الْبَرَّانِيَّةِ ، فَإِذَا سَائِلٌ يَقُولُ :
 يَا أَهْلَ هَذِهِ الدَّارِ الصَّالِحِ أَهْلُهَا ، أَطْعَمُونِي مِنْ عَشَائِكُمْ
 أَطْعَمَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ هَذِهِ اللَّيْلَةَ - وَيُكْثِرُ
 مِنْ ذَلِكَ - فَقَالَ الْقَاضِي : إِنْ أُسْتُجِيبَ لِهَذَا السَّائِلِ فَيَكُمُ
 فَلَيْسَ يُصْبِحُ مِنَّا أَحَدٌ . وَحَكَى عَنْهُ قَاسِمُ بْنُ أَحْمَدَ
 الْجُهَنِيُّ أَنَّهُ رَكِبَ يَوْمًا لِحَيَازَةِ أَرْضٍ مُجَبَّسَةٍ^(٢) فِي رَكَبٍ

(١) هو أبو عثمان سعيد بن منذر بن سعيد ، روى عن أبيه وغيره ، وكان
 خطيبًا بليغًا ذكيًا نبيها ، قتل يوم تغلب البربر على قرطبة في شوال سنة ٤٠٣ هـ
 « أحمد يوسف نجاشي » (٢) موقوفة .

مِنْ وَجُوهِ الْفُقَهَاءِ وَأَهْلِ الْعَدَالَةِ، فِيهِمْ أَبُو إِبْرَاهِيمَ اللَّوْثِيُّ
وَنُظَرَاؤُهُ، قَالَ فَسِرْنَا نَقْفُوهُ^(١) وَهُوَ أَمَامَنَا، وَأَمَامَهُ أَمَنَّاوُهُ
يَحْمِلُونَ خَرَائِطَهُ^(٢) وَذَوُوهُ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ
- وَكَانَتْ الْقُضَاةُ حِينَئِذٍ لَا تَرَاكِبُ وَلَا تُتَمَشَّى - فَعَرَضَ
لَهُ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ كِلَابٌ مَعَ مُسْتَوْحِمَةٍ^(٣) وَالْكِلَابُ
تَلْعَقُ هُنَا وَتَدُورُ حَوْلَهَا، فَوَقَفَ وَصَرَفَ وَجْهَهُ إِلَيْنَا وَقَالَ:
تَرَوْنَ يَا أَصْحَابَنَا؟ مَا أَبْرَّ الْكِلَابَ بِالْهَنْبِ الَّذِي تَلْعَقُهُ
وَتُكْرِمُهُ! وَنَحْنُ لَا نَفْعَلُ ذَلِكَ، ثُمَّ لَوَى عِنَانَ دَابَّتِهِ
وَقَدْ أَضْحَكْنَا، وَبَقِينَا مُتَعَجِّبِينَ مِنْ هَزْلِهِ. وَحَضَرَ عِنْدَ
الْحُكْمِ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ يَوْمًا فِي خَلْوَةٍ لَهُ فِي بُسْتَانِ الزَّهْرَاءِ
عَلَى بَرْكَةِ مَاءٍ طَافِحَةٍ، وَسَطَ رَوْضَةٍ نَافِحَةٍ^(٤)، فِي يَوْمٍ
شَدِيدِ الْوَهَجِ^(٥) - وَذَلِكَ إِثْرُ مُنْصَرَفِهِ مِنْ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ -
فَشَكَاَ إِلَى الْخَلِيفَةِ مِنْ وَهَجِ الْحَرِّ وَالْجَهْدِ، وَبَثَّ مِنْهُ

(١) نقفوه : نسير إثره ونتبعه (٢) جمع خريطة وهي وعاء من جلد وغيره

مثل الكيس تحمل فيه الكتب والأمتعة (٣) مستوحمة : مشتاقة تشتهي

اللقاح (٤) نافحة : متأرجحة ذات رائحة ذكية (٥) الوهج : شدة الحر .

مَا تَجَاوَزَ الْحَدَّ ، فَأَمَرَهُ بِخَلْعِ ثِيَابِهِ ، وَالتَّخْفِيفِ عَنْ جِسْمِهِ
فَفَعَلَ ، وَلَمْ يُطْفِئْ ذَلِكَ مَا بِهِ ، فَقَالَ لَهُ : الصَّوَابُ أَنْ تَنْفَسَ
فِي وَسْطِ الصَّهْرِ بِجِ انْعِمَاسَةٍ يَبْرُدُ بِهَا جِسْمُكَ - وَلَيْسَ مَعَ
الْخَلِيفَةِ إِلَّا الْحَاجِبُ جَعْفَرُ الْخَادِمِ الصَّقَلِيِّ أَمِينُ الْخَلِيفَةِ
الْحَكَمَ لَا رَابِعَ لَهُمْ - فَكَأَنَّهُ أُسْتَحْيَا مِنْ ذَلِكَ وَانْقَبَضَ
عَنْهُ وَقَارًا ، وَأَقْصَرَ عَنْهُ إِقْصَارًا ، فَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ حَاجِبَهُ جَعْفَرًا
بِسَبْقِهِ إِلَى التَّزْوُلِ فِي الصَّهْرِ بِجِ لَيْسَهْلَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ فِيهِ ،
فَبَادَرَ جَعْفَرُ لَذَلِكَ ، وَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي الصَّهْرِ بِجِ - وَكَانَ يُحْسِنُ
السَّبَاحَةَ - فَجَعَلَ يَجُولُ يَمِينًا وَشِمَالًا ، فَلَمْ يَسْعَ الْقَاضِي إِلَّا
إِنْقَازُ أَمْرِ الْخَلِيفَةِ ، فَقَامَ وَأَلْقَى بِنَفْسِهِ خَلْفَ جَعْفَرٍ ، وَلَازَ
بِالْقُمُودِ فِي دَرَجِ الصَّهْرِ بِجِ ، وَتَدَرَّجَ فِيهِ بَعْضَ تَدْرِيجٍ ،
وَلَمْ يَنْبَسِطْ فِي السَّبَاحَةِ ، وَجَعْفَرُ يَمُرُّ مُصْعَدًا^(١) وَمُصَوِّبًا
فَدَسَّهُ^(٢) الْحَكَمُ عَلَى الْقَاضِي ، وَحَمَلَهُ عَلَى مُسَاجَلَتِهِ^(٣) فِي
الْعَوْمِ ، وَهُوَ يُعْجِزُهُ فِي إِخْلَادِهِ^(٤) إِلَى الْقُمُودِ ، وَيُعَايِثُهُ بِالْقَاءِ

(١) صعد في الأرض والوادي : انحدر فيه ، وذهب من حيث يجي السيل .
وصوب ضد صعد (٢) دسه عليه : أغراه به . وفي نسخة « فغمزه » (٣) المساجلة :
المجارة وال مباراة ، والسابقة (٤) ميله وركونه « أحمد يوسف نجاتي »

الْمَاءِ عَلَيْهِ ، وَالْإِشَارَةَ بِالْجَذْبِ إِلَيْهِ ، وَهُوَ لَا يَنْبَعِثُ مَعَهُ ،
وَلَا يَفَارِقُ مَوْضِعَهُ ، إِلَى أَنْ كَلَّمَهُ الْحَكَمُ ، وَقَالَ لَهُ : مَا لَكَ
لَا تُسَاعِدُ الْحَاجِبَ فِي فِعْلِهِ ، وَتَتَقَبَّلُ صُنْعَهُ ! فَمِنْ أَجْلِكَ
نَزَلَ ، وَبَسَبِكَ تَبَذَّلَ ، فَقَالَ لَهُ : يَا سَيِّدِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
الْحَاجِبُ - سَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى - لَا هَوَاجَلَ مَعَهُ ، وَإِنَّمَا هَذَا
الْهَوَاجَلُ الَّذِي مَعِيَ يَتَّقِلُنِي وَيَمْنَعُنِي مِنْ أَنْ أَجُولَ مَعَهُ مَجَالَهُ
- يَعْنِي أَنَّ الْحَاجِبَ خَصِيٌّ لَا هَوَاجَلَ مَعَهُ ، وَالْهَوَاجَلُ
الَّذِي كَرَّمُ^(١) - فَاسْتَفْرَغَ الْحَكَمُ ضَحِكًا مِنْ نَادِرَتِهِ وَلَطِيفِ
تَعْرِيزِهِ لَجَعْفَرٍ ، وَخَجَلَ جَعْفَرٌ مِنْ قَوْلِهِ ، وَسَبَّهُ سَبًّا
الْأَشْرَافِ ، وَخَرَجَا مِنَ الْمَاءِ ، وَأَمَرَ لَهُمَا الْخَلِيفَةُ بِخَلْعِ
وَوَصْلَهُمَا بِصِلَاتِ سَنِيَّةٍ تُشَاكِلُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا . وَحُكِيَ
أَنَّ الْخَلِيفَةَ الْحَكَمَ قَالَ لَهُ يَوْمًا : لَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ لَا تَجْتَهِدُ
لِلْأَيْتَامِ ، وَأَنَّكَ تُقَدِّمُ لَهُمْ أَوْصِيَاءَ سَوَاءٍ يَا كُلُّونَ أَمْوَالَهُمْ ،
قَالَ : نَعَمْ ، وَإِنْ أَمَكْنَهُمْ نَيْكَ أُمَّهَاتِهِمْ لَمْ يَغْفُوا عَنْهُمْ ، قَالَ :

(١) لعله من قبيل المجاز نقلا عن « الهوجل » الذي هو أنجر السفينة
ومرساها الثقيل يمنعها الحركة والسير « أحمد يوسف نجاتي » .

وَكَيْفَ تَقْدَمُ مِثْلَ هَؤُلَاءِ؟ ! قَالَ : لَسْتُ أَجِدُ غَيْرَهُمْ
وَلَكِنْ أَحِلْنِي عَلَى اللُّؤْلُؤِيِّ وَأَبِي إِزْرَاهِيمَ وَمِثْلِ هَؤُلَاءِ ،
فَإِنْ أَبَوَا أَجَبْتُهُمْ بِالسَّوْطِ وَالسَّجَنِ ، ثُمَّ لَا تَسْمَعُ إِلَّا خَيْرًا .
وَقَالَ الْقَاضِي مُنْذِرٌ : أَتَيْتُ وَأَبُو جَعْفَرِ بْنِ النَّحَّاسِ ^(١) فِي
مَجْلِسِهِ بِمَصْرٍ يُعْمَلِي فِي أَخْبَارِ الشُّعْرَاءِ شِعْرَ قَيْسِ الْمَجْنُونِ
حَيْثُ يَقُولُ :

خَلِيلِي ، هَلْ بِالشَّامِ عَيْنٌ حَزِينَةٌ
تُبْكِي عَلَى نَجْدٍ لَعَلِّي أَعِينُهَا ؟ !
قَدْ أَسْلَمَهَا ^(٢) أَلْبَا كُونَ إِلَّا حَمَامَةً
مُطَوَّقَةً بَاتَتْ وَبَاتَ قَرِينُهَا
تُجَاوِبُهَا أُخْرَى عَلَى خَيْرِ رَأْيَةٍ
يَكَادُ يُدْنِيهَا مِنَ الْأَرْضِ لِينُهَا
فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا جَعْفَرٍ ، مَاذَا - أَعَزَّكَ اللَّهُ تَعَالَى -

(١) هو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي المصري النحوي ،
كان مع فضله وعلمه مشهوراً بالتقدير على نفسه في طعامه ولباسه ، وله تصانيف
كثيرة ، منها تفسير القرآن الكريم ، وشرح أبيات سيدييه ، وشرح
المعلقات ، توفي سنة ٣٣٨ غرق تحت القياس ولم يدر أين ذهب .
« أحمد يوسف نجاتي » (٢) خذلوها ولم يسعدوها بالبكاء ويعينوها عليه

بَاتَا يَصْنَعَانِ ؟ فَقَالَ لِي : وَكَيْفَ تَقُولُهُ أَنْتَ يَا أُنْدَلُسِيُّ ؟
 فَقُلْتُ لَهُ : بَأَنْتَ وَبِأَنَّ قَرِينَهَا ، فَسَكَتَ ، وَمَا زَالَ
 يَسْتَثْقِلُنِي بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى مَنَعَنِي كِتَابَ الْعَيْنِ ^(١) - وَكُنْتُ
 ذَهَبْتُ إِلَى الْإِنْتِسَاخِ مِنْ نُسخَتِهِ - فَلَمَّا قَطَعَ بِي قِيلَ لِي :
 أَيْنَ أَنْتَ مِنْ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ وَلَّادٍ ^(٢) ! فَقَصَدْتُهُ ، فَلَقِيتُ
 رَجُلًا كَامِلَ الْعِلْمِ حَسَنَ الْمُرُوءَةِ ، فَسَأَلْتُهُ الْكِتَابَ ، فَأَخْرَجَهُ
 إِلَيَّ . ثُمَّ نَدِمَ أَبُو جَعْفَرٍ لَمَّا بَلَغَهُ إِبَاحَةُ أَبِي الْعَبَّاسِ
 الْكِتَابَ إِلَيَّ ، وَعَادَ إِلَى مَا كُنْتُ أَعْرِفُهُ مِنْهُ . قَالَ : وَكَانَ
 أَبُو جَعْفَرٍ لَثِيمَ النَّفْسِ ، شَدِيدَ التَّقِيرِ عَلَى نَفْسِهِ ، وَرُبَّمَا
 وَهَبَتْ لَهُ الْعِمَامَةُ فَيَقْطَعُهَا ثَلَاثَ عَمَائِمَ ، وَكَانَ يَأْتِي
 شِرَاءَ حَوَائِجِهِ بِنَفْسِهِ ، وَيَتَحَامَلُ ^(٣) فِيهَا عَلَى أَهْلِ مَعْرِفَتِهِ .
 أَنْتَهَى . وَأَبُو جَعْفَرٍ هَذَا يُقَالُ إِنَّ تَأْلِيفَهُ تَزِيدُ عَلَى خَمْسِينَ

وتركوها تنوح وحدها (١) هو معجم في متن اللغة للخليل بن أحمد
 (٢) هو الامام أبو العباس أحمد بن محمد بن الوليد التميمي المصري النحوي
 مصنف كتاب الانتصار لسبويه على البرد ، وكان شيخ الديار المصرية
 في العربية مع أبي جعفر النحاس ، توفي سنة ٣٣٢ هـ «أحمد يوسف نجاتي»
 (٣) يكل اليهم القيام بها ويكلفهم ايها «أحمد يوسف نجاتي»

مِنْهَا شَرْحُ عَشْرَةِ دَوَاوِينَ لِلْعَرَبِ ، وَإِعْرَابُ الْقُرْآنِ ، وَمَعَانِي
الْقُرْآنِ ، وَشَرْحُ آيَاتِ الْكِتَابِ ^(١) وَغَيْرُ ذَلِكَ .

« رَجَعْتُ » وَقَالَ مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ : كَتَبْتُ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ
الْبَغْدَادِيِّ أَسْتَعِيرُ مِنْهُ كِتَابًا مِنَ الْغَرِيبِ وَقُلْتُ :

بِحَقِّ رِيمٍ ^(٢) مُهْفَفٍ وَصُدْغِهِ الْمُتَعَطِّفُ

إِبْعَثْ إِلَيَّ بِحُزْنٍ مِنَ الْغَرِيبِ الْمُصَنَّفِ

فَقَضَى حَاجَتِي ، وَأَجَابَ بِقَوْلِهِ :

وَحَقٌّ دُرٌّ تَأَلَّفَ بِفِيكَ أَيُّ تَأَلَّفِ

لَأُبْعَثَنَّ بِمَا قَدْ حَوَى الْغَرِيبُ الْمُصَنَّفِ

وَلَوْ بَعَثْتُ بِنَفْسِي إِلَيْكَ مَا كُنْتُ أَشْرَفِ

فَرَحِمَ اللَّهُ تَعَالَى تِلْكَ الْأَرْوَاحَ الطَّاهِرَةَ .

« وَذَكَرَ » ابْنُ أَصْبَغٍ الْهَمْدَانِيُّ ^(٣) عَنْ مُنْذِرٍ أَنَّهُ خَطَبَ

يَوْمًا وَأَرَادَ التَّوَاضُعَ - فَكَانَ مِنْ فُصُولِ خُطْبَتِهِ أَنْ قَالَ :

حَتَّى مَتَى وَإِلَى مَتَى أُعْطُ وَلَا أَعْطُ ؟! وَأَزْجُرُ وَلَا أَزْدَجِرُ ؟!

(١) كتاب سيبويه (٢) الريم: الظبي الخالص البياض، والمهفف: الدقيق

الحصر الضامر البطن (٣) قدمنا التعريف به فيما سبق « أحمد يوسف نجاتي »

أَدُلُّ عَلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَدِلِّينَ ^(١) ، وَأَبْقَى مُقِيمًا مَعَ الْحَاثِرِينَ !
 كَلَّا « إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ » « إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ
 تَضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ » الْآيَةُ ، اللَّهُمَّ فَرِّغْنِي
 لِمَا خَلَقْتَنِي لَهُ ^(٢) ، وَلَا تَشْغَلْنِي بِمَا تَكَفَّلْتَ لِي بِهِ ،
 وَلَا تَحْرِمْنِي وَأَنَا أَسْأَلُكَ ، وَلَا تُعَذِّبْنِي وَأَنَا أَسْتَغْفِرُكَ ، يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ . وَسَمِعَ مُنْذِرٌ بِالْأَنْدَلُسِ مِنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى بْنِ
 يَحْيَى ^(٣) وَنُظَرَائِهِ ، ثُمَّ رَحَلَ حَاجًّا سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَاجْتَمَعَ
 بَعْدَهُ أَغْلَامٌ ، وَظَهَرَتْ فُضَايِلُهُ بِالْمَشْرِقِ . وَمِمَّنْ سَمِعَ عَلَيْهِ مُنْذِرٌ
 بِالْمَشْرِقِ ثُمَّ بِمَكَّةَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْذِرِ النَّيْسَابُورِيُّ ^(٤) سَمِعَ
 عَلَيْهِ كِتَابَهُ الْمُؤَلَّفَ فِي اخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ الْمُسَمَّى بِالْإِشْرَافِ .
 وَرَوَى بِمِصْرَ كِتَابَ الْعَيْنِ لِلْخَلِيلِ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ وَلَّادٍ .
 وَرَوَى عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ بْنِ النَّحَّاسِ . وَكَانَ مُنْذِرٌ
 مُتَفَنًّا فِي ضُرُوبِ الْعُلُومِ ، وَغَلَبَ عَلَيْهِ التَّفَقُّهُ بِمَذْهَبِ

(١) فِي الْأَصْلِ « أَدُلُّ الطَّرِيقَ عَلَى الْمُسْتَدِلِّينَ » فِي الْعِبَارَةِ قَلْبُ أَيُّ أَدُلُّ
 الْمُسْتَدِلِّينَ عَلَى الطَّرِيقِ (٢) هَذَا الدِّعَاءُ مِنَ الْأَدْعِيَةِ الْمَأْثُورَةِ . (٣) تَقْدِيمُ
 تَعْرِيفِنَا بِهِ مَعَ بَعْضِ بَنِي يَحْيَى بْنِ كَثِيرٍ (٤) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ قَرِيبًا
 « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَاطِي »

أَبِي سُلَيْمَانَ دَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ الْأَصْبَهَانِيَّ الْمَعْرُوفِ بِالظَّاهِرِيِّ^(١)،
فَكَانَ مُنْذِرٌ يُؤَثِّرُ مَذْهَبَهُ، وَيَجْمَعُ كُتُبَهُ، وَيَحْتَجُّ لِمَقَالَتِهِ
وَيَأْخُذُ بِهِ فِي نَفْسِهِ وَذَوِيهِ، فَإِذَا جَلَسَ لِلْحُكُومَةِ قَضَى
بِمَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ، وَهُوَ الَّذِي عَلَيْهِ الْعَمَلُ
بِالْأَنْدَلُسِ، وَحَمَلَ السُّلْطَانُ أَهْلَ مَمْلَكَتِهِ عَلَيْهِ. وَكَانَ
خَطِيبًا بَلِيغًا، عَالِمًا بِالْجَدَلِ حَازِقًا فِيهِ، شَدِيدَ الْعَارِضَةِ،
حَاضِرَ الْجَوَابِ عَتِيدَهُ^(٢) ثَابِتَ الْحُجَّةِ، ذَا شَارِقٍ عَجِيبَةٍ، وَمَنْظَرَ
جَمِيلٍ، وَخُلُقٍ حَمِيدٍ، وَتَوَاضَعَ لِأَهْلِ الطَّلَبِ، وَأَنْحَطَّاطٍ إِلَيْهِمْ
وَإِقْبَالٍ عَلَيْهِمْ. وَكَانَ مَعَ وَقَارِهِ الثَّامُّ فِيهِ دُعَابَةٌ مُسْتَمْلَحَةٌ
وَلَهُ نَوَادِرُ مُسْتَحْسَنَةٌ. وَكَانَتْ وَلَايَتُهُ الْقَضَاءُ بِقَرْطَبَةِ
لِلنَّاصِرِ فِي شَهْرِ رَيْبَعِ الْآخِرِ سَنَةِ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ

(١) هو الامام أبو سليمان داود بن علي بن خلف الأصبهاني ثم البغدادي،
الدقيق المعروف بالظاهرى، وهو امام أهل الظاهر، وكان حافظا مجتهدا زاهدا
متقللا كثير الورع، وكان صاحب مذهب مستقل، وتبعه جمع كثير من
يعرفون بالظاهرية، وانتهت اليه رئاسة العلم ببغداد، وكان من أكثر
الناس تعصبا للامام الشافعى، وصنف فى فضائله والثناء عليه كتابين، ولد
بالكوفة سنة ٢٠٢ ونشأ ببغداد وتوفى بها سنة ٢٧٠ وأصله من أصبهان
« أحمد يوسف نجاشى » . (٢) أى حضره مهيئه معده .

وثلثمائة ، وَلَبِثَ قَاضِيًا مِنْ ذَلِكَ التَّارِيخِ لِلْخَلِيفَةِ النَّاصِرِ
إِلَى وَفَاتِهِ ، ثُمَّ لِلْخَلِيفَةِ الْحَكَمِ الْمُسْتَنصِرِ إِلَى أَنْ تُوفِيَ
- رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - عَقِبَ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ
وثلثمائة ، فَكَانَتْ وَلَايَتُهُ لِقَضَاءِ الْجَمَاعَةِ الْمُعَبَّرِ عَنْهُ
فِي الْمَشْرِقِ بِقَضَاءِ الْقُضَاةِ سِتَّةَ عَشَرَ عَامًا كَامِلَةً ، لَمْ يُحْفَظْ
عَلَيْهِ فِيهَا جَوْرٌ فِي قَضِيَّةٍ ، وَلَا قَسْمٌ بِغَيْرِ سَوِيَّةٍ ، وَلَا
مِثْلُ لِهَوَى ، وَلَا إِصْغَاءٌ إِلَى عِنَايَةٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَرَضِيَ
عَنْهُ - وَدُفِنَ بِمَقْبَرَةِ قُرَيْشٍ بِالرَّبَضِ الْغَرْبِيِّ مِنْ قُرْطُبَةٍ
- أَعَادَهَا اللَّهُ تَعَالَى - جَوْفَى مَسْجِدِ السُّدَّةِ ^(١) الْكُبْرَى

(١) السدة باب الدار والبيت ، أو الفناء ، وسدة المسجد الأعظم ماحوله
من الرواق - وأظن « السدة » هنا محرفة عن « السيدة » فالمعروف أنه
كان بقرطبة مسجد يسمى مسجد السيدة بالرّض الغربي منها ، وبقربه كانت
دار منذر بن سعيد صاحب هذه الترجمة - وعن كان يسكن قرب مسجد
السيدة أيضا أبو حفص عمرو بن عثمان بن خطار بن بشير بن عمرو بن
يزيد بن روق بن رفاعة بن محمد بن سعيد بن عبد الملك الذي جاز مع
طارق بن زياد وموسى بن نصير إلى الأندلس ، وتوفي سنة ٤٠٠ ، ومنهم
أبو القاسم عبد الوارث بن سفيان بن جبرون بن سليمان القرطبي ، الفقيه
المحدث توفي سنة ٣٩٥ وعن كان اماما بمسجد السيدة أبو بكر أحمد بن
عبد الله بن أيوب بن سليمان بن أحمد بن عبد الله بن محمد الذهبي الأموي
القرطبي ، وكان عم أبيه الفقيه الأولوي المذكور اسمه في هذه الترجمة ،

بِقُرْبِ دَارِهِ : وَلَهُ - رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى - تَأْلِيفُ مُفِيدَةٍ ، مِنْهَا
كِتَابُ أَحْكَامِ الْقُرْآنِ ، وَالنَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ ، وَغَيْرُ
ذَلِكَ فِي الْفِقْهِ وَالْكَلَامِ فِي الرَّدِّ عَلَى أَهْلِ الْمَذَاهِبِ
- تَعَمَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِرِضْوَانِهِ - . وَكَتَبَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ إِلَى
الْقَاضِي مُنْذِرٍ بِقَوْلِهِ :

مَسْئَلَةٌ جِئْتُكَ مُسْتَفْتِيًا عَنْهَا وَأَنْتَ الْعَالِمُ الْمُسْتَشَارُ
عَلَامَ تَحْمَرُّ وَجُوهُ الطَّبَّا

وَأَوْجُهُ الْعُشَّاقِ فِيهَا أَصْفَرَارُ ؟!

فَأَجَابَ مُنْذِرٌ بِقَوْلِهِ :

أَحْمَرُّ وَجْهَ الظَّنِّي إِذْ لَحْظُهُ

سَيْفٌ عَلَى الْعُشَّاقِ فِيهِ أَخْوَارُ

وَأَصْفَرَّ وَجْهَ الصَّبِّ لَمَّا نَأَى

وَالشَّمْسُ تَبْقَى لِلْمَغِيبِ أَصْفَرَارُ^(١)

كانت له رحلة الى المشرق ، ولد سنة ٣٣٣ هـ وله اختصار حسن في تفسير
القرآن للطبري ، ولا أعرف أنه كان بقرطبة مسجد يسمى مسجد السدة
ولكني أرجح أن الكلمة مصحفة ، والله أعلم « أحمد يوسف نجاتي »
(١) أى ذات اصفرار ، وهو مثل قول الشاعر :

* * *

« وَمِمَّنْ رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ مِنَ الْأَنْدَلُسِ فَشَهِدَ لَهُ
بِالسَّبْقِ ، كُلُّ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ » الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ
أَبُو مُحَمَّدٍ ^(١) الْقَاسِمُ الشَّاطِطِيُّ صَاحِبُ حِرْزِ الْأَمَانِيِّ ^(٢) ،
وَالْعَقِيلَةُ ، وَغَيْرُهُمَا . وَهُوَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ بْنُ فِيرَةَ ^(٣)
ابْنِ خَلْفِ بْنِ أَحْمَدَ الرُّعَيْنِيِّ الشَّاطِطِيِّ الْمُقَرَّرِيُّ الْفَقِيهُ الْحَافِظُ
الضَّرِيرُ ، أَحَدُ الْعُلَمَاءِ الْمَشْهُورِينَ ، وَالْفُضَّلَاءِ الْمَشْكُورِينَ
خَطَبَ بَيْلِدِهِ شَاطِطَةً مَعَ صِغَرِ سِنِّهِ ، وَدَخَلَ الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ
سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةً ، وَحَضَرَ عِنْدَ الْحَافِظِ

القاسم بن فيره
الشاطبي الرعيني

والشمس عند مغيبها تصفر من ألم الفراق
ووجه حمرة الوجه في البيت الأول أن به آثار من قتلوا بسيف اللحظ ،
ومثله :

هذا دمي في وجنتيك عرفته لا تستطيع جحوده عيناك
وعجز البيت الثاني فيه مبالغة مثل : فانما هي اقبال وادبار « أحمد يوسف نجاتي »
(١) في الأصل أبو القاسم بن فيره ، ففي العبارة سقط فهو كما أصلحناه
« أبو محمد القاسم بن فيره » (٢) هي قصيدته المشهورة في القراءات ، واسمها
حِرْزُ الْأَمَانِيِّ وَوَجْهُ الْتِهَانِيِّ . وعدتها ١١٧٣ بيتا ولقد أبدع فيها كل الابداع
وهي منذ نظمها لا تزال عمدة القراء في نقلهم ، وقد شرحها غير واحد ، ومن
أشهر شروحيها شرح ابن القاصح (٣) فيره لقب اسباني محض معناه

السَّلَفِيَّ^(١) وَأَبْنِ بَرِّيَّ^(٢) وَغَيْرَهُمَا . وَوُلِدَ بِشَاطِئَةِ آخِرِ سَنَةِ
ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَتُوفِّيَ بِالْقَاهِرَةِ يَوْمَ الْأَحَدِ
الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ - وَقِيلَ الثَّامِنَ عَشَرَ - مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ
سَنَةِ تِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ ، وَدُفِنَ مِنَ الْغَدِ بِالتُّرْبَةِ
الْفَاضِلِيَّةِ^(٣) بِسَفْحِ الْمُقَطَّمِ .

الحديد ، وهو بالفرنسية Fer وبالإيطالية Ferro وكذا باللغة الإسبانية
القديمة، مشتقا من الكلمة اللاتينية، وقد حرفوه في لغتهم الحديثة فسموا
الحديد Hierro ولكنهم لا ينطقون الحرف H بل يطلقون على السكة
الحديدية Ferrocarrils, Caminos de hierro ومن هذا
ترى أن كلمة فيره لا تزال مستعملة عندهم في بعض التراكيب « أحمد
يوسف نجاتي » (١) هو الحافظ صدر الدين أبو طاهر أحمد بن محمد بن
أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سلفة الأصبهاني أحد الحفاظ الكثيرين ، رحل
في طلب الحديث، ودخل ثغر الأسكندرية سنة ٥١١ وأقام به ، وقصده
الناس من كل حدب، وبنى له العادل أبو الحسن على بن السلار وزير
الخليفة الظافر العبيدي مدرسة بالثغر سنة ٥٤٦ وكان مولده سنة ٤٧٨
بأصبهان، وتوفي سنة ٥٧٦ بالثغر، ودفن به بقرب مدفن الإمام الطرطوشي.
والسلفي نسبة إلى جده سلفة ، وهو لفظ أعجمي ومعناه بالعربية « ثلاث
شفاه » لأن أحدي شفتيه كانت مشقوقة « أحمد يوسف نجاتي »
(٢) هو العلامة اللغوي الجليل أبو محمد عبد الله بن برى المقدسي ثم المصري
النحوي، انتهى إليه علم العربية في زمانه، وقصده الناس من جميع الآفاق
لتحقيقه وتبحره، وتوفي سنة ٥٣٢ « أحمد يوسف نجاتي » (٣) نسبة
إلى القاضي الفاضل أبي علي عبد الرحيم اليبساني وزير الملك الناصر صلاح
الدين الأيوبي ، وتوفي سنة ٥٩٦ ، وتربته في القرافة الصغرى

وَحُكِيَ أَنَّ الْأَمِيرَ عِزَّ الدِّينِ مُوسَى^(١) الَّذِي كَانَ
وَالِدُ ابْنِ الْحَاجِبِ^(٢) حَاجِبًا لَهُ بَعَثَ إِلَى الشَّيْخِ الشَّاطِبِيِّ
يَدْعُوهُ إِلَى الْحُضُورِ عِنْدَهُ ، فَأَمَرَ الشَّيْخُ بَعْضَ أَصْحَابِهِ أَنْ
يَكْتُبَ إِلَيْهِ :

قُلْ لِلْأَمِيرِ مَقَالَةٌ مِنْ نَاصِحٍ فَطِنٍ نَبِيٍّ
إِنَّ الْفَقِيهَ إِذَا أَتَى أَبْوَابَكُمْ لَا خَيْرَ فِيهِ

(١) هو الأمير موسى بن جكو الكردي، وهو ابن خال السلطان صلاح الدين بن أيوب، وكان ملازماً له في غزواته وحروبه، كان حافظاً للقرآن الكريم سامعاً للحديث، وكان براً بالناس محسناً إليهم، صالحاً ديناً شجاعاً كريماً جواداً، مرض بمرج عسكاً، فأمره السلطان أن يمضي إلى مدينة دمشق ليتطبب بها، فذهب إليها، فأدرسته منيته بها سنة ٥٨٥ رحمه الله « أحمد يوسف نجاتي » (٢) هو أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر ابن يونس الفقيه المالكي الملقب جمال الدين، كان والده حاجباً للأمير عز الدين موسى الصلاحى، واشتغل ولده أبو عمرو الذكور بالقاهرة في صغره بالقرآن الكريم، ثم بالفقه على مذهب الإمام مالك، ثم بالعربية والقراءات، وبرع في علومه وأتقنها، ثم انتقل إلى دمشق ودرس بها، وكان الأغلب عليه علم العربية، وصنف مختصراً مشهوراً في مذهبه، ومقدمة وجيزة في النحو سماها الكافية، وأخرى في الصرف سماها الشافية، وهما مشهورتان مفيدتان، وله عليهما شرحان جيدان - ثم عاد إلى القاهرة وأقام بها والناس ملازمون للاشتغال عليه، ثم انتقل إلى الإسكندرية فتوفى بها سنة ٦٤٦ وكان مولده سنة ٥٧٠ بمدينة أسنى بالصعيد « أحمد يوسف نجاتي »

وَمِنْ نَظْمِهِ - رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى - :

خَالَقْتُ^(١) أَبْنَاءَ الزَّمَانِ فَلَمْ أَجِدْ

مَنْ لَمْ أَرُمْ مِنْهُ أَرْتِيَادِي مُخْلِصِي

رَدُّ الشَّبَابِ وَقَدْ مَضَى لِسَبِيلِهِ

أَهْيَا^(٢) وَأُمْكِنُ مِنْ صَدِيقٍ مُخْلِصٍ

وَكَانَ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى - قَرَأَ بِشَاطِبَةِ الْقِرَاءَاتِ وَأَتَّقَهَا

عَلَى النَّفْزِيِّ^(٣) ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى بَلَنْسِيَةِ فَقَرَأَ بِهَا التَّيْسِيرَ مِنْ

حِفْظِهِ عَلَى ابْنِ هُذَيْلٍ^(٤) وَسَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْهُ وَمِنْ

(١) خالق الناس: عاشرهم في أخلاقهم وفي نسخة « خالست » وقد تكون

« خالطت » و« مخلصي » آخر البيت مفعول ارتيادي أي طلي (٢) أسهل (٣) هو

أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن أبي العاص النفزي المقرئ الضرير من أهل

شاطبة ، و يعرف بابن اللاية ، تصدر ببلده للأقراء ، وأخذ عنه جماعة من

الاعيان ، وكان من أهل الدين والفضل . ونفزة قبيلة كبيرة كانت تقيم

بشاطبة ، وهي من أصل بربري ، ونفزة منها أخوال عبد الرحمن الداخل

وهي من بربرة طرابلس ، وإليها ينسب أيضا المنذر بن سعيد البلوطي

النفزي المتقدم . ولكن ابن أبي العاص هذا منسوب إلى نفزة قرية

بالمالقة بالأندلس « أحمد يوسف نجاني » (٤) هو أبو الحسن علي بن

محمد بن علي بن هذيل ، فقيه مقرئ ، فاضل زاهد ورع ، اتفّع به خلق

كثير بعلمه ومروءته ، وتوفي سنة ٥٦٤ « أحمد يوسف نجاني »

أَبْنِ النُّعْمَةِ ^(١) وَأَبْنِ سَعَادَةَ ^(٢) وَأَبْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ ^(٣) وَغَيْرِهِمْ
وَارْتَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ ، فَاسْتَوَظَنَ الْقَاهِرَةَ . وَأَشْتَهَرَ أَشْمُهُ
وَبَعْدَ صِيَّتِهِ ، وَقَصَدَهُ الطُّلُبَةُ مِنَ النَّوَاحِي . وَكَانَ إِمَامًا
عَلَامَةً ذَكِيًّا ، كَثِيرَ الْفُنُونِ ، وَمُنْقَطِعَ الْقَرِينِ ، رَأْسًا فِي
الْقِرَاءَاتِ ، حَافِظًا لِلْحَدِيثِ ، بَصِيرًا بِالْعَرَبِيَّةِ ، وَاسِعَ الْعِلْمِ .
وَقَدْ سَارَتْ الرُّكْبَانُ بِقَصِيدَتَيْهِ : حِرْزِ الْأَمَانِي ، وَعَقِيلَةِ

(١) هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن خلف بن النعمة، فقيه حافظ محدث زاهد فاضل أديب عالم له مؤلفات قيمة وتوفي سنة ٥٦٧ «أحمد يوسف نجاتي»
(٢) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة ، أصله من بلنسية ، ونشأ بمرسية ، وتولى قضاءها بعد انقراض الدولة العتونية ، ثم نقل إلى قضاء شاطبة فاتخذها وطنًا ، رحل حاجا سنة ٥٢٠ ولقى في بلاد المشرق كثيرا من علمائه فأخذ عنهم ، وعاد إلى الأندلس سنة ٥٢٣ فأقبل الناس يستفيدون منه . وكان عالما محدثا صالحا متفنا في كثير من العلوم ، وتوفي بشاطبة سنة ٥٦٦ - وهناك أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن سعادة المقرئ الفاضل من أهل شاطبة ، ولد سنة ٥١٦ وتوفي سنة ٦١٤ بشاطبة «أحمد يوسف نجاتي»
(٣) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن محمد بن الفرج بن خلف ابن سعيد بن هشام الأنصاري الحزرجي من ولد سعيد بن سعد بن عبادة ، كان يعرف بابن الفرس ، وهو من أهل غرناطة ، وكان جدهم الداخل إلى الأندلس قد نزل سرقسطة ، ثم انتقل ولده إلى قرطبة ، وخرجوا منها في الفتنة البربرية إلى ألبيرة ونزلوا بها ، كان فقيها مقرئا عالما محدثا راوية مكثرا ، واستوطن مرسية سنة ٥٣٩ فولى الشورى بها ، ثم ولى

أَتْرَابِ الْفَضَائِلِ اللَّتَيْنِ فِي الْقِرَاءَاتِ وَالرَّسْمِ ، وَحَفِظَهُمَا
خَلَقَ كَثِيرٌ لَا يُحْصَوْنَ ، وَخَضَعَ لَهُمَا فُحُولُ الشُّعْرَاءِ ، وَكِبَارُ
الْبُلَغَاءِ ، وَحُذَّاقُ الْقُرَّاءِ ، وَلَقَدْ أُوجِزَ وَسَهِّلَ الصَّعْبُ . وَمِمَّنْ
رَوَى عَنْهُ أَبُو الْحَسَنِ ابْنُ خَيْرَةَ ^(١) وَوَصَفَهُ مِنْ قُوَّةِ الْحِفْظِ
بِأَمْرِ عَجِيبٍ مُعْجِبٍ ، وَمِمَّنْ قَرَأَ عَلَيْهِ بِالرَّوَايَاتِ الْإِمَامُ
الشَّهِيرُ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْقُرْطُبِيُّ ^(٢) . وَتَصَدَّرَ الشَّاطِبِيُّ - رَحِمَهُ
اللَّهُ تَعَالَى - لِلْإِقْرَاءِ بِالْمَدْرَسَةِ الْفَاضِلِيَّةِ ^(٣) . وَكَانَ مَوْصُوفًا

قضاء بلنسية سنة ٥٤٦ وكان في وقته أحد حفاظ الأندلس الأُدباء والقراء
العلماء ، وأخذ الناس عنه وانتفعوا به . وتوفي بأشبيلية سنة ٥٦٧ رحمه الله
« أحمد يوسف نجاتي » (١) هو علي بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن
خيرة البلبنسي الفقيه المحدث المقرئ الفاضل ، توفي سنة ٦٣٤ (٢) هو أبو
عبد الله محمد بن عمر بن يوسف الأنصاري القرطبي ، انتقل أبوه إلى
مدينة فاس فسكنها ، وعرف فيها بالقرطبي هو وابنه محمد هذا ، ثم رحل إلى
المشرق ووفد إلى القاهرة وحدث بها ، وأخذ عنه القرآن والحديث والعربية .
ثم انتقل إلى المدينة المنورة ، وجاور بها قليلا ، وعاد إلى مصر فتوفي بها
سنة ٦٢١ وكان ذا علم وفضل ودين وهدى « أحمد يوسف نجاتي »
(٣) دخل الشاطبي مصر سنة ٥٧٢ وكان تزييل القاضي الفاضل ، ورتبه
بمدرسته متصدرا لإقراء القرآن الكريم وقراءته والنحو واللغة -
والمدرسة الفاضلية كانت في الجهة الشمالية درب ملوخية ، بناها القاضي الفاضل
بجوار داره سنة ٥٨٠ ووقفها على طائفتي الفقهاء الشافعية والمالكية ، وجعل
فيها قاعة للإقراء ، أقرأ بها الإمام الشاطبي هذا ، ثم تلميذه أبو عبد الله

بِالزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ وَالْإِنْقِطَاعِ . وَقَبْرُهُ بِالْقَرَّافَةِ يُزَارُ وَتُرْجَى
 اسْتِجَابَةُ الدُّعَاءِ عِنْدَهُ ، وَقَدْ زُرْتُهُ مِرَارًا ، وَدَعَوْتُ اللَّهَ بِمَا
 أَرْجُو قَبُولَهُ . وَتَرَكَ أَوْلَادًا مِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٌ ، عَاشَ
 نَحْوَ ثَمَانِينَ سَنَةً . وَقَالَ السُّبْكِيُّ فِي حَقِّ الْإِمَامِ الشَّاطِبِيِّ :
 إِنَّهُ كَانَ قَوِيَّ الْحَافِظَةِ وَاسِعَ الْمَحْفُوظِ ، كَثِيرَ الْفُنُونِ
 فَفِيهَا مُقَرَّنًا مُحَدَّثًا نَحْوِيًّا ، زَاهِدًا عَابِدًا نَاسِكًا ، يَتَوَقَّدُ ذِكَاً .
 قَالَ السَّخَاوِيُّ : أَقْطَعُ أَنَّهُ كَانَ مُكَاشِفًا ، وَأَنَّهُ سَأَلَ اللَّهَ
 كَيْثَمَانَ حَالَهُ ؛ مَا كَانَ أَحَدٌ يَعْلَمُ أَيُّ شَيْءٍ هُوَ . أَنْتَهَى .
 وَتَرَجَّمَتْهُ وَاسِعَةً ، رَحِمَهُ اللَّهُ - تَعَالَى - وَنَفَعْنَا بِهِ ، آمِينَ .

وَقَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ : إِنَّهُ أَبْدَعَ فِي حِرْزِ الْأَمَانِي كُلِّ
 الْإِبْدَاعِ ، وَهِيَ عُمْدَةُ قُرَّاءِ هَذَا الزَّمَانِ فِي تَعْلِيمِهِمْ ، فَقَلَّ
 مَنْ يَشْتَغِلُ بِالْقِرَاءَاتِ إِلَّا وَيُقَدِّمُ حِفْظَهَا وَمَعْرِفَتَهَا ، وَهِيَ

محمد بن عمر القرطبي المتقدم التعريف به ، ووقف على هذه المدرسة جملة
 عظيمة من الكتب في سائر العلوم - كانت حوالي مائة ألف مجلد - لعبت بها
 فيما بعد أيدي الضياع والجهل . وكان إلى جانب المدرسة كتاب للائتمام ،
 وقد كانت تلك المدرسة من أعظم مدارس القاهرة وأجلها ، ثم خربت
 لحراب ماحولها وحى أثرها ولم يبق الا سيرتها « أحمد يوسف نجاتي » .

مُشْتَمِلَةٌ عَلَى رُمُوزٍ عَجِيبَةٍ ، وَإِشَارَاتٍ لَطِيفَةٍ ، وَمَا أَظُنُّهُ
سَبِقَ إِلَى أُسْلُوبِهَا ، وَقَدْ رَوَى عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ لَا
يَقْرَأُ أَحَدٌ قَصِيدَتِي هَذِهِ إِلَّا وَبِنَفْعَةِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - بِهَا
لَأَنِّي نَظَمْتُهَا لِلَّهِ تَعَالَى مُخْلِصًا . وَكَانَ عَالِمًا بِكِتَابِ اللَّهِ
تَعَالَى قِرَاءَةً وَتَفْسِيرًا ، وَبِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - مُبَرِّزًا فِيهِ ، وَكَانَ إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِ صَحِيحًا الْبُخَارِيُّ
وَمُسْلِمٌ وَالْمَوْطَأُ يُصَحِّحُ النُّسخَ مِنْ حِفْظِهِ ، وَيُمَلِّي النُّكْتَ
عَلَى الْمَوَاضِعِ الْمُحْتَاجِ إِلَيْهَا . وَكَانَ أَوْحَدَ زَمَانِهِ فِي عِلْمِ
النَّحْوِ وَاللُّغَةِ ، عَارِفًا بِتَعْيِيرِ الرُّوُيَا ، حَسَنَ الْمَقَاصِدِ ، مُخْلِصًا
فِيمَا يَقُولُ وَيَفْعَلُ . وَكَانَ يَحْتَنِبُ فُضُولَ الْكَلَامِ ، وَلَا
يَنْطِقُ فِي سَائِرِ أَوْقَاتِهِ إِلَّا بِمَا تَدْعُو إِلَيْهِ ضَرُورَةٌ ، وَلَا
يَجْلِسُ لِلْقِرَاءَةِ إِلَّا عَلَى طَهَارَةٍ ، فِي هَيْئَةٍ حَسَنَةٍ وَتَخَشُّعٍ
وَأُسْتِكَانَةٍ . وَكَانَ يَعْتَلُّ الْعِلَّةَ الشَّدِيدَةَ فَلَا يَشْتَكِي وَلَا
يَتَأَوَّهُ ، وَإِذَا سُئِلَ عَنْ حَالِهِ قَالَ : بِعَافِيَةٍ ، لَا يَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ .
وَكَانَ كَثِيرًا مَا يُنْشِدُ هَذَا الْغَزَلَ فِي النَّعْشِ ، وَهُوَ

لِابِي زَكْرِيَّا يَحْيَى بْنِ سَلَامَةَ الْخَطِيبِ^(١) :

أَتَعْرِفُ شَيْئًا فِي السَّمَاءِ نَظِيرُهُ^(٢)

إِذَا سَارَ صَاحَ النَّاسُ حَيْثُ يَسِيرُ؟!

(١) هو أبو الفضل يحيى بن سلامة بن الحسين بن محمد الملقب معين الدين المعروف بالخطيب الحصكفي ، كان فقيها أديبا خطيبا مفوها شاعرا بليغا ، وأصله من ديار بكر ، وقدم بغداد ، واشتغل بالعلم والأدب بها حتى برع براعة فائقة . ولد سنة ٤٦٠ هـ وتوفي سنة ٥٥١ هـ . « أحمد يوسف نجاتي » .

(٢) في ابن خلكان « يطير » أي يسرع في حركته ودورانه ، وهو يشير الى الكواكب المسماة بنات نعش الكبرى ، وهي سبعة كواكب أربعة منها نعش لأنها مربعة ، وثلاث بنات نعش . وكذلك بنات نعش الصغرى ، قيل انها شبيهت بحملة النعش في تربيعها . والكواكب الأربعة التي كانت العرب تسميها بالنعش هي في الحقيقة تؤلف شكلا شبه منحرف تقريبا ، والثلاثة الأخرى الباقية تكون قوسا يتجه تحديه نحو الأفق وهذه هي المجموعة المعروفة عند الفلكيين الآن باسم الدب الأكبر ، ويراه الراصد في مصر على ارتفاع ٦٠° وقد كان الأقدمون يتوهمون أن أربعة النجوم الأولى تؤلف جسم الدب ، وتكون الثلاثة الأخرى ذنبه ، ومن هنا أتت هذه التسمية ، والذي كانت العرب تسميه بنات نعش الصغرى هو المعروف الآن بالدب الأصغر - وما قيل في وصف بنات نعش :

وبنات نعش قد برزن حواسرا قدامها أخواتهن الأربع

عبري هتكن حجابهن على الدجا جزعا ، وآلت بعد لاتقنع

وللقاضى التنوخى :

كأن بنى نعش نساء حواسر غرائب قد شيعن نعش قريب

وللشريف العقيلي :

أرى ذنب الدب الصغير مذهباً وقد صورته عادة غير عاظم .

فَتَلَقَاهُ مَرْكُوبًا ، وَتَلَقَاهُ رَاكِبًا
وَكُلُّ أَمِيرٍ يَعْتَلِيهِ أَسِيرُ
يَحْضُ عَلَى التَّقْوَى وَيُكْرَهُ قُرْبَهُ
وَتَنْفِرُ مِنْهُ النَّفْسُ وَهُوَ نَذِيرُ
وَلَمْ يُسْتَزَرَ عَنْ رَغْبَةٍ فِي زِيَارَةٍ
وَلَكِنْ عَلَى رَغْمِ الْمَزُورِ يَزُورُ
وَكَانَ يَقُولُ عِنْدَ دُخُولِهِ إِلَى مِصْرَ : إِنَّهُ يَحْفَظُ وَقْرَ^(١)
بَعِيرٍ مِنَ الْعُلُومِ . وَكَانَ تَزِيلَ الْقَاضِي الْفَاضِلِ ، وَرَتَّبَهُ
بِمَدْرَسَتِهِ بِالْقَاهِرَةِ . وَقِيلَ إِنَّ كُنْيَتَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ^(٢) حَسْبَمَا
وُجِدَ فِي بَعْضِ إِجَازَاتِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - .

ودائرة الدب الكبير تجللت على القطب في أشراقها والأصائل
كان أنوشروان نام على الدجى وطافت عليه سبعة بمشاعل
وتقدم شيء يتعلق ببعض الكواكب . « أحمد يوسف نجاتي » .
(١) الوقر : الحمل (٢) هذا هو الذي صح ، وقد اخترته ، واسمه القاسم .

« وَمِنْ الرَّاكِلِينَ إِلَى الْمَشْرِقِ مِنَ الْأَنْدَلُسِ
 الْإِمَامُ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ » قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : وَهُوَ
 الْإِمَامُ الْقَاضِي الْعَالِمُ الشَّهِيرُ فَخَرُ الْمَغْرِبِ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ
 ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَرَبِيِّ الْمَعَاوِيُّ قَاضِي قُضَاةِ كُورَةِ
 إشبيلية، ذَكَرَهُ الْحَجَّارِيُّ فِي الْمُسْتَهَبِ . طَبَّقَ الْأَفَاقَ
 بِفَوَائِدِهِ ، وَمَلَأَ الشَّامَ وَالْعِرَاقَ بِأَوَابِدِهِ ^(١) ، وَهُوَ إِمَامٌ
 فِي الْأَصُولِ وَالْفُرُوعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . وَمِنْ شِعْرِهِ وَقَدْ رَكِبَ
 مَعَ أَحَدِ أَمْرَاءِ الْمَلِكَيْنِ - وَكَانَ ذَلِكَ الْأَمِيرُ صَغِيرًا - فَهَزَّ
 عَلَيْهِ رُمْحًا كَانَ فِي يَدِهِ مُدَاعِبًا لَهُ ، فَقَالَ :

أبو بكر بن
 العربي محمد
 ابن عبد الله
 المعافري بن
 العربي

يَهْزُ عَلَى الرُّمَحِ ظَبْيٌ مُهْفَفٌ
 لَعُوبٌ بِالْبَابِ الرَّعِيَّةِ عَابِثُ
 وَلَوْ كَانَ رُمْحًا وَاحِدًا لَا تَقِيَّتُهُ
 وَلَكِنَّهُ رُمَحٌ وَثَانٍ وَثَالِثُ

(١) طبق: عم وملاء، والأوابد جمع أبدة وهي في الأصل القافية الشاردة،
 والاقوال السائرة، والكلمة أو الفعلة الغريبة « أحمد يوسف نحاس »

وَقَوْلُهُ - وَقَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ غُلَامٌ جَمِيلٌ الصُّورَةِ فِي

لِبَاسٍ خَشِينٍ - :

لَيْسَ الصُّوفَ لِيْكَ أَنْكَرُهُ

وَأَتَانَا شَاحِبًا^(١) قَدْ عَبَسَا

قُلْتُ : إِيَّاهِ قَدَّعَرَفْنَاكَ ، وَذَا جُلُّ سَوْءٍ لَا يَعْيبُ الْفَرَسَا^(٢)

كُلُّ شَيْءٍ أَنْتَ فِيهِ حَسَنٌ لَا يُبَالِي حَسَنٌ مَا لَيْسَا

وَزَعَمَ بَعْضٌ أَنَّ الْأَيَّاتَ لَيْسَتْ لَهُ ، وَإِنَّمَا تَقْتَلِبُهَا

فَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ . وَمِمَّنْ عَرَّفَ بِابْنِ الْعَرَبِيِّ وَذَكَرَهُ

ابْنُ الْإِمَامِ فِي سِمَاطِ الْجُمَانِ ، وَالشَّقْنَدِيُّ فِي الطَّرْفِ . وَكَانَ

قَدْ صَحِبَ الْمَهْدِيَّ مُحَمَّدَ بْنَ ثَوَمَرْتٍ بِالْمَشْرِقِ ، فَأَوْصَى

عَلَيْهِ عَبْدَ الْمُؤْمِنِ ، وَكَانَ مُكْرَمًا عِنْدَهُ . وَحُكِيَ أَنَّهُ

كَتَبَ كِتَابًا ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ أَنْ يَذُرَّ عَلَيْهِ

نُشَارَةً ، فَقَالَ : قِفْ ، ثُمَّ فَكَّرَ سَاعَةً وَقَالَ أَكْتُبُ :

(١) شحب لونه « كجمع ونصر وكرم وعنى » شحوبا وشحوبة اذا تغير

من هزال أو عمل أو سفر أو غير ذلك (٢) الجل ما تلبسه الدابة لتصان به ، وقد

نكون « سوء » مصحفة عن صوف وان كان المعنى عليها ظاهرا فمراده بالجل

ذلك اللباس الخشن الذي لا يناسب هذا الوجه الجميل . « أحمد يوسف نجاتي »

لَا تَسْنُهُ بِمَا تَذُرُّ عَلَيْهِ فَكَفَاهُ هُبُوبُ هَذَا الْهَوَاءِ
 فَكَأَنَّ الَّذِي تَذُرُّ عَلَيْهِ جُدْرِيٌّ بِوَجْنَةٍ حَسَنَاءِ
 وَلَقِيَ أَبَا بَكْرٍ الطَّرْطُوشِيَّ ^(١) ، وَمَا بَرَحَ مُعْظَمًا
 إِلَى أَنْ تَوَلَّى خُطَّةَ الْقَضَاءِ ، وَوَافَقَ ذَلِكَ أَنْ أُحْتَاجَ سُورُ
 إِشْبِيلِيَّةَ إِلَى بُنْيَانِ جِهَةٍ مِنْهُ - وَلَمْ يَكُنْ بِهَا مَالٌ مُتَوَفِّرٌ -
 فَقَرَضَ عَلَى النَّاسِ جُلُودَ ضَحَايَاهُمْ - وَكَانَ ذَلِكَ فِي عِيدِ أَضْحَى -
 فَأَحْضَرُوهَا كَارِهِينَ ، ثُمَّ اجْتَمَعَتِ الْعَامَّةُ الْعَمِيَاءُ ، وَثَارَتْ
 عَلَيْهِ وَنَهَبُوا دَارَهُ ، وَخَرَجَ إِلَى قُرْطُبَةَ . وَكَانَ فِي أَحَدِ
 أَيَّامِ الْجُمُعِ قَاعِدًا يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ ، فَإِذَا بِغُلَامٍ رُومِيٍّ
 وَضِيءٍ قَدْ جَاءَ يَخْتَرِقُ الصُّفُوفَ بِشَمْعَةٍ فِي يَدِهِ وَكِتَابٍ
 مُعْتَقٍ ، فَقَالَ :

وَشَمْعَةٍ تَحْمِلُهَا شَمْعَةٌ يَكَادُ يُخْفِي نَوْرُهَا نَارَهَا
 لَوْ لَا نَهَى ^(٢) نَفْسٍ نَهَتْ غَيْهَا لَقَبَلَتْهُ وَآتَتْ عَارَهَا

(١) ستأني ترجمته (٢) النهي العقل لأنه ينهى عن القبيح ، وبه ينتهى
 الثراء اذا أطاعه الى المحاسن والمحامد « أحمد يوسف نجاتي »

وَلَمَّا سَمِعَهُمَا أَبُو عِمْرَانَ الزَّاهِدُ ^(١) قَالَ : إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ
يَفْعَلُ ، وَلَكِنَّهُ هَزَّتْهُ أَرْيَحِيَّةُ ^(٢) الْأَدَبِ ، وَلَوْ كُنْتُ أَنَا لَقُلْتُ :
لَوْلَا الْحَيَاءُ وَخَوْفُ اللَّهِ يَمْنَعُنِي

وَأَنْ يُقَالَ صَبَا مُوسَى عَلَى كِبَرِهِ

إِذَا لَمَتَّتُ لِحَظِي فِي نَوَاطِرِهِ

حَتَّى أَوْفَى جُفُونِي أَلْحَقَّ مِنْ نَظَرِهِ

« رَجَعْتُ » إِلَى أَخْبَارِ ابْنِ الْعَرَبِيِّ ، فَتَقُولُ : إِنَّهُ سَمِعَ

بِالْأَنْدَلُسِ أَبَاهُ وَخَالَهُ أَبَا الْقَاسِمِ الْحَسَنَ الْهُوزَنِيَّ ^(٣)

وَأَبَا عَبْدِ اللَّهِ السَّرْقُسْطِيَّ ، وَيَبْجَايَةَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْكَلَاعِيَّ ^(٤)

(١) هو موسى بن حسين بن موسى بن عمران القيسي أبو عمران
الزاهد الميرتلي ، نزيل اشبيلية ، كان منقطع القرين في الورع والزهد
والعبادة والعزلة ، مع الحظ الوافر من الأدب ، والتقدم في قرض الشعر
وكان ملازما لمسجده داخل اشبيلية ؛ يقرئ ويعلم ، ويفيد الناس بعلمه وأدبه
ووعظه . توفي سنة ٦٠٤ عن ثمانين سنة « أحمد يوسف نجاتي » .

(٢) أي نشاط وخفة وارتياح (٣) هو أبو القاسم الحسن بن عمر بن الحسن
الهوزني من أهل اشبيلية ، رحل الى المشرق وحج ، وأخذ عن كثير من
علمائه . وكان فقيها مشورا ببلده عالي في روايته ، ذا كرا للأخبار والحكايات
حسن الايراد لها ، رحل الناس اليه وسمعوا منه ، ولد سنة ٤٣٥ وتوفي
سنة ٥١٢ « أحمد يوسف نجاتي » (٤) هو أبو عبد الله محمد بن عمار
الكلاعي من أهل ميورقة ونزل بجاية ، سمع منه أبو بكر بن العربي
سنة ٤٨٥ ووصفه بالعلم ، وسيأتي حديث عنه « أحمد يوسف نجاتي »

وَبِالْمَهْدِيَّةِ أَبَا الْحَسَنِ بْنِ الْحَدَّادِ الْخَوْلَانِيٍّ^(١) ، وَسَمِعَ
بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ مِنَ الْأَنْمَاطِيِّ ، وَبِمِصْرَ مِنْ أَبِي الْحَسَنِ
الْخَلَمِيِّ^(٢) وَغَيْرِهِ ، وَبِدِمَشْقَ غَيْرَ وَاحِدٍ كَأَبِي الْفَتْحِ نَصْرِ
الْمُقَدِّسِيِّ^(٣) وَبِمَكَّةَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ الطَّبْرِيِّ^(٤) وَأَبْنَ
طَلْحَةَ^(٥) وَأَبْنَ بَنْدَارٍ^(٦) ، وَقَرَأَ الْأَدَبَ عَلَى التَّبْرِيْزِيِّ . وَعَمِلَ

(١) هو علي بن محمد بن ثابت الخولاني المعروف بالحداد المهدوي، وهو القائل

قلت وأبدت صفحة كالشمس من تحت القناع
بعت الدفاتر وهي آ خر ما يباع من المتاع
فأجبتها - ويدي على كبدى وهمت بانصداع -
لا تعجبي فيما رأي ت فنعجن في زمن الضياع

(٢) هو القاضي أبو الحسن علي بن الحسن المصري الفقيه الشافعي، انتهى
إليه في عصره علو الاسناد بمصر، وكان ذا دين وعبادة وفضل عظيم، وله
تأليف مفيدة، توفي سنة ٤٩٢ « أحمد يوسف نجاتي » (٣) هو الفقيه
نصر بن ابراهيم بن نصر بن ابراهيم بن داود المقدسي النابلسي الزاهد
شيخ الشافعية بالشام، كان اماما علامة فقيها محدثا حافظا زاهدا كبيرا القدر
عديم النظير، توفي سنة ٤٩٠ « أحمد يوسف نجاتي » (٤) هو الحسين
بن علي بن الحسين الفقيه الشافعي محدث مكة وتزيلها، وكان يدعى امام
الحرمين لأنه جاور بمكة نحو ٣٠ سنة يدرس ويفتي ويسمع، وبها توفي
سنة ٤٩٨ . « أحمد يوسف نجاتي » (٥) هو أبو عبد الله الحسين بن
أحمد بن محمد بن طلحة البغدادي الحمصي، روى عنه ابن العربي ببغداد
كما في شذور الذهب. وتوفي ابن طلحة سنة ٤٩٣ (٦) أبو المعالي ثابت
ابن بندار البقال المقرئ وكان ثقة فاضلا توفي سنة ٤٩٨ - و « بندار »

- رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - عَلَى مَدِينَةِ إِشْبِيلِيَّةَ سُورًا بِالْحِجَارَةِ
وَالْأَجُرِّ بِالنُّورَةِ مِنْ مَالِهِ . وَكَانَ - كَمَا فِي الصَّلَةِ - حَرِيصًا
عَلَى جَمْعِ الْمَعَارِفِ ، وَعَلَى أَذَائِهَا وَنَشْرِهَا ^(١) ثاقِبَ الذَّهْنِ فِي
تَمْيِيزِ الصَّوَابِ فِيهَا ، وَيَجْمَعُ إِلَى ذَلِكَ كُلِّهِ آدَابَ الْأَخْلَاقِ
مَعَ حُسْنِ الْمُعَاشَرَةِ ، وَلَيْنِ الْكِنْفِ ، وَكَثْرَةِ الْإِحْتِمَالِ
وَكَرَمِ النَّفْسِ ، وَحُسْنِ الْعَهْدِ ، وَثَبَاتِ الْوُدِّ . وَذَكَرَهُ
أَبْنُ بَشْكُوَالٍ فِي الصَّلَةِ ، وَقَالَ فِيهِ : الْإِمَامُ الْحَافِظُ خِتَامُ
عُلَمَاءِ الْأَنْدَلُسِ ، رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ مَعَ أَبِيهِ مُسْتَهْلَ رَيْيَعِ
الْأَوَّلِ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَدَخَلَ الشَّامَ
وَالْعِرَاقَ وَبَغْدَادَ ، وَنَسَمِعَ بِهَا مِنْ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ ، ثُمَّ حَجَّ فِي
سَنَةِ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ ، وَعَادَ إِلَى بَغْدَادَ ، ثُمَّ صَدَرَ مِنْهَا . وَقَالَ
أَبْنُ عَسَاكِرَ : خَرَجَ مِنْ دِمَشْقَ رَاجِعًا إِلَى مَقَرِّهِ سَنَةَ إِحْدَى

معناها « الحافظ » وابنه يحيى بن ثابت كان محدثا أيضا ويكنى أبا القاسم
وتوفي سنة ٥٦٦ (١) في الأصل « حريصا على آدابها وسيرها » والصواب
ما أثبتناه نقلا عن الصلة ، وهاك عبارتها . . . وكان من أهل التفنن في العلوم
والاستبحار فيها والجمع لها ، متقدما في المعارف كلها ، متكلمًا في أنواعها ، نافذا
في جميعها ، حريصا على أذائها ونشرها ، ثاقب الذهن الخ ، وقد لخصها صاحب
النفح بعد . « أحمد يوسف نجاتي » .

وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةً ، وَلَمَّا غَرَّبَ ^(١) صَنَّفَ عَارِضَةَ الْأَخْوَذِيِّ .
وَلَقِيَ بِمِصْرَ وَالْإِسْكَندَرِيَّةِ جُمْلَةً مِنَ الْعُلَمَاءِ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى
الْأَنْدَلُسِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ ، وَقَدِمَ إِشْبِيلِيَّةَ بِعِلْمٍ كَثِيرٍ .
وَكَانَ مَوْضُوفًا بِالْفَضْلِ وَالْكَمَالِ ، وَوَلِيَ الْقَضَاءِ بِإِشْبِيلِيَّةَ
ثُمَّ صُرِفَ عَنْهُ . وَمَوْلِدُهُ لَيْلَةَ يَوْمِ الْخَمِيسِ لِثَمَانٍ بَقِيْنَ مِنْ
شَعْبَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةً ، وَتُوفِّيَ بِمُغِيلَةَ بِمَقْرَبَةِ ^(٢)
مِنْ مَدِينَةِ فَاسٍ ، وَدُفِنَ بِفَاسٍ فِي رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةَ ثَلَاثٍ
وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةً . انْتَهَى كَلَامُ ابْنِ سَعِيدٍ وَغَيْرِهِ مُلَخَّصًا .
وَمَا وَفَى ابْنُ سَعِيدٍ حَافِظَ الْإِسْلَامِ أَبَا بَكْرٍ بْنَ الْعَرَبِيِّ
حَقَّهُ ، فَلْنُعَزِّزْهُ بِمَا حَضَرَنَا مِنَ التَّعْرِيفِ بِهِ ، فَنَقُولُ : إِنَّهُ لَقِيَ
بِبَغْدَادِ الشَّاشِيِّ ^(٣) الْإِمَامَ أَبَا بَكْرٍ ، وَالْإِمَامَ أَبَا حَامِدٍ الطُّوسِيَّ

(١) غرب: أى عاد إلى الغرب (٢) فى الأصل « بمقيلة بمقبرة » وهو تحريف
وتغيير خاطئ (٣) هو الامام أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين شيخ الشافعية، ولد
بميفارقين سنة ٤٢٩ وتلقى العلم فى حدائقه، ثم أخذ ببغداد عن أفاضلها، وولى
التدريس بالمدرسة النظامية ، وانهت اليه رياسة الشافعية ، وكان عالما جليلا
أديبا تقيا ورعا مهيبا وقورا متواضعا ، وكان يلقب بين الطلبة فى صغره
بالجنيد لشدة ورعه توفى سنة ٥٠٧ « أحمد يوسف نجاتى »

الْغَزَالِي ، وَتَقِلَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : كُلُّ مَنْ رَحَلَ لَمْ يَأْتِ
بِمِثْلِ مَا أَتَيْتُ بِهِ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا الْبَاجِي^(١) - أَوْ كَلَامًا هَذَا
مَعْنَاهُ - وَكَانَ مِنْ أَهْلِ التَّفَنُّنِ فِي الْعُلُومِ ، مُتَقَدِّمًا فِي
الْمَعَارِفِ كُلِّهَا ، مُتَكَلِّمًا عَلَى أَنْوَاعِهَا ، حَرِيصًا عَلَى نَشْرِهَا . وَقَامَ
بِأَمْرِ الْقَضَاءِ أَحْمَدَ قِيَامٍ ، مَعَ الصَّرَامَةِ فِي الْحَقِّ ، وَالْقُوَّةِ
وَالشَّدَّةِ عَلَى الظَّالِمِينَ ، وَالرَّفْقِ بِالْمَسَاكِينِ - وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ
أَنَّهُ أَمَرَ بِثَقَبِ أَشْدَاقِ زَامِرٍ - ثُمَّ صُرِفَ عَنِ الْقَضَاءِ ، وَأَقْبَلَ
عَلَى نَشْرِ الْعِلْمِ وَبَثِّهِ ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْحَافِظُ ابْنُ بَشْكُوَال^(٢)
بِإِسْبِيلِيَّةٍ . وَقَالَ ابْنُ الْأَبَّارِ^(٣) : إِنَّ الْإِمَامَ الزَّاهِدَ الْعَابِدَ
أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُجَاهِدِ الْإِسْبِيلِيِّ^(٤) لَازِمَ الْقَاضِي ابْنِ الْعَرَبِيِّ

(١) سبق التعريف به (٢) سبق التعريف به (٣) هو الفقيه الامام الفاضل
المحدث الحافظ الناقد الكاتب الأديب القاضي الجليل أبو عبد الله محمد بن
عبد الله بن أبي بكر القضاة البانسي المعروف بابن الأبار صاحب كتاب التكملة
في كتاب الصلاة ، وكتاب المعجم في تراجم بعض علماء الأندلس ، وهما كتابان
قيمان ، طبعاً بأوربة ، قتل ظلماً سنة ٦٥٨ (٤) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن
عبيد الله بن عبد الرحمن بن موسى الأنصاري الزاهد ، يعرف بابن المجاهد لأن
أباه كان كثير الجهاد والغزو في السرايا والجيوش ، كان فقيهاً أديباً ومقرئاً
خاضعاً لداود بن وورع وفضل وصلاح ، ولد سنة ٤٨٣ هـ وتوفي سنة ٥٧٤ هـ رحمه
الله « أحمد يوسف نجاتي » .

نَحْوًا مِنْ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ ، ثُمَّ تَخَلَّفَ عَنْهُ ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ :
كَانَ يُدَرِّسُ وَبَعَلَّتُهُ عِنْدَ الْبَابِ يَنْتَظِرُ الرُّكُوبَ إِلَى
السُّلْطَانِ . أَنْتَهَى

وَذَكَرَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ فِي صِلَتِهِ ، وَقَالَ : إِنَّهُ رَحَلَ مَعَ أَبِيهِ
أَبِي مُحَمَّدٍ عِنْدَ انْقِرَاضِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّادِيَّةِ وَسِنُهُ نَحْوُ سَبْعَةِ
عَشَرَ عَامًا ، إِلَى أَنْ قَالَ : وَقَيَّدَ الْحَدِيثَ ، وَضَبَطَ مَا رَوَى
وَأُتِّسَعَ فِي الرِّوَايَةِ ، وَأَتَقَنَ مَسَائِلَ الْخِلَافِ وَالْأُصُولِ
وَالْكَلَامِ عَلَى أَيْمَةِ هَذَا الشَّانِ . وَمَاتَ أَبُوهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -
تَعَالَى - بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ أَوَّلَ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ ، فَأَنْصَرَفَ
حِينَئِذٍ إِلَى إِشْبِيلِيَّةَ ، فَسَكَنَهَا ، وَشُورَ فِيهَا ، وَسَمِعَ وَدَرَّسَ
الْفِقْهَ وَالْأُصُولَ ، وَجَلَسَ لِلْوَعْظِ وَالتَّفْسِيرِ ، وَصَنَّفَ فِي غَيْرِ
فَنٍّ تَصَانِيفَ مَلِيحَةٍ حَسَنَةٍ مُفِيدَةٍ . وَوُلِيَ الْقَضَاءَ مُدَّةً أَوَّلَهَا
فِي رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ ثَمَانٍ ، فَفَقَعَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ ، لِعَصْرَامَتِهِ وَتُقُودِ
أَحْكَامِهِ ، وَالتَّزَمَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ،
حَتَّى أُوذِيَ فِي ذَلِكَ بِذَهَابِ كُتُبِهِ وَمَالِهِ ، فَأَحْسَنَ الصَّبْرَ عَلَى

ذَلِكَ كُلُّهُ . ثُمَّ صُرِفَ عَنِ الْقَضَاءِ ، وَأَقْبَلَ عَلَى نَشْرِ الْعِلْمِ وَبَثَّهُ . وَكَانَ فَصِيحًا حَافِظًا ، أَدِيبًا شَاعِرًا ، كَثِيرَ الْمُلْحِ ، مَلِيحَ الْمَجْلِسِ . ثُمَّ قَالَ : قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ - بَعْدَ أَنْ وَصَفَهُ بِمَا ذَكَرْتُهُ - : وَلِكثَرَةِ حَدِيثِهِ وَأَخْبَارِهِ ، وَغَرِيبِ حِكَايَاتِهِ وَرَوَايَاتِهِ ، أَكْثَرَ النَّاسِ فِيهِ الْكَلَامَ ، وَطَعَنُوا فِي حَدِيثِهِ . وَتَوَفَّى مُنْصَرَفَهُ مِنْ مَرًّا كِشَ مِنْ الْوَجْهَةِ الَّتِي تَوَجَّهَ فِيهَا مَعَ أَهْلِ بَلَدِهِ إِلَى الْخُضْرَةِ بَعْدَ دُخُولِ الْمُوَحِّدِينَ مَدِينَةَ إِشْبِيلِيَّةَ ، فَحُبِسُوا بِمَرَّا كِشَ نَحْوَ عَامٍ ، ثُمَّ سُرِّحُوا فَأَدْرَكَتْهُ مَنِيَّتُهُ . وَرَوَى عَنْهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، مِنْهُمْ الْقَاضِي عِيَاضٌ ، وَأَبُو جَعْفَرِ بْنِ الْبَادِشِ ^(١) وَجَمَاعَةٌ . انْتَهَى مُلَخَّصًا . وَوَقَعَ فِي عِبَارَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ تَبَعًا لِمَجْمَاعَةٍ أَنَّهُ دُفِنَ خَارِجَ بَابِ الْجَيْسَةِ بِفَاسٍ ، وَالصَّوَابُ خَارِجَ بَابِ الْمَحْرُوقِ - كَمَا أَشْبَعَتْ الْكَلَامَ عَلَى ذَلِكَ فِي أَزْهَارِ الرِّيَاضِ ، وَقَدْ زُرْتُهُ مَرَارًا ، وَقَبْرُهُ هُنَالِكَ مَقْصُودٌ لِلزِّيَارَةِ خَارِجَ الْقَصْبَةِ ، وَقَدْ

(١) هو أبو جعفر محمد بن علي بن خلف بن البادش الانصاري الغرناطي مؤلف كتاب الاقناع في القراءات توفي سنة ٥٤٠ هـ «أحمد يوسف نجاتي»

صَرَّحَ بِذَلِكَ بَعْضُ الْمُتَقَدِّمِينَ الَّذِينَ حَضَرُوا وِفَاتَهُ ، وَقَالَ
إِنَّهُ دُفِنَ بِتُرْبَةِ الْقَائِدِ مُظَفَّرٍ خَارِجَ الْقَصَبَةِ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ
صَاحِبُهُ أَبُو الْحَكَمِ ^(١) بْنُ حَجَّاجٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -
وَمِنْ بَدِيعِ نَظْمِهِ ^(٢) :

(١) أبو الحكم عمرو بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن حجاج اللخمي
الاشبيلي، ولي خطابة اشبيلية وكان فاضلا ورعا، توفي سنة ٥٦٤ - وابنه أبو عمرو
محمد بن عمرو ولي الخطبة بعد أبيه ، وحدث عنه ابنه أبو الحكم عبد
الرحمن بن محمد بن عمرو ، وخطب أيضا بعده بجامع اشبيلية القديم سنين
طويلة « فكانوا ثلاثة خطباء في نسق » ثم استعفى من ذلك فأعفى
وانقبض عن الناس ، وكان له حظ من النظم ورغبة في الأدباء يصحبهم
ويفضل عليهم مع بلاغة ولسن ، واتهت الرئاسة في الفضل اليه ، ولد سنة
٥٢٢ وتوفي سنة ٦٠١ « أحمد يوسف نجاتي » (٢) تنسب هذه الأبيات
للشاعر المشهور سلم بن عمرو الحاسر تلميذ بشار بن برد ، ويروي البيت
الثاني : أما تستحي يا قليل الوفاء ، ويروي عجزه : تراني بعين وتبكي بها
« وهي عبارة حسنة الوقع لذينة السمع » ويروي عجز البيت الثالث :
أمرت « الدموع » بتأديبها ، وهي أحسن مما هنا ، فإن الدموع هي التي
تؤدب العيون ، أما الجفون فجزء من العيون ، فهي مما ينالها تأديب الدموع
أيضا . ومهما كانت الرواية فهي أحسن من قول الثعلبي صاحب اليتيمة :
إذا زنت عيني بها فبالدموع تغتسل

أراد الشاعر أن يقلد ابن المعتز فلم يحسن ، قال ابن المعتز من أبيات :

ما ترى في متيم بك صب خاضع لا يرى من الذل بدا ؟!

ان زنت عينه بفيرك فاضربها بطول السهاد والدمع حدا

وان كان الذنب هنا نظر العين الى غير الحبيب واستجازتها من ذلك

أَتَنِي تُؤَنِّبُنِي بِالبُكَاءِ فَأَهْلًا بِهَا وَبِتَأْنِيهَا
تَقُولُ - وَفِي نَفْسِهَا حَسْرَةٌ : أَتَبْكِي بَعَيْنِي تَرَانِي بِهَا ؟
فَقُلْتُ : إِذَا سَتَحَسَنْتُ غَيْرَكُمْ أَمَرْتُ جُفُونِي بِتَعْذِيهَا
وَقَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - دَخَلَ عَلَى الْأَدِيبِ ابْنُ صَارَةَ (١)

ما تحرمه شريعة الحب ، وتحظره قوانين الاخلاص فيه . أما الذنب في أبيات
الكتاب فنظرها الى الحبيب نفسه - وقد أضر بها البكاء ، وقرح أجفانها
الدمع - ولولا ما تلاو كلمة « زنت » في أبيات ابن المعتز من احكام الصنعة
ومراعاة النظر بذكر الضرب والحد لكانت لندظة ينبو سمع الاديب
عنها - نعم انها وردت في خبر يؤثر « العين تزني » ولكن شتان
بين المقامين ، فمهما حسنتها صنعة ابن المعتز وكان الاثر من شأنه أن يأتي
بها فليست تدع ما هو شأنها من ادخال نفرة ماعلى النفس . أما أبيات
« سلم » أو « ابن العربي » فقد أعطى فيها بكلمة التأديب ، حسن أدب
اللييب ، فصان اللفظ عما يحوج الى التماس العذر ، ويؤدي الى النفرة - وان
كانت الأستاذية تعد ظاهرة في بيت ابن المعتز تقدم عن القائل أو تأخر -
ومن هذا الوادى قول ابن المعتز أيضا :

عاقبت عيني بالدمع والسهرة اذ غار قلبي عليك من بصرى
واحتملت ذاك وهى رابحة فيك ، وفازت بلذة النظر
وان كان الذنب الذى استوجب العقاب مغيرا لما تقدم « أحمد يوسف نجاشي »
(١) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن سارة البكرى ، من أهل
شترين ، وسكن اشبيلية ، وتعيش فيها بالوراقة ، فأدركته حرفة الادب
وجال في بلاد الاندلس شرقا وغربا للتعليم بالعربية ، فلم يسعه مكان
ولا اشتمل عليه سلطان . وامتدح الولاة والرؤساء ، وكتب لبعضهم ، وكان
أديبا ماهرا ، شاعرا مقلعا ، مخترعا مولدا ، كاتبا بليغا ، ذا حظ عظيم من

وَبَيْنَ يَدَيَّ نَارٌ عَلَاهَا رَمَادٌ ، فَقُلْتُ لَهُ : قُلْ فِي هَذِهِ ، فَقَالَ :

شَابَتْ نَوَاصِي النَّارِ بَعْدَ سَوَادِهَا

وَتَسْتَرَتْ عَنَّا بِشَوْبِ رَمَادٍ

ثُمَّ قَالَ لِي : أَجِزْ ، فَقُلْتُ :

شَابَتْ كَمَا شَبْنَا وَزَالَ شَبَابُنَا

فَكَأَنَّمَا كُنَّا عَلَى مِيعَادٍ

وَقَدْ اخْتَلَفَ حُذَّاقُ الْأَدْبَاءِ فِي قَوْلِهِ : وَلَكِنَّهُ رُمِحَ وَثَانٍ

وَتَالِثٌ ، مَا هُوَ الثَّانِي وَالثَّالِثُ ؟ فَقِيلَ الْقَدْ وَاللَّحْظُ ، وَقِيلَ غَيْرُ

ذَلِكَ . وَلَمَّا ذَكَرَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِي كِتَابِهِ قَانُونِ

التَّأْوِيلِ رُكُوبَهُ الْبَحْرِ فِي رِحْلَتِهِ مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ قَالَ : وَقَدْ

سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَعْظُمَ عَلَيْنَا الْبَحْرُ بِرُؤُولِهِ ^(١) ،

اللغة والرواية ، قليل الحظ من الدنيا . وقال فيه ابن بسام : وبعد

جهد ارتقى الى كتابة بعض الولاة ، فلما كان من خلع الملوك ما كان

أوى الى اشبيلية أوحش حالا من الليل ، وأكثر انفرادا من سهيل ،

وتبلغ من الوراقة ، وله منها جانب ، وبها بصر ثاقب ، فاتتحتها على كساد

سوقها ، وخالو طريقها - وتوفي سنة ٥١٧ بمدينة المرية « أحمد يوسف

نجاتي » (١) الزول : البلاء والعجب « أحمد يوسف نجاتي »

وَيُفَرِّقُنَا^(١) فِي هَوَاهِ ، فَخَرَجْنَا مِنَ الْبَحْرِ ، خُرُوجَ الْمَيِّتِ
 مِنَ الْقَبْرِ ، وَأَتَّهَيْنَا بَعْدَ خَطْبِ طَوِيلٍ إِلَى يُتُوتِ بَنِي كَعْبٍ
 ابْنِ سُلَيْمٍ ، وَنَحْنُ مِنَ السَّغَبِ^(٢) ، عَلَى عَطَبٍ ، وَمِنَ الْعُرَى ،
 فِي أَقْبَحِ زِيٍّ ، قَدْ قَذَفَ الْبَحْرُ زِقَاقَ زَيْتٍ مَزَقَتْ الْحِجَارَةُ
 مَنِيَّتَهَا^(٣) وَدَسَمَتْ الْأَذْهَانَ وَبَرَهَا وَجِلْدَهَا ، فَاحْتَرَمْنَاهَا
 أَزْرًا ، وَاشْتَمَلْنَاهَا لِفَاقًا ، تَمُجُّنَا الْأَبْصَارُ ، وَتَحْذُلُنَا الْأَنْصَارُ ،
 فَعَطَفَ أَمِيرُهُمْ عَلَيْنَا ، فَأَوَيْنَا إِلَيْهِ فَأَوَانَا ، وَأَطْعَمَنَا اللَّهُ تَعَالَى
 عَلَى يَدَيْهِ وَسَقَانَا ، وَأَكْرَمَ مَشْوَانَا وَكَسَانَا ، بِأَمْرِ حَقِيرٍ
 ضَعِيفٍ ، وَفَنٍّ مِنَ الْعِلْمِ طَرِيفٍ ، وَشَرَحُهُ : أَنَا لَمَّا وَقَفْنَا عَلَى
 بَابِهِ الْفَيْنَاهُ يُدِيرُ^(٤) أَعْوَادَ الشَّاهِ ، فَعَلَ السَّامِدِ^(٥) اللَّهُ ،
 فَدَنَوْتُ مِنْهُ فِي تِلْكَ الْأَطْمَارِ^(٦) ، وَسَمَحَ لِي بِيَاذِقَتِهِ^(٧) إِذْ

(١) وفي نسخة « يفرقنا » أي نخيفنا ويفزعنا (٢) الجوع والتعب .
 (٣) النبئة : الجلد أول ما يدنخ ، وفي نسخة « هيئتها » (٤) في نسخة
 « يدبر » (٥) السامد الإلهي الغافل ، والساهي ، والمتكبر ، والمتحير أشرا
 وبظرا . وقد فسر قوله تعالى : « وأنتم سامدون » ، بالمتحير ، والساهي
 والمتكبر (٦) الثياب الحلقة البالية « جمع طمر » (٧) جمع يندق بمعنى
 راجل ، قال الفرزدق :

منعتك ميراث الملوك وتاجهم وأنت لدرعى يندق في البياذق

كُنْتُ مِنَ الصَّغَرِ فِي حَدِّ يُسْمَحُ فِيهِ لِلْأُغْمَارِ ^(١) وَوَقَفْتُ
بِأَزَائِهِمْ، أَنْظَرْتُ إِلَى تَصَرُّفِهِمْ مِنْ وَرَائِهِمْ، إِذْ كَانَ عَلِقَ بِنَفْسِي
بَعْضُ ذَلِكَ مِنْ بَعْضِ الْقَرَابَةِ فِي خُلْسِ الْبَطَالَةِ، مَعَ غَلَبَةِ
الصَّبُورَةِ وَالْجَهَالَةِ، فَقُلْتُ لِلْبَيَازَةِ: الْأَمِيرُ أَعْلَمُ مِنْ صَاحِبِهِ،
فَلَمْخُونِي شَرًّا ^(٢)، وَعَظُمْتُ فِي أَعْيُنِهِمْ بَعْدَ أَنْ كُنْتُ
نَزْرًا ^(٣)، وَتَقَدَّمْتُ إِلَى الْأَمِيرِ مَنْ تَقَلَّ إِلَيْهِ الْكَلَامُ، فَاسْتَدْنَانِي
فَدَنَوْتُ مِنْهُ، وَسَأَلَنِي: هَلْ لِي بِمَا هُمْ فِيهِ بَصَرٌ ^(٤)؟ فَقُلْتُ:
لِي فِيهِ بَعْضُ نَظَرٍ، سَيَبْدُو لَكَ وَيَظْهَرُ، حَرِّكَ تِلْكَ الْقِطْعَةَ،
فَفَعَلَ كَمَا أَشَرْتُ، وَعَارَضَهُ صَاحِبُهُ، فَأَمَرْتُهُ أَنْ يُحَرِّكَ أُخْرَى،
وَمَا زَالَتْ الْحَرَكَاتُ يَنْتَهِمُ كَذَلِكَ تَتْرَى ^(٥)، حَتَّى هَزَمَهُمْ
الْأَمِيرُ، وَأَنْقَطَعَ التَّدْيِيرُ، فَقَالُوا مَا أَنْتَ بِصَغِيرٍ. وَكَانَ فِي

أى وأنت رجل تمولدى، وهو لفظ معرب «بياده» ومنه بيدق الشطرنج
(١) جمع غمر وهو الجاهل الغر غير المجرب، والعمر من الناس ليفهم
وزحمته وجماعتهم (٢) نظر إليه شررا اذا نظره من أحد شقيه ولم يستقبله
بوجهه، أو هو نظره فيه اعراض كنظر المعادى، أو نظر البغض الغضبان
يعوخر العين (٣) قليلا تافها أى حقيرا مستقلا مستهاننا بى «أحمد يوسف
نجاتى» (٤) فى الأصل «بر» وهو تحريف (٥) أى متوالية متتابعة
«أحمد يوسف نجاتى»

أَثْنَاءَ تِلْكَ الْحَرَكَاتِ قَدْ تَرَنَّمَ ابْنُ عَمِّ الْأَمِيرِ مُنْشِدًا^(١) :

وَأَحْلَى الْهَوَى مَاشِكٌ فِي الْوَصْلِ رَبُّهُ

وَفِي الْهَجْرِ، فَهُوَ الدَّهْرُ يَرْجُو وَيَتَّقِي

فَقَالَ : لَعَنَ اللَّهُ أَبَا الطَّيِّبِ ! أَوَيْشُكَ الرَّبُّ ! ! فَقُلْتُ

لَهُ فِي الْحَالِ : لَيْسَ كَمَا ظَنَّ صَاحِبُكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنَّمَا أَرَادَ

(١) من قصيدة لأبي الطيب يمدح بها سيف الدولة أولها :

لعينيك ما يلقي الفؤاد وما لقي وللحب ما لم يبق مني وما بقي
وما كنت ممن يدخل العشق قلبه ولكن من يبصر جفونك يعشق
وبين الرضا والسخط والقرب والنوى بحال لدمع المقلة المتفرق
وبعد البيت : وأحلى الهوى الخ. أي يرجو الوصل ويتقى الهجر بمراعاة أسباب
الوصال ، وإنما قال ماشك في الوصل لأن العاشق إذا كان في جانب الشك
كان الوصل أشد اغتناما ، وكان الظفر به فرصة تلد لمن نالها ، وإذا تيقن المحب
الوصل كان غير هنيء سائغ عند وجوده ، ولالذيذ عذب عند التمتع به ، وكل
مقدور عليه مملول ، وكذا إذا كان في يأس من الوصل لم تكن له لذة
الرجاء ، فالهوى عليه بلاء كله ، وقد يلجأ إلى راحة اليأس فيسلو ، وقد قال الشاعر

تعب يطول مع الرجاء بذى الهوى خير له من راحة مع يأس

وقال بعض الحكماء : الرجاء تمن والشك توقف وهما أصل الأمل ، وقال
آخر : أحلى الهوى وأعذبه ما كان صاحبه بين يأس وطمع وخفاة
وأمل ، فهو يحذر الهجر ويتقيه ، ويؤمل الوصل ويرتجيه. وقال جميل بن
معمر العذري :

لا خير في الحب وقف إلا تحركه عوارض اليأس أو يرتاحه الطمع

وقد يكون هجر الدلال ، ألد من كثير من الوصال « أحمد يوسف نجاتي »

بِالرَّبِّ هَهُنَا الصَّاحِبَ، يَقُولُ: أَلَدُّ الْهَوَى مَا كَانَ الْمُحِبُّ فِيهِ
مِنَ الْوَصَالِ، وَبُلُوغِ الْغَرَضِ مِنَ الْآمَالِ، عَلَى رَيْبٍ، فَهُوَ فِي
وَقْتِهِ كُلِّهِ عَلَى رَجَاءٍ لِمَا يُؤْمَلُهُ، وَتَقَاةٍ لِمَا يَقْطَعُ بِهِ، كَمَا قَالَ (١):

(١) الببت للعباس بن الأحنف وقبيله :

تحبب فان الحب داعية الحب وكم من بعيد الدار مستوجب القرب
تبصر ، فان حدث أن أخا هوى نجا سالما فارح النجاة من الحب
وأحسن أيام الهوى يومك الذي تروع بالهجران فيه وبالعتب
وقد أكثر الشعراء من هذا المعنى ، ومن أشهر به زهير بن أبي سلمى
في قوله :

وقد كنت من سلمى سنين ثمانيا على صير أمر ما يمر ولا يحلو
وقال الجلاح :

مددت حبل غرور غير موضة فوق الأكف ، فلاجود ولا بخل
والهجر أروح من غيث يطمعنا فيه مخايل ما يلقى لها بلل
وقال عبد الله بن قيس الرقيات :

تركتني واقدا على الشك لم أصدر بيأس منكم ولم أرد
وقال ابن أبي زرعة الدمشقي :

وكأنني بين الوصال وبين الـ هجر بمن مقامه الأعراف
في محل بين الجنان وبين الـ نار طور الأرجو و طور الخاف
وقال الخليل :

وجسدت ألد العيش فيما باوته ترقب مشتاق زيارة معشوق
وقال كشاجم :

لولا طراد الصيد لم تكن لذة فتطاردى لي بالوصال قليلا
وجدير بالمحبوب أن يكون كثير التبدل ، قليل التبذل «أحمد يوسف نجاتي»

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحَبِّ سُخْطٌ وَلَا رِضًا
فَإِنَّ حَلَاوَاتِ الرِّسَائِلِ وَالْكِتَابِ!
وَأَخَذْنَا نُضِيفُ إِلَى ذَلِكَ مِنَ الْأَغْرَاضِ ، فِي طَرَفِ
الْإِبْرَامِ وَالْإِنْتِقَاضِ ، مَا حَرَّكَ مِنْهُمْ إِلَى جِهَتِي دَوَاعِي
الْإِنْتِهَاضِ ، وَأَقْبَلُوا يَتَعَجَّبُونَ مِنِّي ، وَيَسْأَلُونَ نِي كَمْ سِنِّي ،
وَيَسْتَكَشِفُونَ نِي عَنِّي ، فَبَقَرْتُ^(١) لَهُمْ حَدِيثِي ، وَذَكَرْتُ
لَهُمْ نَجِيثِي^(٢) ، وَأَعْلَمْتُ الْأَمِيرَ بَانَ أَبِي مَعِي فَاسْتَدْعَاهُ ،
وَقُمْنَا الثَّلَاثَةَ إِلَى مَثْوَاهُ ، فَخَلَعَ عَلَيْنَا خِلْعَهُ ، وَأَسْبَلَ عَلَيْنَا
أَدْمَعَهُ ، وَجَاءَ كُلُّ خِوَانٍ^(٣) ، بِأَفْنَانٍ وَالْوَانِ . ثُمَّ قَالَ بَعْدَ

(١) بقر الحديث اذا كشفه وأوضحه ، من بقر الشيء اذا فتحه وشقه
ووسعه ، ومنه سمي الامام محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب
بالبقر لتبحره في العلم وتوسعه فيه حتى عرف أصوله واستنبط فرعه (٢) النجيث
السر الخفي ، وهو نجيث القوم أي سرهم ، ومن أمثالهم في اعلان السر
وابدائه بعد كتمانهم قوله : بدا نجيث القوم ، أي ظهر سرهم الذي كانوا
يخفونه ، وهو من قولهم نجث الشيء وعن الشيء ونث : اذا بحث عنه
يتبعه ويستخرجه ، والنجث الاستخراج وهو بالحديث أخص ، والنجث
النبش ، والنجيث ما استخرج من تراب البئر مثل النبيثة « وماظهر من
قبیح الخبر » وسيأتي للمؤلف تفسير النجيث بهذا المعنى الأخير ، وأراه غير
مناسب ، بل الأولى أن يكون معناها السر كما بسطنا ذلك « أحمد يوسف نجاتي »
(٣) مائدة الطعام

الْمُبَالَغَةِ فِي وَصْفِ مَا نَالَهُمْ مِنْ إِكْرَامِهِ : فَانْظُرْ إِلَى هَذَا
الْعِلْمِ الَّذِي هُوَ إِلَى الْجَهْلِ أَقْرَبُ ، مَعَ تِلْكَ الصُّبَابَةِ^(١)
الْيَسِيرَةِ مِنَ الْأَدَبِ ، كَيْفَ انْقَذَا مِنَ الْعَطَبِ ؟ ! وَهَذَا
الَّذِي كُرُ يُرْشِدُكُمْ - إِنْ عَقَلْتُمْ - إِلَى الْمَطْلَبِ . وَسِرْنَا حَتَّى
أَنْتَهَيْنَا إِلَى دِيَارِ مِصْرَ . أَنْتَهَى مُخْتَصِرًا « وَالزَّوْلُ الْعَجَبُ ،
وَنَجِثُ الْخَبَرَ مَا ظَهَرَ مِنْ قَبِيحِهِ ، وَيُقَالُ بَدَأَ نَجِثُ الْقَوْمِ
إِذَا ظَهَرَ سِرُّهُمْ الَّذِي كَانُوا يُخْفَوْنَهُ »^(٢) ، قَالَهُمَا الْجَوْهَرِيُّ
وَذَكَرَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِي رِحْلَتِهِ عَجَائِبَ ؛ مِنْهَا
أَنَّهُ حَكَى فِي دُخُولِهِ بِدِمَشْقَ يُبَوِّتُ بَعْضُ الْأَكَاْبِرِ أَنَّهُ
رَأَى فِيهِ النَّهْرَ جَارِيًا إِلَى مَوْضِعٍ جُلُوسِهِمْ ، ثُمَّ يَعُودُ مِنْ نَاحِيَةِ
أُخْرَى ، قَالَ : فَلَمْ أَفْهَمْ مَعْنَى ذَلِكَ حَتَّى جَاءَتْ مَوَائِدُ الطَّعَامِ فِي
النَّهْرِ الْمُقْبِلِ إِلَيْنَا ، فَأَخَذَهَا الْخُدَمُ وَوَضَعُوهَا بَيْنَ أَيْدِينَا ، فَلَمَّا
فَرَغْنَا اتَّقَى الْخُدَمُ الْأَوَانِي وَمَا مَعَهَا فِي النَّهْرِ الرَّاجِعِ ، فَذَهَبَ
بِهَا الْمَاءُ إِلَى نَاحِيَةِ الْحَرِيمِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقْرُبَ الْخُدَمُ تِلْكَ
النَّاحِيَةَ ، فَعَلِمْتُ السِّرَّ ، وَإِنَّ هَذَا لَعَجِيبٌ . أَنْتَهَى بِمَعْنَاهُ .

(١) الشيء القليل (٢) هذا هو المعنى المراد « أحمد يوسف نجاتي »

وَقَالَ فِي قَانُونِ التَّأْوِيلِ: وَرَدَّ عَلَيْنَا ذَا نَشْمَنْدُ - يَعْنِي الْغَزَالِيَّ -
فَقَزَلَ بِرِبَاطٍ^(١) أَبِي سَعْدٍ بِإِزَاءِ الْمَدْرَسَةِ النَّظَامِيَّةِ ، مُعْرِضًا
عَنِ الدُّنْيَا ، مُقْبِلًا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، فَمَشِينَا إِلَيْهِ ، وَعَرَضْنَا أُمْنِيَّتَنَا
عَلَيْهِ ، وَقُلْتُ لَهُ : أَنْتَ ضَالَّتْنَا الَّتِي كُنَّا نَنْشُدُ ، وَإِمَامَنَا
الَّذِي بِهِ نَسْتَرْشِدُ ، فَلَقِينَا لِقَاءَ الْمَعْرِفَةِ ، وَشَاهَدْنَا مِنْهُ
مَا كَانَ فَوْقَ الصِّفَةِ ، وَتَحَقَّقْنَا أَنَّ الَّذِي تُقَلِّ إِلَيْنَا مِنْ أَنَّ
الْخَبَرَ عَلَى الْغَائِبِ فَوْقَ الْمُشَاهَدَةِ لَيْسَ عَلَى الْعُمُومِ^(٢) ،

(١) الرباط مابني للرابطة فيه أي لزوم الثغر للاستعداد للجهاد ، وأصل
الرباط أو المrabطة أن يربط كل من الفريقين خيوله في ثغره ، وكل معد
لصاحبه ، ثم سمي للمقام بالثغر رباطا ، وكذا أطلق على مكان الإقامة من
خوقلعة وحصن . والمدرسة النظامية ببغداد بناها نظام الملك أبوعلى الحسن
ابن علي بن اسحق بن العباس وزير ملكشاه السلجوقي ، شرع في عمارتها
سنة ٤٥٧ واحتفل بافتتاحها والدراسة بها سنة ٤٥٩ ونظام الملك هو أول
من أنشأ المدارس النظامية ، وعنى ببناء الربط والمساجد في البلاد ، ولد
سنة ٤٠٨ وتوفي سنة ٤٨٥ ودفن بأصبهان . « أحمد يوسف نجاتي » .
(٢) ذكر الشيخ علاء الدين علي بن الصيرفي في كتابه زاد السالكين أن
القاضي أبا بكر بن العربي قال : رأيت الامام الغزالي في البرية وبيده عكازة
وعليه مرقعة ، وعلى عاتقه ركوة - وقد كنت رأيت ببغداد يحضر مجلس درسه
نحو أربع مائة عمامة من أكابر الناس وأفاضلهم يأخذون عنه العلم - قال
فدنوت منه وسلمت عليه وقلت له : يا امام أليس تدريس العلم ببغداد خيرا
من هذا ؟ قال فنظر الى شذرا وقال : لما طلع بدر السعادة ، في سماء الارادة

وَلَوْ رَأَاهُ عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ ^(١) لَمَا قَالَ :
 إِذَا مَا مَدَحْتَ امْرَأً غَائِبًا
 فَلَا تَغْلُ فِي مَدْحِهِ وَأَقْصِدِ ^(٢)
 فَإِنَّكَ إِن تَغْلُ تَغْلُ الظَّنُّ
 نُ فِيهِ إِلَى الْأَمَدِ الْأَبَعَدِ
 فَيَصْغُرُ مِنْ حَيْثُ عَظُمَتْهُ لِفَضْلِ الْمَغِيبِ عَلَى الْمَشْهَدِ
 انتهى

وجنحت شمس الوصول، في مغارب الأصول :
 تركت هوى ليلي وسعدى بمعزل وعدت الى مصحوب أول منزل
 ونادت بي الأشواق: مهلا فهذه منازل من تهوى، رويدك فانزل
 غزلت لهم غزلا رقيقا، فلم أجد لغزلي نساجا، فكسرت مغزلي
 (١) هو ابن الرومي، وله فيما يشبه هذا المعنى أيضا :
 وإذا امرؤ مدح امرأ لنواله وأطال فيه فقد أراد هجاءه
 لو لم يقدر فيه بعد المستقى عند الورود لما أطل رشاده
 وله أيضا في هذا المعنى :

إذا عز رفد لمسترفد أطال المديح له المادح
 وقدا إذا استبعد المستقى أطال الرشاء له الماتح
 وقد أخذ السراج الوراق وتصرف فيه فقال :

سامع بفضلك عبدا مقصرا في الثناء
 رأى قليبا قريبا فلم يطل في الرشاء

الماتح المستقى من البئر - والقليب: البئر ، والرشاء الحبل «أحمد يوسف نجاتي»
 (٢) غلا في الأمر غلوا إذا تجاوز الحد فيه ، والقصد: التوسط والاعتدال .

وَكُنْتُ تَقَلْتُ مِنْ الْمَطْمَحِ فِي حَقِّهِ مَا صُورَتْهُ :
 « الْفَقِيهُ الْخَافِظُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ » عِلْمُ الْأَعْلَامِ^(١)
 الطَّاهِرُ الْأَثْوَابِ ، الْبَاهِرُ الْأَلْبَابِ^(٢) ، الَّذِي أَنْسَى ذَكَاءَ
 إِيَّاسٍ^(٣) ، وَتَرَكَ التَّقْلِيدَ لِلْقِيَاسِ ، وَأَنْتَجَعَ الْفَرَعُ مِنَ الْأَصْلِ
 وَغَدَا فِي يَدِ^(٤) الْإِسْلَامِ أَمْضَى مِنَ النَّصْلِ ، سَقَى اللَّهُ تَعَالَى
 بِهِ الْأَنْدَاسَ بَعْدَ مَا أَجْدَبَتْ مِنَ الْمَعَارِفِ ، وَمَدَّ عَلَيْهَا
 مِنْهُ ظِلَّهُ الْوَارِفَ^(٥) ، وَكَسَاهَا رَوْنَقُ نُبْلِهِ ، وَسَقَاهَا رَيْقُ^(٦)
 وَبْلِهِ . وَكَانَ أَبُوهُ أَبُو مُحَمَّدٍ بِإِسْبِيلِيَّةَ بَدْرًا فِي فَلَكِهَا ،
 وَصَدْرًا فِي مَجْلِسِ مَلِكِهَا ، وَأَصْطَفَاهُ مُعْتَمِدُ بَنِي عَبَّادٍ ، أَصْطَفَاهُ
 الْمَأْمُونُ لِابْنِ أَبِي دُوَادٍ^(٧) ، وَوَلَّاهُ الْوَلَايَاتِ الشَّرِيفَةَ ،

(١) في المطمح « علم العلم » (٢) في الأصل « الأبواب » وهو تصحيف
 (٣) القاضي إياس بن معاوية الزني المشهور ، الضروب به المثل في الذكاء
 والفطنة وصدق الظن والفراسة ، توفي سنة ١٢٢ (٤) في الأصل « وغدا
 في الاسلام » وفي المطمح « في بدء الاسلام » ونظنها مصحفة عن « يد
 الاسلام » والنصل السيف ، يعني أنه قوة للاسلام ماضية ، وحيجة له بالغة
 (٥) الطويل الممتد السابغ (٦) ريق : أول وأفضل ، والوبل المطر الغزير
 (٧) القاضي أحمد بن أبي دواد فرح بن جرير بن مالك الأيادي المشهور ،
 كان جم المحاسن كثير الفضائل ، اتصل بالمأمون بعد أن عرف قدره
 فأحله المنزلة اللائقة به ، حتى توفي للمأمون ، فاستمرت منزلة ابن أبي دواد

وَبَوَّاهُ^(١) الْمَرَاتِبِ الْمُنِيفَةِ ، فَلَمَّا أَقْفَرَتْ حِمَصُ^(٢) مِنْ
 مُلْكِهِمْ وَخَلَّتْ ، وَأَلْقَتْهُمْ مِنْهَا وَتَخَلَّتْ^(٣) ، رَحَلَ بِهِ إِلَى
 الْمَشْرِقِ ، وَحَلَ فِيهِ مَحَلَّ الْخَائِفِ الْفَرِيقِ^(٤) ، فَجَالَ فِي أَكْنَافِهِ ،
 وَأَجَالَ قِدَاحَ^(٥) الرِّجَاءِ فِي اسْتِقْبَالِ الْعِزِّ وَأُسْتِثْنَاهُ ، فَلَمْ يَسْتَرِدَّ
 ذَاهِبًا ، وَلَمْ يَجِدْ كَمُعْتَمِدِهِ بِأَذِلَّةٍ لَهُ وَوَاهِبًا ، فَعَادَ إِلَى الرُّوَايَةِ
 وَالسَّمَاعِ ، وَمَا اسْتَفَادَ مِنْ آمَالِ تِلْكَ الْأَطْمَاعِ ، وَأَبُوبَكْرٍ
 إِذْ ذَاكَ فِي ثَرَى الذِّكَا قَضِيبٌ مَا دَوَّحَ^(٦) ، وَفِي رَوْضِ
 الشَّبَابِ زَهْرٌ مَا صَوَّحَ^(٧) ، فَالْزَمَهُ مَجَالِسَ الْعِلْمِ رَائِحًا

لدى المعتصم ربيعة كما كانت، بل زاده رفعة فجعله قاضى القضاة ، وكذلك
 حسنت حاله لدى الخليفة الواثق بن المعتصم ، ولما توفى الواثق وتولى أخوه
 المتوكل فليج ابن أبى دواد فى أول خلافته سنة ٢٣٣ فولى المتوكل ولده
 محمد بن أحمد القضاء مكانه ، ومدح ابن أبى دواد جماعة من شعراء عصره
 منهم أبو تمام وغيره ، وتوفى سنة ٢٤٠ « أحمد يوسف نجاتى » (١) أحله
 وأنزله ، والمنيفة الربيعة : العالية (٢) يريد اشبيلية ، وكانت تسمى حمص
 الأندلس (٣) فى المطمح « وألقت ما فيها وتخلت » كما هو نص الآية
 الشريفة (٤) الفرق : الفرع والخوف والوجل « أحمد يوسف نجاتى »
 (٥) القداح جمع قدح وهى السهام التى كانوا يستقسمون بها فى اليسر
 (٦) أى لم يصر دوحة وهى الشجرة العظيمة ذات الفروع الممتدة ،
 وداح الشئ : ودوح اذا عظم واسترسل ، وداحت الشجرة وأداحت : عظمت
 (٧) صوح النبات وتصوح اذا يبس وجف « أحمد يوسف نجاتى »

وَعَادِيَا ، وَلَازَمَهُ سَائِقًا إِلَيْهَا وَحَادِيًا^(١) ، حَتَّى اسْتَقَرَّتْ بِهِ
 مَجَالِسُهُ ، وَأُطْرَدَتْ لَهُ مَقَائِسُهُ ، فَجَدَّ فِي طَلَبِهِ ، وَاسْتَجَدَّ بِهِ
 أَبُوهُ مُتَمَرِّقَ أَرْبِهِ ، ثُمَّ أَدْرَكَهُ حِمَامُهُ ، وَوَارَتْهُ هُنَاكَ رِجَامُهُ^(٢)
 وَبَقِيَ أَبُو بَكْرٍ مُتَفَرِّدًا ، وَلِلطَّلَبِ مُتَجَرِّدًا ، حَتَّى أَصْبَحَ فِي
 الْعِلْمِ وَحِيدًا ، وَلَمْ تَجِدْ عَنْهُ رِيَاسَةً مُحِيدًا ، فَكَرَّ إِلَى
 الْأَنْدَلُسِ ، فَحَلَّهَا وَالنُّفُوسُ إِلَيْهِ مُتَطَلِّعَةٌ ، وَلِلْأَنْبَاءِ مُتَسَمِّعَةٌ
 فَنَاهِيكَ مِنْ حُظُوءٍ لَقِيَ ، وَمِنْ عِزَّةٍ سَقَى ، وَمِنْ رِفْعَةٍ سَمَا
 إِلَيْهَا وَرَقَى . وَحَسْبُكَ مِنْ مَفَاخِرٍ قَلَدَهَا ، وَمَحَاسِنِ أَنْسِ
 أَثْبَتَهَا فِيهَا وَخَلَدَهَا . وَقَدْ أَثْبَتُ مِنْ بَدِيعِ نَظْمِهِ مَا يَهْزُ
 أَغْطَافًا^(٣) ، وَتَرَدُّهُ الْأَفْهَامُ زِطَافًا^(٤) ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ يُتَشَوَّقُ
 إِلَى بَغْدَادَ ، وَيُخَاطَبُ فِيهَا أَهْلَ الْوِدَادِ :
 أَمِنْكَ سَرَى - وَاللَّيْلُ يُخَدَعُ بِالْفَجْرِ -
 خَيَالُ حَبِيبٍ قَدْ حَوَى قَصَبَ الْفَخْرِ !

(١) في المصحح « سابقا إليها وجاريا » (٢) جمع رجم وهو القبر
 والأصل فيه الحجارة التي توضع على القبر ، ثم عبر بها عن القبر
 (٣) هز العطف كناية عن السرور والطرب والارتياح (٤) جمع نطفة وهي الماء
 الصافي ، وفي نسخة « الأوهام » بدل « الأفهام » « أحمد يوسف نجاتي »

جَلَا ظِلْمَ الظَّالِمَاءِ مُشْرِقُ نُورِهِ
وَلَمْ يَخْبِطِ الظَّالِمَاءُ بِالْأَنْجُمِ الزُّهْرِ^(١)
وَلَمْ يَرْضَ بِالْأَرْضِ الْبَسِيطَةِ مَسْحَبًا
فَسَارَ^(٢) عَلَى الْجُوزَاءِ فِي فَلَكَ يَجْرِي^(٣)
وَحَثَّ مَطَايَا قَدْ مَطَاهَا بِعِزَّةٍ
فَأَوْطَاهَا قَسْرًا عَلَى قُنَّةِ النَّسْرِ^(٤)
فَصَارَتْ ثِقَالًا بِالْجَلَالَةِ فَوْقَهَا
وَسَارَتْ عِجَالًا تَتَقَى أَلَمَ الزَّجَرِ
وَجَرَّتْ عَلَى ذَيْلِ^(٥) الْمَجَرَّةِ ذَيْلَهَا
فَمِنْ ثَمَّ يَبْدُو مَا هُنَاكَ لِمَنْ يَسْرِى
وَمَرَّتْ عَلَى الْجُوزَاءِ تُوضِعُ فَوْقَهَا
فَأَثَارُ مَا مَرَّتْ بِهِ كَلَفُ الْبَدْرِ^(٦)

(١) خبط الليل والظلماء اذا سار فيها على غير هدى ولا جادة. قال ذوالرمة :
سرت تخبط الظلماء عن جانبي قسي وحب بها من خابط الليل زائر
(٢) أو « فصار » (٣) فى الاصل « فسار على الجوزاء الى فلك يجرى »
وفى نسخة « فصار على الجوزاء الى فلك يجرى » (٤) مطاها يريد
امتطاها وركبها ، ومطامطوا اذا جد فى السير وأسرع ، والقسر الرغم
والغصب ، والقنة القمة . وفى الاصل « بعزه » ، وتقدم القول
فى كوكبي الجوزاء والنسر وفى المجرة (٥) فى نسخة « ظهر »
(٦) أوضع أسرع - وأصل الكلف نقط سوداء تصيب الوجه ، وكلف
البدر ما يرى على سطحه من البقع غير المضيئة تجاور أخرى

وَسَاقَتْ أَرِيحَ الْخُلْدِ فِي جَنَّةِ الْعَلَا
 فَدَعَّ عَنْكَ رَمْلًا بِالْأُنَيْعِمِ يَسْتَذِرِي^(١)
 فَمَا حَذِرَتْ قَيْسًا وَلَا خَيْلَ عَامِرٍ
 وَلَا أَضْمَرَتْ خَوْفًا لِقَاءِ بَنِي ضَمَرٍ^(٢)
 سَقَى اللَّهُ مِصْرًا وَالْعِرَاقَ وَأَهْلَهَا
 وَبَغْدَادَ وَالشَّامَيْنِ مُنْهَمِلَ الْقَطْرِ
 أَنْتَهَى

لامعة - والبقاع المظلمة في القمر هي في الحقيقة سهول منبطحة وقيعان
 لبحار ومجار مائية قد جفت ، والبقاع المضيئة هي سلاسل جبال وهضاب تغشاها
 براكين مختلفة ، وما تحتويه من نقط سوداء ليست الامنخفضات في تلك
 الجبال شبيهة بالكؤوس البركانية التي نألفها في أرضنا « أحمد يوسف نجاتي »
 (١) أو « تستدري » وأريح الراححة : توضعها وانتشارها ، والأنيع
 موضع ، وفيه يقول حضرمي بن عامر الأسدي :

لقد شاقني - لولا الحياء من الصبا - لمية ربيع بالأنيع دارس
 ليالي اذ قلبي بمية موزع واذ نحن جيران لها متلابس
 واذ نحن لانحشى النخيمة بيننا ولو كان شيء بيننا منشاكس
 واستدري استكن ، وذرت الريح التراب وأذرت أطارته - وفي الملمح
 « سافت » أي شمت وهو أنسب « أحمد يوسف نجاتي » (٢) بنو ضمرة
 ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة وهم رهط سيدنا عمرو بن أمية الضمري
 الصحابي رضي الله عنه ، وضمير « بضم فسكون » جبل ببلاد قيس
 لعلياهم ، وضمير « بالفتح » جبل أو طريق في جبل ببلاد بني سعد من تميم
 « أحمد يوسف نجاتي »

وَمِنْ تَأْلِيفِ الْحَافِظِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْعَرَبِيِّ الْمَذْكُورِ
كِتَابُ الْقَبَسِ، فِي شَرْحِ مُوطَّأِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ . وَكِتَابُ
تَرْتِيبِ الْمَسَالِكِ، فِي شَرْحِ مُوطَّأِ مَالِكٍ . وَكِتَابُ أَنْوَارِ
الْفَجْرِ . وَكِتَابُ أَحْكَامِ الْقُرْآنِ . وَكِتَابُ عَارِضَةِ^(١)
الْأُخُوذِيِّ، فِي شَرْحِ التِّرْمِذِيِّ . « وَالْأُخُوذِيُّ بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ
وَسُكُونِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَفَتْحِ الْوَاوِ وَكَسْرِ الذَّالِ الْمُعْجَمَةِ
وَأَخْرَهُ يَاءُ مُشَدَّدَةٌ » وَكِتَابُ مَرَاقِي الزُّلْفِ^(٢) . وَكِتَابُ
الْخِلَافِيَّاتِ . وَكِتَابُ نَوَاهِي الدَّوَاهِي . وَكِتَابُ سِرَاجِ
الْمُرِيدِينَ . وَكِتَابُ الْمُشْكِلَيْنِ : مُشْكِلِ الْكِتَابِ
وَالسُّنَّةِ . وَكِتَابُ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ فِي الْقُرْآنِ . وَكِتَابُ
قَانُونِ التَّأْوِيلِ . وَكِتَابُ النَّيَرَيْنِ، فِي الصَّحِيحَيْنِ . وَكِتَابُ
سِرَاجِ الْمُهْتَدِينَ . وَكِتَابُ الْأَمَدِ الْأَقْصَى، بِأَسْمَاءِ اللَّهِ
الْحُسْنَى، وَصِفَاتِهِ الْعُلَا . وَكِتَابُ فِي الْكَلَامِ عَلَى مُشْكِلِ
حَدِيثِ السُّبُحَاتِ^(٣) وَالْحِجَابِ . وَكِتَابُ الْعِقْدِ الْأَكْبَرِ

(١) العارضة : القدرة على الكلام وقوة الحجة (٢) الزلف جمع زلفة وهي الأرض الغليظة ، والمستوى من الجبال . والزلفة : القرية والمنزلة والرتبة والدرجة، وهذا هو المعنى المناسب هنا (٣) أصل السبحات : مواضع السجود

لِلْقَلْبِ الْأَصْغَرِ . وَتَبَيَّنَ الصَّحِيحُ ، فِي تَعْيِينِ الذَّبِيحِ ^(١) .
وَتَفْصِيلِ التَّفْضِيلِ ، بَيْنَ التَّحْمِيدِ وَالتَّهْلِيلِ . وَرِسَالَةُ الْكَافِي
فِي أَنْ لَا دَلِيلَ عَلَى النَّافِي . وَكِتَابُ الشَّبَاعِيَّاتِ . وَكِتَابُ
الْمُسَلْسَلَاتِ . وَكِتَابُ التَّوَسُّطِ فِي مَعْرِفَةِ صِحَّةِ الْإِعْتِقَادِ
وَالرَّدِّ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَهْلَ الشُّنَّةِ مِنْ ذَوِي الْبِدْعِ وَالْإِلْحَادِ .
وَكِتَابُ شَرْحِ غَرِيبِ الرِّسَالَةِ . وَكِتَابُ الْإِنْصَافِ . فِي
مَسَائِلِ الْخِلَافِ - عِشْرُونَ مَجْلَدًا . وَكِتَابُ حَدِيثِ الْإِفْكَ .
وَكِتَابُ شَرْحِ حَدِيثِ جَابِرٍ فِي الشَّفَاعَةِ . وَكِتَابُ شَرْحِ
حَدِيثِ أُمِّ زَرْعٍ ^(٢) . وَكِتَابُ سِتْرِ الْعَوْرَةِ . وَكِتَابُ

وسبحات وجه الله تعالى: أنواره وحلاله وعظمته . وأظن أنه يريد بالحديث
ماروى عن جبريل عليه السلام : « ان لله دون العرش سبعين حجابا لو
دنونا من أحدها لأحرقتنا سبحات وجه ربنا » فسبحات وجهه نور
وجهه وجلاله سبحانه وتعالى « أحمد يوسف نجاشي » .

(١) الذبيح لقب سيدنا اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام، وهذا
هو الذى صححه جماعة وخصوه بالتصنيف ، وقيل هو اسحق عليه السلام
ويروونه عن ابن عباس . وقال السعوى : ان كان الذبيح بمنى فهو اسماعيل
لأن اسحق لم يدخل الحجاز ، وان كان بالشام فهو اسحق لأن اسماعيل
لم يدخل الشام بعد حمله الى مكة ، وصوبه الامام ابن الجوزى . ولما
تعارضت فيه الأدلة توقف بعضهم فى الجزم بواحد منهما « أحمد يوسف نجاشي »
(٢) أم زرع بنت أكيمل بن ساعدة ، وفى الحديث : « كنت لك كأبى

الْمَحْصُولِ ، فِي عِلْمِ الْأُصُولِ . وَكِتَابُ أَعْيَانِ الْأَعْيَانِ .
 وَكِتَابُ مَلَجَاةِ الْمُتَفَقِّهِينَ ، إِلَى مَعْرِفَةِ غَوَامِضِ النُّحُويِّينَ .
 وَكِتَابُ تَرْتِيبِ الرُّحَلَةِ - وَفِيهِ مِنْ الْفَوَائِدِ مَا لَا يُوصَفُ .
 وَمِنْ فَوَائِدِ الْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْعَرَبِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -
 قَوْلُهُ : قَالَ عُلَمَاءُ الْحَدِيثِ : مَا مِنْ رَجُلٍ يَطْلُبُ الْحَدِيثَ إِلَّا كَانَ
 عَلَى وَجْهِهِ نَضْرَةٌ ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «نَضْرَةٌ^(١)
 اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاها فَأَذَاهَا كَمَا سَمِعَهَا» الْحَدِيثَ ،
 قَالَ وَهَذَا دُعَاءٌ مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِحِمْلَةِ عِلْمِهِ ، وَلَا بُدَّ بِفَضْلِ
 اللَّهِ تَعَالَى مِنْ نَيْلِ بَرَكَتِهِ . أَنْتَهَى ، وَإِلَى هَذِهِ النُّضْرَةُ
 أَشَارَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْعَرَفِيُّ^(٢) بِقَوْلِهِ :

أَهْلُ الْحَدِيثِ عِصَابَةُ الْحَقِّ فَازُوا بِدَعْوَةِ سَيِّدِ الْخَلْقِ
 فَوْجُوهُمْ زُهْرٌ مُنْضَرَّةٌ لِأَلَاؤِهَا كَتَأْتِي الْبَرْقِ
 يَا لَيْتَنِي مَعَهُمْ فَيَذَرَكْنِي مَا أَدْرَكُوهُ بِهَا مِنَ السَّبْقِ
 أَنْتَهَى

زرع لأم زرع « وحديثها مشهور في كتب اللغة والأدب (١) نضره أى
 نعمه، من النضارة، وهى فى الأصل حسن الوجه والبريق، أراد حسن خلقه
 وقدره ، أى حسن الله وجهه فى خلقه أى جاهه وقدره (٢) سيأتى له ذكر

« وَلَا بَأْسَ أَنْ نَذْكُرَ هُنَا بَعْضَ فَوَائِدِ الْخَافِظِ ^{من فوائد أبي بكر} ^{ابن العربي} أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْعَرَبِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - « فَمِنْهَا قَوْلُهُ فِي تَصْرِيفِ « الْمُحْصَنَاتِ » يُقَالُ: أَحْصَنَ الرَّجُلُ فَهُوَ مُحْصَنٌ بِفَتْحٍ أَلْعَيْنِ فِي اسْمِ الْفَاعِلِ ^(١) ، وَأُسْهَبَ فِي الْكَلَامِ فَهُوَ مُسْهَبٌ ^(٢) إِذَا أَطَالَ الْبَحْثَ فِيهِ ، وَالْفَجَّ فَهُوَ مُلْفَجٌّ إِذَا

(١) المحسن « بفتح الصاد » يكون بمعنى الفاعل والمفعول ، ورجل محسن متزوج قد أحسنه التزوج ، وأحسن الرجل إذا تزوج فهو محسن ، وهو نادر ، وله يراعى في ذلك معنى أحسن نفسه بالزواج ، فهو في الحقيقة اسم مفعول لا اسم فاعل ، وأصل الاحسان المنع ، واحسان الفرج اعفاه « أى جعله عفيفا » ومنه قوله تعالى : « أحصنت فرجها » أى أعفته ، والأمة إذا زوجت جاز أن يقال قد أحصنت ، لأن تزويجها قد أحسنها ، والمحسنة التى أحسنها زوجها فهن محسنات - وأحسنها البعل وأحصنت هى بنفسها فهى محسنة ، فالفتح على معنى أنها قد أحسنها زوجها ، والكسر على معنى أنها قد أحصنت هى نفسها ، والفتح أكثر فى كلام العرب (٢) المسهب « بالفتح والكسر » الكثير الكلام ، وقال ابن الأعرابي : أسهب الرجل أكثر الكلام ، فهو مسهب بالفتح ، ولا يقال بكسرهما ، وهو نادر . وأرى أنه من أسهب الدابة إذا أهملها ترعى ، فهى مسهبة ، فقل للكثير مسهب كأنه ترك والكلام يتكلم بما يشاء ، كأنه وسع عليه أن يقول ما أراد ، فهو فى الواقع اسم مفعول لا اسم فاعل . وقال أبو على البغدادى : رجل مسهب « بالفتح » إذا أكثر الكلام فى الخطأ ، فإن كان ذلك فى صواب فهو مسهب بالكسر لا غير « وهذا يؤيد ما أراه » من ملاحظة النم فى المسهب لأنه مشبه بالدابة المهملة ، فيقال أسهب فهو مسهب إذا أكثر فى خرف وتلف ذهن ، فإن أكثر من الخطأ قيل أفند فهو مفند ، فالمسهب بالفتح « كما

كَانَ عَدِيمًا^(١) ، لَا رَابِعَ لَهَا^(٢) ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ . انْتَهَى
وَمِنْهَا قَوْلُهُ : سَمِعْتُ الشَّيْخَ فَخْرَ الْإِسْلَامِ أَبَا بَكْرٍ
الشَّاشِيَّ - وَهُوَ يَنْتَصِرُ لِمَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ فِي مَجْلِسِ النَّظَرِ -
يَقُولُ : يُقَالُ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ « لَا تَقْرَبْ كَذَا » بِفَتْحِ الرَّاءِ

قال الأعلام الشنتمري « لا يوصف به البليغ المحسن ولا الكثر المصيب ، قال :
ألا ترى الى قول مكى بن سودة :

حصر مسهب جرى جبان خير عى الرجال عى السكوت
فقد قرن فيه المسهب بالحصر وردفه بالصفتين ، وجعل المسهب أحق بالعى
من الساكت والحصر فقال : خير عى الرجال عى السكوت . ورأى بعضهم
وصف البليغ أيضا بالفتوح اسم المفعول ، ولكن بما يدل على أن يقال
له مسهب « اذا كان مكثرا من الصواب » أنهم يقولون للجواد من الخيل
مسهب بالكسر خاصة . والخلاصة أن الفتوح روعى فيه معنى أنه مهمل
مخلى ، والكسور لبلاغته يراعى فيه أنه قد أرسل لنفسه الكلام وأطلق لسجيته
فى الصواب العنان . « أحمد يوسف نجاشى » (١) رجل ملفج ، جوزوا
فيه أيضا فتح الفاء - وهو الأكثر - وكسرهما . وأرى أنه اسم مفعول أيضا من
ألفجه اذا أحوجه الى السؤال والطلب من ليس لذلك بأهل ، ويقال
ألفجتنى الى ذلك الضرورة الفاجا ، وأفلج الرجل اذا أفلس فهو ملفج
وقيل الملفج الذى أفلس وعليه دين « بفتح الفاء وكسرهما » والملفج
المعدم الذى لا شىء له - والخلاصة أنه يراعى فى الفتوح كونه اسم مفعول
من ألفجه ، وفى المكسور أنه اسم فاعل من ألفج اللازم بمعنى أفلس .
والالفاج : الاجاء والاحواج الى السؤال الى غير أهله (٢) وقالوا أهتر الرجل
وأهتر - فهو مهتر - اذا كان يخطئ فى كلامه ، من الهتر وهو ذهاب العقل
من كبر أو مرض أو حزن ، والمهتر الذى خرف وفسد عقله من أحد هذه

أَيُّ لَا تَتَلَبَّسُ بِالْفِعْلِ ، وَإِذَا كَانَ بِضَمِّ الرَّاءِ كَانَ مَعْنَاهُ :
لَا تَدْنُ مِنَ الْمَوْضِعِ . وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ صَحِيحٌ مَسْمُوعٌ
أَنْتَهَى . وَمِنْهَا قَوْلُهُ : شَاهَدْتُ الْمَائِدَةَ بِطُورِ زَيْتَا ^(١) مِرَارًا ،
وَأَكَلْتُ عَلَيْهَا لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَذَكَرْتُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فِيهَا
سِرًّا وَجَهَارًا ، وَكَانَ أَرْتِفَاعُهَا أَشْفَ ^(٢) مِنَ الْقَامَةِ بِنَحْوِ
الشُّبْرِ ، وَكَانَ لَهَا دَرَجَانِ قِبْلِيَّ وَجَنُوبِيَّ ، وَكَانَتْ صَخْرَةً
صَلُودًا ^(٣) لَا تُؤَثِّرُ فِيهَا أَلْمَاعُولُ ، وَكَانَ النَّاسُ يَقُولُونَ
مُسِخَتْ صَخْرَةٌ إِذْ مُسِخَ أَرْبَابُهَا قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ ^(٤) ، وَالَّذِي

الأشياء ونحوها ، فمهر مأخوذ من أهر ، فهو غير مخاف . والهر : السقط
من الكلام والخطأ فيه ، والباطل ^(١) طور زيتا علم يرتجل لجبل بقرب
رأس عين عند قنطرة الحابور ، على رأسه شجر زيتون يسقيه المطر ،
وهو في بيت المقدس ، يقال انه مات في جبل طور زيتا سبعون ألف نبى
وهو مشرف على المسجد ، وفيه على ما يقال صلى سيدنا عمر بن الخطاب ،
ومنه قيل أيضا رفع سيدنا عيسى عليه السلام . « أحمد يوسف نجاتي »
^(٢) أزيد وأكثر ^(٣) صلبة ملساء ، وفي الأصل « صلداء » ،

^(٤) يشير الى قوله تعالى في سورة المائدة : « قل هل أنبئكم بشر من
ذلك مثوبة عند الله ؟ ! من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير
وعبد الطاغوت ، أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل » واستعمال
مثوبة هنا مجاز علاقته الضدية مثل « فبشرهم بعذاب أليم » رخصه ارادة
التهمك ، وحسنه قصد الاستهزاء بهم ، ومجمل المعنى : قل يا محمد لهؤلاء الذين

عِنْدِي أَنَّهَا كَانَتْ صَخْرَةً فِي الْأَصْلِ قُطِعَتْ مِنَ الْأَرْضِ
مَحَلًّا لِلْمَائِدَةِ النَّازِلَةِ مِنَ السَّمَاءِ، وَكُلُّ مَا حَوْلَهَا حِجَارَةٌ
مِثْلُهَا، وَكَانَ مَا حَوْلَهَا مَخْفُوفًا بِقُصُورٍ، وَقَدْ نُحِتَتْ فِي
ذَلِكَ الْحَجَرِ الصَّلْدِ يُيُوتُ أَبْوَابُهَا مِنْهَا، وَمَجَالِسُهَا مِنْهَا
مَقْطُوعَةٌ فِيهَا، وَخَنَائِيهَا فِي جَوَانِبِهَا، وَيُيُوتُ خَدَمَتِهَا، قَدْ
صُوِّرَتْ مِنَ الْحَجَرِ كَمَا تُصَوَّرُ مِنَ الطِّينِ وَالْخَشَبِ . فَإِذَا

اتخذوا دينكم لعبا ولهوا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار :
هل أنبئكم بأمم شر أهل الكتاب بشر من أهل ذلك الذي تنقمونه منا
وشر من مشوبته أى عقابه ؟! الخ . وقد أخرج الكلام على حسب قولهم
واعتقادهم ، والا فلا شركة بين المؤمنين وأهل الكتاب فى أصل العقوبة
حتى يقال ان عقوبة أحد الفريقين شر من عقوبة الآخر ، ولكنهم حلموا
بأن دين الاسلام شر ، فقليل لهم : هبوا الأمر كذلك ؟! ولكن لعنة الله تعالى
وغضبه ، والابعاد عن رحمته ، والطرده من ساحة رضاه ، ومسح الصورة الى
أقبح أنواع الحيوان وأردله شر من ذلك الذى تزعمون أنه شر . وقال
المفسرون : انه عني بالقردة أصحاب السبت ، وبالخنازير كفار مائدة السيد
المسيح عيسى عليه السلام . و يروى أن كلا المسخين كان فى أصحاب السبت
لأن شباههم مسخوا قردة وكهولهم مسخوا خنازير ، ولهذا كان المسلمون
يعبرون بقية هؤلاء بقولهم : يا أخوة القردة والخنازير ، فينكسونهم وسهم
حياء وخجلا . قلت وأنت تعرف ما لنوعى القردة والخنازير من الخسة
والحقارة ، وما لهما فى صدور العامة والخاصة من القبح والتشويه ، وشناعة النظر
ونذالة النفس ، وحقارة القدر ، ووضاعة الطبع ، وبشاعة الصورة ، وسماجة
الشكل والخلق ، وقبح الصوت ، ودناءة الهمة مما ليس لغيرهما من سائر
أنواع الحيوان . اهـ « أحمد يوسف نجأتى »

دَخَلْتَ فِي قَصْرِ مِنْ قُصُورِهَا ، وَرَدَدْتَ الْبَابَ ، وَجَعَلْتَ
مِنْ وَرَائِهِ صَخْرَةً مِقْدَارَ ثَقُلِ ثَمْنِ دِرْهَمٍ لَمْ يَفْتَحْهُ أَهْلُ
الْأَرْضِ ، لِلصُّوقِ بِالْأَرْضِ ، وَإِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ وَحَشَتْ
تَحْتَهُ الثَّرَابَ لَمْ يُفْتَحْ إِلَّا بَعْدَ صَبِّ الْمَاءِ تَحْتَهُ وَالْإِ كَثَارِ
مِنْهُ حَتَّى يَسِيلَ بِالثَّرَابِ ، وَيَنْفَرِجَ مُنْفَرِجُ الْبَابِ . وَقَدْ
بَارَ^(١) بِهَا قَوْمٌ بِهَذِهِ الْعِلَّةِ ، وَقَدْ كُنْتُ أَخْلُو فِيهَا كَثِيرًا
لِلدَّرْسِ ، وَلَكِنِّي كُنْتُ فِي كُلِّ حِينٍ أَكُنْسُ حَوْلَ الْبَابِ
مَخَافَةً مِمَّا جَرَى لِعَيْرِي فِيهَا . وَقَدْ شَرَحْتُ أَمْرَهَا فِي كِتَابِ
تَرْتِيبِ الرِّحْلَةِ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا . أَنْتَهَى .

وَمِنْهَا قَوْلُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - تَذَاكَرْتُ بِالْمَسْجِدِ
الْأَقْصَى مَعَ شَيْخِنَا أَبِي بَكْرٍ الْفَهْرِيِّ الطَّرْطُوشِيِّ^(٢) حَدِيثَ
أَبِي ثَعْلَبَةَ^(٣) الْمَرْفُوعَ « إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا لِلْعَامِلِ فِيهَا
أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ ، فَقَالُوا : بَلْ مِنْهُمْ ، فَقَالَ : بَلْ مِنْكُمْ

(١) هلك وباد (٢) هو أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن
سليمان بن أيوب الفهرى ، أصله من طرطوشة ، ورحل الى الشرق
وتوفى بالاسكندرية سنة ٥٢٠ وتقدم مزيد تعريف به ، وسيأتى حديث
عنه (٣) أبو ثعلبة الحشنى صحابى شهد حنيناً ، توفى وهو ساجد سنة ٧٥ وفى
اسمه واسم أبيه اختلاف « أحمد يوسف نجاشى »

لِأَنَّكُمْ تَجِدُونَ عَلَى الْخَيْرِ أَغْوَانًا، وَهُمْ لَا يَجِدُونَ عَلَيْهِ
 أَغْوَانًا « وَتَقَاوَضْنَا كَيْفَ يَكُونُ أَجْرُ مَنْ يَأْتِي مِنَ الْأُمَّةِ
 أَضْعَافَ أَجْرِ الصَّحَابَةِ؟ مَعَ أَنَّهُمْ قَدْ اسْتَسُوا الْإِسْلَامَ، وَعَضَدُوا
 الدِّينَ؟ ! وَأَقَامُوا الْمَنَارَ، وَافْتَحُوا الْأَمْصَارَ، وَحَمَوْا
 الْبَيْضَةَ ^(١) وَمَهَّدُوا الْمِلَّةَ؟ وَقَدْ قَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
 فِي الصَّحِيحِ: « لَوْ أَتَقَقَّ أَحَدُكُمْ كُلَّ يَوْمٍ مِثْلَ أَحَدٍ
 ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدًّا ^(٢) أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ »؟! فَتَرَا جَعْنَا الْقَوْلَ
 وَتَحَصَّلَ مَا أَوْضَحْنَاهُ فِي شَرْحِ الصَّحِيحِ، وَخُلَاصَتُهُ أَنَّ
 الصَّحَابَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - كَانَتْ لَهُمْ أَعْمَالٌ كَثِيرَةٌ لَا
 يَلْحَقُهُمْ فِيهَا أَحَدٌ، وَلَا يُدَانِيهِمْ فِيهَا بَشَرٌ، وَأَعْمَالٌ سِوَاهَا

(١) البيضة حوزة كل شيء، يقال استبيحت بيضتهم: أى أصلهم ومجتمعهم
 وموضع سلطانهم ومستقر دعوتهم، والبيضة: ساحة القوم، قال لقيط بن معبد:
 يا قوم بيضتكم، لا تفجعن بها. انى أخاف عليها الأزلم الجزعا
 « يقول احفظوا عقور داركم. والأزلم الجذع الدهر، لأنه لا يهرم أبداً »
 وبيضة الدار: وسطها ومهظمها، وبيضة القوم جماعتهم (٢) المد: مكيال
 وهو رطلان عند أهل العراق وأبى حنيفة، ورطل وثلاث عند أهل الحجاز
 والشافعى، وقيل هور ربع صاع، والصاع خمسة أرطال، والنصيف النصف،
 وإنما قدر ما ينفق بالمد لأنه أقل ما كانوا يتصدقون به فى العادة.
 « أحمد يوسف نجاني ».

مِنْ فُرُوعِ الدِّينِ يُسَاوِيهِمْ فِيهَا فِي الْأَجْرِ مَنْ أَخْلَصَ
إِخْلَاصَهُمْ ، وَخَلَصَهَا مِنْ شَوَائِبِ الْبِدْعِ وَالرِّيَاءِ بَعْدَهُمْ ،
وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ بَابٌ عَظِيمٌ ، هُوَ
أَبْتِدَاءُ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ ، وَهُوَ أَيْضًا أَنْتِهَآؤُهُ ، وَقَدْ كَانَ
قَلِيلًا فِي أَبْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ ، صَعَبَ الْمَرَامِ ، لَغَلَبَةِ الْكُفَّارِ
عَلَى الْحَقِّ ، وَفِي آخِرِ الزَّمَانِ أَيْضًا يَعُودُ كَذَلِكَ ، لَوَعْدِ
الصَّادِقِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِفَسَادِ الزَّمَانِ ، وَظُهُورِ الْفِتَنِ
وَلَغَلَبَةِ الْبَاطِلِ ، وَاسْتِيْلَاءِ التَّبْدِيلِ وَالتَّغْيِيرِ عَلَى الْحَقِّ مِنْ
الْخَلْقِ ، وَرُكُوبِ مَنْ يَأْتِي سَنَنَ^(١) مَنْ مَضَى مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ ، كَمَا قَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « لَتَرْكُبَنَّ
سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ ، شِبْرًا بِشِيرٍ ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ ، حَتَّى لَوْ
دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ خَرِبٍ لَدَخَلْتُمُوهُ » وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا ، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ »
فَلَا بُدَّ - وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ ، بِحُكْمِ هَذَا الْوَعْدِ الصَّادِقِ -

(١) سنن الطريق « مثله و بضمين » نهجه وجهته ، والسنة : السيرة
والطريقة ، والسنن أيضا الطريقة « أحمد يوسف نجاتي »

أَنْ يَرْجِعَ الْإِسْلَامُ إِلَى وَاحِدٍ ، كَمَا بَدَأَ مِنْ وَاحِدٍ ، وَيَضْعُفُ
 الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، حَتَّى إِذَا قَامَ بِهِ
 قَائِمٌ - مَعَ اخْتِوَاشِهِ ^(١) بِالْمَخَافِ وَبَاعَ نَفْسَهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى
 فِي الدُّعَاءِ إِلَيْهِ ، كَانَ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ أَضْعَافُ مَا كَانَ لِمَنْ
 كَانَ مُتَمَكِّنًا مِنْهُ مُعَانًا عَلَيْهِ بِكَثْرَةِ الدُّعَاءِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى
 وَذَلِكَ قَوْلُهُ : لِأَنَّكُمْ تَجِدُونَ عَلَى الْخَيْرِ أَغْوَانًا ، وَهُمْ لَا
 يَجِدُونَ عَلَيْهِ أَغْوَانًا » حَتَّى يَنْقَطِعَ ذَلِكَ انْقِطَاعًا بَاتًا ، لِضَعْفِ
 الْيَقِينِ ، وَقِلَّةِ الدِّينِ ، كَمَا قَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا
 تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ : اللَّهُ اللَّهُ » « يُرَوَى
 بِرَفْعِ أَلْهَاءِ وَنَضْبِهَا ، فَالرَّفْعُ عَلَى مَعْنَى لَا يَبْقَى مُوَحَّدٌ
 يَذْكُرُ : اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - وَالنَّضْبُ عَلَى مَعْنَى لَا يَبْقَى أَمْرٌ
 بِمَعْرُوفٍ وَلَا نَاهٍ عَنْ مُنْكَرٍ يَقُولُ أَخَافُ اللَّهَ » وَحِينَئِذٍ
 يَتَمَنَّى الْعَاقِلُ الْمَوْتَ ، كَمَا قَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تَقُومُ
 السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ : يَا لَيْتَنِي كُنْتُ
 مَكَانَهُ ! » . أَنْتَهَى . وَأَنْشَدَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - لِبَعْضِ الصُّوفِيَّةِ :

(١) أى احاطة المخاوف به والتفافها حوله « أحمد يوسف نجاتي »

إِمْتَحَنَ اللَّهُ بِذَا خَلْقَهُ فَالنَّارُ وَالْجَنَّةُ فِي قَبْضَتِهِ
فَهَجَرُهُ أَكْظَمُ مِنْ نَارِهِ وَوَصْلُهُ أَطْيَبُ مِنْ جَنَّتِهِ
« وَمِنْ فَوَائِدِ ابْنِ الْعَرَبِيِّ » - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - أَنَّهُ
قَالَ: كُنْتُ بِمَجْلِسِ الْوَزِيرِ الْعَادِلِ أَبِي مَنْصُورِ بْنِ جَهْرِ^(١)
عَلَى رُتَبَةٍ يَتَنَاهَا فِي كِتَابِ « الرِّحْلَةِ لِلتَّرْغِيبِ فِي الْمِلَّةِ » فَقَرَأَ
الْقَارِئُ: « تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ » وَكُنْتُ فِي الصَّفِّ الثَّانِي

(١) هو عميد الدولة أبو منصور محمد بن محمد بن محمد بن جهر الموصلي
الثعلبي . كان أبوه أبو نصر الملقب بنصر الدولة وزيرا للأمير نصر الدولة
أحمد بن مروان الكردي صاحب ميافارقين وديار بكر ، ثم ترفت به
الأحوال فصار وزيرا للخليفة القائم بأمر الله العباسي سنة ٤٥٤ هـ ثم للمقتدي
بأمر الله من بعده ، ثم عزله عنها بإشارة الوزير نظام الملك المتقدم ذكره ،
وكان ولده أبو منصور هذا ينوب عن والده في الوزارة ، فلما عزل أبوه
خرج هو الى الوزير نظام الملك واسترضاه وأصلح حاله معه وعاد الى بغداد ،
وتولى الوزارة مكان أبيه ، وتوفي والده سنة ٤٨٣ هـ وبقي هو وزيرا للمقتدي ،
وكان أبو منصور ذا وقار وهيبة وسداد رأي ، خدم ثلاثة من الخلفاء ووزر
لاثنين منهم ، وكان الوزير نظام الملك يحمله ويعتد برأيه في مهام الأمور
ويقدمه على الكفاة والصدور ، وزوجه بابنته السيدة زبيدة سنة ٤٦٢ هـ
وتوفيت سنة ٤٧٠ هـ - ثم عزل عن الوزارة سنة ٤٩٢ هـ وتوفي سنة ٤٩٣ هـ
ثم تولى أخوه زعيم الرؤساء نظام الدين أبو القاسم وزارة الامام المستظهر

مِنَ الْخُلُقَةِ بِظَهْرِ أَبِي الْوَفَاءِ ابْنِ عَقِيلٍ إِمَامِ الْخُنَبَلِيَّةِ بِمَدِينَةِ
السَّلَامِ^(١) - وَكَانَ مُعْتَزِلِي الْأَصُولِ - فَلَمَّا سَمِعْتُ الْآيَةَ
قُلْتُ لِصَاحِبِ لِي كَانَ يَجْلِسُ عَلَى يَسَارِي : هَذِهِ الْآيَةُ

بِاللَّهِ سَنَةِ ٤٩٦ - وَكَانَ بَنُو جَهْرٍ ذَوِي رِيَاةٍ وَجُودٍ ، وَمَدَحِهِمْ كَثِيرٌ مِنْ
الشُّعْرَاءِ « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَاتِي » (١) هُوَ الْإِمَامُ الْجَلِيلُ أَبُو الْوَفَاءِ عَلِيُّ بْنُ
عَقِيلٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَقِيلٍ الْبَغْدَادِيُّ شَيْخُ الْخُنَابَلَةِ ، كَانَ خَارِقَ الذِّكَاءِ ، مَبْرُزًا
فِي كَثِيرٍ مِنَ الْعُلُومِ ، حَاضِرَ الْبَدِيهَةِ ، شَدِيدَ الْمَارَضَةِ ، مَكْبَا عَلَى الْإِشْتَغَالِ
وَالْتَصْنِيفِ . عَدِيمُ الظُّبُرِ فِي عَصْرِهِ ، قَالَ أَبُو طَاهِرٍ السُّلُفِيُّ : مَا رَأَيْتُ مِثْلَهُ ، وَمَا كَانَ
أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَتَكَلَّمَ مَعَهُ لِفُزَارَةِ عِلْمِهِ وَبَلَاغَةِ قَوْلِهِ وَحَسَنِ إِرَادَةِ وَقُوَّةِ
حُجَّتِهِ . وَنَاطِرُ الْفُحُولِ ، وَأَفْتَى وَدَرَسَ وَاسْتَفْتَى فِي الدِّيَوَانِ زَمَنَ الْخُلَيفَةِ
الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ فِي زَمْرَةٍ مِنَ الْكِبَارِ ، وَكَانَ ذَا زَهْدٍ وَتَجَمُّلٍ ، وَعَفَّةٍ وَتَحَمُّلٍ
وَشَجَاعَةٍ أَدَبِيَّةٍ ، وَصِرَاحَةٍ جَرِيئَةٍ ، يَصْدَعُ بِمَا يَرَاهُ حَقًّا وَإِنْ نَالَهُ فِي ذَلِكَ
مَكْرُوهٌ وَأَذَى ، مَعَ قُوَّةِ دِينٍ ، وَحَسَنِ يَقِينٍ ، وَكَرَمٍ وَابْتِهَارٍ ، وَعَقْلٍ جَبَّارٍ . وَلَهُ
مُؤَلَّفَاتٌ كَثِيرَةٌ قِيَمَةٌ مُمْتَعَةٌ ، أَعْظَمُهَا كِتَابُ الْفَنُونِ ، وَهُوَ كَبِيرٌ جَدًّا فِيهِ فَوَائِدُ
كَثِيرَةٌ جَلِيلَةٌ فِي كُلِّ فَنٍّ ، وَقَدْ أَوْدَعَهُ مَنَاطِرَاتُهُ وَمَجَالِسُهُ الَّتِي وَقَعَتْ لَهُ ، وَقِيدُ
فِيهِ خَوَاطِرُهُ السَّاحِخَةُ ، وَتَنَاجِيُ فِكْرِهِ الْعَظِيمَةِ ، حَتَّى قَالَ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ فِي
تَارِيخِهِ : أَنَّهُ لَمْ يَصْنَفْ فِي الدُّنْيَا أَكْبَرَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ . وَقِيلَ أَنَّهُ نَحْوُ
ثَمَانِمِائَةِ مَجْلَدٍ . وَلَيْتَ الْأَيَّامُ تَجُودُ بِهِ إِنْ لَمْ يَكُنِ الزَّمَانُ قَدْ قَضَى عَلَيْهِ . وَكَانَ
مَوْلَدُهُ سَنَةَ ٤٣١ وَتَوَفَّى سَنَةَ ٥١٣ وَكَانَتْ جَنَازَتُهُ حَافِلَةً ، وَيَوْمُهُ مَشْهُودًا .
وَكَانَ لَهُ وَلَدَانِ تَوْفِيَا فِي حَيَاتِهِ ، أَحَدُهُمَا هَبَةُ اللَّهِ ، وَلَدَ سَنَةَ ٤٧٤ وَتَوَفَّى سَنَةَ
٤٨٨ بِدِرَالِمٍ يَدْرِكُ السَّرَارَ . وَالثَّانِي أَبُو الْحَسَنِ عَقِيلٌ ، وَكَانَ ذَا حِظٍّ عَظِيمٍ
مِنْ حَسَنِ الْخُلُقِ وَالْخُلُقِ وَالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ وَالذِّكَاءِ ، وَلَدَ سَنَةَ ٤٨١ وَتَوَفَّى
سَنَةَ ٥١٣ قَبْلَ أَبِيهِ بِنَحْوِ شَهْرٍ . رَحِمَ اللَّهُ الْجَمِيعَ « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَاتِي »

دَلِيلٌ عَلَى رُؤْيَةِ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ ، فَإِنَّ الْعَرَبَ لَا تَقُولُ : لَقِيتُ
فُلَانًا ، إِلَّا إِذَا رَأَتْهُ ، فَصَرَفَ وَجْهَهُ أَبُو الْوَفَاءِ مُسْرِعًا إِلَيْنَا
وَقَالَ - يَنْتَصِرُ لِمَذْهَبِ الْإِعْتِزَالِ فِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَرَى
فِي الْآخِرَةِ - : فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي
قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ » وَعِنْدَكَ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَرَوْنَ
اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآخِرَةِ ! . وَقَدْ شَرَحْنَا وَجْهَ الْآيَةِ فِي
الْمُشْكِلَيْنِ . وَتَقْدِيرُ الْآيَةِ فَأَعْقَبَهُمْ هُوَ ^(١) نِفَاقًا فِي
قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ ، فَيَحْتَمِلُ ضَمِيرُ يَلْقَوْنَهُ أَنْ يَعُودَ

(١) تفسير للضمير المستتر في أعقب ، ومرجعه الى الله تعالى - وهو
الأظهر - أى جعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد في قلوبهم
ببخلهم بحق الله الذى فرضه عليهم فيما أعطاهم من فضله ، واخلافهم الوعد
الذى وعدوا الله ، ونقضهم العهد الذى عاهدوه عليه ، لأنهم لما ضلوا في
الماضى أضلهم الله عن الدين وسبيل الهداية في المستقبل . والضمير في
يلقونه عائد على الله تعالى كذلك ، يعنى أن الله تعالى أضلهم وحرّمهم التوبة
الى يوم القيامة ، فيوافونه على النفاق فيجازيهم عليه . ويصح أن يكون
المعنى - مع عود الضمير الذى هو فاعل أعقب الى الله - فأعقبهم الله العقوبة
على النفاق والجزاء عنه باحداث النعم في قلوبهم وعدم اطمئنانها ، والضيق
والخرج في صدورهم وعدم شرحها ، مع ما ينالهم من الذل والخوف ، والحزى
من سوء القلب وعدم الثبات . أو يراد نخذ لهم حتى نافقوا وتمكن في
(٧ - نفح الطيب - سادس)

إِلَى الضَّمِيرِ الْفَاعِلِ فِي أَعْقِبَهُمُ الْمُقَدَّرِ بِقَوْلِنَا هُوَ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَعُودَ
إِلَى النِّفَاقِ مَجَازًا عَلَى تَقْدِيرِ الْجَزَاءِ^(١) . أَنْتَهَى . وَمِنْهَا مَا
نَقَلَهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا - : لَا يَقُلْ
أَحَدُكُمْ : أَنْصَرَفْنَا مِنَ الصَّلَاةِ ، فَإِنَّ قَوْمًا قِيلَ فِيهِمْ « ثُمَّ
أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ » وَقَدْ أَنْبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ
الْقَيْسِيُّ الْوَاعِظُ، أَنْبَأَنَا أَبُو الْفَضْلِ الْجَوْهَرِيُّ سَمَاعًا مِنْهُ : كُنَّا
فِي جِنَازَةٍ، فَقَالَ الْمُنْذِرُ بِهَا: أَنْصَرِفُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى -، فَقَالَ
لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ : أَنْصَرِفُوا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ فِي قَوْمٍ ذَمَّهُمْ : ثُمَّ

قلوبهم نفاقهم، فلا ينفك عنها حتى يموتوا . ويقال: أعقبت فلان أندامة، إذا
صيرت عاقبة أمره كذلك (١) هذا هو المعنى الثانى الذى شرحناه ، وقامه
ان فاعل أعقب معه أيضا عائد الى الله . ويصح أن يكون عائدا الى
البخل أى أعقبهم البخل، يعنى أورثهم بخلهم بحقوق الله، وامساكهم عن
بذل ما يجب فى المال نفاقا متمكنا فى قلوبهم ، لأنه كان سببا فيه وباعثا
عليه . وكذا التأويل ان جعل فاعل أعقب عائدا الى التولى والاعراض
فهما أمارتان على النفاق أيضا، وعلامتان دالتان عليه . والمعتزلة يميلون الى
عود الضمير المستتر فى أعقب الى غير الله، بل الى البخل والتولى والاعراض
حتى لا يكون فيه دليل على أن خالق الكفر « النفاق » فى القلوب هو
الله تعالى . هذا موجز ما يشير اليه الكتاب، والذي يجعله مفهوما . وظاهر
الآية يدل على أن نقض العهد وخلف الوعد يورث النفاق وسوء العاقبة ،
فعلى المؤمن أن يبالغ فى الاحتراز عنه، ويجتهد فى التطهر منه ، ولا غرو
فثلاث من كن فيه فهو منافق؛ اذا حدث كذب ، واذا وعد أخاف، واذا
أوتمن خان « أحمد يوسف نجاشى » .

أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ ، وَلَكِنْ قُولُوا : أَنْقَلِبُوا
 - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ فِي قَوْمٍ مَدَحَهُمْ :
 « فَأَنْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِنْ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ » . أَنْتَهَى
 وَمِنْهَا - وَقَدْ ذَكَرَ الْخِلَافَ فِي شَاهِدٍ يُوسُفَ - مَا صُورَتْهُ :
 فَإِذَا قُلْنَا إِنَّهُ الْقَمِيصُ - فَكَانَ يَصِحُّ مِنْ جِهَةِ اللُّغَةِ أَنْ يُخْبَرَ
 عَنْ حَالِهِ ، بِتَقْدَمِ مَقَالِهِ ، فَإِنَّ لِسَانَ الْحَالِ ، أَبْلَغُ مِنْ لِسَانِ الْمَقَالِ
 فِي بَعْضِ الْأُمُورِ ، وَقَدْ تُضِيفُ الْعَرَبُ الْكَلَامَ إِلَى الْجُمَادَاتِ
 بِمَا تُخْبِرُ عَنْهُ بِمَا عَلَيْهَا مِنَ الصِّفَاتِ ، وَمِنْ أَحْلَاهُ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :
 قَالَ الْحَائِطُ لِلْوَيْدِ : لِمَ تَشْقِيَنِي ؟ قَالَ : سَلْ مَنْ يَدُقُّنِي ،
 مَا يَثْرُكُنِي وَرَأَى ^(١) ، هَذَا الَّذِي وَرَأَى - لَكِنْ قَوْلُهُ تَعَالَى
 بَعْدَ ذَلِكَ « مِنْ أَهْلِهَا » فِي صِفَةِ الشَّاهِدِ يُبْطِلُ أَنْ يَكُونَ
 الْقَمِيصَ . وَأَمَّا مَنْ قَالَ إِنَّهُ ابْنُ عَمِّهَا أَوْ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ
 الْعَزِيزِ فَإِنَّهُ يُحْتَمَلُ ، لَكِنْ قَوْلُهُ « مِنْ أَهْلِهَا » يُعْطَى
 اخْتِصَاصُهَا مِنْ جِهَةِ الْقَرَابَةِ . أَنْتَهَى .

وَمِنْهَا قَوْلُهُ : إِنَّهُ كَانَ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ ، إِمَامٌ مِنَ الصُّوْفِيَّةِ

(١) فِي الْأَصْلِ « وَدَائِي » وَ « رَائِي » بِمَعْنَى رَأَيْتُ أَيْ حَالِي وَشَأْنِي

وَأَيُّ إِمَامٍ، يُعْرِفُ بِابْنِ عَطَاءٍ، فَتَكَلَّمَ يَوْمًا عَلَى يُوسُفَ
وَأَخْبَارِهِ، حَتَّى ذَكَرَ تَبَرُّثَهُ مِمَّا يُنْسَبُ^(١) إِلَيْهِ مِنْ مَكْرُوهٍ،
فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ آخِرِ مَجْلِسِهِ - وَهُوَ مَشْحُونٌ بِالْحَلِيقَةِ مِنْ
كُلِّ طَائِفَةٍ - فَقَالَ: يَا شَيْخُ، يَا سَيِّدَنَا، فَإِذَنْ يُوسُفُ هُمْ، وَمَا
تَمَّ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، لِأَنَّ الْعِنَايَةَ مِنْ شَيْءٍ. فَانْظُرُوا إِلَى حَلَاوَةِ الْعَالِمِ
وَالْمُتَعَلِّمِ، وَفِطْنَةِ الْعَامِّيِّ فِي سُؤَالِهِ، وَالْعَالِمِ فِي اخْتِصَارِهِ
وَأُسْتِيفَائِهِ! وَلِذَا قَالَ عُلَمَاؤُنَا الصُّوفِيَّةُ: إِنَّ فَايِدَةَ قَوْلِهِ تَعَالَى
« وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا » أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَاهُ
الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ أَيَّامَ غَلَبَةِ الشَّهْوَةِ لِتَكُونَ لَهُ سَبَبًا
لِلْعِصْمَةِ. أَنْتَهَى.

وَمِنْهَا قَوْلُهُ: كُنْتُ بِحِكْمَةٍ مُقِيمًا فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةً
تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَكُنْتُ أَشْرَبُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ
كَثِيرًا، وَكُلَّمَا شَرِبْتُهُ نَوَيْتُ بِهِ الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ، فَقَتَحَ اللَّهُ
تَعَالَى لِي بَرَكَتِهِ فِي الْمِقْدَارِ الَّذِي يَسَّرُهُ لِي مِنَ الْعِلْمِ،
وَنَسِيتُ أَنْ أَشْرَبَهُ لِلْعَمَلِ، وَيَا لَيْتَنِي شَرِبْتُهُ لَهَا حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ
تَعَالَى لِي فِيهِمَا - وَلَمْ يُقَدِّرْ، فَكَانَ صَفْوَى لِلْعِلْمِ أَكْثَرَ مِنْهُ

(١) وفي نسخة «نسب» «أحمد يوسف نجاتي»

لِلْعَمَلِ ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى الْحِفْظَ وَالتَّوْفِيقَ بِرَحْمَتِهِ .
 وَمِنْهَا قَوْلُهُ : سَمِعْتُ إِمَامَ الْحَنَابِلَةِ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ
 أَبَا الْوَفَاءِ عَلِيَّ بْنَ عَقِيلٍ يَقُولُ : إِنَّمَا تَبِعَ الْوَلَدُ الْأُمَّ فِي
 الْمَالِيَّةِ ، وَصَارَ بِحُكْمِهَا فِي الرِّقِّ وَالْحُرِّيَّةِ ، لِأَنَّهُ انْفَصَلَ عَنِ
 الْأَبِ نُطْفَةً لَا قِيَمَةَ لَهُ ، وَلَا مَالِيَّةَ فِيهِ ، وَلَا مَنْفَعَةَ مَبْتُوثَةً ^(١)
 عَلَيْهِ ، وَإِنَّمَا أُكْتَسِبَ مَا أُكْتَسِبَ بِهَا وَمِنْهَا ، فَلِذَلِكَ تَبِعَهَا
 كَمَا لَوْ أَكَلَ رَجُلٌ تَمْرًا فِي أَرْضِ رَجُلٍ ، وَسَقَطَتْ مِنْهُ نَوَاطُ
 فِي الْأَرْضِ مِنْ يَدِ الْآكِلِ ، فَصَارَتْ نَخْلَةً ، فَإِنَّهَا مِلْكُ
 صَاحِبِ الْأَرْضِ دُونَ الْآكِلِ بِإِجْمَاعٍ مِنَ الْأُمَّةِ ، لِأَنَّهَا
 انْفَصَلَتْ عَنِ الْآكِلِ وَلَا قِيَمَةَ لَهَا وَهَذِهِ مِنَ الْبَدَائِعِ .
 أَنْتَهَى .

وَمِنْهَا قَوْلُهُ : وَمِنْ نَوَادِرِ أَبِي الْفَضْلِ الْجَوْهَرِيِّ
 مَا أَخْبَرَنَا عَنْهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْوَاعِظُ وَغَيْرُهُ ؛ أَنَّهُ كَانَ
 يَقُولُ : إِذَا أُمْسِكَتْ عِلَاقَةُ الْمِيزَانِ بِالْإِبْهَامِ وَالسَّبَّابَةِ
 وَأَرْتَفَعَتْ سَائِرُ الْأَصَابِعِ كَانَ شَكْلُهَا مَقْرُوءًا ^(٢) بِقَوْلِكَ : اللَّهُ

(١) أى مقطوع بها متيقنة - وفي الأصل « مَبْتُوثَةٌ » (٢) فى نسخة
 « مقروا » « أحمد يوسف نجاشى » .

فَكَانَهَا إِشَارَةً مِنْهُ سُبْحَانَهُ فِي تَسْيِيرِ الْوَزْنِ كَذَلِكَ إِلَى
أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ مُطَّلِعٌ عَلَيْكَ ، فَأَعْدِلْ فِي وَزْنِكَ . انْتَهَى .

وَمِنْهُ قَوْلُهُ : كَانَ ابْنُ الْكَازِرُونِيَّ يَأْوِي إِلَى الْمَسْجِدِ
الْأَقْصَى ، ثُمَّ تَمَتَّعَ بِهِ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ ، وَلَقَدْ كَانَ يَقْرَأُ فِي مَهْدِ
عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَيُسْمَعُ مِنَ الطُّورِ ، فَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ
يَصْنَعَ شَيْئًا دُونَ قِرَاءَتِهِ إِلَّا الْإِصْغَاءَ إِلَيْهِ . انْتَهَى .

وَمِنْهَا قَوْلُهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى « فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ » قِيلَ إِنَّهَا
كَانَتْ آخِرَ سُؤَالٍ مِنَ الْأَرْبَعَاءِ إِلَى الْأَرْبَعَاءِ ، وَالنَّاسُ يَكْرَهُونَ
السَّفَرَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لِأَجْلِ هَذِهِ الرُّوَايَةِ ، حَتَّى إِنِّي لَقِيتُ
يَوْمًا مَعَ خَالِي الْحَسَنِ بْنِ أَبِي حَفْصٍ رَجُلًا مِنْ الْكُتَّابِ
فَوَدَّعَانِي بِنِيَّةِ السَّفَرِ ، فَلَمَّا فَارَقْنَا قَالَ لِي خَالِي : إِنَّكَ لَا تَرَاهُ أَبَدًا
لِأَنَّهُ سَافِرٌ فِي يَوْمِ أَرْبَعَاءٍ لَا يَتَكَرَّرُ . وَكَذَا كَانَ ، فَإِنَّهُ مَاتَ
فِي سَفَرِهِ . وَهَذَا مَا لَا أَرَاهُ ، لِأَنَّ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ يَوْمٌ عَجِيبٌ ،
بِمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ مِنَ الْخَلْقِ فِيهِ وَالتَّرْتِيبِ ، فَإِنَّ الْحَدِيثَ
ثَابِتٌ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ يَوْمَ السَّبْتِ التُّرْبَةَ ، وَيَوْمَ الْأَحَدِ

الْجِبَالِ ، وَيَوْمَ الْاِثْنَيْنِ الشَّجَرِ ، وَيَوْمَ الثَّلَاثَةِ الْمَكْرُوهِ
 وَيَوْمَ الْارْبَعَاءِ النُّورِ - وَرَوَى الثُّونَ - وَفِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ
 أَنَّهُ خَلَقَ يَوْمَ الْارْبَعَاءِ التَّقْنَ ^(١) - وَهُوَ كُلُّ شَيْءٍ تُتَقَنُّ بِهِ
 الْأَشْيَاءُ - يَعْنِي الْمَعَادِنَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنُّحَاسِ وَالْحَدِيدِ
 وَالرَّصَاصِ ، فَالْيَوْمُ الَّذِي خُلِقَ فِيهِ الْمَكْرُوهُ لَا تَعَافُهُ ^(٢)
 النَّاسُ ، وَالْيَوْمُ الَّذِي خُلِقَ فِيهِ النُّورُ أَوْ التَّقْنُ يَعاْفُونَهُ ! إِنَّ
 هَذَا لَهُوَ الْجَهْلُ الْمُبِينُ . وَفِي الْمَغَازِي أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دَعَا عَلَى الْأَحْزَابِ مِنْ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ إِلَى يَوْمِ
 الْارْبَعَاءِ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ ، فَاسْتُجِيبَ لَهُ ، وَهِيَ سَاعَةٌ فَاضِلَةٌ
 فَالْأَثَرُ الصَّحَاحُ تَدُلُّ عَلَى فَضْلِ هَذَا الْيَوْمِ ، فَكَيْفَ يُدْعَى
 فِيهِ التَّحْذِيرُ وَالنَّحْسُ بِأَحَادِيثَ لَا أَصْلَ لَهَا ؟ ! وَقَدْ صَوَّرَ
 قَوْمٌ أَيَّامًا مِنَ الْأَشْهُرِ الشَّمْسِيَّةِ ادَّعَوْا فِيهَا الْكَرَاهِيَّةَ
 لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا ، وَلَا يَشْغُلُ بِهَا ، فَحَسْبُهُمْ
 اللَّهُ . اُنْتَهَى .

(١) اتقن الطبيعة ، وما يقوم به المعاش ويصلح به التدبير كالحديد وغيره
 من جواهر الأرض ومعادنها ، وما في بطونها من أفلاذ أكيادها ، وكل ما يقوم
 به صلاح شيء ، فهو تقنه (٢) تمافه : نكرهه وتنفر منه . «أحمد يوسف نجاتي»

وَمِنْهَا : وَكَانَ يَقْرَأُ مَعَنَا بِرِبَاطِ أَبِي سَعِيدٍ عَلَى الْإِمَامِ
دَاشْمَنْدَ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ خُنْثَى لَيْسَ لَهُ لِحْيَةٌ وَلَهُ ثَدْيَانِ
وَعِنْدَهُ جَارِيَةٌ - فَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِهِ - وَمَعَ طُولِ الصُّحْبَةِ عَقَلَنِي
الْحَيَاءُ عَنْ سُؤَالِهِ ، وَبِوُدِّي الْيَوْمَ لَوْ كَاشَفْتُهُ عَنْ حَالِهِ . أَنْتَهَى .
وَمِنْ شِعْرِ ابْنِ الْعَرَبِيِّ ^(١) مِمَّا نَسَبَهُ لَهُ الشَّيْخُ أَبُو حَيَّانَ
قَوْلُهُ :

لَيْتَ شِعْرِي هَلْ دَرَوَا أَيْ قَلْبٍ مَلَكَوْا ؟
وَفُؤَادِي لَوْ دَرَى أَيْ شِعْبٍ سَلَكَوْا ؟
أَتُرَاهُمْ سَلِمُوا أَمْ تُرَاهُمْ هَلَكَوْا ؟
حَارَ أَرْبَابُ الْهَوَى فِي الْهَوَى وَارْتَبَكُوا
« وَمِنْ فَوَائِدِهِ » أَخْبَرَنِي الْمَهْرَةُ مِنَ السَّحَرَةِ بِأَرْضِ
بَابِلَ أَنَّهُ مَنْ كَتَبَ آخِرَ آيَةٍ مِنْ كُلِّ سُورَةٍ وَيُعَلِّقَهَا

(١) الحق أن هذه الأبيات ليست لابن بكر بن العربي صاحب الترجمة هذا ،
وإنما هي للشيخ الصوفي المشهور محيي الدين بن العربي صاحب الفتوحات
المسكية المتوفى سنة ٦٣٨ ، وهي في ابتداء كتابه « ترجمان الأشواق »
وسياقي حديث طويل عن محيي الدين بن عربي . « أحمد يوسف نجاتي »

لَمْ يَبْلُغْ إِلَيْهِ سِحْرُنَا ، قَالَ هَكَذَا قَالُوا ! ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ
بِمَا نَقْلُوهُ . وَقَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : حَفِظْتُ ^(١) الْقُرْآنَ ابْنَ
تِسْعِ سِنِينَ ، ثُمَّ ثَلَاثًا لِحَبْطِ الْقُرْآنِ وَالْعَرَبِيَّةِ وَالْحِسَابِ ،
فَبَلَغْتُ سِتَّ عَشْرَةَ وَقَدْ قَرَأْتُ مِنَ الْأَحْرَفِ نَحْوًا مِنْ
عَشْرَةِ ، بِمَا يَتَّبِعُهَا مِنْ إِظْهَارٍ وَإِدْغَامٍ وَنَحْوِهِ ، وَتَمَرَّنتُ فِي
الْغَرِيبِ ^(٢) وَالشَّعْرِ وَاللُّغَةِ ، ثُمَّ رَحَلَ بِي أَبِي إِلَى الْمَشْرِقِ ، ثُمَّ
ذَكَرَ تَمَامَ رِحْلَتِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - .

محمد بن أبي
عامر الغافقي

وَمِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ بْنِ حَجَّاجٍ الْغَافِقِيُّ
الْإِسْبِيلِيُّ « وَمِنْ نَظْمِهِ بِالْمَدِينَةِ الْمُشْرِفَةِ - عَلَى سَاكِنِهَا
أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ -

لَمْ يَبْقَ لِي سُؤْلٌ وَلَا مَطْلَبٌ

مُذْ صِرْتُ جَارًا لِلْحَبِيبِ الْحَبِيبِ

لَا أَتَّبِعِي شَيْئًا سِوَى قُرْبِهِ

وَهَا أَنَا مِنْهُ قَرِيبٌ قَرِيبٌ

(١) في نسخة « حذفت » أي أتقنت (٢) في نسخة « العربية »
« أحمد يوسف نجاشي » .

مَنْ غَابَ عَنْ حَضْرَةِ مَحْبُوبِهِ
 فَلَسْتُ عَنْ طَيْبَةِ مِمَّنْ يَغِيبُ
 لَا تَسْأَلِ الْمَغْبُوطَ عَنْ حَالِهِ ،
 جَارٌ كَرِيمٌ وَمَحَلٌّ خَصِيبٌ
 الْعَيْشُ وَالْمَوْتُ هُنَا طَيْبٌ
 بِطَيْبَةٍ لِي كُلُّ شَيْءٍ يَطِيبُ
 وَمِمَّنْ رَوَى عَنْهُ هَذِهِ الْأَيَّاتُ الْأَشْرَفُ بْنُ الْفَاضِلِ

« وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ الْأَدِيبُ الْفَاضِلُ الْبَارِعُ جَمَالُ الدِّينِ
 أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَقِيهِ الْخَطِيبِ أَبِي الْحَسَنِ مُحَمَّدِ
 ابْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ
 ذِي الثَّنُونِ ^(١) الْأَنْصَارِيُّ الْمَالِقِيُّ » مِنْ أَشْيَاخِ أَبِي حَيَّانَ
 لَقِيَهُ بِبَلْبَيسَ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ . قَالَ : وَأَنْشَدَنِي لِشَيْخِهِ
 أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْإِسْتِجْبَى مِنْ قَصِيدَةٍ :

جمال الدين ابن أبي
الحسن الأنصاري
المالقي

(١) وفي بعض النسخ « زنون » وكذا في بغية الوعاة للسيوطي ، وقال
 انه كان حيا في سنة ٦٨٠ « أحمد يوسف نجاتي »

مَا لِلنَّسِيمِ سَرَى يَهْبُ عَلَيْهِلًا^{(١)؟}

أَتَرَاهُ يَشْكُو لَوْعَةً وَغِيلًا؟

جَرَّ الذُّيُولَ عَلَى دِيَارِ أَحِبَّتِي

فَأَتَى يَجْرُ مِنْ السَّقَامِ ذُيُولًا

وَأَنْشَدَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - لِرِضْوَانَ الْمَخْزُومِيِّ^(٢) :

إِنْ كُنْتَ يُوسُفَ حُسْنًا وَكُنْتُ عَبْدَ الْعَزِيزِ

فَإِنَّ يُوسُفَ مِنْ قَبْلِ كُنْتُ عَبْدَ الْعَزِيزِ

وَأَخَذَ ابْنُ ذِي النُّونِ الْمَذْكُورُ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

صَالِحٍ ، وَقَرَأَ لِلْسَّبْعَةِ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ الْفَحَّامِ^(٣) وَأَبِي زَيْدِ

الْقُمَارِشِيِّ^(٤) وَعَلَى أَبِي جَعْفَرٍ الشَّهْبِيلِيِّ . وَوُلِدَ ابْنُ ذِي النُّونِ

(١) في نسخة « سرى الأصيل عليلًا » (٢) هو أبو النعيم رضوان بن خالد

المخزومي الملقب ، كان أديبا شاعرا مجيدا ، توفي سنة ٦٤٢ « أحمد يوسف نجاتي »

(٣) هو أحمد بن علي بن محمد بن علي الأنصاري الملقب المعروف بالفحام

كان نحويا مقرئا فاضلا عبدا تقيارا وية للحديث ثقة عدلا ، توفي سنة ٦٤٥

« أحمد يوسف نجاتي » (٤) نسبة الى حصن قمارش أو « كمارش » كان

على نحو ١٨ ميلا من مالقة ، وهو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن

ابن عبد الله الخزرجي الملقب ، وكان أهل علم وفضل ودين وتقوى ، ولد

سنة ٥٧٢ وتوفي سنة ٦٣٧ - رحمه الله - . « أحمد يوسف نجاتي » .

سَنَةِ ثَمَانِي عَشْرَةِ وَسِتِّمِائَةٍ بِمَالِقَةَ . وَمِنْ تَوَالِيْفِهِ : نَفْحُ الْمِسْكِ
الْأَذْفَرِ ، فِي مَدْحِ الْمَنْصُورِ بْنِ الْمُظْفَرِ . وَأَزْهَارُ الْخَمِيلَةِ ، فِي
الْأَثَارِ الْجَمِيلَةِ . وَأُسْطُطْلَاعُ الْبَشِيرِ . وَمَحْضُ الْيَقِينِ ، وَرَوْضُ
الْمُتَّقِينَ .

زِيَادُ الْمَعْرُوفِ شَبْطُونُ « وَمِنْهُمْ زِيَادُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زِيَادٍ * اللَّخْمِيُّ الْمَعْرُوفُ
بِشَبْطُونٍ » يُكْنَى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ . كَانَ فَقِيهَ الْأَنْدَلُسِ عَلَى
مَذْهَبِ مَالِكٍ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَدْخَلَ مَذْهَبَهُ الْأَنْدَلُسَ ، وَكَانُوا

* ترجم له في تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي « ج ١ ص ١٣١ »
ترجمة نجتزى منها بما يأتي :

زِيَادُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَعْرُوفُ بِزِيَادِ شَبْطُونِ خَدَّ بَنِي زِيَادٍ .
وَقَالَ أَحْمَدُ :

هُوَ زِيَادُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زِيَادِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَهْرٍ ، وَزِيَادُ
الثَّانِي هُوَ الدَّخَلُ بِالْأَنْدَلُسِ ، قَالَهُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّازِي . قَالَ أَحْمَدُ :
وَجَدْتُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ نَسَبَ زِيَادٍ :

هُوَ زِيَادُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَهْرٍ بْنِ نَاشِرَةَ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ الْخَطَّابِ بْنِ
الْحَارِثِ بْنِ دَبَّةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ وَائِلِ بْنِ رَاشِدَةَ بْنِ أَدَبَ بْنِ خُوَيْلِدِ
ابْنِ لَحْمَ بْنِ عَدَى ، وَقَدْ قِيلَ أَنَّهُ مِنْ وَلَدِ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ ، مِنْ أَهْلِ
قَرْطَبَةَ ، يُكْنَى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ . أَرَادَ الْأَمِيرُ هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ أَنْ يُولِيَهُ الْقَضَاءَ بِقَرْطَبَةَ

قَبْلَهُ يَتَفَقَّهُونَ عَلَى مَذْهَبِ الْأَوْزَاعِيِّ^(١) ، وَأَرَادَهُ الْأَمِيرُ
هَشَامٌ عَلَى الْقَضَاءِ بِقُرْطُبَةَ ، وَعَزَمَ عَلَيْهِ ، فَهَرَبَ ، فَقَالَ هَشَامٌ :
لَيْتَ النَّاسَ كُلَّهُمْ كَزِيَادٍ ! حَتَّى أَكْفِيَ أَهْلَ الرَّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا
وَأَرْسَلَ إِلَى زِيَادٍ فَأَمَّنَهُ حَتَّى رَجَعَ إِلَى دَارِهِ . وَيُحْكِي أَنَّهُ
لَمَّا أَرَادَهُ لِلْقَضَاءِ كَلَّمَهُ الْوُزَرَاءُ فِي ذَلِكَ عَنِ الْأَمِيرِ ، وَعَرَفُوهُ
عَزَمَهُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُمْ : أَمَّا إِنْ أَكْرَهْتُمُونِي عَلَى الْقَضَاءِ
فَزَوْجَتِي فَلَانَةُ طَالِقٌ ثَلَاثًا لَيْتَ أَتَانِي مُدَّعٍ فِي شَيْءٍ مِمَّا فِي أَيْدِيكُمْ
لَا أُخْرِجَنَّهُ عَنْكُمْ^(٢) ثُمَّ أَجْعَلُكُمْ مُدَّعِينَ فِيهِ^(٣) ، فَلَمَّا
سَمِعُوا مِنْهُ ذَلِكَ عَامُوا صِدْقَهُ ، فَعَمِلُوا^(٤) عِنْدَ الْأَمِيرِ فِي مُعَافَاتِهِ .
سَمِعَ مِنْ مَالِكِ الْمُوْطَأَى وَيُعرفُ سَمَاعُهُ بِسَمَاعِ زِيَادٍ - وَسَمِعَ

نُفْرَجَ هَارِبًا بِنَفْسِهِ ، فَقَالَ هَشَامٌ : لَيْتَ النَّاسَ كَزِيَادٍ ! حَتَّى أَكْفِيَ أَهْلَ
الرَّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا ، وَأَمَّنَهُ فَرَجَعَ . وَكَانَ هَشَامٌ يَقُولُ : صَحِبْتُ النَّاسَ وَبَلَوْتَهُمْ
فَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا يَسِرُّ مِنَ الزَّهْدِ أَكْثَرَ مِمَّا يَظْهَرُ إِلَّا زِيَادَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ،
وَرَوَى زِيَادُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَقْبَةَ ، وَعَنْ اللَّيْثِ بْنِ
سَعْدٍ وَغَيْرِهِ . وَتَوَفَّى زِيَادُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - سَنَةَ أَرْبَعٍ
وَمِائَتَيْنِ ، قَبْلَ مَوْتِ الْحَكَمِ بَعَامِينَ . ذَكَرَ ذَلِكَ أَحْمَدُ .

(١) هُوَ الْإِمَامُ أَبُو عَمْرٍو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَوْزَاعِيُّ إِمَامُ
أَهْلِ الشَّامِ ، وَلَمْ يَكُنْ بِالشَّامِ أَعْلَمَ مِنْهُ ، وَلَدَ سَنَةَ ٨٨ وَتَوَفَّى سَنَةَ ١٥٧ وَسَيَاتِي
تَفْصِيلُ الْقَوْلِ فِي مَذَاهِبِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ . « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نِجَاطِي »

(٢) فِي الْأَصْلِ « مِنْهُ » (٣) فِي الْأَصْلِ « فِيهَا » (٤) فِي نَسْخَةِ « فَتَاوَاهُ »

مِنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ^(١) - وَكَانَتْ ابْنَةُ مُعَاوِيَةَ تَحْتَهُ . وَرَوَى
يَحْيَى بْنُ يَحْيَى اللَّيْثِيُّ عَنْ زِيَادٍ هَذَا الْمُوطَّأَ قَبْلَ أَنْ يَرْحَلَ إِلَى
مَالِكٍ ، ثُمَّ رَحَلَ فَأَذْرَكَ مَالِكًا فَرَوَاهُ عَنْهُ - إِلَّا أَبُو أَبَا فِي كِتَابِ
الْإِعْتِكَافِ شَكَّ فِي سَمَاعِهَا مِنْ مَالِكٍ ، فَأَبْقَى رِوَايَتَهُ فِيهَا
عَنْ زِيَادٍ عَنْ مَالِكٍ - وَتُوفِّيَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَمِائَتَيْنِ - وَقِيلَ
سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةً ، وَقِيلَ فِي أَلَّتِي بَعْدَهَا ، وَقِيلَ
سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةً - وَالْأَوَّلُ أَوْلَى بِالْقَبُولِ .
وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ . وَرَحَلَ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَمْثَالِ^(٢)
شَبْطُونٍ كَقِرْعَوُسَ بْنِ الْعَبَّاسِ^(٣) وَعِيسَى بْنِ دِينَارٍ^(٤)

(١) هو أبو عبد الرحمن أو أبو عمرو معاوية بن صالح بن عثمان « أو
ابن حديد » بن سعيد بن سعد بن فهر الحضرمي الحمصي ، شامي الأصل
خرج من حمص سنة ١٢٣ وقدم مصر ، ثم خرج الى الأندلس ، فلما دخل
عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الأندلس وملكها اتصل به وحظي
عنده ، فأرسله الى الشام في مهماته ، فلما عاد من الشام ولاء قضاء الجماعة
بالأندلس كلها ، وكان راوية محدثا ثقة ، وسمع منه الامام الليث بن سعد
وغيره ، وتوفي سنة ١٥٨ . « أحمد يوسف نجاشي » . (٢) في نسخة « نظراء »
(٣) هو أبو الفضل قرعوس بن العباس بن قرعوس بن عبيد بن منصور
ابن محمد بن يوسف الثقفي من أهل قرطبة ، رحل فسمع من الامام مالك
وسفيان بن سعيد الثوري والليث بن سعد وغيرهم ، وكان فقيها فاضلا
ذا دين وورع ، توفي سنة ٢٢٠ في أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم
والقرعوس « كفردوس ، زنبور » وهو في الأصل الجمل ذو السنامين
وولد الأسد ، والشين لغة فيه أيضا . وفي الأصل وغيره « فرغوس » وهو
تصحيف خاطيء « أحمد يوسف نجاشي » (٤) تقدمت ترجمته

وَسَعِيدِ بْنِ أَبِي هِنْدٍ^(١) وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ رَحَلَ إِلَى الْحِجِّ أَيَّامَ
هَشَامِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَالِدِ الْحَكَمِ، فَلَمَّا رَجَعُوا وَصَفُوا
مِنْ فَضْلِ مَالِكٍ وَسَعَةِ عِلْمِهِ وَجَلَالَةِ قَدْرِهِ مَا عَظُمَ بِهِ صَيْتُهُ
بِالْأَنْدَلُسِ، فَانْتَشَرَ يَوْمَئِذٍ رَأْيُهُ وَعِلْمُهُ بِالْأَنْدَلُسِ، وَكَانَ
رَأِئِدَ الْجَمَاعَةِ فِي ذَلِكَ شَبِطُونٌ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَدْخَلَ مُوَطَّأً
مَالِكٍ إِلَى الْأَنْدَلُسِ مُكَمَّلًا مُتَقَنًا، فَأَخَذَهُ عَنْهُ يَحْيَى بْنُ
يَحْيَى كَمَا مَرَّ - وَهُوَ إِذْ ذَاكَ صَدْرٌ فِي طَلَّابِ الْفِقْهِ - فَأَشَارَ
عَلَيْهِ زِيَادٌ بِالرَّحِيلِ إِلَى مَالِكٍ مَا دَامَ حَيًّا، فَرَحَلَ سَرِيعًا، وَأَخَذَ
يَحْيَى عَنْ زِيَادٍ هَذَا الْكُتُبَ الْعَشْرَةَ الْمَنْسُوبَةَ إِلَى يَحْيَى
وَأَقَى أَيْضًا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ وَهَبٍ^(٢) صَاحِبَ مَالِكٍ، وَسَمِعَ مِنْهُ
الْمُوَطَّأَ، وَلَقِيَ أَيْضًا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ نَافِعٍ الْمَدَنِيَّ^(٣) صَاحِبَ

(١) هو أبو عثمان سعيد بن أبي هند أصله من بليطلة، وسكن قرطبة، فرحل فلقى الإمام مالكا وسمع منه، وكان مالكا يسميه الحكيم، وكان شريفا عاقلا وفقهيا محدثا فاضلا، توفي في صدر أيام الأمير عبد الرحمن ابن معاوية (٢) تقدمت ترجمته (٣) هو الإمام عبد الله بن نافع الفقيه المدني كان من أعلم الناس بمذهب مالك، وتوفي سنة ٢٠٦ « أحمد يوسف نجاتي »

مَالِكٍ ، وَسَمِعَ مِنْهُ وَمِنْ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ فَقِيهِ مِصْرَ ، وَمِنْ
سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ بِمَكَّةَ ، وَقَدِمَ يَحْيَى الْأَنْدَلُسَ أَيَّامَ الْحَكَمِ
فَانْتَشَرَ بِهِ وَبَزِيَادٍ وَبِعِيسَى بْنِ دِينَارٍ عِلْمُ مَالِكٍ بِالْأَنْدَلُسِ
- رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ الْجَمِيعِ - وَقَدْ قَدَّمْنَا الْحَدِيثَ الَّذِي
رَوَاهُ زِيَادُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ مَالِكٍ ، فَلْيُرَاجَعْ فِي الْبَابِ
الثَّالِثِ .



وَمِنْهُمْ سِوَارُ بْنُ طَارِقٍ مَوْلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ «
قُرْطُبِيٌّ ، حَجَّ وَدَخَلَ الْبَصْرَةَ ، وَلَقِيَ الْأَصْمَعِيَّ وَنُظَرَائِهِ
وَأَنْصَرَفَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ ، وَأَدَّبَ الْحَكَمَ . وَمِنْ وَلَدِهِ مُحَمَّدٌ
أَبْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِوَارٍ ^(١) حَجَّ أَيْضًا وَلَقِيَ أَبَا حَاتِمٍ ^(٢)»

سوار بن طارق
مولى عبد الرحمن
ابن معاوية

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سوار القرطبي، أخذ عن أبيه، ورحل إلى
المشرق، وشهد بالبصرة دخول صاحب الزنج بها سنة ٢٥٧ وتوفي سنة ٣٠٢
- وأبوه عبد الله بن سوار كان من أهل العلم باللغة والأدب توفي سنة ٢٧٥ ،
و « سوار » يروي بصيغة المبالغة ، ويروي سوار « كغراب ، وكتاب »
وهناك أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن سليمان بن معاوية بن سوار
ابن طريف بن طارق بن منيد الداخل مع بني أمية ، من أهل قرطبة
ولد سنة ٣١٣ وكان من أهل العلم والرواية والفضل « أحمد يوسف نجاتي »
(٢) هو أبو حاتم السجستاني سهل بن محمد بن عثمان بن القاسم من ساكني البصرة

بِالْبَصْرَةِ وَالرِّيَاشِيِّ^(١) وَغَيْرُهُمَا، وَأَدْخَلَ الْأَنْدَلُسَ عِلْمًا كَثِيرًا
- رَحِمَ اللَّهُ تَعَالَى الْجَمِيعَ .

« وَمِنْهُمْ بَقِيُّ بْنُ مَخْلَدٍ * الشَّهِيرُ الذَّكْرُ، صَاحِبُ
الْتَّالِيفِ الَّتِي لَمْ يُؤَلَّفْ مِثْلُهَا فِي الْإِسْلَامِ ، وَلَقِيَ مِائَتَيْنِ

كان اماما في علوم القرآن واللغة والشعر، ومن أعلم الناس
بالعروض واستخراج المعنى ، وكان جماعا للكتب يتجر فيها، وله جملة
مصنفات في اللغة ، توفي سنة ٢٥٥ (١) هو أبو الفضل العباس بن الفرغ
الرياشي اللغوي النحوي ، كان عالما باللغة والشعر، كثير الرواية عن الأصمعي .
ورياس رجل من جذام كان أبوه مولى له فنسب اليه . وكان صالحا ثقة
قتله الزنج بالبصرة - وكان في صلاة الضحى في مسجده - سنة ٢٥٧ رحمه الله
« أحمد يوسف نجاتي »

* ترجم له في تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي « ص ٨١ ج ١ »
بترجمة مسهبة « نقتطف منها ما يأتي :

« بقي بن مخلد من أهل قرطبة ، يكنى أبا عبد الرحمن ، سمع
من محمد بن عيسى الأعمش (١) ، ومن يحيى بن يحيى ،
ورحل الى المشرق ، فلقى جماعة من أئمة المحدثين ، وكبار
المسندين ، منهم : ابراهيم بن محمد الشافعي (٢) صاحب ابن عينة ،

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عيسى بن عبد الواحد بن نجيح الماعري
القرطبي، رحل في العام الذي توفي فيه الامام مالك بن أنس وذلك سنة ١٧٩
فسمع من سفيان بن عيينة وغيره ، وكان فقيها راوية جليلا سريا جوادا
عاقلا، وتوفي سنة ٢٢٢ « أحمد يوسف نجاتي » (٢) هو ابراهيم بن محمد

(٨ - نفح الطيب - سادس)

وأبو المصعب الزهرى (١) ، وإبراهيم بن المنذر الحزامى وكثير غيرهم أخبرنى أبو محمد عبد الله بن على الباجى (٢) ، عن عبد الله بن يونس (٣) رواية يقي بن مخلد : أن عدة الرجال الذين لقيهم بقى وسمع منهم مائتا رجل وأربعة وثمانون رجلا . وأنكر عليه أصحابه الأندلسيون عبد الله بن خالد ومحمد بن الحارث وأبو زيد ما أدخله من كتب الاختلاف وغرائب الحديث ، وأغروا به السلطان وأخافوه به ، ثم إن الله بمنه وفضله أظهره عليهم وعصمه منهم ، فنشر حديثه وقرأ للناس روايته ، فمن يومئذ انتشر الحديث بالأندلس . ثم تلاه ابن وضاح (٤) فصارت الأندلس دار حديث واسناد ، وإنما كان الغالب عليها قبل ذلك حفظ رأى مالك وأصحابه ، وكان مما انفرد به يقي بن مخلد - ولم يدخله سواه - مصنف أبى بكر بن أبى شيبه (٥) - رحمه الله - بتمامه وكتاب الفقه لمحمد بن

ابن العباس بن عثمان بن شافع المطلبى المسمى ابن عم الامام الشافعى ، روى عن أبيه وجده لأمه محمد بن على بن شافع وابن عينية وغيره ، وتوفى سنة ٢٣٧ « أحمد يوسف نجاتى » (١) هو أبو مصعب أحمد بن أبى بكر القاسم بن الحرث بن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى المدنى قاضى المدينة وفقهها ، روى عن مالك وغيره ، كان اماما جليلا ومحدثا فصيحا . بليغا ، توفى سنة ٢٤٢ عن أكثر من تسعين سنة « أحمد يوسف نجاتى » . (٢) هو عبد الله بن على بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن على الباجى اللخمي الاشبيلي ، روى عن جده محمد بن أحمد الباجى وغيره ، وكان فقيها فاضلا ، توفى سنة ٤٧٨ « أحمد يوسف نجاتى » (٣) هو أبو محمد عبد الله بن يونس بن محمد بن عبيد الله بن عباد بن زياد بن يزيد ابن أبى يحيى المرادى يعرف بالقبرى ، أصله من مدينة قبرة وسكن قرطبة ، سمع من يقي بن مخلد كثيرا وصحبه ، وكان هو والحسن بن سعد آخر من حدث عنه ، وتوفى سنة ٣٣٠ عن ٧١ سنة « أحمد يوسف نجاتى »

(٤) أبو عبد الله محمد بن وضاح بن بزيع القرطبي ، توفى سنة ٢٨٧ وتقدمت ترجمته « أحمد يوسف نجاتى » (٥) هو عبد الله بن محمد بن إبراهيم

إذريس الشافعي الكبير بكناه ، وكتاب التاريخ لخليفة بن خياط (١) وكتابه في الطبقات ، وكتاب سيرة عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - للدورقي (٢) . ولبقي بن مخلد تفسير القرآن ، ومسند النبي صلى الله عليه وسلم - ليس لأحد مثله . وكان بقي ورعا فاضلا زاهدا ، وقيل انه كان مجاب الدعوة ، وقد ظهرت له اجابات في غير ما شيء . وسمع من بقي جماعة ؛ منهم : أسلم بن عبد العزيز (٣) ، ومحمد بن عمر بن لبابة ، ومحمد بن وزير ، وكان آخر أصحابه المحدثين عنه عبد الله بن يونس والحسن بن سعد ، وكان المشاهير من أصحاب ابن وضاح لا يسمعون من بقي للذي كان بين بقي وابن وضاح من الوحشة . وأخبرني عبد الله بن محمد قال : أخبرنا عبد الله بن يوسف أن بقي بن مخلد ولد في شهر رمضان سنة إحدى ومائتين ، ومات رحمه الله ليلة الثلاثاء لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وسبعين ومائتين (٤) قال أحمد : ودفن بقي بقبرة ابن عباس ، وصلى عليه محمد بن يزيد ختنه ، وحسب محمد بن عبد السلام

ابن عثمان العباسي مولاهم الكوفي الحافظ أحمد الأعلام وصاحب المصنف وصنف التفسير وغيره ، توفي سنة ٢٣٥ « أحمد يوسف نجاتي » (١) خليفة ابن خياط بن خليفة بن خياط المصفرى أبو عمرو البصرى صاحب التاريخ والطبقات وغير ذلك ، وحدث عنه البخارى وغيره ، وتوفي سنة ٢٤٠ وكان ثبتا يقظا « أحمد يوسف نجاتي » (٢) أحمد بن ابراهيم (٣) أسلم ابن عبد العزيز بن هاشم بن خالد بن عبد الله بن حسن بن جعد بن أسلم بن أبان بن عمرو مولى سيدنا عثمان بن عفان ، من أهل قرطبة ، ولى قضاء الجماعة بقرطبة ، وتوفي سنة ٣١٩ هـ أحمد يوسف نجاتي .

(٤) قلت ولبقي بن مخلد عقب خلفوا بعده بالأندلس علما جما ، منهم ابنه أبو عبد الله أحمد بن بقي بن مخلد بن يزيد ، كان قاضى قرطبة ، وسمع من أبيه ، وكان فاضلا زاهدا توفي سنة ٣٢٤ - ومنهم أبو عبد الله مخلد بن

الحشني في جنازته وقال : جنازة لا يحسر في مثلها أبدا ، وأنكر عليه جدا ، وخرج ابن وضاح بابا في إنكار الحسر على الجنائز .

عبد الرحمن بن أحمد بن بقي بن مخلد، روى عن أبيه وغيره، وكان فقيها محدثا ثبتا صدوقا، ولد سنة ٣٣٢ وتوفي سنة ٤٠٨ ودفن بمقبرة بني العباس وصلى عليه ابنه القاضي عبد الرحمن بن مخلد ، وهو أبو الحسن عبد الرحمن بن مخلد بن عبد الرحمن ، روى عن أبيه وجده وغيرهما ، وتولى القضاء بمدينة طليطلة مرتين : الأولى بتقديم النصور بن أبي عامر، والثانية بتقديم الظافر اسمعيل بن ذي النون ، ثم صرف عن القضاء ، فعاد الى بلده قرطبة ، فقلده أبو الوليد محمد بن جهور بعد مدة أحكام الشرطة والسوق بقرطبة ، فلم يزل متقلدا لها جميل السيرة فيها حتى توفي سنة ٤٣٧ وكان مولده سنة ٣٥٨ رحمه الله . ومنهم أخوه أبو عبد الله أحمد بن مخلد بن عبد الرحمن ، حدث عن أبيه ، وسمع منه ابنه القاضي محمد بن أحمد ، وكان في غاية من الانقباض عن الناس والتصاوت . ومنهم أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن مخلد بن عبد الرحمن بن أحمد بن بقي بن مخلد، روى عن أبيه وغيره ، وتولى القضاء بقرطبة مدة طويلة ، وكان كسائر سلفه وأهل بيته ذا علم ودين وفضل ، وكان مولده سنة ٤٣٢ وتوفي سنة ٥١٥ ودفن بمقبرة ابن عباس ، وصلى عليه أخوه أبو القاسم أحمد بن محمد ... الذي كان مشورا في الأحكام بقرطبة وكان صدرا في المفتين بها لسنه وتقدمه مع حلم وفضل وأدب وصيانة ، ولد أبو القاسم سنة ٤٤٦ وتوفي سنة ٥٣٢ ودفن بمقبرة ابن عباس مع سلفه ، وصلى عليه ابنه أبو الحسن عبد الرحمن بن أحمد بن مخلد . . . وكان يروى عن أبيه وعمه أبي الحسن عبد الرحمن وأبي بكر بن العربي وغيرهم . وكان فقيها مشورا عريفا في العلم والنباهة ، وولى القضاء بقرطبة ، وسمع منه ابنه أبو الوليد يزيد بن عبد الرحمن ، وابن ابنه أبو القاسم أحمد بن

وَأَرْبَعَةٌ وَثَمَانِينَ شَيْخًا ، وَكَانَتْ لَهُ خَاصَّةٌ مِنَ الْإِمَامِ
أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - ، وَسَتَاتِي جُمْلَةٌ مِمَّا
يَتَعَلَّقُ بِبَقِيٍّ بْنِ مَخْلَدٍ فِي رِسَالَةِ ابْنِ حَزْمٍ فِي الْبَابِ
السَّابِعِ . وَبَقِيٌّ عَلَى وَزْنِ عَلِيٍّ ، - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَرَضِيَ
عَنْهُ - وَقَدْ عَرَّفَ بِبَقِيٍّ بْنِ مَخْلَدٍ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ
كَصَاحِبِ النَّبْرَاسِ وَغَيْرِهِ .

يزيد وغيرهما، وكان مولده سنة ٤٩٥ وتوفي سنة ٥٧٣ بقرطبة. وأبو الوليد
يزيد بن عبد الرحمن، روى عن جده أبي القاسم أحمد وعن أبيه وعن
ابن العربي وغيرهم، وولى قضاء مدينة بسكرة من بلاد الزاب، وتوفي حوالى
سنة ٥٨٠ - ومنهم أبو الحسن مخلد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أحمد
ابن محمد بن أحمد بن مخلد بن عبد الرحمن بن أحمد بن بَقِيٍّ بن مخلد
كان فقيها صالحا متصوفا، توفي سنة ٦٢٢ - ومنهم كثير غير هؤلاء وسنفرد
لهم بابا خاصا فى كلامنا على العلوم والمعارف فى الأندلس والبيوتات التى
لها أثر فيها فى كتابنا الجامع فى الأدب ان شاء الله تعالى .
«أحمد يوسف نجاتي»

قاسم بن أصبغ
البياني

« وَمِنْهُمْ قَاسِمُ بْنُ أَصْبَغَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ يُوسُفَ أَبُو مُحَمَّدٍ
الْبَيَّانِيُّ ^(١) » وَيَأْنَهُ ^(٢) مِنْ أَعْمَالِ قُرْطُبَةَ - وَأَصْلُ سَلَفِهِ مِنْ
مَوَالِي الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَسَمِعَ الْمَذْكَورُ بِقُرْطُبَةَ
مِنْ بَقِيٍّ بْنِ مَخْلَدٍ ، وَمُحَمَّدِ بْنِ وَصَّاحٍ ، وَمُطَرِّفِ بْنِ قَيْسٍ ^(٣)
وَأَصْبَغَ بْنِ خَلِيلٍ ^(٤) وَأَبْنِ مَسْرَةَ ^(٥) وَغَيْرِ وَاحِدٍ . وَرَحَلَ

(١) قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح بن عطاء مولى أمير
المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان، وتوفي قاسم بن أصبغ سنة ٣٤٠
رحمه الله (٢) Baena وكانت قصبة كورة قبيرة كبيرة حصينة على ربوة
يكتنفها أشجار وأنهار ، وبينها وبين قرطبة ثلاثون ميلا ، وكانت بيانة
تعد من أقليم الكعبانية « وتقدم التعريف بها » الذي كان فيه من
المدن: قرطبة والزهراء واستجة وبيانة وقبرة واليسانة ، وبيانة إلى الجنوب
وسكانها الآن نحو ١٥ ألفا « أحمد يوسف نجاتي » (٣) هو أبو سعيد
مطرف بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن قيس مولى عبد الرحمن
ابن معاوية من أهل قرطبة ، روى بالاندلس عن يحيى بن يحيى وعبد الملك
ابن حبيب وغيرهما ، ورحل إلى المشرق فسمع من كثير من علمائه بمكة
والمدينة ومصر وأفريقية ، وكان شيخا نبيلاً بصيراً بال لغة والأدب شاعراً
محدثاً ثقة صالحاً ، وتوفي سنة ٢٨٢ « أحمد يوسف نجاتي » (٤) هو أبو
القاسم أصبغ بن خليل القرطبي ، كان حافظاً فقيهاً على مذهب مالك ، دارت
عليه الفتيا بالاندلس خمسين عاماً ، وتوفي سنة ٢٧٣ وتقدم التعريف به
بأوسع من هذا (٥) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مسرة بن نجيح

إِلَى الْمَشْرِقِ مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَيُّمَنْ^(١) وَمُحَمَّدِ
ابْنِ زَكْرِيَّا بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى^(٢) سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَبِائْتَيْنِ
فَسَمِعَ بِمَكَّةَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الصَّائِغِ^(٣) وَعَلَى
ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ^(٤)، وَدَخَلَ الْعِرَاقَ فَلَقِيَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ
إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَبِي النَّبَسِ قَاضِيَهَا، وَإِبْرَاهِيمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ
الْقَصَّارِ^(٥). وَسَمِعَ بَبْغَدَادَ مِنَ الْقَاضِي إِسْمَاعِيلِ^(٦) وَأَحْمَدَ

القرطبي رحل الى المشرق وأخذ عن خول رجاله، وكان مولده سنة ٢٦٩
وتوفي سنة ٣١٩، وأخوه أبو اسحق ابراهيم توفي قبله بمدينة الاسكندرية
« أحمد يوسف نجاتي » (١) تأتي ترجمته (٢) هو أبو عبد الله محمد بن
زكريا بن محمد بن جعفر بن أبي عبد الأعلى اللخمي القرطبي، كان إماما
ثقة زاهدا تقياء، توفي سنة ٣٢٢ غاريا مع أمير المؤمنين عبد الرحمن بن
محمد غزاة وخشمة « وتقدم التعريف بها » « أحمد يوسف نجاتي »
(٣) هو أبو جعفر محمد بن اسماعيل بن سالم الصائغ البغدادي نزيل مكة
ومحدثها، روى عن أبيه وغيره، وتوفي سنة ٢٧٦ « أحمد يوسف نجاتي »
(٤) هو أبو الحسن علي بن عبد العزيز البغوي المحدث بمكة، وهو عم
البغوي عبد الله بن محمد، وكان فقيها مجاورا بالحرم وشيخه ثقة ثبتا، توفي
بمكة سنة ٢٨٦ وقد جاوز تسعين عاما « أحمد يوسف نجاتي »

(٥) هو أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله بن عمر العبسي القصار الكوفي
توفي سنة ٢٧٩ « أحمد يوسف نجاتي » (٦) هو الامام العلامة أبو اسحق
اسماعيل بن اسحق بن اسماعيل بن حماد بن زيد الأزدي مولا هم البصري
الفقيه المالكي القاضي ببغداد، كان فقيها جليلا ومحدثا ثقة. وله مصنفات
مفيدة في القراءات والحديث والفقه وأحكام القرآن والأصول، وكان

أَبْنِ زُهَيْرِ بْنِ حَرْبٍ ^(١) وَغَيْرِهِمَا؛ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ
أَبْنِ حَنْبَلٍ ^(٢) وَالْحَرْثِ بْنِ أَبِي أَسَامَةَ ^(٣) وَكَتَبَ عَنْ ابْنِ
أَبِي خَيْثَمَةَ تَارِيخَهُ ^(٤) وَسَمِعَ مِنْ ابْنِ قُتَيْبَةَ كَثِيرًا مِنْ
كُتُبِهِ ، وَسَمِعَ مِنَ الْمُبَرِّدِ وَتَعَلَّبَ وَأَبْنُ الْجَهْمِ ^(٥) وَآخَرِينَ
وَسَمِعَ بِمَضَرٍ مِنْ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعُمَرِيُّ وَمُطَلِّبِ
أَبْنِ شُعَيْبٍ وَغَيْرِهِمَا . وَسَمِعَ بِالْقَيْرَوَانِ مِنْ أَحْمَدَ بْنِ يَزِيدَ
الْمُعَلِّمِ وَبَكْرِ بْنِ حَمَّادٍ التَّاهَرْتِيِّ ^(٦) الشَّاعِرِ ، وَأَنْصَرَفَ

اماماً في العربية حتى قال المبرد هو أعلم بالاصريف مني ، توفي سنة ٢٨٢
« أحمد يوسف نجاشي » (١) هو الامام أحمد بن أبي خيثمة زهير بن
حرب الحافظ بن الحافظ أبو بكر النسائي ثم البغدادي مصنف التاريخ
الكبير ، وهو محدث ثقة ، مأمون توفي سنة ٢٧٩ . وأبوه زهير بن حرب
الامام أبو خيثمة الحافظ ، توفي ببغداد سنة ٢٣٤ « أحمد يوسف نجاشي »
(٢) هو الحافظ أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل ، كان إماماً
علماً بالحديث وعلمه مقدماً فيه ومن أروى الناس عن أبيه ، وهو الذي رتب
مسند والده ، وكان ثبتاً فهما ثقة ، ولد سنة ٢١٣ وتوفي سنة ٢٩٠ (٣) هو
الحافظ أبو محمد الحرث بن محمد بن أبي أسامة التميمي البغدادي ، توفي سنة
٢٨٢ عن ست وتسعين سنة « أحمد يوسف نجاشي » (٤) هو أحمد
ابن زهير بن حرب المتقدم . وابنه الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد
ابن زهير بن حرب توفي سنة ٢٩٧ (٥) هو محمد بن الجهم السري
(٦) أبو عبد الرحمن بكر بن حماد كان من حفاظ الحديث وثقات المحدثين المأمونين ،
سكن مدينة تاهرت وبها توفي ، وكان شاعراً أديباً « أحمد يوسف نجاشي »

إِلَى الْأَنْدَلُسِ يَعْلَمُ كَثِيرٌ ، فَمَالَ النَّاسُ إِلَيْهِ فِي تَارِيخِ أَحْمَدَ
أَبْنِ زُهَيْرٍ وَكُتِبَ أَبُو قُتَيْبَةَ ، وَأَخَذُوا ذَلِكَ عَنْهُ دُونَ
صَاحِبِهِ أَبُو أَيُّمَنَ وَأَبْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى ، وَكَانَ بَصِيرًا بِالْحَدِيثِ
وَالرِّجَالِ ، نَبِيلًا فِي النَّحْوِ وَالْعَرَبِيَّةِ وَالْغَرِيبِ وَالشَّعْرِ ، وَكَانَ
يُشَاوِرُ فِي الْأَحْكَامِ ، وَصَنَّفَ عَلَى كِتَابِ الشُّنَنِ لِأَبِي دَاوُدَ
كِتَابًا فِي الْحَدِيثِ ، وَسَبَّيْهُ أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ الْعِرَاقَ سَنَةَ
سِتٍّ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ مَعَ صَاحِبِهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَيُّمَنَ وَجَدَا
أَبَا دَاوُدَ قَدْ مَاتَ قَبْلَ وُصُولِهِمَا يَسِيرًا ، فَلَمَّا فَاتَهُمَا عَمِلَ
كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُصَنَّفًا فِي الشُّنَنِ عَلَى أَبْوَابِ كِتَابِ
أَبِي دَاوُدَ ، وَخَرَّجَا الْحَدِيثَ مِنْ رِوَايَتِهِمَا عَنْ شُيُوخِهِمَا
وَهُمَا مُصَنَّفَانِ جَلِيلَانِ ، ثُمَّ اخْتَصَرَ قَاسِمُ بْنُ أَصْبَغَ كِتَابَهُ
وَسَمَّاهُ « الْمُجْتَمَعُ » بِالنُّونِ وَأَبْتَدَأَ اخْتِصَارَهُ فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ
أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَجَعَلَهُ بِاسْمِ الْحُكْمِ الْمُسْتَنْصَرِ .
وَفِيهِ مِنَ الْحَدِيثِ الْمُسْنَدِ أَلْفَانِ وَأَرْبَعُمِائَةٍ وَتِسْعُونَ حَدِيثًا
فِي سَبْعَةِ أَجْزَاءٍ . وَمَوْلِدُهُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ عَاشِرِ ذِي الْحِجَّةِ
سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - وَحَكَى

الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى « قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ
لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا » أَنَّ قَاسِمَ بْنَ أَصْبَغٍ قَالَ : لَمَّا رَحَلْتُ إِلَى
الْمَشْرِقِ نَزَلْتُ الْقَيْرَوَانَ ، فَأَخَذْتُ عَنْ بَكْرِ بْنِ حَمَّادٍ
حَدِيثَ مُسَدِّدٍ ، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ يَوْمًا فِيهِ حَدِيثُ النَّبِيِّ - صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَدِمَ عَلَيْهِ قَوْمٌ مِنْ مُضَرَ مُجْتَابِي النَّمَارِ
فَقَالَ : إِنَّمَا هُوَ مُجْتَابِي النَّمَارِ ، فَقُلْتُ : إِنَّمَا هُوَ مُجْتَابِي النَّمَارِ -
هَكَذَا قَرَأْتُهُ عَلَى كُلِّ مَنْ لَقِيتُهُ بِالْأَنْدَلُسِ وَالْعِرَاقِ -
فَقَالَ لِي : بِدُخُولِكَ الْعِرَاقَ تَعَارَضْنَا وَتَفَخَّرُ عَلَيْنَا ؟ أَوْ نَحْوِ
هَذَا - ثُمَّ قَالَ لِي : قُمْ بِنَا إِلَى ذَلِكَ الشَّيْخِ ^(١) - لِشَيْخٍ كَانَ فِي
الْمَسْجِدِ - فَإِنَّ لَهُ بِمِثْلِ هَذَا عِلْمًا ، فَقُمْنَا إِلَيْهِ وَسَأَلْنَاهُ عَنْ
ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنَّمَا هُوَ مُجْتَابِي ^(٢) النَّمَارِ - كَمَا قُلْتُ - وَهُمْ قَوْمٌ
كَانُوا يَلْبَسُونَ الثِّيَابَ مُشَقَّقَةً جُيُوبُهُمْ أَمَامَهُمْ ، وَالنَّمَارُ
جَمْعُ نَمْرَةٍ ^(٣) ، فَقَالَ بَكْرُ بْنُ حَمَّادٍ - وَأَخَذَ بَأَنِّهِ - رَغِمَ أَنْفِي
لِلْحَقِّ ، وَأَنْصَرَفَ . أُنْتَهَى . وَهَذِهِ الْحِكَايَةُ دَالَّةٌ عَلَى عَظِيمِ
قَدْرِ الرَّجُلَيْنِ . رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى وَرَضِيَ عَنْهُمَا وَتَقَعْنَا بِهِمَا .

(١) كلمة الشيخ ساقطة من الأصل (٢) اجتاب الشيء وجابه اذا قطعه وخرقه

(٣) النمرة شملة أو بردة ذات خطوط بيض وسود من صوف تلبسها الأعراب
كانها أخذت من لون النمر لما فيها من السواد والبياض «أحمد يوسف نجاتي»

* *

« وَمِنْهُمْ قَاسِمُ بْنُ ثَابِتٍ أَبُو مُحَمَّدٍ الْعَوْفِيُّ السَّرْقُسْطِيُّ ^(١) »
 قَاسِمُ بْنُ ثَابِتٍ السَّرْقُسْطِيُّ
 رَحَلَ مَعَ أَبِيهِ ؛ فَسَمِعَ بِمِصْرَ مِنْ أَحْمَدَ بْنِ شُعَيْبٍ ^(٢) النَّسَائِيِّ
 وَأَحْمَدَ بْنِ عَمْرٍو الْبَزَّارِ ^(٣) وَبِمَكَّةَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ
 الْجَارُودِ وَمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْجَوْهَرِيِّ ^(٤) ، وَأَعْتَنَى بِجَمْعِ
 الْحَدِيثِ وَاللُّغَةِ هُوَ وَأَبُوهُ ، فَأَدْخَلَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ عِلْمًا
 كَثِيرًا ، وَيُقَالُ إِنَّهُمَا أَوَّلُ مَنْ أَدْخَلَ كِتَابَ الْعَيْنِ إِلَى
 الْأَنْدَلُسِ . وَأَلَّفَ قَاسِمٌ فِي شَرْحِ الْحَدِيثِ كِتَابًا سَمَّاهُ
 الدَّلَائِلَ بَلَغَ فِيهِ الْغَايَةَ فِي الْإِتْقَانِ ، وَمَاتَ قَبْلَ إِكْمَالِهِ

(١) هو أبو محمد قاسم بن ثابت بن حزم بن عبد الرحمن بن مطرف بن سليمان بن يحيى (٢) هو الامام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي - نسبة الى نسا مدينة بخراسان - أحد أعلام السنة وصاحب المصنفات المشهورة ، كان رئيسا نبيلًا حسن البزة كبير القدر عالما تقيا وكان أوفقه علماء مصر في عصره ، وأعلمهم بالحديث ، وأعرفهم بالصحيح والسقيم من الآثار ، وأخبرهم بالرجال ، ولد سنة ٢٢٥ ، وتوفي بمكة سنة ٣٠٣ (٣) هو الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار البصري صاحب المسند الكبير ، حدث في آخر عمره بأصبهان والعراق والشام ، وتوفي بالرملة سنة ٢٩٢ « أحمد يوسف نجاتي » (٤) محمد بن علي بن زيد الصائغ محدث مكة توفي سنة ٢٩١ . « أحمد يوسف نجاتي »

فَأَكْمَلَهُ أَبُوهُ^(١) ثَابِتٌ بَعْدَهُ ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ
الْبَغْدَادِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : كَتَبْتُ كِتَابَ الدَّلَائِلِ وَمَا
أَعْلَمُ أَنَّهُ وُضِعَ بِالْأَنْدَلُسِ مِثْلُهُ^(٢) . وَكَانَ قَاسِمٌ عَالِمًا
بِالْحَدِيثِ وَاللُّغَةِ ، مُتَقَدِّمًا فِي مَعْرِفَةِ الْحَدِيثِ وَالنَّحْوِ وَالشَّعْرِ ،
وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ وَرِعًا نَاسِكًا ، وَأُرِيدَ عَلَى الْقَضَاءِ بِسَرَقُشْطَةَ
فَأَبَى ذَلِكَ ، فَأَرَادَ أَبُوهُ إِكْرَاهَهُ عَلَيْهِ ، فَسَأَلَهُ أَنْ يَتْرُكَهُ
يَنْظُرُ فِي أَمْرِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَيَسْتَخِيرُ اللَّهَ تَعَالَى ، فَمَاتَ فِي
هَذِهِ الثَّلَاثَةِ الْأَيَّامِ ، فَيَرَوْنَ^(٣) أَنَّهُ دَعَا لِنَفْسِهِ بِالْمَوْتِ -
وَكَانَ مُجَابَ الدَّعْوَةِ - تُوُفِيَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلْثِمِائَةٍ بِسَرَقُشْطَةَ
- رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - .

(١) في الأصل « ابن ثابت » وهو تصنيف فاسد . « أحمد يوسف نجاتي »
(٢) يقول الأندلسيون أن أبا علي القالي تعصب في قوله « بالأندلس » ولو
قال أنه ما وضع بالشرق مثله ما أبعد . ولد قاسم بن ثابت سنة ٢٥٥ ، وابنه
ثابت بن القاسم سمع من أبيه ومن جده وكان مالمح الخط ، وحدث بكتاب
أبيه المسمى بالدلائل ، وتوفي سنة ٣٥٢ - وأبوه أبو القاسم ثابت بن حزم
ابن عبد الرحمن ، سمع بالأندلس من محمد بن وضاح والحسن بن عبد الله
ابن مسرة وغيرهم ، ورحل إلى الشرق مع ابنه قاسم ، وكان عالما متفنا بصير
بالحديث والفقه واللغة والأدب ، ولد سنة ٢١٧ ، وتوفي سنة ٣١٣ بمدينة
سرقسطة رحمه الله « أحمد يوسف نجاتي » . (٣) في الأصل « فيرون »

« وَمِنْهُمْ عِلْمُ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُرْسِيُّ اللَّوْزَقِيُّ ، وَهُوَ
 قَاسِمُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُوَفَّقِ بْنِ جَعْفَرٍ « الْعَلَّامَةُ الْمُقَرَّرُ
 الْأُصُولُ النَّحْوِيُّ ، وَلِدَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةً ،
 وَقَرَأَ بِالرُّوَايَاتِ قَبْلَ السِّتِّمِائَةِ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ الْحَصَّارِ ^(١)
 وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمُرَادِيِّ ^(٢) وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُوحٍ الْغَافِقِيِّ ^(٣)
 وَقَدِمَ مِصْرَ فَقَرَأَ بِهَا عَلَى أَبِي الْجُودِ غِيَاثِ بْنِ فَارِسٍ ^(٤) ،

- (١) هو أحمد بن علي بن يحيى بن عون الله الأنصاري الأندلسي الداني
 المقرئ المالكي تزيل بلنسية ، توفي سنة ٦٠٩ « أحمد يوسف نجاتي »
 (٢) هو محمد بن سعيد بن محمد المرادي المرسى من أهل مدينة مرسية
 كان مقرئاً فاضلاً خيراً محدثاً مفيداً ، ولد سنة ٥٤٢ ، وتوفي سنة ٦٠٦
 « أحمد يوسف نجاتي » (٣) هو محمد بن أيوب بن محمد بن وهب بن
 محمد بن وهب بن نوح الغافقي من أهل بلنسية ، ودار سلفه النبيه سرقسطة ،
 لم يكن في وقته بشرق الأندلس مثله تفنناً في العلوم واستبحاراً في المعارف .
 كان رأساً في الراسخين من العلماء ، وصدر في المشاورين من الفقهاء ، ضليعاً
 في اللغة والأدب والتفسير والحديث والأخبار ، مع كرم الخلق وعظم القدر
 سمحاً جواداً ، ولي قضاء بعض الكور النبيه ، وخطب بجامع بلنسية وقتاً ،
 ولد سنة ٥٣٠ ، وتوفي سنة ٦٠٨ عن ثمان وسبعين سنة ، ودفن بمقبرة
 باب الحنش . ورثاه كثير من شعراء عصره « أحمد يوسف نجاتي »
 (٤) هو أبو الجود غياث بن فارس اللخمي مقرئ الديار المصرية ، ولد

وَبِدِمَشْقَ عَلَى التَّاجِ زَيْدُ الْكِنْدِيِّ^(١) ، وَسَمِعَ بَغْدَادَ
مِنْ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ الْأَخْضَرِ^(٢) ، وَأَخَذَ الْعَرَبِيَّةَ عَنْ أَبِي الْبَقَاءِ^(٣)
وَلَقِيَ الْجَزُولِيَّ^(٤) بِالْمَغْرِبِ ، وَسَأَلَهُ عَنْ مَسْئَلَةٍ مُشْكَلَةٍ
فِي مُقَدِّمَتِهِ فَأَجَابَهُ ، وَبَرَعَ فِي الْعَرَبِيَّةِ وَفِي عِلْمِ الْكَلَامِ
وَالْفَلَسَفَةِ ، وَكَانَ يُقَرِّئُ ذَلِكَ وَيَحْقِّقُهُ . وَأَقْرَأَ بِدِمَشْقَ
وَدَرَسَ ، وَشَرَحَ الْمُفَصَّلَ فِي النِّحْوِ فِي أَرْبَعَةِ مُجَلَّدَاتٍ - فَأَجَادَ
وَأَفَادَ ، وَشَرَحَ الْجَزُولِيَّةَ وَالشَّاطِئِيَّةَ . وَكَانَ مَلِيحَ الشَّكْلِ
حَسَنَ الْبِزَةِ^(٥) مُوَطَّأً الْأَكْنَافِ^(٦) . قَرَأَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ . وَتُوفِيَ

سنة ٥٠٨ ، وتوفي سنة ٦٠٥ « أحمد يوسف نجاتي » (١) هو العلامة
تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن البغدادي المقرئ
النحوي اللغوي شيخ الحنفية والقراء والنحاة بالشام ، ولد سنة ٥٢٠
وتوفي سنة ٦١٣ (٢) هو الحافظ المتقن عبد العزيز بن محمود بن المبارك
الجنابذي « جنابذ قرية بنيسابور » البغدادي الحنبلي المحدث الفقيه
الصالح العالم الجليل حافظ العراق ومسنده في عصره . ولد سنة ٥٢٤ وتوفي
سنة ٦١١ (٣) أبو البقاء العكبري العلامة محب الدين عبد الله بن الحسين
المشهور ، توفي سنة ٦١٦ (٤) هو أبو موسى عيسى بن عبد العزيز بن
يلبخت البربري المراكشي الجزولي « نسبة الى جزولة بطن من بربرة
المغرب » العلامة النحوي ، أخذ العربية عن ابن بري بمصر وغيره ، انتهت
الرياسة اليه في علم النحو ، وولى خطابة مراکش مدة ، وصنف في النحو
المقدمة المشهورة بالقانون ، توفي سنة ٦٠٧ « أحمد يوسف نجاتي »
(٥) البزة : الهيئة والشكل (٦) موطأ : عهد ، والاكناف : الجوانب جمع

سَابِعَ رَجَبٍ سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَسِتِّمِائَةَ ، وَكَانَ مُعَمَّرًا
مُشْتَغَلًا بِأَنْوَاعِ الْعُلُومِ ، وَسَمَّاهُ بَعْضُهُمْ أَبَا الْقَاسِمِ - وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ

قاسم بن محمد
ابن سيار

«وَمِنْهُمْ قَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ قَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَيَّارٍ أَبُو مُحَمَّدٍ»
مِنْ أَهْلِ قُرْطُبَةَ ، وَجَدُّهُ مَوْلى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ .
رَحَلَ فَسَمِعَ بِمِصْرَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ (١)
وَالْمَزْنِيِّ (٢) وَالْبَرْقِيِّ (٣) وَالْحَرِثِ بْنِ مِسْكِينٍ (٤) وَيُونُسَ

كُنف ، والجملة كناية عن كونه لين الجانب سهل العريكة دمت الاخلاق
(١) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحكم بن أعين بن ليث بن رافع
المصرى الفقيه الشافعى ، سمع من ابن وهب وأشهب من أصحاب الامام مالك
فلما قدم الامام الشافعى مصر صحبه وتفقه به ، وحمل فى المحنة الى بغداد الى
القاضى أحمد بن دواد فلم يحب الى ما طلب منه فرد الى مصر ، وانتهت اليه
الرياسة بها ، ولد سنة ١٨٢ وتوفى سنة ٢٦٨ وقبره مع فبرأبيه وأخيه عبد
الرحمن الى جانب الامام الشافعى رضى الله عنهم (٢) هو اسمعيل بن يحيى
ابن اسمعيل بن عمرو بن اسحق الزنى صاحب الامام الشافعى من أهل
مصر . وكان عالما زاهدا مجتهدا محججا غواصا على المعانى الدقيقة ، وكان
امام الشافعيين وأعرفهم بطرقه وفتاويه وما ينقله عنه . توفى سنة ٢٦٤
(٣) هو أبو بكر أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم بن سعيد بن زرعة الزهرى
مولا هم المصرى البرقى ، حدث بالمغازى عن عبد الملك بن هشام ، وكان
ثقة ثبتا ، وله تاريخ . كان يتجر هو واخوته الى مدينة برقة فعرف بالبرقى
وهو من أهل مصر . وأخواه : محمد بن عبد الله البرقى أبو عبيد الله توفى
سنة ٢٤٩ وهو الذى سمع منه الامام قاسم ، وأخوه عبد الرحيم بن عبد الله كان
ثقة . وتوفى سنة ٢٨٦ (٤) الامام أبو عمرو الحرث بن مسكين بن محمد

أَبْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى^(١) وَإِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُنْذِرِ^(٢) وَغَيْرِهِمْ ، وَلَزِمَ
أَبْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ لِلتَّفَقُّهِ وَالْمُنَاطَرَةِ ، وَصَحْبَهُ وَتَحَقُّقَ بِهِ
وَبِالْمُزْنِيِّ . وَكَانَ يَذْهَبُ مَذْهَبُ الْحُجَّةِ وَالنَّظَرِ وَتَرَكَ
التَّقْلِيدَ ، وَيَمِيلُ إِلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ . وَلَمَّا قَالَ لَهُ أَبْنُهُ
مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ : يَا أَبَتِ أَوْصِنِي ، قَالَ : أَوْصِيكَ بِكِتَابِ اللَّهِ
فَلَا تَنْسَ حَظَّكَ مِنْهُ ، وَأَقْرَأْ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ جُزْءًا ، وَأَجْعَلْ ذَلِكَ
عَلَيْكَ وَاجِبًا ، وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَأْخُذَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ بِحَظِّ
- يَعْنِي الْفِقْهَ - فَعَلَيْكَ بِرَأْيِ الشَّافِعِيِّ فَإِنِّي رَأَيْتُهُ أَقَلَّ
خَطَأً . قَالَ أَبُو الْوَلِيدِ بْنُ الْفَرَضِيِّ : وَلَمْ يَكُنْ بِالْأَنْدَلُسِ
مِثْلُهُ فِي حُسْنِ النَّظَرِ وَالْبَصَرِ بِالْحُجَّةِ . وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ خَالِدٍ^(٣)

ابن يوسف قاضي الديار المصرية، الحافظ الفقيه العلامة، كان فقيها على مذهب
مالك ثقة في الحديث ثبता، ولد سنة ١٥٤ وتوفي سنة ٢٥٠ (١) الامام أبو
موسى يونس بن عبد الأعلى الصديقي المصري الفقيه المقرئ المحدث
توفي سنة ٢٦٤ (٢) أبو اسحق ابراهيم بن المنذر الحزامي المدني الحافظ
محدث المدينة، توفي سنة ٢٣٦ . « أحمد يوسف نجاتي » .

(٣) هو أبو عمر أحمد بن خالد بن الحباب القرطبي حافظ الاندلس، روى
عن بقى بن مخلد وغيره، وكان اماما في فقه مالك، توفي سنة ٣٢٢ .
« أحمد يوسف نجاتي »

وَمُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ لُبَابَةَ^(١) : مَا رَأَيْنَا أَفْقَهُ مِنْ قَاسِمِ
 ابْنِ مُحَمَّدٍ فِيمَنْ دَخَلَ الْأَنْدَلُسَ مِنْ أَهْلِ الرِّحْلَةِ . وَقَالَ
 أَسْلَمُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ^(٢) : سَمِعْتُ عَنْ ابْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ
 أَنَّهُ قَالَ : لَمْ يَقْدَمْ عَلَيْنَا مِنَ الْأَنْدَلُسِ أَحَدٌ أَعْلَمُ مِنْ قَاسِمِ
 ابْنِ مُحَمَّدٍ ، وَلَقَدْ عَاتَبْتُهُ فِي حِينَ أَنْصَرَفِهِ إِلَى الْأَنْدَلُسِ
 وَقُلْتُ لَهُ : أَقِمْ عِنْدَنَا ، فَإِنَّكَ تَعْتَقِدُ^(٣) هَهُنَا رِيَاسَةً ، وَيَحْتَاجُ
 الْبَنَاسُ إِلَيْكَ ، فَقَالَ : لَا بُدَّ لِي مِنَ الْوَطَنِ . وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ
 عُثْمَانَ قَالَ لِي أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ الْكُوفِيُّ : قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ
 بِلَادِ كُمْ رَجُلٌ يُسَمَّى قَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ فَرَأَيْتُ رَجُلًا فَقِيهًا .
 وَأَلَّفَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - كِتَابًا نَبِيلاً فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ مُزَيْنٍ^(٤)

(١) تقدم التعريف به (٢) هو أبو الجعد أسلم بن عبد العزيز بن هاشم
 ابن خالد بن عبد الله بن حسن بن جعد بن أسلم بن أبان بن عمرو ومولى عثمان
 ابن عفان ، من أهل قرطبة ، توفي سنة ٣١٩ هـ وتقدم التعريف به (٣) في نسخة
 «تعتقد» (٤) هو أبو زكريا يحيى بن إبراهيم بن مزين مولى رملة بنت عثمان بن
 عفان رضي الله عنه ، من أهل قرطبة ، وأصله من طليطلة ، روى عن عيسى
 ابن دينار ويحيى بن يحيى الليثي وغيرهما ، ورحل إلى المشرق في أيام الأمير
 عبد الرحمن بن الحكم ، فدخل المدينة والعراق ومصر ، وسمع من أئمتها
 وكان فقيها محدثا له حظ جليل من العربية والأدب ، وألف كتباً حسناً
 منها كتاب تفسير الموطأ ، وكتاب تسمية الرجال المذكورين فيه ، وغير
 (٩ - نفح الطيب - سادس)

وَعَبْدُ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ ^(١) وَالْعُشْبِيِّ ^(٢) يَدُلُّ عَلَى عِلْمِهِ ، وَلَهُ كِتَابٌ فِي خَبَرِ الْوَاحِدِ شَرِيفٌ . وَكَانَ يَلِي وَثَائِقَ الْأَمِيرِ مُحَمَّدٍ طُولَ أَيَّامِهِ . رَوَى عَنْهُ ابْنُ لُبَابَةَ وَابْنُ أَيْمَنَ وَالْأَعْنَاقِيُّ ^(٣) وَابْنُهُ مُحَمَّدُ بْنُ قَاسِمٍ ^(٤) وَآخَرُونَ . تُوُفِّيَ سَنَةَ سِتٍّ أَوْ سَبْعٍ أَوْ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - .

« وَمِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ الْغَسَّانِيُّ ، وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَسْوَدَ » مِنْ أَهْلِ الْمَرْيَةِ ، قَدِمَ إِلَى مِصْرَ ، وَلَقِيَ

أبو بكر محمد
ابن إبراهيم بن
أسود الغساني

ذلك وتوفي سنة ٢٥٩ . « أحمد يوسف نجاتي » ^(١) عبدالله بن خالد من أهل قبزة ، روى عن أحمد بن خالد وابن أيمَن وغيرهما ^(٢) محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس العتبي البصري الأديب صاحب الأخبار والنوادر والآداب والأشعار والطرائف والملح والتصانيف الممتعة والشعر الرائق ، توفي سنة ٢٢٨ ^(٣) تقدم التعريف بمحمد ابن عمر بن لبابة ، ومحمد بن عبد الملك بن أيمَن ، وسعيد بن عثمان الأعناقى ^(٤) يكنى أبا عبد الله ، سمع من أبيه ومن بقي بن مخلد ومحمد بن وضاح وغيرهم ، ورحل إلى المشرق سنة ٢٩٤ فسمع بمصر ومكة والبصرة والكوفة وبغداد والغرب ، وعاد بعلم جم وأدب غزير ، وكان مشاوراً من أول أيام أمير المؤمنين الناصر ، وغزا غزوة الحندق سنة ٣٢٧ فاعتل منصرفاً منها ، وتوفي إلى رحمة الله ، وقدم به ابنه قاسم بن محمد فدفن بقرطبة في ٥ ذى الحجة سنة ٣٢٧ وكان مولده سنة ٢٦٣ . « أحمد يوسف نجاتي »

بِهَا أَبَا بَكْرٍ الطَّرْطُوشِيَّ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى بَلَدِهِ ، وَشُورَ
وَأَسْتَقْضَى بِمُرْسِيَةِ مَدَّةً طَوِيلَةً ، ثُمَّ صُرِفَ ، وَسَكَنَ مُرَّا كِشَ
قَالَ ابْنُ بَشْكُوَال : تُوُفِّيَ بِمُرَّا كِشَ فِي رَجَبِ سَنَةِ سِتِّ
وَتَلَاثِينَ وَخُمْسِمِائَةٍ ^(١) وَقَالَ أَبُو جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ : إِنَّ لَهُ
كِتَابًا فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ ، وَبَيْتُهُ يَنْتُ عِلْمٌ وَدِينٌ .

محمد بن ابراهيم
ابن حيون

« وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَيْثُونَ »
مِنْ أَهْلِ وَادِي الْحِجَارَةِ . قَالَ ابْنُ الْفَرَخِيِّ : سَمِعَ مِنْ ابْنِ
وَضَّاحٍ وَالْحَشَنِيِّ ^(٢) وَنَظَرَا فِيهِمَا بِالْأَنْدَلُسِ . وَرَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ
فَتَرَدَّدَ هُنَاكَ نَحْوَ أَمِنْ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَسَمِعَ بِصَنْعَاءَ وَمَكَّةَ

(١) فِي كُلِّ الْأَصُولِ « سَنَةِ ٦٣٦ » وَلَكِنَّا آثَرْنَا أَنَّهَا سَنَةُ ٥٣٦ - كَمَا فِي
الصَّلَاةِ لِابْنِ بَشْكُوَال - وَهَذَا هُوَ الْمَعْقُولُ لِأَنَّ أَبَا بَكْرَ الطَّرْطُوشِيَّ « وَسَتَاتِي
تَرْجَمَتُهُ » الَّذِي لَاقَاهُ الْمُرْجَمُ بِمِصْرَ وَلَدَ سَنَةَ ٤٥١ وَتُوُفِّيَ سَنَةَ ٥٢٠ « وَفِي
الصَّلَاةِ أَنَّ الْمُرْجَمَ شُورَ فِي بَلَدِهِ لِمَعْرِفَتِهِ وَمَنْصَبِهِ ، وَلَمَّا لَمْ تَحْمَدِ سِيرَتَهُ
فِي الْقَضَاءِ صُرِفَ عَنْهُ . « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَحَاتِي » .

(٢) أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَرِثِ بْنِ أَسَدِ الْحَشَنِيِّ مِنْ أَهْلِ الْقَيْرَوَانِ ، وَقَدِمَ
الْأَنْدَلُسَ حَدَثًا ، وَكَانَ فَقِيهًا حَافِظًا شَاعِرًا بَلِيغًا ، وَأَلْفَ لَامِيرًا وَآمِنِينَ الْمُسْتَنْصِرَ
بِاللَّهِ كِتَابًا كَثِيرَةً ، وَتُوُفِّيَ بِقَرْطَبَةِ سَنَةِ ٣٦١ . « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَحَاتِي » .

وَبَعْدَادَ ، وَلَقِيَ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ ، وَسَمِعَ بِمَصْرَ مِنْ الْخُفَّافِ النَّيسَابُورِيِّ^(١) وَإِبْرَاهِيمَ بْنِ مُوسَى^(٢) وَغَيْرِهِمَا ، وَبِالْمَصِیصَةِ^(٣) وَالْقَيْرَوَانِ . وَكَانَ إِمَامًا فِي الْحَدِيثِ عَالِمًا حَافِظًا لِلْعِلَلِ بَصِيرًا بِالطَّرِيقِ ، وَلَمْ يَكُنْ بِالْأَنْدَلُسِ قَبْلَهُ أَبْصَرُ بِالْحَدِيثِ مِنْهُ وَهُوَ ضَابِطٌ مُتَقِنٌ ، حَسَنُ التَّوْجِيهِ^(٤) لِلْحَدِيثِ ، صَدُوقٌ ، وَلَمْ يَذْهَبْ مَذْهَبَ مَالِكٍ . وَمِمَّنْ رَوَى عَنْهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَيْمَنَ ، وَقَاسِمُ بْنُ أَصْبَغٍ^(٥) ، وَوَهْبُ بْنُ مَسْرَةَ^(٦) ، وَأَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ

(١) عبد الله بن أحمد بن عبد السلام النيسابوري، وفي بعض النسخ « وسمع بمصر من الحفاظ النيسابوري وإبراهيم بن موسى وغيرها »
 (٢) إبراهيم بن موسى بن جميل الأموي مولاهم الأندلسي ثم المصري روى عن ابن عبد الحكم وغيره وتوفي بمصر سنة ٣٠٠ « أحمد يوسف نجاتي »
 (٣) مدينة على شاطئ جيجان من ثغور الشام، كان موقعها بين انطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس، وكانت من أشهر ثغور المسلمين، يربط بها الصالحون منذ قدم، ثم انتزعت من أيديهم . والمصيصة أيضا اسم قرية من قرى دمشق (٤) أي تخريجه وشرحه، ومعرفة الغرض منه وما يرمى إليه
 (٥) تقدم ذكره، ويأتي حديث عنه (٦) هو أبو الحزم وهب بن مسرة ابن مفرج بن حكم التيمي، من أهل وادي الحجارة، كان فقيها محدثا حافظا ورعا، توفي سنة ٣٤٦ وفياتي حديث عنه « أحمد يوسف نجاتي »

أَبْنِ حَزْمٍ^(١) . وَقَالَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ^(٢) : لَوْ كَانَ الصَّدَقُ
إِنْسَانًا لَكَانَ أَبْنُ حَيْثُونَ ، وَكَانَ يُزَنُّ^(٣) بِالتَّشْيِيعِ لِشَيْءٍ
كَانَ يَظْهَرُ مِنْهُ فِي حَقِّ مُعَاوِيَةَ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ -
وَكَانَ شَاعِرًا . وَتُوفِّيَ بِقَرْطَبَةِ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ - سَامِحَهُ
اللَّهُ تَعَالَى - .

« وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ غَالِبٍ الْمَالَقِيِّ » قَالَ أَبُو نُقْطَةَ^(٤) : سَمِعَ
بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ مِنْ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْمُقْدِسِيِّ^(٥) وَكَانَ

محمد بن ابراهيم
ابن غالب المالقي

(١) سيأتي ذكره (٢) أبو القاسم خالد بن سعيد القرطبي، كان اماما في الحديث
حافظا له واماما جليلا، توفي سنة ٣٥٢ وتقدم التعريف به (٣) أي يتهم ويرمى
(٤) هو أبو بكر الحافظ الرحال محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع
البغدادى الحنبلى المعروف بابن نقطة، ويلقب معين الدين ومحب الدين
أبضاء، ولد سنة ٥٧٩ ورحل الى البلدان، فسمع ببغداد وواسط واربل
وأصبهان وخراسان ودمشق ومصر وحران ومكة والوصل وغير ذلك من
البلاد، حتى كأنه كان موكلا بفضاء الأرض يذرع، فأفاد من هذه السياحات
علما جما وتجارب جليلة، فصنف تصانيف مفيدة. وكان اماما زاهدا ورعا
تبتا حجة محققا، مع كرم نفس ولطف شمائل وعذوبة حديث. وتوفي
سنة ٦٢٩ ببغداد، ودفن عند قبر أبيه. وروى عنه ابنه الليث بن نقطة
وهو منسوب الى جارية ربت جدته أم أبيه اسمها نقطة فعرفوا
باسمها. « أحمد يوسف نجاشي » (٥) أبو الحسن شرف الدين على

فَاصِلًا ، رَأَيْتُ بِحِطَّةِ إِجَازَةٍ بِمِصْرَ لِبَعْضِ الْمِصْرِيِّينَ فِي رَجَبِ
سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّمِائَةٍ . وَسَمِعَ بِمِصْرَ شَيْئًا مِنْ الْخَلَعِيَّاتِ ^(١) . قَالَ
أَبْنُ فُرْتُوْنِ الْفَاسِيُّ فِي ذَيْلِ تَارِيخِ الْأَنْدَلُسِ : رَوَى بِمَالِقَةَ
وَرَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ ، وَحَجَّ ، وَلَقِيَ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ الْمُفَضَّلِ
الْمَقْدِسِيَّ ، وَأَخَذَ عَنْهُ كِتَابَ « تَحْقِيقِ الْجَوَابِ » ، عَمَّنْ أُجِيزَ لَهُ
مَا فَاتَهُ مِنَ الْكِتَابِ « مِنْ تَأْلِيفِهِ . وَرَجَعَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ ،
ثُمَّ نَهَضَ إِلَى مُرَّاكِشَ ، فَتَوَفَّى فِي أَقْصَى بِلَادِ الشُّوسِ فِي
حُدُودِ سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -

* *

« وَمِنْهُمْ الْيَقُورِيُّ ، وَهُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ »
مُصَنَّفُ كِتَابِ إِكْمَالِ « الْإِكْمَالِ » لِلْقَاضِي عِيَّاضٍ عَلَى صَحِيحِ
مُسْلِمٍ ، وَكَتَبَ ^(٢) عَلَى كِتَابِ الشَّهَابِ الْقَرَّافِيِّ فِي الْأُصُولِ .
وَسَمِعَ الْحَدِيثَ ، وَقَدِمَ إِلَى مِصْرَ وَمَعَهُ مُصْحَفُ قُرْآنٍ جَمَلُ

محمد بن ابراهيم
اليقورى

ابن الفضل بن علي الامام الحافظ المفتي الاخميمي المقدسي ثم الاسكندري
الفقيه المالكي ، ولد سنة ٥٤٤ هـ وتوفي سنة ٦١١ هـ . « أحمد يوسف نجاتي »
(١) اسم كتاب تأليف « الخلعي » المتقدم الذكر علي بن الحسن بن
الحسين المتوفى سنة ٤٩٢ (٢) أو « كتب » جمع كتاب ، ونسب الى الخلع
« جمع خلعة » لأنه كان يبيع بمصر الخلع لأملاك مصر فاشتهر بذلك
وعرف به « أحمد يوسف نجاتي » .

يَغْلٍ ، بَعَثَهُ مَلِكُ الْمَغْرِبِ ^(١) لِيُوقِفَ بِمَكَّةَ ، ثُمَّ عَادَ بَعْدَ حَجِّهِ ، وَمَاتَ بِمُرَّا كِشَ سَنَةَ سَبْعٍ وَسَبْعِمِائَةٍ ، وَقَدْ زُرْتُ قَبْرَهُ مَرَارًا . قَالَ الْخَافِظُ الْمَقْرِي زِي : وَالْيَقُورِيُّ نِسْبَةً إِلَى يَقُورَةَ بِيَاءِ آخِرِ الْحُرُوفِ مَفْتُوحَةٍ وَقَافٍ مُشَدَّدَةٍ وَرَاءَ مُهْمَلَةٍ ؛ بَلَدٌ بِالْأَنْدَلُسِ . انْتَهَى .

محمد بن ابراهيم
ويعرف بابن
شق الليل

« وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُوسَى بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ » وَيُعْرَفُ بِابْنِ شِقِّ اللَّيْلِ ، مِنْ أَهْلِ طَلَيْطَلَةَ . سَمِعَ بِمِصْرَ أَبَا الْفَرَجِ

(١) هو السلطان الناصر لدين الله يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو المريني « من ٦٨٥ - ٧٠٦ » في سنة ٧٠٣ بعث السلطان يوسف - وهو محاصر مدينة تلمسان - ركب الحاج المغربي الى الحرمين الشريفين وبعث معه حامية من زناتة، وخطب ملك مصر لعهد - وهو الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى من سلاطين المماليك البحرية - واستوصاه بحاج أهل المغرب ، واتحفه بهدايا ثمينة وأطاف نفيسة ، وبعث معهم الى حرم مكة مصحفًا ضخماً، اعتنى به واستكتبه، وجعل له غشاء مكللاً بنفيس الدر وثمانين الياقوت وشريف الأحجار الكريمة ورفيعها. وكافأ الملك الناصر صاحب مصر السلطان يوسف ملك المغرب على هديته بأن جمع من بلاد المشرق ما يستغرب جنسه وشكله من أنواع الثياب والحيوان وأوفد ذلك هدية مع عظماء الدولة المصرية، فسافروا من القاهرة آخر

الصوفي، وأباً القاسم^(١) الطحان الحافظ، وأباً محمد بن النحاس^(٢)، وأباً القاسم بن ميسرة، وأباً الحسن بن بشر وغيرهم، وسمع بطليطة من جماعة، وحدث عن جماعة من المحدثين كثيرة. قال ابن بشكوال: وكان فقيهاً عالماً، وإماماً متكلماً، حافظاً للفقه والحديث، قائماً بهما متقناً لهما، إلا أن المعرفة بالحديث وأسماء رجاله

سنة ٧٠٥ فوصلوا الى السلطان يوسف وهو بمدينة المنصورة في جمادى الآخرة سنة ٧٠٦ فأكرم وفادتهم، وأحسن مشايرهم، ثم توفي السلطان يوسف في أثناء ذلك، وأفضى الأمر الى حفيده أبي ثابت « عامر بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق » فأحسن منقلبهم، وأثقل حقائبهم، وملاً عيابهم، وخرجوا من المغرب الى مصر في شهر ذي الحجة سنة ٧٠٧ ولكن بينهم في الطريق اعترضهم الأعراب بالفقر، فانهبواهم وحووا ما معهم من الذخائر والأموال، وخلصوا الى مصر ناجين بأنفسهم راضين من الغنيمة بآيائهم، فلم يعاودوا بعدها الى المغرب سفراً، ولا لفتوا اليه وجهاء، وطلما أوفد عليهم ملوك المغرب بعدها من رجال دولتهم من يؤبه له ويهادونهم ويكافئون ولا يزيدون في ذلك كله على الخطاب شيئاً. وأبوه السلطان يعقوب واسطة عقد بني مرين، تولى الملك من سنة ٦٥٧ الى آخر سنة ٦٨٤ « أحمد يوسف نجاتي » (١) هو عبد السافي بن محمد البغدادي، كان محدثاً ثقة، توفي سنة ٤٣٢ (٢) أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد التجيبي المصري البزار المعروف بابن النحاس مسند ديار مصر في عصره، ولد سنة ٣٢٣ وتوفي سنة ٤١٦. « أحمد يوسف نجاتي ».

وَالْبَصَرَ بِمَعَانِيهِ وَعِلَلِهِ كَانَ أَغْلَبَ عَلَيْهِ . وَكَانَ مَلِيحَ
الْخَطِّ، جَيِّدَ الضَّبْطِ، مِنْ أَهْلِ الرِّوَايَةِ ^(١) وَالْدِّرَايَةِ وَالْمُشَارَكَةِ
فِي الْعُلُومِ ، وَكَانَ أَدِيبًا شَاعِرًا مُجِيدًا لُغَوِيًّا دِينًا فَاضِلًا
كَثِيرَ التَّصَانِيفِ وَالْكَلَامِ عَلَى عِلْمِ الْحَدِيثِ، حُلُوَ الْكَلَامِ
فِي تَأْلِيفِهِ، وَلَهُ عِنَايَةٌ بِأُصُولِ الدِّيَانَاتِ، وَإِظْهَارِ الْكِرَامَاتِ.
تُوفِّيَ بِطَلْبِيرَةِ ^(٢) يَوْمَ الْجُمُعَةِ مُنْتَصَفَ شَعْبَانَ سَنَةِ خَمْسٍ
وَحَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

أبو عبد الله
الفرشي الهاشمي

« وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الشَّهِيرُ الْكَبِيرُ الْوَلِيُّ الْعَارِفُ
بِاللَّهِ سَيِّدِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْقُرَشِيُّ الْهَاشِمِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ »
شَيْخُ السَّالِكِينَ، وَإِمَامُ الْعَارِفِينَ، وَقُدْوَةُ الْمُحَقِّقِينَ . قَدِمَ
مِصْرَ بَعْدَ مَا صَحِبَ بِلَادِ الْمَغْرِبِ جَمَاعَةً مِنْ أَعْلَامِ
الزُّهَادِ ، وَكَانَ يَقُولُ : صَحِبْتُ سِتِّمِائَةَ شَيْخٍ ، أَقْتَدَيْتُ

(١) الرواية : النقل ، والدراية العلم (٢) مدينة كانت من أعمال طليطلة
كبيرة قديمة البناء على نهر تاجه « وتقدم مزيد التعريف بها بأكثر من
هذا . » أحمد يوسف نجاتي

مِنْهُمْ بِأَرْبَعَةٍ ؛ الشَّيْخُ أَبُو الرَّبِيعِ ، وَالشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ
ابْنُ طَرِيفٍ ، وَالشَّيْخُ أَبُو زَيْدٍ الْقُرْطُبِيُّ ، وَالشَّيْخُ أَبُو الْعَبَّاسِ
الْجَوْزِيُّ . وَسَلَكَ عَلَى يَدِهِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ الشَّيْخُ أَبُو الْعَبَّاسِ
الْقُسْطَلَانِيُّ^(١) فَإِنَّهُ أَخَذَ عَنْهُ كَلَامَهُ وَجَمَعَهُ فِي جُزْءٍ .
وَخَرَجَ سَيِّدِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْقُرَشِيُّ مِنْ مِصْرَ إِلَى بَيْتِ
الْمَقْدِسِ ، فَأَقَامَ بِهِ إِلَى حِينٍ وَفَاتَهُ عَشِيَّةَ الْخَمِيسِ السَّادِسِ
مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ - عَنْ خَمْسٍ
وَخَمْسِينَ سَنَةً - وَدُفِنَ هُنَاكَ ، وَقَبْرُهُ ظَاهِرٌ يُقْصَدُ لِلزِّيَارَةِ ،
زُرَّتُهُ أَوَّلَ قَدَمَاتِي عَلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ سَنَةَ ١٠٢٨ ،
وَمِنْ كَلَامِهِ : مَنْ لَمْ يَدْخُلْ فِي الْأُمُورِ بِلُطْفِ
الْأَدَبِ لَمْ يُدْرِكْ مَطْلُوبَهُ مِنْهَا . وَقَوْلُهُ : الْعَاقِلُ يَأْخُذُ
مَا صَفَا ، وَيَدَعُ الشَّكْلَفَ ، فَإِنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : « وَإِنْ يُرْذَكْ
بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ » وَقَالَ : مَنْ لَمْ يُرَاعِ حُقُوقَ الْإِخْوَانِ
بِتَرْكِ حُقُوقِهِ حُرْمَ بَرَكَاتِ الصُّحْبَةِ ، وَقَالَ . سَمِعْتُ

(١) هو أبو العباس أحمد بن علي القسطلاني المالكي ، توفي بمكة سنة ٦٣٦ هـ ،
وهو منسوب إلى قسطلية مدينة بالأندلس واسم أيضا لأقليم بأفريقية .
« أحمد يوسف نجاتي »

الشيخ أبا إسحاق إبراهيم بن طريف يقول: لما حضرت
 الشيخ أبا الحسن بن غالب^(١) الوفاة قال لأصحابه :
 اجتمعوا واهلوا سبعين ألف مرة ، وأجعلوا ثوابها لي ، فإنه
 بلغني أنها فداء كل مؤمن من النار ، قال فعملناها واجتمعنا
 عليها ، وجعلنا ثوابها له . ثم حكى عن شيخه أبي زيد
 القرطبي ما حكاه السنوسي عنه في أواخر شرح صغراه .
 وقد أنكر غير واحد من الحفاظ كابن حجر وغيره
 كون ما ذكر حديثا ، ولعل هؤلاء أخذوه من جهة
 الكشف ونحوه ، والله تعالى أعلم . وقال - رحمه الله
 تعالى - : دخلت على الشيخ أبي محمد عبد الله المغاوري
 فقال لي : أعلمك شيئا تستعين به ؛ إذا احتجت لشيء فقل
 يا واحد يا أحد ، يا واحد يا جواد ، أنفحننا منك بنفحة خير
 إنك على كل شيء قدير ، قال فأنا أنفق منها منذ سمعتها .

(١) هو أبو الحسن علي بن غالب بن محمد بن غالب . من أهل وشقة ، رحل
 حاجا ، ثم عاد فاستوطن طرطوشة ، وولى الخطبة بجامعها ، وتوفي بها سنة ٥٢٠
 وكان شيخا فاضلا « أحمد يوسف نجاتي » .

وَقَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : مَا مِنْ جَالٍ ذُكِرَ فِي رِسَالَةِ
الْقُسَيْرِيِّ إِلَّا وَقَدْ شَاهَدَتْهُ نَفْسِي . وَتَزَوَّجَ - رَحِمَهُ اللَّهُ
تَعَالَى - بِنِسَاءٍ حَدَّثَنَ عَنْهُ بِكَرَامَاتٍ ؛ وَمِنْهُنَّ أُمُّ الْقُطْبِ
الْقُسْطَلَانِيَّةُ ، وَحَسَكْتُ أَنَّهَا خَرَجَتْ عَنْهُ يَوْمًا لِحَاجَتِهَا
ثُمَّ عَادَتْ ، فَسَمِعَتْ عِنْدَهُ فِي طَبَقَتِهِ حِسَّ رَجُلٍ ، فَتَوَقَّعَتْ
وَتَفَقَّدَتْ الْبَابَ فَوَجَدَتْهُ مُغْلَقًا ، فَلَمَّا انْقَطَعَ الْكَلَامُ
دَخَلَتْ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ وَحْدَهُ كَمَا تَرَكَتُهُ ، وَسَأَلَتْهُ
عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : هُوَ الْخَضِرُ ، دَخَلَ عَلَيَّ وَفِي يَدِهِ حَيَّةٌ
فَقَالَ هَذِهِ « حَيَّتُكَ » جِئْتُكَ بِهَا مِنْ أَرْضِ نَجْدٍ ، وَفِيهَا
شِفَاءٌ مَرَضِكَ ، فَقُلْتُ : لَا أُرِيدُ ، أَذْهَبُ أَنْتَ وَحَيَّتُكَ
لَا حَاجَةَ لِي بِهَا . وَدَخَلَ عَلَيْهِ بَعْضُ نِسَائِهِ يَوْمًا فَوَجَدَتْهُ
بَصِيرًا نَقَّى الْجِسْمَ مِنَ الْجُدَامِ ، فَلَمَّا نَظَرَتْهُ قَالَ لَهَا :
أَتُرِيدِينَ أَنْ أَبْقِيَ لَكَ هَكَذَا ؟ فَقَالَتْ لَهُ : يَا سَيِّدِي كُنْ
كَيْفَ شِئْتَ ، إِنَّمَا مَقْصُودِي خِدْمَتُكَ وَبَرَكَتُكَ . وَقِيلَ
لَهُ - وَقَدْ تَكَاثَرَتْ مِنْهُ رُؤْيَا الْأَشْيَاءِ وَإِخْبَارُهُ بِهَا مَعَ

كَوْنِهِ ضَرِيرًا - عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : كُلِّي أَعْيُنُ ، بِأَيِّ عُضْوٍ
أَرَدْتُ أَنْ أَنْظُرَ بِهِ نَظَرْتُ . وَقَالَ : هَمَمْتُ أَنْ أَدْعُوَ بِرَفْعِ
الْغَلَاءِ ، فَقِيلَ لِي : لَا تَدْعُ ، فَمَا نَسْمَعُ لِأَحَدٍ مِنْكُمْ فِي هَذَا
الْأَمْرِ دُعَاءً ، فَسَافَرْتُ إِلَى الشَّامِ ، فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَى بَلَدِ
الْخَلِيلِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - تَلَقَّانِي رَسُولُ اللَّهِ الْخَلِيلُ حِينَ
وُرُودِي عَلَيْهِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ اجْعَلْ ضِيَا فِتِي عِنْدَكَ
أَهْلَ مِصْرَ ، فَدَعَا لَهُمْ ، ففَرَّجَ عَنْهُمْ . وَمَنَاقِبُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -
وَكِرَامَاتُهُ لَا يَنفِي بِهَا هَذَا الْمُخْتَصَرُ ، وَإِنَّمَا قَصَدْنَا بِذِكْرِهَا
الْبَرَكَاتَةَ وَكَفَّارَةَ مَا وَقَعَ فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنَ الْإِثْمَانِ (١)

(١) من المجاز قولهم : أحمص القوم ، إذا أفاضوا فيما يؤنسهم وتميل اليه
نفوسهم ، من حديث غير معن في الجدة ، ومنه حديث ابن عباس رضي الله
عنهما أنه كان يقول - إذا أفاض من عنده في الحديث بعد القرآن : أحمصوا ،
ضرب ذلك مثلاً لحوضهم في شتى الأحاديث وأخبار العرب ، وما ينقل به
من الفكاهات والطرائف إذا ملت أنفسهم من الجد في التفسير والحديث
ونحوهما . وأصله من الحمض ، وهو مالمح وأمر أو حمض من النبات ، وهو
كفاكهة الابل ، وفيه ملوحة ، إذا أكلته شربت عليه ، وإذا لم تجده رقت
وضعت . وحمض النبات ضد الحلة ، وهي ماحلا من النبات ، والعرب
تقول : الحلة خبز الابل والحمض فاكهتها . وأحمضت الابل : أكلت الحمض
والحمضة : الشهوة للشيء . قال الزهري : الاذن مجاجة وللنفس حمضة .
وانما أخذت من شهوة الابل للحمض ، لأنها إذا ملت الحلة اشتت الحمض

وَاللَّهُ الْمَرْجُوُّ فِي الْعَفْوِ . وَمِنْ فَوَائِدِهِ مَا تَقَلَّه عَنْ شَيْخِهِ
 أَبِي الرَّيِّعِ الْمَالِقِيِّ أَنَّهُ قَالَ : أَلَا أَعْلَمُكَ كَنْزًا تُنْفِقُ مِنْهُ
 وَلَا يَنْفَدُ ؟ قُلْتُ : بَلَى ، قَالَ قُلْ : يَا اللَّهُ يَا أَحَدُ ، يَا وَاحِدُ
 يَا مُوَجُّودُ يَا جَوَادُ ، يَا بَاسِطُ يَا كَرِيمُ ، يَا وَهَّابُ ، يَاذَا الطَّوْلِ
 يَاغْنِي يَا مُغْنِي ، يَا فَتَّاحُ يَا رَزَّاقُ يَا عَلِيمُ ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ ، يَا رَحْمَنُ
 يَا رَحِيمُ ، يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، يَاذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ
 يَا حَنَّانُ يَا مَنَّانُ ، أَنْفَحْنِي مِنْكَ بِنَفْحَةٍ خَيْرٍ تُغْنِيَنِي بِهَا عَنْ
 سِوَاكَ ، إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ ، إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا
 مُبِينًا ، نَصْرَ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ، اللَّهُمَّ يَاغْنِي يَا حَمِيدُ ، يَا مُبْدِيُ
 يَا مُعِيدُ ، يَا رَحِيمُ يَا وَدُودُ ، يَاذَا الْعَرْشِ الْمَجِيدِ ، يَا فَعَالًا لِمَا يُرِيدُ
 أَكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَنْ سِوَاكَ ،
 وَأَحْفَظْنِي بِمَا حَفِظْتَ بِهِ الذِّكْرَ الْحَكِيمَ ، وَأَنْصُرْنِي بِمَا

فتحول اليه ، وتقول للرجل الكثير الكلام : اكفف عنا كلامك
 فان للأذن حجة وللنفس حمضة ، أى تمججه وترمى به ، يعنى أن الأذان
 لاتعنى كل ما تسمعه ، وتمجج الجد اذا توالى عليها ، وهى مع ذلك ذات شهوة لما
 تستطرفه من غرائب الحديث ونوادر الكلام وملح النوادر وغكاهات
 القول ، وما فيه رقة أو غزل أو لهو من رقيق المنثور والمظوم .
 « أحمد يوسف نجاشى » .

نَصَرْتُ بِهِ الرُّسُلَ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . فَمَنْ دَاوَمَ عَلَى قِرَائَتِهِ بَعْدَ كُلِّ صَلَاةٍ - خُصُوصًا صَلَاةَ الْجُمُعَةِ - حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ كُلِّ مَخُوفٍ ، وَنَصَرَهُ عَلَى أَعْدَائِهِ ، وَأَغْنَاهُ ، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ، وَيَسَّرَ عَلَيْهِ مَعِيشَتَهُ ، وَقَضَى عَنْهُ دَيْنَهُ وَلَوْ كَانَ عَلَيْهِ أَمْثَالُ الْجِبَالِ دَيْنًا ، بِكَرَمِهِ وَإِحْسَانِهِ . أَنْتَهَى .

نَقَلَهُ عَنْهُ الْعَلَّامَةُ ابْنُ دَاوُدَ الْبَلَوِيُّ ^(١) الْأَنْدَلُسِيُّ ، وَمِنْ خَطِّهِ نَقَلْتُ - رَحِمَ اللَّهُ تَعَالَى الْجَمِيعَ - وَنَقَلَهُ الْيَافِيُّ كَمَا ذَكَرَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ فِيهِ : يَا دَاوُدُ - وَاتَّفَقَا فِيمَا عَدَا ذَلِكَ .

وَاللَّهُ سَبَّحَانَهُ أَعْلَمُ . وَقَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ فِي حَقِّهِ : مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْقُرَشِيُّ الْهَاشِمِيُّ الْعَبْدُ الصَّالِحُ الزَّاهِدُ مِنْ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ الْخَضِرَاءِ ، كَانَتْ لَهُ كَرَامَاتٌ ظَاهِرَةٌ ، وَرَأَيْتُ أَهْلَ مِصْرَ يَحْكُونَ عَنْهُ أَشْيَاءَ خَارِقَةً ، وَلَقِيتُ جَمَاعَةً مِمَّنْ صَحِبَهُ وَكُلُّ مِنْهُمْ يُثْنِي ^(٢) عَلَيْهِ مِنْ بَرَكَتِهِ ، وَذَكَرُوا عَنْهُ أَنَّهُ وَعَدَ جَمَاعَتَهُ الَّذِينَ صَحَبُوهُ مَوَاعِيدَ مِنْ

(١) فِي الْأَصْلِ « الْبَلَوِيُّ » (٢) فِي ابْنِ خَلِّكَانَ « قَدْ نَمَّا عَلَيْهِ »

أَوَّلَايَاتِ وَالْمَنَاصِبِ الْعَلِيَّةِ، وَأَنَّهَا صَحَّتْ كُلُّهَا . وَكَانَ
مِنْ السَّادَاتِ الْأَكَابِرِ، وَالطَّرَازِ الْأَوَّلِ . وَهُوَ مَغْرِبِيٌّ
وَصَحْبَ بِالْمَغْرِبِ أَغْلَامَ الزُّهَادِ وَأَنْتَفَعَ بِهِمْ ، فَلَمَّا وَصَلَ
إِلَى مِصْرَ أَنْتَفَعَ بِهِ مَنْ صَحِبَهُ أَوْ شَاهَدَهُ ، ثُمَّ سَافَرَ إِلَى
الشَّامِ قَاصِدًا زِيَارَةَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ
سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ بِالْمَسْجِدِ
الْأَقْصَى - وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً - وَقَبْرُهُ ظَاهِرٌ يُقْصَدُ
لِلزِّيَارَةِ وَالتَّبَرُّكِ بِهِ . وَالْجَزِيرَةُ الْخَضْرَاءُ فِي بِلَادِ^(١) الْأَنْدَلُسِ
مَدِينَةٌ تُقَابِلُ سَبْتَةَ مِنْ بَرِّ الْعُدُودِ . وَمِنْ جُمْلَةِ وَصَايَاهُ
لِأَصْحَابِهِ : سِيرُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى عُرْجًا وَمَكَاسِيرَ ، فَإِنَّ أَنْتِظَارَ
الصَّحَّةِ بَطَالَةٌ . أَنْتَهَى بِبَعْضِ اخْتِصَارٍ

« وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ^(٢) بْنُ

محمد بن علي بن
الحسين القرطبي

أَبِي الْحُسَيْنِ الْقُرْطُبِيُّ ، سَمِعَ مِنْ قَاسِمِ بْنِ أَصْبَغٍ وَغَيْرِهِ

(١) في ابن خلكان في بر الاندلس (٢) في بعض النسخ « الحسن »

وَقَدِمَ مِصْرَ فَسَمِعَ بِهَا مِنْ ابْنِ الْوَرْدِ^(١) وَابْنِ أَبِي الْمَوَالِ^(٢)
وَالْبَارُودِيِّ ، وَابْنِ السَّكَنِ^(٣) ، وَآخَرِينَ ، وَسَمِعَ بِالرَّمْلَةِ^(٤)
وَيَتِ الْمَقْدِسِ . وَكَانَ ضَابِطًا بَصِيرًا بِالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ ، فَصِيحًا
بَلِيغًا طَوِيلَ اللِّسَانِ ، وَلِيَ الشَّرْطَةَ بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ ،
تُوُفِّيَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِينَ .

(١) عبد الله بن جعفر بن محمد بن الورد البغدادي توفي بمصر سنة ٣٥١
« أحمد يوسف نجاتي » (٢) كذا بالأصل وفي نسخة « ابن أبي الموت »
وفي نية الوعاة : روى عن أبي يعقوب البارودي (٣) هو أبو علي بن
السكن الحافظ الكبير سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن المصري ، أحد
الأئمة الأعلام ، سمع بالعراق والشام والجزيرة وخراسان ، وكان حجة ثقة
جليلا ، توفي سنة ٣٥٣ . « أحمد يوسف نجاتي » (٤) الرملة مدينة
كانت عاصمة فلسطين ، وكانت قصبتها ، بينها وبين بيت المقدس ١٨ ميلا
وكانت كورة من فلسطين ، ثم استنقذها السلطان صلاح الدين الأيوبي
من الأفرنج سنة ٥٨٣ وخربها خوفا من استيلائهم عليها مرة أخرى
في سنة ٥٨٧ وكان أبو الحسن علي بن محمد التهامي الشاعر المشهور قد
أقام بها وصار خطيبها ، وتزوج بها وولد له ولد فمات بها ، فقال يرثيه :

أبا الفضل ، طال الليل أم خاتني صبري ؟ نخيل لي أن الكواكب لا تسري ؟
أرى الرملة البيضاء بعدك أظلمت فدهري ليل ليس يفضي إلى فجر
وما ذاك إلا أن فيه وداعة أبي ربها أن تسترد إلى الحشر
بنفس هلال كت أرجو عامه فعاجله المقدار في غرة الشهر

(١٠ - نفح الطيب - سادس)

محمد بن علي التجيبي « وَمِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ » الْجَيَّانِيُّ « مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ
خَلْفِ الثُّجَيْبِيِّ الْأَشْبِيلِيِّ الْخَافِظُ الْكَاتِبُ » رَوَى عَنْ
أَبْنِ الْجَدِّ^(١) وَغَيْرِهِ . وَمَرَّ بِمِصْرَ حَاجًّا قَبْلَ سَنَةِ خَمْسِمِائَةٍ
وَسِتِّينَ ، فَلَقِيَ بِمَكَّةَ أَبَا حَفْصٍ^(٢) الْمِيَانَشِيَّ ، وَأَبَا الْحُسَيْنِ
الْمِكنَاسِيَّ ، وَلَقِيَ بِالْأَسْكَندَرِيَّةِ السُّلَمِيَّ وَأَبْنَ عَوْفٍ
وغيرَهُمَا . وَكَانَ مُدَرِّسًا لِلْفِقْهِ ، فَقِيهًا جَلِيلًا مُتَقَدِّمًا فِيهِ
عَارِفًا فَاضِلًا سَنِيًّا^(٣) . تُوُفِّيَ بَعْدَ أَمْتِحَانٍ مِنَ الْمَنْصُورِ بْنِ
عَبْدِ الْمُؤْمِنِ سَنَةَ سِتِّ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ
وُشِيَ بِهِ لِلْمَنْصُورِ أَيَّامَ عَزَمَ عَلَى تَرْكِ التَّقْلِيدِ وَالْعَمَلِ
بِالْحَدِيثِ^(٤) .

(١) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن يحيى بن الفرَج بن الجد الفهرى
الحافظ الاشبيلي توفى سنة ٥٨٦ . « أحمد يوسف نجاتي »

(٢) هو أبو حفص عمر بن عبد المجيد بن الحسن المهدي القرشي تزيل
مكة وشيخ الحرم .؛ توفى بمكة سنة ٥٨١ والمهدي نسبة الى المهديّة المعروفة
بأفريقية ، والميانشي نسبة الى مياش قرية كانت من قرى المهديّة بينهما
نصف فرسخ . « أحمد يوسف نجاتي » (٣) أو « سنيا » نسبة الى السنة

(٤) إغابله أنه يقرئ الناس شيئا من فقه الامام مالك ، فسجن هو وبعض
الفقهاء . وقاسى من ذلك عذابا « أحمد يوسف نجاتي » .

* *

« وَمِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ الْأَنْدَلُسِيُّ الْجَيَّانِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ
 ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يَاسِرٍ الْأَنْصَارِيِّ « سَافَرَ
 مِنْ بَلَدِهِ ، وَدَخَلَ دِيَارَ مِصْرَ وَالشَّامَ وَالْعِرَاقَ وَخُرَاسَانَ
 وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ ، وَلَقِيَ أَئِمَّتَهُمَا ، وَتَفَقَّهَ بِخَارِي حَتَّى تَمَثَّرَ
 فِي الْمَذْهَبِ وَالْخِلَافِ وَالْجَدَلِ ، ثُمَّ اشْتَغَلَ بِالْحَدِيثِ
 وَسَمَاعِهِ وَحِفْظِهِ ، وَحَصَّلَ مِنْهُ كَثِيرًا ، ثُمَّ سَكَنَ بَلْخَ مُدَّةً
 وَعَادَ إِلَى بَغْدَادَ ، وَدَخَلَهَا سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَتَوَجَّهَ
 إِلَى مَكَّةَ فَحَجَّ ، وَرَجَعَ إِلَى الشَّامِ ، وَأَسْتَوْطَنَ حَلَبَ إِلَى أَنْ تُوفِيَ
 بِهَا . وَوَقَفَ كُتُبُهُ . وَكَانَ مُتَدِينًا صَدُوقًا حَافِظًا عَالِمًا
 بِالْحَدِيثِ . وَفِيهِ فَضْلٌ . وَلِدَ بِجَيَّانَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ
 وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَمَاتَ بِحَلَبَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ

* *

« وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ التُّجِيبِيُّ الدَّهَّانُ
 الْفَرْنَاطِيُّ « كَانَ حَسَنَ السَّمْتِ ، بَارِعَ الْخَطِّ وَالْخُلُقِ وَالْخُلُقِ ،

محمد بن علي
 التجيبي الدهان
 الفرناطي

رَحَلَ إِلَى الْحَجِّ - وَجَالَ فِي الْبِلَادِ فِي حُدُودِ سَنَةِ سِتِّ
وَسِتِّمِائَةٍ ، فَأَخَذَ بِمَكَّةَ وَالشَّامِ وَمِصْرَ وَالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ عَنْ
جَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ . وَكَانَ عَدْلًا فَاضِلًا عَلَى خَيْرِ وَدِينٍ . وَكَانَ
مُحْتَرِفًا بِالتَّجَارَةِ بِغَرْنَاطَةِ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا آخِرَ عُمْرِهِ
فَمَاتَ بِقُوصٍ بَعْدَ مَا حَجَّ سَنَةَ خَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، وَصَدَرَ
مِنْ مَكَّةَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، فَمَاتَ قَبْلَ
مُنْتَصَفِ السَّنَةِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

« وَمِنْهُمْ أَبُو عُمَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي
الرَّيِّعِ الْقُرَشِيِّ الْعُمَانِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ الْإِشْبِيلِيُّ النَّحْوِيُّ محمد بن علي بن
أبي الريع
وُلِدَ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ بِإِشْبِيلِيَّةَ ، وَقَدِمَ مِصْرَ فَسَمِعَ
الْكَثِيرَ بِهَا وَبِدِمَشْقَ وَغَيْرَهَا - وَكَانَ إِمَامًا عَالِمًا نَحْوِيًّا
فَاضِلًا ، كَتَبَ عَنْهُ أَبُو مُحَمَّدٍ الدَّمِيَّاطِيُّ ، وَالْقُطُبُ عَبْدُ
الْكَرِيمِ - وَنَاهِيكَ بِهِمَا عِلْمًا .

محمد بن علي بن
هذيل البلنسي

« وَمِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ
ابْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ هُذَيْلِ الْبَلَنْسِيِّ » رَحَلَ وَسَمِعَ
مِنَ السَّلَفِيِّ، وَحَجَّ. قَالَ أَبُو الرَّيِّعِ ابْنُ سَالِمٍ: هُوَ شَيْخٌ
صَدُوقٌ مُتَّقِظٌ، سَمِعَ أَبَاهُ^(١) وَأَبَا الْوَلِيدِ ابْنَ الدَّبَّاحِ^(٢)
وَأَبَا الْحَسَنِ طَارِقَ^(٣) بْنَ مُوسَى بْنِ يَعِيشَ وَجَمَاعَةً،
وَأَخَذَ بِمَكَّةَ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ
الْحَسَنِ الْمُقَرِّيِّ، وَقَفَلَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ
وَخَمْسِمِائَةٍ، فَأَخَذَ عَنْهَا بِهَا، وَسَمِعَ مِنْهُ جَمَاعَةً، قَالَ ابْنُ

(١) أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن هذيل المقرئ المحدث، كان منقطع
القرين في الفضل والدين والورع والزهد، مع العدالة والتواضع والاعراض
عن زخارف الدنيا وفتنتها، والسباحة والكرم. وانهت إليه في عصره
الرياسة في صناعة الاقراء، ولد سنة ٤٧١ هـ وتوفي سنة ٥٦٤ هـ وكان يوم الاحتفال
بتشييع جنازته مشهودا، رحمه الله. « أحمد يوسف نجاتي » (٢) هو أبو
الوليد يوسف بن عبد العزيز بن يوسف بن عمر بن فبره بن الدباغ اللخمي
الأندلسي توفي سنة ٥٤٦ هـ. « أحمد يوسف نجاتي » (٣) طارق بن موسى بن يعيش
ابن الحسين بن علي بن هشام الخزومي البلنسي - يعرف بالمنصفي - رحل قبل
سنة ٥٢٠ هـ فسمع بكثير من بلاد المشرق، وكان شيخا صالحا ثقة عالي
الرواية محدثا فاضلا، ورحل ثانية سنة ٥٤٢ هـ وقد نيف على السبعين فأقام
بمكة حتى توفي بها سنة ٥٤٩ هـ. « أحمد يوسف نجاتي ».

الْأَبَارِ : كَانَ غَايَةً فِي الصَّلَاحِ وَأَعْمَالِ الْبِرِّ وَالْوَرَعِ ،
تُوُفِّيَ بِيَعُضِ قُرَى بِلُغْسِيَّةَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ
وَمَوْلِدُهُ سَنَةِ عِشْرِينَ أَوْ تِسْعَ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَلَهُ
حَظٌّ مِنْ عِلْمِ التَّعْيِيرِ وَاللُّغَةِ ، - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - .

« وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ - وَيُقَالُ أَبُو سَلَمَةَ - مُحَمَّدُ بْنُ
عَلِيٍّ الْبِيَّاسِيُّ الْغُرْنَاطِيُّ الْأَنْصَارِيُّ نَاصِرُ الدِّينِ » رَوَى
عَنِ الْخَافِظِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَغَيْرِهِ ، وَقَدِمَ إِلَى الْقَاهِرَةِ
وَأُسْتُوطِنَهَا بَعْدَ الْحُجِّ حَتَّى مَاتَ بِهَا سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِمِائَةٍ
وَكَانَ عَارِفًا بِعِلْمِ الْحَدِيثِ ، وَكَتَبَ مِنْهُ كَثِيرًا ، وَمَالَ إِلَى
مَذْهَبِ الظَّاهِرِيَّةِ ، وَانْتَفَعَ بِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ طَلَبَةِ الْحَدِيثِ ،
وَكَانَ ثِقَةً - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - .

محمد بن علي
البياسي

« وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى بْنِ
عَلِيٍّ الشَّامِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ الْغُرْنَاطِيُّ » قَدِمَ مِصْرَ حَاجًّا ، وَأَقَامَ

محمد بن علي
الشامي الغرناطي

بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ. وَكَانَ إِمَامًا فَاضِلًا عَالِمًا مُتَفَنًّا فِي عُلُومِ
مَا بَيْنَ فِقْهِ وَأُصُولٍ وَنَحْوٍ وَلُغَةٍ وَقِرَاءَاتٍ وَنَظْمٍ وَتَثْرٍ،
وَمَعَ مَعْرِفَتِهِ بِمَذْهَبِ مَالِكٍ يَنْقُلُ كَثِيرًا مِنْ مَذْهَبِ
الشَّافِعِيِّ. وَسَمِعَ الْمُوطَّأَ بِتُونِسَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ هُرُونَ
الْقُرْطُبِيِّ. وَمَوْلِدُهُ بِغَرْنَاطَةِ سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ
وَيُوفَى سَنَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ وَسَبْعِمِائَةٍ. وَمِنْ شِعْرِهِ - رَضِيَ
اللهُ تَعَالَى عَنْهُ :

إِذَا كُنْتُ جَارًا لِلنَّبِيِّ وَصَحْبِهِ
وَمَكَّةُ بَيْتُ اللهِ مِنِّي عَلَى قُرْبِ
فَمَا ضَرَّنِي أَنْ فَاتَنِي رَغْدُ عَيْشَةٍ
وَحَسْبِيَ الَّذِي أُوتِيَتْهُ نِعْمَةٌ حَسْبِي
وَقَوْلُهُ :

تَزِيلُ الْكِرَامِ عَزِيزُ الْجَوَارِ
وَإِنِّي تَزِيلُ عَلَيْكُمْ وَجَارُ
حَلَلْتُ ذَرَاكَ وَأَنْتَ الْكَرِيمُ
وَمَنْ حَلَّ مَثْوَى^(١) كَرِيمٍ يُجَارُ

(١) المَثْوَى : المنزل . وموضع الثَّوَاءِ أَيُ الْإِقَامَةِ « أحمد يوسف نجاتي »

*
*
*

« وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَمَّارٍ الْكَلَاعِيُّ » محمد بن عمار
الكلاعي

الْمَيُورَقِيُّ « فَدِمَ مِصْرَ ، وَرَوَى عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ الْوَلِيدِ
بِهَا ، وَكَانَ عَالِمًا . وَلَهُ قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ فِيهَا حِكْمٌ وَمَوَاعِظُ
يُوصِي أَبْنَهُ بِهَا ، مِنْهَا قَوْلُهُ :

وَطَاعَةَ مَنْ إِلَيْهِ الْأَمْرُ فَالْزَمْ

وَإِنْ جَارُوا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ

فَإِنْ كَفَرُوا كُفِّرْ بَنِي عُيَيْدٍ^(١)

فَلَا تَسْكُنْ دِيَارَ الْكَافِرِينَ

وَأَسْمُ أَبْنِهِ حَسَنٌ . وَسَمِعَ مِنَ الْمَذْكُورِ الْخَافِظُ الْقَاضِي

أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ فِي رِحْلَتِهِ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ
وَوَصَفَهُ بِالْعِلْمِ . وَعَمَّارٌ بِالرَّاءِ .

(١) يريد الدولة الفاطمية والاقوال فيها كثيرة ذائعة «أحمد يوسف نجاتي»

« وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ يُوسُفَ بْنِ
 الْفَخَّارِ الْقُرْطُبِيِّ الْحَافِظُ » رَوَى عَنْ عِيسَى اللَّيْثِيِّ، وَأَبْنِ
 عَوْنٍ^(١) اللَّهِ، وَأَبِي جَعْفَرٍ التَّمِيمِيِّ، وَأَبِي مُحَمَّدٍ الْبَاجِيِّ^(٢)،
 وَقَدِيمِ مِصْرَ، وَحَجَّ، وَجَاوَرَ بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ - عَلَى سَائِ كِنِهَا
 الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ - وَأَفْتَى بِهَا، وَأَفْتَحَ بِذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِهِ وَقَالَ:
 لَقَدْ شُوِرْتُ بِمَدِينَةِ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دَارِ
 مَالِكِ ابْنِ أَنَسٍ وَمَكَانِ شُورَاهُ . وَلَقِيَ جَمَاعَةً مِنَ الْعُلَمَاءِ
 وَأَخَذَ عَنْهُمْ . وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالذِّكَاةِ وَالْحِفْظِ وَالْفَهْمِ
 عَارِفًا بِمَذَاهِبِ الْأَثَمَةِ وَأَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ، ذَا كِرًا لِلرَّوَايَاتِ
 يَحْفَظُ الْمُدَوَّنَةَ وَالنَّوَادِرَ لِابْنِ أَبِي زَيْدٍ، وَيُورِدُهَا مِنْ صَدْرِهِ
 دُونَ كِتَابٍ . قَالَ ابْنُ حَيَّانَ مُورِّخُ الْأَنْدَلُسِ : تُوُفِّيَ
 الْفَقِيهُ الْمَشَاوِرُ الْحَافِظُ الْمُتَبَحَّرُ الرَّوَايَةِ الطَّوِيلُ الْهَجْرَةَ

(١) أبو جعفر أحمد بن عون الله، كان فقيها محدثا مشهورا، يروي عن قاسم
 ابن أصبغ البيانى وغيره (٢) هو عبد الله بن محمد بن على بن شريعة
 المعروف بالباغى، أصله من باجة القيروان لا من باجة الاندلس، وسكن
 اشبيلية، وكان فقيها جليلا محدثا نبيلًا، توفى سنة ٣٧٨ «أحمد يوسف نجاتى»

فِي طَلَبِ الْعِلْمِ النَّاسِكُ الْمُتَقَشِّفُ بِمَدِينَةِ بِلَنْسِيَةِ فِي رَيْعِ
الْأَوَّلِ سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةِ وَأَرْبَعِمِائَةٍ لِعِشْرِ خَلَوْنٍ مِنَ الشَّهْرِ ،
وَكَانَ الْحَفْلُ فِي جِنَازَتِهِ عَظِيمًا ، وَعَايَنَ النَّاسُ فِيهَا آيَةً مِنْ
ظُهُورِ أَشْبَاهِ الْخَطَاطِيفِ ^(١) بِهَا تَجَلَّلَتْ ^(٢) الْجَمْعُ زَافَةً ^(٣) فَوْقَ
النَّعْشِ ، لَمْ تُفَارِقْ نَعْشَهُ إِلَى أَنْ وُورِيَ ، فَتَفَرَّقَتْ . وَمَكَتْ
مُدَّةً بِلَنْسِيَةِ مُطَاعًا عَظِيمَ الْقَدْرِ عِنْدَ السُّلْطَانِ وَالْعَامَّةِ .
وَذَكَرَ جُهَاهَرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ^(٤) حَدِيثَ الطَّيْرِ ، وَكَذَا
ذَكَرَ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقُبْشِيُّ ^(٥) خَبَرَ الطَّيْرِ ؛ قَالَ : وَكَانَ
سِنُهُ نَحْوَ الثَّمَانِينَ سَنَةً ، وَكَانَ مُجَابَ الدَّعْوَةِ ، وَظَهَرَتْ فِي

(١) الخطاطيف جمع خطاف بضم الحاء في المفرد : طائر أسود يقال له زوار الهند . وهو الذي تدعوه العامة عصفور الجنة (٢) تجللت الجمع : أي عمت الجمع أو غطته وشملته (٣) أو (رافة) (٤) أبو بكر جواهر بن عبد الرحمن بن جواهر الحجري ، من أهل طليطلة ، رحل إلى المشرق حاجا سنة ٤٥٢ ، فأخذ عن علماء مكة ومصر وغيرها ، وكان فقيها عارفا مالكي المذهب حسن الخلق كثير التواضع سريع الجواب حاضر البديهة ، توفي سنة ٤٦٦ ، عن ثمانين سنة . « أحمد يوسف نجاتي » (٥) أبو بكر الحسن بن محمد بن مفرج ابن حماد بن الحسين المافري . يعرف بالقبشي . من أهل قرطبة ، روى عن أبي جعفر بن عون الله وغيره ، وعنى بالحديث وروايته عن الشيوخ وسماه منهم وتقييد أخبارهم ، وجمع كتابا مفيدا سماه « الاحتفال في تاريخ أعلام

دَعْوَتِهِ الْإِجَابَةُ . وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو الدَّانِي : إِنَّ وَفَاتَهُ يَوْمَ
السَّبْتِ لِسَبْعِ خَلَوْنٍ مِنْ شَهْرِ رَيْعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ تِسْعِ عَشْرَةِ
وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَدُفِنَ يَوْمَ الْأَحَدِ بِمَدِينَةِ بَلَنْسِيَةِ ، وَبَلَغَ نَحْوَ
سِتِّ وَسَبْعِينَ سَنَةً . وَهُوَ آخِرُ الْفُقَهَاءِ الْحُفَاطِ الرَّاسِخِينَ
الْعَامِلِينَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِالْإِنْدَلُسِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -

« وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو الْقُرْطُبِيُّ * »
محمد بن عمرو
القرطبي

الرجال « في أخبار الخلفاء والقضاة الفقهاء ، وألفه سنة ٤١٧ بمصرية ، وانهى
منه سنة ٤٢٠ وكان مولده سنة ٣٤٨ ، وتوفي بعد سنة ٤٣٠ ، وكان من
أعلام علماء الأندلس . وعمن يعول على قوله ، ويستحسن كلامه لبلاغته
وبراعته ، وإنما قيل له القبسي لسكناه غربي قرطبة بالقرب من عين قبش
وفي الأصل « القبسي » وهو تصحيف ما أكثر نظائره في هذا الأصل
« أحمد يوسف نجاتي » .

* ترجم له في كتاب الصلة لابن بشكوال « ج ٢ من المكتبة الأندلسية
ص ٢٦٩ » بترجمه تذكرها وهي :

محمد بن عمرو بن العاصي من أهل قرطبة ، يكنى أبا عبد الله ، روى
عن أبي عبد الله بن مفرج وغيره من شيوخ قرطبة ، ورحل إلى المشرق
وحج ، ودخل العراق وروى بها عن أبي بكر الأبهري الفقيه لقيه ببغداد
سنة تسع وستين وثلاثمائة ، وروى عن أبي الحسن الدارقطني ، وعن أبي

رَوَى عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُفَرِّجٍ وَغَيْرِهِ مِنْ شُيُوخِ قُرْطُبَةَ

الحسن محمد بن المظفر الحافظ البغدادي، وأبي أحمد الحسين بن علي التميمي النيسابوري، وكان قدم بغداد حاجا في العام المذكور؛ وروى عن أبي بكر أحمد بن محمد بن العباس الاسقاطي بالبصرة وغيرهم. وأخذ بمصر عن أبي بكر بن اسماعيل وأبي علي الحسن بن شعبان وغيرهما. وبالقير وان عن أبي محمد بن أبي زيد. وانصرف الى الأندلس، وشهر بالعلم. وكان موسرا، وتولى الأعباس بقرطبة. حدث عنه أبو عمر بن عبد البر وأبو عبد الله بن عابد وأثنى عليه وقال :

طالت صحبتي له، وكرمت مداخلتي اليه الى حين وفاته. وكان متمكنا من القاضى أبي العباس بن ذكوان مقدما في المناظرة عنده، وكان معدودا من ذوى الفضل الراجح والحلم التام، مع العلم والانقباض ورقة أهل المشرق. وتوفي في جمادى الآخرة سنة أربع مائة، ودفن بمقبرة ابن عباس، وصلى عليه القاضى ابن ذكوان (١).

(١) هو أبو العباس أحمد بن عبد الله بن هرثة بن ذكوان بن عبد الله بن عبدوس بن ذكوان، قاضى الجماعة بقرطبة وخطيبها، وآخر القضاة بها بعهد الجماعة، قلده قضاء الجماعة بقرطبة محمد بن أبي عامر بعهد الخليفة هشام ابن الحكم في المحرم سنة ٣٩٢، ثم صرف عن القضاء والصلاة في آخر سنة ٣٩٤ ثم أعيد الى تقلدها، وصرف عنها سنة ٤٠١ فلزم بيته مع علو منزلة، وعظم قدره، ووفرة جاهه، حتى توفي سنة ٤١٣ وحضر جنازته الخليفة يحيى بن علي بن حمود، فقدم للصلاة عليه أخاه أبا حاتم - وكان مولده سنة ٣٤٢ رحمه الله تعالى - « أحمد يوسف نجاشي » .

وَقَدِمَ مِصْرَ ، فَأَخَذَ بِهَا عَنِ ابْنِ الْمُهَنْدِسِ ^(١) وَغَيْرِهِ ، وَحَجَّ
وَدَخَلَ الْعِرَاقَ ، وَسَمِعَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ الْأُبْهَرِيِّ ^(٢) وَالْذَّارِقُطْنِيِّ ^(٣)
وَجَمَاعَةٍ ، وَعَادَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ ، وَشُهِرَ بِالْعِلْمِ وَالْمَالِ ، وَوَلَّى
الْأُحْبَاسَ ^(٤) بِقُرْطُبَةَ . حَدَّثَ عَنْهُ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ ^(٥)
وغيره . وَمَاتَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ أَرْبَعِمِائَةٍ - رَحِمَهُ
اللَّهُ تَعَالَى .

- (١) هو أبو بكر بن المهندس أحمد بن محمد بن اسمعيل محدث ديار مصر.
كان ثقة نقياً، روى عن البغوي وطبقته، وتوفي سنة ٣٨٥ «أحمد يوسف نجاتي»
(٢) أبو بكر الأبهري القاضي محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح بن عمر
ابن حفص بن عمر بن مصعب بن الزبير بن سعد بن كعب بن عباد بن
الذال بن مرة بن عبيد بن الحرث «وهو مقاعس» بن عمرو بن كعب
ابن سعد بن زيد مناة بن تميم، الأبهري التميمي المالكي الفقيه المحدث
الجليل، شيخ المالكيين العراقيين، وصاحب التصانيف المفيدة. وكان مقدم
أصحابه في وقته، ومن أهل الورع والزهد والعبادة، دعى إلى تولى القضاء
ببغداد فامتنع منه، ولد سنة ٢٨٩ وتوفي سنة ٣٧٥ «أحمد يوسف نجاتي»
(٣) هو الحافظ الامام أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن
مسعود البغدادي «نسبة إلى دار القطن» محلة كانت ببغداد بالجانب الغربي
كان اماماً جليلاً، انتهت إليه الرئاسة في الحديث وعلومه، وكان يدعى فيه
أمير المؤمنين، وله مصنفات قيمة، وكان أديباً بليغاً تقياً ورعاً، توفي سنة ٣٨٥
«أحمد يوسف نجاتي» (٤) الأُحْبَاس : أي الأوقاف (٥) سبق التعريف به

« وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ
أَبْنِ نَجِيحٍ الْمَعَارِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالْأَعَشَى الْقُرْطُبِيُّ » رَحَلَ
سَنَةَ سِتٍّ وَسَبْعِينَ وَمِائَةً، فَسَمِعَ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ، وَوَكَيْعَ
أَبْنَ الْجَرَّاحِ، وَيَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ الْقَطَّانَ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ وَهْبٍ
وَجَمَاعَةً. وَكَانَ الْغَالِبُ عَلَيْهِ الْحَدِيثَ وَرِوَايَةَ الْآثَارِ.
وَكَانَ صَالِحًا عَاقِلًا سَرِيًّا جَوَادًّا، يَذْهَبُ إِلَى مَذْهَبِ أَهْلِ
الْعِرَاقِ^(١)، وَتُوفِّيَ سَنَةَ إِجْدَى وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ، ذَكَرَهُ
أَبْنُ يُونُسَ وَغَيْرُهُ.

محمد بن عيسى
ابن عبد الواحد
الطافري

« وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ فُطَيْسٍ * الْغَافِقِيُّ الْإِلْبِيرِيُّ
الزَّاهِدُ » قَالَ الْحَمِيدِيُّ فِي حَقِّهِ: هُوَ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ

محمد بن فطيس
الغافقي

(١) في تاريخ علماء الاندلس « وكان يذهب في الاثرية مذهب أهل
العراق اذ كان علمه عراقيا ، وكان رجلا عاقلا سريا جوادا ، وكانت فيه
دعابة . اهـ

* ترجم له في تاريخ علماء الاندلس لابن الفرضي «ص ٣٣٨ ج ١»
بترجمة مسهية تختصرها بما يأتي :

محمد بن فطيس بن واصل الغافقي من أهل البيرة، يكنى أبا عبد الله.

وَالْحَفْظُ وَالْفَهْمُ وَالْبَحْثُ عَنِ الرِّجَالِ ، وَلَهُ رِحْلَةٌ سَمِعَ فِيهَا
مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ ، وَمِنْ ابْنِ وَهْبٍ ^(١)
ابْنِ أَخِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهْبٍ ، وَغَيْرِهِمَا . وَرَوَى بِالْأَنْدَلُسِ
عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ بَقِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ وَصَّاحٍ ، وَسَمِعَ
بِمَكَّةَ وَغَيْرِهَا مِنْ مِائَةِ شَيْخٍ . قَالَ ابْنُ الْفَرَضِيِّ : كَانَ

روى بالأندلس عن محمد بن أحمد العتيبي وأبان بن عيسى بن دينار، ويحيى
ابن عيسى بن مزين وغيرهم، ورحل إلى المشرق سنة سبع وخمسين
ومائتين، وتردد هناك، فسمع بمصر من يونس بن عبد الأعلى وكثير غيره،
وسمع بمكة من أبي بكر عبد الله بن حمزة القرشي وكثير غيره، وسمع
بأطرابلس من أحمد بن عبد الله بن صالح الكوفي المجلي الحافظ الكوفي، وسمع
بأفريقية من أبي زكريا يحيى بن عون وأبي زيد عبد الرحمن بن محمد
وغيرهما. قال لي محمد بن أحمد الألبيري: سمعت محمد بن فطيس يقول:
لقيت في رحلتي نحوًا من مائتي شيخ مارأيت فيهم مثل محمد بن عبد الله
ابن عبد الحكم. وكان محمد بن فطيس نبيلًا ضابطًا لكتبه، ثقة في روايته
صدوقًا في حديثه، وكانت الرحلة إليه بالبصرة وإلى أحمد بن منصور، ثم
مات أحمد بن منصور، فأنصرف بعلى الدرجة ورياسة الاسناد، وكان يقصد
إليه لاسماع منه بقرطبة وغيرها، وتوفي محمد بن فطيس بحاضرة البصرة في
شوال سنة تسع عشرة وثمانمائة، أخبرني بذلك أبو محمد الباجي وغيره.
وهو ابن تسعين سنة.

(١) هو أبو عبيد الله أحمد بن عبد الرحمن بن وهب المصري المحدث روى
الكثير عن عمه عبد الله بن وهب، وتوفي سنة ٢٦٤ «أحمد يوسف نجاتي»

شَيْخًا^(١) نَبِيلًا ضَابِطًا لِكُتُبِهِ ، ثِقَةً فِي رِوَايَتِهِ ، صَدُوقًا فِي حَدِيثِهِ ، وَكَانَتْ الرِّحْلَةُ إِلَيْهِ بِالْبَيْرَةِ ، وَبِهَا مَاتَ فِي شَوَّالِ سَنَةِ تِسْعَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ - وَهُوَ ابْنُ تِسْعِينَ سَنَةً - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

« وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ قَاسِمٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ قَاسِمٍ - ابْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سَيَّارِ الْقُرْطُبِيِّ » مِنْ مَوَالِي بَنِي أُمَيَّةَ ، سَمِعَ مِنْ أَبِيهِ وَمِنْ بَقِيٍّ بْنِ مَخْلَدٍ وَغَيْرِهِ . وَرَحَلَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ فَسَمِعَ بِمِصْرَ مِنَ النَّسَائِيِّ ، وَمِنْ أَحْمَدَ بْنِ حَمَّادِ بْنِ زُغْبَةَ^(٢) وَسَمِعَ بِمَكَّةَ وَالْبَصْرَةَ وَالْكُوفَةَ وَبَغْدَادَ وَدِمِشْقَ

محمد بن قاسم
ابن سيار

(١) في الأصل « شيخنا » والذي قاله ابن الفرضي : وكان محمد بن فطيس نبيلًا ... فزيادة « شيخنا » زيادة مفسدة ، لأنه يوهم أن صاحب الترجمة شيخ لابن الفرضي ، مع أن ابن الفرضي ولد سنة ٣٥١ بعد وفاة ابن فطيس بنحو ثلث قرن ، وتوفي ابن الفرضي سنة ٤٠٣ ولهذا جعلنا « شيخنا » مصحفة بالزيادة عن « شيخنا » وإن لم يكن في ابن الفرضي شيء من هاتين الكلمتين « أحمد يوسف نجاتي » (٢) هو أحمد بن حماد بن مسلم « ويقال حماد زغبة » النجيب ، توفي بمصر سنة ٢٩٦ وأخوه عيسى بن حماد زغبة النجيب مولاهم المصري كان راوية الليث بن سعد ، توفي بمصر سنة ٢٤٨ - وفي الأصل « زغبة » مصحفة عن « زغبة » « أحمد يوسف نجاتي »

وَالْإِسْكَندَرِيَّةِ وَالْقَيْرَوَانِ مِنْ مِائَةِ وَسِتِّينَ رَجُلًا ، قَالَ
أَبُو مُحَمَّدٍ الْبَاجِي : لَمْ أَذْكُ بِقُرْطَبَةَ أَكْثَرَ حَدِيثًا مِنْهُ ،
وَكَانَ عَالِمًا بِالْفِقْهِ ، مُتَقَدِّمًا فِي عِلْمِ الْوَثَائِقِ رَأْسًا فِيهَا ، وَكَانَ
مُشَاوِرًا « مِنْ أَوَّلِ أَيَّامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ النَّاصِرِ » وَسَمِعَ مِنْهُ
النَّاسُ كَثِيرًا ، وَكَانَ ثِقَةً صَدُوقًا . وَغَزَا سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ
وَتَلَا ثِمَانَةَ ^(١) ، وَمَاتَ ثَالِثَ ذِي الْحِجَّةِ مِنْهَا ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ
ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَقِيلَ تُوُفِّيَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ
وَتَلَا ثِمَانَةَ ، قَالَهُ ابْنُ يُونُسَ وَالْحَمِيدِيُّ .

« وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ قَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ قَاسِمٍ ^{محمد بن قاسم القرشي الفهرى}
الْقُرَشِيُّ الْفَهْرِيُّ » عُرِفَ بِابْنِ رُمَّانَ الْغُرْنَاتِيَّ ، قَرَأَ عَلَى
أَبِي جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ بِهَا ^(٢) ، وَقَدِمَ إِلَى الْقَاهِرَةِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ

(١) هي غزوة الحندق، وتقدم القول فيها، واعتل المترجم في منصرفه منها

(٢) هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الحسن بن

الحسين بن الزبير بن عاصم بن مسلم الثقفي بن كعب بن مالك بن علقمة بن

حباب بن مسلم بن عدي بن مرة بن عوف بن ثقيف ، وكعب جده أصله من

مدينة جيان منزل قنسرين من العرب الداخلين إلى الأندلس ، ولما

تغلب العدو على جيان سنة ٦٤٣ خرج إبراهيم بن الزبير بابنه أحمد

(١١ - نفح الطيب - سادس)

وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمِائَةً ، وَمَاتَ بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا
أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ، سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمِائَةً . وَمِنْ
شِعْرِهِ قَوْلُهُ :

فَدَيْتُمْ خَبْرُونِي كَيْفَ صَحَّتْ
فَرِيضَةُ هَالِكٍ مِنْ غَيْرِ مَيِّنٍ^(١)
لَزَيْدٍ زَوْجَةً وَلَهَا ابْنٌ أُمٌّ
فَمَاتَتْ عَنْهُمَا لَا غَيْرَ ذِينَ
فَحَازَ الْبَعْلُ مَا تَرَ كَتَّهُ إِرْثًا
وَوَلَّى غَيْرُهُ صِفَرَ الْيَدَيْنِ

أبى جعفر إلى بعض مدن الأندلس حتى ألقوا عصا التسيار بمدينة
غرناطة ، وكان أبو جعفر بن الزبير في عصره خاتمة المحدثين ، وصدور
العلماء والمقرئين ، عارفاً بالله تقياً صليبا في الحق ، شديداً على أهل البدع
مهيبة موقراً ، عذب المفاكهة طيب المجالسة ، وانتهت إليه الرياسة بالأندلس
في علوم العربية وتجويد القرآن الكريم ورواية الحديث إلى المشاركة في
الفقه والقيام على التفسير وغير ذلك ، ومن تأليفه كتاب صلاة الصلاة لابن
بشكوال ، وقد وصله لسان الدين بن الخطيب بكتاب له سماه «عائذ الصلاة»
وصل فيه إلى عصره ، ونالت ابن الزبير محنة بمالقة ثم بغرناطة ، إلى أن
تخلص من سرارها فعاد إلى جاهه ونبله ، وكان مولده ببلدة جيان سنة
٦٢٧ ، وتوفي بغرناطة سنة ٧٠٨ ورناء طائفة من طلبته وأولى العلم فيها
« أحمد يوسف نجاشي » . (١) اللين : الكذب

وَلَا رِقٌّ - فُذِّيتَ - عَلَى أَخِيهَا
وَلَيْسَ بِكَافِرٍ يُرْمَى بِشَيْنٍ^(١)
وَلَيْسَ مُعَجَّلًا إِرْثًا بِقَتْلِ
مَخَافَةٍ أَنْ يَنَالَ شَقَاوَتَيْنِ

« وَمِنْهُمْ » أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الشَّاطِئِ ، حَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الشَّاطِئِ
بِالْقَاهِرَةِ ، وَتُوفِيَ قَرِيبًا مِنْ سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، وَهُوَ أَحَدُ
أَصْحَابِ الشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الصَّبَّاحِ^(٢) . وَمِنْ كَلَامِهِ :
أَشْتَغَالُكَ بِوَقْتٍ لَمْ يَأْتِ تَضْيِيعُ لِلْوَقْتِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ .
وَلَعَمْرِي لَقَدْ صَدَقَ .

(١) الشين : النقيصة والعيب (٢) هو أبو الحسن علي بن حميد
الصعدي بن الصباغ القدوة العارف ، صاحب الشيخ عبد الرحيم
القناوي وتخرج به ، وكان والده صباغا ، وكان يعيب عليه عدم معاوئته له
وانقطاعه الى أهل التصوف ، حتى ظهر منه ما أقنع أباه بحسن طريقته ،
وكانت له مناقب مشهورة ، وانتفع به خلق كثير . وتوفي سنة ٦١٢ رحمه الله
« أحمد يوسف نجاتي » .



« وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ سُرَاقَةَ الشَّاطِئِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سُرَاقَةَ مُحْيِي الدِّينِ وَيَكْنَى أَيْضًا أَبَا الْقَاسِمِ وَأَبَا بَكْرٍ الْأَنْصَارِيُّ الشَّاطِئِيُّ الْمَالِكِيُّ »
 وَلِدَ بِشَاطِئَةِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَسَمِعَ مِنْ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ بَقِيٍّ . وَرَحَلَ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ ، فَسَمِعَ بَغْدَادَ مِنَ الشَّيْخِ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ الشَّهْرَوَرْدِيٍّ (١) ،
 وَأَبِي طَالِبِ الْقَبِيْطِيِّ (٢) وَأَبِي جَعْفَرٍ الدِّينَوْرِيِّ وَجَمَاعَةٍ ، وَسَمِعَ

(١) شهاب الدين السهروردي شيخ العارفين عمر بن محمد بن عبد الله ابن محمد بن عمويه التيمي البكري الصوفي الشافعي ، ولد سنة ٥٣٩ بمدينة سهرورد « بلدة قريبة من زنجان بالجبال » وقدم بغداد فتفقه وتفنن في العلوم والمعارف ، ومازال يدأب على الطاعة والتمسك بحبل الدين المتين حتى انتهت اليه تربية المريدين ومشيخة العراق ، فكان أستاذ وقته في علم الحقيقة ، وصنف تأليف نافعة ، منها كتاب عوارف المعارف في بيان طريقة القوم وأحوالهم ، ونفقت سوقه بمدينة بغداد ، ووعظ الناس وتقدم عند أمير المؤمنين الناصر لدين الله حتى جعله مقدما على شيوخ بغداد ، وأرسله في الرسائل العظيمة ، ومازال وجيها عنده وعند الناس حتى توفي سنة ٦٣٢ رحمه الله « أحمد يوسف نجاتي » (٢) في الاصل « الغبيطي » وهو تصحيف . وهو أبو طالب عبد اللطيف بن محمد بن علي القبيطي ، توفي سنة ٦٤١ عن ٨٦ سنة « أحمد يوسف نجاتي »

بِحَلَبَ مِنْ ابْنِ شَدَّادٍ^(١) وَغَيْرِهِ ، وَتَوَلَّى مَشِيخَةَ
الْبَهْلَوِيَّةِ بِحَلَبَ ، ثُمَّ قَدِمَ مِصْرَ ، وَتَوَلَّى مَشِيخَةَ دَارِ
الْحَدِيثِ الْكَامِلِيَّةِ^(٢) بِالْقَاهِرَةِ بَعْدَ وَفَاةِ ابْنِ سَهْلٍ الْقَصْرِيِّ
سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، وَبَقِيَ بِهَا إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ
بِالْقَاهِرَةِ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، وَدُفِنَ
بِسَفْحِ الْمُقَطَّمِ ، وَكَانَ الْجُمُعُ كَبِيرًا . وَهُوَ أَحَدُ الْأَئِمَّةِ

(١) هو القاضي العلامة بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة
ابن محمد بن عتاب الأسدي الشافعي المشهور بابن شداد قاضي حلب، توفي
أبوه وهو صغير السن، فنشأ عند أخواله بني شداد فنسب إليهم، وكان شداد
جده لأمه . ولد بالموصل سنة ٥٣٩ هـ واشتغل بتلقي العلوم المختلفة حتى نشأ
نابعة جليل القدر، ثم اتصل بالسلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٤ هـ
وصدق في خدمته، فرفع منزلته حتى كان بيده حل الأمور وعقدها ،
وتوفي بحلب سنة ٦٣٢ هـ «أحمد يوسف نجاتي» (٢) دار الحديث الكاملية
كانت هذه المدرسة بخط بين القصرين من القاهرة، أنشأها الملك الكامل
محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب سنة ٦٢٢ هـ ووقفها على المشتغلين
بالأحاديث الشريفة، ثم من بعدهم على الفقهاء الشافعية ، وكان أول شيخ
لها أبو الخطاب بن دحية «عمر بن حسن بن علي بن محمد بن فرج بن
خلف الأندلسي - وتقدم التعريف به» المتوفي سنة ٦٣٣ هـ - وقد جدد
بعض هذه المدرسة الأمير حسن كتنحدا مستحفظان الشعراوي، ويؤخذ
من الكتابة المنقوشة على بابها أن ذلك كان سنة ١١٦٦ هـ وترى هذه
المدرسة باقية الى الآن بشارع بين القصرين بجوار جامع السلطان برقوق
من جهة الشمال ، وهي معروفة باسم جامع الكامل «أحمد يوسف نجاتي»

الْمَشْهُورِينَ بِغَزَاةِ الْفَضْلِ ، وَكَثْرَةِ الْعِلْمِ وَالْجَلَالَةِ وَالْتُّبْلِ ،
وَأَحَدُ مَشَايِخِ الصُّوفِيَّةِ ، لَهُ فِي ذَلِكَ إِشَارَاتٌ لَطِيفَةٌ ، مَعَ
الدِّينِ وَالْعَفَافِ وَالْبِشْرِ وَالْوَقَارِ ، وَالْمَعْرِفَةِ الْجَيِّدَةِ بِمَعَانِي الشُّعْرِ .
وَكَانَ صَالِحَ الْفِكْرَةِ فِي حَلِّ التَّرَاجِمِ ، مَعَ مَا جُبِلَ عَلَيْهِ
مِنْ كَرَمِ الْأَخْلَاقِ وَأَطْرَاحِ التَّكَلُّفِ وَرِقَّةِ الطَّبَعِ وَلَيْنِ
الْجَانِبِ . وَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ :

نَصَبْتُ ، وَمِثْلِي لِلْمَكَارِمِ يَنْصَبُ
وَرُمْتُ شُرُوقَ الشَّمْسِ وَهِيَ تَغْرُبُ^(١)
وَحَاوَلْتُ إِحْيَاءَ النُّفُوسِ بِأَسْرِهَا
وَقَدْ غَرَّغَرْتُ^(٢) ، يَا بَعْدَ مَا أَنَا أَطْلُبُ !
وَأَتَعَبُ إِنْ لَمْ تُنَمِّحِ الْخَلْقُ رَاحَةً
وَعَيْرِي إِنْ لَمْ تَتَّعِبِ الْخَلْقُ يَتَّعِبُ
مُرَادِي شَيْءٌ ، وَالْمَقَادِيرُ غَيْرُهُ
وَمَنْ عَانَدَ الْأَقْدَارَ - لَا شَكَّ - يُغْلَبُ
وَقَوْلُهُ :

(١) النصب: التعب وبذل الجهد في العمل (٢) غرغر: إذا جاد بنفسه عند

إِلَى كَمْ أُمْنَى النَّفْسَ مَا لَا تَنَالُهُ
 فَيَذْهَبَ عُمْرِي وَالْأَمَانِي لَا تُقْضَى؟!
 وَقَدْ مَرَّ لِي خَمْسٌ وَعِشْرُونَ حِجَّةً
 وَلَمْ أَرْضَ فِيهَا عِيشَتِي، فَتَى أَرْضِي؟!
 وَأَعْلَمُ أَنِّي - وَالثَّلَاثُونَ مَدَّتِي -
 حَرٌّ بِمَغَانِي اللَّهِ أَوْسَعُهَا رَفْضًا^(١)
 فَمَاذَا عَسَى فِي هَذِهِ الْخَمْسِ أَرْتَجِي
 وَوَجَدِي إِلَى أَوْبٍ مِنَ الْعَشْرِ قَدْ أَفْضَى^(٢)؟!
 فَيَارَبَّ عَجَّلْ لِي حَيَاةً لَذِيذَةً
 وَإِلَّا فَبَادِرْ بِي إِلَى الْعَمَلِ الْأَرْضِي
 وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

وَصَاحِبِ كَالزُّلَالِ^(٣) يَمْحُو صَفَاؤُهُ الشَّكَّ بِالْيَقِينِ
 لَمْ يُحْصِ إِلَّا الْجَمِيلَ مِنِّي كَأَنَّهُ كَاتِبُ الْيَمِينِ

الموت ، والفرغرة تردد الروح في الحلق (١) حر: أى جدير وحقيق
 (٢) الاوب: العود والرجوع ، وأفصى إلى الشيء: إذا انتهى إليه (٣) الماء
 الصافي العذب . « أحمد يوسف نجاني »

وَهَذَا عَكْسُ قَوْلِ الْمَنَازِي^(١) :

وَصَاحِبِ خِلَّتِهِ خَلِيلًا وَمَا جَرَى غَدْرُهُ يَبَالِي
لَمْ يُخْصِ إِلَّا الْقَيْحَ مِنِّي كَأَنَّهُ كَاتِبُ الشَّمَالِ

* * *

« وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَرِيشِيُّ » بِكسرِ
الْفَاءِ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ الْمُهْمَلَةِ بَعْدَهَا شَيْنٌ مُعْجَمَةٌ - نِسْبَةٌ إِلَى
فَرِيشٍ إِحْدَى مَدَائِنِ قُرْطُبَةٍ^(٢) . وَلِدَ بِغَرْنَاطَةِ سَنَةِ سَبْعٍ
وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَقَرَأَ بِالرُّوَايَاتِ عَلَى أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ
غَالِبٍ^(٣) ، وَسَمِعَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ بَشْكُوَالٍ^(٤)
وغيرِهِ ، وَسَمِعَ بِمَكَّةَ ، وَحَدَّثَ بِمِصْرَ ، وَعَادَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ ،
فَمَاتَ بِقُرْطُبَةِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّمِائَةٍ . وَكَانَ مَشْهُورًا

محمد بن أحمد
الفريشي

(١) أبو نصر أحمد بن يوسف السليكي المنازي الكاتب، كان من أعيان
الفضلاء، وأماثل الشعراء، وزير لأبي نصر أحمد بن مروان الكردي صاحب
ميافارقين وديار بكر، وكان فاضلاً وشاعراً مجيداً، وتوفي سنة ٤٣٧هـ
« أحمد يوسف نجاتي » (٢) ضبطها ياقوت بكسر الفاء والراء وقال إنها
غربي فخص البلوط بين الجوف والغرب من قرطبة وأكثر انحرافها إلى
الغرب، يكون بها الرخام الأبيض الجيد، وفيها البندق الكثير والشجر،
وبها معادن الحديد، ولها رستاق فيه قرى، ينسب إليها خلف بن يسار
الفريشي محدث. توفي سنة ٣٢٧هـ (٣) تقدم التعريف به (٤) سبقت ترجمته

بِالصَّلَاحِ ، مَعْرُوفًا بِإِجَابَةِ الدُّعَاءِ ، وَرِعًا ثِقَةً زَاهِدًا فَاضِلًا ،
- رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - .

* *

« وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ خَيْرُونَ * » ، وَقِيلَ
مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ خَيْرُونَ « أُنْدَلُسِيٌّ سَكَنَ الْقَيْرَوَانَ »

محمد بن محمد
ابن خيرون

* ترجم له في تكملة الصلة « ج ١ ص ٩٥ » بما يأتي :
محمد بن عمر بن خيرون الماعري أندلسي سكن القيروان ، يكنى أبا عبد
الله أخذ القراءات عرضا عن أبي بكر عبد الله بن مالك بن سيف ،
وإسماعيل بن عبد الله النحاس ، ومحمد بن سعيد الأنماطي ، وعبيد بن
محمد المعروف برباء ، وسمع من عيسى بن مسكين (١) وكان إماما في قراءة
نافع رواية عثمان بن سعيد ، ثقة مأمونا ، قدم القيروان واستوطنها ، وأقرأ
بها في مسجده المنسوب إليه بالزيادة ، وكان يأخذ أخذًا شديدا على
مذهب الشيعة من أصحاب ورش .

روى القراءة عنه عامة أهل القيروان وسائر المغرب ، فمن اشتهر بالنقل عنه
ابناه محمد وعلي ، وأبو جعفر أحمد بن بكر ، وأبو بكر الهواري المعلم ،
وعبد الحكم بن إبراهيم ، وعلي بن أحمد البجاني . توفي بمدينة سوسة - وكان
قد أوطنها - يوم الاثنين للنصف من شعبان سنة ٣٠٦ سنة ست وثلثمائة
ذكره أبو عمر والمقري . وذكر ابن الفرضي - محمد بن محمد بن خيرون

(١) عيسى بن مسكين قاضي القيروان وفقه المغرب ، أخذ عن سحنون
وبمصر عن الحرث بن مسكين ، وكان إماما ورعا خاشعا متمكنا من الفقه
والآثار ، أكرهه ابن الأغلب أمير إفريقية على القضاء ، فولى ولم يأخذ
عليه رزقا ، وتوفي سنة ٢٩٥ . « أحمد يوسف نجاتي » .

وكناه أبا جعفر ، وسماه في الغرباء ، وحكى ما حكاه أبو عمر في وفاة هذا وغير ذلك . ولا أدري من المصيب منهما . وذكره أيضا عتيق بن خلف القيرواني في كتاب الافتخار من تأليفه وقال : كان ثقة كريم الأخلاق سمح النفس إماما في انقراءات ، أول من قدم بتحقيق قراءة نافع ، وكان قد حج ، وسمع من عيسى بن مسكين الحديث ، قرىء عليه بالقيروان وسوسة إذ أوطنها ، وكان واحد أئمة زمانه في علم القرآن .

وقال ابن الفرضي في تاريخ علماء الأندلس : محمد بن محمد بن خيرون القروي ، يكنى أبا جعفر ، قال لنا أبو محمد الباجي قال قال لنا محمد بن قاسم : محمد بن محمد بن خيرون أبو جعفر كتبت عنه بالقيروان ، وقد دخل الأندلس ، وكتبت عنه بقرطبة أيضا ، وأخبرنا عبد الله بن محمد التاجر قال قال لنا حسين الأبراري بالقيروان : محمد بن محمد بن خيرون المقرئ من أهل الأندلس ، كان رجلا صالحا فاضلا كريم الأخلاق إماما في القرآن مشهورا بذلك ، قدم بقراءة نافع على أهل إفريقية ، وكان الغالب على قراءتهم حرف حمزة ، ولم يكن يقرأ بحرف نافع إلا الخواص ، حتى قدم ابن خيرون فاجتمع إليه ، ورحل إليه أهل القيروان من الآفاق . قرأ بمصر على محمد الأنماطي وأبي بكر أحمد بن يوسف المقرئ وعبيد بن رجا وأبي الحسن إسماعيل بن أبي يعقوب الأزرق المزني . وكان رفيقا لورش (١) . عن ورش ، وسمع محمد بن خيرون من عيسى بن مسكين ، وتوفي رحمه الله بمدينة سوسة . أظنه أراد أن أصله من الأندلس ، وقد حدث عنه محمد بن قاسم بكتاب أبي جعفر محمد بن الحسين البغدادي في الرجال . اهـ

(١) كذا في أصله ، والمعروف أن ورش بن سعيد توفي سنة ١٩٧ . وورش لقب أبي سعيد عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عمرو بن سليمان ابن إبراهيم القرشي مولا هم المصري المقرئ ولد سنة ١٠١ ورحل إلى المدينة فقرأ على نافع سنة ١٥٥ ورجع إلى مصر فأنهت إليه الرئاسة ، وبها توفي سنة ١٩٧ « أحمد يوسف نجاتي » .

وَرَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ ، وَأَخَذَ الْقِرَاءَاتِ بِمِصْرَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ
سَعِيدِ الْأَنْمَاطِيِّ وَغَيْرِهِ ؛ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَجَاءٍ ، وَأَبِي الْحُسَيْنِ
أَبْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ يَعْقُوبَ الْأَزْرَقِ الْمَدَنِيِّ^(١) ، وَدَخَلَ الْعِرَاقَ
وَسَمِعَ بِهِ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيِّ بْنِ الْمَدَنِيِّ وَيَحْيَى بْنِ مَعِينٍ^(٢) ،
وَعَادَ إِلَى الْقَيْرَوَانِ ، وَسَمِعَ بِهَا وَبِقُرْطُبَةَ ، وَقَدِمَ بِقِرَاءَةِ نَافِعٍ
عَلَى أَهْلِ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَكَانَ الْغَالِبَ عَلَى قِرَاءَتِهِمْ حَرْفُ حَمْزَةٍ ،
وَلَمْ يَكُنْ يَقْرَأُ بِحَرْفِ نَافِعٍ إِلَّا الْخَوَاصُّ ، حَتَّى قَدِمَ بِهَا
فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ ، وَرَحَلَ إِلَيْهِ أَهْلُ الْقَيْرَوَانِ مِنَ الْآفَاقِ ،
وَكَانَ يَأْخُذُ أَخْذًا شَدِيدًا عَلَى مَذْهَبِ الْمَشِيخَةِ مِنْ أَصْحَابِ
وَرَشٍ . وَتُوفِيَ بِشَعْبَانَ سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِمِائَةٍ^(٣) ، وَكَانَ رَجُلًا
صَالِحًا فَاضِلًا كَرِيمَ الْأَخْلَاقِ ، إِمَامًا فِي الْقِرَاءَاتِ ، مَشْهُورًا
بِذَلِكَ ثِقَةً مَأْمُونًا وَاحِدَ أَهْلِ زَمَانِهِ وَاثْبَتَهُمْ فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ
- رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - .

(١) كذا بالأصل وفي ابن الفرضي « الزني » وأبو بكر يوسف بن يعقوب
التنوخى الأزرق توفى سنة ٣٢٩ (٢) توفى الامام الحافظ يحيى بن معين
سنة ٢٣٣ (٣) في الأصل ٣٥٦ ورأينا أن رقم ٥ فتح مستديرا عن
« صفر » يخالف العدد ما أجمع عليه المؤرخون ، كما ترى في المنقول عن
ابن الفرضي وعن الصلة لابن بشكوال ، وعن أخذ عنه ابن خيرون
عيسى بن مسكين وكانت وفاته سنة ٢٩٥ « أحمد يوسف نجاتي »

« وَمِنْهُمْ ضِيَاءُ الدِّينِ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ صَابِرِ
ابن بندر المالقي محمد بن صابر
أَبْنِ بُنْدَارِ الْقَيْسِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ الْمَالَقِيِّ » وَلِدَ بِمَالَقَةِ سَنَةِ خَمْسٍ
وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، وَسَمِعَ الْكَثِيرَ ، وَقَدِمَ الْقَاهِرَةَ حَاجًّا
فَسَمِعَ بِهَا وَبِدِمَشْقَ ، وَكَتَبَ بِخَطِّهِ كَثِيرًا ، وَكَانَ سَرِيعَ
الْكِتَابَةِ سَرِيعَ الْقِرَاءَةِ ، كَثِيرَ الْفَوَائِدِ ، دِينًا خَيْرًا فَاضِلًا .
لَهُ مُشَارَكَةٌ جَيِّدَةٌ فِي عِدَّةِ عُلُومٍ . تُوُفِّيَ شَابًّا بِالْقَاهِرَةِ
سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَسِتِّمِائَةٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - .

« وَمِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ الزُّهْرِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ مُحَرَّرِ
المعروف بابن محرز محمد الزهرى
الْبَلَنْسِيِّ ^(١) » وَلِدَ بِهَا سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَقَدِمَ
مِصْرَ ، فَسَمِعَ ابْنَ الْمُفْضَلِ ^(٢) وَغَيْرَهُ ، وَرَوَى عَنْهُ جَمَاعَةٌ . وَكَانَ
أَحَدَ رِجَالِ الْكَمَالِ عِلْمًا وَإِدْرَاكًَا وَفَصَاحَةً وَحِفْظًا لِلْفِقْهِ

(١) هو أبو بكر محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن سليمان
الزهرى ، وكان بينهم قديما يعرف بابن القح - ولد سنة ٥٦٩ وقد كان
بالأصل ٥٢٩ ورقم ٢ « محرف عن ٦ ، وتوفى سنة ٦٥٥ عن ٨٦
سنة . « أحمد يوسف نجاشى » (٢) فى الأصل « الفضل » وهو تحريف

وَتَفَنُّنًا فِي الْعُلُومِ وَمَتَانَةً فِي الْآدَابِ ، حَافِظًا لِلُّغَةِ وَالْغَرِيبِ ،
وَلَهُ شِعْرٌ رَائِقٌ وَدِينٌ مَتِينٌ . وَأَخَذَ النَّاسُ عَنْهُ بِبَلَدِهِ
وَبِمَرْسِيَّةَ وَإِسْبِيلِيَّةَ وَمَالِقَةَ وَغَرْنَاطَةَ فِي أَجْتِيَازِهِ عَلَيْهَا
وَبِغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ ، وَعَلَا صِيتُهُ ، وَعُرِفَ بِالْدِّينِ وَالْعِلْمِ
وَالْفَضْلِ ، وَكَانَ أَبُو الْخَطَّابِ يُثْنِي عَلَى عِلْمِهِ وَدِينِهِ . تُوُفِّيَ
بِجَايَةِ سَنَةِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ^(١) عَنْ مِائَةٍ عَالِيَةٍ
- رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - .

* *

« وَمِنْ الرَّاكِلِينَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ إِلَى الْمَشْرِقِ » . أبو الوليد الباجي
الْقَاضِي أَبُو الْوَلِيدِ الْبَاجِي ^(٢) صَاحِبُ التَّصَانِيفِ الْمَشْهُورَةِ

وابن الفضل هو الامام شرف الدين أبو الحسن علي بن الفضل بن علي
اللمخمي المقدسي ثم الاسكندري الحافظ المفتي الفقيه المالكي، ولد سنة ٥٤٤
وسكن أواخر عمره بمصر وتوفي بها سنة ٦١١ . « أحمد يوسف نجاتي » .
(١) وأبوه أبو عبد الله محمد بن أحمد كان له حظ من الفقه والقراءات، وأخذ
عنه ابنه هذا ، ولد سنة ٥٢٧ وتوفي سنة ٦٠٥ « أحمد يوسف نجاتي »
(٢) هو سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي الباجي - نسبة
الى باجة مدينة بالاندلس . وهو فقيه محدث إمام متقدم مشهور عالم
متكلم، كان علم عصره علما وديانة، وأحد أئمة المسلمين حديثا وفقها، وأمه

وَقَالَ ابْنُ مَا كُولَا^(١) فِي حَقِّهِ : إِنَّهُ فَقِيهٌ مُتَكَلِّمٌ أَدِيبٌ
شَاعِرٌ، سَمِعَ بِالْعِرَاقِ، وَدَرَسَ الْكَلَامَ، وَصَنَّفَ إِلَى أَنْ مَاتَ .
وَكَانَ جَلِيلًا رَفِيعَ الْقَدْرِ وَالْخَطَرِ . وَقَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ : إِنَّهُ
وُلِدَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَأَرْتَحَلَ سَنَةَ سِتٍّ وَعِشْرِينَ
وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَجَاوَرَ ثَلَاثَةَ أَغْوَامٍ مُلَازِمًا لِأَبِي ذَرٍّ الْهَرَوِيِّ
الْحَافِظِ يَخْدُمُهُ ، وَرَحَلَ إِلَى بَغْدَادَ وَدِمَشْقَ ، وَلَقِيَ فِي رِحْلَتِهِ

ابنة الفقيه محمد بن موهب، وخاله أبو شاكر (١) هو الأمير أبو نصر علي
ابن هبة الله بن علي بن جعفر بن علي بن محمد بن دلف بن أبي دلف العجلي
الجرباذماني ثم البغدادي الحافظ من بيت الوزارة والقضاء، ولد سنة ٤٢١
بعكبراء، وقتل بالأهواز أو بمرجان سنة ٤٨٧ وهو ذلك الامام الحافظ الكبير
النسابة، كان ليبياً عارفاً ونحويًا مجوداً وشاعراً مبرزاً . وكان أحد الفضلاء
المشهورين، تتبع الألفاظ المشتبهة في الأسماء والأعلام وجمع منها شيئاً
كثيراً، وله كتاب في ذلك سماه الأكمال، وهو في غاية الفائدة في رفع الالتباس
والضبط والتقيد، ولقد أحسن فيه غاية الاحسان، وفيه دلالة على كثرة
اطلاعه وضبطه وإتقانه . وكان أميراً جواداً سرياً، مدحه الشاعر المشهور
المعروف بصردر، وحسبه شرفاً أنه من نسل الأمير الجواد والقائد
الشجاع الأديب أبي دلف القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل بن عمير
العجلي، ووزر أبوه أبو القاسم هبة الله الامام القائم بأمر الله، وتولى
عمه أبو عبد الله الحسن بن علي قضاء بغداد . ولا بن ما كولا المصنفات
النافعة والكتب القيمة، رحمه الله تعالى . « أحمد يوسف نجاتي » .

غَيْرَ وَاحِدٍ ، وَتَفَقَّهَ بِالْقَاضِي أَبِي الطَّيِّبِ الطَّبْرِيِّ ^(١) وَغَيْرِهِ .
وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ بْنُ سُكْرَةَ ^(٢) : مَا رَأَيْتُ مِثْلَ أَبِي الْوَلِيدِ
الْبَاجِيِّ ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا عَلَى هَيْئَتِهِ وَسَمَتِهِ وَتَوْقِيرِ
مَجْلِسِهِ ، وَلَمَّا كُنْتُ بِبَغْدَادَ قَدِيمَ وَلَدَهُ أَبُو الْقَاسِمِ ^(٣) ،
فَسِرْتُ مَعَهُ إِلَى شَيْخِنَا قَاضِي الْقُضَاةِ الشَّاشِيِّ ^(٤) ، فَقُلْتُ
لَهُ : - أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى عِزَّكَ - هَذَا ابْنُ شَيْخِ الْأَنْدَلُسِ ،

(١) هو الامام طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر الطبري القاضي شيخ
الشافعية في عصره ، كان ثقة صادقاً أديباً ورعاً حسن الخلق سليم دواعي
الصدر ، ولد سنة ٣٤٨ هـ وتوفي سنة ٤٥٠ هـ ببغداد « أحمد يوسف نجاتي »
(٢) هو الامام القاضي المحدث حسين بن محمد بن حيون الصدفي السرقسطي
كان شاعراً محدثاً زاهداً كثير الرواية ، رحل الى المشرق وأخذ عن فضلائه ، وعاد
فلم يكن يشرق الا بدمشق مثله في وقته في تقييد الحديث وضبطه والعلو
في روايته . مع دينه وفضله وورعه وزهده . توفي سنة ٥١٤ هـ .
« أحمد يوسف نجاتي » .

(٣) هو أحمد بن سليمان سكن سرقسطة وغيرها . وأصله من قرطبة . روى
عن أبيه معظم روايته وتأليفه ، وخلف أباه في حلقته بعد وفاته ، وأخذ عنه
أصحاب أبيه بعده . وكان فاضلاً ديناً ، من أفهم الناس وأعلمهم ، وله تأليف
حسان تدل على حذقه ونباه . وتوفي سنة ٤٩٣ هـ « أحمد يوسف نجاتي »
(٤) أبو بكر الشاشي محمد بن علي بن حامد شيخ الشافعية وصاحب
المصنفات المليحة الفقيه الحافظ المحدث ، ولد سنة ٣٩٧ هـ وكان يدرس بالمدرسة
النظامية ، وتوفي سنة ٤٨٥ هـ « أحمد يوسف نجاتي » .

فَقَالَ : لَعَلَّهُ ابْنُ الْبَاجِي ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ .
 قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ : وَكَثُرَتِ الْقَالَةُ فِي الْقَاضِي أَبِي الْوَلِيدِ
 لِمُدَاخَلَتِهِ الرُّؤَسَاءَ ، وَوَلِيَ قَضَاءً أَمَا كُنْ تَصْغُرُ عَنْ قَدْرِهِ ،
 وَكَانَ يَبْعَثُ إِلَى تِلْكَ النِّوَاحِي خُلَفَاءَهُ ، وَرُبَّمَا أَتَاهَا الْمَرْءُ
 وَنَحْوَهَا ، وَكَانَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ مُقْلًا حَتَّى أَحْتَاجَ إِلَى الْقَصْدِ
 بِشِعْرِهِ ، وَأَسْتَأْجَرَ نَفْسَهُ مُدَّةَ مُقَامِهِ بِبَغْدَادَ - فِيمَا سَمِعْتُهُ
 مُسْتَفِيضًا - لِحِرَاسَةِ دَرْبٍ ، وَقَدْ جَمَعَ ابْنُهُ شِعْرَهُ . قَالَ : وَلَمَّا
 قَدِمَ الْأَنْدَلُسَ وَجَدَ لِكَلَامِ ابْنِ حَزْمٍ مُطْلَاوَةً إِلَّا أَنَّهُ
 كَانَ خَارِجًا عَنِ الْمَذْهَبِ ، وَلَمْ يَكُنْ بِالْأَنْدَلُسِ مَنْ يَشْتَغِلُ
 بِعِلْمِهِ ، فَقَصُرَتِ السِّينَةُ الْفُقَهَاءَ عَنْ مُجَادَلَتِهِ وَكَلَامِهِ ،
 وَاتَّبَعَهُ عَلَى رَأْيِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْجَهْلِ ، وَحَلَّ بِجَزِيرَةِ
 مَيُورَقَةِ ، فَرَأَسَ فِيهَا ، وَاتَّبَعَهُ أَهْلُهَا ، فَلَمَّا قَدِمَ أَبُو الْوَلِيدِ
 كَلَّمُوهُ فِي ذَلِكَ ، فَدَخَلَ إِلَيْهِ وَنَظَرَهُ ، وَشَهَرَ بَاطِلَهُ ، وَلَهُ
 مَعَهُ مَجَالِسُ كَثِيرَةٌ . وَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو الْوَلِيدِ فِي حَدِيثِ
 الْكِتَابَةِ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ الَّذِي فِي الْبُخَارِيِّ قَالَ بِظَاهِرِ

لَفْظِهِ ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ الْفَقِيهُ أَبُو بَكْرٍ الصَّائِغُ وَكَفَّرَهُ
بِإِجَازَةِ الْكُتُبِ ^(١) عَلَى الرَّسُولِ الْأُمِّيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) الكتب مصدر كتب أى الكتابة - وكانت هذه القصة سنة ست من الهجرة . ففيها خرج النبي صلى الله عليه وسلم معتمرا في شهر ذى القعدة لا يريد حربا، وقد استنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب أن يخرجوا معه ، وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت، فأبطأ عليه كثير من الأعراب، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب، وساق معه الهدى، وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربته، وليعلموا أنه إنما جاء زائرا للبيت الحرام معظما له ، حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر ابن سفيان الكعبي فقال له: يا رسول الله هذه قريش قد سمعوا بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل ، قد لبسوا جلود النمر، وقد نزلوا بذى طوى يحلفون بالله لا تدخلها عليهم أبدا ، ولما انتهى إلى ذى الحليفة ومعه الهدى يسوقه قال له عمر : يا رسول الله تدخل على قوم هم لك حرب بغير سلاح ولا كراع؟! فبعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فلم يدع فيها كراعا ولا سلاحا إلا حملا ، فلما دنا من مكة منعه أن يدخل ، فسار حتى أتى منى ، فنزل بمنى ، فبلغه أن عكرمة بن أبي جهل قد خرج عليه في خمسمائة ، فهزموه ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يا ويح قريش قد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب ! فإن هم أصابوني كان ذلك الذى أرادوا، وإن أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الاسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظن قريش؟ فوالله لا أزال أجاهدكم على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالمة » ثم أمر الناس فسلكوا فى طريق غير طريق قريش على مهبط الحديبية من أسفل مكة ، وتردد بعض رسل قريش إليه - وكان منهم من لا يرى

أن يصدوا عن بيت الله من جاءه زائرا معظما له - حتى يبعثوا إليه صلى الله عليه وسلم سهيل بن عمرو في نفر من قريش ليصالحوه ، فأمر النبي أصحابه فبعثوا الهدى وأظهروا التلبية ، فلبوا من نواحي العسكر حتى ارتجت أصواتهم بالتلبية ، فجاءوا وسألوه الصلح ، وتوادع الناس . وكانت قريش لما بعثت سهيل بن عمرو « أخا بني عامر بن لؤي » قالوا له : أيت محمدا فصالحه ، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله لا تحدث العرب أنه دخل علينا عنوة أبدا . ثم جرى بينهما الصلح ، ودعا النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل لا أعرف هذا ، ولكن اكتب باسمك اللهم ، فقال رسول الله : اكتب باسمك اللهم ، فكتبها ، ثم قال : اكتب هذا ما صلح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو ، فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقانلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب : هذا ما صلح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو الخ و يروى أنه قال لعلي امح رسول الله ، قال : لا ، والله لا أحملك أبدا ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم - وليس يحسن أن يكتب - فكتب مكان رسول الله « محمد » ابن عبد الله . وفي البخاري أنه كتب وهو لا يحسن الكتابة ، فتوهم أن الله تعالى أطلق يده بالكتابة في تلك الساعة خاصة « وظن بعض الناس أنه كتب بيده » وقال هي آية ، ولكن يقال لمن ظن ذلك : إنها إنما تكون آية لو لم تكن مناقضة لآية أخرى وهي كونه أميا لا يكتب ، وبكونه أميا في أمة أمية قامت الحجة وأختم الجاحد وانحسرت الشبهة قال تعالى « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذن لارتاب البطالون » فكيف يطلق الله يده بالكتابة لتكون آية؟! وإنما الآية ألا يكتب ، والمعجزات يستحيل أن يدفع بعضها بعضا ، وإنما معنى « كتب » أي « أمر أن يكتب » وكان الكاتب في ذلك اليوم سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

كفأك بالعلم في الأمي معجزة في الجاهلية والتأديب في اليتيم
فالأمية فيه صلى الله عليه وسلم وحده معجزة وفضيلة « أحمد يوسف نجاتي »

وَسَلَّمَ ، وَأَنَّهُ تَكْذِيبٌ لِلْقُرْآنِ ، فَتَكَلَّمَ فِي ذَلِكَ مَنْ
لَمْ يَفْهَمْ الْكَلَامَ ، حَتَّى أَثَارُوا عَلَيْهِ الْفِتْنَةَ ، وَقَبَّحُوا عَلَيْهِ
عِنْدَ الْعَامَّةِ مَا أَتَى بِهِ ، وَتَكَلَّمَ بِهِ خُطَبَاؤُهُمْ فِي الْجَمْعِ ،
وَقَالَ شَاعِرُهُمْ :

بَرِئْتُ مِمَّنْ شَرَى دُنْيَاً بِآخِرَةٍ

وَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ كَتَبَا

فَصَنَّفَ أَبُو الْوَلِيدِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - رِسَالَةً بَيَّنَ فِيهَا
أَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ قَادِحٍ فِي الْمُعْجِزَةِ ، فَرَجَعَ بِهَا جَمَاعَةٌ ، إِذْ لَيْسَ
مَنْ عَرَفَ أَنْ يَكْتُبَ اسْمَهُ فَقَطْ بِخَارِجٍ عَنْ كَوْنِهِ أُمِّيًّا ،
لِأَنَّهُ لَا يُسَمَّى كَاتِبًا ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْمُلُوكِ قَدْ أَدْمَنُوا عَلَى
كِتَابَةِ الْعِلَامَةِ وَهُمْ أُمِّيُونَ ، وَالْحُكْمُ لِلْغَايِبِ لَا لِلصُّورِ
النَّادِرَةِ ، وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ « إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيُونَ »
أَيُّ أَكْثَرُهُمْ كَذَلِكَ ، لِنُدُورِ الْكِتَابَةِ فِي الصَّحَابَةِ ،
وَقَالَ تَعَالَى « هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ » أَنْتَهَى
وَبَعْضُهُ بِالْمَعْنَى . وَذَكَرَ ابْنُ بَسَّامٍ أَنَّ أَبَا الْوَلِيدِ الْبَاجِيَّ

نَشَأَ وَهَمَّتُهُ فِي الْعِلْمِ ، وَأَنَّهُ بَدَأَ بِالْأَدَبِ فَبَرَزَ فِي مَيَادِينِهِ ،
وَجَعَلَ الشُّعْرَ بِضَاعَتَهُ ، فَقَالَ بِهِ مِنْ كُلِّ الرِّغَائِبِ ، ثُمَّ رَحَلَ
فَمَا حَلَ بَلَدًا إِلَّا وَجَدَهُ مَلَانٌ بِذِكْرِهِ ، نَشْوَانٌ مِنْ قَهْوَتِي
نَظْمِهِ وَنَثْرِهِ ، فَمَالَ إِلَى عِلْمِ الدِّيَانَةِ فَمَشَى بِمِقْيَاسٍ ، وَبَنَى عَلَى
أَسَاسٍ ، حَتَّى صَارَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ يَسْمَعُونَ مِنْهُ ،
وَيَرْتَاخُونَ لِلْأَخْذِ عَنْهُ ، ثُمَّ كَرَّ ، وَأُسْتُقْضِيَ فِي طَرِيقِهِ بِحَلَبَ ،
فَأَقَامَ بِهَا نَحْوًا مِنْ عَامٍ . قَالَ : وَبَلَغَنِي عَنْ ابْنِ حَزْمٍ أَنَّهُ
كَانَ يَقُولُ : لَوْ لَمْ يَكُنْ لِأَصْحَابِ الْمَذْهَبِ الْمَالِكِيِّ بَعْدَ
عَبْدِ الْوَهَّابِ ^(١) إِلَّا مِثْلُ أَبِي الْوَلِيدِ الْبَاجِيِّ لَكَفَاهُمْ . وَصَنَّفَ

(١) هو القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر بن أحمد بن الحسين بن هرون بن مالك بن طوق التغلبي البغدادي الفقيه المالكي ، كان فقيها جليلا ، وأديبا شاعرا رقيقا ، ذكره ابن بسام في الذخيرة فقال : كان بقية الناس ، ولسان أصحاب القياس . وقد وجدت له شعرا معانيه أجلى من الصبح ، وألفاظه أحلى من الظفر بالنجع ، ونبت به بغداد كمادة البلاد بذوى فضلها ، وعلى حكم الأيام بحسنى أهلها ، غلغ أهلها ، وودع ماءها وظلها ، ثم توجه الى مصر فحمل لواءها ، وملا أرضها وسماها ، واستتبع ساداتها وكبراءها ، وتناهت اليه الغرائب ، واتثالت في يديه الرغائب ... اهولد سنة ٣٦٢ ببغداد ، وسكن في أواخر حياته مصر فتوفي بها سنة ٤٢٢ . وكان والده من أعيان الشهود للعدل ببغداد ، وتوفي بها سنة ٣٩١ وكان أخوه

أَبُو الْوَلِيدِ كُتِبَا كَثِيرَةٌ مِنْهَا : كِتَابُ التَّسْديدِ ، إِلَى مَعْرِفَةِ
 التَّوْحِيدِ . وَ كِتَابُ سُنَنِ الْمَنَاجِ وَ تَرْتِيبِ الْحُجَّاجِ .
 وَ كِتَابُ إِحْكَامِ الْفُصُولِ ، فِي أَحْكَامِ الْأُصُولِ . وَ كِتَابُ
 التَّعْدِيلِ وَ التَّجْرِيعِ ، لِمَنْ خَرَجَ عَنْهُ الْبُخَارِيُّ فِي الصَّحِيحِ .
 وَ كِتَابُ شَرْحِ الْمُوطَّأِ ، وَهُوَ نُسْخَتَانِ : نُسْخَةٌ سَمَّاهَا
 الْإِسْتِيفَاءَ ، ثُمَّ انْتَقَى مِنْهَا فَوَائِدَ سَمَّاهَا الْمُتَقَى ، فِي سَبْعِ
 مُجَلَّدَاتٍ ، وَهُوَ أَحْسَنُ كِتَابِ الْفِ فِي مَذْهَبِ مَالِكٍ ، لِأَنَّهُ
 شَرَحَ فِيهِ أَحَادِيثَ الْمُوطَّأِ وَفَرَّعَ عَلَيْهَا تَقْرِيعًا حَسَنًا ،
 وَأَفْرَدَ مِنْهُ شَيْئًا سَمَّاهُ الْإِيْمَاءَ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّهُ صَنَّفَ
 كِتَابَ الْمَعَانِي فِي شَرْحِ الْمُوطَّأِ ، فَجَاءَ عِشْرِينَ مُجَلَّدًا عَدِيمَ
 النَّظِيرِ . وَ كَانَ أَيْضًا صَنَّفَ كِتَابًا كَبِيرًا جَامِعًا بَلَغَ فِيهِ
 الْغَايَةَ ، سَمَّاهُ الْإِسْتِيفَاءَ . وَلَهُ كِتَابُ الْإِيْمَاءِ فِي الْفِقْهِ خَمْسُ
 مُجَلَّدَاتٍ . أَنْتَهَى . وَمِنْ تَصَانِيفِهِ مُخْتَصَرُ الْمُخْتَصَرِ فِي مَسَائِلِ
 الْمُدَوَّنَةِ . وَلَهُ كِتَابُ اخْتِلَافِ الْمُوطَّأِ ، وَ كِتَابُ الْإِشَارَةِ

أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ نَصْرِ أَدِيبًا فَاضِلًا وَكَاتِبًا مَجِيدًا ، وَلِدَ سَنَةَ ٣٧٢
 وَتَوَفَّى سَنَةَ ٤٣٧ بِمَدِينَةِ وَاسِطَ ، وَقَدْ صَعَدَ إِلَيْهَا مِنَ الْبَصْرَةِ فَمَاتَ بِهَا رَحِمَهُمُ
 اللَّهُ تَعَالَى « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَاشِي » .

فِي أُصُولِ الْفِقْهِ . وَكِتَابُ الْحُدُودِ ، وَكِتَابُ سُنَنِ
الصَّالِحِينَ . وَكِتَابُ التَّفْسِيرِ - لَمْ يُتِمَّهُ . وَكِتَابُ شَرْحِ
الْمِنَاجِ . وَكِتَابُ التَّبَيِّنِ ، لِسَبِيلِ الْمُهْتَدِينَ ، فِي اخْتِصَارِ
فِرْقِ الْفُقَهَاءِ . وَكِتَابُ السَّرَاجِ فِي الْخِلَافِ وَلَمْ يَتِمَّ ، وَغَيْرُ
ذَلِكَ . وَحَجَّ الْبَاجِي - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - أَرْبَعَ حَجَجٍ ، جَاوَرَ
فِيهَا ثَلَاثَةَ أَغْوَامٍ مُلَازِمًا لِأَبِي ذَرٍّ بْنِ أَحْمَدَ الْهَرَوِيِّ ،
وَكَانَ يُسَافِرُ مَعَهُ لِلْسَّرَوَاتِ ^(١) لِأَنَّ أَبَا ذَرٍّ تَزَوَّجَ مِنْ
الْعَرَبِ وَسَكَنَ بِهَا

(١) السروات جمع سراة ، وهو اسم للجبال والأرض الحاجزة بين تهامة
واليمن ، ولها سعة ، وهي باليمن أخص . والسروات ثلاث : سراة بين تهامة
ونجد أدناها الطائف ، وأقصاها قرب صنعاء ، والطائف من سراة بني ثقيف
وهو أدنى السروات إلى مكة ، والسراة الثانية في بلاد عدوان ، والسراة
الثالثة أرض عالية وجبال مشرفة على البحر من المغرب وعلى نجد من
المشرق ، وبأسفل السروات أودية تصب إلى البحر . وقال أبو عمرو بن
العلاء : أفصح الناس أهل السروات ، وهي ثلاث ؛ وهي الجبال المطلة على
تهامة بما يلي اليمن ، أولها هذيل وهي تلي السهل من تهامة ثم بحميلة
وهي السراة الوسطى ، وقد شركتهم ثقيف في ناحية منها ، ثم سراة الأزد
أزد شنوءة وهم بنو كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن
نصر بن الأزد ، اهـ « أحمد يوسف نجاتي » .

وَأَبُو ذَرٍّ الْمَذْكُورُ هُوَ عَبْدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبُو ذَرٍّ الْمَعْرُوفُ
يَا بَنِي السَّمَاءِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غُفَيْرٍ الْأَنْصَارِيِّ الْمَالِكِيِّ - وَيُعْرَفُ يَا بَنِي
السَّمَاءِ - سَمِعَ بِهَرَاةَ وَسَرَخْسَ وَبَلْخَ وَمَرَوْ وَابْصَرَةَ
وَبَغْدَادَ وَدِمَشْقَ وَمِصْرَ، وَجَاوَرَ بِمَكَّةَ، وَأَلَّفَ مُعْجَمًا
لِشُيُوخِهِ. وَعَمِلَ الصَّحِيحَ، وَصَنَّفَ التَّصَانِيفَ. قَالَ
الْخَطِيبُ: قَدِمَ أَبُو ذَرٍّ بَغْدَادَ وَأَنَا غَائِبٌ فَحَدَّثَ بِهَا، ثُمَّ
حَجَّ وَجَاوَرَ، ثُمَّ تَزَوَّجَ فِي الْعَرَبِ وَسَكَنَ السَّرَوَاتِ. وَكَانَ
يُحِبُّ كُلَّ عَامٍ، وَيُحَدِّثُ ثُمَّ يَرْجِعُ، وَكَانَ ثِقَةً صَابِغًا
دِينًا. وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ بَقِيٍّ الْمَالِكِيُّ: حَدَّثَنِي شَيْخِي قَالَ: قِيلَ
لِأَبِي ذَرٍّ: مِنْ أَيْنَ تَمَذَّهَبْتَ بِمَذْهَبِ مَالِكٍ وَرَأَى الْأَشْعَرِيَّ مَعَ
أَنَّكَ هَرَوِيٌّ؟ فَقَالَ: قَدِمْتُ بَغْدَادَ - وَكُنْتُ مَاشِيًا مَعَ
الدَّارَقُطْنِيِّ، فَلَقِينَا أَبَا بَكْرَ بْنَ الطَّيِّبِ ^(١)، فَالْتَزَمَهُ الدَّارَقُطْنِيُّ

(١) هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم
المعروف بالبلقلافي البصري المتكلم المشهور، كان على مذهب الشيخ أبي
الحسن الأشعري، ومؤيد اعتقاده، وناصر طريقته، وسكن بغداد، وصنف
التصانيف الكثيرة المشهورة المفيدة في علم الكلام وغيره، وكان أواحد

وَقَبْلَ وَجْهِهِ وَعَيْنَيْهِ ، فَلَمَّا افْتَرَقْنَا قُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا
 إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ ، وَالذَّابُّ عَنِ الدِّينِ ؛ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ
 الطَّيِّبِ ، فَمِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ تَكَرَّرْتُ إِلَيْهِ ، وَتَمَذَّهَبْتُ
 بِمَذْهَبِهِ . أَتَّهَى . قُلْتُ : هَذَا صَرِيحٌ فِي أَنَّ الْقَاضِيَّ أَبَا بَكْرٍ
 الْبَاقِلَانِيَّ مَالِكِيٌّ ، وَهُوَ الَّذِي جَزَمَ بِهِ غَيْرُ وَاحِدٍ ، وَلِذَا
 ذَكَرَهُ عِيَّاضٌ فِي الْمَدَارِكِ فِي جُمْلَةِ الْمَالِكِيَّةِ ، وَكَذَلِكَ
 شَيْخُ السُّنَّةِ الْإِمَامُ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ^(١) مَالِكِيٌّ الْمَذْهَبِ
 فِيمَا ذَكَرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ ، وَذَكَرَ بَعْضُ الشَّافِعِيَّةِ
 أَنَّهُمَا شَافِعِيَّانِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ . وَقَالَ عَبْدُ الْغَافِرِ^(٢)

زمانه ، و انتهت اليه الرياسة في مذهبه ، معروفا بجودة الاستنباط وسرعة
 الجواب ، توفي سنة ٤٠٣ هـ ببغداد رحمه الله « أحمد يوسف نجاتي »

(١) هو الامام أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم
 ابن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة عامر بن أبي
 موسى الأشعري ، وهو صاحب الأصول ، والقائم بنصرة مذهب السنة ،
 وكان يجلس أيام الجمع في حلقة أبي إسحاق المروزي الفقيه الشافعي في
 جامع المنصور ببغداد ، ولد أبو الحسن سنة ٢٧٠ بالبصرة ، وتوفي حوالي
 سنة ٣٣٠ ببغداد رحمه الله تعالى « أحمد يوسف نجاتي » (٢) هو أبو
 الحسن عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر بن محمد الفارسي الحافظ
 الأديب صاحب تاريخ نيسابور وغيره من كتب التاريخ والأدب والفقه

فِي تَارِيخِ نَيْسَابُورَ : كَانَ أَبُو ذَرٍّ زَاهِدًا وَرِعًا عَالِمًا سَخِيًّا
لَا يَدَّخِرُ شَيْئًا ، وَصَارَ كَبِيرَ مَشِيخَةٍ الْحَرَمِ مُشَارًا إِلَيْهِ
فِي التَّصَوُّفِ ، خَرَجَ عَلَى الصَّحِيحِ تَحْرِيجًا حَسَنًا ، وَكَانَ
حَافِظًا كَثِيرَ الشُّيُوخِ ، تُوُفِّيَ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ
وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ بْنُ سُكْرَةَ : تُوُفِّيَ عَقِبَ شَوَّالِ سَنَةِ أَرْبَعٍ
وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَقَالَ الْخَطِيبُ : فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ
أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - وَأَكْثَرُ نُسَخِ الْبُخَارِيِّ
الصَّحِيحَةِ بِالْمَغْرِبِ إِمَامًا مِنْ رِوَايَةِ الْبَاجِيِّ عَنْ أَبِي ذَرٍّ
عَبْدُ بْنُ أَحْمَدَ الْهَرَوِيُّ الْمَذْكُورُ ، وَإِمَامًا مِنْ رِوَايَةِ أَبِي عَلِيٍّ
الْصَّدِّيقِ الشَّهِيرِ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ سُكْرَةَ بِسَنَدِهِ . وَأَعْلَمُ أَنَّ
هَرَاةَ الْمَنْسُوبِ إِلَيْهَا الْحَافِظُ أَبُو ذَرٍّ لَيْسَتْ بِهَرَاةِ الَّتِي
وَرَاءَ النَّهْرِ نَظِيرَةَ بَلَخَ ، وَإِنَّمَا هِيَ هَرَاةُ^(١) بَنِي شَيْمَانَةَ

والحديث ، كان إماما محدثا أديبا بليغا فقيها شافعيًا ، وحدث عن جده لأمه
أبي القاسم القشيري وطبقته ، وتوفي بمدينة نيسابور سنة ٥٢٩ عن ٧٨
سنة « أحمد يوسف نجاتي » (١) لم يذكر ذلك ياقوت في المعجم ، ولم
أعثر على هراة هذه ولا على بني شيمانة ، ولكن وجدت في ياقوت ما يأتي :
وهناك موضع آخر يقال له « سراة بني شبابة » قرب مكة نسب المحدثون إليها
أبا جميع عيسى بن الحافظ أبي ذر عبد بن أحمد الهروي الشباني ، حدث
في هذا الموضع عن أبيه فنسب إليه . « أحمد يوسف نجاتي »

بِالْحِجَازِ ، وَبِهَا كَانَ سُكْنَى أَبِي ذَرٍّ ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ
 « رَجَعَ إِلَى الْقَاضِي أَبِي الْوَلِيدِ الْبَاجِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى »
 ثُمَّ إِنَّهُ أَعْنَى الْبَاجِي قَدِيمَ بَغْدَادَ وَأَقَامَ بِهَا ثَلَاثَةَ أَغْوَامٍ يُدْرَسُ
 الْفِقْهُ وَيَقْرَأُ الْحَدِيثَ ، فَلَقِيَ بِهَا عِدَّةً مِنَ الْعُلَمَاءِ كَأَبِي الطَّيِّبِ
 الطَّبْرِيِّ وَالْإِمَامِ الشَّهْرِزُورِيِّ إِسْحَقَ الشَّيرَازِيَّ^(١) وَالصَّيْمَرِيَّ^(٢)
 وَأَبْنَ عُمَرُوسٍ^(٣) الْمَالِكِيَّ ، وَأَقَامَ بِالْمَوْصِلِ سَنَةً مَعَ أَبِي جَعْفَرٍ
 السَّمْنَانِيِّ^(٤) يَأْخُذُ عَنْهُ عِلْمَ الْكَلَامِ ، فَبَرَعَ فِي الْحَدِيثِ
 وَعِلَلِهِ وَرِجَالِهِ ، وَفِي الْفِقْهِ وَغَوَامِضِهِ وَخِلَافِهِ ، وَفِي
 الْكَلَامِ وَمَضَائِقِهِ ، وَتَدَبَّجَ مَعَ الْخَافِظِ أَبِي بَكْرٍ الْخَطِيبِ

(١) أَبُو إِسْحَقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ يَوْسُفَ الشَّيرَازِيَّ الشَّافِعِيَّ جَمَالَ
 الدِّينِ أَحَدَ الْأَعْلَامِ الْمَشْهُورِينَ ، تَوَفَّى سَنَةَ ٤٤٦ هـ (٢) أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَنُ
 ابْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ جَعْفَرِ الصَّيْمَرِيِّ أَحَدِ الْفُقَهَاءِ الْمَذْكُورِينَ مِنْ أَصْحَابِ
 أَبِي حَنِيفَةَ ، كَانَ عَالِمًا جَلِيلًا وَافِرَ الْعَقْلِ ثَقَّةً ، جَمِيلَ الْمَعَاشِرَةِ ، عَارِفًا بِحَقُوقِ
 الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ . تَوَفَّى سَنَةَ ٤٦٣ هـ بِبَغْدَادَ « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نِجَاتِي » (٣) هُوَ أَبُو
 الْفَضْلِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَغْدَادِيُّ ، انْتَهَتْ إِلَيْهِ فِي عَصْرِهِ الْفَتَاوَى بِبَغْدَادَ
 وَكَانَ مِنَ الْقُرَّاءِ الْمَجُودِينَ ، تَوَفَّى سَنَةَ ٤٥٢ هـ عَنْ ثَمَانِينَ سَنَةً « أَحْمَدُ
 يَوْسُفُ نِجَاتِي » (٤) هُوَ الْقَاضِي أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ
 « يَنْسَبُ إِلَى سَمْنَانَ بِلَادِ الْعِرَاقِ » سَكَنَ بَغْدَادَ ، وَكَانَ فَقِيهًا عَلَى مَذْهَبِ
 أَبِي حَنِيفَةَ ، مُتَكَلِّمًا عَلَى مَذْهَبِ الْأَشْعَرِيِّ ، وَكَانَ عَالِمًا فَاضِلًا مُحَدِّثًا ثَقَّةً سَخِيًّا

الْبَغْدَادِيُّ^(١) بِحَيْثُ رَوَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَنِ الْآخَرِ -
 رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا وَنَفَعَ بِهِمَا - ، وَرَجَعَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ
 بَعْدَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يَعْلَمُ جَمٌّ حَصَلَهُ مَعَ الْفَقْرِ وَالتَّعَفُّفِ .
 وَمِمَّا يَفْتَخِرُ بِهِ أَنَّهُ رَوَى عَنْهُ حَافِظُ الْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ :
 أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ^(٢) ، وَالْخَطِيبُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ ثَابِتٍ
 الْبَغْدَادِيُّ ، وَنَاهِيكَ بِهِمَا - وَهُمَا أَسَنُّ مِنْهُ وَأَكْبَرُ -
 وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَمِيدِيُّ^(٣) ، وَعَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الصَّقَلِيُّ . وَأَحْمَدُ
 ابْنُ عَلِيٍّ بْنُ غَزَلُونَ^(٤) ، وَأَبُو بَكْرٍ الطَّرْطُوشِيُّ^(٥) ،

حسن الكلام ، ولى قضاء الوصل ومات بها وهو على القضاء سنة ٤٤٤
 ومولده سنة ٣٦١ « أحمد يوسف نجاتي » (١) هو أبو بكر أحمد بن علي
 ابن ثابت بن أحمد بن مهدي بن ثابت البغدادي صاحب تاريخ بغداد
 وغيره من المصنفات كان من الحفاظ المتقنين والعلماء المتبحرين ولد سنة ٣٩٢
 وتوفي سنة ٤٦٣ ببغداد (٢) سبقت ترجمته (٣) هو محمد بن نصر بن
 فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد بن بطل الميورقي الاندلسي
 الحفاظ الحجة العلامة أحد أوعية العلم ، وكان ظاهري المذهب أكثر عن
 ابن حزم وابن عبد البر ، ورحل فسمع بالقيروان والحجاز ومصر والشام
 والعراق ، توفي سنة ٤٨٨ . « أحمد يوسف نجاتي » (٤) أبو جعفر أحمد
 ابن علي بن غزلون الأُموي من أهل تطيلة بالاندلس ، وهو معدود من
 كبار أصحاب الباجي ، وكان من أهل الحفظ والمعرفة والذكاء . وتوفي نحو
 سنة ٥٢٠ « أحمد يوسف نجاتي » (٥) تقدم التعريف به « أحمد يوسف نجاتي »

وَأَبُو عَلِيٍّ بْنُ الْحُسَيْنِ السَّبْتِيُّ ، وَأَبُو بَحْرِ سَفْيَانُ بْنُ الْعَاصِي ^(١)
وَمِمَّنْ رَوَى عَنْهُ ابْنُهُ أَبُو الْقَاسِمِ أَحْمَدُ ^(٢) . وَكَانَ لَمَّا رَجَعَ
إِلَى الْأَنْدَلُسِ فَشَا عِلْمُهُ ، وَتَهَيَّأَتِ الدُّنْيَا لَهُ ، وَعَظُمَ جَاهُهُ
وَأُجْزِلَتْ لَهُ الصَّلَاتُ ، فَمَاتَ عَنْ مَالٍ وَافِرٍ ، وَتَرَسَّلَ لِلْمُلُوكِ ،
وَوَلِيَ الْقَضَاءَ بَعْدَهُ مَوَاضِعَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - وَأَمَّا مَا تَقَدَّمَ
عَنِ الْقَاضِي أَبِي الْوَلِيدِ الْبَاجِيٍّ مِنْ إِجْرَاءِ حَدِيثِ الْكِتَابَةِ
عَلَى ظَاهِرِهِ فَهُوَ قَوْلُ بَعْضٍ ، وَالصَّوَابُ خِلَافُهُ ، قَالَ الْقَاضِي
أَبُو الْفَضْلِ عِيَّاضٌ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ
الصَّيْقَلِ ^(٣) الشَّاطِبِيُّ مِنْ لَفْظِهِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ بْنُ

(١) أبو بحر سفيان بن العاصي بن أحمد بن سفيان بن عيسى بن عبد الكبير بن سعيد الأسدي ، سكن قرطبة ، وأصله من مريبطر من شرق الأندلس ، كان من جلة العلماء وكبار الأدباء ، ثقة صدوقا ضابطا متقنا من أهل الرواية والدراية ، ولد سنة ٤٤٠ هـ وتوفي سنة ٥٢٠ هـ بقرطبة . « أحمد يوسف نجاتي » .

(٢) هو أبو القاسم أحمد بن سليمان الباجي ، سكن سرقسطة وغيرها ، وأصله من قرطبة . روى عن أبيه معظم روايته وتآليفه ، وتوفي سنة ٤٩٣ هـ . « أحمد يوسف نجاتي » (٣) أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن محمد الأنصاري الشاطبي المعروف بابن الصيقل ، كان محدثا راوية . وتوفي بمدينة فاس بعد سنة ٥٠٠ هـ . « أحمد يوسف نجاتي »

مُفَوِّزٌ^(١) قَالَ : كَانَ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحَاجِّ الْهُوَارِيِّ^(٢)
مِنْ أَهْلِ جَزِيرَةِ شَقْرِ^(٣) مِمَّنْ لَزِمَ الْبَاجِيَّ وَتَفَقَّهَ عِنْدَهُ ،
وَكَانَ يَمِيلُ إِلَى مَذْهَبِ الْبَاجِيِّ فِي جَوَازِ مُبَاشَرَةِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكِتَابَةَ يَدِهِ فِي حَدِيثِ كِتَابِ
الْمُقَاضَاةِ فِي الْحَدِيثِ ، عَلَى مَا جَاءَ فِي ظَاهِرِ بَعْضِ رَوَايَاتِهَا ، وَيُعْجَبُ
بِهِ ، وَكَُنْتُ أَنْكِرُ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ بُرْهَةِ أَتَانِي

(١) أبو الحسن طاهر بن مفوز بن أحمد بن مفوز الماعري الشاطبي، روى عن أبي
عمر بن عبد البر الحافظ وأبي الوليد الباجي وغيرهما، وكان من أهل العلم والمعرفة
والفهم، عني بالحديث عناية كاملة، وشهر بحفظه وإتقانه، وفضله وصلاحه وورعه
وتواضعه . وهو القائل في الاقتباس من الحديث الشريف :

عمدة الدين عندنا كلمات أربع، وهي من كلام خير البرية
اتق المشبهات، وازهد، ودع ما ليس يعينك ، واعملن بنيه

ولد سنة ٤٢٧ هـ وتوفي سنة ٤٨٤ هـ - وابن أخيه أبو الحسن طاهر بن حيدرة
ابن مفوز الشاطبي سمع أخاه أبا بكر وأجاز له عمه طاهر كل رواياته، وكان
فقيها حافظا مقدما في علم الفرائض، يلجأ إليه في ذلك ويعول عليه، وولى
قضاء شاطبة وجزيرة شقر معا، فخدمت سيرته، واشتهرت عدالته، ثم استعفى
من ذلك فأعفى . وروى عنه ابنه أبو محمد عبد الله بن طاهر وأبو بكر
مفوز بن طاهر . وتوفي سنة ٥٥٢ هـ . « أحمد يوسف نجاتي » (٢) أبو محمد
عبد الله بن أحمد بن الحاج الهواري من أهل جزيرة شقر، ويعرف بابن
حفاظ، روى عن أبي الوليد الباجي ولزمه، وكان من أصحاب أبي الحسن
طاهر بن مفوز ينتابه ويكثر زيارته (٣) جزيرة في شرقي الأندلس
كانت من أنزه بلاد الله وأكثرها روضة وشجرا وماء . « أحمد يوسف نجاتي »

زَائِرًا عَلَى عَادَتِهِ، وَأَعْلَمَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ إِخْوَانِهِ كَانَ يَرَى فِي
النَّوْمِ أَنَّهُ بِالْمَدِينَةِ، وَأَنَّهُ يَدْخُلُ الْمَسْجِدَ فَيَرَى قَبْرَ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَامَهُ، فَتَحَدَّثُ لَهُ قُشْعَرِيرَةٌ وَهَيْبَةٌ
عَظِيمَةٌ، ثُمَّ يَرَاهُ يَنْشَقُّ وَيَمِيدُ^(١) وَلَا يَسْتَقِرُّ، فَيَعْتَرِيهِ مِنْهُ
فَزَعٌ عَظِيمٌ، وَسَأَلَنِي عَنْ عِبَارَةٍ^(٢) رُؤْيَاهُ، فَقُلْتُ: أَخَشَى
عَلَى صَاحِبِ هَذَا الْمَنَامِ أَنْ يَصِفَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ بِغَيْرِ صِفَتِهِ، أَوْ يَنْحَلَّهُ مَا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ، أَوْ لَعَلَّهُ يَفْتَرِي
عَلَيْهِ، فَسَأَلَنِي: بِاللَّهِ مِنْ أَيْنَ قُلْتَ هَذَا؟ قُلْتُ لَهُ: مِنْ قَوْلِ
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ « تَكَادُ السَّمَوَاتُ تَتَفَطَّرُنَّ مِنْهُ - إِلَى قَوْلِهِ
تَعَالَى - وَلَدَا » فَقَالَ لِي: لِلَّهِ دَرَكُ يَاسِيدِي! وَأَقْبَلَ يَقْبَلُ رَأْسِي
وَبَيْنَ عَيْنَيَّ، وَيَبْكِي مَرَّةً وَيَضْحَكُ أُخْرَى، ثُمَّ قَالَ لِي: أَنَا
صَاحِبُ الرُّؤْيَا، وَأَسْمَعُ تَمَامَهَا يَشْهَدُ لَكَ بِصِحَّةِ تَأْوِيلِكَ؛
قَالَ: إِنَّهُ لَمَّا رَأَيْتُنِي فِي ذَلِكَ الْفَزَعِ الْعَظِيمِ كُنْتُ أَقُولُ:
وَاللَّهِ مَا هَذَا إِلَّا أَنِّي أَقُولُ وَأَعْتَقِدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

(١) يميد: يضطرب ويتحرك (٢) عبارة رؤياه: أى عن تعبيرها وتفسيرها

وبيان معناها وما تدل عليه « أحمد يوسف نجاشي »

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَبَ ، فَكُنْتُ أَبْكِي وَأَقُولُ : أَنَا تَائِبٌ
يَا رَسُولَ اللَّهِ - وَأَكْرَرُ ذَلِكَ مِرَارًا - فَأَرَى الْقَبْرَ قَدْ عَادَ
إِلَى هَيْئَتِهِ أَوَّلًا وَسَكَنَ ، فَاسْتَيْقَظْتُ . ثُمَّ قَالَ لِي : وَأَنَا
أَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا كَتَبَ قَطُّ
حَرْفًا ، وَعَلَيْهِ أَلْقَى اللَّهُ تَعَالَى ، فَقُلْتُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرَاكَ
الْبُرْهَانَ ، فَاشْكُرْ لَهُ كَثِيرًا . أَنْتَهَى .

« وَقَالَ ابْنُ الْأَبَّارِ » حَدَّثَنِي بِهَذِهِ الْحِكَايَةِ أَبُو الرَّبِيعِ
ابْنُ سَالِمٍ ^(١) بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ عَنِ الْكَاتِبِ أَبِي بَكْرٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
ابْنِ مُغَاوِرٍ ^(٢) قِرَاءَةً عَلَيْهِ عَنِ الْقَاضِي أَبِي جَعْفَرٍ أَحْمَدَ بْنِ

(١) سبق التعريف به (٢) هو أبو بكر عبد الرحمن بن محمد بن مغاور
ابن حكم بن مغاور السلمي من أهل شاطبة ، كان في وقته بقية مشيخة
الكتاب ، وجلة الأدباء المشهورين بالاندلس ، مع الثقة وصدق اللهجة
وكرم النفس ، بليغا مفوها مدركا ، له حظ وافر من قرض الشعر وتصرف
في فنون الأدب ، وكان له ديوان متداول يجمع نظمه ونثره يسمى « نور
الكهائم وسجع الحمام » ولد بشاطبة سنة ٥٠٢ وتوفي سنة ٥٨٧ وأمر
أن ينحط على قبره :

أيها الواقف اعتبارا بقبري استمع فيه قول عظمى الرميم
أودعوني بطن الضريح وخافوا من ذنوب كلومها بأديمي
قلت لا تجزعوا على فاني حسن الظن بالرفوف الرحيم

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ جَحْدَرٍ^(١) عَنْ أَبِي الْحَسَنِ طَاهِرِ بْنِ مُفَوِّزٍ^(٢)
قَالَ : كَانَ أَبُو مُحَمَّدٍ - إِلَى آخِرِهَا - وَهِيَ أُمُّ مِنْ
هَذِهِ . أَنْتَهَى .

« رَجِعْ إِلَى الْبَاجِي » ذَكَرَ أَبُو الْعَرَبِ عَبْدُ الْوَهَّابِ
الْبَقْسَانِيُّ^(٣) بِسَنَدِهِ إِلَى الْقَاضِي أَبِي الْوَلِيدِ الْبَاجِيِّ أَنَّهُ كَانَ
يَقُولُ - وَقَدْ ذُكِرَتْ لَهُ صُحْبَةُ السُّلْطَانِ - : لَوْلَا السُّلْطَانُ
لَنَقَلْتَنِي الذَّرْمِينَ الظِّلَّ إِلَى الشَّمْسِ^(٤) - أَوْ مَا هَذَا مَعْنَاهُ . أَنْتَهَى .

وَأَزْكُونِي بِمَا اكْتَسَبْتَ رَهِينًا غَلَقَ الرَّهْنُ عِنْدَ رَبِّ كَرِيمٍ .
الكلام : الجروح ، والأديم : الجلد . « أحمد يوسف نجاتي » .
(١) أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن جحدر الانصاري الشاطبي ، كان
فقيها حافظا ثقة ، واستقضى ببلده شاطبة ، وتوفي بمصر وفاء عن القضاء سنة ٥١٥
« أحمد يوسف نجاتي » (٢) تقدمت ترجمته ، وتوفي سنة ٤٨٤ (٣) أبو العرب
عبد الوهاب بن محمد بن أحمد بن غالب بن خلف بن محمد بن عبد الله
التجيبى من أهل بلنسية ، يعرف بالبقساني « نسبة الى بقسان قرية غربي
بلنسية ، خرج مع أبيه من بلنسية عقب الفتنة الرومية فجاء في بلاد
الاندلس ، وابقى علماءها وأخذ عنهم ، وكان أدبيا شاعرا خطيبا فصيحاً
ذا لسان وبلاغة وبيان وعلم بالعلوم اللسانية والشرعية ، ولى قضاء مدينة
لرية بأخرة من عمره سنة ٥٤٦ ، ولد بمدينة بلنسية سنة ٤٧٩ وتوفي
بها سنة ٥٥٢ . والده أبو عبد الله محمد بن أحمد البقساني كان ذا علم
ومعرفة بالطب ، وتوفي سنة ٥٣٠ . « أحمد يوسف نجاتي » .
(٤) يريد أنه يكون عاطلاً ضائعاً يبيء الحال بأئسا لا يجد عملاً ولا مأوى .

« وَمِنْ فَوَائِدِ الْبَاجِي » أَنَّهُ حَكِيَ أَنَّ الطَّلَبَةَ كَانُوا
يَنْتَابُونَ^(١) مَجْلِسَ أَبِي عَلِيٍّ الْبَغْدَادِيِّ ، وَاتَّفَقَ أَنْ كَانَ يَوْمُ
مَطَرٍ وَوَحَلٍ ، فَلَمْ يَحْضُرْ مِنْ الطَّلَبَةِ سِوَى وَاحِدٍ ، فَلَمَّا
رَأَى الشَّيْخُ حِرْصَهُ عَلَى الْإِشْتَغَالِ ، وَإِتْيَانَهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ
أَنْشَدَهُ :

دَيْتُ لِلْمَجْدِ وَالسَّاعُونَ قَدْ بَلَّغُوا
حَدَّ النُّفُوسِ وَالْقَوَا دُونَهُ الْأُزُرَا^(٢)
وَكَابَدُوا الْمَجْدَ حَتَّى مَلَّ أَكْثَرُهُمْ
وَعَانَقَ الْمَجْدَ مَنْ وَافَى وَمَنْ صَبَّرَا
لَا تَحْسَبِ الْمَجْدَ ثَمَرًا أَنْتَ آكِلُهُ
لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبْرَا
أُنْتَهَى .

وَرَوَى عَنِ الْقَاضِي أَبِي الْوَلِيدِ الْبَاجِي - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -
الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ قَوْلَهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

(١) يترددون عليه ويختلفون اليه (٢) جمع ازار، يريد أنهم ملوا السعى
وتعبوا

إِذَا كُنْتُ أَعْلَمُ عِلْمَ الْيَقِينِ
بِأَنَّ جَمِيعَ حَيَاتِي كَسَاةٌ
فَلِمَ لَا أَكُونُ ضَنِينًا^(١) بِهَا
وَأَجْعَلُهَا فِي صَلَاحٍ وَطَاعَةٍ ؟
وَقَدْ ذَكَرْنَاهُمَا فِيمَا يَأْتِي قَرِيبًا مِنْ كَلَامِ الْفَتْحِ
لِكُونِنَا ثَقَلْنَا كَلَامَهُ بِلَفْظِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - وَرَضِيَ عَنْهُ -
وَقَالَ فِي الْقَلَائِدِ فِي حَقِّ الْبَاجِيٍّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -
مَاصُورَتُهُ : بَذَرُ الْعُلُومِ اللَّائِيحُ ، وَقَطْرُهَا الْغَادِي الرَّائِحُ ،
وَتَبِيرُهَا^(٢) الَّذِي لَا يُزْحَمُ ، وَمُنِيرُهَا الَّذِي يَنْجَلِي بِهِ لَيْلُهَا
الْأَسْحَمُ^(٣) ، كَانَ إِمَامَ الْأَنْدَلُسِ الَّذِي تُقْتَبَسُ أَنْوَارُهُ ،
وَتُنْتَجَعُ^(٤) نُجُودُهُ وَأَغْوَارُهُ ، رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ فَعَكَفَ

(١) بخيلا غير مفرط (٢) نير جبل من أعظم جبال مكة المكرمة بينها وبين
عرفة ، وفيه يقول العرجي :

وما أنس ملاءميا لأنس قولها لنا ولها بالسفح دون نير
ولا قولها وهنا وقد سمحت لنا سوابق دمع لا يحف غزير
أأنت الذي خبرت أنك باكر غداة غد أورانح بهجير ؟
فقلت يسير بعض يوم بغية وما بعض يوم غيبة يسير
(٣) من السحمة وهي شدة السواد ، وانجلي : انكشف ظلامه (٤) تقصد
وأصله من النجمة وهي طلب الكلاء والعشب في مواضعه «أحمد يوسف نجاتي»

عَلَى الطَّلَبِ سَاهِرًا ، وَقَطَفَ مِنَ الْعِلْمِ أَزَاهِرًا ، وَتَفَنَّنَ فِي
 اقْتِنَائِهِ ، وَثَنَى إِلَيْهِ عِنَانُ اعْتِنَائِهِ ، حَتَّى غَدَا مَمْلُوءٌ الْوِطَابِ ^(١)
 وَعَادَ بَلَحُ طَلْبِهِ إِلَى الْإِرْطَابِ ، فَكَّرَ إِلَى الْأَنْدَاسِ بِحَرًّا
 لَا تُخَاضُ لُجَجُهُ ، وَفَجَّرَ لَا يُطْمَسُ مِنْهُجُهُ ، فَتَهَادَتُهُ الدُّوَلُ ،
 وَتَلَقَّتْهُ الْخَيْلُ وَالْخَوَلُ ، وَأَنْتَقَلَ مِنْ مَحْجَرٍ ^(٢) إِلَى نَاطِرٍ ،
 وَتَبَدَّلَ مِنْ يَانِعٍ بِنَاضِرٍ ، ثُمَّ اسْتَدْعَاهُ الْمُقْتَدِرُ بِاللَّهِ ^(٣) فَصَارَ
 إِلَيْهِ مُرْتَاخًا ، وَبَدَأَ بِأُفْقِهِ مُلْتَاخًا ^(٤) وَهُنَاكَ ظَهَرَتْ تَأَلُّفُهُ
 وَأَوْضَاعُهُ ، وَبَدَأَ وَخَذَهُ فِي سُبُلِ الْهُدَى وَإِضَاعُهُ ^(٥) وَكَانَ
 الْمُقْتَدِرُ يُبَاهِي بِأَنْحِيَاشِهِ ^(٦) إِلَى سُلْطَانِهِ ، وَإِشَارِهِ لِحَضْرَتِهِ
 بِاسْتِيطَانِهِ ، وَيَحْتَفِلُ فِيمَا يُرْتَبُهُ لَهُ وَيُجْرِيهِ ، وَيُنْزِلُهُ فِي
 مَكَانِهِ مَتَى كَانَ يُوَافِيهِ ، وَكَانَ لَهُ نَظْمٌ يُوقَفُ عَلَى ذَاتِهِ ،

(١) الوطاب: جمع وطب، وأصله سقاء اللبن أو الزقي يكون فيه السمن واللبن ،
 وهو جلد الجذع فما فوقه (٢) محجر العين: مدار بها وبدا من البرقع، أو هو
 ما يظهر من نقاب المرأة «والخول: الخدم والأتباع» يريد أنه انتقل من مرتبة
 عالية إلى مرتبة أعلى ، ومن منزلة إلى أعظم منها (٣) سبق التعريف به .
 (٤) لاح البدر والتاح: ظهر ساطعاً، وبدا مشرقاً (٥) الوخد والإيضاع:
 سرعة السير ، وفي القلائد « في سبل العلم » (٦) انحياشه: انسياقه إليه
 واقباله عليه ضد انحاش عنه إذا نفر وتقبض . « أحمد يوسف نجاتي »

وَلَا يُصْرَفُ فِي رَفْتٍ^(١) الْقَوْلِ وَبِدَاتِهِ ، « فَمِنْ ذَلِكَ » قَوْلُهُ
فِي مَعْنَى الزُّهْدِ :

إِذَا كُنْتُ أَعْلَمُ عِلْمَ الْيَقِينِ
بِأَنَّ جَمِيعَ حَيَاتِي كَسَاعَةٌ
فَلِمَ لَا أَكُونُ ضَنِينًا بِهَا

وَأَجْعَلُهَا فِي صَلَاحٍ وَطَاعَةٍ ؟
وَلَهُ يَرْتِي أُنْبِيَهُ - وَمَاتَا مُغْتَرِبَيْنِ ، وَغَرَبَا كَوَ كَيْنِ ،
وَكَانَا نَاطِرِي الدَّهْرِ ، وَسَاحِرِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ - :
رَعَى اللَّهُ قَبْرَيْنِ اسْتَكَانَا بِبَلَدَةٍ
هُمَا اسْكِنَاهَا فِي السَّوَادِ مِنَ الْقَلْبِ
لَيْنِ غُيَّبَا عَنْ نَاطِرِي وَتَبَوَّأَا

فُؤَادِي لَقَدْ زَادَ التَّبَاعُدُ فِي الْقُرْبِ^(٢)

(١) رَفْتُ الْقَوْلِ: الْفَحْشُ فِيهِ، يَرِيدُ شَعْرَ الْإِهْوَاءِ وَالْمَجُونِ، أَوِ الْهَجْوَ وَالْإِقْدَاعَ.
وَالْبِدَاءَ وَالْبَدَاءَ: قَوْلُ الْفَحْشِ وَاللَّغْوِ (٢) كَأَنَّهُ يَشِيرُ إِلَى مَعْنَى قَوْلِ أَبِي
الْحَسَنِ التَّهَامِيِّ فِي وَصْفِ الْقَبْرِ :

وَالشَّرْقُ نَحْوَ الْغَرْبِ أَقْرَبُ شَقَّةً مِنْ بَعْدِ تِلْكَ الْحَسَةِ الْأَشْبَارِ
وَأَصْلُهُ مِنْ قَوْلِ الْأَوَّلِ :

يَقْرَأُ بَعَيْنِي أَنْ أَزُورَ ثَرَاهُمَا
وَالصِّقَ مَكْنُونِ التَّرَائِبِ ^(١) بِالثُّرْبِ
وَأُنِكِي وَأُنِكِي سَا كِنِيهَا لَعَلَّنِي
سَأُنْجِدُ مِنْ صَحْبٍ وَأُسْعِدُ مِنْ سُجْبٍ ^(٢)
فَمَا سَاعَدَتِ وَرَقُ الْحَمَامِ أَخَا أَسَى
وَلَا رَوْحَتِ رِيحُ الصَّبَا عَنْ أَخِي كَرْبٍ ^(٣)
وَلَا أَسْتَعِذُّ بِتَعِينَايَ بَعْدَهُمَا كَرَّى ^(٤)
وَلَا ظَمِئْتُ نَفْسِي إِلَى الْبَارِدِ الْعَذْبِ
أَحِنُّ، وَيَتْنِي الْيَأْسُ نَفْسِي عَنْ الْأَسَى ^(٥)
كَمَا اضْطُرَّ فَحْمُولٌ عَلَى الْمَرْكَبِ الصَّغْبِ
وَلَهُ يَرِثُنِي ابْنَةُ مُحَمَّدًا :

يقولون لا تبعدهم يدفنوتني وأين مكان البعد الا مكانيا؟!
وقول الآخر :

أأبى لا تبعد ، وأيس بخالد حي ، ومن تصب المنون بعيد

(١) الترائب : عظام الصدر ، والمكنون : الستور (٢) أسعده اذا أعانه على
البكاء (٣) الورق جمع ورقاء وهي الحمامة . والورقة لون يضرب الى الغبرة .
وروح عنه اذا فرج وأحان حتى وجد راحته . (٤) الكرى : النوم
(٥) الأسى : الحزن . وثناه اذا صرفه ومنعه « أحمد يوسف نجاشي »

أُمَحَمَّدًا إِنْ كُنْتُ بِعَدِكَ صَابِرًا
 صَبْرَ السَّلِيمِ لِمَا بِهِ لَا يَسْلَمُ ^(١)
 وَرَزَيْتُ ^(٢) قَبْلَكَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
 وَلَرَزْوُهُ أَذْهَى لَدَى وَأَعْظَمُ
 فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنِّي بِكَ لَاحِقٌ
 مِنْ بَعْدِ ظَنِّي أَنِّي مُتَقَدِّمُ ^(٣)
 لِلَّهِ ذِكْرُهُ لَا يَزَالُ بِخَاطِرِي
 مُتَصَرِّفٌ فِي صَبْرِهِ مُتَحَكِّمُ
 فَإِذَا نَظَرْتُ فَشَخْصُهُ مُتَخَيِّلُ
 وَإِذَا أَصَحْتُ ^(٤) فَصَوْتُهُ مُتَوَهِّمُ
 وَبِكُلِّ أَرْضٍ لِي مِنْ أَجْلِكَ لَوْعَةٌ
 وَبِكُلِّ قَبْرِ وَقْفَةٍ وَتَلَوُّمُ ^(٥)

(١) السليم هنا بمعنى اللديغ، سعى سليماً تفاؤلاً بشفائه وسلامته (٢) الرزء:
 المصيبة العظيمة (٣) من قول إبراهيم بن المهدي في مراثيته لابنه :
 واني وان قدمت قبلي لعالم بأني وان أخرت منك قريب
 (٤) أصحنت : استمعت وأصغيت (٥) التلوم : التريث والانتظار والمكث

فَإِذَا دَعَوْتُ سِوَاكَ حَادَ عَنِ اسْمِهِ

وَدَعَاهُ بِاسْمِكَ مُعْوِلٌ بِكَ مُغْرَمٌ ^(١)

حُكْمُ الرَّدَى وَمَنَاهِجٌ قَدْ سَنَّا

لِأُولَى النُّهَى وَالْحُزْنَ قَبْلُ مُتَمِّمٌ ^(٢)

انْتَهَى

وَلَعَمْرِي إِنَّهُ لَمْ يُوفِّ الْقَاضِيَ أَبَا الْوَلِيدِ الْبَاجِيَّ

حَقَّهُ الْوَاجِبَ الْمُفْتَرَضَ ، وَوَدِدْتُ أَنَّهُ مَدَّ النَّفْسَ فِي

تَرْجُمَتِهِ بِعِبَارَةٍ يَعْتَرِفُ بِبِرَاعَتِهَا مَنْ سَلَّمَ لَهُ وَمَنْ أَعْتَرَضَ،

فَإِنَّ تَرْجَمَةَ الْمَذْكُورِ مِمَّا سَطَّرَهُ أَفْسَحُ مَجَالًا ، وَأَفْصَحُ

رَوِيَّةً وَأَرْتَجَا لًا . وَبِالْجُمْلَةِ فَهُوَ أَحَدُ الْأَغْلَامِ بِالْأَنْدَلُسِ .

وَهُوَ سُلَيْمَانُ بْنُ خَلْفِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَيُّوبَ بْنِ وَارِثِ

الشُّجَيْبِيِّ ، وَذَكَرَهُ ابْنُ بَسَّامٍ فِي الذَّخِيرَةِ ، وَأَبْنُ خُلِّكَانَ

(١) أعول إذا رفع صوته بالبكاء، وفي القلائد «مقول» أي لسان : يريد أن

اسمه لا يزال جاريا على لسانه حتى أنه إذا دعا شخصا عدل لسانه عن اسمه

إلى اسم ابنه المتوفى (٢) يشير إلى قول متمم بن نويرة في رثائه أخاه مالكا :

وقالوا أتبكي كل قبر رأيتَه لقبر ثوى بين اللوى والد كادك

فقلت لهم ان الأمى يبعث الأمى دعوني فهذا كله قبر مالك

ومالك غير ذلك في هذا المعنى من رثائه أيضا . « أحمد يوسف نجاشي »

وغير واحد . وأصله من بطلْيوس ، وانتقل جدّه إلى
 بآجة قرب إشبيلية ، وليس هو من بآجة القيروان - ومولده
 سنة ثلاث وأربعمائة ، ورحل سنة ست وعشرين وأربعمائة
 فقدم مصر وسمع بها ، وأجر نفسه ببغداد لحراسة الدروب
 وكان لما رجع إلى الأندلس يضرب ورق الذهب ، ويعقد
 الوثائق ، إلى أن فشا لمة ، وتهيأت له الدنيا . وشهرته
 تغني عن وصفه ، ومن نظم قوله :

ما طال عهدي بالديار ، وإنما

أنسى معاهدها أسي وتبلد

لو كنت أنبات الديار صبايتي

رق الصفا بفنائها وأجلمد^(١)

وله في المعتضد عبّاد والد المعتد :

عبّاد أستعبد البرايا بأنعم تبلغ النعائم^(٢)

مديحه ضمن كل قلب حتى تغنت به الحمام

(١) الجلمد : الحجر من الصخر الصم ، والصفا جمع صفاة وهي الصخرة
 المساء الصلبة . والصبابة : رقة الشوق . (٢) النعائم : منزلة من منازل القمر

وَمِنْ أَشْهَرِ نَظْمِهِ قَوْلُهُ * إِذَا كُنْتُ أَعْلَمُ * الْبَيْتَيْنِ ،
وَقَدْ سَبَقَا . وَمِمَّنْ ذَكَرَهُ أَيْضًا الْحَجَّارِيُّ فِي الْمُسْتَهَبِ ، وَأَبْنُ
بَشْكُوَالٍ فِي الصَّلَةِ ، وَأَنَّهُ حَجَّ أَرْبَعَ حَجَجٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ
تَعَالَى . وَتُوفِّيَ فِي الْمَرِيَّةِ لِإِحْدَى عَشْرَةِ لَيْلَةٍ بَقِيَتْ مِنْ
رَجَبٍ - وَقِيلَ لَيْلَةُ الْخَمِيسِ تَاسِعَ رَجَبٍ ، وَقِيلَ تَاسِعَ عَشَرَ
صَفَرٍ - سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . وَمِنْ تَوَالِيْفِهِ الْمُتَقَى
فِي شَرْحِ الْمُوْطَأِ ، ذَهَبَ فِيهِ مَذْهَبُ الْاجْتِهَادِ وَإِرَادِ الْحَجَجِ ،
وَهُوَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى تَبَحُّرِهِ فِي الْعُلُومِ وَالْفُنُونِ . وَلَمَّا قَدِمَ مِنَ
الْمَشْرِقِ إِلَى الْأَنْدَلُسِ بَعْدَ ثَلَاثَةِ عَشَرَ عَامًا وَجَدَ مُلُوكَ
الطَّوَائِفِ أَحْزَابًا مُفْتَرِقَةً ، فَشَى بَيْنَهُمْ فِي الصُّلْحِ - وَهُمْ
يُجِلُّونَهُ فِي الظَّاهِرِ ، وَيَسْتَثْقِلُونَهُ فِي الْبَاطِنِ ، وَيَسْتَبْرِدُونَ
نَزْعَتَهُ - وَلَمْ يُفِذْ شَيْئًا ، فَاللَّهُ تَعَالَى يُجَازِيهِ عَنْ نِيَّتِهِ . وَلَمَّا نَظَرَ
أَبْنُ حَزْمٍ قَالَ لَهُ الْبَاجِيُّ : أَنَا أَكْظَمُ مِنْكَ هِمَّةً فِي طَلَبِ
الْعِلْمِ ، لِأَنَّكَ طَلَبْتَهُ وَأَنْتَ مُعَانٌ عَلَيْهِ ؛ تَسْهَرُ بِمَشَاكَةِ الذَّهَبِ ،

وهي ثمانية أنجم كأنها سرير معوج أربعة خارجة وتسمى صادرة ، وأربعة
في الهجرة وتسمى واردة ، وأربع كواكب مربعة في طرف الهجرة ، وهي
شامية . « أحمد يوسف نحاس »

وَطَلَبْتُهُ وَأَنَا أَشْهَرُ بِقِنْدِيلٍ بَائِتِ السُّوقِ ، فَقَالَ ابْنُ حَزْمٍ
هَذَا الْكَلَامُ عَلَيْكَ لَا لَكَ ، لِأَنَّكَ إِنَّمَا طَلَبْتَ الْعِلْمَ وَأَنْتَ
فِي تِلْكَ الْحَالِ رَجَاءُ تَبْدِيلِهَا بِمِثْلِ حَالِي ، وَأَنَا طَلَبْتُهُ فِي حِينِ
مَا تَعَلَّمْتُ وَمَا ذَكَرْتُهُ ، فَلَمْ أَرْجُ بِهِ إِلَّا عُلُوَّ الْقَدْرِ الْعِلْمِيِّ فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فَأَفْجَمَهُ . قَالَ عِيَاضٌ قَالَ لِي أَصْحَابُهُ : كَانَ
يَخْرُجُ إِلَيْنَا لِلِإِقْرَاءِ وَفِي يَدِهِ أَثَرُ الْمِطْرَقَةِ ، إِلَى أَنْ فَشَا عِلْمُهُ
وَنَوَّهَتْ^(١) الدُّنْيَا بِهِ ، وَعَظُمَ جَاهُهُ ، وَأُجْزِلَتْ صَلَاتُهُ ، حَتَّى
مَاتَ عَنْ مَالٍ وَافِرٍ ، وَكَانَ يَسْتَعْمِلُهُ الْأَعْيَانُ فِي تَرْسُلِهِمْ ، وَيَقْبَلُ
جَوَائِزَهُمْ ، وَوَلِيَ الْقَضَاءَ بِمَوَاضِعَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ .

« وَأَبْنُ حَزْمٍ الْمَذْكُورُ » هُوَ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ حَزْمٍ
الظَّاهِرِيُّ ، قَالَ ابْنُ حَيَّانَ وَغَيْرُهُ : كَانَ ابْنُ حَزْمٍ صَاحِبَ
حَدِيثٍ وَفَقْهٍ وَجَدَلٍ ، وَلَهُ كُتُبٌ كَثِيرَةٌ فِي الْمَنْطِقِ
وَالْفَلَسَفَةِ لَمْ يَخْلُ فِيهَا مِنْ غَلَطٍ ، وَكَانَ شَافِعِيَّ الْمَذْهَبِ

محمد بن حزم
الظاهري

(١) نوه به اذا شهره ورفع ذكره . « أحمد يوسف نجاتي »

يُنَاصِلُ^(١) الْفُقَهَاءَ عَنْ مَذْهَبِهِ ، ثُمَّ صَارَ ظَاهِرِيًّا ، فَوَضَعَ
الْكِتَابَ فِي هَذَا الْمَذْهَبِ ، وَثَبَتَ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ مَاتَ ،
وَكَانَ لَهُ تَعَلُّقٌ بِالْأَدَبِ ، وَشَنَعَ عَلَيْهِ الْفُقَهَاءُ ، وَطَعَنُوا فِيهِ
وَأَقْصَاهُ الْمُلُوكُ ، وَأَبْعَدُوهُ عَنْ وَطَنِهِ . وَتُوفِّيَ بِالْبَادِيَةِ عَشِيَّةَ
يَوْمِ الْأَحَدِ لِلْيَلَّتَيْنِ بَقِيَّتَا مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ سِتٍّ وَخَمْسِينَ
وَأَرْبَعِمِائَةٍ . قَالَ صَاعِدٌ فِي تَارِيخِهِ : كَانَ ابْنُ حَزْمٍ أَجْمَعَ أَهْلِ
الْأَنْدَلُسِ قَاطِبَةً لِعُلُومِ الْإِسْلَامِ ، وَأَوْسَعَهُمْ مَعْرِفَةً ، مَعَ تَوْسِعِهِ
فِي عِلْمِ اللِّسَانِ وَالْبَلَاغَةِ وَالشَّعْرِ وَالسِّيَرِ وَالْأَخْبَارِ ، أَخْبَرَنِي
ابْنُهُ الْفَضْلُ^(٢) أَنَّهُ اجْتَمَعَ عِنْدَهُ بِحِطِّ أَبِيهِ مِنْ تَوَالِيْفِهِ نَحْوُ
أَرْبَعِمِائَةٍ مُجَلَّدٍ ، نَقَلَهُ عَنْ تَارِيخِ صَاعِدِ الْحَافِظِ الذَّهَبِيِّ . قَالَ
الذَّهَبِيُّ : وَهُوَ الْعَلَّامَةُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ
حَزْمِ بْنِ غَالِبِ بْنِ صَالِحِ الْأَمْوِيِّ مَوْلَاهُمُ الْفَارِسِيُّ الْأَصْلُ
الْأَنْدَلُسِيُّ الْقُرْطُبِيُّ الظَّاهِرِيُّ صَاحِبُ الْمُصَنَّفَاتِ ، وَأَوَّلُ
سَمَاعِهِ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَكَانَ إِلَيْهِ الْمُنْتَهَى فِي

(١) أى يجادل (٢) هو أبو رافع الفضل بن علي بن أحمد بن سعيد بن
حزم القرطبي روى عن أبيه وغيره، وكان ذا أدب ونباهة ويقظة وذكاء
وتوفي بالزلاقة سنة ٤٧٩ . « أحمد يوسف نجاتي » .

الذكاء وحِدَّةُ الذَّهْنِ ، وَسَعَةُ الْعِلْمِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ
وَالْمَذَاهِبِ وَالْمِلَلِ وَالنَّحْلِ^(١) وَالْعَرَبِيَّةِ وَالْأَدَبِ وَالْمَنْطِقِ
وَالشَّعْرِ ، مَعَ الصَّدَقِ وَالِدَيَّانَةِ وَالْحِشْمَةِ وَالشُّودِدِ وَالرِّيَّاسَةِ
وَالثَّرْوَةِ وَكَثْرَةِ الْكُتُبِ . قَالَ الْغَزَالِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -
وَجَدْتُ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى كِتَابًا لِأَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ حَزْمٍ يَدُلُّ
عَلَى عِظَمِ حِفْظِهِ وَسَيَلَانِ ذِهْنِهِ . أَنْتَهَى بِاخْتِصَارٍ .

وَعَلَى الْجُمْلَةِ فَهُوَ نَسِيجٌ وَحْدِهِ لَوْلَا مَا وُصِفَ بِهِ مِنْ
سُوءِ الْإِعْتِقَادِ ، وَالْوُقُوعِ فِي السَّلَفِ الَّذِي أَثَارَ عَلَيْهِ الْإِنْتِقَادَ
- سَامَحَهُ اللَّهُ تَعَالَى - . وَذَكَرَ الذَّهَبِيُّ أَنَّ عُمُرَهُ اثْنَتَانِ
وَسَبْعُونَ سَنَةً ، وَهُوَ لَا يُنَافِي قَوْلَ غَيْرِهِ إِنَّهُ كَانَ عُمُرُهُ
إِحْدَى وَسَبْعِينَ سَنَةً وَعَشْرَةَ أَشْهُرٍ ، لِأَنَّهُ وُلِدَ - رَحِمَهُ اللَّهُ
تَعَالَى - بِقَرْطَبَةِ الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ فِي رَبْضِ مُنِيَّةِ الْمَغِيرَةِ
قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَبَعْدَ سَلَامِ الْإِمَامِ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ
آخِرَ لَيْلَةِ الْأَرْبَعَاءِ آخِرِ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ أَرْبَعٍ
وَتَمَانِينَ وَثَلَاثِينَ بِطَالِعِ الْعَقَرَبِ . وَتُوفِّيَ لِيَوْمَيْنِ بَقِيَا

(١) النحل جمع نحلة : الطريقة وما ينتحله الانسان من عمل أوراى .

مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . وَكَانَ كَثِيرَ
الْمُوَاطَّاةِ عَلَى التَّأْلِيفِ ، وَمِنْ جُمْلَةِ تَأْلِيفِهِ كِتَابُ الْفِصْلِ بَيْنَ
أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالنَّحْلِ ، وَكِتَابُ الصَّادِعِ وَالرَّادِعِ عَلَى مَنْ
كَفَرَ أَهْلَ التَّأْوِيلِ مِنْ فِرْقِ الْمُسْلِمِينَ ، وَالرَّدُّ عَلَى فِرْقِ
التَّقْلِيدِ . وَكِتَابُ شَرْحِ حَدِيثِ الْمُوَطَّأِ وَالْكَلَامِ عَلَى
مَسَائِلِهِ . وَكِتَابُ الْجَامِعِ فِي صَحِيحِ الْحَدِيثِ بِاخْتِصَارِ
الْأَسَانِيدِ وَالْإِقْتِصَارِ عَلَى أَصَحِّهَا . وَكِتَابُ التَّلْخِصِ
وَالْتَّخْلِصِ فِي الْمَسَائِلِ النَّظَرِيَّةِ وَفُرُوعِهَا الَّتِي لَا نَصَّ
عَلَيْهَا فِي الْكِتَابِ وَالْحَدِيثِ . وَكِتَابُ مُنْتَقَى الْأَجْمَاعِ
وَبَيَانُهُ مِنْ جُمْلَةِ مَا لَا يُعْرَفُ فِيهِ اخْتِلَافٌ . وَكِتَابُ
الْإِمَامَةِ وَالْخِلَافَةِ فِي سِيرِ الْخُلَفَاءِ وَمَرَاتِبِهَا وَالنَّدَبِ وَالْوَأَجِبِ
مِنْهَا . وَكِتَابُ أَخْلَاقِ النَّفْسِ . وَكِتَابُ الْإِيصَالِ إِلَى فَهْمِ
كِتَابِ الْخِصَالِ . وَكِتَابُ كَشْفِ الْإِلْتِبَاسِ ، مَا بَيْنَ
أَصْحَابِ الظَّاهِرِ وَأَصْحَابِ الْقِيَّاسِ . انْتَهَى .

وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ فِي حَقِّ ابْنِ حَزْمٍ مَا مُلَخَّصُهُ : الْوَزِيرُ

الْعَالِمُ الْخَافِظُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَلِيُّ بْنُ الْوَزِيرِ أَبِي عُمَرَ أَحْمَدُ بْنُ
سَعِيدِ بْنِ حَزْمٍ الْفَارِسِيُّ، وَشُهْرَتُهُ تُغْنِي عَنْ وَصْفِهِ، وَتُوفِّيَ
مَنْفِيًّا بِقَرْيَةٍ مِنْ بَلَدِهِ لَبْلَةَ^(١). وَوَصَلَهُ مِنْ ابْنِ عَمِّهِ
أَبِي الْمُغِيرَةِ^(٢) رِسَالَةٌ فِيهَا مَا أَوْجَبَ أَنْ جَاوَبَهُ بِهَذِهِ
الرِّسَالَةِ، وَهِيَ: سَمِعْتُ وَأَطَعْتُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى « وَأَعْرِضْ
عَنِ الْجَاهِلِينَ » وَأَسْلَمْتُ وَأَنْقَذْتُ لِقَوْلِ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ « صِلْ مَنْ قَطَعَكَ وَأَعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ » وَرَضِيتُ
بِقَوْلِ الْحُكَمَاءِ « كَفَاكَ أَنْتِصَارًا مِمَّنْ تَعَرَّضَ لِأَذَاكَ
إِعْرَاضُكَ عَنْهُ » وَأَقُولُ:

تَتَّبَعُ سِوَايَ أَمْرًا يَبْتَغِي سِبَابَكَ، إِنَّ هَوَاكَ السَّبَابُ
فَإِنِّي أَتَيْتُ طِلَابَ السِّفَاهِ وَنَزَّهْتُ عِرْضِي عَمَّا يُعَابُ

(١) لبله: (Niebla) كانت قصبة كورة بالأندلس كبيرة غرب قرطبة
برية بحرية غزيرة المضائل والتمر والزرع والشجر، وسبق القول فيها،
وكانت لبله وطن بني الجد الفهريين « وتقدم التعريف بهم » ثم نزحوا
إلى مالقة فإلى أشبيلية، ثم فارقوا الأندلس إلى المغرب، فنزلوا بمدينة فاس
وكان اسم « لبله » عند الرومان « ايليبوله » وقد نطق العرب بها قريبا
من النطق الروماني القديم (٢) سبق التعريف به وهو عبد الوهاب بن
أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن حزم وكان شاعرا أدبيا بليغا توفي
بعسكر ابن ذي النون صاحب طليطلة سنة ٤٣٨ هـ. « أحمد يوسف نجاتي »

وَقُلْ مَا بَدَأَ لَكَ مِنْ بَعْدِ ذَا
وَأَكْثَرُ، فَإِنْ سَكُوتِي خِطَابٌ^(١)
وَأَقُولُ :

كَفَانِي بِذِكْرِ النَّاسِ لِي وَمَا ثَرِي
وَمَالِكَ فِيهِمْ يَا بَنَ عَمِّي ذَا كِرْ
عَدُوِّي وَأَشْيَاعِي كَثِيرٌ، كَذَلِكَ مَنْ
غَدَا وَهُوَ تَقَاعُ الْمَسَاعِي وَضَائِرُ
وَإِنِّي - وَإِنْ آذَيْتَنِي وَعَقَّقْتَنِي -
لَمْ أُحْتَمِلْ مَا جَاءَنِي مِنْكَ صَابِرٌ^(٢)

(١) من أحسن ما قيل في هذا المعنى :

أني ليهجرني الصديق تبجنا فأريه أن لهجره أسبابا
وأزاه أن عاتبه أغريته فيكون تركي للعتاب عتابا
وإذا بليت بجاهل متحكّم يجد الحال من الأمور صوابا
أوليته مني السكوت ، وربما كان السكوت عن الجواب جوابا

(٢) في مثل ذلك يقول بعض الأدباء :

كم من عدو لم يراع قرابة تغلى مراجل صدره من حقه
أدنته أرحام إلى وشيجة فرصت أن يهدي السبيل لرشده
أغضيت جفني من أذاه على قذى وترك سيف عقابه في غمده
وصفحت عنه أرتحى إصلاحه حتى استقام فقلت صافي وده
وكم يقاسى النابه من بعض قرابته . والحكيم يحسن مداراتهم
« أحمد يوسف نجاتي »

فَوَقَعَ لَهُ أَبُو الْمَغِيرَةِ عَلَى ظَهْرِ رُقْعَتِهِ : قَرَأْتُ هَذِهِ
الرُّقْعَةَ الْعَاقَةَ ، فَحِينَ اسْتَوْعَبْتُهَا أَنْشَدْتَنِي :

نَحْنَحَ زَيْدٌ وَسَعَلٌ لَمَّا رَأَى وَقَعَ الْأَسَلِ
فَارَدْتُ قَطْعَهَا ، وَتَرَكْتُ الْمُرَاجَعَةَ عَنْهَا ، فَقَالَتْ لِي نَفْسُ
قَدْ عَرَفْتُ مَكَانَهَا : بِاللَّهِ لَا قَطَعْتُهَا إِلَّا يَدُهُ ، فَأَثْبِتْ عَلَى
ظَهْرِهَا مَا يَكُونُ سَبَبًا إِلَى صَوْنِهَا ، فَقُلْتُ :

نَعَقْتُ وَلَمْ تَذَرِ كَيْفَ الْجَوَابُ
وَأَخْطَأْتُ حَتَّى أَتَاكَ الصَّوَابُ ؟

وَأَجَرَيْتَ وَحَدَكَ فِي حَلْبَةٍ

نَأَتْ عَنْكَ فِيهَا الْجِيَادُ الْعَرَابُ^(١)

وَبِتَّ مِنَ الْجَهْلِ مُسْتَنْبِحًا بَغِيرِ قَرَى فَأَتَيْتُكَ الذُّنَابُ^(٢)

(١) يشير الى المثل « كل مجر بالحلاء يسر » وقالوا خيل عراب : أى منسوبة
إلى العرب « يعنى أنها كرام جياذ » فرقوا بين الخيل والناس ، فقالوا فى
الناس عرب وأعراب ، وفى الخيل عراب (٢) و يروى :

وبت من الجهل مستنبحا بغير قرى . . . الخ

يقال استنبح الكاب إذا كان فى مضلة فأخرج صوته على مثل نباح
الكاب ليسمعه الكاب فيتوهمه كلبا فينبع بجيباله فيستدل بنباحه
فيهتدى . ومن المجاز نبحتنى كلابه إذا لحقتنى شئامه ، ونبع الشاعر : إذا
هجا . وقرى الضيف ما يقدم له من طعام ، يقول انه عرض نفسه لالسنة
من هم أقوى منه بدون سبب جهلا منه وقلة حزم «أحمد يوسف تيجانى»

فَكَيْفَ تَبَيَّنْتَ عُقْبَى الظُّلُومِ
 إِذَا مَا اتَّقَضْتَ بِالْخَمِيسِ الْعُقَابُ^{(١)؟}
 لَعَمْرِي مَالِي طِبَاعٌ تَذُمُّ
 وَلَا شِيْمَةٌ يَوْمَ مَجْدٍ تُعَابُ
 أُنَيْلُ أَلْمَنِ وَالظُّبَا سَخَطُ
 وَأَعْطَى الرِّضَاوَالْعَوَالِي غَضَابُ^(٢)
 وَأَقُولُ :

وَعَاصِبِ حَقٍّ أَوْبَقَّتُهُ الْمَقَادِرُ
 يَذْكَرُنِي حَامِيمَ وَالرُّمَحُ شَاجِرُ^(٣)

(١) الخميس : الجيش لأنه عندهم مركب من خمس فرق ، والعقاب : الطائر المعروف ، وهو من عتاق الطير وجوارحه ، وهي تتبع القتلى كما هو معروف
 (٢) يريد بالظبا : السيوف ، وبالعوالي الرماح (٣) أوبقه : أهلكه ، وشجر الشئ : إذا اشتبك واتصل . والبيت مأخوذ من قول شريح بن أوفى العبسي يذكرني حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم ؟
 وينسب البيت أيضا للأشتر النخعي ، والضمير في « يذكرني » يعود على محمد بن طلحة بن عبيد الله قتل سنة ٣٦ قتل الأشتر أو شريح في حرب سيدنا علي ومعاوية رضي الله عنهما ، ومربى على صريعا فنزل ونقض التراب عن وجهه وقال : هذا قتله بره بأبيه . وخلاصة حادثته هذه أنه أخذ بزمام الجمل وقال للسيدة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : يا أمه : مريني بأمرك ، قالت : أمرك أن تكون كخير بني آدم ان تركت ، فحمل ، فجعل لا يحمل عليه أحد (١٤ - نفح الطيب - سادس)

غَدَا يَسْتَعِيرُ الْفَخْرَ مِنْ خِيَمِ خَصْمِهِ
وَيَجْهَلُ أَنَّ الْحَقَّ أَبْلَجُ ظَاهِرٌ^(١)
أَلَمْ تَتَعَلَّمْ يَا أَخَا الظُّلْمِ أَنِّي
بِرَّغَمِكَ نَاهٍ مُنْذُ عَشْرِ وَآمِرٌ^(٢)؟!
تَذِلُّ لِي الْأَمْلاكَ حُرًّا نُفُوسَهَا
وَأَرْكَبُ ظَهَرَ النَّسْرِ وَالنَّسْرُ طَائِرٌ
وَأَبْعَثُ فِي أَهْلِ الزَّمَانِ شَوَارِدًا
تُلِينُهُمْ وَهِيَ الصَّعَابُ النُّوَافِرُ

ألا حمل عليه وهو يقول : حم لا ينصرون ، واجتمع عليه نفر ، فكلمهم
ادعى قتله «المكبر الأسدي» ، والمكبر الضبي ، ومعاوية بن شداد العبسي ،
أو أوفى بن شريح العبسي ، وعفان بن الأشقر النصري « فأنفذه بعضهم
بالرمح ، ففي ذلك يقول قاتله منهم :

وأشعث قوام بآيات ربه قليل الأذى فيما ترى العين مسلم
هتكت له بالرمح جيب قميصه فخر صريعا للبيدين وللفم
يذكرني حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم ؟!
على غير شيء غير أن ليس تابعا عليا ، ومن لا يتبع الحق يندم
وكان محمد بن طلحة يلقب السجاد لكثرة عبادته «أحمد يوسف نجاشي»

(١) الخيم الطبيعة ، وأبلج : واضح (٢) و يروى :

ألم تتعلم يا أخا الظلم أنني ابن عمك الخ .

فَإِنْ أَثَرٍ فِي أَرْضٍ فَإِنِّي سَأَتُّهُ
وَإِنْ أَنَا عَنْ قَوْمٍ فَإِنِّي حَاضِرٌ^(١)
وَحَسْبُكَ أَنَّ الْأَرْضَ عِنْدَكَ خَاتَمٌ
وَأَنَّكَ فِي سَطْحِ السَّلَامَةِ عَاثِرٌ
وَلَا لَوْمْ عِنْدِي فِي أَسْتِرَاحَتِكَ الَّتِي
تَنَفَّسْتَ عَنْهَا وَأَخْطُوبُ فَوَاقِرٌ^(٢)
فَإِنِّي لِلْحِلْفِ الَّذِي مَرَّ حَافِظٌ
وَلِلنَّزْعَةِ الْأُولَى بِحَامِيمٍ ذَاكِرٌ
هَنِيئًا لِكُلِّ مَا لَدَيْهِ ، فَإِنَّا
عَظِيَّةٌ مِنْ تُبْلَى لَدَيْهِ السَّرَائِرُ^(٣)
وَمِنْ شِعْرِ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ حَزْمٍ يُخَاطِبُ قَاضِيَ الْجَمَاعَةِ
بِقُرْطُبَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ بَشِيرٍ^(٤) :

(١) ثرى : أقام ، ونأى : غاب (٢) جمع فاقرة أى مهلكة قاصمة للظهر
(٣) تبلى : تكشف أو تختبر . والسرائر : ما أسرفى القلوب من العقائد
والنيات ، وما أخفى من الأعمال ، وفي القرآن الكريم « يوم تبلى السرائر »
فما له من قوة ولا ناصر « الخ (٤) كذا بالأصل ولعله « بشر » فأنى أظنه
يريد أبا الطرف عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد بن محمد بن بشر بن غرسية
ويعرف بابن الحصار ، كان قاضى الجماعة بقرطبة ، وكان ذا منزلة سامية وجاه

أَنَا الشَّمْسُ فِي جَوْ الْعُلُومِ مُنِيرَةٌ
 وَلَكِنَّ عَيْبِي أَنَّ مَطْلَعِي الْغَرْبُ
 وَلَوْ أَنَّي مِنْ جَانِبِ الشَّرْقِ طَالِعٌ
 لَجَدَّ عَلَى مَا ضَاعَ مِنْ ذِكْرِ النَّهْبِ
 وَلِي نَحْوُ آفَاقِ الْعِرَاقِ صَبَابَةٌ
 وَلَا غَرْوَ أَنْ يَسْتَوْحِشَ الْكَلِيفُ الصَّبُّ
 فَإِنْ يُنْزِلِ الرَّحْمَنُ رَحْلِي يَنْهَمُ
 فَحِينَئِذٍ يَبْدُو التَّأْسُفُ وَالْكَرْبُ
 فَكَمْ قَائِلٍ أَغْفَلَتْهُ وَهُوَ حَاضِرٌ
 وَأَطْلُبُ مَا عَنْهُ تَجِيءُ بِهِ الْكُتُبُ

عظيم وعلم بارع، مع الفضل والدين والذكاء واليقظة والافتنان في العلوم. بل هو آخر القضاة والجللة من العلماء، ولاءه على بن حمود القضاء سنة ٤٠٧ هـ فسار أحسن سيرة وأقوم طريقة، ولم يزل قاضيا مدة امرة على بن حمود الى أن توفي، وولى بعده أخوه القاسم بن حمود فأقره على القضاء، وجمع له معه الصلاة والخطبة، فلم يزل على ذلك الى آخر سنة ٤١٩ هـ فعزله المعتد بسعيايات ومطالبات. وكان مولده سنة ٣٦٤ هـ وتوفي سنة ٤٢٢ هـ وشهده الخليفة هشام بن محمد شائته كالشامت بموته قبله، فقل متاعه بالحياة بعده، عفا الله عنهما «أحمد يوسف نجاتي»

هُنَالِكَ يُدْرِي أَنَّ لِّلْبَعْدِ قِصَّةً
وَأَنَّ كِتَابَ الْعِلْمِ آفَتُهُ الْقُرْبُ
فَيَا عَجَبًا مَنْ غَابَ عَنْهُمْ تَشَوَّقُوا^(١)
لَهُ، وَدُنُّوا الْمَرْءَ مِنْ دَارِهِمْ ذَنْبُ
وَإِنْ مَكَانًا ضَاقَ عَنِّي لَضِيقٌ
عَلَى أَنَّهُ فِيحٌ مَهَامُهُ سَهْبٌ^(٢)
وَإِنْ رِجَالًا ضَيَّعُونِي لَضِيعٌ
وَإِنْ زَمَانًا لَمْ أَنْلِ خِصْبَةً جَدْبٌ^(٣)
وَمِنْهَا فِي الْإِعْتِدَارِ عَنْ مَدْحِهِ لِنَفْسِهِ^(٤) :

(١) أو « تشوفوا » بالفاء أى تطلعوا (٢) فيح جمع أفيح : أى واسع ،
والمهمه المفازة ، والسهب الفلاة ، وجمعه سهب ، والسهب : المستوى من
الأرض فى سهولة وسعة - وفى الأصل « فسيح » بدل « فيح » والمعنى
واحد « أحمد يوسف نجاتي » (٣) فى معنى بعض الآيات السابقة قول
أبى بكر بن بقی الأندلسى :

أقمت فيكم على الاقتار والعدم لو كنت حرا أبى النفس لم أقم
فلا حديقتكم يحبنى لها ثمر ولا سماؤكم تنهل بالديم
أنا امرؤان نبت بى أرض أندلس جئت العراق فقامت لى على قدم
ما العيش بالعلم الاحالة ضعفت وحرفة وكلت بالقعدد الهرم

وقديما قالوا : زامر الحى لا يطرب « أحمد يوسف نجاتي » .

(٤) فى الأصل « فى مدحه لنفسه » وفى معنى اعتذاره قول من يرى رأيه :

وَلَكِنَّ لِي فِي يُوسُفَ خَيْرَ أُسْوَةٍ
وَلَيْسَ عَلَيَّ مِنَ النَّبِيِّ اتُّتَسَى ذَنْبٌ^(١)
يَقُولُ - مَقَالَ الصَّدَقِ وَالْحَقِّ : إِنِّي
حَفِيزٌ عَلِيمٌ ، مَا عَلَى صَادِقٍ عَثْبُ
وَقَوْلُهُ :

لَا يَشْمَتَنَّ حَاسِدِي إِنْ نَكَبْتُ عَرَضْتُ
فَالْدَّهْرُ لَيْسَ عَلَيَّ حَالٍ بِمُتْرَكٍ
ذُو الْفَضْلِ كَالْتَّبَرِ ، يُلْقَى تَحْتَ مَتْرَبَةٍ
طَوْرًا ، وَطَوْرًا يُرَى تَاجًا عَلَى مَلِكٍ^(٢)
وَقَوْلُهُ لَمَّا أُخْرِقَ الْمُعْتَصِدُ بْنُ عَبَادٍ كُتْبَهُ بِإِسْبِيلِيَّةَ :
دَعُونِي مِنْ إِخْرَاقِ رَقٍّ وَكَاغِدٍ
وَقُولُوا بِلَعْلِمِ كَيْ يَرَى النَّاسُ مَنْ يَدْرِي^(٣)

وماذا على الانسان في مدح نفسه اذا لم يكن في قوله بكذوب
ويريد ابن حزم قول سيدنا يوسف عليه السلام فيما حكي تعالى عنه « قال
اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم » أحمد يوسف نجاتي
(١) اتتسى : اقتدى (٢) وىروى :

ذو الفضل كالتبرطورا تحت ميفعة وتارة في ذرا تاج على ملك
(٣) الرق : بالفتح : ما يكتب فيه وهو جلد رقيق ، ومنه قوله تعالى :

فَإِنْ تُحْرِقُوا الْقِرطَاسَ لَمْ تُحْرِقُوا الَّذِي
تَضَمَّنَهُ الْقِرطَاسُ ، بَلْ هُوَ فِي صَدْرِي
يَسِيرُ مَعِيَ حَيْثُ أُسْتَقَلَّتْ رِكَائِي
وَيَنْزِلُ إِنْ أُنْزِلَ ، وَيُدفَنُ فِي قَبْرِي ^(١)
وَقَوْلُهُ :

لَئِنْ أَصْبَحْتُ مُرْتَحِلًا بِشَخْصِي
فَقَلْبِي عِنْدَكُمْ أَبَدًا مُقِيمٌ
وَلَكِنْ لِلْعِيَانِ لَطِيفٌ مَعْنَى
لِذَا سَأَلَ الْمُعَايَنَةَ الْكَلِيمَ ^(٢)
وَقَوْلُهُ :

« في رق منشور » والكاغد : الورق . و يروى : وقولوا بعلمي .. (١) يقول :
ليس بعلم ما يعي القمطر ما العلم الا ما حواه الصدر
(٢) السكيم : سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام . وقد
كرر ابن حزم هذا المعنى في شعر آخر فقال :
يقول أخي : شجاك رحيل جسم وروحك ماله عنا رحيل
فقلت له : المعان مطمئن لذا طلب المعاينة الخليل
يريد قول سيدنا الخليل : « رب أرني كيف تحيي الموتى » الآية
« أحمد يوسف نجاتي » .

وَذِي عَذْلٍ فِيمَنْ سَبَانِي حُسْنُهُ
يُطِيلُ مَلَامِي فِي الْهَوَى وَيَقُولُ :
أَمِنْ أَجْلِ وَجْهِ لَاحَ لَمْ تَرَ غَيْرَهُ
وَلَمْ تَذَرِكَيْفَ الْجِسْمِ أَنْتَ عَلِيلٌ ^(١) ؟
فَقُلْتُ لَهُ : أَسْرَفْتَ فِي اللَّوْمِ فَاتَّيِدُ ^(٢)
فَعِنْدِي رَدٌّ لَوْ أَشَاءَ طَوِيلُ
أَلَمْ تَرَ أَنِّي ظَاهِرِيٌّ ، وَأَنِّي
عَلَى مَا أَرَى ^(٣) حَتَّى يَقُومَ دَلِيلُ
وَهُوَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَلِيُّ بْنُ أَبِي عُمَرَ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ
حَزْمِ بْنِ غَالِبِ بْنِ مَزِيدِ الْقُرْطُبِيِّ . قَالَ ابْنُهُ أَبُو رَافِعٍ
الْفَضْلُ : اجْتَمَعَ عِنْدِي بِخَطِّ أَبِي مِنْ تَوَالِيفِهِ نَحْوُ أَرْبَعِمِائَةٍ
مُجَلَّدٍ تَشْتَمِلُ عَلَى قَرِيبٍ مِنْ نَحْوِ ثَمَانِينَ أَلْفَ وَرَقَةٍ .
أَنْتَهَى . وَأَبُوهُ الْوَزِيرُ أَبُو عُمَرَ الْمَذْكُورُ ^(٤) كَانَ مِنْ

(١) و يروى :

أمن حسن وجه ... أنت قتييل

(٢) تمهل وتأن (٣) و يروى « على ما بدا » (٤) سبق التعريف به وكان
من البلاغة بمكان « أحمد يوسف نجاشي »

وَزَرَاءِ الْمَنْصُورِ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ ، وَتُوُفِّيَ كَمَا قَالَ ابْنُ حَيَّانَ
بِذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَكَانَ مَنْشَوُهُ
وَمَوْلِدُهُ بِقَرْيَةٍ تُعْرَفُ بِالزَّأْوِيَةِ ^(١) . وَحُكِيَ أَنَّ الْحَافِظَ
أَبَا مُحَمَّدٍ بْنَ حَزْمٍ قَصَدَ أَبَا عَامِرٍ بْنَ شَهِيدٍ فِي يَوْمٍ غَزِيرِ
الْمَطَرِ وَالْوَحَلِ شَدِيدِ الرِّيحِ ، فَلَقِيَهُ أَبُو عَامِرٍ ، وَأَعْظَمَ
قَصْدَهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ، وَقَالَ لَهُ : يَا سَيِّدِي مِثْلَكَ يَقْصِدُنِي
فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ ؟ فَأَنْشَدَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنَ حَزْمٍ بِدِيهَا :
فَلَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا دُونَكَ لُجَّةً

وَفِي الْجَوِّ صَعَقٌ دَائِمٌ وَخَرِيقٌ

لَسَهْلَ وَدَّى فِيكَ نَحْوُكَ مَسْلَكًا

وَلَمْ يَتَعَذَّرْ لِي إِلَيْكَ طَرِيقُ

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَزْمٍ أَنْشَدَنِي الْوَزِيرُ أَبِي فِي بَعْضِ

وَصَايَاهُ لِي :

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَعِيدًا فَلَا تَكُنْ

عَلَى حَالَةٍ إِلَّا رَضِيتَ بِدُونِهَا

(١) كانت من اقليم كشنوية غرب قرطبة يتصل عملها بعمل أشبونة غربا

وَهَذَا كَافٍ فِي فَضْلِ الْفَرْعِ وَالْأَصْلِ - رَحِمَ اللَّهُ
الْجَمِيعَ . قَالَ ابْنُ حَزْمٍ فِي « طَوْقِ الْحَمَامَةِ » : إِنَّهُ مَرَّ يَوْمًا
هُوَ وَأَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ^(١) صَاحِبُ الْإِسْتِيعَابِ بِسِكَّةِ
الْحُطَّائِينَ مِنْ مَدِينَةِ إِشْبِيلِيَّةَ ، فَلَقِيَهُمَا شَابٌّ حَسَنُ الْوَجْهِ
فَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ : هَذِهِ صُورَةٌ حَسَنَةٌ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو عُمَرَ
لَمْ نَرَ إِلَّا الْوَجْهَ ، فَلَعَلَّ مَا سَتَرْتَهُ الثِّيَابُ لَيْسَ كَذَلِكَ ،
فَقَالَ ابْنُ حَزْمٍ أَرْتَجَا لَا * وَذِي عَذَلٍ فِيمَنْ سَبَانِي حُسْنُهُ * ،
الْأَيَّاتُ الْمُتَقَدِّمَةُ . وَلِابْنِ حَزْمٍ أَيْضًا قَوْلُهُ :

لَا تَلْمَنِي لِأَنْ سُبِقْتُ لِحَظٍّ

فَاتِ إِذْرَا كُهُ ذَوِي الْأَلْبَابِ^(٢)

يَسْبِقُ الْكَلْبُ وَثْبَةً اللَّيْثِ فِي الْعَدِّ

و ، وَيَعْلُو النُّخَالُ فَوْقَ الْأَلْبَابِ^(٣)

(١) سبق التعريف به ، وكتاب طوق الحمامة طبع بمصر (٢) كان صدر
البيت في الأصل « لاتلمني لأن سبقة لحظ » وفي معنى البيتين :

ورب مליح لا يحب ، وضده تفيل منه العين والحد والفم

هو الحظ خذه ان أردت مسلما ولا تطلب التعليل فالأمر مبهم

(٣) النخال : ما يخرج من الدقيق عند غربلته ، والألباب : الخالص

منه . وفي هذا المعنى يقول ابن الرومي :

وَلَا بِي بَكْرٍ بِنِ مُفَوِّزٍ ^(١) جُزْءٍ يَرُدُّ فِيهِ عَلَى أَبِي مُحَمَّدٍ
أَبْنِ حَزْمٍ ، وَفِيهِ قَالَ مُعَرِّضًا :

يَا مَنْ تُعَانِي أُمُورًا لَنْ تُعَانِيَهَا

خَلَّ التَّعَانِي ، وَأَعْطَى الْقَوْسَ بَارِيَهَا

تَرَوِي الْأَحَادِيثَ عَنْ كُلِّ مُسَامَحَةٍ

وَإِنَّمَا لَمُعَانِيَهَا مَعَانِيَهَا

وَقِيلَ إِنَّهُ خَاطَبَ بِهِمَا بَعْضَ أَصْحَابِ ابْنِ حَزْمٍ :

« رَجِعْ إِلَى الْقَاضِي أَبِي الْوَلِيدِ الْبَاجِي » وَمِنْ نَظْمِهِ

قَوْلُهُ فِي مَرَثِيَّةٍ :

أَحِنُّ وَيَتْنِي الْيَأْسُ نَفْسِي عَلَى الْأَسَى

كَمَا اضْطُرُّ مَحْمُولًا عَلَى الْمَرْكَبِ الصَّعْبِ

دهر علا قدر الوضع به وغدا الشريف يحطه شرفه
كالبحر يرسب فيه لؤلؤه سفلا ، وتطفو فوقه جيفه

أما ترى البحر تعلو فوقه جيف وتستقر بأقصى قعره الدرر

(١) تقدم التعريف به ، وأخذ بيته من قول الشاعر :

يا باري القوس بريا ليس يحسنه لا تظلم القوس ، أعط القوس باريها

وَمِنْ جَيِّدِ نَظْمِهِ قَوْلُهُ :

أَسْرُوا عَلَى اللَّيْلِ الْبَهِيمِ سُرَاهِمُ

فَنَمَّتْ عَلَيْهِمْ فِي الشَّمَالِ شَمَائِلُ^(١)

(١) في معناه :

وأخفوا على تلك المطايا مسيرهم فتم عليهم في الظلام التباس
وأسروا : أخفوا وكنتموا ، والبهيم : الشديد الظلام ، والسرى : السير ليلا ، يريد
أن ربح الشمال تضوعت طيبا من أخلاقهم وسجايهم فوشت بهم ودلت
عليهم ، ونحوه :

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه وطيب تراب القبر دل على القبر
وقوله :

وحاولن كتمان الترحل في الدحا فتم بهن المسك لما تضوعا
وقوله :

إذا أبصرتك العين من بعد غاية فأوقعت شكافيك أثبتك القلب
ولو أن ركبا يعموك لقادهم نسيمك حتى يستدل بك الركب
وقال العرجي :

يوم يقول الرسول قد أذنت فأت على غير رقبة فلج
أقبلت أهوى إلى رحلهم أهدي إليها بريحها الأرج
وقال ابن سكرة الهاشمي :

أهلا وسهلا بمن زارت بلا عدة تحت الظلام ولم تحذر من العسس
تسترت بالدجا عمدا فما استترت وناب اشراقها ليلا عن القبس
ولو طواها الدجا عني لأظهرها برق اللثات وعطر النحر والنفس
والقول في هذا المعنى كثير وتقدم شيء منه « أحمد يوسف نجاتي »

مَتَى تَزْكُوا ثَاوِينَ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنَى
 بَدَتْ لِلْهُوَى بِالْمَازِمِينَ مَخَايِلُ^(١)
 فَلِلَّهِ مَا ضَمَّتْ مِنْى وَشِعَابُهَا
 وَمَا ضَمِنَتْ تِلْكَ الرُّبَا وَالْمَنَازِلُ
 وَلَمَّا اتَّقَيْنَا لِلْجِمَارِ وَأُبْرِزَتْ
 أَكْفٌ لَتَقْبِيلِ الْخَصَى وَأَنَامِلُ
 أَشَارَتْ إِلَيْنَا بِالْغَرَامِ مَحَاجِرُ
 وَبَاحَتْ بِهِ مَنَاجِسُومٌ نَوَاحِلُ^(٢)
 وَقَالَ الْبَاجِيُّ أَبُو الْوَلِيدِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى^(٣) - :

(١) الخيف والمأزمان من مواضع الحج وتقدم شرحهما «أحمد يوسف نجاني»

(٢) تقدم ذكر شيء مما قيل في هذا المعنى ، ومنه :

هل تذكرين اذ الركاب مناخة برحالها لوداع أهل الموسم

اذ نحن تخبرنا الحواجب بيننا مافي النفوس ونحن لم تسكلم

(٣) ومن شعر الباجي أيضا :

تبلغ من الدنيا بأيسر زاد فانك عنها راحل لمعاد

وغض عن الدنيا وزخرف أهلها جفونك، واكحلها بطيب سهاد

وجاهد عن الذات نفسك جاهدا فان جهاد النفس خير جهاد

وما هي الا دار لهو وفتنة وان قصارى أهلها لنفاد

مَضَى زَمَنُ الْمَكَارِمِ وَالْكَرَامِ
 سَقَاهُ اللَّهُ مِنْ صَوْبِ الْغَمَامِ
 وَكَانَ الْبِرُّ فَعْلًا دُونَ قَوْلٍ فَصَارَ الْبِرُّ نُطْقًا بِالْكَلَامِ
 وَذَيْلُهُ بَعْضُهُمْ بِقَوْلِهِ :
 وَزَالَ النُّطْقُ حَتَّى لَسْتَ تَلْقَى
 فَتَى يَسْخُو بِرَدِّ السَّلَامِ
 وَزَادَ الْأَمْرُ حَتَّى لَيْسَ إِلَّا
 سَخِيٌّ بِالْأَذَى أَوْ بِالْمَلَامِ

« وَمِنْهُمْ الْفَقِيهُ الْعَالِمُ الشَّهِيرُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ
 الْوَلِيدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَلْفِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ أَيُّوبَ الْفِهْرِيِّ
 الطَّرُطُوشِيِّ ، صَاحِبُ سِرَاجِ الْمُلُوكِ ، وَيُعْرَفُ بِابْنِ أَبِي
 رَنْدَقَةَ - بِالرَّاءِ الْمُهْمَلَةِ الْمَفْتُوحَةِ وَسُكُونِ الثُّونِ (١) - وَكَفَى

محمد بن الوليد
الفهرى

(١) في ابن خلكان : رندقة لفظه فرنجية، سألت بعض الفرنج عليها فقال :

معناها « ردتعال » . « أحمد يوسف نحاس »

بِسِرَاجِ الْمُلُوكِ دَلِيلًا عَلَى فَضْلِهِ . ذَكَرَهُ ابْنُ بَشْكُوَالٍ
فِي الصَّلَاةِ ، وَتُوفِّيَ بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ فِي شَعْبَانَ - وَقِيلَ جُمَادَى
الْأُولَى - سَنَةَ عِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ . وَزُرَتْ قَبْرُهُ بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ .
وَمِمَّنْ أَخَذَ عَنْهُ الْحَافِظُ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ وَغَيْرُهُ ،
وَمِنْ نَظْمِ الطَّرُطُوشِيِّ قَوْلُهُ مِنْ رِسَالَةٍ :

أَقْلَبُ طَرْفِي فِي السَّمَاءِ تَرَدُّدًا
لَعَلِّي أَرَى النَّجْمَ الَّذِي أَنْتَ تَنْظُرُ^(١)
وَأَسْتَعْرِضُ الرُّكْبَانَ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ
لَعَلِّي بِمَنْ قَدْ شَمَّ عَرْفَكَ أَظْفَرُ
وَأَسْتَقْبِلُ الْأَرْوَاحَ عِنْدَ هُبُوبِهَا
لَعَلَّ نَسِيمَ الرِّيحِ عَنْكَ يُخَبِّرُ
وَأَمْشِي وَمَالِي فِي الطَّرِيقِ مَا رَبُّ
عَسَى نِعْمَةٌ بِاسْمِ الْحَبِيبِ سَتُذَكِّرُ

(١) هذا من قول الأول :

الى الكوكب النسر انظرى كل ليلة فاني اليه بالعشيبة ناظر
عسى يلتقى طرفي وطرفك عنده ونشكو اليه ما تجن الضمائر

وَالْمَحُ مَنْ أَلْقَاهُ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ
عَسَى لَمَحَةٌ مِنْ نُورِ وَجْهِكَ تُسْفِرُ
وَمِنْ نَظْمِهِ أَيْضًا قَوْلُهُ :

يَقُولُونَ : تَكَلَّى ، وَمَنْ لَمْ يَذُقْ
فِرَاقَ الْأَحِبَّةِ لَمْ يَشْكُلْ ^(١)
لَقَدْ جَرَّعْتِي لَيْلِي الْفِرَاقِ كُوْثُوسًا أَمْرًا مِنَ الْخُظَلِ
وَمِمَّا يُنْسَبُ إِلَيْهِ وَكَانَ كَثِيرًا مَا يُنْشِدُهُ :
إِذَا كُنْتُ فِي حَاجَةٍ مُرْسِلًا وَأَنْتَ بِإِنْجَازِهَا مُغْرَمٌ ^(٢)
فَأَرْسِلْ بِأَكْمَةٍ خَلَابَةٍ بِهِ صَمٌّ أَغْطِشُ أَبْكَمٌ ^(٣)
وَدَعَّ عَنْكَ كُلَّ رَسُولٍ سِوَى رَسُولٍ يُقَالُ لَهُ الدَّرْهَمُ
وَكَانَ كَثِيرًا مَا يُنْشِدُ :

(١) النكل فقد الوالد ومن يعز فراقه .

(٢) الأصل في هذا قول الشاعر :

إذا كنت في حاجة مرسلًا فأرسل حكيمًا ولا توصه
وان باب أمر عليك التوى فشاور ليبيًا ولا تعصه

وقال أبو الحسين أحمد بن فارس اللغوي المتوفى سنة ٣٩٠ :

إذا كنت في حاجة مرسلًا وأنت بها كلف مغرم
فأرسل حكيمًا ولا توصه وذلك الحكيم هو الدرهم

(٣) الكمة في الأصل : العمى الذي يولد به الانسان ، أو هو عام في العمى
المرض ، وفعله كفرح فهو أكمه وهي كمهاء ، وكمه أيضا اذا زال عقله

إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا فُطِنَا طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَا
فَكَّرُوا فِيهَا ، فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيِّ وَطْنَا
جَعَلُوهَا لُجَّةً ، وَاتَّخَذُوا صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سُنًّا
وَقَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - كُنْتُ لَيْلَةً نَائِمًا فِي بَيْتِ
الْمَقْدِسِ إِذْ سَمِعْتُ فِي اللَّيْلِ صَوْتًا حَزِينًا يُنْشِدُ :
أَخَوْفُ وَنَوْمٌ؟! إِنَّ ذَا لَعَجِيبُ
تَكَلَّمْتُكَ مِنْ قَلْبٍ فَأَنْتَ كَذُوبُ
أَمَّا وَجَلَّالِ اللَّهِ لَوْ كُنْتُ صَادِقًا
لَمَا كَانَ لِلْإِغْمَاضِ فِيكَ نَصِيبٌ^(١)

وسلب. والخلابة مبالغة من خلب المرأة عقلها اذا سلبها اياه ، وخلبت عقله كذلك ، اخذته وذهبت به ، وخلبه « كنصره » خلبا وخلابا وخلابة « بالكسر » اذا خادعه . والاعطش من غطش الليل اذا اظلم ، وغطش الرجل « كضرب » اذا مشى رويدا من مرض بعينه أو كبر ، والغطش شبه العمش ، وفعله كفرح فهو أعطش وهي غطشاء ، وفلاة غطشى وغطشاء اذا عميت مسالكها فلم يهتد فيها لطريق ، والغطاش : ظلمة الليل واختلاطه ويروى « أفطس » بدل « أعطش » جمع في البيت صفات تنافي الحكمة التي اشترطها غيره في الرسول حتى ينجح في رسالته ، ولكنه لما كان رسولا ذا خلابة كان أفصح من سواه مع بكمه الخ وذلك هو المال « أحمد يوسف نجاتي »
(١) وفي معنى هذا قول بعض الصوفية :

ومالي لا أبكي وأثر مدعى وقد نصبت للساهرين خيام
علامة طردى طول ليلى نائم وغيرى يرى أن المنام حرام
(١٥ - نفع الطيب - سادس)

قَالَ : فَأَيُّقَظَ النَّوَامَ ، وَأَبْكِي الْعُيُونَ . وَكَانَ - رَحِمَهُ
 اللَّهُ تَعَالَى - زَاهِدًا عَابِدًا مُتَوَرِّعًا مُتَقَلِّلًا مِنَ الدُّنْيَا قَوَّالًا
 لِلْحَقِّ . وَكَانَ يَقُولُ : إِذَا عَرَضَ لَكَ أَمْرَانِ أَمْرُ دُنْيَا وَآخَرَى
 فَبَادِرْ بِأَمْرِ الْآخَرَى يَحْصُلُ لَكَ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخَرَى . وَلَهُ طَرِيقَةٌ
 فِي الْخِلَافِ . وَدَخَلَ مَرَّةً عَلَى الْأَفْضَلِ بْنِ أَمِيرِ الْجُيُوشِ ^(١)
 فَوَعَّظَهُ ، وَقَالَ لَهُ : إِنَّ الْأَمْرَ الَّذِي أَصْبَحْتَ فِيهِ مِنَ الْمُلْكِ
 إِنَّمَا صَارَ إِلَيْكَ بِمَوْتِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ ، وَهُوَ خَارِجٌ عَنْ
 يَدِكَ بِمِثْلِ مَا صَارَ إِلَيْكَ ، فَاتَّقِ اللَّهَ فِيمَا خَوَّلَكَ ^(٢) مِنْ هَذِهِ
 الْأُمَّةِ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَأَلْتُكَ عَنِ النَّقِيرِ ^(٣) وَالْقَطْمِيرِ

(١) هو أبو القاسم شا هنشاه الملقب الملك الأفضل بن أمير الجيوش بدر
 الجمالي ، وكان بدر هذا أرمني الجنس اشتراه جمال الدولة بن عمار ، وتربى
 عنده ، وتقدم بسببه ، وكان ذارأى وشهامة وعزيمة ، فاستنابه الخليفة المستنصر
 الفاطمي بمدينة صور «أو مدينة عكا» ثم استدعاه المستنصر سنة ٤٦٦ هـ إلى
 مصر فولاه تدير أموره ، فأصلح حال الدولة - وتوفي سنة ٤٨٨ هـ فوزر
 ولده الملك الأفضل موضعه ، وكان حسن التدبير سديد الرأي ، وقتل
 سنة ٥١٥ هـ وهو والد أبي علي أحمد بن شاهنشاه الذي غلب على الخليفة
 عبد المجيد الحافظ بن المستنصر الفاطمي ، واستقل بالأمر وأحسن القيام
 به حتى قتل سنة ٥٢٦ هـ . « أحمد يوسف نجاشي » . (٢) خولك .
 أعطاك وملكك (٣) النقير : النقرة أو النكته التي في ظهر النواة
 كأن ذلك الموضع تفر منها . والقطمير : شق النواة ، أو القشرة
 الرقيقة التي عليها ، ويطلق كلاهما على الشيء الهين النزر الحقيق

وَالْفَتِيلِ ، وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ آتَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ
 مُلْكَ الدُّنْيَا بِحِذَائِهَا^(١) ، فَسَخَّرَ لَهُ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ وَالشَّيَاطِينَ
 وَالطَّيْرَ وَالْوُحُوشَ وَالْبَهَائِمَ ، وَسَخَّرَ لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ
 رُخَاءً^(٢) حَيْثُ أَصَابَ ، وَرَفَعَ عَنْهُ حِسَابَ ذَلِكَ أَجْمَعَ ، فَقَالَ
 عَزَّ مِنْ قَائِلٍ « هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ »
 فَمَا عَدَّ ذَلِكَ نِعْمَةً كَمَا عَدَدْتُمُوهَا ، وَلَا حَسِبَهَا كَرَامَةً كَمَا
 حَسِبْتُمُوهَا ، بَلْ خَافَ أَنْ يَكُونَ أُسْتَدْرَاجًا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
 فَقَالَ « هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ؟ »
 فَافْتَحَ الْبَابَ ، وَسَهَّلَ الْحِجَابَ ، وَأَنْصَرَّ الْمَظْلُومَ - وَكَانَ إِلَى
 جَانِبِ الْأَفْضَلِ رَجُلٌ نَصْرَانِيٌّ - فَأَنْشَدَهُ :
 يَا ذَا الَّذِي طَاعَتُهُ قُرْبَةٌ وَحَقُّهُ مُفْتَرَضٌ وَاجِبُ
 إِنَّ الَّذِي شُرِّفْتَ مِنْ أَجْلِهِ يَزْعُمُ هَذَا أَنَّهُ كَاذِبُ
 وَأَشَارَ إِلَى النَّصْرَانِيِّ - فَأَقَامَهُ الْأَفْضَلُ مِنْ مَكَانِهِ .

والفتيل ، هو ما في شق النواة ، وهو أيضا يضرب مثلا للشيء التافه الحقيق
 القليل . وللعنى أن الله سائلك عن كل شيء صغرا أو كبرا ، عظم أو حقر
 (١) جمع حذف أو حذف ، وهو في الأصل بمعنى الجانب والناحية ، ويراد
 به معنى الجميع ، فيقال أخذه بحذائيره : أى جميعه أو بأسره ، أى بجميع
 جوانبه ونواحيه (٢) رخاء : سهولة لينه المبوب طيبته « أحمد يوسف نجاتي »

وَالطُّرُوشِيُّ بِضَمِّ الطَّاءِ بْنِ نِسْبَةٍ إِلَى طُرُوشَةَ مِنْ بِلَادِ
الْأَنْدَلُسِ ، وَقَدْ تَفَتَّحَ الطَّاءُ الْأَوَّلَى . وَعَبَّرَ عَنْهُ ابْنُ
الْحَاجِبِ فِي مُخْتَصَرِهِ الْفِقْهِيِّ فِي بَابِ الْعِتْقِ : «الْأُسْتَاذُ»
وَكَانَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - صَحِيبَ الْقَاضِي أَبِي الْوَلِيدِ
الْبَاجِيَّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - بِسَرَقُسْطَةَ ، وَأَخَذَ عَنْهُ مَسَائِلَ
الْخِلَافِ ، وَسَمِعَ مِنْهُ وَأَجَازَهُ ، وَقَرَأَ الْفَرَائِضَ عَلَيْهِ وَالْحِسَابَ
بِوَطْنِهِ ، وَقَرَأَ الْأَدَبَ عَلَى أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ حَزْمٍ بِمَدِينَةِ
إِسْبِيلِيَّةَ . ثُمَّ رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ سَنَةَ سِتٍّ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ،
وَدَخَلَ بَغْدَادَ وَالْبَصْرَةَ ، فَتَفَقَّهَ هُنَاكَ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ الشَّاشِيِّ ^(١)
وَأَبِي مُحَمَّدٍ الْجُرْجَانِيِّ ، وَسَمِعَ بِالْبَصْرَةِ مِنْ أَبِي عَلِيٍّ
الْتَشْتَرِيِّ ^(٢) وَسَكَنَ الشَّامَ مُدَّةً ، وَدَرَّسَ بِهَا . وَكَانَ رَاضِيًا
بِالْيَسِيرِ . وَقَالَ الصَّفَدِيُّ فِي تَرْجَمَةِ الطُّرُوشِيِّ : إِنَّ الْأَفْضَلَ
أَبْنَ أَمِيرِ الْجُيُوشِ أَنْزَلَهُ فِي مَسْجِدِ شَقِيقِ الْمَلِكِ بِالْقُرْبِ

(١) هو الامام أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشي الأصل
الفارقي المولد الملقب بغير الاسلام الفقيه الشافعي، انتهت اليه رئاسة الشافعية،
وتولى التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد سنة ٥٠٤ هـ الى أن توفي سنة
٥٠٧ هـ (٢) هو علي بن أحمد بن علي البصري السقطي المحدث . توفي سنة
٤٧٩ هـ « أحمد يوسف نجاتي »

مِنَ الرَّصَدِ^(١) - وَكَانَ يَكْرَهُهُ - فَلَمَّا طَالَ مُقَامُهُ بِهِ ضَجَرَ، وَقَالَ لِخَادِمِهِ: إِلَى مَتَى نَصْبِرُ؟ أَجْمَعُ لِي الْمُبَاحَ، فَجَمَعَهُ، وَأَكَلَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ قَالَ لِخَادِمِهِ: رَمَيْتُهُ السَّاعَةَ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدْرِ كَبَّ الْأَفْضَلُ فَقُتِلَ، وَوُلِّيَ بَعْدَهُ الْمَأْمُونُ بْنُ الْبَطَّائِحِيِّ^(٢) فَأَكْرَمَ الشَّيْخَ إِكْرَامًا كَثِيرًا، وَلَهُ أَلْفُ الشَّيْخِ سِرَاجِ الْمُلُوكِ. انْتَهَى.

وَمَقَامُهُ - أَغْنَى الطَّرْطُوشِيَّ - مَشْهُورٌ، وَهَذِهِ الْحِكَايَةُ تَكُنِي فِي وَلَايَتِهِ. وَمِنْ تَأْلِيْفِهِ مُخْتَصَرُ تَفْسِيرِ الثَّعَالِبِيِّ^(٣)،

(١) مسجد شقيق الملك « كان بحوار مسجد الرصد » بناه شقيق الملك خسروان صاحب بيت المال أحد خدام القصر في أيام الخليفة الحافظ لدين الله سنة ٥٤١ وممسجد الرصد بناه الملك الأفضل المذكور لاجل رصد الكواكب بالآلة التي كان يقال لها ذات الحلق ، وكان كلا المسجدين بالقرافة الكبيرة « أحمد يوسف نجاني » (٢) هو أبو عبد الله محمد بن مختار بن قاتك البطائحي « نسبة إلى البطائح موضع بين واسط والبصرة » أقامه الأمر بأحكام الله الفاطمي في الوزارة بعد قتل الأفضل ، فلم ترض سيرته . وما زال حتى قبض عليه الأمر سنة ٥١٩ وصادره ، ثم قتله سنة ٥٢٢ وصلبه ، وقتل معه خمسة من اخوته، ونحو ثلاثين رجلا من خواصه وأهله. « أحمد يوسف نجاني » .

(٣) يريد الامام الثعلبي « فقد يقال له الثعالبي أيضا » وهو الامام أبو اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم النيسابوري المفسر المشهور ، وله التفسير العظيم الذي فاق غيره من التفاسير ، توفي سنة ٤٢٧ وهو غير أبي منصور الثعلبي صاحب يتيمة الدهر وغيرها من كتب الأدب والتاريخ ، وهو عبد الملك بن محمد بن اسمعيل « الثعالبي النيسابوري أيضا » وتوفي سنة ٤٢٩ فهذا مشهور بالأدب النظم والنثر لا بالتفسير « أحمد يوسف نجاني »

وَالْكِتَابُ الْكَبِيرُ فِي مَسَائِلِ الْخِلَافِ ، وَكِتَابُ فِي
تَحْرِيمِ جُنُبِ الرُّومِ ، وَكِتَابُ بَدْعِ الْأُمُورِ وَمُحَدَّثَاتِهَا ،
وَكِتَابُ شَرْحِ رِسَالَةِ الشَّيْخِ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ . وَلِدَ سَنَةَ إِحْدَى
وَحَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ تَقْرِيْبًا . وَلَمَّا تُوُفِّيَ صَلَّى عَلَيْهِ وَلَدُهُ مُحَمَّدٌ ،
وَدُفِنَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - قَبْلَ الْبَابِ الْأَخْضَرِ ^(١)
بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ ، وَزُرْتُ قَبْرَهُ مِرَارًا - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَرَضِيَ
عَنْهُ ، وَتَقَنَّابِهِ - . وَكَانَ الْقَاضِي عِيَاضٌ مِمَّنْ أَسْتَجَازَهُ فَأَجَازَهُ
وَلَمْ يَلْقَهُ . وَشَهْرَتُهُ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - تُغْنِي عَنْ
الْإِطْنَابِ فِيهِ . وَحُكِيَ أَنَّهُ كَتَبَ عَلَى سِرَاجِ الْمُلُوكِ الَّذِي
أَهْدَاهُ لَوْلِيٍّ الْأَمْرِ بِمِصْرَ :

النَّاسُ يَهْدُونَ عَلَى قَدَرِهِمْ
لَكِنِّي ^(٢) أَهْدِي عَلَى قَدَرِي
يَهْدُونَ مَا يَفْنَى ، وَأَهْدِي الَّذِي
يَبْقَى عَلَى الْأَيَّامِ وَالذَّهْرِ

(١) في ابن خلكان «ودفن في مقبرة وعلة قريبا من البرج الجديد قبلي
الباب الأخضر» «أحمد يوسف نجاتي» (٢) و يروى «وأنتي»

وَحُكِيَ أَنَّهُ سَمِعَ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - مُنْشِدًا
يُنْشِدُ لِلْوَأَوَاءِ^(١) :

قَمَرٌ أَتَى مِنْ غَيْرِ وَعَدِ فِي لَيْلَةٍ طَرَقَتْ بِسَعْدِ
بَاتَ الصَّبَاحُ إِلَى الصَّبَا حِمْيَرٍ مُعَانِقِي خَدًّا بِخَدِّ
يَمْتَارُ^(٢) فِيَّ وَنَاطِرِي مَا شِئْتُ مِنْ خَمْرٍ وَوَرْدِ
فَقَالَ : أَوْ يَظُنُّ هَذَا الدَّمَشْقِيُّ أَنَّ أَحَدًا لَا يُحْسِنُ أَنْ
يَنْظِمَ الْكَذِبَ غَيْرَهُ ؟ ! لَوْ شِئْنَا لَكَذَبْنَا مِثْلَ هَذَا ، ثُمَّ
أَنشَدَ لِنَفْسِهِ يُعَارِضُهُ :

قَمَرٌ أَتَى مِنْ غَيْرِ وَعَدِ حُفَّتْ شِمَائِلُهُ بِسَعْدِ
قَبْلَتُهُ وَرَشَفَتْ مَا فِي فِيهِ مِنْ خَمْرٍ وَشُهْدِ
فَمَزَجْتُ مُزْنَ السَّلْسَبِيلِ بِزَنْجِيلِ مُسْتَعْدِ

(١) الواواء الدمشقي أبو الفرج محمد بن أحمد الغساني ، شاعر مطبوع ، منسجم الالفاظ ، عذب العبارة ، حسن الاستعارة ، جيد التشبيه توفي سنة ٣٢٠ « وهناك شاعر آخر يعرف بالواواء » وهو أبو الفرج عبد القاهر بن عبد الله بن الحسين من حلب ، توفي سنة ٥٥١ « أحمد يوسف نجاتي » (٢) أي يحصل على الميرة وهي الزاد والقوت والغذاء ، وفي البيت ثلث ونشر مرتب ، فان فاه يمتار خمرًا ، وناظره يمتار وردًا . وفي الأصل « وشهد » بدل « وورد » وفي معنى هذه الأبيات :

وَلَثِمْتُ فَأَهُ مِنْ الْغُرُو بٍ إِلَى الصَّبَاحِ الْمُسْتَجِدِّ
وَسَكِرْتُ مِنْ رَشْنِي الْعَتِيقَ عَلَى أَقَاحٍ تَحْتَ رَنْدٍ^(١)
فَقَزَعْتُ عَنْ فَمِهِ فَمِي وَوَضَعْتُ خَدًا فَوْقَ خَدِّ
وَشَمِمْتُ عَرَفَ نَسِيمِهِ أَلَّ جَارِي عَلَى مِسْكِ وَنَدِّ
وَصَحَوْتُ مِنْ رِيَّا الْقَرْنُفْلِ بَيْنَ رِيحَانٍ وَوَرْدٍ
وَأَلَذُّ مِنْ وَصَلِي بِهِ شَكْوَاهُ وَجَدَّامِثِلَ وَجْدِي
وَمِنْ نَظْمِ الطَّرْطُوشِيِّ قَوْلُهُ أَيْضًا :

كَأَنَّ لِسَانِي وَالْمُشْكِلَاتِ سَنَى الصُّبْحِ يَنْحَرُّ لَيْلًا بِهِيَا
وَغَيْرِي إِنْ رَامَ مَا رُمْتُهُ خَصِيٌّ يُحَاوِلُ فَرْجًا عَقِيمًا^(٢)
وَقَوْلُهُ أَيْضًا :

سَقَانِي خَمْرَةً مِنْ رِيْقٍ فِيهِ وَحْيًا بِالْعَذَارِ وَمَا يَلِيهِ
وَبَاتَ مَعَا نَقِي خَدَا بِنَحْدِ غَزَالٍ فِي الْأَنَامِ بِلَا شَبِيهِ
وَبَاتَ الْبَدْرُ مَطْلَعًا عَلَيْنَا سَلَوَهُ لَا يَنْمُ عَلَى أَخِيهِ
(١) يريد بالعتيق الخمر « و يروي » العتيق « يريد به الشفة » وبالأقاحي
الشعر ، والرند شجر طيب الرائحة (٢) يريد تعذر ذلك على غيره واستحالته ،
وقال ابن المعتز :

نَظَلَ الشَّمْسُ تَرْمِقُنَا بِلَحْظِ مَرِيضٍ مَدْنَفٍ مِنْ خَلْفِ سِتْرِ
تَحَاوَلُ فَتَقُ غَيْمٍ وَهُوَ يَأْبَى كَعَيْنٍ يَرِيدُ نِكَاحَ بَكْرٍ
وَأَرَادَ الطَّرْطُوشِيُّ بِالْعَقِيمِ عَدَمَ الْوَلَادَةِ أَيِ الْبَكَارَةِ « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَبْجَانِي »

أَعْمَلْ لِمَعَادِكَ يَا رَجُلُ فَالْنَّاسُ لِدُنْيَاهُمْ عَمِلُوا
وَأَذْخَرَ لِمَسِيرِكَ زَادَ تُقَى فَالْقَوْمُ بِلَا زَادٍ رَحَلُوا

محمد بن عبد الجبار
الطرطوشي

« وَمِنْهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ الطَّرْطُوشِيُّ » وَفَدَّ إِلَى
الْمَشْرِقِ، وَذَكَرَهُ الْعِمَادُ فِي الْخَرِيدَةِ. وَلَهُ فِي الْأَمِيرِ الْعِجَلِيِّ (١)
بِعِصْرٍ - وَكَانَ يَخْضِبُ بِسَوَادِ الرُّمَّانِ - قَوْلُهُ :

أَخْلَطِ الْعَفْصَ فِيهِ يَا أَخُوجَ النَّأِ

سِ إِلَى الْعَفْصِ حِينَ يُعْكَسُ عَفْصُ (٢)

حسين بن محمد
المعروف بابن
سكرة

« وَمِنْهُمْ الْقَاضِي الشَّهِيدُ أَبُو عَلِيٍّ الصَّدْفِيُّ (٣) وَهُوَ
حُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ فَيْرُوهَ بْنِ حَيْثُونٍ، وَيَعْرِفُ بِابْنِ سُكْرَةَ
وَهُوَ مِنْ أَهْلِ سَرَقُسْطَةَ، سَكَنَ مُرْسِيَةَ، وَرَوَى بِسَرَقُسْطَةَ

(١) في نسخة « الأمدى العلى » (٢) عكس عفص : صفح (٣) في الأصل
في كل النسخ « الصيرفي » وهو تصحيف محرف، والصواب « الصدفى »
نسبة إلى الصدف بطن من كندة ، ومنهم يونس بن عبد الأعلى
الصدفى وغيره ، وقد تقدم القول فى الصدفين فى الجزء الأول
وأبو على الصدفى هذا من أشهرهم وهو معروف « أحمد يوسف نجاتى »

عَنِ الْبَاجِيِّ ، وَأَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ إِسْمَاعِيلَ^(١) وَغَيْرِهِمَا ، وَسَمِعَ بِلَنْسِيَةَ مِنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْعُذْرِيِّ^(٢) ، وَسَمِعَ بِالْمَرِيَّةِ مِنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدُونَ الْقُرَوِيِّ^(٣) ، وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُرَابِطِ^(٤) وَغَيْرِهِمَا . وَرَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ أَوَّلَ الْمُحَرَّمِ مِنْ سَنَةِ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَحَجَّ مِنْ عَامِهِ ، وَلَقِيَ بِمَكَّةَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَنَ^(٥) بْنَ عَلِيٍّ الطَّبْرِيِّ

(١) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن اسمعيل بن فورتش من أهل سرقسطة، روى عن أبيه وعن أبي الوليد الباجي، وكان عالماً جليلاً مهيباً عاقلاً فاضلاً، قال أبو علي بن سكرة: كان أفهم من يحضر عنده واستقضى ببلده، وكان محمود السيرة في قضائه، ولد سنة ٤٢٤ هـ، وتوفي سنة ٤٩٥ هـ «أحمد يوسف نجاتي» (٢) هو أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس بن دلهات بن أنس بن فلذان بن عمران بن منيب بن زغبة بن قطبة العذري، ويعرف بابن الدلائلي، من أهل المرية، رحل إلى المشرق مع أبويه سنة ٤٠٧ هـ، وكان مولده سنة ٣٩٣ هـ وتوفي سنة ٤٧٨ هـ بالمرية، وصلى عليه ابنه أنس بتقديم المعتصم بالله محمد بن معن بن صامح «أحمد يوسف نجاتي» (٣) هو أبو عبد الله محمد بن سعدون بن علي بن بلال القروي، وأصله من القيروان، وجول بالشرق، وسمع من علمائه، وكان ذا علم وفضل وجود، وسمع الناس منه بقرطبة وبلنسية والمرية وغيرها من البلاد. وتوفي بأغمت سنة ٤٨٥ هـ «أحمد يوسف نجاتي» (٤) أبو عبد الله محمد بن خلف بن سعيد بن وهب يعرف بابن المرابط، من أهل المرية، كان من أهل العلم والرواية والفهم والتفنن في العلوم، وله شرح على البخاري توفي سنة ٤٨٥ هـ «أحمد يوسف نجاتي» (٥) أظنه (الحسين) وهو أبو عبد الله الحسين بن علي بن الحسين الفقيه

وَأَبَا بَكْرَ الطَّرْطُوشِيَّ وَغَيْرَهُمَا ، ثُمَّ سَارَ إِلَى الْبَصْرَةِ
فَلَقِيَ بِهَا أَبَا يَعْلَى الْمَالِكِيَّ ، وَأَبَا الْعَبَّاسِ الْجُرْجَانِيَّ ، وَأَبَا
الْقَاسِمِ بْنِ شُعْبَةَ^(١) ، وَغَيْرَهُمْ . وَخَرَجَ إِلَى بَغْدَادَ ، فَسَمِعَ
بِوَاسِطَةِ مَنْ أَبِي الْمَعَالِي مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ الْأَصْبَهَانِيَّ
وغيره ، وَدَخَلَ بَغْدَادَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ
فَاطَالَ الْإِقَامَةَ بِهَا خَمْسَ سَنَوَاتٍ كَامِلَةً ، وَسَمِعَ بِهَا مِنْ
أَبِي الْفَضْلِ ابْنِ خَيْرُونَ^(٢) مُسْنِدِ بَغْدَادَ ، وَمِنْ أَبِي الْحُسَيْنِ
الْمُبَارَكِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ الصَّيْرَفِيِّ^(٣) ، وَطِرَادِ الزَّيْنَبِيِّ^(٤)
وَالْحَمِيدِيِّ^(٥) وَغَيْرِهِمْ ، وَتَفَقَّهَ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ الشَّاشِيِّ وَغَيْرِهِ .

الشافعي ، محدث مكة ونزيلها ، وكان من أجلاء الفقهاء والمحدثين ، ودرس
بالمدرسة النظامية ببغداد قبل الغزالي ، وكان يدعى امام الحرمين ، لأنه جاور
بمكة نحو ثلاثين سنة يدرس ويفتي ويسمع ، وتوفي بها سنة ٤٩٨ هـ « أحمد
يوسف نجاتي » (١) أبو القاسم عبد الملك بن علي بن شعبة الانصاري
البصري الحافظ الزاهد ، استشهد بالبصرة سنة ٤٨٤ هـ « أحمد يوسف نجاتي »
(٢) أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون البغدادي الحافظ ، كان محدثا ثقة
تبنا ، توفي سنة ٤٨٨ هـ « أحمد يوسف نجاتي »

(٣) أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد بن قاسم الصيرفي البغدادي
المحدث ، كان محدثا مكثرا صالحا أمينًا صدوقا وقورا ذا ديانة وصيانة ، توفي سنة
٥٠٠ هـ « أحمد يوسف نجاتي » (٤) أبو الفوارس طراد بن محمد بن علي
النقيب الكامل الهاشمي العباسي الزيني البغدادي ، نقيب النقباء ومسند
العراق ، كان إماما محدثا جليل القدر رفيع المنزلة ، توفي سنة ٤٩١ هـ
« أحمد يوسف نجاتي » (٥) تقدم التعريف بالحميدي والشاشي

ثُمَّ رَحَلَ مِنْهَا سَنَةً سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، فَسَمِعَ بِدِمَشْقَ
مِنْ أَبِي الْفَتْحِ نَصْرِ الْمُقْدِسِيِّ^(١) ، وَأَبِي الْفَرَجِ الْإِسْفَرَايْنِيِّ^(٢)
وغيرهما ، وَسَمِعَ بِمِصْرَ مِنْ الْقَاضِي أَبِي الْحُسَيْنِ الْخَلَعِيِّ^(٣) ،
وَأَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الرَّازِيِّ ، وَأَجَازَ لَهُ الْحَبَالُ^(٤)
مُسْنِدُ مِصْرَ فِي وَقْتِهِ وَمُكْتَرِهَا ، وَسَمِعَ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ
مِنْ أَبِي الْقَاسِمِ الْوَرَّاقِ^(٥) ، وَشُعَيْبِ بْنِ سَعِيدٍ وَغيرهما .
وَوَصَلَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ فِي صَفَرٍ مِنْ سَنَةِ تِسْعِينَ^(٦) وَأَرْبَعِمِائَةٍ

(١) هو أبو الفتح نصر بن إبراهيم بن نصر بن إبراهيم بن داود المقدسي
الناقلي الزاهد شيخ الشافعية بالشام ، كان إماما علامة مفتيا حافظا محدثا
زاهدا متبتلا ورعا ، كبير القدر عديم النظير ، وقد أخذ عنه كثير من أعلام الأئمة
كالغزالي وغيره ، وله مؤلفات نافعة وتوفي سنة ٤٩٠ هـ رحمه الله « أحمد يوسف
نجاتي » (٢) أبو الفرج سهل بن بشر الإسفراييني ثم الدمشقي الصوفي المحدث ،
ولد سنة ٤٠٩ هـ وتوفي بدمشق سنة ٤٩١ هـ . « أحمد يوسف نجاتي » .

(٣) أبو الحسن علي بن الحسن المصري الفقيه الشافعي القاضي الحلعي
انتهى إليه علو الاسناد بمصر ، كان إماما زاهدا وفاضلا ، توفي سنة ٤٩٢ هـ
« أحمد يوسف نجاتي » (٤) أبو اسحق الحبال الحافظ إبراهيم بن سعيد
النعماني مولاهم المصري ، وكان يتجرب في الكتب ، وكان خلفاء مصر قد
منعوه من التحديث في أواخر عمره ، وكان ثقة صالحا حجة ورعا رفيع
القدر ، توفي سنة ٤٨٢ هـ . « أحمد يوسف نجاتي » (٥) أبو القاسم مهدي
ابن يوسف الوراق ، توفي حوالي سنة ٤٩٠ هـ « أحمد يوسف نجاتي »
(٦) في الأصل « سبعين » وهو تصحيف ظاهر من رحلة المترجم
السابقة « أحمد يوسف نجاتي » .

وَقَصَدَ مُرْسِيَةَ فَاسْتَوْطَنَهَا ، وَقَعَدَ يُحَدِّثُ النَّاسَ بِجَامِعِهَا ،
وَرَحَلَ النَّاسُ مِنَ الْبُلْدَانِ إِلَيْهِ ، وَكَثُرَ سَمَاعُهُمْ عَلَيْهِ .
وَكَانَ عَالِمًا بِالْحَدِيثِ وَطُرُقِهِ ، عَارِفًا بِلِلِّهِ ، وَأَسْمَاءَ رِجَالِهِ
وَنَقْلَتِهِ ، وَكَانَ حَسَنَ الْخَطِّ ، جَيِّدَ الضَّبْطِ ، وَكَتَبَ بِخَطِّهِ
عِلْمًا كَثِيرًا وَقَيِّدَهُ . وَكَانَ حَافِظًا لِمُصَنَّفَاتِ الْحَدِيثِ ، قَائِمًا
عَلَيْهَا ، ذَا كِرَاءٍ لِمُتُونِهَا وَأَسَانِيدِهَا وَرُؤَاتِهَا ، وَكَتَبَ مِنْهَا
صَحِيحَ الْبُخَارِيِّ فِي سِفْرِ ، وَصَحِيحَ مُسْلِمٍ فِي سِفْرِ ، وَكَانَ
قَائِمًا عَلَى الْكِتَابَيْنِ ، مَعَ مُصَنِّفِ أَبِي عَيْسَى التِّرْمِذِيِّ .
وَكَانَ فَاضِلًا دِينًا مُتَوَاضِعًا ، حَلُومًا وَقُورًا ، عَالِمًا عَامِلًا
وَأُسْتَقْضِيَ بِمُرْسِيَةِ ، ثُمَّ أُسْتَعْفِيَ ، فَأَعْفَى ، وَأَقْبَلَ عَلَى نَشْرِ
الْعِلْمِ وَبَثَّهُ . وَقَدْ ذَكَرَهُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَارِيخِهِ
لِدُخُولِهِ الشَّامَ ؛ قَالَ : وَبَعْدَ أَنْ أُسْتَقَرَّتْ بِهِ النُّوَى ،
وَأُسْتَمَرَّتْ إِفَادَتُهُ بِمَا قَيَّدَ وَرَوَى ، رَفَعَتْهُ مُلُوكُ أَوَانِهِ ، وَشَفَعَتْهُ
فِي مَطَالِبِ إِخْوَانِهِ ، فَأَوْسَعَتْهُ رَعِيًّا ، وَأَحْسَنَتْ فِيهِ رَأْيًا ،
وَمِنْ أُنْبَاءِهِمْ مَنْ جَعَلَ يَقْصِدُهُ ، لِسَمَاعِ يُسْنِدُهُ ، وَعَلَى وَقَارِهِ
الَّذِي كَانَ بِهِ يُعْرَفُ ، نَدَرَ لَهُ مَعَ بَعْضِهِمْ مَا يُسْتَظَرَفُ ، وَهُوَ

أَنَّ فَتَى يُسَمَّى يُوسُفَ لَا زَمَ مَجْلِسَهُ ، مُعْطَرًّا رَائِحَتَهُ وَمُنْظَفًا
مَلْبَسَهُ ، ثُمَّ غَابَ لِمَرَضٍ قَطَعَهُ ، أَوْ شُغْلٍ مَنَعَهُ ، وَلَمَّا فَرَغَ
أَوْ أَبْلَى ، عَاوَدَ ذَلِكَ النَّادِي الْمُبَارَكُ وَالْمَحَلَّ ، وَقَبْلَ إِفْضَائِهِ
إِلَيْهِ ، دَلَّ طِيبُهُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ الشَّيْخُ - عَلَى سَلَامَتِهِ مِنَ الْمُجُونِ
وَحَلَاصِهِ مِنَ الْفُتُونِ - : « إِنِّي لِأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْ لَا أَنَّ
تُقَدُّونَ » وَهِيَ مِنْ طُرَفِ نَوَادِيرِهِ - رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ . وَلَمَّا
قُلِدَ قَضَاءُ مُرْسِيَّةٍ وَعَزِمَ عَلَيْهِ صَاحِبُ الْأَمْرِ فِيهِ فَرَإَ إِلَى
الْمَرِيَّةِ ، فَأَقَامَ بِهَا سَنَةً خَمْسٍ وَبَعْضَ سَنَةِ سِتٍّ وَخَمْسِمِائَةٍ ،
وَفِي سَنَةِ سِتٍّ قَبْلَ قَضَائِهَا عَلَى كُرْهِ^(١) إِلَى أَنْ أُسْتَخْفِيَ آخِرَ
سَنَةِ سَبْعٍ فِي قِصَّةٍ يَطُولُ إِيرَادُهَا . وَلِطُولِ مُقَامِهِ بِالْمَرِيَّةِ
أَخَذَ النَّاسُ عَنْهُ بِهَا ، فَلَمَّا كَانَتْ وَقْعَةُ كُتْنَدَةٍ^(٢) كَانَ

(١) أكرهه أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين، وألزمه أن يقلده
القضاء بمرسية في شرقي الأندلس ، فتقلده على كره منه، ثم استعفى من
القضاء فلم يعفه ، فاختلف مدة، وخضع حتى أعفاه وهو مغضب عليه، فكتب
إليه كتابا يعلمه فيه بعذره، فأجابه أمير المسلمين بما آتاه، وحضه على الرجوع
إلى إفادة الناس ونشر العلم، فعاد مرضيا عنه . « أحمد يوسف نجاتي »
(٢) كتندة، أو قندة : ثغر سرقسطة بالأندلس، كانت بها وقعة بين المسلمين
والفرنج سنة ٥١٤ ينسب إليها أبو بكر محمد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز
ابن خليفة بن أبي العافية الأزدي الكتندي الأديب اللغوي الكاتب

مِمَّنْ حَضَرَهَا، فَقُقِدَ فِيهَا سَنَةٌ أَرْبَعٌ عَشْرَةٌ وَخَمْسِمِائَةٌ - رَحِمَهُ
 اللَّهُ تَعَالَى - وَقَالَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ : وَلَقَدْ حَدَّثَنِي الْفَقِيهُ
 أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ جَعْفَرٍ ^(١) أَنَّهُ قَالَ لَهُ : خُذِ الصَّحِيحَ
 وَأَذْكُرْ أَيَّ مَثْنٍ شِئْتَ مِنْهُ أَدْكُرْ لَكَ سَنَدَهُ، أَوْ أَيَّ سَنَدٍ
 شِئْتَ أَدْكُرْ لَكَ مَثْنَهُ . أَنْتَهَى .

وَذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ أَنَّهُ حَدَّثَ بِبَغْدَادَ بِحَدِيثٍ وَاحِدٍ
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَهُوَ مِنْ أَبْنَاءِ السُّنَنِ ^(٢) .

الشاعر المتوفى سنة ٥٨٣ وكان يسكن غرناطة ، أصله من كتندة أجلتهم
 عنها فتنها (١) أبو اسحق ابراهيم بن جعفر بن أحمد اللواتي ، يعرف بابن
 الفاسي ، من أهل سبتة ، كان من أهل العلم والفضل والزهد والورع فقيها
 أديبا أثني عليه القاضي عياض رحمهما الله . وتوفى سنة ٥١٣ «أحمد يوسف نجاتي»
 (٢) أقول وكان لأبي علي الصدي رحمه الله شعر ينحرف فيه منحى الفقه
 والزهد، وله :

قل لمن أنكر الحديث وأضحى عابا أهله ومن يدعيه
 أبعلم تقول هذا ؟ ابن لي ! أم بجهل ؟ والجهل خلق السفية
 أيعاب الذين هم حفظوا الدين من من الترهات والتمويه ؟ !
 وإلى قولهم وما قد روه راجع كل عالم وفقه
 وابنته السيدة خديجة تركها - رحمه الله - عند خروجه غازيا الى
 كتندة في سن الفطام ، ولكنه سأل ألا يجمع عليها بين فقد وفطامها ،
 فنشأت نشأة حميدة صالحة زاهدة ذات دين وفضل وعناية بالقرآن
 الكريم والحديث الشريف وقراءة ما يفيدها من علوم عصرها ، وتزوجها
 صاحب الصلاة بمرسية عبد الله بن موسى بن سليمان بن علي بن برطلة

* *

« وَمِنْهُمْ ابْنُ أَبِي رُوحٍ الْجَزِيرِيُّ » وَمِنْ شِعْرِهِ لَمَّا
تَغَرَّبَ بِالشَّرْقِ :

ابن أبي روح
الجزيري

أَحِنُّ إِلَى الْخَضْرَاءِ^(١) فِي كُلِّ مَوْطِنٍ

حَنِينَ مَشُوقٍ لِلْعِنَاقِ وَلِلْضَمِّ

وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ جِسْمِي رَضِيعُهَا

وَلَا بُدَّ مِنْ شَوْقِ الرَضِيعِ إِلَى الْأُمِّ

* *

« وَمِنْهُمْ الْعَالِمُ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ حَسَنِ الْهُوزَنِيُّ
الْحُسَيْبِيُّ الْعَالِمُ الْمُحَدِّثُ » وَسَبَبُ رِحْلَتِهِ لِلْمَشْرِقِ أَنَّهُ لَمَّا
تَوَلَّى الْمُعْتَضِدُ بْنُ عَبَّادٍ خَافَ مِنْهُ، فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْحُجِّ سَنَةَ أَرْبَعٍ
وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَرَحَلَ إِلَى مِصْرَ ثُمَّ مَكَّةَ، وَسَمِعَ فِي طَرِيقِهِ
صَاحِبَ الْبُخَارِيِّ، وَعَنْهُ أَخَذَهُ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ، وَرَجَعَ وَسَكَنَ

عمر بن الحسن
الهوزني

المتوفى سنة ٥٦٣ فولدت له ابنة أبا بكر عبد الرحمن بن عبيد الله الفقيه
الامام الصالح المحدث الأديب، ولد سنة ٥٤٧ وتوفى سنة ٥٩٩ وتوفيت
والدته السيدة خديجة المذكورة حوالي سنة ٥٩٢ رحم الله الجميع .
« أحمد يوسف نجاتي » (١) يريد الجزيرة الخضراء ، وتقدم الكلام فيها

إِسْبِيلِيَّةَ ، وَخَدَمَ الْمُعْتَصِدَ ، فَقَتَلَهُ سَنَةَ سِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ^(١) ،

وَمِنْ شِعْرِهِ يَحْرُضُهُ عَلَى الْجِهَادِ :

أَعْبَادُ حَلِّ الرُّزْءِ ، وَالْقَوْمُ هُجَّعٌ عَلَى حَالَةٍ مِنْ مِثْلِهَا يُتَوَقَّعُ ^(٢)

فَلَقَّ كِتَابِي مِنْ فَرَاغِكَ سَاعَةً

وَإِنْ طَالَ ، فَالْمَوْصُوفُ لِلطُّوْلِ مَوْضِعٌ

إِذَا لَمْ أَبْتَ الدَّاءَ رَبَّ شِكَايَةٍ

أَضَعْتُ ، وَأَهْلٌ لِلْمَلَامِ الْمُضِيعِ

وَمَا أَخْطَأَ السَّبِيلَ مَنْ أَتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ، وَلَا

أَرْجَأَ ^(٣) الدَّلِيلَ مَنْ نَاطَ الْأُمُورَ بِأَرْبَابِهَا ، وَلَرُبَّ أَمَلٍ بَيْنَ

أَثْنَاءِ الْمَحَازِيرِ مُدْمَجٍ ^(٤) ، وَمَحْبُوبٍ فِي طَيِّ الْمَكَارِهِ مُدْرَجٍ ،

(١) قتله المعتضد لغير جريرة ظاهرة معروفة « ومن خاف من شيء

سلط عليه » بقصره بإشبيلية ودفنه به ، وتناول قتله بيده في شهر ربيع

الأول من سنة ٤٦٠ ودفنه بثيابه وقلنسوته ، وهيل عليه التراب داخل

القصر من غير غسل ولا صلاة رحمه الله تعالى . « أحمد يوسف نجاتي »

(٢) هجع جمع هاجع أي نائم غافل ساكن ، وقد يكون آخر البيت

« يتوجع » (٣) آخر ، وناطه به : علقه به ووكله إليه (٤) أدمج كذا في

الشيء : اذاضمه إياه ، وأدرجه : لفه ووطواه . وفي معنى العبارة قول الشاعر :

كم نعمة لا يستقل بشكرها لله في طي المكاره كامنه

وقوله :

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت ويبتلى الله بعض القوم بالنعم

(١٦ - نفح الطيب - سادس)

فَانْتَهَزَ فُرْصَتَهَا فَقَدْ بَانَ لَكَ مِنْ غَيْرِكَ الْعَجْزُ، وَطَبَّقَ مَفَاصِلَهَا
 فَقَدْ أَمَكَّنَكَ الْحَزُّ^(١)، وَلَا غَرَوْ أَنْ يُسْتَمَطَرَ الْغَمَامُ فِي
 الْجُدْبِ، وَيُسْتَصْحَبَ الْحُسَامُ فِي الْحَرْبِ. وَلَهُ:
 صَرَّحَ الشَّرُّ لَكُمْ لَا يُسْتَقَلُّ
 إِنْ نَهَلْتُمْ جَاءَكُمْ مِنْ بَعْدُ عَلٌّ^(٢)
 بَدَأَ صَعَقَ الْأَرْضِ مِنْ رَشٍّ وَطَلٍّ
 وَرِيَّاحٍ ثُمَّ غَيْمٍ قَدْ أَبُلُّ

(١) المطبق من السيوف: الذي يصيب المفصل فيبينه، ومنه قولهم للرجل إذا أصاب الحجة: إنه يطبق المفصل « ويقال للبلع من الرجال: قد طبق المفصل ورد قالب الكلام، ووضع الهناء مواضع النقب » وأصل التطبيق إصابة المفصل وهو طبق العظمين أي ملتقاهما فيفصل بينهما، والمطبق من الرجال الذي يصيب الأمور برأيه، والحز: قطع في علاج، أو ما كان في اللحم غير بائن، ويقال لمن يصيب الحجة مع إيجاز: فلان يقلل الحز ويطبق المفصل - وغرض الكاتب الحث على انتهاز الفرصة فقد سنحت والانتفاع بها قبل فوتها، وفي الأصل « مضاربها » بدل « مفاصلها » « أحمد يوسف نجاتي ».

(٢) صرح الشر: إذا بان وظهر، والنهل: الشرب الأول، والعل والعلل: الشرب الثاني: يقول قديان الشر، و بدت طلائعه، وظهرت أماراته، ولا ينبغي أن يستهان به، أو تعدد قليلة، وإن نالكم منه قليل تفاقم بعد فتجرعتم منه الكثير، وضرب المثل في البيت الثاني للخطب الجليل يأتي أو لا يسيرا ثم يعظم شيئا فشيئا. ومعظم النار من مستعصر الشرر. هذا والآيات هنا كما ترى من بحر الرمل، وينبغي قراءة القوافي ساكنة لأنها لو حركت اختلفت حركة الروى من رفع في سائر الآيات إلى جر في قوله:

خَفَضُوا فَالِدَاءَ رُزْءٍ أَوْ أَجَلٍ

وَأَغْمَدُوا سَيْفًا عَلَيْكُمْ قَدْ يُسَلِّ

وَأَبْنُهُ أَبُو الْقَاسِمِ هُوَ الَّذِي كَانَ سَبَبَ فَسَادِ دَوْلَةِ

الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ بِسَبَبِ قَتْلِ الْمُعْتَصِدِ وَالِدِهِ كَمَا مَرَّ (٣)

« بدء صعق الأرض من رش وطل » ولكنى أعرف الأبيات برواية أخرى هكذا :

صرح الشر فلا يستقل ان نهلم جاءكم بعد عل
بدء صعق الأرض رش وطل ورياح ثم غيم أبل
خفضوا فالداء رزء أجل واغمدوا سيفاً عليكم يسل
فتكون من بحر المديد ، وتكون قوافيها كلها مرفوعة الروى - وأنا
أختار هذه الرواية التى لا تختلف معها حركات حرف الروى ، والتى تحرك
معها الكلمات المعربة المرفوعة كما لا يخفى « ووزن المديد هنا : فاعلاتن
فاعلن فاعلاتن » وفى بعض الأبيات خبن بعض التفاعيل أى حذف
ألف فاعلاتن أو فاعلن ، وهو سائغ كثير - وغيم « أبل » تفضيل من
بل الشئ يبله ، كما قالوا : الجنوب أبل الرياح ، أو من قولهم : رجل أبل
إذا كان جدلاً شديد الخصومة ، أو شديد الأوم لا يدرك ما عنده ، ورجل
أبل : إذا كان حلاًفاً ظلوماً - وبل فى الأرض : إذا ذهب وأبعد ، فالغرض
وصف الغيم بالشدة وكثرة الماء وهطله وقوة انهماره بعد أن كان قد بدأ
رشاً فطلا . « أحمد يوسف نجاتى » (٢) فقد حرض عليه أمير المسلمين
يوسف بن تاشفين صاحب الغرب ، حتى أزال ملكه ، وثر ملكه ، وسبب
هلكة ، وقد تقدم تفصيل ذلك . وابنه هو أبو القاسم الحسن بن عمر
ابن الحسن الهوزنى الاشبلى ، روى عن أبيه وغيره ، ورحل إلى المشرق

* *

« وَمِنْهُمْ أَبُو عَمْرٍو عُثْمَانُ بْنُ الْحُسَيْنِ * أَخُو الْحَافِظِ
أَبِي الْخَطَّابِ بْنِ دَحِيَّةَ الْآتِي » كَانَتْ أَسَنُّ مِنْ أَخِيهِ
أَبِي الْخَطَّابِ ، وَكَانَ حَافِظًا لِلُّغَةِ الْعَرَبِ قِيَمًا بِهَا . وَعَزَلَ
الْمَلِكُ الْكَامِلُ أَبَا الْخَطَّابِ عَنْ دَارِ الْحَدِيثِ الْكَامِلِيَّةِ ^(١)

عثمان بن الحسين
ابن دحية الكلبي

وسمع بالمغرب ومصر وغيرها ، وكان فقيها مشورا ببلده ، عالي في روايته ،
ذا كرا للأخبار والأحاديث ، حسن الإيراد لها . ولد سنة ٤٣٥ هـ ، وتوفي
سنة ٥١٢ هـ . وبيت بني الهوزني كان بالأندلس بيتا كبيرا مشهورا ، ونبغ
منهم عدة علماء وكبراء — رحمهم الله جميعا . « أحمد يوسف نجاتي » .

* ترجم له في كتاب الأعلام « ج ٢ ص ٧١٣ » قال :

أديب ماهر ، عالم بارع ، حافظ للحديث ، رحالة ، من أهل بلنسية
بالأندلس ، طاف الأندلس ، وجاب مرا كش ، ومصر ، والشام ، والعراق
وخراسان ، وتوفي بالقاهرة . من تصانيفه :

تنبيه البصائر في أسماء الحمر ، والمطرب من أشعار أهل المغرب ، والآيات
البيّنات ، ونهاية السؤل في خصائص الرسول ، والتنوير في مولد السراج المنير
(١) دار الحديث الكاملية أنشأها السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد
ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب سنة ٦٢٢ هـ وكانت بخط بين القصرين
من القاهرة ، ولما بناها الملك الكامل وقفها على المشتغلين بالحديث النبوي
الشريف ، ثم من بعدهم على الفقهاء الشافعية ، ووقف عليها ريعا كان
بجوارها . وأول من تولى تدريس الكاملية الحافظ أبو الخطاب عمر بن
الحسين بن علي بن دحية المتوفى سنة ٦٣٣ هـ ثم أخوه هذا أبو عمرو عثمان
ابن حسن بن علي بن محمد بن فرج بن خلف الأندلسي السبتي البلسي

الَّتِي أَنْشَأَهَا بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ ، وَرَتَّبَ مَكَانَهُ أَخَاهُ أَبَا عَمْرٍو
الْمَذْكُورَ ، وَلَمْ يَزَلْ بِهَا إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ
وَسِتِّمِائَةَ بِالقَاهِرَةِ ، وَدُفِنَ بِسَفْحِ الْمُقَطَّمِ كَأَخِيهِ . وَكَانَ
مَوْتُ أَبِي عَمْرٍو بَعْدَ أَبِي الْخَطَّابِ بِسَنَةِ - رَحِمَهُمَا اللَّهُ
تَعَالَى - .

محمد بن
القاسم المعروف
باشكناهة

« وَمِنْهُمْ الْكَاتِبُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ » مِنْ
أَهْلِ وَادِي الْحِجَارَةِ ، وَيُعْرَفُ بِاشْكِنَهَادَةِ . وَأُرْتَحَلَ إِلَى
الْمَشْرِقِ لَمَّا نَبَتْ بِهِ حَضْرَةُ قُرْطُبَةَ عِنْدَ تَقَلُّبِ دَوْلِهَا ،
وَتَحَوُّلِ مُلُوكِهَا وَخَوَلِهَا ، فَجَالَ فِي الْعِرَاقِ ، وَقَاسَى أَلَمَ
الْفِرَاقِ ، وَاجْتَاَزَ بِحَلَبَ ، وَأَقَامَ بِهَا مُقَامَ غَرِيبٍ لَمْ يَصِفْ
لَهُ حَلَبٌ ، وَقَالَ :

ثم الحافظ عبد العظيم المنذرى، ثم الرشيد العطار . وما برحت بيد أعيان
الفقهاء الى أن كانت الحوادث والمحن منذ سنة ٨٠٦ فزالت كما زال غيرها .
وقد جدد بعض هذه المدرسة الأمير حسن كتحدا مستحفظان الشعراوى
سنة ١١٦٦ هـ كما يستفاد ذلك من الكتابة المنقوشة على بابها . ولا تزال
هذه المدرسة موجودة الى اليوم بشارع بين القصرين بجوار جامع السلطان
برقوق من الشمال ، وهى معروفة باسم جامع الكامل . وعند ترجمة أبى
الخطاب بن دحية نيين سبب عزله ان شاء الله . « أحمد يوسف نجأتى »

أَيْنَ أَقْصَى الْغَرْبِ مِنْ أَرْضِ حَلَبٍ؟!
آمِلْ فِي الْغَرْبِ مَوْصُولُ التَّعَبِ
حَنٌّ مِنْ شَوْقٍ إِلَى أَوْطَانِهِ
مُذْ^(١) جَفَاهُ صَبْرُهُ لَمَّا أُغْتَرِبَ
جَالَ فِي الْأَرْضِ لَجَاجًا حَارًّا
بَيْنَ شَوْقٍ وَعَنَاءٍ وَنَصَبٍ^(٢)
كُلُّ مَنْ يَلْقَاهُ لَا يَعْرِفُهُ مُسْتَغِيثًا بَيْنَ عُجْمٍ وَعَرَبٍ
لَهْفَ نَفْسِي! أَيْنَ هَاتِيكَ الْعَلَا؟!
وَاضْيَاعَاهُ! وَيَا غَبْنَ الْحَسَبِ؟!
وَالَّذِي قَدْ كَانَ ذُخْرًا وَبِهِ
أَرْتَجِي الْمَالَ وَإِدْرَاكَ الرُّتَبِ
صَارَ لِي أَبْخَسَ مَا أَعْدَدْتُهُ
بَيْنَ قَوْمٍ مَا دَرَوْا طَعْمَ الْأَدَبِ
يَا أَحِبَّائِي أَسْمَعُوا بَعْضَ الَّذِي
يَتَلَقَّاهُ الطَّرِيدُ الْمُغْتَرِبُ

(١) في الأصل «من جفاه» (٢) اللجاج : الاستمرار والدوام، والنصب: التعب

وَلْيَكُنْ زَجْرًا لَكُمْ عَنْ غُرْبَةٍ
يَرْجِعُ الرَّأْسُ لَدَيْهَا كَالذَّنْبِ^(١)
وَأَحْمِلُوا طَعْنًا وَضَرْبًا دَائِمًا
فَهُوَ عِنْدِي بَيْنَ قَوْمِي كَالضَّرْبِ^(٢)
وَلَئِنْ قَاسَيْتُ مَا قَاسَيْتُهُ . فَبِمَا أَبْصَرَ لَحْظِي مِنْ عَجَبٍ
وَلَقَدْ أَخْبِرْتُمْ أَنْ أَلْتَقَى بِكُمْ حَتَّى تَقُولُوا قَدْ كَذَبَ
وَأَجْتَازَ بِدِمَشْقَ فَقَالَ مِنْ آيَاتِ - رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى - :
دِمَشْقُ جَنَّةِ الدُّنْيَا حَقِيقًا وَلَكِنْ لَيْسَ تَصْلُحُ لِلْغَرِيبِ
بِهَا قَوْمٌ لَهُمْ عُدَدٌ وَمَجْدٌ وَصُحْبَتُهُمْ تَتَوَلَّى إِلَى حُرُوبٍ
ثُمَّ إِنَّهُ وَدَّعَ الشَّرْقَ بِلَا سَلَامٍ ، وَحَلَّ بِحَضْرَةِ دَانِيَةِ
لَدَى مَلِكِهَا مُجَاهِدٍ الْعَامِرِيِّ^(٣) فِي بُجْبُوحَةٍ عِزٍّ لَا يُخْشَى

(١) هذا مثل قول الأول :

ومن يغترب عن قومه لا يزل يرى
وتدفن منه الصالحات، وإن يسيء
مصارع مظلوم مجرا ومسحبا
يكن ما أساء النار في رأس كبكبا
وقال زهير :

خلى في بلادك، ان قوما متى يدعوا ديارهم يهانوا

(٢) الضرب محرّكة : العسل الأبيض الغليظ (٣) أبو الجيش الموفق مجاهد
ابن عبد الله العامري مولى عبد الرحمن الناصر بن المنصور محمد بن أبي عامر

فِيهِ الْمَلَامُ ، وَأُسْتَقْبَلَ الْأَنْدَلُسَ بِخَاطِرٍ جَدِيدٍ ، وَنَالَ بِهَا
 بَعْدُ مِنْ بُلُوغِ الْآمَالِ مَا لَيْسَ لَهُ عَلَيْهِ مَزِيدٌ ، وَقَالَ :
 وَكَمْ قَدْ لَقِيتُ الْجُهْدَ قَبْلَ مُجَاهِدٍ
 وَكَمْ أَبْصَرْتُ عَيْنِي ، وَكَمْ سَمِعْتُ أُذُنِي
 وَلَا قِيَّتُ مِنْ دَهْرِي وَصَرَفَ خُطُوبِهِ
 كَمَا جَرَّتِ النَّكْبَاءُ^(١) فِي مَعْطِفِ الْغُصْنِ
 فَلَا تَسْأَلُونِي عَنْ فِرَاقِ جَهَنَّمَ
 وَلَكِنْ سَأَلُونِي عَنْ دُخُولِي إِلَى عَدْنِ

كان من أهل الشجاعة والأدب، والمحبة للعلوم وأهلها، نشأ بقرطبة، وكانت له همة وجلادة وجرأة، فلما جاءت أيام الفتنة، وتغلب الجيش ورجاله على النواحي بذهاب دولة ابن أبي عامر قصد هو فيمن تبعه الجزائر التي في شرق الأندلس - وهي جزائر ذات خصب وسعة - فغلب عليها وحماها، ثم قصد منها في السفن إلى جزيرة سردينيا سنة ٤٠٦ هـ فغلب على أكثرها. ثم اختلفت عليه أهواء الجند، ودهمته الروم فغلبت على أكثر سفنه، ونالوا من جيشه ومن المسلمين. ثم عاد مجاهد إلى الجزائر الأندلسية التي كانت في طاعته، وتغلبت به الأحوال حتى غلب على مدينة دانية وما يليها، واستقرت به النوى فيها. وكان جوادا على ذوي العلم والأدب، يبذل لهم الرغائب، ويدني مجالسهم، وتقدم شيء من سيرته وأخباره. وتوفي بدانية سنة ٤٣٦ هـ. « أحمد يوسف نجاتي ».

(١) النكباء : ريج انحرفت عن مهاب الرياح القوم، ووقعت بين ريحين وهي ريج شديدة، تهلك المال، وتحبس الفطر « أحمد يوسف نجاتي »

« وَلَهُ مِنْ كِتَابٍ » وَحَامِلُ كِتَابِي - سَلَّمَ اللهُ
تَعَالَى وَأَعَانَهُ - مِمَّنْ أَخْنَى عَلَيْهِ الزَّمَانُ ، وَأَدَارَ عَلَيْهِ - وَمَا
صَحَا إِلَى الْآنَ - كُوُؤُسَ الْهُوََانِ ، وَقَدْ قَصَدَ عَلَى بُعْدِ
جَنَابِكَ الرَّحِيبَ الْخَصِيبَ ، قَصَدَ الْحَسَنَ مَحَلَّ الْخَصِيبِ^(١)
وَيَمَّمْ جَنَابَ ابْنِ طَاهِرٍ حَبِيبٍ^(٢) . وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَرْجِعَ
مِنْكَ رُجُوعَ نُصَيْبٍ عَنْ سُلَيْمَانَ^(٣) ، وَيَسْتَعِينَ فِي شُكْرِكَ

(١) يريد الحسن بن هانيء أبا نواس وقد قصد الخصيب صاحب خراج
مصر زمن هرون الرشيد ومدحه بمدائح غراء، وأجزل صلته وأسنى عطاياه
(٢) يريد أبا تمام حبيب بن أوس وقد قصد عبد الله بن طاهر بن الحسين
كذلك بخراسان، ومدحه بقصيدته الغراء التي مطلعها :

أهـن عوادي يوسف وصواحيبه؟! فعزما، فقدما أدرك السؤل طالبه
وقال فيه وقد خرج إليه :

يقول في قومس صحي - وقد أخذت منا السرى وخطا المهرية القود:
أطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا؟! فقلت: كلا، ولاكن مطلع الجود؟
« قومس صقع كبير بين خراسان وبلاد الجبل، والسرى: سير الليل، والمهرية:
الابل الكريمة، والقود جمع أقود وقوداء: وهي طويلة العنق » فأسبغ
عليه الأمير عبد الله نعمة وفضاله، وعاد وهو موزق العود، قد غمره الندى
والجود « أحمد يوسف نجاشي » (٣) يريد نصيبا شاعر بني أمية المشهور،
وقد مدح الخليفة سليمان بن عبد الملك، وهو القائل فيه :

أقول لركب قافلين لقيتهم قفا ذات أوشال - ومولاك قارب:
قفوا خبروني عن سليمان، إني لمعروفه من أهل ودان راغب
فعاوجوا فأنثوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائق

بِكُلِّ لِسَانٍ ، وَأَنْتَ عَلِيمٌ بِأَنَّ الشَّاءَ هُوَ الْخَلْفُ ، وَقَدْ
قَالَ الْأَوَّلُ :

أَرَى النَّاسَ أُحْدُوثَةً فَكُونِي حَدِيثًا حَسَنًا
وَأَنَا الْقَائِلُ :

فَلَا تَرْهَدَنِي فِي الْخَيْرِ ، قَدْ مَاتَ حَاتِمٌ
وَأَخْبَارُهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ تُذَكِّرُ
وَمَعَ هَذَا فَهُوَ عَلِيمٌ^(١) بِقَدْرِ مَا يُحْتَمَلُ مِنَ التَّكْلِيفِ
هَذَا الْأَوَّانَ ، عَارِفٌ وَجُوهَ الْأَعْذَارِ غَيْرُ ذِي عَجَلٍ فِي
الْعُتْبِ قَبْلَ الْبَيَانِ ، وَعِنْدَ سَيِّدِي مِنَ التَّصَدَّى لِلْإِيْفَاءِ^(٢) ،

« قفا اسم بمعنى ظهر أو خلف أو وراء ، فهو ظرف مكان مضاف إلى ذات أو شال ،
يقال هم قفا الالكه وبقفاها : أي بظهرها أو خلفها أو وراءها ، وركب قفا الجبل
أوقافيته ، ووجدته بقفا سلع : أي وراءه وخلفه ، وأوشال جمع وشل : وهو
الماء القليل ، والقارب : طالب الماء ليلا » أو طالب الماء مطلقا »
وودان موضع بين مكة والمدينة قرية جامعة قريبة من الجحفة ، وكانت
مساكن بني ضمرة وغفار وكنانة ، وقد أكثر نصيب من ذكرها في شعره
« أحمد يوسف نجاتي » (١) في الأصل « عليه » وهو تصحيف مشوه
« أحمد يوسف نجاتي » (٢) في نسخة « من التهدي للإيفاء » والتهدي :
الاهتداء ، والتصدي : التعرض « يريد أنه يهتدي إلى عمل البر للموصي
به ، ويتعرض لوفاء الحقوق وإيفاء النعم » أحمد يوسف نجاتي »

مَا يُحَقِّقُ فِيهِ جَمِيلَ الرَّجَاءِ ، دَامَتْ أَرْجَاؤُهُ مُؤَمَّلَةً ، وَلَا
بَرَحَتْ نِعْمُهُ سَابِغَةً مُكَمَّلَةً .

محمد بن عبد
ربه الملقى

« وَمِنْهُمْ الْكَاتِبُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ
الْمَالِقِيُّ » وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّهُ مِنْ أَلْجَزِيرَةِ الْخَضِرَاءِ ، لَهُ رِحْلَةٌ
إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ صَنَعَ فِيهَا مَقَامَةً يَقُولُ فِيهَا :
وَفِي جَنَبَاتِ^(١) الرُّوضِ نَهْرٌ وَدَوْحَةٌ
يَرُوقُكَ مِنْهَا سُنْدُسٌ وَنُضَارٌ
تَقُولُ وَضَوْءُ الْبَدْرِ فِيهِ مُغَرَّبٌ^(٢) -

ذِرَاعُ فَتَاةٍ دَارَ فِيهِ سِوَارٌ

* ترجم له في كتاب المغرب في حلى المغرب « المجلد الأول من الأصل
ص ٣٦ » بما يأتي :

أبو عبد الله محمد بن عبد ربه من ولد أبي عمر بن عبد ربه صاحب
كتاب العقد، رحل إلى المشرق ، وله رسالة في صقلية وذكر فيها ماجرى
له بمصر ، وكان كاتباً لأبي الربيع بن عبد الله بن عبد المؤمن سلطان
المغرب الأوسط ، ومن شعره قوله :

كأنما الشمس وقد قابلت بدر الدجى والافق الأهيف
فان تقل مالونها واحد قلت وهذا سبع أخيف

وحذر في رسالته من الأسفار لما لاقى فيها .

(١) جنبات: نواح ، جمع جنبه ، والدوحة : الشجرة العظيمة ذات الظل
الوارف، وراقه: أعجبه وسره (٢) في الأصل « مغرباً » « أحمد يوسف نجاتي »

وَمِنْ شِعْرِهِ :

مَا كُلُّ إِنْسَانٍ أَخٌ مُنْصِفٌ وَلَا أَلْيَالِي أَبَدًا تُسْعِفُ
فَلَا تُضِعْ - إِنْ أَمَكَنْتَ - فُرْصَةً ^(١)

وَأَصْحَبٌ مِنَ الْإِخْوَانِ مَنْ يُنْصِفُ
وَأَنْتِفٌ مِنَ الدَّهْرِ وَلَوْ رِيشَةً فَإِنَّمَا حَظُّكَ مَا تَنْتِفُ
وَقَوْلُهُ يَرِثِي السَّيِّدَ أَبَا عِمْرَانَ ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
يُوسُفَ بْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ مَلِكِ
الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ :

يَجِيدُ الْمَعَالِي أَيُّ عَقْدٍ تَبَدَّدَا !

وَصَدْرُ الْعَوَالِي أَيُّ رُمَحٍ تَقْصَدَا ^(٢) !
وَلَمَّا دَهَتْ خَيْلُ الشَّقِيِّ فُجَاءَةً

وَسَالَ الْعِدَا بِحَرَامِنِ الْمَوْتِ مُزْبَدَا ^(٣)

(١) و يروى : فلا تضيع فرصة أمكنت (٢) الجيد العنق ، والعوالى الرماح ، وتقصد : تكسر (٣) يريد بالشقي ابن غانية المسوفي صاحب جزيرة ميورقة . وخلاصة هذه الحوادث أن أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين المتوفى سنة ٥٣٧ هـ كان قد ولى على جزائر الأندلس الشرقية « وهى ميورقة ومنورقة ويابسة » محمد بن إسحق بن محمد المسوفي المعروف بابن غانية « وهى أهم » فتوارثها بنوه من بعده ، إلى أن كانت دولة الموحد بنى عبد المؤمن ، ففى سنة ٥٤٣ هـ

شَهِدَتْ بِوَجْهِهِ كَالْغَزَالَةِ مُشْرِقًا
وَإِنْ كَانَ وَجْهُ الشَّمْسِ بِالنَّقْعِ مَرَّةً بَدَأَ^(١)

ملك الموحدون قرطبة. وكان بها يحيى بن على المسوفى مقبلاً لدعوة المرابطين
وفى أيام السلطان يوسف بن عبد المؤمن بن على كان بتلك الجزائر محمد
ابن اسحق بن محمد المسوفى، وكان له عدة اخوة يساهمون في الرياسة؛ منهم
على بن اسحق بن محمد، وهو الذى طرق مدينة بجاية على حين غفلة من
أهلها سنة ٥٨١ «وعليها يومئذ السيد أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن
عبد المؤمن» فاستولى عليها، ثم تغلب على بعض بلاد المغرب، فبعث اليه
المنصور بالله يعقوب بن يوسف جيشاً هزمه، ثم عاود ابن غانية الأجلاب
على إفريقية، واستمرت الحرب بينهم سجلاً مدة قتل في أثناءها جماعة من
وجوه الموحدين. ولما توفى المنصور سنة ٥٩٥ قوى أمر يحيى بن إسحق
المسوفى بإفريقية، فافتتح تونس سنة ٥٩٩ واستولى على غيرها من البلاد
وفرق فيها العمال، وخطب للخليفة العباسى، فسرّح السلطان الناصر لدين
الله بن يعقوب المنصور بالله أبا عبد الواحد بن أبى حفص الهنتانى جد
الملوك الحفصيين لقتال ابن غانية سنة ٦٠٢ فأوقع به، وقتل أخاه جبارة
ابن إسحق. وما زال بنو غانية كذلك يناوئون دولة الموحدين بإفريقية
حتى قتل فى بعض وقائعهم المرتضى أبو عمران موسى بن يوسف بن عبد
المؤمن بن على، قتل بظاهر مدينة تاهرت، قتله العرب أصحاب الميورقي ابن
غانية فى شهر سنة ٦٠٥ ثم وجه الناصر إلى ميورقة أسطولا مع عمه
السيد أبى العلاء فقتل صاحبها عبد الله بن إسحق المسوفى، وولى الناصر
على ميورقة عمه السيد أبازيد، وبعد السيد أبى زيد وليها السيد أبو عبد
الله بن أبى حفص بن عبد المؤمن، ثم أبو يحيى بن على بن أبى عمران
التيتملى، ومن بعده أخذها الفرنج سنة ٦٢٧ وكان الحادث بها عظيماً
«أحمد يوسف نجاتى» (١) الغزالة: الشمس، ومرمد: ذورمد، ويروى
«مربد» أى مغبر، والردة والرمدة لون الى الغبرة كالون الرماد، ويظهر أن
«مربدا» مصحف عن «أربدا» أو «أرمدا» «أحمد يوسف نجاتى»

عَزَائِمُ صِدْقٍ لَيْسَ تُصَرَفُ هَكَذَا

إِلَى الْمَوْتِ تَسْعَى، أَوْ عَلَى الْمَوْتِ يُعْتَدَى^(١)

وَكَانَ السَّيِّدُ أَبُو عِمْرَانَ الْمَرْثِيُّ قَتْلَهُ الْمَيُورَقِيُّ

صَاحِبُ فِئْتَةٍ إِفْرِيقِيَّةٍ فِي الْهَزِيمَةِ الْمَشْهُورَةِ عَلَى تَاهَرْتِ^(٢).

وَجَمَعَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ الْمَذْكُورُ شِعْرَ السَّيِّدِ أَبِي الرَّيِّيعِ^(٣)

ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ. وَكَانَ

ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ الْمَذْكُورُ كَاتِبًا لِلْسَّيِّدِ أَبِي الرَّيِّيعِ سُلَيْمَانَ

الْمَذْكُورِ. وَلَمَّا أَنْشَدَ لِبَعْضِ الشُّعْرَاءِ:

حَاكَتْ يَمِينُ الرِّيَّاحِ مُحْكَمَةً

فِي نَهْرٍ وَاضِحٍ الْأَسَارِيرِ^(٤)

(١) أى يصار إليه ، وفي الأصل « تعدى » وهو تصحيف (٤) فى الأصل

« تلوت » وهو تصحيف مفضل . وقد عرفت حقيقة هذه الحوادث ،

وتقدم القول فى بنى غانية بأكثر من هذا . هذا وقد كان السيد

أبو عمران موسى صاحب مدينة تلمسان فى مدة أخيه يوسف بن

عبد المؤمن ، واستخلفه على مراکش سنة ٥٦٧ حين عبر إلى

الأندلس . وتاهرت مدينة بالمغرب « أحمد يوسف نجاشى » (٢) قدمنا لك

أنه كان عاملاً للمنصور بالله يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن على مدينة

بجاية بافريقية سنة ٥٨١ « أحمد يوسف نجاشى » (٣) شبه ما تحدثه الريح

فوق سطح الماء من الغضون والتجمد والحبك بالدرع المحكمة الصنع المضاعفة

الحلق ، المقدرة السرد ، وجعل قطرات الغيث مسامير لحلق هذه الدرع ،

فَكُلَّمَا ضَعَّفَتْ بِهِ حَلَقًا قَامَ لَهَا الْقَطَرُ بِالمَسَامِيرِ
أَنْشَدَ لِنَفْسِهِ :

بَيْنَ الرِّيَاضِ وَبَيْنَ الْجَوِّ مُعْتَرِكٌ
بِيضٌ مِنَ الْبَرْقِ أَوْ سَمَرٌ مِنَ السَّمَرِ (١)
إِذَا وَتَرَتْ قَوْسَهَا كَفَّ السَّمَاءُ رَمَتْ
تَبَلًا مِنَ الْمَاءِ فِي زَغَفٍ مِنَ الْغَدْرِ (٢)

وهو تشبيه مألوف من قديم ، ومنه قول ابن المعتز :

غدير تخرج أمواجه هبوب الرياح ومر الصبا
إذا الشمس من فوقه أشرقت توهمته جوشنا مذهبها
ومن قصيدة البحترى في البركة :
إذا زهتها الصبا أبدت لها حبكا مثل الجواشن مصقولا حواشيها
ولا بن العطار :
مررنا بشاطئ النهر بين حدائق بها حدق الأزهار نستوقف الحدق
وقد نسجت كف النسيم مفاضة عليه ، وما غير الحباب لها خلق
ولا بني فراس الحمداني من أبيات :

وإذا الرياح جرت عليه في الذهاب وفي الرجوع
نثرت على بيض الصفا نوح بيننا خلق الدروع
وقد سبق في بعض الأجزاء السابقة شيء مما قيل في ذلك أيضا « أحمد
يوسف نجاتي » (١) البيض السيوف شبهت بالبرق ، والسمر الرماح ، والسمر
شجر صغار الورق قصار الشوك جيد الخشب قويه « جعل البرق سيف اللجوة ، والسمر
رماحا للرياض » (٢) أوتر القوس شد وترها ، والزغف الدرع الواسعة
الطويلة اللينة المحكمة ، والغدر : جمع غدير ، وقد شبه بالدرع « أو

لِأَجْلِ ذَاكَ إِذَا هَبَّتْ طَلَائِعُهَا
تَدَرَّعَ النَّهْرُ، وَاهْتَزَّتْ قَنَا الشَّجَرِ (١)
وَأَجْتَمَعَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ الْمَذْكُورُ فِي رِحْلَتِهِ بِالسَّعِيدِ
ابْنِ سَنَاءِ الْمَلِكِ (٢) وَأَخَذَ عَنْهُ شَيْئًا مِنْ شِعْرِهِ، وَرَوَاهُ بِالْمَغْرِبِ.

« وَمِنْهُمْ الشَّاعِرُ الْأَدِيبُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمُنْعِمِ
ابْنُ عُمَرَ بْنِ حَسَّانَ الْمَالِقِيِّ (٣) » وَمِنْ نَظْمِهِ فِي السُّلْطَانِ

عبد المنعم بن
عمر بن حسان
المالقي

العكس شبهت الدرع بالغير « وزغف الغدرا وأودر عها تتقى الرياض بها نبال
السماء « أحمد يوسف نجاتي » (١) تدرع النهر علاه مثل الدرع من سير
طلائع الريح فوقه ، وفي البيت حسن تعليل بديع يوضح البيتين قبله ،
والأبيات الثلاثة وحدة متماسكة تمثل المعركة القائمة بين الجو والرياض ،
وفيها التناسب البديع ، ولطف الخيال « أحمد يوسف نجاتي » (٢) هو
القاضي السعيد بن سناء الملك هبة الله بن القاضي الرشيد أبي الفضل
جعفر بن المعتمد سناء الملك أبي عبد الله محمد بن هبة الله بن محمد السعدي
الشاعر المصري المشهور ، صاحب الشعر البديع ، والنظم الرائق ، وأحد الفضلاء
النبلاء الرؤساء ذوي السعة والجاه والأدب والقدر ، وكان يجمع بين
النظم والنثر ، وقد أجاد فيهما الأجدادة التي كانت الغاية في عصره ، وتوفي
سنة ٦٠٨ بالقاهرة « أحمد يوسف نجاتي » (٣) عبد المنعم بن عمر بن
عبد الله بن حسان الجلياني ، حج وطوف ببلاد المشرق ، وكان شاعرا بليغا
وحكما أديبا ، وله النظم الفائق ، والنثر الرائق ، ومن نظمه :

وهل ثم نفس لا تميل الى الهوى؟! محال، ولكن ثم عزم على الصبر

سلالة هذا الخلق من ظهر واحد وللكل شرب من قوى ذلك الظهر

ومن تشبهاته :

صَلَّاحِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ مِنْ قَصِيدَةٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى
وَفِي صَهَوَاتٍ ^(١) الْمُقَرَّبَاتِ وَفِي الْقَنَاءِ
حُصُونُ حِمَى ، لَا فِي هِضَابِ الْمَعَاقِلِ
وَمِنْهَا

وَلَا مَلِكٌ يَأْتِي كَيُوسُفَ آخِرًا
كَمَا لَمْ يَجِيْءْ مِثْلُ لَهُ فِي الْأَوَائِلِ

ألا إنما الدنيا بحار تلاطمت فما أكثر الفرقى على الجنبات
وكان مجيدا في عمل الأشعار التي تقرأ القطعة الواحدة منها بعدة قواف
ويستخرج منها الرسائل والكلام الحكيم مكتوبا في خلال الشعر، وكان
يعمل ذلك دوائر وأشجارا وصورا بديدة . وتوفي بدمشق سنة ٦٠٣
« أحمد يوسف نجاني » (١) صهوات جمع صهوة : وهو من ظهر الجواد
موضع جلوس الفارس فوق ظهره، والمقربة الفرس التي تدنى وتقرب وتكرم
ولا تترك، فهي معدة ، قد ضمرت للركوب، ولا تجلس في المرعى، بل تكون
قرب البيوت للمهمات والطواريء يلجأ إليها إذا أريد الغزو وصد العدو، لاعتقها
وكرمها - يريد أن ظهور الخيل عز، وأنها هي السلاح حصون ذوى القوة والمنعة،
يسلم بها شرفهم الرفيع من الأذى ، وليست المنعة في معاقل البناء وحصون
القلاع ان لم تكن لها من الخيل والسلاح حماية، قد أعد أصحابها ما استطاعوا من
قوة ومن رباط الخيل يرهبون بها أعداءهم . وفي الأصل « حصول » بدل
« حصون » وهو تصحيف « أحمد يوسف نجاني » .

« وَمِنْهُمْ الْخَافِظُ أَبُو الْخَطَّابِ بْنُ دَحِيَّةَ، وَهُوَ مُجَدُّ الدِّينِ
عُمَرُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ فَرَحٍ بْنِ خَلْفٍ ^(١)
الظَّاهِرِيُّ الْمَذْهَبِ الْأَنْدَلُسِيِّ » كَانَ مِنْ كِبَارِ الْمُحَدِّثِينَ
وَمِنْ الْخَفَاطِ الثَّقَاتِ الْأَثْبَاتِ الْمُحَصِّلِينَ، أَسْتَوْطَنَ بِجَايَةِ ^(٢)

عمر بن الحسين
الظاهري
الاندلسي

(١) وخلف هو ابن قومس بن مزلال بن ملال بن بدر بن أحمد بن دحية
ابن خليفة بن فروة الكلبي - وفي الأصل « فرج » بدل « فرح »
وهو تصحيف. هكذا كان يقول المترجم في نسبه، فيقول انه من سلالة
دحية بن خليفة الكلبي الصحابي رضي الله عنه، كما كان يذكر أن أمه هي
أمة الرحمن بنت أبي عبد الله بن أبي البسام موسى بن عبد الله بن الحسين
بن جعفر بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي
ابن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فلهذا كان يكتب بخطه
« ذو النسبين، دحية والحسين، رضي الله عنهما » وكان يكتب أيضا : سبط
أبي البسام - إشارة الى ذلك . وجده دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة
ابن زيد بن امرئ القيس بن الخزرج بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر
ابن عوف بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور
ابن كلب بن وبرة الكلبي صاحب رسول الله صلى الله وسلم ، أسلم قديما
وشهد أحدا وما بعدها، وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي صلى الله عليه
وسلم في صورته أحيانا، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب الى
عظيم بصرى ليدفعه الى هرقل سنة ست ، وكان سيدنا دحية من أجمل
الناس وأعفهم ، وشهد اليرموك، وسكن المزة القرية المعروفة بجانب دمشق،
وبقي الى خلافة سيدنا معاوية - رضي الله عنهما « أحمد يوسف نجاتي »
(٢) بجاية مدينة على ساحل البحر الأبيض معروفة ، اختطها الناصر بن

فِي مُدَّةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ تُوْمُورٍ^(١) ، وَرَوَى بِهَا وَأَسْمَعَ .

عَلَنَاس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكين الصنهاجي في حدود سنة ٤٥٧ وكانت قاعدة ملك بني حماد ، وتسمى الناصرية أيضا باسم الناصر بانيها ، وكانت السفن ترحل منها وتسافر الى جميع الجهات - وملك بجاية بعد الناصر ولده المنصور ، ثم ابنه باديس بن المنصور بن الناصر ، ثم أخوه العزيز ابن المنصور ، ثم ولده يحيى بن العزيز ، وهو آخر ملوك بني حماد ، وانقرضت دولتهم ، وملك عبد المؤمن بن علي ملك الموحدين دولتهم ، واستولى على جميع ما بأيديهم ، وكان استيلاؤه على مدينة بجاية سنة ٥٤٤ هـ « أحمد يوسف نجاتي » (١) كذا بالأصل ، وأنا أظن أن في العبارة سقطا وتحريفا فقد يكون الأصل « في مدة أبي عبد الله محمد الناصر من بني عبد المؤمن » فيكون « ابن تومور » مصحفا عن « من بني عبد المؤمن » وليبيان ذلك نقول - موجزين تاريخ بجاية واستيلاء الموحدين عليها : قد عرفت ملوك بني حماد الذين ملكوا مدينة بجاية ، وفي سنة ٥٤٤ هـ - وهي السنة التي ولد فيها صاحب الترجمة « عمر بن دحية » أو التي قبل مولده بقليل سنوات ان كان مولده سنة ٥٤٦ أو سنة ٥٤٧ أو سنة ٥٤٨ كما قيل بذلك - استولى أمير المؤمنين أبو محمد عبد المؤمن بن علي على مدينة بجاية من صاحبها يحيى بن العزيز بن المنصور بن الناصر باني مدينة بجاية ، فدخلت ضمن مملكة الموحدين الشاسعة ، وفي سنة ٥٤٩ هـ عقد عبد المؤمن بن علي لابنه السيد أبي محمد عبد الله بن عبد المؤمن على بجاية وأعمالها ، واستمر فيها الى وفاة والده سنة ٥٥٨ هـ وكانت سن ابن دحية لا تتجاوز ١٤ عاما - فقام بالأمر بعد عبد المؤمن بن علي ابنه أبو يعقوب يوسف ، وفي سنة ٥٦١ هـ عقد على بجاية لأخيه السيد أبي زكريا يحيى بن عبد المؤمن ، وتوفي السلطان يوسف سنة ٥٨٠ هـ فتولى الأمر بعده ولده يعقوب المنصور « وكان ابن دحية يبالغ حوالى ٣٥ عاما » ومن حينئذ يجوز أن يكون قد فارق الأندلس ، وقد عرفت أنه اشتغل بطلب الحديث في أكثر مدنها ، ولقى بها

وَكَانَ مِنْ أَحْفَظِ أَهْلِ زَمَانِهِ لِلُّغَةِ وَأَعْرِفِهِمْ بِهَا حَتَّى صَارَ حُوشِي
اللُّغَةِ عِنْدَهُ مُسْتَعْمَلًا غَالِبًا ، وَلَا يَحْفَظُ الْإِنْسَانُ مِنَ اللُّغَةِ
حُوشِيَّهَا إِلَّا وَذَلِكَ أَضْعَافُ أَضْعَافٍ مَحْفُوظَةٍ مِنْ مُسْتَعْمَلِهَا ،
وَكَانَ قَصْدُهُ - وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ - أَنْ يَتَفَرَّدَ بِنَوْعٍ
يَشْتَهَرُ بِهِ دُونَ غَيْرِهِ ، كَمَا فَعَلَ كَثِيرٌ مِنَ الْأَدَبَاءِ - حَيْثُ

علماءها ومشايخها ، وكان على بجاية في سنة ٥٨١ السيد أبو الربيع سليمان
ابن عبد الله بن عبد المؤمن ، ويصح أن تكون عبارة نفح الطيب « ابن
تومور » مصحفة ومبتورة عن « السيد أبي الربيع بن عبد الله بن عبد
المؤمن » وفي سنة ٥٨٤ عقد السلطان يعقوب على بجاية للسيد أبي الحسن
ابن السيد أبي حفص بن عبد المؤمن ، وتوفي يعقوب سنة ٥٩٥ ، وقام
بالأمر بعده أبو عبد الله محمد الناصر لدين الله بن يعقوب بن النصور بن
يوسف بن عبد المؤمن بن علي حتى توفي سنة ٦١٠ وقد كان صاحب
الترجمة يحدث بتونس سنة ٥٩٥ فلعله رحل إلى بر العدو قبيل ذلك ، ثم
كان في بجاية « في مدة أبي عبد الله محمد الناصر من بني عبد المؤمن »
فدحن نعرف أن أبا الخطاب بن دحية لم يفارق الأندلس إلا بعد أن طاف
بأحائها ، وروى عن أكثر الفضلاء من بلادها ، وبعد أن تولى قضاء مدينة
دانية بالأندلس مرتين ، ثم صرف عن ذلك لسيرة نعت - كما قيل - عليه ،
فرحل بعد ذلك إلى الغرب ، ودخل مراکش ، واجتمع بفضلائها ، ولقى
بلمسان قاضيها أبا الحسن بن أبي حيون ، ثم ارتحل إلى إفريقية ، وحدث
بتونس سنة ٥٩٥ كما تقدم « ومن تونس خرج إلى مصر والشرق .
ولذا ترجح أن تكون العبارة محرفة عن « أبي عبد الله الناصر من بني
عبد المؤمن » إن أريد الخليفة ، أو محرفة عن « أبي الحسن من بني
عبد المؤمن » الذي تولى بجاية سنة ٥٨٤ إن أريد والي الخليفة وعامله

تَرَكَوا طَرِيقَ الْمَغْرِبِ ^(١) وَأَنْفَرَدُوا بِالطَّرِيقِ الْآخَرِ
وَلَوْ سَلَكَوا طَرِيقَ الْمَغْرِبِ لَكَانُوا فِيهِ كَأَحَادِ النَّاسِ -
وَكَذَا الشَّيْخُ أَبُو الْخَطَّابِ بْنُ دِحْيَةَ ؛ لَهُ رَسَائِلُ وَمُخَاطَبَاتٌ
كُلُّهَا مُغْلَقَاتٌ مُقْفَلَاتٌ ^(٢) . وَكَانَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - إِذَا
كَتَبَ اسْمَهُ فِيمَا يُجِيزُهُ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ يَكْتُبُ ابْنَ دِحْيَةَ
وَدِحْيَةَ مَعَ الْمُتَشَبِّهِ بِهِ جِبْرِيلُ ^(٣) وَجِبْرَائِيلُ - وَيَذْكُرُ
مَا يُنِيفُ عَلَى ثَلَاثَ عَشْرَةَ لُغَةً مَذْكُورَةً فِي جِبْرِيلَ -
وَيَقُولُ: عِنْدَ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ . وَهَذَا فَرْعٌ أَنْفَرَدَ
بِهِ عَمَّنْ عَدَاهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ . قَالَ صَاحِبُ عُنوانِ الدَّرَايَةِ :
رَأَيْتُ لَهُ تَصْنِيفًا فِي رِجَالِ الْحَدِيثِ لَا بَأْسَ بِهِ . وَأَرْتَحِلُ
إِلَى الْمَشْرِقِ فِي دَوْلَةِ بَنِي أَيُّوبَ ، فَرَفَعُوا شَأْنَهُ ، وَقَرَّبُوا

على بجاية ، وقد طال القول هنا ولكنه لا يخلو من تحقيق وفوائد «أحمد
يوسف نجاتي» (١) من الاعراب وهو الاثباتة والافصاح عن الشيء
يريد اللفظ الظاهر الفصيح كثير الاستعمال البعيد عن الغرابة (٢) في ابن
خلكان : وكان أخوه أبو عمرو عثمان بن الحسن أسن من أخيه أبي
الخطاب، وكان حافظا للغة العرب فيما بها ، وتوفي بالقاهرة سنة ٦٣٤ ودفن
بسفح المقطم ، وله رسائل استعمل فيها حوشى اللغة . اهـ (٣) تقدم بيان
ذلك ، وأن جبريل كان يأتي صاحب الوحي - صلى الله عليه وسلم - في
صورة دحية أحيانا . « أحمد يوسف نجاتي »

مَكَانَهُ، وَجَمَعُوا لَهُ عُلَمَاءَ الْحَدِيثِ، وَحَضَرُوا لَهُ مَجْلِسًا أَقْرَأُوا
لَهُ فِيهِ بِالتَّقْدِيمِ، وَعَرَفُوا أَنَّهُ مِنْ أُولَى الضَّبْطِ وَالْإِتْقَانِ وَالتَّفْهَمِ،
وَذَكَرُوا أَحَادِيثَ بِأَسَانِيدَ حَوَّلُوا مُتُونَهَا، فَأَعَادَ الْمُتُونَ
الْمُحَوَّلَةَ، وَعَرَّفَ عَنْ تَغْيِيرِهَا، ثُمَّ ذَكَرَ الْأَحَادِيثَ عَلَى
مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ مُتُونِهَا الْأَصْلِيَّةِ . وَمِثْلُ هَذِهِ الْحِكَايَةِ
اتَّفَقَ لِأَبِي عُمَرَ بْنِ عَاتٍ ^(١) فِي كِتَابِ مُسْلِمٍ بِمَرَّ كِشَ
بَيْتِ الطَّلَبَةِ مِنْهَا . وَمِنْ شِعْرِ أَبِي الْخَطَّابِ مَا كَتَبَ بِهِ
إِلَى الْكَامِلِ بْنِ الْعَادِلِ ^(٢) بْنِ أَيُّوبَ :

(١) هو أحمد بن هرون بن أحمد بن جعفر بن عات الشاطبي ، توفي
سنة ٦٠٩ وستأتي ترجمته (٢) السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر
محمد بن أيوب ، قام بالأمر سنة ٥٩٦ خطب له بديار مصر وبلاد الشام
وحران والرها وميافارقين ، واستناب ابنه الكامل محمدًا غنه ، وعهد إليه
بعده بالملك ، وحلف له الأمراء ، فسكن قلعة الجبل ، واستمر أبوه في دار
الوزارة ، وفي أيام الملك العادل عاود الفرنج الحرب سنة ٦٠٠ وعزموا على
أخذ القدس ، وكثر عيثهم وفسادهم ، وكانت بينهم وبين المسلمين شؤون
وحوادث انتهت بنزولهم على مدينة دمياط في شهر ربيع الأول سنة ٦١٥
والعادل يومئذ بالشام - نخرج الملك الكامل لمحاربتهم ، فتوفي العادل بمرج
الصفير بدمشق في جمادى الآخرة سنة ٦١٥ - فقام من بعده ابنه السلطان
الملك الكامل ناصر الدين أبو العالی محمد بعهد أبيه ، فأقام في الملك أكثر
من عشرين سنة ، وتوفي بدمشق سنة ٦٣٥ وكان مولده سنة ٥٧٣ وكان
ملكًا شجاعًا عدلاً فاضلاً شهيراً مهيباً عاقلاً حازماً سديداً آراء حسن التدبير

مَالِي أَسْأَلُ بَرْقَ بَارِقَ عَنْكُمْ ؟!

مِنْ بَعْدِ مَا بَعْدَتْ دِيَارِي مِنْكُمْ ^(١) ؟!

فَمَحَلُّكُمْ قَلْبِي ، وَأَنْتُمْ بِالْحَشَا

لَا بِالْعَقِيقِ وَلَا بِرَامَةِ أَنْتُمْ ^(٢)

وَأَنَا الْمُقِيمُ عَلَى الْوَفَاءِ بِعَهْدِكُمْ

يَا مَالِكِينَ ؛ وَقَيْتُمْ أَوْ خُنْتُمْ

وَهِيَ طَوِيلَةٌ ، وَمِنْهَا :

للمالكه عفيفا حليما ذكيا فطنا، يحب العلماء والأماثل، ويلقى عليهم المشكلات وكان محبا للحديث وأهله، حريصا على حفظه ونقله، والاعلم عنده شرف منزلة وللعلماء أرفع مرتبة، وكان عنده مسائل غريبة من الفقه والنحو يوردها فمن أجابه حظى عنده. وله المواقف المشهودة في الجهاد بدمياط المدة الطويلة، وأنفق الأموال الكثيرة، وكافح العدو المخدول برا وبحرا ليلا ونهارا. وقد مدحه شعراء عصره كصفي الدين الحلبي و بهاء الدين زهير وكمال الدين ابن النبيه وغيرهم « أحمد يوسف نجاتي » (١) بارق : ماء بالعراق، وهو الحد بين القادسية والبصرة، وكان من أعمال الكوفة، وقد ذكره الشعراء فأكثرُوا ، وإياه عنى أبو الطيب المتنبي بقوله :

تذكرت ما بين العذيب وبارق بحر عوالينا ومجري السوابق
وقد منعه الشاعر هنا من الصرف لارادة الجهة أو لضرورة الشعر، وهي ضرورة سهلة سائغة . « أحمد يوسف نجاتي » (٢) العقيق بناحية المدينة وهناك عقيق آخر ببطن وادي ذي الحليفة ، وكان مهل أهل العراق من ذات عرق ، وهناك أعقة غير هذين، والعرب تقول لكل مسيل ماء شقه السيل في الأرض فأنهره ووسعه : عقيق . ورامه موضع بقرب البصرة بينها وبين مكة . « أحمد يوسف نجاتي » .

رَفَعَتْ لَهُ الْأَفْلَاقُ^(١) مِنْهُ سَجِيَّةً
مَلَكَ السَّمَاءِ الرُّمَحَ وَهُوَ مُحَرَّمٌ
وَمِنْهَا :

لَدَوِي النَّهْيَ وَالْفَهْمَ سِرُّ حُكُومَةٍ قَدْ حَارَفِيهَا كَاهِنٌ وَمُنَجِّمٌ
فَأَقْصِدْ مُرَادَكَ حَيْثُ سِرْتُ مُظَفَّرًا
وَاللَّهُ يَكْلَأُ، وَالْكَوَاكِبُ نُومٌ^(٢)
وَلِيَهْنِكَ الشَّهْرُ السَّعِيدُ تَصُومُهُ
وَتَقُوزُ فِيهِ بِالثَّوَابِ وَتَغْنَمُ
فَلَأَنْتَ فِي الدُّنْيَا كَلِيلَةٌ قَدْرُهُ
قَدْرًا، فَقَدَّرَكَ فِي الْمُلُوكِ مُعْظَمُ
فَأَجَابَهُ السُّلْطَانُ مُكَافَأَةً بِنَثْرٍ وَنَظْمٍ^(٣)، فَمِنْ النَّظْمِ :
وَهَيَّجْنَ شَوْقِي لِلْأَجَارِعِ بِاللَّوَى
وَأَيْنَ اللَّوَى مِنِّي، وَأَيْنَ الْأَجَارِعُ^(٤)؟ ! -

(١) في الأصل « الأملاك » وأرى السياق يقتضي أنها مصحفة عن « الأفلاك » وقد يكون أصل البيت « رفعت لها الأفلاك . . . » ويشير في عجز البيت إلى السماء الرامح . « أحمد يوسف نجاتي » .
(٢) كلاًه : حفظه ورعاه (٣) كان الملك الكامل يقول الشعر ويحجده .
(٤) الأجرع والجرعاء : الرملة لا تنبت شيئاً، والجرعاء والأجرعان مواضع بعينها .

مَرَابِعُ لَوْ أَنَّ الْمَرَابِعَ أَنْجُمٌ
 لَكَانَ نَجُومَ الْأَرْضِ تِلْكَ الْمَرَابِعُ^(١)
 رَعَى اللَّهُ أَيَّامًا بِهَا ، وَلَوْ أَنَّهَا
 إِلَى وَقْدَوْلَى الشَّبَابِ رَوَّاجِعُ !
 لَيَالَى لَا لَيْلَى إِذَا رُمْتُ وَصَلَهَا
 يُلُوحُ لَهَا مِنْ صُبْحِ شَيْبَى مَوَاقِعُ^(٢)
 فِي جُمْلَةِ أَيْبَاتٍ « وَمِنْ النَّثْرِ » الْحَمْدُ لِلَّهِ وَلِيَّ الْحَمْدِ ،
 وَقَفَ وَلَدَهُ عَلَى الْأَيْبَاتِ الَّتِي حَسُنَ شِعْرُهَا ، وَصَفَا دُرُّهَا ،
 وَلَيْسَ مِنَ الْبَدِيعِ^(٣) أَنْ يَقْدِفَ الْبَحْرُ دُرًّا ، أَوْ يَنْظِمَ
 الْخَلِيلُ^(٤) شِعْرًا ، وَقَدْ اتَّخَذَتْ الْوَرَقَةَ لِاتْتِزَّهِ فِي مَعَانِيهَا ،
 وَأَسْتَفِيدَ بِمَا أَوْدَعَهُ فِيهَا ، فَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُخْلِينَا مِنْ فَوَائِدِ
 فِكْرَتِهِ ، وَصَالِحِ أَدْعِيَّتِهِ ، وَالسَّلَامُ . فَأَجَابَهُ الْخَافِظُ

(١) يريد بالمرابع المنازل ، جمع مربع . وهو من قول الشاعر :

وجوه لوان الأرض فيها كواكب توقد للسايرين كانت كواكبا

(٢) لعلها « موانع » وفيه إشارة إلى قول الشاعر :

وجعلت أطلب وصلها بتذل والشيب يغمزها بأن لاتفعل

وهذا هو الذي أراه وأرتضيه « أحمد يوسف نجاتي » (٣) أي العجيب والغريب

(٤) وري باسم الخليل بن أحمد العالم اللغوي الأديب واضع العروض
 والشاعر المشهور تشبها للرسول إليه به ، وأراد هنا « الخليل » أي الصديق

أَبُو الْخَطَّابِ عَنِ الْآيَاتِ بِقَوْلِهِ مِنْ قَصِيدَةٍ :
 شَجَّتِي شَوَاجٍ فِي الْغُصُونِ سَوَاجِعُ
 فَقَاضَتْ هَوَامٍ لِلْجُفُونِ هَوَامِعُ^(١)
 وَأَكْثَرَ فِيهَا مِنَ التَّغْزُلِ - إِلَى أَنْ قَالَ :
 وَلَا حَاكِمَ أَرْضَاهُ يَنِينِي وَيَنِينَهَا
 سِوَى حَاكِمِ دَهْرِي لَهُ الْيَوْمَ طَائِعُ
 يُدَافِعُ عَنِّي الضَّيْمَ قَائِمُ سَيْفِهِ
 إِذَا عَزَّ مَنْ لِلضَّيْمِ عَنِّي يُدَافِعُ^(٢)
 هُوَ الْكَامِلُ الْأَوْصَافِ وَالْمَلِكُ الَّذِي
 تُشِيرُ إِلَيْهِ بِالْكَمَالِ الْأَصَابِعُ
 وَيَبِضُّ أَيْدِيهِ الْكَرِيمَةُ فِي الْوَرَى
 قَلَائِدُ فِي الْأَعْنَاقِ ، وَهِيَ الصَّنَائِعُ
 وَيَوْمَاهُ يَوْمَاهُ اللَّذَانِ هُمَا هُمَا
 إِذَا جَمَعَتْ غُلْبَ الْمُلُوكِ الْمَجَامِعُ^(٣)

(١) شجاء أثار شجوه : أي همه أو طربه ، وسجع : غنى وغرد ، وهمى

الدمع وهمع اذا سال منهمرا بكثرة (٢) قائم السيف مقبضه .

(٣) غلب جمع أغلب ، وهو في الأصل الأسد العظيم الرقبة ، يراد به هنا

وَمِنْهَا :

فَمَا رَوْضَةٌ غَنَّا بِهَا مَرَّتِ الصَّبَا
وَنَشْرُشَ ذَاهَا الطَّيِّبُ النَّشْرِ ذَائِعٌ ^(١)
لَهُ مِنْ شَذَى ^(٢) الزَّهْرِ بُرْدٌ مُفَوِّفٌ
أَتِيحَ لَهُ مِنْ أَرْضِ صَنَعَاءَ صَانِعُ
فَرَاقَكَ مِنْهَا أَخْضَرُ الثَّوْبِ نَاضِرُ
وَشَاقَكَ مِنْهَا أَصْفَرُ اللَّوْنِ فَاقِعٌ ^(٣)
وَأَحْمَرُ قَانٍ كَالْخُدُودِ ^(٤) مُورَدٌ
وَأَبْيَضُ كَالثَّغْرِ الْمُفْلَجِ نَاصِعُ

عظماء الملوك وصيدهم . وفي بعض النسخ « اذا جمعت فيه الملوك » وكأنه
يشير الى قول الشاعر :

له يوم بؤس فيه للناس أبؤس ويوم نعيم فيه للناس أنعم
فيقطر يوم الجود من كفه الندى ويقطر يوم البؤس من سيفه الدم
والى قول الفرزدق :

أو لئنك آبائي ، جئني بمثلهم اذا جمعنا يا جرير المجامع

(١) غنا مخفف من غناء، وهى التى قد كشفت أشجارها ، والنشر والشذى :
الرائحة الذكية (٢) فى الأصل وغيره « شكى » وأراها مصحفة عن
« شذى » أى ذى شذى وعرف طيب وأرج ذكى متضوع ، والمفوف
المنقوش المزخرف ، وأتيح قدر وهى ، وتقدم أن صنعاء ينسب اليها الصنع الجيد
(٣) رافه أعجبه وسره ، والفاقع شديد الصفرة (٤) فى الأصل « للحدود »

بِأَحْسَنَ مِنْ تَوْشِيْعٍ مَدْحِي الَّذِي لَهُ
 بَدَائِعُ مِنْ وَشْيِ الْبَدِيعِ وَشَائِعٌ^(١)
 وَمَاضَائِعُ مِنْ نَشْرِ شُكْرِي الَّذِي بِهِ
 تَأَرَّجَتِ الْأَرْجَاءُ عِنْدَكَ ضَائِعٌ^(٢)
 وَلَوْ لَمْ يُقَيِّدْنِي نَدَاكَ لَكَانَ لِي
 مَجَالٌ فَسِيحٌ فِي الْبَسِيطَةِ وَاسِعٌ^(٣)
 فَأَنْتَ الَّذِي لِي - وَالْأَعَادِي كَثِيرَةٌ -
 فَوْقَ مَكَانِ النَّجْمِ فِي الْأَفْقِ دَافِعٌ
 وَمِنْهَا :

بَقِيَتْ لِعَبْدٍ جَدُّهُ دَحِيَّةُ الَّذِي يُشَابَهُ جَبْرِيلُ لَهُ وَيُضَارِعُ

والقائي شديد الحمرة ، والناصع شديد البياض (١) توشيع الثوب
 أعلامه أي رقبته بعلم أو نحوه ، وبرد موشع أي موشى ذو رقوم
 وطرائق ، والتوشيع علم الثوب ، والتوشائع جمع وشيعة وهي الطريقة في البرد
 ومايكسوه الغازل للغزل (٢) ضاع الطيب وتضوع اذا تأرجت رائحته ،
 والنشر الرائحة الذكية ، وفي البيت جناس تام بين « ضائع » في أوله بالمعنى
 السابق ، و « ضائع » في آخره من الضياع (٣) من قول أبي الطيب :
 وقيدت نفسي في ذراك محبة ومن وجد الاحسان قيда تقيدا
 ومن قول الآخر في المعنى :

أراشوا جناحي ثم بلوه بالندى فلم أستطع من أرضهم طيرانا
 والبسيطة : الأرض الواسعة . « أحمد يوسف نجاتي » .

وَجَدَّتُهُ الزَّهْرَاءُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ
 عَلَيْهِ السَّلَامُ الدَّائِمُ الْمُسَابِعُ^(١)
 وَلَا عِدَمَتُ مِنْكَ الْمَالِكُ مَالِكًا
 يُقَرِّبُ لِلْأَمَالِ مَا هُوَ شَاسِعُ^(٢)
 وَمِنْكَ عُيُونُ لِلْمُهَمَّاتِ يَقْظُ
 وَعَنْكَ عُيُونُ الْحَادِثَاتِ هَوَاجِعُ^(٣)
 وَقَالَ الْمُقْرِزِيُّ فِي تَرْجَمَةِ الْمَلِكِ الْكَامِلِ : إِنَّهُ كَانَ
 مَشْغُوفًا بِسَمَاعِ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ، وَتَقَدَّمَ عِنْدَهُ أَبُو الْخَطَّابِ
 ابْنُ دِحْيَةَ ، وَبَنَى لَهُ دَارَ الْحَدِيثِ الْكَامِلِيَّةَ بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ
 بِالْقَاهِرَةِ . أَنْتَهَى . وَقَالَ أَبُو الْخَطَّابِ بْنُ دِحْيَةَ : أُنْشَدَنِي
 أَبُو الْقَاسِمِ السَّهِيلِيُّ^(٤) لِنَفْسِهِ - وَذَكَرَ أَنَّهُ مَا سَأَلَ اللَّهُ
 تَعَالَى بِهَا شَيْئًا إِلَّا أُعْطَاهُ :

(١) تقدم بيان ذلك فيما زودناه من أخبار صاحب الترجمة «أحمد يوسف نجاتي»
 (٢) الشاسع البعيد (٣) هجع اذا سكن وفر ، أوتام سا كنا (٤) منسوب
 الى وادى سهيل من كورة مالقة بالاندلس ، والسهيلي من احدى هذه
 القرى ، وهو أبو زيد « وأبو القاسم وأبو الحسن » عبد الرحمن بن
 عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن أصبغ بن حسين بن سعدون بن رضوان
 ابن فتوح الخنعمي ، كان فقيها جليلا ، وأديبا لغويا بليغا ، علما بالقراءات

يَا مَنْ يَرَى مَا فِي الضَّمِيرِ وَيَسْمَعُ
 أَنْتَ الْمَعْدُ لِكُلِّ مَا يُتَوَقَّعُ
 يَا مَنْ يُرْجَى لِلشَّدَائِدِ كُلِّهَا
 يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمُشْتَكَى وَالْمَفْزَعُ^(١)
 يَا مَنْ خَزَائِنُ رِزْقِهِ فِي قَوْلِ « كُنْ »
 أُمْنُنْ ، فَإِنَّ الْخَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ
 مَالِي سِوَى فَقْرِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ
 فَبِالْإِفْتِقَارِ إِلَيْكَ فَقْرِي أُدْفَعُ
 مَالِي سِوَى قَرْعِي لِبَابِكَ حِيلَةٌ
 فَلَنْ رُدِدْتُ فَأَيَّ بَابٍ أَقْرَعُ ؟

واللغات العربية وضروب الآداب، حافظا للسيرة والأخبار والأنساب، اماما في الحفظ والذكر والأدراك، مقدما في الفهم والفتنة والذكاء، له حظ وافر من قرض الشعر، والتصرف في فنون العلم، يغلب عليه علم العربية والغريب وتصدر للاقراء والتدريس واسماع الحديث، فبعد صيته، وجل قدره. وكان من أهل الرواية والدراية، وله تأليف مفيدة، منها كتاب «الروض الأنف» في شرح السيرة النبوية لابن اسحق، وهو من أجل تأليفه، دل به على سعة حفظه، ومتانة علمه، انتهى من تأليفه سنة ٥٦٩، واستدعى الى مراکش ليسمع منه بها، فتوفي هناك سنة ٥٨١، وكان مولده سنة ٥٠٩ أو قبيل ذلك «أحمد يوسف نجاتي» (١) فزع اليه اذا التجأ مستجيرا

وَمَنْ الَّذِي أَدْعُو وَأَهْتَفُ بِاسْمِهِ
 إِنْ كَانَ فَضْلُكَ عَنْ فَقِيرِكَ يُمْنَعُ!^(١)
 حَاشَا لَجُودِكَ أَنْ يُقْنَطَ عَاصِيًا
 الْفَضْلُ أَجْزَلُ، وَالْمَوَاهِبُ أَوْسَعُ
 وَمِنْ نَظْمِ الشَّهِيدِ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ :
 أَسْأَلُ عَنْ جِرَانِهِ مَنْ لَقِيَتْهُ
 وَأَعْرِضُ عَنْ ذِكْرَاهُ وَالْحَالُ تَنْطِقُ^(١)
 وَمَالِي إِلَى جِرَانِهِ مِنْ صَبَابَةٍ
 وَلَكِنْ نَفْسِي عَنْ صَبُوحٍ تَرْقُقُ^(٢)

(١) مما قيل في معناه :

أصبو الى الشرق ان كانت منازلكم

من جانب الغرب خوف القيل والقال

أقول بالحد خال حين أذكره خوف الرقيب، وما بالحد من خال

ومنه :

أورى بسعدى والرباب وزينب وأنت الذى تعنى وأنت المؤمل

ومثله :

وأقول بعض الناس عنك كناية حذر الرقيب ، وأنت كل الناس

وتلك مغالطات شعرية تتم العيون على حقيقة لها « أحمد يوسف نجاشي »

(٢) « عن صبح ترقق » هذا مثل ، والصبح ما يشرب صباحا، والغبوق

ما يشرب مساء ، وترقيق الكلام تزيينه وتحسينه وتلطيفه والكناية عنه

وَلَهُ :

لَمَّا أَجَابَ بِلَا طَمِعْتُ بِوَصْلِهِ

إِذْ حَرَفُ لَا حَرْفَانِ مُعْتَنَقَانِ^(١)

وَكَذَا نَعَمْ بِنَعِيمٍ وَصَلِ آذَنْتُ

فَنَعَمْ وَلَا فِي اللَّفْظِ مُتَّفِقَانِ

وُلِدَ أَبُو الْخَطَّابِ بْنُ دِحْيَةَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ سَبْعٍ

أَوْ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَتُوُفِّيَ أَنْفَجَارَ الْفَجْرِ لَيْلَةَ

وأصله أن رجلا اسمه جابان نزل بقوم ليلا، فأضافوه وسقوه غبوقا مساء فلما فرغ قال: اذا صبحتموني فكيف آخذ في طريقى وحاجتى؟ ف قيل له: عن صبح ترفق - أى أنت تعرض فى حديثك هذا بالصبح، وتكنى بسؤالك عنه، فكأنه قيل عن صبح تكنى، والكناية عن الشيء ألطف من التصريح به. يضرب لمن يكنى عن شيء وهو يريد غيره، كما أن الضيف أراد بهذه المقالة أن يوجب الصبح عليهم. ويروى عن الشعبي أنه قال لرجل سأله عمن قبل أم امرأته فقال: أعن صبح ترفق؟ حرمت عليه امرأته. ولعل الشعبي ظن ما وراء القبلة «أحمد يوسف نجاشى» (١) مثل هذا المعنى قول الشاعر:

انى لأحسد لافى أسطر الصحف اذا رأيت اعتناق اللام للآلف

وما أظنهما طال اعتناقهما الا لما لقيا من شدة الشغف

و يقرب من معنى البيتين قول الشاعر:

قولى: نعم، ونعم ان قلت واجبة قالت: عسى، وعسى جسرا الى نعم

و يعجبنى عدم يأس السهيل من محبوبه، وحسن خياله، وبديع تصرفه «أحمد يوسف نجاشى» .

الثلاثاء رابع عشر ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين
وستمائة بالقاهرة ، ودُفِنَ بِسَفْحِ الْمُقَطَّمِ . وَتَكَلَّمَ فِيهِ
جَمَاعَةٌ فِيمَا ذَكَرَهُ ابْنُ النَّجَّارِ ^(١) ، وَقَدَرُهُ أَجَلٌ مِمَّا ذَكَرُوهُ .
وَقَدْ رَوَى - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - بِالْمَغْرِبِ وَمِصْرَ وَالشَّامَ
وَالْعِرَاقَ وَخُرَاسَانَ وَعِرَاقَ الْعَجَمِ ، وَكُلُّ ذَلِكَ فِي طَلَبِ
الْحَدِيثِ . وَسَمِعَ بِالْأَنْدَلُسِ مِنْ ابْنِ بَشْكُوَالِ ^(٢) وَابْنِ
زَرْقُونِ ^(٣) فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ ، وَيَبْغَدَادَ مِنْ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ

(١) قالوا كان أبو الخطاب بن دحية في المحدثين مثل ابن عنين في الشعراء ،
يثلب علماء المسلمين ، ويقع فيهم ، وينال منهم بلسانه ، ويزيد في كلامه
فترك الناس لهذا الرواية عنه ، ولم يثقوا به ، وكان الملك الكامل مقبلا
عليه ، فلما انكشف له حاله أعرض عنه ، وعزله عن دار الحديث ، وترك
أكرامه حتى توفي سنة ٦٣٣ « أحمد يوسف نجاشي » (٢) سبقت ترجمة
ابن بشكوال خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال
المتوفى سنة ٥٧٨ (٣) أبو محمد عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الطيب
ابن أحمد بن زرقون القيسي من أهل الجزيرة الخضراء ، كان له سلف
عريق في العلم ، وهو من بيت دراية ورواية ، وتوفى سنة ٦٣١ ، وأظنه يريد
أبا عبد الله محمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد بن عبد البر بن مجاهد الأنصاري
الاشبيلي المعروف بابن زرقون « وجده سعيد بن عبد البر هو الملقب بذلك
لحمرة وجهه » كان أحد سداة الرجال ، حافظا للفقهاء مبرزا فيه ، مشهودا له
مع البراعة في الأدب ، والشاركة في فرض الشعر ، وحسن التصرف في طرفي
النظم والنثر . ولى قضاء مدينة شلب وقضاء سبتة ، فماتت سيرته ، وعرفت
(١٨ - نفح الطيب - سادس)

الْجَوْزِيُّ^(١)، وَبِأَصْبَهَانَ مِنْ أَبِي جَعْفَرٍ الصَّيْدَلَانِيِّ^(٢) مُعْجَمِ
الطَّبَرَانِيِّ، وَمِنْ غَيْرِهِ، وَبَنِيْسَابُورَ مِنْ أَبِي سَعْدٍ^(٣) بْنِ الصَّفَّارِ

نزاهته. وكان موطأ الكنف لين الجانب، حسن الشارة والهيئة، وقورا ذا صبر
على الجلوس للاسماع مع الكبرة، يتكاف ذلك وان شق عليه، رام يوما
أن ينهض من مجلسه فلم يستطع مما يجرو وراءه السنين كبرا، فاعتمد على
مأعانه، ولما استوى قائما أنشد متمثلا :

أصبحت عند الحسان زيفا وغير الحادثات نقشي
وكنت أمشي ولست أعيأ فصرت أعيأ ولست أمشي

وله مؤلفات نافعة، ولد بشرش سنة ٥٠١ وتوفي سنة ٥٨٦ بأشبيلية
« أحمد يوسف نجاتي » (١) هو العالم الجليل المشهور أبو الفرج عبد
الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حماد بن
أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم
ابن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق
رضي الله عنه، الشيخ الامام الحافظ الواعظ الورع المفسر العلامة جمال
الدين الحنبلي البغدادي، صاحب التصانيف المشهورة في أنواع العلوم المختلفة،
ولد ببغداد سنة ٥١٠ وفضله وحفظه وغزير علمه أشهر من أن يذكر
هنا، وكان أديبا رقيقا يقول الشعر المؤثر، ومن قوله :

رأيت خيال الظل أعظم عبرة لمن هو في علم الحقيقة راق
شخوص وأشكال تروتنقضي فتفنى جميعا والمحرك باقي

توفي سنة ٥٩٧ ببغداد رحمه الله « أحمد يوسف نجاتي » (٢) أبو جعفر
محمد بن أحمد بن نصر الصيدلاني الأصبهاني، ولد سنة ٥٠٩ ووصل في العلم
الى درجة عالية حتى انتهى اليه علو الأسناد في الدنيا، ورحل الناس اليه
من كل حدب، وتوفي سنة ٦٠٣ « أحمد يوسف نجاتي » (٣) في الأصل
« سعيد » وهو خطأ، وهو أبو سعد عبد الله بن عمر بن أحمد بن منصور
النيسابوري الشافعي، كان فقيها متبحرا أصوليا عالما عاملا، ولد سنة ٥٠٨

وَمَنْصُورِ بْنِ الْفَرَاوِيِّ^(١) وَالْمُوَيْدِ الطُّوسِيِّ^(٢) . وَحَصَلَ
الْكِتَابُ وَالْأُصُولُ ، وَحَدَّثَ وَأَفَادَ . وَكَانَ مِنْ أَعْيَانِ الْعُلَمَاءِ
وَمَشَاهِيرِ الْفُضَلَاءِ ، مُتَقِنًا لِعِلْمِ الْحَدِيثِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ ، عَارِفًا
بِالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ وَأَيَّامِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهَا . وَصَنَّفَ كِتَابًا
كَثِيرَةً مُفِيدَةً جِدًّا ؛ مِنْهَا « كِتَابُ التَّنْوِيرِ » فِي مَوْلِدِ السَّرَاجِ
الْمُنِيرِ » صَنَّفَهُ عِنْدَ قُدُومِهِ إِلَى إِرْبِلَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّمِائَةٍ
وَهُوَ مُتَوَجِّهٌ إِلَى خُرَاسَانَ لَمَّا رَأَى مَلِكَ إِرْبِلَ مُظْفَرَ الدِّينِ
كُوكْبَرِي^(٣) مُعْتَنِيًا بِعَمَلِ الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ

وتوفي سنة ٦٠٠ رحمه الله « أحمد يوسف نجاتي » (١) أبو الفتح منصور
ابن عبد المنعم بن أبي البركات عبد الله بن فقيه الحرم محمد بن الفضل
الفرأوي الفقيه المحدث ، ولد سنة ٥٢٢ وسمع من جده وجد أبيه وغيرهما ،
وتوفي بنيسابور سنة ٦٠٨ « أحمد يوسف نجاتي » (٢) المويد بن محمد
ابن علي بن حسن رضي الدين أبو الحسن الطوسي المقرئ مسند خراسان ،
ولد سنة ٥٢٤ وانهى إليه علو الأسناد بنيسابور ، ورحل إليه الطلاب من
الافطار ، وتوفي سنة ٦١٧ « أحمد يوسف نجاتي » (٣) هو أبو سعيد
مظفر الدين كوكبوري بن زين الدين أبي الحسن علي بن بكتكين بن
محمد الملقب الملك المعظم صاحب إربل التركماني ، وكان أبوه زين
الدين علي صاحب إربل والموصل ، وكان حسن السيرة عادلا في الرعية ،
وتوفي سنة ٥٦٣ فولى موضعه ولده مظفر الدين هذا ، ثم عزل عن عمله
فاتصل بصاحب الموصل سيف الدين غازي بن مودود ، فأقطعه مدينة حران
ثم اتصل بخدمة السلطان صلاح الدين فأقطعه مدينة الرها ، وزوجه السلطان

الْأَوَّلِ كُلِّ عَامٍ ، مُهْتَمًّا بِهِ غَايَةَ الْإِهْتِمَامِ ، وَكَمَلَهُ وَقَرَأَهُ عَلَيْهِ بِنَفْسِهِ ، وَخَتَمَهُ بِقَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ ^(١) فَأَجَازَهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ وَصَنَّفَ أَيْضًا « الْعِلْمَ الْمَشْهُورَ ، فِي فَصَائِلِ الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ » وَ « الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ ، فِي ذِكْرِ مَا فِي أَعْضَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ » وَكِتَابَ « شَرْحِ أَسْمَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » وَكِتَابَ « النَّبْرَاسِ ، فِي أَخْبَارِ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ » وَكِتَابَ « أَعْلَامِ النَّصِّ الْمُبِينِ ، فِي الْمُفَاضَلَةِ بَيْنَ أَهْلِ صِفِّينَ » وَوُلَّى قَضَاءَ بَلَدِ أُصُولِهِ دَانِيَةَ مَرَّتَيْنِ ، ثُمَّ صُرِفَ عَنْ ذَلِكَ لِسِيرَةِ نُعَيْتِ عَلَيْهِ ^(٢) ، فَرَحَلَ عَنْهَا . وَحَدَّثَ بِتُورُسَ سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، ثُمَّ حَجَّ ، وَكَتَبَ بِالْمَشْرِقِ

أخته ربيعة خاتون بعد وفاة زوجها سعد الدين مسعود بن معين الدين سنة ٥٨١ ، ثم تولى اربل بعد وفاة أخيه الأمير زين الدين يوسف بن علي سنة ٥٨٦ تولاها بعده من قبل السلطان صلاح الدين ، وكان شهيدا شجاعا مقداما ذا نجدة وعزة وقوة نفس وعمل بر ، وتوفي سنة ٦٣٠ « أحمد يوسف نجاتي » .

(١) مطلعها :

لولا الوشاة وهم أعداؤنا ما هموا

ولكن رجح ابن خلكان وغيره أن هذه القصيدة ليست من نظمه

« أحمد يوسف نجاتي » . (٢) في نسخة « نسبت اليه »

عَنْ جَمَاعَةٍ بِأَصْبَهَانَ وَنَيْسَابُورَ . وَعَادَ إِلَى مِصْرَ ، فَاسْتَأْذَنَهُ
الْعَادِلُ لَوْلَاهُ الْكَامِلُ ، وَأَسْكَنَهُ الْقَاهِرَةَ ، فَنَالَ بِذَلِكَ دُنْيَا
عَرِيضَةً ، ثُمَّ زَادَتْ حُظُوَّتُهُ عِنْدَ الْكَامِلِ ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ إِقْبَالًا
عَظِيمًا ، وَكَانَ يُعَظَّمُهُ وَيَحْتَرِمُهُ ، وَيَعْتَقِدُ فِيهِ الْخَيْرَ ، وَيَتَبَرَّكُ بِهِ
حَتَّى كَانَ يُسَوَّى لَهُ الْمَدَاسُ حِينَ يَقُومُ . وَهُوَ بِلَنْسِيٍّ - كَمَا
قَالَهُ ابْنُ خَلَّكَانَ وَغَيْرُهُ - وَبِلَنْسِيَّةٍ مَشْهُورَةٌ بِشَرْقِ
الْأَنْدَلُسِ « ثَلَاثُ سَنَةٍ بِالتَّصْحِيفِ ^(١) » .

« وَمِنْهُمْ خَلْفُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ سَهْلٍ ^(٢) بْنِ الدَّبَّاحِ
الْحَافِظُ الْأَنْدَلُسِيُّ ^(٣) » رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ ، وَكَانَ حَافِظًا فَهِمًا
عَارِفًا بِالرِّجَالِ ، حَدَّثَ حَدِيثَ مَالِكٍ وَشُعْبَةَ ^(٤) وَأَشْيَاءَ فِي

خلف بن القاسم
ابن الدباغ

(١) هذه العبارة غير موجودة في بعض النسخ ، ومعناها أن لفظ « بلنسية »
إذا صحف حرفا الباء والنون فيه ثناءين ، وصحفت ياءؤه الى نون صار « ثلث
سنة » ومثل هذا التصحيف كثير في الأصل ، ولكنه مفسد مشوه .
« أحمد يوسف نجاتي » (٢) سهل بن محمد بن يونس بن الأسود الأزدى
(٣) من أهل قرطبة (٤) أبو بسطام شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي
الأزدى مولا هم الواسطي شيخ البصرة وأمير المؤمنين في الحديث ، روى
عن كثير من التابعين ، وفيه يقول الامام الشافعي : لولا شعبة ما عرف الحديث
بالعراق . وكان رأسا في العربية والشعر ، مع العلم والزهد والقناعة والورع

الزُّهْدِ . وَسَمِعَ بِمِصْرَ أَبَا الْحَسَنِ بْنِ الْوَرْدِ الْبَغْدَادِيَّ^(١) وَمُسْلِمَ
ابْنَ الْفَضْلِ ، وَالْحَسَنَ بْنَ رَشِيقٍ^(٢) وَجَمَاعَةً . وَسَمِعَ بِدِمَشْقَ
عَلِيَّ بْنَ أَبِي الْعَقِبِ^(٣) وَأَبَا الْيَمُونِ بْنَ رَاشِدٍ^(٤) . وَبِمَكَّةَ
مِنْ بَكِيرِ الْحَدَّادِ ، وَأَبِي الْحَسَنِ الْخَزَاعِيِّ ، وَالْأَجْرِيِّ^(٥)
وَبَقْرُطَةَ مِنْ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى بْنِ الشَّامَةِ^(٦) وَمُحَمَّدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ^(٧)

والرحمة والخير ، وقال أبو عبد الرحمن النسائي : أمناء الله على علم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة : شعبة بن الحجاج ، ويحيى بن سعيد القطان
ومالك بن أنس ، توفي شعبة سنة ١٦٠ . والغرض هنا أن خلف بن
قاسم كان حافظا كثيرا جمع مسند الامام مالك وحديث شعبة بن الحجاج
وأسماء المعروفين بالكثي من الصحابة والتابعين وسائر المحدثين ، فقد كان
من أعلم الناس برجال الحديث والتواريخ والتفسير « أحمد يوسف نجاتي » .
(١) أبو محمد عبد الله بن جعفر بن محمد بن الورد البغدادي ، توفي بمصر
سنة ٣٥١ . « أحمد يوسف نجاتي » (٢) أبو محمد الحسن بن رشيق
العسكري المصري الحافظ العالم المحدث ، توفي سنة ٣٧٠ « أحمد يوسف نجاتي »
(٣) أبو القاسم علي بن يعقوب بن أبي العقب الدمشقي المحدث المقرئ
توفي سنة ٣٥٣ . « أحمد يوسف نجاتي » (٤) أبو اليمون عبد الرحمن
ابن عبد الله بن عمر بن راشد البجلي توفي سنة ٣٤٧ « أحمد يوسف نجاتي »
(٥) الامام أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي المحدث الثقة
الضايط صاحب التصانيف والسنة ، جاور بمكة وتوفي بها ، والآجري نسبة
الى درب الآجر محلة كانت ببغداد من الجانب الغربي ، سكنها كثير من
أهل العلم . « أحمد يوسف نجاتي » (٦) في الأصل وغيره « الشاهد »
وهو تصحيف - وهو أبو عمر أحمد بن يحيى بن زكريا القرطبي ، يعرف
بابن الشامة ، كان عالما محدثا زاهدا متبتلا ناسكا ، سمع محمد بن وضاح
وابن لبابة وغيرهما ، وتوفي سنة ٣٤٣ . « أحمد يوسف نجاتي » .
(٧) أبو بكر محمد بن معاوية بن عبد الرحمن بن معاوية بن اسحق بن

وَتُوفِيَ سَنَةً ثَلَاثَ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِينَ^(١) .

* *

خلف بن سعيد
ابن زداره

« وَمِنْهُمْ خَلْفُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زُرَّارَةَ^(٢)
أَبُو الْقَاسِمِ بْنِ الْمُرَابِطِ الْكَلْبِيِّ - مِنْ ذُرِّيَّةِ الْأَبْرِشِ الْكَلْبِيِّ
وَيُعْرَفُ بِالْمَبْرِقَعِ - الْمُحْتَسِبُ الْقُرْطُبِيُّ » رَحَلَ إِلَى
الْمَشْرِقِ مَرَّتَيْنِ ؛ أَوَّلَاهُمَا سَنَةٌ ثَلَاثٌ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِينَ^(٣)
وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً - وَسَمِعَ أَبَا سَعِيدِ بْنِ الْأَعْرَابِيِّ^(٤)

عبد الله بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين المعروف
بابن الأحمر، من أهل قرطبة. سمع بالأندلس من أصح بن مالك ومحمد بن
عمر بن لبابة وغيرهما. ورحل إلى المشرق سنة ٢٩٥ فسمع بمصر ومكة
وبغداد والكوفة والبصرة والشام من أئمة العلم والحديث بها، وقدم الأندلس
سنة ٣٢٥ وبدأ الناس القراءة عليه والسماع منه من سنة ٣٣٦، وكان
شيخا جليلا ثقة حليما. وطال عمره فكثر أخذ الناس عنه، وعلا قدره في
الأسناد، وتوفي سنة ٣٥٨. « أحمد يوسف نجاتي » (١) وكان مولده
سنة ٣٢٥ ورحل إلى المشرق سنة ٣٤٥ فتردد به نحو ١٥ سنة .
« أحمد يوسف نجاتي » (٢) قال في الصلاة لابن بشكوال : خلف بن
سعيد بن عبد الله بن عثمان بن زبارة بن عجلان الكلبى - من ذرية
الأبرش الكلبى وزير عبد الملك بن مروان - السباك المحتسب، ويعرف بابن
المرباط، ويعرف بالمبرقع، ولد سنة ٣٠٩ وحدث عنه أيضا أبو حفص الزهراوى
وقال يعرف بابن الصائغ الخ اه . « أحمد يوسف نجاتي » .

(٣) هو الامام أحمد بن محمد بن زياد الغنوى البصرى أبو سعيد بن الأعرابى
نزيل مكة. كان إماما حافظا نبيا، سمع الكثير، وروى عنه العالم الكثير. وكان

وَأَبْنُ الْوَرْدِ، وَأَبَا بَكْرٍ الْآجُرِّيَّ. وَرَوَى عَنْهُ أَبُو إِسْحَقَ
أَبْنُ شَنْظِيرٍ^(١) وَأَبُو جَعْفَرٍ الزَّهْرَاوِيُّ^(٢). وَقَالَ أَبُو شَنْظِيرٍ
إِنَّهُ تُوُفِّيَ فِي نَحْوِ الْأَرْبَعِمِائَةِ. رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَرَضِيَ عَنْهُ

« وَمِنْهُمْ سَابِقُ فَضْلَاءِ زَمَانِهِ أَبُو الصَّلْتِ أُمَيَّةُ بْنُ
عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ الْإِسْبِيلِيُّ^(٣) » يُقَالُ إِنَّ عُمرَهُ

أبو الصلت أُمَيَّة
ابن عبد العزيز

كثير العبادة، شيخ الحرم في وقته علما وزهدا وإفادة. وتوفي سنة ٤٠٣ هـ
« أحمد يوسف نجاتي » (١) هو إبراهيم بن محمد بن حسين بن شنظير
الأموي، من أهل طليطلة، كان عالما محدثا، ذا عناية عظيمة بالعلم والبحث
والرواية والتحقيق، ورحل إلى الشرق فسمع به على جماعة من محدثيه،
وكان زاهدا فاضلا ناسكا كثير التلاوة للقرآن الكريم وقورا مهيبا، ولد
سنة ٣٢٥ هـ وتوفي سنة ٤٠٢ هـ. وهناك إبراهيم بن محمد بن شنظير، كانت له
عناية وسماع ودين وفضل، وكان يبصر الحديث وعلمه فقيها حافظا عالما زاهدا
« أحمد يوسف نجاتي » (٢) في الأصل « الزاهري » وهو تصنيف
ونقص، و « جعفر » أظنها مصحفة عن « حفص » وهو أبو حفص عمر
ابن عبيد الله بن يوسف بن عبد الله بن يحيى بن حامد الذهلي القرطبي
ويعرف بالزهراوي، أخذ عن كثير من علماء الأندلس، وكان معتنيا بنقل
الحديث ورواياته وسماعه، جامعا للكتب، خيرا ثقة، ورعا، ولد بالزهراء
سنة ٣٦١ هـ، وتوفي بقرطبة سنة ٤٥٤ هـ وصلى عليه محمد بن جمهور.
« أحمد يوسف نجاتي » (٣) سيأتي له ذكر كثير وشعر في أغراض
مختلفة، وهو من دانية من شرق الأندلس، وكان لطيف النادرة، فصيح
اللسان، جيد المعاني، ولشعره رونق وعليه طلاوة. ولد سنة ٤٦٠ هـ وأخذ العلم

سِتُّونَ سَنَةً؛ مِنْهَا عِشْرُونَ فِي بَلَدِهِ إِشْبِيلِيَّةَ، وَعِشْرُونَ فِي
إِفْرِيقِيَّةَ عِنْدَ مُلُوكِهَا الصَّنَهَاجِيِّينَ، وَعِشْرُونَ فِي مِصْرَ مُحْبُوسًا
فِي خِزَانَةِ الْكُتُبِ، وَكَانَ وَجْهَهُ صَاحِبُ الْمَهْدِيَّةِ إِلَى مَلِكِ
مِصْرَ، فَسُجِنَ بِهَا طُولَ تِلْكَ الْمُدَّةِ فِي خِزَانَةِ الْكُتُبِ
فَخَرَجَ فِي فُنُونِ الْعِلْمِ إِمَامًا، وَأَمْتَنُ عُلُومِهِ الْفَلَسَفَةُ وَالطُّبُّ
وَالْتَّلْحِينُ، وَلَهُ فِي ذَلِكَ تَوَالِيفُ تَشْهَدُ بِفَضْلِهِ وَمَعْرِفَتِهِ،
وَكَانَ يُكْنَى بِالْأَدِيبِ الْحَكِيمِ. وَهُوَ الَّذِي لَحَّنَ الْأَغَانِيَّ
الْإِفْرِيقِيَّةَ. قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ: وَإِلَيْهِ تُنْسَبُ إِلَى الْآنَ. وَذَكَرَهُ
الْعِمَادُ فِي الْخُرَيْدَةِ، وَلَهُ كِتَابُ الْحَدِيقَةِ - عَلَى أُسْلُوبِ يَتِيمَةِ
الدَّهْرِ لِلشَّعَالِيِّ. وَتُوفِّيَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ - وَقِيلَ
سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ - بِالْمَهْدِيَّةِ، وَقِيلَ مُسْتَهْلٌ
السَّنَةِ بَعْدَهَا - وَدُفِنَ بِهَا. وَلَهُ فِيمَنْ أَسْمُهُ وَاصِلٌ :

عن جماعة من أهل الأندلس، ودخل مصر ثم اعتقل بها مدة إلى أن شفع
فيه بعض الأعيان فأطلق، وكان ذلك في خلافة الأمر بأحكام الله الفاطمي
وانتقل في آخر الوقت إلى المهديّة، وتوفي بها سنة ٥٢٩، وولد له بالمهديّة
ولد سمى عبد العزيز - وكان شاعرا ماهرا - وتوفي بمدينة بجاية سنة ٥٤٦ .
« أحمد يوسف نجاتي » .

يَاهَا جِرًّا سَمَوُهُ عَمْدًا وَاصِلًا

وَبَضِئَهَا تَتَبَّيْنُ الْأَشْيَاءَ

الْنَيْتَنِي حَتَّى كَأَنَّكَ وَاصِلٌ

وَكَأَنَّي مِنْ طُولِ هَجْرِي الرَّاءِ^(١)

(١) يشير الى واصل بن عطاء المعتزلى المشهور ، فقد كان يلثغ بالراء فيجعلها غينا ، وألغى حرف الراء من كلامه ، وخلصه منه ، لاقتداره على الكلام وسهولة ألفاظه ، ففي ذلك يقول شاعر من المعتزلة « وهو أبو الطروق الضبي » يمدحه باطالة الخطب واجتنابه الراء - على كثرة ترددها في الكلام حتى كأنها ليست فيه ، ولا يفطن السامع لذلك لقدرة واصل - :

عليم بابدال الحروف وقامع لكل خطيب يغلب الحق باطله
وقال آخر :

ويجعل البر قمحا في تصرفه وخالف الراء حتى احتال للشعر
ولم يطق مطرا - والقول يعجله - فعاذ بالغيث اشفاقا من المطر
وفي معنى بيتي أمية قول بعض الأدباء لمحبوبه :

أجملت وصلى الراء لم تنطق به وقطعتني حتى كأنك واصل؟
فكان واصل بن عطاء يضرب به المثل في اسقاطه حرف الراء من كلامه
واستعمل الشعراء ذلك في أشعارهم كثيرا ، ومنه قول أبي عمر يوسف
ابن هرون الكندى الأندلسى القرطبى الشاعر الرمادى المشهور المتوفى
سنة ٤٠٣ :

لا الراء تطمع في الوصال ولا أنا المهجر يجمعنا فنحن سواء
فاذا خاوت كتبته في راحتي وقعدت منتحبا أنا والراء
وقال أبو محمد الخازن من جملة قصيدة يمدح بها صاحب بن عباد :
نعم تجنب لا يوم العطاء كما تجنب ابن عطاء لفظة الراء

وَقَوْلُهُ وَهُوَ مِنْ بَدَائِعِهِ :
لَا غَرَوْا إِنْ سَبَقَتْ لِهَآكْ مَدَائِحِي
وَتَدَفَّقَتْ جَدُّوَكَ مِلْءَ إِنَائِهَا^(١)
يُكْسَى الْقَضِيبُ وَلَمْ يَحِنْ إِثْمَارُهُ
وَتُطَوَّقُ الْوَرَقَاءُ قَبْلَ غِنَائِهَا
وَقَالَ فِي الْأَفْضَلِ^(٢) :
تَرَدَّى بِكُلِّ فَتًى إِذَا شَهِدَ الْوَعَى
تَثَّرَ الرِّمَاحَ عَلَى الدَّرُوعِ كُغُوبًا

وقال آخر :

فلا تجعلني مثل همزة واصل فتلاحقني حذفاء ولا راء واصل
وقال آخر في محبوب له ألثغ :
أعد لثغة لو أن واصل حاضر ليسمعها ما أسقط الراء واصل
وقال أبو القاسم بن العريف :

أيها الألتغ الذي شف قلبي جد بحرف ولو نطقت بسبي
هجر كراء مثل هجرى سواء فكلانا معذب دون ذنب
فاذا شئت أن أرى لى مثالا في غرامى خططت راء بجنبى

وهذا باب واسع، وحسبك منه ما تفهم به غرض شاعرنا أمية .
« أحمد يوسف نجاتي » (١) اللهيا : العطاء والصلات كالجدوى (٢) هو
الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى وزير الدولة الفاطمية، وقد
تقدم التعريف به . وقد نفي الأفضل هذا أمية بن أبى الصلت سنة ٥٠٥
وكان قد قدم الاسكندرية مع أمه فى الأضحى من سنة ٤٨٩ فتردد

قَدْ لَوَّحَتْهُ يَدُ الْهَوَاجِرِ فَاعْتَدَى
مِثْلَ الْقَنَاقَةِ قِصَافَةً وَشُحُوبًا^(١)
تَخِذُوا الْقَنَا أَشْطَانَهُمْ، وَاسْتَنْبِطُوا
فِي كُلِّ قَلْبٍ بِالطَّعَانِ قَلِيلًا
وَمِنْهَا:

تُعْطِي الَّذِي أَعْطَتْكَ سُمْرُ الْقَنَا
أَبَدًا، فَتَعْدُو سَالِبًا مَسْلُوبًا^(٢)
وَمِنْهَا:

وَأَنَا الْغَرِيبُ مَكَانَهُ وَيَا نَهُ
فَاجْعَلْ صَنِيعَكَ فِي الْغَرِيبِ غَرِيبًا

بالأُسْكَندَرِيَّة إلى أن سافر إلى المهديَّة سنة ٥٠٦ و نزل من صاحبها على
ابن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس منزلة جليلة . « أحمد يوسف نجاتي »
(١) لوحتة أي غيرت لونه ، والهواجر جمع هاجرة ، وهي شدة القيظ
والحرارة ، والقِصَافَةُ النخافة والهزال والدقة ، وقلة اللحم من هزال أيضا
وفعله ككرم . والقلب البثر . وفي الأصل « الدروب » بدل الدروع ،
وقصافة بدل « قضاة » ، و « استنبطوا » بدل « استنبطوا » ففي كل بيت
تصحيف يشوك طريق المعنى « أحمد يوسف نجاتي » . (٢) هذا من قول أبي تمام :
إذا ما أغاروا فاحتوا مال معشر أغارت عليهم فاحتسوته الصنائع
ومثله لا في الطيب التنبي :

وَلَهُ :

وَمُهَفَّفٍ شَرَكْتُ^(١) مُحَاسِنٌ وَجْهَهُ

مَا مَجَّهُ فِي الْكَاسِ مِنْ إِبْرِيْقِهِ

فَفَعَالَهَا مِنْ مُقْلَتِيهِ ، وَلَوْنَهَا

مِنْ وَجَنَّتِيهِ ، وَطَعْمُهَا مِنْ رِيْقِهِ

أَخَذَهُ مِنْ ابْنِ حَيُّوسٍ^(٢) وَقَصَّرَ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ :

وَمُهَفَّفٍ يُغْنِي بِلَحْظٍ جُفُونَهُ

عَنْ كَاسِهِ الْمَلَأَى وَعَنْ إِبْرِيْقِهِ

وتحبي له المال الصوارم والقنا ويقتل ماتحي التبسم والجدا
والجدا : العطاء ، وسمر القنا : الرماح « أحمد يوسف نجاتي » (١) في
الأصل « شربت » ومجه : صبه (٢) ابن حيوس هو أبو الفتيان محمد بن
سلطان بن محمد بن حيوس النلقب بمصطفى الدولة، أحد الشعراء الشاميين
المشهورين بالحسينين، وخطولهم المجيدين ، وكان منقطعا الى بنى مرداس
أصحاب حلب، وله فيهم القصائد الفاتكة، وكان مولده سنة ٣٩٤ بدمشق ،
وتوفي سنة ٤٧٣ وهناك أيضا ابن حيوس الاشبيلي ذكره ابن
فضل الله فقال : لا يخف له ضرع خاطر ، ولا يجف له نوء سحاب
ماطر ، لو مس بقريحته الصلد لتفجر ، والجها لا تغجر ، وذكره
ابن سعيد في الرقص وأثنى عليه . وأبو عبد الله محمد بن الحسين
ابن عبد الله بن حيوس من أهل فاس ، كان عالما محققا، وشاعرا مقلعا، يتقدم
في ذلك أهل زمانه، ويوقف على جودة شعره من ديوانه. امتدح الأمراء
ونال إعجابهم وصلاتهم، وتوفي سنة ٥٧٠ عن ٧٠ سنة « أحمد يوسف نجاتي »

فَعَلُ الْمُدَامِ وَلَوْنُهَا وَمَذَاقُهَا
فِي مُقْلَتَيْهِ وَوَجْنَتَيْهِ وَرِيقِهِ
وَلَا بِي الصَّلْتِ فِيمَنْ أَسْمُهُ مُحْسِنٌ :

أَيُّهَا الظَّالِمُ الْمَسِيءُ مَدَى دَهْرِهِ بِنَا
مَا لَهُمْ أَخْطَاؤُا الصَّوَا بَ فَسَمَّوكَ مُحْسِنًا ؟!

وَلَهُ فِي لَابِسِ قِرْمِزِيَّةٍ ^(١) حَمْرَاءُ :

أَقْبَلَ يَسْعَى أَبُو الْفَوَارِسِ فِي
مِرْأَى عَجِيبٍ وَمَنْظَرٍ أُنَقِ ^(٢)

أَقْبَلَ فِي قِرْمِزِيَّةٍ عَجَبٍ
قَدْ صَبَغَتْ لَوْنَ خَدَّهِ الشَّرْقِ ^(٣)

كَأَنَّمَا جِيدُهُ وَغُرَّتُهُ

مِنْ دُونِهَا إِذْ بَدَوْنَ فِي نَسَقِ ^(٤)

(١) يريد قلنسوة حمراء - منسوبة الى القرمز - وهو صبغ أحمر، قال الشاعر:

خَلَيْتَ مِنْ خَزْ وَقْزٍ وَقِرْمِزٍ وَمِنْ صِنْعَةِ الدُّنْيَا عَلَيْكَ النِّقَارِسُ
النِّقَارِسُ حَلِيَّةٌ تَتَّخِذُهَا الْمَرْأَةُ عَلَى صِفَةِ الْوَرْدِ تَغْرِزُهَا فِي رَأْسِهَا «أحمد يوسف
نجاتي» (٢) أنيق معجب سار حسن (٣) المشرق المضيء (٤) بدون: أى
ظهري، ونسق أى تتابع واتساق وحسن نظم «أحمد يوسف نجاتي»

عَمُودُ فَجَرٍ مِنْ فَوْقِهِ قَمَرٌ
 دَارَتْ بِهِ قِطْعَةٌ مِنَ الشَّفَقِ^(١)
 وَلَهُ فِي ثَقِيلٍ - وَقَدْ أَجَادَ :
 لِي جَلِيسٌ عَجِبْتُ كَيْفَ اسْتَطَاعَتْ
 هَذِهِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ ثِقْلَهُ^(٢)
 أَنَا أَرْعَاهُ مُكْرَهَا ، وَبِقَلْبِي
 مِنْهُ مَا يُثْقِلُ^(٣) الْجِبَالُ أَقْلَهُ
 فَهُوَ مِثْلُ الْمَشِيبِ ؛ أَكْرَهُ مَرَّآ
 هُ ، وَلَكِنْ أَصُونُهُ وَأَجْلُهُ^(٤)
 أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي الْحَسَنِ جَعْفَرِ بْنِ الْحَاجِّ الْمَيُورِقِيِّ^(٥)

(١) أراد بعمود الفجر : جيده ، وبالقمر وجهه وغرته ، وبقطعة الشفق

فلنسوته القرمزية (٢) ثقله أى تحمله ، ومثل هذا قول الآخر :

كيف لا تحمل الأمانة أرض حملت فوقها أبا عثمان !

(٣) ويروى « يتلف »

(٤) ذلك لأن مفارقة المشيب انما تكون إلى الموت : وقال مسلم بن الوليد :

الشييب كره ، وكره أن يفارقني فاعجب لشيء على البغضاء مودود

يمضي الشباب فيأتني بعده خلف والشييب يذهب مفقودا بمفقود

وقال آخر :

ولى صاحب ما كنت أهوى اقترابه فلما التقينا كان أكرم صاحب

عزيز علينا أن يفارق بعدما تمنيت دهرًا أن يكون مجاني

(٥) هو جعفر بن ابراهيم بن أحمد بن حسن بن سعيد بن أحمد بن

وَهُمَا فِي عَصْرِ وَاحِدٍ :

لِي صَاحِبٍ عَمِيَتْ عَلَى سُنُونُهُ

حَرَ كَاتُهُ مَجْهُولَةٌ وَسُكُونُهُ

يَرْتَابُ بِالْأَمْرِ الْجَلِيِّ تَوَهُمَا

فَإِذَا تَيَقَّنَ نَازَعَتُهُ ظُنُونُهُ (١)

إِنِّي لَأَهْوَاهُ عَلَى شَرِّ بِهِ

كَالشَّيْبِ تَكْرَهُهُ وَأَنْتَ تَصُونُهُ (٢)

وَأَوْصَى أَنْ يُكْتَبَ عَلَى قَبْرِهِ - أَبُو الصَّلْتِ الْمَذْكُورُ -

مِمَّا نَظَّمَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ :

حسن، كان من أهل بيت نباهة ووزارة وفضل وكرم، وكان ممن نسك وعف وأمسك عن الشهوات وكف، وكان مقدما في النظم والنثر، وزاد انطبعا في طريقة الزهد، وكان قبل تركه الدنيا متصلا بالمعتمد بن عباد، وله فيه مدائح « أحمد يوسف نجاتي » .

(١) أصله من قول أبي الطيب المتنبي .

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم
وقال آخر :

وما فسدت لي - يشهد الله - نية عليك، بل استفسدتني فاتهمتني

(٢) شرق بالأمر وغص به: إذا كرهه، وآلمه موقعه، ونال منه أثره - ولا بن الحاج الميورقي أيضا :

كل من تهوى صديق محض لك مالم تنقي أو ترتجي

فإذا حاولت نصرا أوجدا لم تقف الايباب مرجح

سَكَنْتُكَ يَا دَارَ الْفَنَاءِ مُصَدِّقًا
بِأَنِّي إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ أَصِيرُ
وَأَعْظَمُ مَا فِي الْأَمْرِ أَنِّي صَائِرُ
إِلَى عَادِلٍ فِي الْحُكْمِ لَيْسَ يَجُورُ
فَيَأَلَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ الْقَاهُ عِنْدَهَا
وَزَادِي قَلِيلٌ، وَالذُّنُوبُ كَثِيرُ؟
فَإِنَّكَ مَجْزِيًّا بِذَنْبِي فَإِنِّي
بِشَرِّ عِقَابِ الْمَذْنِبِينَ جَدِيرُ
وَإِنْ يَكُ عَفْوٌ مِنْهُ عَنِّي وَرَحْمَةٌ
فَقَدْ نَعِمْتُ دَائِمٌ وَسُرُورُ
وَلَهُ:

إِذَا كَانَ أَصْلِي مِنْ تُرَابٍ فَكُلُّهَا
بِلَادِي، وَكُلُّ الْعَالَمِينَ أَقَارِبِي
وَلَا بُدَّ لِي أَنْ أَسْأَلَ الْعِيسَ حَاجَةً
تَشْقُ عَلَى شُمِّ الذُّرَا وَالْغَوَارِبِ^(١)

(١) العيس: الابل تعد للسفر، يريد أن يكاف العيس بالسفر عليها قضاء

وَقَالَ :

دَبَّ الْعِذَارُ بِخَدِّهِ ، ثُمَّ أَنْتَنِي

عَنْ لَثْمٍ مَبْسِمِهِ الْبُرُودِ الْأَشْنَبِ ^(١)

لَا غَرَوْا أَنْ خَشِيَ الرَّدَى فِي لَثْمِهِ

. فَالَرِّيقُ سُمٌّ قَاتِلٌ لِلْعَقْرَبِ ^(٢)

آماله، ويعتمد على سعيه في نيل ما آربه التي صدرت عن همه عليه ، ونفس
أبية ، لا تطمح الا الى معالي الأمور وما لا تسمو اليه الا العزائم القوية
الماضية . والشم جمع أشم وهو العالى المرتفع ، والذرا جمع ذروة وهي أعلى
الشيء ، والغوارب جمع غارب ، وهو هنا أيضا المكان الرفيع العالى من
الجبيل ونحوه « أحمد يوسف نجاتي » (١) الأشنب أى ذى الشنب وهو
ماء ورقة تجرى على الثغر مع برد وعذوبة في الفم « أحمد يوسف نجاتي »
(٢) لا غرو أى لا عجب . ويقال صدغ معقرب أى معطوف ملتو ، لما شبه
عذاره « أى الشعر المتدلى على صدغه » بالعقرب فى الالتواء والانعطاف
علل على سبيل التخيل البديع عدم دنو عذاره من فمه وبعده عنه بأنه
يخشى الهلاك من ريقه، لما زعموه أن الريق قاتل للعقرب ، وأمثال هذه
الهوام وغيرها من أنواع الحيوان ينفر لما يؤذيه طبعاً وفطرة. ومن محاسن
أبى المحاسن يوسف بن الشواء فى مליح أرسل أحد صدغيه ولوى الآخرة:

أرسل صدغا ، ولوى قاتلى صدغا، فأعيا بهما واصفه

فخلت ذا فى خده حية تسعى، وهذا عقربا واقفه

ذا ألف ليست لوصل ، وذا واو ، ولكن ليست العاطفه

توفى يوسف بن اسمعيل بن على الشواء الحلبي سنة ٦٣٥ بمدينة حلب

« أحمد يوسف نجاتي »

وَقَدْ ذَكَّرُوا أَنَّ مِنْ خَوَاصِّ رِيقِ الْإِنْسَانِ أَنَّهُ يُقْتَلُ
الْعَرَبَ - وَهُوَ مُجَرَّبٌ - وَقَالَ :

لَا تَدْعُنِي ، وَلْتَدْعُ مَنْ شِئْتَهُ

إِلَيْكَ مِنْ عُجْمٍ وَمِنْ عَرَبٍ
فَنَحْنُ أَكَاوُنٌ لِلشُّحْتِ فِي ذَرَاكَ^(١) سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ
وَقَالَ :

لَا تَسْأَلْنِي عَنْ صَنِيعِ جُفُونِهَا

يَوْمَ الْوَدَاعِ ، وَسَلْ بِذَلِكَ مَنْ نَجَا
لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ خَدَّهَا لِلشِّمْتِ

حَتَّى أُعِيدَ بِهِ الشَّقِيقَ بِنَفْسِجَا^(٢)
أَوْ كُنْتُ أَهْجَعُ لَأَخْتَضَنْتُ خِيَالَهَا

وَمَنْعْتُ ضَوْءَ الصُّبْحِ أَنْ يَتَبَلَّجَا

(١) قد تكون مصحفة عن « دارك » بل هو أولى لأن البيتين هجاء لا يناسب فيهما استعمال « ذراك » إلا على سبيل النهم - ويحوز في قافيتي البيتين « عَرَبَ » ، « كَذِبَ » أن يكون ما قبل الروى سا كُنا « عَرَبَ ، كَذِبَ » وأن يكون متحركا « عَرَبَ ، كَذِبَ » « أحمد يوسف نجاتي »
(٢) هو من قول الآخر :

والله لولا أن يقال تغيرا وصبا - وإن كان التصابي أجدر -

لأعدت تفاح الحدود بنفسجا لثما ، وكافور الترائب عنبرا

يريد أنه يكثر تقبيلها حتى يصبغ حمرة خديها زرقة « أحمد يوسف نجاتي »

وَبَشَّتْ فِي الظُّلُمَاءِ كُحْلَ جُفُونِهَا
وَعَقَدَتْ هَاتِيكَ الذَّوَائِبَ بِالدُّجَا^(١)
وَقَالَ مُهَيَّنًا بِمَوْلُودٍ :
يَلُوحُ فِي الْمَهْدِ عَلَى وَجْهِهِ تَجَهُمُ الْبَاسِ وَبُشْرَى النَّدَى
وَالشَّمْسُ وَالْبَدْرُ إِذَا اسْتَجَمَعَا
لَمْ يَلْبِثَا أَنْ يَلِدَا فَرَقْدَا^(٢)
فَابْقَ لَهُ حَتَّى تَرَى نَجْلَهُ وَإِنْ عَرَا خَطْبُ فَتَحْنُ الْفِدَا
وَقَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : وَهَذَا الْبَيْتُ الْأَخِيرُ مِنْ أَثْقَلِ
الشُّعْرِ ، يُتَطَيَّرُ مِنْ سَمَاعِهِ ، وَتَرَكُهُ أُولَى . وَقَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ
تَعَالَى - فِي الرَّصْدِ :

(١) يعنى أنه لو تمكن من النوم لمع نفسه بطيف خيالها وقد حرم الوصول إليها، واحتال في طول الليل فأمدّه بسواد يضاعفه من كحل جفونها وسواد ذوائبها ، وهو يشير الى قول أبي العلاء :

يُودُ أَنْ سَوَادَ اللَّيْلِ دَامَ لَهُ وَزَيْدٌ فِيهِ سَوَادُ الْقَلْبِ وَالْبَصْرِ
غَيْرَ أَنْ أُمِيَّةً قَدْ أَبْدَعَ فِي الْحَيَالِ ، وَأَحْسَنَ التَّصَرُّفِ ، وَأَدْمَجَ شَكْوَى الْهَجْرِ
وَالسَّهْرِ فِي الْغَزْلِ ، وَدَلَ مِنْ طَرَفِ خَفَى ظَرِيفٍ عَلَى شِدَّةِ سَوَادِ جُفُونِهَا
وَطَوَّلَ ذَوَائِبَهَا وَشَدَّةَ حُلُوكِهَا « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نِجَاطِي » (٢) مِنْ قَوْلِ
الْقَائِلِ :

شَمْسٌ وَبَدْرٌ وَلَدَا كُوكَبَا أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ لَقَدْ أَنْجَبَا
وَقَوْلِ أَبِي الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيِّ :
شَمْسُ الضُّحَى قَرْنَتْ إِلَى بَدْرِ الدُّجَا حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَا أَنْتَ بِالْمَشْرِى

فَذَا غَدِيرٌ، وَذَا رَوْضٌ، وَذَا جَبَلٌ
فَالضَّبُّ وَالنُّونُ وَالْمَلَّاحُ وَالْحَادِي^(١)

« وَمِنْهُمْ الْفَقِيهُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ
ابن بهلول الشَّرْقُسْطِيُّ » ذَكَرَهُ الْعِمَادُ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي الْخُرَيْدَةِ
وَذَكَرَهُ السَّمْعَانِيُّ فِي الدَّلِيلِ ، وَأَنَّهُ دَخَلَ بَغْدَادَ فِي حُدُودِ
سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةٍ وَخَمْسِمِائَةٍ^(٢) ، وَمِنْ شِعْرِهِ :
أَيَّاشُمْسُ إِنِّي إِنَّا تَتَكَمَدَائِحِي — وَهْنٌ لَا لِي نُظِّمْتُ وَقَلَّائِدُ
فَلَسْتُ بِمَنْ يَبْغِي عَلَى الشَّعْرِ رُشُوءَ
أَبِي ذَاكَ لِي جَدُّ كَرِيمٌ وَوَالِدُ^(٣)

(١) هذا من قول ابن أبي عيينة المهالي في قصر عيسى بن جعفر بن
سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس الذي كان بالبصرة :
يا وادي القصر نعم القصر والوادي من منزل حاضر ان شئت أو بادي
تري قراقيره والعيس واقعة والضب والنون والملاح والحادي
القراقير سفن صغار، مفردة قرقور، والنون الحوت « أحمد يوسف نجاتي »
(٢) قلت أظنه ورد العراق نحو سنة ٥٠٠ أو سنة ٥٠٦ فتكون « عشرة »
في الأصل زائدة. وله شعر حسن ومنه :

ومفهمف يختال في أبراده مرح القضيب اللدن تحت البارح
أبصرت في مرآة فكري خده فحكيت فعل جفونه بجوارحي
ما كنت أحسب أن فعل توهمي يقوى تعديه فيجرح جارجي
لاغر وأن جرح التوهم خده فالسحر يعمل في البعيد النازح
وسار إلى خراسان فسكن مرو الروذ فمات بها سنة ٥١٠ « أحمد يوسف نجاتي »
(٣) من قول أبي الطيب :

وَإِنِّي مِنْ قَوْمٍ قَدِيمًا وَمُخَدَّثًا
تُبَاعُ عَلَيْهِمْ بِالْأُلُوفِ الْقَصَائِدُ ^(١)

* *

« وَمِنْهُمْ الْفَقِيهُ الْمُقَرِّيُّ أَبُو عَامِرٍ التِّيَارِيُّ ^(٢) » أبو عامر التياري

مِنْ رِجَالِ الدَّخِيرَةِ ، رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ ، وَقَرَأَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ
الدِّيَّاجِيِّ كِتَابَهُ فِي الْعَرُوضِ وَسَائِرِ كُتُبِهِ ، وَلَقِيَ شَيْخَ
الْقَيَّرَوَانِ فِي الْعَرِيَّةِ ابْنَ الْقَزَازِ ، وَأَدِيبَهَا الْحُصْرِيَّ ^(٣) .
وَأَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ تَلْمِذٌ لَهُ وَسِيمٌ ، فَمَرَّ

وما أنا من يبغي على الحب رشوة ضعيف هوى يبغي عليه ثواب

(١) من قول الشاعر :

ان أكن مهديا لك الشعراني لابن بيت تهدي له الاشعار
غير آتى أراك من أهل بيت ماعلى الناس أن يزوروه عار

(٢) في نسخة « المتباري » « أحمد يوسف نجاتي »

(٣) هو أبو اسحق ابراهيم بن علي بن تميم الحصري القيرواني الأديب
الشاعر البليغ المشهور ، صاحب كتاب زهر الآداب وثمر الألباب ، وهو من
أنفس الكتب وأحسنها . توفي سنة ٤٥٣ هـ وهو منسوب إلى الحصر « قرية
كانت قرب القيروان » وهو ابن خالة أبي الحسن علي بن عبد الغني
الفهري المقرئ الضرير الحصري القيرواني الأديب البليغ الشاعر الرقيق
صاحب القصيدة البديعة المشهورة :

يا ليل السب متى غده أقيام الساعة موعده؟!

وكان عالما بالقراءات وطرقها ، ودخل الأندلس ، وامتدح المعتمد بن عباد

بِهِ أَبُو جَعْفَرٍ النَّجَّانِيُّ بِسَحَاءَةٍ^(١) كَتَبَ لَهُ فِيهَا - وَخَلَّاهَا
بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَهُوَ قَدْ غَلَبَ النَّوْمُ عَلَيْهِ - :

يَا نَائِمًا مُتَعَمِّدًا إِنْصَارَ طَيْفِ حَبِيبِهِ
هُوَ جَوْهَرٌ فَاتَّقُبُهُ إِنَّ الطَّيِّبَ فِي مَشْقُوبِهِ
أَوْ أَرَكِبْنِي ظَهْرَهُ إِنْ لَمْ تَقُلْ بِرُكُوبِهِ
فَلَمَّا قَرَأَهَا عَلِمَ أَنَّهَا لِلنَّجَّانِيِّ ، فَكَتَبَ تَحْتَهَا :
يَا طَالِبًا أَضْحَى حِجَابًا بَدُونِ مَا مَطْلُوبِهِ
لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي ذَاكَ إِذْ لَمْ أَكُنْ أَسْخُوبِهِ
إِنِّي أَغَارُ عَلَيْهِ مِنْ أَثْوَابِهِ وَرَقِيبِهِ
وَأَنْشَدَ يَوْمًا فِي حَلَقَتِهِ لِابْنِ الرُّومِيِّ فِي خَبَّازٍ :

مَا أَنَسَ لَا أَنَسَ خَبَّازًا مَرَرْتُ بِهِ
يَذْخُو الرُّقَاقَةَ وَشَكَّ اللَّمْعَ بِالْبَصَرِ
مَا بَيْنَ رُؤْيَيْتِهَا فِي كَفِّهِ كُرَّةٌ

وَبَيْنَ رُؤْيَيْتِهَا قَوْرَاءَ كَالْقَمَرِ^(٢)

وغيره وتوفي سنة ٤٨٨ هـ « أحمد يوسف نجاني » (١) يريد قطعة صغيرة رقيقة
من الورق ، وتقدم شرح السحابة « أحمد يوسف نجاني » .
(٢) قوراء : منبسطة مع استدارة وسعة ، ومنه القوراء وهي الدار الواسعة الجوف

إِلَّا بِمِقْدَارِ مَا تَنَدَّاحُ دَائِرَةٌ

فِي صَفْحَةِ الْمَاءِ يُرْمَى فِيهِ بِالْحَجَرِ ^(١)

فَقَالَ بَعْضُ تَلَامِيذَتِهِ : أَمَّا إِنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى الزِّيَادَةِ

عَلَى هَذَا ، فَقَالَ :

فَكَادَ يَضْطَرُّ إِعْجَابًا بِرُؤْيَيْهَا

وَمَنْ رَأَى مِثْلَ مَا أَبْصَرْتُ مِنْهُ خَرَى

فَضَحِكَ مَنْ حَضَرَ وَقَالَ : أَلَيْتُ لَا تُقْبَلُ بِالْقِطْعَةِ لَوْ لَا

مَا فِيهِ مِنْ ذِكْرِ الرَّجِيعِ ، فَقَالَ :

إِنْ كَانَ يَتَنَبَّأُ هَذَا لَيْسَ يُعْجِبُكُمْ

فَعَجِّلُوا مَحْوَهُ ، أَوْ فَالْعَقْوَةُ طَرَى

« وَمِنْهُمْ الْأَدِيبُ الطَّيِّبُ أَبُو الْحَجَّاجِ * يُوسُفُ بْنُ

يُوسُفُ بْنُ
عُتْبَةَ الْأَشْبِيلِيِّ

(١) انداح : اتسع وانبسط مع استدارة ، وفي الأضل « تنزاح » مصحفة
« أحمد يوسف نجاني »

* ترجم له في كتاب المغرب في حلى المغرب « ج ١ ص ٧٦ » بما يأتي
الطيب الوشاح أبو الحجاج يوسف بن عتبة ، اجتمعت به في اشبيلية
وكان طيبا أدبيا وشاحا مطبوعا ، ثم سافر إلى إفريقية ، ثم إلى مصر ،
ثمات في مارستان القاهرة قبل سنة ثمان وثلاثين وستائة ، ومن شعره
قوله وقد شرب مع ندمانه تحت قصب فارسي :

عُتْبَةُ الْإِشْبِيلِيُّ « مَطْبُوعٌ فِي الشَّعْرِ وَالتَّوَشِيحِ ، قَالَ ابْنُ
سَعِيدٍ : اجْتَمَعَتْ بِهِ فِي الْقَاهِرَةِ مِرَارًا بِمَجْلِسِ الْأَمِيرِ جَمَالِ
الدِّينِ أَبِي الْفَتْحِ مُوسَى بْنِ يَغْمُورَ بْنِ جَلْدَكٍ ^(١) وَفِي غَيْرِهِ
وَتُوفِيَ فِي مَارِسْتَانَ الْقَاهِرَةِ ، وَمِنْ شِعْرِهِ :

انظر الى القصب الذي تهفوبه ربح الصبا وتغيله نحو الكؤوس
أو ما كفاه شربه من طله؟! أولا فلم جعلت ذوائبه تنوس
أسهمه من أكواسنا ولو انه سكران يطفح حق مالم الرؤوس
(١) كان جمال الدين بن يغمور هذا قد استنابه السلطان صلاح
الدين بمصر سنة ٦٣٨ لما بلغه وهو مريض أخذ مدينة حمص، فعظم عليه
الأمر، ورحل الى القاهرة فاستناب بها ابن يغمور، وبعث الجيوش الى
الشام لاستنقاذ حمص، وفي سنة ٦٤١ سطا ابن يغمور على مظفر الدين
الملك الجواد يونس بن مودود بن الملك العادل بن أيوب - وكان قد قبض
عليه عمه الملك الصالح اسمعيل واعتقله، فطلبه منه الفرنج لصحبة كانت
بينهم - فغلقه ابن يغمور وقال انه مات، فأمر الملك الصالح بحبسه، فحبس
بقلعة دمشق. وفي سنة ٦٤٧ عاد الملك الصالح من دمشق الى مصر
مريضا « وكان قد قتل أخاه الملك العادل قبل خروجه من مصر » واستناب
بدمشق الأمير جمال الدين موسى بن يغمور، ثم انتهى أمره بأن شنقه
الملك الصالح أيوب بمصر بعد أن ملك دمشق، حبسه بالجب، ثم شنقه بعد
مدة على قلعة القاهرة. وجلدك هو أبو المظفر التقوى عتيق تقي الدين
الملك المظفر أبي سعيد عمر بن نور الدولة شاهنشاه بن أيوب صاحب
حماة وابن أخى السلطان صلاح الدين « وتوفي سنة ٥٨٧ » وكان جلدك
والى دمياط دينا فاضلا، ذا ميل الى الأدب والشعر، ولشعره عصره فيه
مدائح جيدة، وتوفي سنة ٦٢٨. « أحمد يوسف نجاتي ».

أَمَّا الْغُرَابُ فَإِنَّهُ سَبَبُ النَّوَى
لَا رَيْبَ فِيهِ ، وَلِلنَّوَى أَسْبَابُ
يَدْعُو الْغُرَابُ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ يُحْيِيهِ
جَمَلٌ ، وَتَعْوَى بَعْدَ ذَلِكَ ذِنَابُ
لَا تُكَذِّبَنَّ ، فَهَذِهِ أَسْبَابُهُ لَكِنَّ مِنْهَا بَدَأَةٌ وَجَوَابُ^(١)

* *

« وَمِنْهُمْ الْإِمَامُ الْمُحَدَّثُ الْخَافِظُ جَمَالَ الدِّينِ أَبُو بَكْرٍ
مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ مُوسَى الْأَنْدَلُسِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ
مُسْنَدِي^(٢) » وَهُوَ مِنْ الْأَعْلَاءِ الْمَشْهُورِينَ بِالْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ

أبو بكر محمد
المعروف بابن
مسدي

(١) في معنى الأبيات قول القائل :

ما فرق الألف به د الله الا الأبل
والناس يلحون غرا ب البين لما جهلوا
وما غراب البين الا لاناقة أو جمل

وقال الآخر :

نعب الغراب فقلت أ كذب ناعق ان لم يصدقه رغاء بعير
وانما تعوى الذئب « في البيت الثاني » لسكنها الديار بعد تفرق أهلها
وتشتت شملهم ورحيلهم عنها ، واذا خلت الديار من ظباء الانس احتلها
ذئب الوحش . « أحمد يوسف نجاتي » (٢) الأزدى الغرناطي المهلبى
كان علامة حافظا ذا رحلة واسعة ودراية وجمع وتصنيف ، وشاع عنه التشيع ،
جاور بمكة وقتل فيها غيلة سنة ٣٦٦ هـ « أحمد يوسف نجاتي »

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : أَنَشَدَنِي رَئِيسُ الْأَنْدَلُسِ وَأَدِيبُهَا أَبُو
الْحَسَنِ سَهْلٌ ^(١) بْنُ مَالِكٍ الْأَزْدِيُّ الْغَرْنَاطِيُّ لِنَفْسِهِ سَنَةً
سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّمِائَةٍ فِي شَوَّالٍ بِدَارِهِ بِغَرْنَاطَةَ :
مُنْعَصُ الْعَيْشِ لَا يَأْوِي إِلَى دَعَةٍ
مَنْ كَانَ ذَا بَلَدٍ أَوْ كَانَ ذَا وَلَدٍ
وَالسَّاكِنُ النَّفْسِ مَنْ لَمْ تَرْضَ هِمَّتُهُ
سُكْنَى مَكَانٍ وَلَمْ يَسْكُنْ إِلَى أَحَدٍ

« وَمِنْهُمْ الْإِمَامُ الْخَافِظُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ قُتُوحِ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ الْأَزْدِيُّ الْحَمِيدِيُّ - نِسْبَةً لِجَدِّهِ حَمِيدٍ - الْأَنْدَلُسِيُّ »
وُلِدَ أَبُوهُ بِقُرْطَبَةَ ، وَوُلِدَ هُوَ بِالْجَزِيرَةِ : بَلِيدَةً - بِالْأَنْدَلُسِ -
قَبْلَ سَنَةِ عِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَكَانَ يُحْمَلُ عَلَى الْكَتِفِ

محمد بن فتوح
الازدي الحميدي

(١) أبو الحسن سهل بن محمد بن سهل بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن
مالك الأزدي الغرناطي ، كان من خيرة العلماء الأديباء والأئمة الخطباء البلغاء
مع الافتنان في العلوم والمعارف ، وكان رئيسا في بلده ، جوادا محبوبا مهيبا
معظما ، ثم نالته محنة في أيام الفتنة ، فغرب عن غرناطة الى مرسية وأسكنها
مدة الى أن توفي محمد بن يوسف بن هود بالمرية سنة ٦٣٥ فسرّح الى بلده
وتوفي سنة ٦٤٠ « أحمد يوسف نجاني » .

لِلسَّمَاعِ سَنَةً خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِينَ ، فَأَوَّلُ مَا سَمِعَ مِنْ
الْفَقِيهِ أَبِي الْقَاسِمِ أَصْبَغٍ ^(١) قَالَ : وَكُنْتُ أَفْصَحَ مَنْ يَقْرَأُ
عَلَيْهِ . وَكَانَ قَدْ لَقِيَ ابْنَ أَبِي زَيْدٍ ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ ، وَتَفَقَّهَ ، وَرَوَى
عَنْهُ رِسَالَتَهُ وَتُخْتَصِرَ الْمُدَوَّنَةَ . وَرَحَلَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ
وَأَرْبَعِينَ ، وَقَدِمَ مِصْرَ ، وَسَمِعَ بِهَا مِنَ الضَّرَّابِ وَالْقَضَاعِيِّ ^(٢)
وغير واحد . وَكَانَ سَمِعَ بِالْأَنْدَلُسِ مِنْ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ
وَأَبْنِ حَزْمٍ ، وَلَازَمَهُ ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ مُصَنَّفَاتِهِ ، وَأَكْثَرَ مِنْ
الْأَخْذِ عَنْهُ ، وَشَهَرَ بِصُحْبَتِهِ ، وَصَارَ عَلَى مَذْهَبِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ
يَكُنْ يَتَّظَاهَرُ بِهِ . وَسَمِعَ بِدِمَشْقَ وَغَيْرِهَا ، وَرَوَى عَنْ
الْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ ، وَكَتَبَ عَنْهُ أَكْثَرَ مُصَنَّفَاتِهِ ، وَسَمِعَ
بِمَكَّةَ مِنَ الزَّيْنَبِيَّاتِ ^(٣) وَأَقَامَ بِوَاسِطَ مُدَّةٍ بَعْدَ خُرُوجِهِ

(١) هو أبو القاسم أصبغ بن راشد بن أصبغ اللخمي الأشبيلي ، رحل إلى
القيروان ، وتفقه على أبي محمد بن أبي زيد ، وغيره ، وسمع منه الحميدي
وكان فقيها محدثا ، توفي نحو سنة ٤٤٠ هـ «أحمد يوسف نجاتي» (٢) في
الأصل «القراعي» وهو من عجائب تصحيفه ، وغلطات تحريفه - والقضاعي
هو أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكيم بن إبراهيم
ابن محمد بن مسلم الفقيه الشافعي ، روى عنه أبو عبد الله الحميدي ، وتولى
القضاء بمصر ، وله عدة تصانيف ممتعة . وتوفي سنة ٤٥٤ هـ «أحمد يوسف نجاتي»
(٣) أبو القاسم سعد بن علي بن محمد بن علي بن الحسين ، شيخ الحرم

مِنْ بَغْدَادَ، ثُمَّ عَادَ إِلَى بَغْدَادَ وَأَسْتَوْطَنَهَا، وَكَتَبَ بِهَا كَثِيرًا
مِنْ الْحَدِيثِ وَالْأَدَبِ وَسَائِرِ الْفُنُونِ. وَصَنَّفَ مُصَنَّفَاتٍ
كَثِيرَةً، وَعَلَّقَ فَوَائِدَ، وَخَرَّجَ تَخَارِيجَ لِلخَطِيبِ وَلِغَيْرِهِ
وَرَوَى عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ أَكْثَرَ مُصَنَّفَاتِهِ، وَأَبْنُ
مَا كُوْلَا. وَكَانَ إِمَامًا مِنْ أَيْمَةِ الْمُسْلِمِينَ فِي حِفْظِهِ وَمَعْرِفَتِهِ،
وَإِتْقَانِهِ وَثِقَتِهِ، وَصِدْقِهِ وَنُبْلِهِ وَدِيَانَتِهِ، وَوَرَعِهِ وَتَزَاهَتِهِ
حَتَّى قَالَ بَعْضُ الْأَكَابِرِ مِمَّنْ لَقِيَ الْأَيْمَةَ: لَمْ تَرَ عَيْنَايَ
مِثْلَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحَمِيدِيِّ؛ فِي فَضْلِهِ وَنُبْلِهِ، وَتَزَاهَةِ نَفْسِهِ
وَعِزَّازَةِ عِلْمِهِ، وَحِرْصِهِ عَلَى نَشْرِ الْعِلْمِ وَبَثِّهِ فِي أَهْلِهِ، وَكَانَ
وَرِعًا ثِقَةً، إِمَامًا فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ وَعِلْمِهِ، وَمَعْرِفَةِ مُتُونِهِ
وَرُؤَاتِهِ، مُحَقِّقًا فِي عِلْمِ الْأُصُولِ عَلَى مَذْهَبِ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ
مُتَبَحِّرًا فِي عِلْمِ الْأَدَبِ وَالْعَرَبِيَّةِ. وَمِنْ تَصَانِيفِهِ: كِتَابُ
« جَذْوَةِ الْمُقْتَبَسِ » فِي أَخْبَارِ عُلَمَاءِ الْأَنْدَلُسِ » وَكِتَابُ
تَارِيخِ الْإِسْلَامِ. وَكِتَابُ مَنْ أَدْعَى الْأَمَانَ، مِنْ أَهْلِ

والحفاظ كان قدوة لعامة زاهدا محدثا جليلا، توفي سنة ٤٧١ هـ.

« أحمد يوسف نجاتي » .

الْإِيمَانِ . وَكِتَابُ الذَّهَبِ الْمَسْبُوكِ ، فِي وَعْظِ الْمُلُوكِ .
 وَكِتَابُ تَسْهِيلِ السَّبِيلِ ، إِلَى عِلْمِ التَّرْسِيلِ . وَكِتَابُ
 مُخَاطَبَاتِ الْأَصْدِقَاءِ ، فِي الْمُكَاتَبَاتِ وَاللِّقَاءِ . وَكِتَابُ مَا جَاءَ
 مِنْ النُّصُوصِ وَالْأَخْبَارِ ، فِي حِفْظِ الْجَارِ . وَكِتَابُ ذَمِّ النَّمِيمَةِ
 وَكِتَابُ الْأَمَانِي الصَّادِقَةِ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْمُصَنَّفَاتِ
 وَالْأَشْعَارِ الْحَسَنَةِ فِي الْمَوَاعِظِ وَالْأَمْثَالِ . وَكَانَ مِنْ كَثْرَةِ
 أَجْتِهَادِهِ يَنْسَخُ بِاللَّيْلِ فِي الْحَرِّ ، وَيَجْلِسُ فِي إِجَانَةٍ ^(١) مَاءٌ يَتَبَرَّدُ
 بِهِ . وَمِنْ مَشْهُورِ مُصَنَّفَاتِهِ كِتَابُ الْجَمْعِ بَيْنَ الصَّحِيحَيْنِ .
 وَذِكْرُهُ الْجَبَارِيُّ فِي الْمُسْتَهَبِ ، وَقَالَ عَنْهُ إِنَّهُ أَظْهَرَ الْعِلْمَ
 فِي طُرُقِ مَيُورَقَةٍ بَعْدَ مَا كَانَتْ عَظَلَاءَ ^(٢) مِنْ هَذَا الشَّانِ ،
 وَتَرَكَ لَهَا فَخْرًا تُبَارَى بِهِ خَوَاصُّ الْبُلْدَانِ . وَهُوَ مِنْ
 عُلَمَاءِ أُمَّةِ الْحَدِيثِ ، وَلَازَمَ أَبَا مُحَمَّدٍ بْنُ حَزْمٍ فِي الْأَنْدَلُسِ ،
 وَاسْتَفَادَ مِنْهُ ، وَرَحَلَ إِلَى بَغْدَادَ ، وَبِهَا أَلْفَ كِتَابِ الْجُذُوءِ .
 وَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - :

أَلِفْتُ النَّوَى حَتَّى أَنْسَتْ بَوَحْشَهَا

وَصِرْتُ بِهَا لَا فِي الصَّبَابَةِ مُوَلَعًا ^(٣)

(١) الإجانة: الطست الصغير تغسل فيه الأيدي (٢) امرأة عطلاء وعطل «بضمين»
 أي ليس عليها حلى ولم تلبس زينة «أحمد يوسف نجاتي» (٣) هذا قريب من

فَلَمْ أَحْصِ كَمْ رَافِقْتُهُ مِنْ مُرَافِقٍ
وَلَمْ أَحْصِ كَمْ خِيَّمْتُ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعًا
وَمِنْ بَعْدِ جَوْبِ الْأَرْضِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
فَلَا بُدَّ لِي مِنْ أَنْ أُوَافِيَ مَصْرَعًا
وَقَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - :

لِقَاءِ النَّاسِ لَيْسَ يُفِيدُ شَيْئًا
سِوَى الْهَذْيَانِ مِنْ قِيلٍ وَقَالَ
فَأَقْلِلْ مِنْ لِقَاءِ النَّاسِ إِلَّا
لِأَخْذِ الْعِلْمِ أَوْ إِصْلَاحِ حَالٍ
وَذَكَرَهُ ابْنُ بَشْكُوَالٍ فِي الصَّلَةِ . وَتُوفِّيَ بِبَغْدَادَ
سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - . قَالَ
ابْنُ مَا كُولَا : أَخْبَرَنَا صَدِيقُنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَمِيدِيُّ ، وَهُوَ
مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ وَالتَّقِيطِ ، لَمْ أَرَ مِثْلَهُ فِي عِفَّتِهِ

قول الشاعر :

وفارقت حتى لا أبالي من اتوى وان بان جيران على كرام
فقد جعلت نفسي على اليأس تنطوى وعيني على بعد الحبيب تنام
والصبابة رقة الشوق والهوى . « أحمد يوسف نجاتي » .

وَنَزَاهَتِهِ وَوَرَعِهِ وَتَشَاغُلِهِ بِالْعِلْمِ ، وَكَانَ أَوْصَى مُظَفَّرَ
ابْنِ رَئِيسِ الرُّؤَسَاءِ (١) أَنْ يَدْفِنَهُ عِنْدَ قَبْرِ بَشْرِ الْحَافِي
فَخَالَفَ وَصِيَّتَهُ ، وَدَفَنَهُ فِي مَقْبَرَةِ بَابِ أَبْرَزَ (٢) . فَلَمَّا كَانَتْ
مُدَّةُ رَأَاهُ مُظَفَّرَ فِي النَّوْمِ كَأَنَّهُ يُعَاتِبُهُ عَلَى مُخَالَفَتِهِ ، فُنُقِلَ
فِي صَفَرِ سَنَةِ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ إِلَى مَقْبَرَةِ

(١) هو أبو الفتح المظفر بن رئيس الرؤساء أبي القاسم علي بن محمد
ابن الحسن بن أبي الفرج أحمد بن محمد بن عمر بن الحسن بن عبيد بن
عمر المعروف بابن المسلمة . ولد جده أبو الفرج أحمد بن عمر سنة ٣٣٧
وتوفي سنة ٤١٥ . وكان عالماً ثقة فاضلاً كثير البر والمعروف ، وكانت داره
مأماً لأهل العلم . أما أبوه علي بن الحسن فقد خلع عليه الخليفة القائم
بأمر الله سنة ٤٣٧ واستوزره ولقبه رئيس الرؤساء . وابنه أبو الفتح هذا
كان ينوب عن أبيه في الوزارة ، وكان يئته مجمع الفضلاء وأهل العلم والدين ،
توفي سنة ٤٩١ «ومن جملة من كان عنده الى أن توفي الشيخ أبو اسحق
الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٦» وأخوه جمال الدولة أبو نصر بن رئيس الرؤساء
ابن المسلمة كان أستاذاً دار الخليفة المستظهر بالله ، وتوفي سنة ٤٩٤ وابنه
أبو الفضل عبد الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء كان أديباً بليغاً ، وله شعر
حسن ، فمنه ما كتبه الى جلال الدين بن صدقة الوزير :

أمولانا جلال الدين يامن أذكره بخدمتي القديمه

ألم تك قد عزمتم على اصطناعي فماذا صدعن تلك العزيمة ؟

وتوفي سنة ٥٢٦ وأبو محمد الحسين بن علي بن الحسين بن هبة الله بن
الوزير أبي القاسم رئيس الرؤساء الناصخ الصوفي ولد سنة ٥٥١ ، وتوفي
سنة ٦٣٥ رحمهم الله تعالى «أحمد يوسف نحاسي» (٢) في الأصل «البرز» وهو
تصحيف . وباب أبرز «ويقال ببرز ، بكسر ففتح فسكون ففتح» محلة كانت

بَابِ حَرْبٍ^(١) وَدُفِنَ عِنْدَ قَبْرِ بَشْرِ، وَكَانَ كَفَنُهُ جَدِيدًا وَبَدَنُهُ
صَرِيًّا تَفُوحٌ مِنْهُ رَائِحَةُ الطَّيِّبِ . وَوَقَفَ كُتْبُهُ عَلَى أَهْلِ
الْعِلْمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - . وَمِنْ مَنَاقِبِهِ أَنَّهُ قَالَ لِمَنْ
دَخَلَ عَلَيْهِ فَوَجَدَهُ مَكْشُوفَ الْفَخِذِ : تَعَدَّيْتُ بَعَيْنِي إِلَى
مَوْضِعٍ لَمْ يَنْظُرُهُ أَحَدٌ مُنْذُ عَقَلْتُ . أَنْتَهَى . وَمِنْ شِعْرِ

بغداد ، وفيها بنى تاج الملك أبو الغنائم الرزمان بن خسرو فيروز - المتولى
تدبير دولة ملكشاه بعد الوزير نظام الملك - مدرسة ضاهى بها المدرسة
النظامية ، سماها المدرسة التاجية سنة ٤٨٠ ، ومن باب أبرز هذا أصل بنى
البارزى الذين كانوا كتابا بمصر في عصر المماليك وقبله ، كان جدهم مسام
يسكن في بغداد بباب أبرز ، ثم خرج من بغداد في جفلة التتار الى حلب ، فسمى
الابرزى ، ثم خفف ف قيل البارزى . ولنا مع بنى البارزى حديث مسهب
في كتابنا الجامع فى الأدب - ثم صارت هذه المحلة مقبرة بين عمارات البلد
بها قبور جماعة من الأئمة ، منهم أبو اسحق ابراهيم بن على الفيروز بادی
الشيرازى الامام الفقيه المحدث المتوفى سنة ٤٧٦ وغيره « أحمد يوسف نجاني »
(١) مقبرة باب حرب خارج مدينة بغداد تنسب اليه الحربية - محلة كبيرة
كانت مشهورة ببغداد ، ينسب الى حرب بن عبد الملك أو حرب بن
عبد الله البلخى أحد قواد أبى جعفر المنصور ، ويعرف بالراوندى وكان
يتولى شرطة بغداد ، وولى شرطة الموصل لجعفر بن أبى جعفر المنصور حين
كان بالموصل ، وقتلت الترك حربا هذا فى أيام المنصور سنة ١٤٧ وفى
مقبرة باب حرب دفن كثير من الأئمة والعلماء ، ومنهم الامام أحمد بن
حنبل وأبو بكر الخطيب ، وشافع بن صالح بن حاتم الفقيه الامام الحنبلى
المتوفى سنة ٤٨٠ وأبو على بن المهتدى الخطيب محمد بن محمد بن عبد
العزيز وغيرهم ممن لا يحصون كثرة « أحمد يوسف نجاني » .

(٢٠ - نفع الطيب - سادس)

الْحَمِيدِيُّ أَيْضًا قَوْلُهُ :

طَرِيقُ الزُّهْدِ أَفْضَلُ مَا طَرِيقُ
وَتَقْوَى اللَّهِ تَالِيَةُ الْحُقُوقِ
فَتَقِ بِاللَّهِ يَكْفِكَ ، وَأَسْتَعِثْهُ
يُعِينِكَ ، وَدَعْ بُنْيَاتِ الطَّرِيقِ
وَقَوْلُهُ :

كَلَامُ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - قَوْلِي
وَمَا صَحَّتْ بِهِ الْآثَارُ دِينِي
وَمَا اتَّفَقَ الْجَمِيعُ عَلَيْهِ بَدْءًا
وَعَوْدًا فَهُوَ عَنْ حَقِّ مُبِينٍ
فَدَعْ مَا صَدَّ عَنْ هَذِي وَهَذَا
تَكُنْ مِنْهَا عَلَى عَيْنِ الْيَقِينِ

« وَمِنْهُمْ الْكَمَالُ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ الشَّرِيشِيُّ ، وَهُوَ أبو العباس
أحمد الشريشي

أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ مُوسَى بْنِ عِيسَى بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ
الْقَيْسِيُّ « مِنْ أَهْلِ شَرِيشٍ ^(١) . وَرَوَى عَنْ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ

(١) Jerez و Jerez مدينة بالاندلس كانت من كورة شذونة أو

لَبَّالٍ^(١) وَأَبِي بَكْرٍ بْنِ أَزْهَرَ^(٢) وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَرْقُونٍ^(٣)
وَأَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ جَبْرِ وَغَيْرِهِمْ ، وَأَقْرَأُ الْعَرَبِيَّةَ ، وَلَهُ
تَوَالِيفُ أَفَادَ بِمَا حَشَدَ فِيهَا ، مِنْهَا شَرْحُ الْإِيضَاحِ لِلْفَارِسِيِّ
وَالْجَمَلِ لِلزَّجَّاجِ ، وَلَهُ فِي الْعَرُوضِ تَأْلِيفٌ ، وَجَمَعَ مَشَاهِيرَ

من أعمال اشبيلية، بينها وبين اشبيلية فوق مرحلتين، وكانت حصينة حسنة
الجهات ذات حدائق وبساتين، تحيط بها الأشجار والكروم، وكانت
تسمى شريش الثغر لأنها ظلت حيناً من الدهر في أواخر مقام العرب
بالأندلس هي الثغر الفاصل بين المسلمين الذين أووا إلى مملكة غرناطة
والإسبان الذين كانوا قد استولوا على مدينة اشبيلية. ولمدينة شريش
الآن شهرة بين مدن إسبانية، وينسب إليها نوع من الخمر يسمى عند
الإنكليز Sherry وقد استردها الإسبانىون حوالي منتصف القرن
الثالث عشر الميلادي. وينسب إلى شريش كثير من العلماء منهم أبو القاسم
عيسى بن إبراهيم بن عبد ربه بن جهور القيسى المتوفى سنة ٥٢٧هـ - وأبو
بكر محمد بن أحمد بن خلف بن عبيد المعروف بابن خفون المتوفى سنة ٥٩١هـ
وأبو عبد الله محمد بن مالك بن يوسف بن مالك الفهري الأديب المتوفى
بها سنة ٥٩٢هـ ، وبها ولد أبو عبد الله بن زرقون المتقدم ذكره سنة ٥٠٢هـ
«أحمد يوسف نجاتي» (١) هو علي بن أحمد بن علي أبو الحسن الشريشي
روى عن أبي بكر بن العربي وغيره ، وولى قضاء بلدة شريش، وكان أديبا
ناظما ناثرا ذا ورع وعدل ودين. وله شرح على مقامات الحريري ، وتوفى
سنة ٥٨٣هـ «أحمد يوسف نجاتي» (٢) يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن
ابن أزهر الحجري الشريشي، تولى قضاء بلدة، أخذ عن أبيه وأبي القاسم
ابن جهور وغيرهما ، وتوفى سنة ٥٨٤هـ «أحمد يوسف نجاتي» (٣) تقدم
التعريف به وبابن جبيرة وبابن حريق «أحمد يوسف نجاتي» .

قَصَائِدِ الْعَرَبِ ، وَاخْتَصَرَ نَوَادِرَ أَبِي عَلِيٍّ الْقَالِي . قَالَ ابْنُ
الْأَبَّارِ : لَقِيْتُهُ بِدَارِ شَيْخِنَا أَبِي الْحَسَنِ ابْنِ حَرِيقٍ مِنْ
بَلَنْسِيَّةَ قَبْلَ تَوَجُّهِهِ إِلَى إِشْبِيلِيَّةَ فِي سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةَ
وَسِتِّمِائَةَ ، وَهُوَ إِذْ ذَاكَ يَقْرَأُ عَلَيْهِ شَرْحَهُ لِلْمَقَامَاتِ ، فَسَمِعْتُ
عَلَيْهِ بَعْضَهُ ، وَأَجَازَ لِي سَائِرَهُ مَعَ رَوَايَاتِهِ وَتَوَالِيْفِهِ ، وَأَخَذَ
عَنْهُ أَصْحَابُنَا ، ثُمَّ لَقِيْتُهُ ثَانِيَةً مُقَدِّمَهُ مِنْ مُرْسِيَّةَ . انْتَهَى .
وَمِنْ بَدِيعِ نَظْمِهِ وَهُوَ بِمِصْرَ يَتَشَوَّقُ إِلَى الشَّامِ :

يَا جِيرَةَ الشَّامِ هَلْ مِنْ نَحْوِكُمْ خَبْرٌ ؟
فَإِنَّ قَلْبِي بِنَارِ الشَّوْقِ يَسْتَعِرُ
بَعُدْتُ عَنْكُمْ فَلَا وَاللَّهِ بَعْدَكُمْ
مَا لَدَّ لِلْعَيْنِ لَا نَوْمٌ وَلَا سَهْرُ
إِذَا تَذَكَّرْتُ أَوْقَاتًا نَأَتْ وَمَضَتْ
بِقُرْبِكُمْ كَادَتْ الْأُحْشَاءُ تَنْفَطِرُ
كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ بِالنَّيْرَيْنِ ^(١) ضَحَى
وَالْغَيْمُ يَبْكِي وَمِنْهُ يَضْحَكُ الزَّهْرُ

(١) فِي الْأَصْلِ « بِالنَّيْرَيْنِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، وَنِزْبٌ قَرِيبٌ قَرِيبَةٌ مِنْ

وَالْوُرُقُ تُتَشَدُّ ، وَالْأَغْصَانُ رَاقِصَةٌ
 وَالْدَّوْحُ يَطْرَبُ بِالتَّصْفِيقِ وَالنَّهْرُ
 وَالسَّفْحُ^(١) أَيْنَ عَشِيَّتِي الَّتِي سَلَفَتْ
 لِي مِنْهُ؟! فَهِيَ لَعَمْرِي عِنْدِي الْعُمُرُ
 سَقَاكَ يَا سَفْحُ سَفْحُ الدَّمْعِ مِنْهُمْ مِلًّا
 وَقَلَّ ذَاكَ لَهُ إِنْ أَعْوَزَ الْمَطَرُ
 وَلَهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - سُرُوحٌ لِمَقَامَاتِ الْحَرِيرِ
 كَبِيرٌ وَوَسَطٌ وَصَغِيرٌ ، وَفِي الْكَبِيرِ مِنَ الْآدَابِ مَا لَا كِفَاءَ
 لَهُ . وَكَانَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - مُعْجَبًا بِالشَّامِ . وَقَالَ ابْنُ

دمشق في وسط بساتين وحدائق ذات بهجة ، وقد ذكرها أبو المطاع وجيه
 الدولة بن حمدان في شعر له وسماها النير بين بلفظ التثنية فقال :

سقى الله أرض الغوطتين وأهلها فلى بجنوب الغوطتين شجون
 فما ذكرتها النفس إلا استخفني الى برد ماء النيرين حنين
 وقد كان شكى في الفراق يروعي فكيف يكون اليوم وهو يقين؟!
 وكذلك غيره من الشعراء تنوا لفظها ، وكأنهم فروا من لفظ « نير »
 لأن أصل معناه في اللغة الحقد والحسد « أحمد يوسف نجاني » (١) موضع
 يكثر الشعراء من ذكره والتغزل فيه والحنين اليه ، ووجدوا في اسمه مع
 السفع مصدر - سفع الماء والدمع اذا أراقه وأسأله - جناسا تاما فأغرموا به ،
 كما ترى هنا « أحمد يوسف نجاني » .

الْأَبَارِ عِنْدَ مَا ذَكَرَهُ: إِنَّهُ شَرَحَ مَقَامَاتِ الْحَرِيرِيِّ فِي ثَلَاثِ
نُسَخٍ: كُبْرَاهَا الْأَدَبِيَّةُ، وَوُسْطَاهَا اللَّغَوِيَّةُ، وَصُغْرَاهَا
الْمُخْتَصِرَةُ. أَنْتَهَى. وَتُوفِّي بِشَرِيشَ بَلَدِهِ سَنَةَ تِسْعِ
عَشْرَةِ وَسِتِّمِائَةٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - .

« وَمِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ يَحْيَى بْنُ سَعْدُونَ بْنِ تَمَّامِ بْنِ
مُحَمَّدٍ الْأَزْدِيُّ الْقُرْطُبِيُّ الْمُلَقَّبُ بِضِيَاءِ الدِّينِ ^(١) » أَحَدُ
الْأَثَمَةِ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي الْقِرَاءَاتِ وَعُلُومِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
وَالْحَدِيثِ وَالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. قَالَ الْقَاضِي الشَّعْسُ
أَبْنُ خِلْكَانَ: إِنَّهُ رَحَلَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ فِي عُنُقَوَانَ شَبَابِهِ
وَقَدِمَ مِصْرَ؛ فَسَمِعَ بِالْإِسْكََنْدَرِيَّةِ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ
أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الرَّازِيَّ ^(٢) وَبِمِصْرَ أَبَا صَادِقٍ مُرْشِدَ بْنِ
يَحْيَى بْنِ الْقَاسِمِ الْمَدَنِيِّ ^(٣) الْمِصْرِيِّ، وَأَبَا طَاهِرٍ أَحْمَدَ بْنِ

يحيى بن سعدون
الأسدي

(١) في ابن خلكان « صاثن الدين » (٢) هو محمد بن أحمد بن إبراهيم
الشاهد المعروف بابن الخطاب، مسند الديار المصرية وأحد عدول ثغر
الاسكندرية، توفي سنة ٥٢٥هـ عن أكثر من تسعين سنة « أحمد يوسف نجاتي »
(٣) مرشد بن يحيى بن القاسم المدني ثم المصري، وكان أسند من بقي

مُحَمَّدُ الْأَصْبَهَانِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالسَّلَفِيِّ وَغَيْرِهِمْ ، وَدَخَلَ
بَغْدَادَ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَقَرَأَ بِهَا الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ
عَلَى الشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ ^(١) الْمَقْرِيءِ
الْمَعْرُوفِ بِابْنِ بِنْتِ الشَّيْخِ أَبِي مَنْصُورِ الْحَيَّاطِ ، وَسَمِعَ
عَلَيْهِ كُتُبًا كَثِيرَةً مِنْهَا كِتَابُ سَيَبَوَيْهِ . وَقَرَأَ الْحَدِيثَ
عَلَى أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْبَاقِي الْبَزَّارِ ^(٢) الْمَعْرُوفِ بِقَاضِي

بمصر مع الثقة والخير ، توفي سنة ٥١٧ هـ عن سن عالية « أحمد يوسف نجاتي »
(١) هو الامام أبو محمد عبد الله بن علي البغدادي المقرئ الفقيه الحنبلي
النحوي ، كان شيخ المقرئين بالعراق ، ولد سنة ٤٦٤ هـ وقراء القرآن الكريم
على جده « لأمه » الزاهد أبي منصور الحياط ، وأخذ عنه وعن غيره ، وكان
من أئدى الناس بالقرآن ، وأطيبهم صوتاً ، مع الصلاح والعلم والتقوى وحسن
الأخلاق والكياسة والظرف وجميل العشرة للناس على اختلاف طبقاتهم .
ورأس أصحاب أحمد بن حنبل ، وصار واحد وقته ونسيج وحده ، وكان في
عصره جمال العراق بأسره ، وزينة الحياة في دهره . وله شعر في الورع ومكارم
الأخلاق ، توفي سنة ٥٤١ هـ رحمه الله « أحمد يوسف نجاتي » (٢) هو
محمد بن عبد الباقي بن محمد ، يتصل نسبه بكعب بن مالك الأنصاري القاضي
أبو بكر الأنصاري البغدادي الحنبلي البزار مسند العراق ، كان بارعاً في
علوم كثيرة منها الحساب والهندسة والجبر وغيرها ، وانتهى إليه علو الأسناد
في زمانه ، ولد سنة ٤٤٢ هـ وثقف ثقافة عالية ، فألم بجميع العلوم والفنون التي
كانت في عصره ، وكان عذب الحديث حلو المنطق ، مليح المحاورة ، دائم الاشتغال
بالعلم ، كثير المناقب ، جم المحاسن ، توفي سنة ٥٣٥ هـ « أحمد يوسف نجاتي »

الْمَارِسْتَانِ، وَأَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْحُصَيْنِ ^(١) وَأَبِي الْعِزِّ ^(٢) وَغَيْرِهِمْ .
وَكَانَ دَيِّنًا وَرِعًا، عَلَيْهِ وَقَارٌ وَسَكِينَةٌ، وَكَانَ ثِقَةً صَدُوقًا ثَبَتًا
نَبِيلًا، قَلِيلَ الْكَلَامِ، كَثِيرَ الْخَيْرِ، مُفِيدًا. أَقَامَ بِدِمَشْقَ
مُدَّةً، وَأُسْتُوطِنَ الْمَوْصِلَ، وَرَحَلَ مِنْهَا إِلَى أَصْبَهَانَ، ثُمَّ عَادَ
إِلَى الْمَوْصِلِ، وَأَخَذَ عَنْهُ شُيُوخُ ذَلِكَ الْعَصْرِ . وَذَكَرَهُ
الْحَافِظُ ابْنُ السَّمْعَانِيِّ فِي كِتَابِ الذَّلِيلِ وَقَالَ إِنَّهُ اجْتَمَعَ
بِهِ بِدِمَشْقَ، وَسَمِعَ عَنْهُ مَشِيخَةُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الرَّازِيَّ
وَأُنْتُخِبَ عَلَيْهِ أَجْزَاءُ، وَسَأَلَهُ عَنْ مَوْلِدِهِ، فَقَالَ: وُلِدْتُ
سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ فِي مَدِينَةِ قُرْطُبَةَ، وَرَأَيْتُ
عَلَيْهِ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ أَنَّ مَوْلِدَهُ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ
وَأَرْبَعِمِائَةً، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ. وَكَانَ شَيْخُنَا الْقَاضِي بَهَاءُ الدِّينِ
أَبُو الْمَحَاسِنِ يُوسُفُ بْنُ رَافِعِ بْنِ تَمِيمٍ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ

(١) هُوَ هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن العباس بن الحسين
الشيباني البغدادي الكاتب مسند العراق، ولد سنة ٤٣٢ هـ وتوفي سنة ٥٢٥ هـ
« أحمد يوسف نجاشي » (٢) أبو تمام أحمد بن أبي العز محمد بن المختار
ابن المؤيد بالله الهاشمي العباسي البغدادي السفار نزيل خراسان، توفي
سنة ٥٤٣ هـ عن بضع وتسعين سنة « أحمد يوسف نجاشي » .

شَدَّادٍ^(١) قَاضِي حَلَبَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - يَفْتَحِرُ بِرِوَايَتِهِ
وَقِرَائَتِهِ عَلَيْهِ، وَقَالَ: كُنَّا نَقْرَأُ عَلَيْهِ بِالْمَوْصِلِ وَنَأْخُذُ
عَنْهُ، وَكُنَّا نَرَى رَجُلًا يَأْتِي إِلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ فَيَسْلِمُ عَلَيْهِ
وَهُوَ قَائِمٌ، ثُمَّ يَمُدُّ يَدَهُ إِلَى الشَّيْخِ بِشَيْءٍ مَلْفُوفٍ
فَيَأْخُذُهُ الشَّيْخُ مِنْ يَدِهِ، وَلَا نَعْلَمُ مَا هُوَ، وَيَتْرُكُهُ ذَلِكَ
الرَّجُلُ وَيَذْهَبُ، ثُمَّ تَقْفِينَا ذَلِكَ فَعَلِمْنَا أَنَّهَا دَجَاجَةٌ مَسْمُوطَةٌ
كَانَتْ تُرْسَمُ لِلشَّيْخِ فِي كُلِّ يَوْمٍ، يَبْتَاعُهَا لَهُ ذَلِكَ الرَّجُلُ
وَيَسْمِطُهَا^(٢) وَيُحْضِرُهَا، وَإِذَا دَخَلَ الشَّيْخُ إِلَى مَنْزِلِهِ تَوَلَّى

(١) هو قاضي القضاة بهاء الدين أبو العز يوسف بن رافع بن تميم الأسدي
الجلبي الشافعي، ولد سنة ٥٣٩ هـ وقرأ القرآن والعربية على يحيى بن سعدون
القرطبي بالموصل، وبرع في الفقه والعلوم، وساد أهل زمانه، ونال رئاسة
الدين والدنيا وصنف التصانيف المفيدة، وحج سنة ٥٨٣ هـ ثم اتصل بالسلطان
صلاح الدين الأيوبي، وحظي عنده، وولاه قضاء العسكر وقضاء بيت
المقدس، ولما توفي اتصل بولده الظاهر، وولاه قضاء حلب ونظر أوقافها
وأجزل رزقه وعطاءه، وأقطعته أقطاعاً عظيماً، وكان ذا علم وخير واحسان،
وقصده الطلبة للدين والدنيا، وارتفع قدر الفقهاء في زمانه، وعظم شأنهم
لجليل قدره وعلو درجته، وسار مسير الشمس ذكره، وجل في الناس أثره
وأجمعت القلوب على حبه، والالسنه على مدحه، وتوفي رحمه الله سنة ٦٣٢ هـ
بحلب، وله سيرة صلاح الدين الأيوبي أجاد فيها وأفاد «أحمد يوسف نجاتي»
(٢) سمط الدجاجة والحمل وغيرها «كضرب ونصر» اذا تنف عنها

طَبَخَهَا يَدِهِ . وَذَكَرَ فِي كِتَابِ دَلَائِلِ الْأَحْكَامِ أَنَّهُ لَا زَمَ
الْقِرَاءَةِ عَلَيْهِ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً آخِرُهَا سَنَةُ سَبْعٍ
وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ . وَكَانَ الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ الْقُرْطُبِيُّ الْمَذْكُورُ
كَثِيرًا مَا يُنْشِدُ مُسْنَدًا إِلَى أَبِي الْخَيْرِ الْكَاتِبِ الْوَاسِطِيِّ ^(١) :

جَرَى قَلَمُ الْقَضَاءِ بِمَا يَكُونُ

فَسَيَّانِ التَّحَرُّكِ وَالشُّكُوفُ

جُنُونٌ مِنْكَ أَنْ تَسْعَى لِرِزْقٍ

وَيَرْزُقُ فِي غِشَاوَتِهِ الْجُنَيْنُ

وَتُوفِيَ الْقُرْطُبِيُّ الْمَذْكُورُ بِالْمَوْصِلِ يَوْمَ عِيدِ الْفِطْرِ

سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - أَنْتَهَى

كَلَامُ ابْنِ خَلِّكَانَ بَعْضِ اخْتِصَارٍ .

رِيشَهَا أَوْ صُوفَهُ وَنَظَفَ عَنْهُ الشَّعْرَ بِالمَاءِ الحَارِّ لِيُشَوِّيه أَوْ يَطْبِخَهُ « أَحْمَدُ
يُوسُفُ نِجَاجِي » (١) لَا أَدْرِي أَهْوَ غَيْرُ أَبِي الْخَيْرِ الْمُبَارَكِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْقُرْطُبِيِّ
الْأَدِيبِ الْبَغْدَادِيِّ ، قَرَأَ بِبَغْدَادٍ وَوَاسِطَ ، وَكَانَ شَيْخَ الْأَقْرَاءِ فِي عَصْرِهِ ،
وَتُوفِيَ سَنَةَ ٥١٠ هـ أَوْ أَنَّ كَلِمَةَ « أَبِي الْخَيْرِ » مُحَرَّفَةٌ عَنْ « أَبِي الْجَوَائِزِ »
فَيَكُونُ الْمُسْنَدُ إِلَيْهِ الشَّعْرَ هُوَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ بَادِيٍّ أَبُو الْجَوَائِزِ
الْكَاتِبُ الْوَاسِطِيُّ ، كَانَ مِنَ الْفُضَلَاءِ ، وَسَكَنَ بِبَغْدَادٍ دَهْرًا طَوِيلًا ، وَكَانَ أَدِيبًا
شَاعِرًا حَسَنَ الشَّعْرِ ، لَهُ تَأْلِيفٌ حَسَنٌ ، وَخَطٌ جَيِّدٌ ، وَأَشْعَارٌ رَاقِعَةٌ أَكْثَرُهَا
مِقَاطِيعٌ ، وَتُوفِيَ سَنَةَ ٤٦٠ هـ « أَحْمَدُ يُوسُفُ نِجَاجِي »

* *

وَمِنْهُمْ الْوَزِيرُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ الشَّيْخِ الْأَجَلِّ محمد بن أبي الحسن
ابن عبد ربه
أَبِي الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ رَبِّهِ^(١)، وَهُوَ مِنْ حُفَدَاءِ صَاحِبِ كِتَابِ
الْعِقْدِ الْمَشْهُورِ. حَدَّثَ الشَّيْخُ الْأَجَلُّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ

(١) هو وأبو عبد الله القرموني من أدباء الأندلس في القرن السادس وأوائل السابع ، وقد جولا بالشرق، ووفدا الى مصر ، واجتمعا فيها بالبرزين في حلبة الأدب والشعر في ذلك العصر ؛ مثل القاضي الأعز ابن قلاقس الاسكندري المتوفى سنة ٦٠٧- وصاحبه أبي الحسن وجيه الدين علي بن الحسن ابن الذروي من مشهورى شعراء مصر له نظم فائق ونثر رائع ، والقاضي السعيد ابن سناء الملك المتوفى سنة ٦٠٨- وكمال الدين علي بن محمد بن النبيه المصرى توفى سنة ٦١٩- والقاضي الفاضل عبد الرحيم اليبساني ، توفى سنة ٥٩٦ وبهاء الدين علي بن محمد بن رستم المصرى المعروف بابن الساعاتى ، توفى سنة ٦٠٤- والأشعث بن عمارى المشهور الكاتب الشاعر المصرى ، توفى سنة ٦٠٦- والقاضى السعيد هبة الله بن سناء الملك ، توفى سنة ٦٠٨ ونشو الملك أبو الحسن علي بن مفرج المعروف بابن المنجم المغربى الأصل المصرى الدار والوفاء ، توفى سنة ٦١٦- وأبو الفضل الأفضلى جعفر بن شمس الخلافة محمد بن مختار المصرى ، توفى سنة ٦٢٢- وموفق الدين مظفر بن ابراهيم الشاعر المصرى ، توفى سنة ٦٢٣- وأبو المحاسن شرف الدين محمد بن نصر المشهور بابن عنين الأنصارى الدمشقى ، توفى سنة ٦٣٠ والأديب الشاعر الكاتب علي بن ظافر الأزدي المتوفى سنة ٦٢٣ والشاعر الأديب النجيب ابن الدباغ المصرى ، وغير هؤلاء ممن أظلتهم مصر في عز الدولة الأيوبية وأواخر الدولة الفاطمية. ولنا معهم أحاديث شائقة مسهبة في كتابنا الجامع فى الأدب « أحمد يوسف نجاتى » .

أَبْنُ عَلِيٍّ الْيَحْصِيُّ الْقَرْمُوتِيُّ رَفِيقُهُ قَالَ : أَصْطَحَبْتُ مَعَهُ
فِي الْمَرْكَبِ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ ، فَلَمَّا قَرُبْنَا
مِنْهَا هَاجَ عَلَيْنَا الْبَحْرُ ، وَأَشْفَيْنَا عَلَى الْفَرْقِ ، فَلَاحَ لَنَا وَنَحْنُ
عَلَى هَذِهِ الْحَالِ مَنَارُ الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ ^(١) فَسُرِرْنَا بِرُؤْيَيْهِ

(١) منار الاسكندرية كانت من عجائب الابنية وأبدعها، ولكن الناس
رووا عن هذه النارة أخبارا هائلة ، وادعوا لها دعاوى عن الصدق عادية،
وأحاديث عن الحق مائلة، وبالغوا في وصفها ، وهولوا في عظم شأنها ، وقد
كانت بنية مربعة ، شبيهة بالصومعة ، أو هي حصن عال مربع البناء على
سن جبل مشرف في البحر في طرف جزيرة بارزة في الميناء ، ولها درج
واسع يمكن الفارس أن يصعده بفرسه، وقد سقفت هذه الدرج بحجارة
طوال مركبة على الحائطين المكتنفي الدرجة، فيرتقى الى طبقة عالية يشرف
منها على البحر بشرافات محيطة بموضع آخر كأنه حصن آخر مربع يرتقى
فيه بدرج أخرى الى درج آخر يشرف منه على السطح الأول بشرافات
أخرى . وكان بها قوم يتولون وقود النار طول الليل، فيقصد ركاب السفن
تلك النار على بعد ، فاذا رأى أهل النار ما يريدون أشعلوا النار من جهة
المدينة، فاذا رآها الحرس ضربوا الأجراس والأبواق، فيتحرك عند ذلك
الناس لصد العدو - وفي سنة ١٨٠ في خلافة هرون الرشيد كانت زلزلة
عظيمة سقط منها رأس منارة الاسكندرية ، ثم ان أحمد بن طولون رم
شيئا منها ، وجعل في أعلاه قبة من الخشب ليصعد اليها من داخلها ، ثم
أخذتها الرياح وهدمتها - وقال المسعودي : وطول المنارة في وقتنا هذا وهو
سنة ٣٣٣ مائتان وثلاثون ذراعا، وكان طولها قديما نحو من أربع مائة ذراع
وبناؤها في عصرنا ثلاثة أشكال : فقريب من الثلث مربع مبني بالحجارة،
ثم بعد ذلك بناء مشمن الشكل انبنى بالآجر والجص نحو ستين ذراعا

وَطَمِعْنَا فِي السَّلَامَةِ . فَقَالَ لِي : لَا بُدَّ أَنْ أَعْمَلَ فِي الْمَنَارِ شَيْئًا ،
فَقُلْتُ لَهُ : أَعْلَى مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ الَّتِي نَحْنُ فِيهَا ؟ فَقَالَ : نَعَمْ
فَقُلْتُ : فَاصْنَعْ ، فَأَطْرَقَ ، ثُمَّ عَمِلَ بَدِيهَا :

وأعلاها مدور الشكل اه وفي شهر رمضان سنة ٤٤٣ كانت زلزلة هائلة
سقط بها جزء عظيم من أعلى المنارة ، وفي العصر الفاطمي كان قد تهدم
بعض أركانها فدعمه الملك الصالح رزيك أو غيره من وزراء الدولة الفاطمية
فاستجده ، فكان أحكم وأتقن وأحسن من الذي كان قبله ، وكان ظاهرا
فيه كالشامة ، لأن حجارة ذلك المستجد كانت أعظم وأحكم من القديم
وأحسن وضعاً ورصفاً . وذكر ابن جبير في رحلته أن منار الاسكندرية
يظهر على أكثر من سبعين ميلاً ، وأنه ذرع أحد جوانبه الأربعة في
سنة ٥٧٨ فأناف على خمسين ذراعاً . وفي أيام الملك الكامل صاحب مصر
بنى مسجد في مكان القبة التي كان قد بناها ابن طولون ، ثم ان وجهها
البحري تداعى ، وكذلك الرصيف الذي كان بين يديها من جهة البحر
وكاد انهدمان ، وذلك في أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس ، فرمه وأصلحه
وأمر ببناء ما تهدم من أركان المنارة سنة ٦٧٣ وكان بعضها قد تداعى
وسقط ، وفي سنة ٧٠٢ هدم المسجد الذي بنى موضع القبة بتأثير الزلازل
ثم بنى في شهور سنة ٧٠٣ على يد الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير
وبقي حيناً ، وفي سنة ٧٧٧ سقط رأس المنارة من زلزلة عظيمة ، وذكر
ابن فضل الله العمري في كتاب المسالك أن هذه المنارة قد خربت وبقيت
أثراً بلا عين ، وكان هذا في أيام السلطان قلاوون أو ولده . والله در الوجيه
أبي الحسن الذروي اذ يقول في منار الاسكندرية - وكان قد زاره هو
وابن قلافس الاسكندري - :

وسامية الأرجاء تهدي أخا السرى ضياء اذا ما حندس الليل أظلمها
لبست بها برداً من الأتس ضافيا فكان بتدكار الأحبة معلما

لِلَّهِ دَرْ مَنَارٍ أَسْكَندَرِيَّةَ ! كَمْ
يَسْمُو إِلَيْهِ عَلَى بُعْدٍ مِنَ الْخُذُقِ
مِنْ شَامِخِ الْأَنْفِ فِي عِرْنَيْنِهِ شَمَمٌ
كَأَنَّهُ بَاهِتٌ فِي دَارَةِ الْأَفْقِ
يُكْسِرُ الْمَوْجُ مِنْهُ جَانِبِي رَجُلٍ
مُشَمَّرِ الذِّلِّ لَا يَخْشَى مِنَ الْغَرَقِ
لَا يَبْرَحُ الدَّهْرَ مَنْ وَرَدَ عَلَى سَفْنٍ
مَا يَبْنِي مُصْطَبِحٍ مِنْهَا وَمُغْتَبِقِ

وقد ظللتني من ذراها بقبة ألا حظ فيها من صحابي أنجما
نفيلت أن البحر تحتي غمامة وأني قد خيمت في كبد السما
فقال ابن فلاقس يصفها ويمدح الوجيه الذروي « قبل أن تستحكم بينهما
أسباب المهاجرة » :

ومنزل جاوز الجوزاء مرتقيا كأنما فيه للنسرين أو كار
راشي القرارة، سامي الفرع، في يده للنون والنور أخبار وآثار
أطلقت فيه عنان الفكر، فاطردت خيل لها في بديع الشعر مضمار
ولم يدع حسنا فيه أبو حسن الاتحكم فيه كيف يختار
حلى المنارة لما حل ذروتها بجوهر الشعر بحر منه زخار
ما زال يذكر بها نار الذكاء إلى أن أصبحت علما في رأسه نار
والذروي منسوب إلى ذروة بلد باليمن « أحمد يوسف نجاتي »

لِلْمُنْشآتِ الْجَوَارِي عِنْدَ رُؤْيَتِهِ
 كَمَوْقِعِ النَّوْمِ مِنْ أَجْفَانِ ذِي أَرْقٍ^(١)
 وَتَقَدَّمتْ تَرْجَمَةُ الْكَاتِبِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ رَبِّهِ
 وَأَظْنُهُ هَذَا ، فَلْيَتَنَبَّهُ لَهُ ، بَلْ أَعْتَقِدُ أَنَّهُ هُوَ لَا غَيْرُهُ . وَاللَّهُ
 تَعَالَى أَعْلَمُ .

« وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الصَّفَّارِ الْقُرْطُبِيُّ^(٢) »
 قَالَ فِي الْقِدْحِ الْمَعْلَى : يَتَّبِعُهُمْ مَشْهُورٌ بِقُرْطُبَةٍ ، لَمْ يَزَلْ

محمد بن الصفار
 القرطبي

(١) وأحفظ بعد ذلك بيتين آخرين :
 تهوى اليه وعنه الفلك طائرة بمثل أجنحة صيغت من الحرق
 كأنه وعليه الفلك حائمه برج الحمام فمن آت ومنطلق
 العرينين الأنف كاه أو ماصلب من عظمه أو أول الأنف حيث يكون فيه
 الشم - وهو ارتفاع قصبه الأنف وحسنها واستواء أعلاها - ويستعار شمم
 الأنف للغة والاثباء والأنفة ، والباغت المتحير رأى شيئاً فبهت ينظر نظر
 المتعجب ، والجواري المنشآت السفن العظام ، قال تعالى « وله الجواري
 المنشآت في البحر كالأعلام » « أحمد يوسف نجاتي » .

(٢) هو محمد بن عبد الله بن عمر بن علي بن اسمعيل بن عمر الانصاري الأوسي
 الضرير القرطبي ، سمع أبا الفاسم بن بشكوال ، وأبا بكر بن الجدد ، وأبا عبد
 الله بن زرقون ، وغيرهم ، وكانت له رحلة الى المشرق لقي فيها كثيراً من
 علمائه ، وقفل بعد ذلك الى المغرب ، فسكن مراكش ، وأقرأهنا لك ، وجول

يُتَوَارَثُ فِي الْعِلْمِ وَالْجَاهِ وَعُلُوُّ الْمَرْتَبَةِ ، وَنَشَأُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ
هَذَا حَافِظًا لِلْأَدَبِ ، إِمَامًا فِي عِلْمِ الْحِسَابِ ، مَعَ أَنَّهُ كَانَ
أَعْمَى مُقْعَدًا مُشَوَّهَ الْخَلْقَةِ ، وَلَكِنَّهُ إِذَا نَطَقَ عِلْمَ كُلِّ
مُنْصِفٍ حَقَّهُ . وَمِنْ عَجَائِبِهِ أَنَّهُ سَافَرَ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ ،
حَتَّى غَدَتْ بَعْدَادُ لَهُ هَالَةً^(١) ، أَجْتَمَعَتْ بِهِ بِحَضْرَةِ تُونِسَ
فَرَأَيْتُ بَحْرًا زَاخِرًا ، وَرَوْضًا نَاصِرًا ، إِلَّا أَنَّهُ حَاطِبُ
لَيْلٍ^(٢) ، وَسَاحِبُ ذَيْلٍ ، لَا يُبَالِي مَا أُرْدَدُهُ ، وَلَا يَلْتَفِتُ
إِلَى مَا أُنْشَدُهُ ، جَامِعًا بَيْنَ السَّمِينِ وَالْفَتِّ ، حَافِظًا لِلْمَتِينِ
وَالرَّثِّ . وَكَانَ يُقْرِئُ الْأَدَبَ بِمِرَّاكِشٍ وَفَاسٍ وَتُونِسَ

كثيرا في الفتنة وقبلها ، واستقر أخيرا بمدينة تونس ، وهناك لقيه العلامة
ابن الأبار سنة ٦٣٦ وصحبه طويلا ، وكان يقريء العربية والآداب
ويسمع الحديث مع حظ من قرض الشعر ، وإدراك في النثر ، وتوفي سنة ٦٣٩
بتونس وقد نيف على السبعين « أحمد يوسف نجاتي » (١) الهالة دارة
القمر (٢) يقال هو حاطب ليل لمن يتكلم بالغث والسمين ، ويخلط في
كلامه وأمره ، لا يتفقد قوله ، ولا يفكر فيما يأتي به ، كالحاطب « أي جامع
الخطب » بالليل الذي يحطب كل ردى وجيد ، لأنه لا يبصر ما يجمع في
حبله ، ويشبه الجاني على نفسه بلسانه بحاطب الليل ، لأنه اذا حطب ليلا
فربما وقعت يده على أفعى فنهشته ، وكذلك الذي لا يزم لسانه ويهجو
الناس ويذمهم ربما كان ذلك سببا لحتفه ، ومن أمثالهم: المكثار حاطب
ليل . وأول من قاله أكرم بن صيفي « أحمد يوسف نجاتي »

وغيرها . ومن مشهور حكاياته أنه لما قال أبو زيد^(١)
الغازي في أبي علي^(٢) المستنصر قصيدته التي مطلعها :

(١) هو عبد الرحمن بن يَخْلَقَن بن أحمد اليجفشي الغازي، ولد بقرطبة ونشأ بها ثم سكن تلمسان وغيرها وكان عالما بالحديث متصرفا في فنونه ذا معرفة بالفقه وعلم الكلام وغيره شاعرا مجيدا وافر المأددة قوى العارضة، كتب للولاء زمنا طويلا، وطوف ببلاد العدو والأندلس كثيرا، وله في الزهد أشعار سمعت منه وسارت عنه، ومال إلى التصوف وشهر به، وغلب عليه الأدب مع الميل إلى علم التصوف وصحبة المريدين والسعي في مطالبهم والتشدد على أهل البدع، ثم أدركته جفوة من السلطان ألزمته داره وذلك في سنة ٦٢٦ وفي آخرها ظعن إلى العدو فتوفي بمدينة مراکش سنة ٦٢٧ رحمه الله وهو منسوب إلى «غاز» اسم قبيلة من قبائل البربر «أحمد يوسف نجاني» (٢) كذا بالأصل : وأراها مصحفة عن «أبي العلاء» أو «أبي العلي» يريد الأمير أبا العلاء بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي، وكان أبو العلي صاحب قرطبة في مدة خلافة أخيه أمير المؤمنين محمد الناصر بن يعقوب المنصور الذي قام بالأمر بعده وفاة والده سنة ٥٩٥ وتوفي الناصر سنة ٦١٠ فبويع بعده ابنه أمير المؤمنين يوسف المنتصر بن محمد الناصر، وتوفي سنة ٦٢٠ فقام بالأمر بعده أبو محمد عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي، وكان صالحا متورعا، فاستقام له الأمر نحو شهرين، ثم اضطربت أحواله وقام عليه أبو محمد عبد الله العادل بن يعقوب المنصور وكان بمروسة فأخذ البيعة لنفسه، وكتب لأخيه أبي العلاء وكان باشبيلية يدعو إلى بيعته فأجابه، وكانت حوادث أدت إلى خلع عبد الواحد والمبايعة لأبي محمد العادل أخى أبي العلي هذا سنة ٦٢١ وفوض أمر الأندلس إلى أخيه أبي العلاء الملقب بالأمون، ثم خلع الأمون طاعة أخيه ودعا لنفسه سنة ٦٢٤ وكانت قن وثورات أدت إلى قتل أخيه العادل في شوال سنة ٦٢٤ وبويح لأبي (٢١ - نفح الطيب - سادس) .

* الْحَزْمُ وَالْعَزْمُ مَنْسُوبَانِ لِلْعَرَبِ * عَارِضُهُ بِقَصِيدَةٍ ، ثُمَّ قَالَ
فِيهِ وَفِي ابْنِ أَخِيهِ يَحْيَى بْنِ النَّاصِرِ ^(١) الَّذِي نَازَعَهُ فِي
ذَلِكَ الْإِوَانَ :

وَإِنْ يُنَازِعُكَ فِي الْمَنْصُورِ ذُو نَسَبٍ
فَنَجِّلْ نُوحٍ ثَوَى فِي قِسْمَةِ الْعَطَبِ
وَإِنْ يَقُلْ : أَنَا عَمٌّ ، فَالْجَوَابُ لَهُ :
عَمُّ النَّبِيِّ بِلَا شَكٍّ أَبُو لَهَبٍ

العلاء ادريس المأمون وهو هذا، ثم ندم الناثرون على ذلك، وخافوا من أبي العلى لما يعرفون من شهامته، فرجعوا وابعوا يحيى بن الناصر كما سيأتي «أحمد يوسف نجاتي» (١) هو يحيى بن محمد الناصر بن المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن على، ولقبه المعتصم بالله، بويع في شوال سنة ٦٢٤ وامتنع من مبايعته كثير من الناس لمبايعتهم عمه المأمون أبا العلى ادريس، ووقع لذلك فتن في البلاد، واضطربت الأحوال وكثرت المحر، وفشا الخوف، واتصل الخبر أن المأمون بويع له بالأندلس، وأنه جاز البحر الى مدينة سبته، فلما علم يحيى بذلك ورأى اختلاف الناس عليه فرها ربا، وكانت بينه وبين المأمون حروب انهزم فيها يحيى، ولم يزل شريدا الى أن توفي سنة ٦٣٣ في أيام الرشيد عبد الواحد بن ادريس بن يعقوب المنصور. وجدد الموحدون البيعة لأبي العلى المأمون ادريس بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن ابن على في جمادى الآخرة سنة ٦٢٦ وكان فصيح اللسان، ضابطا للحديث الشريف، حسن الصوت والتلاوة، عالما باللغة العربية وآدابها وأيام الناس وأخبارها، حازما شجاعا ذا دين وشهامة، ثم قام عليه أخوه بالأندلس وتوالت عليه المحن والهموم فتوفي سنة ٦٢٧ وفي أيامه استولى الروم على

وَشَاعَتْ الْقَصِيدَةُ ، فَبَلَغَتْ أَبَا الْعَلَاءِ ، فَحَرَصَ ^(١) عَلَى
قَتْلِهِ ، وَسَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ . وَمَاتَ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ
وَسِتِّمِائَةَ . وَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ :

لَا تَحْسَبِ النَّاسَ سَوَاءً مَتَى

تَشَابَهُوا ، فَالنَّاسُ أَطْوَارُ ^(٢)

وَأَنْظِرْ إِلَى الْأَخْبَارِ ، فِي بَعْضِهَا

مَاءٌ ، وَبَعْضُ ضِمْنِهَا نَارُ

وَقَوْلُهُ :

يَا طَالِمًا فِي جُفُونِي ' وَغَائِبًا فِي ضُلُوعِي

بَالَغْتَ فِي السُّخْطِ ظُلْمًا وَمَا رَحِمْتَ خُضُوعِي

إِذَا نَوَيْتَ انْقِطَاعًا فَاحْسِبْ حِسَابَ الرُّجُوعِ

أَنْتَهَى بِاخْتِصَارٍ يَسِيرٍ .

جزيرة ميورقة ، وبويع بعده ابنه عبد الواحد ، وتلقب بالرشيد ، وتوفي
سنة ٦٤٠ « أحمد يوسف نجاتي » (١) في الأصل « خرض » (٢) يقال :
الناس أطوار ، أى أصناف مختلفة وأحوال شتى ، قال تعالى : « وقد خلقكم
أطوارا » أى ضروبا مختلفة وعلى حالات متفاوتة وأخلاق متغايرة ، أو خلقا
مختلفة كل واحد على حدة « أحمد يوسف نجاتي » .

« وَمِنْهُمْ أَبُو الْوَلِيدِ بْنُ الْجَنَانِ * مُحَمَّدُ بْنُ الْمُشَرَفِ
أَبِي عَمْرٍو بْنُ الْكَاتِبِ أَبِي بَكْرٍ بْنُ الْعَالِمِ الْجَلِيلِ أَبِي
الْعَلَاءِ بْنِ الْجَنَانِ الْكِنَانِيُّ الشَّاطِئِيُّ »

محمد بن المشرف
أبو الوليد ابن
الجنان

* ترجم له في كتاب الوافي بالوفيات للصفدي « ج ١ ص ١٧٥ »
بما يأتي :

« ابن الجنان الشاطي محمد بن محمد » كذا قرأته على الشيخ أثير الدين
أبي حيان ، وأخبرني الشيخ شمس الدين الذهبي - ومن خطه نقلت -
أنه محمد بن سعيد بن محمد بن هشام بن الجنان بتشديد النون ، الشيخ فخر
الدين أبو الوليد الكناني الشاطي الحنفي ، ولد سنة خمس عشرة وستمائة
بشاطبة ، وقدم الشام ، وصحب صاحب كمال الدين ابن العديم وولده ،
فاجتذباه باحسانهما ، ونقلاه من مذهب مالك الى مذهب أبي حنيفة ،
ودرس بالاقبالية ، وكان أدبيا فاضلا ، وشاعرا محسنا ، وكان يخالط
الأكابر ، وفيه حسن العشرة والمزاج . توفي سنة خمس وسبعين وستمائة .
أخبرني الشيخ فتح الدين بن سيد الناس (١) : قال أخبرني والدي قال :

(١) هو أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد
ابن يحيى بن محمد بن محمد بن أبي القاسم بن عبد الله بن عبد العزيز
ابن سيد الناس بن أبي الوليد بن منذر بن عبد الجبار بن سليمان أبو
الفتح فتح الدين اليعمرى الامام الحافظ العلامة الأديب ، ولد سنة ٦٧١
وهو من بيت رياسة بأشبيلية ، وكان أبوه قد قدم الى الديار المصرية ومعه
أمهات من الكتب القيمة ، وحضر مع أبيه ، فتلقي عن أفاضل عصره بمصر
والشام حتى صار عالما أدبيا صدوقا حجة طيب الأخلاق ذا بصيرة ناقد بالفن

كنا عند القاضي شمس الدين أحمد بن خلكان وهو ينوب في الحكم بالقاهرة - والشيخ فخر الدين بن الجنان حاضر وهو الى جانبي - فأنشد أبياتا له منها :

عرف النسيم بعرفكم يتعرف وأخو الغرام بحبهم يتشرف
شرف المتيم في هواهم إنه طورا يبوح وتارة يتلمف
لطفت معانيه فهب مع الصبا فرقيب به بهو به لا يعرف
واذا الرقيب درى به فلا نه أخفى لديه من النسيم والطف
ولانه يعدو النسيم ديارهم ولها على تلك الربوع توقف

فقال القاضي شمس الدين : يا شيخ فخر الدين لطفته لطفته الى أن عاد لاشيء ! قالت الى وقال بلسانه : « الكاضي حمار هوس مالو ذوك شي »
يعني القاضي حمار ، ماله ذوق . وأنشدني له الشيخ أثير الدين أبو حيان :

أفنانى القبض عنى حتى تلاشى وجودى
وجاءنى البسط يحى روحى بفضل وجودى
فقلت للنفس شكرا لذاك بالنفس جودى
وقمت أشطح سكرًا فغبت عن ذا الوجود

وقال ابن الجنان :

ذكر العذيب فمال من سكر الهوى صب على صحف الغرام قد انطوى
يبكى على وادى العقيق بمثله ويميل من طرب بمنعطف اللوى
وجهت وجهى نحوهم ، فوحقهم لا أبتغى غيرا ولا أرجو سوى
وبهجتى معبود حسن منهم فلذا على عرش القلوب قد استوى
أوحى الى قلى الذى أوحى له فعجبت كيف نطقت فيه عن الهوى

وخبرة بالرجال ، ويدطولى في علوم اللسان ، ومحاسن جمه ، وله الشعر الرائق والنثر الفائق ، وله مؤلفات ممتعة في الحديث والتاريخ والأدب . وكان رفيع المنزلة لدى أمراء مصر وذوى رياستها ، وتوفى في شعبان سنة ٧٣٤ .
« أحمد يوسف نجاتي » وأبو بكر الخطيب الحافظ محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد اليعمرى الأشبيلي المعروف بابن سيد الناس ، ولد سنة ٥٩٧ بتونس في شهر رجب سنة ٦٥٩ « أحمد يوسف نجاتي » .

قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ: تَوَارَثُوا بِشَاطِبَةً ، مَرَاتِبَ تَحْسُدُهَا
النُّجُومُ الثَّاقِبَةُ ^(١) ، وَأَبُو الْوَلِيدِ أَشْعَرُهُمْ ، وَقَدْ تَجَدَّدَ
بِهِ فِي أَقْطَارِ الْمَشْرِقِ مَفْخَرُهُمْ ، وَهُوَ مَعْرُوفٌ هُنَاكَ بِفَخْرِ
الدِّينِ ، وَمُتَّصِدَّرٌ فِي أَيْمَةِ النُّحَوِيِّينَ ، وَمُرْتَبٌّ فِي شُعْرَاءِ
الْمَلِكِ النَّاصِرِ صَاحِبِ الشَّامِ ^(٢) ، وَمُقَطَّعَاتُهُ الْغَرَامِيَّةُ
قَلَائِدُ أَهْلِ الْغَرَامِ ، صَحْبَتُهُ بِمَضَرَ وَدِمَشْقَ وَحَلَبَ ،

(١) التي يثقب نورها الظلام وينفذ فيه ضياؤها (٢) هو الملك الناصر
صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز محمد صاحب حلب ابن الظاهر غازي
ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب الشام، ولد سنة ٦٢٧
وتولى الملك بعد أبيه سنة ٦٣٤ ودبر الملكة شمس الدين لؤلؤ الأرمني،
وعز الدين عمر بن مجلي، وجمال الدولة أقبال الخاتوني الأسود الحصى
وكان الأمر كله راجعا إلى جدته الصاحبة صفيّة ابنة العادل، ولهذا سكت الملك
الكامل لأنها أخته، فلما توفيت سنة ٦٤٠ اشتد الناصر واشتغل عنه
الكامل بعمه الصالح، ثم فتح عسكره له حمص سنة ٦٤٦، ثم سار هو وملك
دمشق بلاقتال سنة ٦٤٨ فولياها عشر سنين، وفي سنة ٦٤٢ دخل بآبنة
السلطان علاء الدين صاحب الروم وهي ابنة خالة أبيه العزيز، وكان ملكا
سريا حليما جوادا موطأ الأكناف حسن الأخلاق كريما جوادا محببا
إلى الرعية ذا عدل وصفح، وكان الناس معه في رغد عيش وشفاء، وكان
للشعراء دولة في أيامه وللأدب مكانة، ثم خدع حتى وقع في قبضة التتار
فذهبوا به إلى هولاكو فأكرمه، ولما بلغه هزيمة جيشه على عين جالوت
غضب وتنمر وأمر بقتله، فتضرع إليه قائلا ما ذنبي؟ فأمسك عن قتله، فلما
بلغه الهزيمة بمحمص استشاط غضبا وأمر بقتله وقتل أخيه الملك الظاهر

وَجَرَيْتُ مَعَهُ طَلْقَ الْجُمُوحِ ^(١) فِي مَيَادِينِ الْأَدَبِ ،
وَأَنْشَدَنِي بِدِمَشْقَ :

غازى سنة ٦٥٩ وولده العزيز ، وقتل معه جميع أتباعه وأقاربه ، فكان الملك الناصر آخر ملوك بني أيوب ، وله مآثر : منها أنه بنى بدمشق داخل باب الفراديس مدرسة كانت فى غاية من الحسن ، ووقف عليها أوقافا جليلة ، وبنى بحبل الصالحية رباطا وتربة ، وكانت عمارة عظيمة ماعمر مثلها ، أحضر لها من حلب كثير من الرخام والأحجار ، وأنفق عليها أموالا عظيمة ، وكان نهر يزيد جاريا فيها ، وكان ملكه قد زاد على ملك أبيه وجده ، فانه ملك مثل حران والرها والرقه ورأس عين وماع ذلك من البلاد ، وملك حمص ودمشق و بعلبك والأغوار والسواحل الى غزة ، وعظم شأنه ، وخطب له بمصر ، ولكن تجاوز حلمه الحد ، فأضر ذلك بالملكة ، وعات المفسدون فيها فلم يستب بها أمن ، وكان يقول الشعر ، وله :

فوالله لو قطعت قلبي تأسفا وجرعتنى كاسات دمعى دما صرفا
لما زادنى الا هوى ومحبة ولا اتخذت روى سواك لها إلغا
وهذا يدل على رقة عاطفته . وقتل غدرا شابا عن ٣٢ سنة رحمه الله
« أحمد يوسف نجأتى » (١) يريد أنه أجر حبل خلع فى الصبا غزل ، وسار فى ميدان اللهو مطلق العنان ، يجر فى غيه رسنه ، لا يكبح جماحه ، ولا يثنى عنانه ولا يصد عن غرضه ، وهو من قول أبى نواس :

جريت مع الصبا طلق الجموح وهان على مآثور القبيح
وجدت أذ عارية الليالى قران النغم بالوتر الفصيح
تمتع من شباب ليس يبقى وصل بعرا الغبوق عرا الصبوح
وجمع الفرس كمنع جمحا وجموحا وجماحا : اذا ذهب يجرى واعتز فارسه
وغلبه ، لسرعته ونشاطه ومرحه ، والجموح : الرجل يركب هواه فلا يمكن رده ، لشبهه بالجموح من الخيل الذى لا يرده لجام ، ولا يثنى عن مضيه على وجهه عنان « أحمد يوسف نجأتى »

أَنَا مِنْ سُكْرِ هَوَاهُمْ ثَمَلُ لَا أَبَالِي هَجَرُوا أُمَّ وَصَلُوا^(١)
 فَبَشِعْرِي وَحَدِيثِي فِيهِمْ زَمَزَمَ الْحَادِي وَسَارَ الْمَثَلُ^(٢)
 إِنَّ عُشَّاقَ الْحِمَى تَعْرِفُنِي وَالْحِمَى يَعْرِفُنِي وَالطَّلَلُ^(٣)
 رَحَلُوا عَنْ رَبْعِ عَيْنِي ، فَلَذَا أَدْمَعِي عَنْ مُقَلَّتِي تَرْتَحِلُ
 مَا لَهَا قَدْ فَارَقَتْ أَوْطَانَهَا وَهِيَ لَيْسَتْ لِجِمَاهُمْ تَصِلُ؟!
 لَا تَظُنُّوا أَنَّنِي أَسْلُو ، فَمَا مَذْهَبِي عَنْ حُبِّكُمْ يَنْتَقِلُ
 وَقَوْلُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :-

يَا بَانَةَ الْوَادِي إِذَا خَطَرَتْ
 تِلْكَ الْمَعَاطِفُ حَيْثُ الشَّيْخُ وَالْغَارُ^(٤)
 فَمَا نَقِيهَا عَنِ الصَّبِّ الْكَثِيبِ ، فَمَا
 عَلَى مُعَاتَقَةِ الْأَغْصَانِ انْكَارُ

(١) ثَمَل الرجل « كفرح » فهو ثَمَل إذا أخذ فيه الشراب، فهو نشوان
 (٢) أراد بزمزمة الحادي غناؤه وتطريبه، وفرس مززم في صوته إذا كان
 يطرب فيه، وفي البيت لفونشر مرتب، فزمزم الحادي يعود على الشعر،
 وسير المثل عائده على حديثه فيهم (٣) الطلل: الشاخص من آثار الدار،
 وطلل الدار أيضا موضع من صحنها يهيا للجلس أهلها «أحمد يوسف نجاتي»
 (٤) الشيخ نبات معروف سهلى له رائحة طيبة وطعمه مر، وهو مرعى
 للخيول والنعم، ومناقبه القيعان والرياض - وفي الأصل « الشيخ » وهو
 تصحيف فاسد، والغار شجر عظيم له ورق طوال أطول من ورق الخلاف

وَعَرَّفِيهَا بِأَنِّي فِيكَ مُكْتَتِبٌ
فَبَعْضُ هَذَا (١) لَهُ بِالْحُبِّ إِخْبَارُ
وَأَنْتُمْ جِيزَةُ الْجُرْعَاءِ مِنْ إِضْمٍ
لِي فِي حِمَاكُمْ أَحَادِيثٌ وَأَسْمَارُ (٢)
وَأَنْتُمْ أَنْتُمْ فِي كُلِّ آوَنَةٍ
وَإِنَّمَا حُبُّكُمْ فِي الْكَوْنِ أَطْوَارُ
وَيَا نَسِيمًا سَرَى يَحْدُو رَكَائِبَهُ
لِي بِالْغَوِيرِ لُبَانَاتٌ وَأَوْطَارُ (٣)

وحمل أصغر من البندق، وورقه طيب الريح يقع في العطر (١) في الأصل « هذى » ورأيت أن « هذا » أولى يهود على ما تقدم من تكليف البانة معانقة من يهوى لمشايتها في اللين والاعتدال والتثني ومن رجائها أن تعرفها أنه مغرم بها، فان ذلك بمنزلة اخبار الحبيبة بحبه اياها « اياك أعنى واسمعى يا جارة » ويصح « فبعض هذى له بالحب أخبار » بفتح الهمزة جمع خبر (٢) أصل الجرعاء والأجرع : الرملة لا تنبت شيئا ، وهي هنا مكان بعينه ، وإضم ماء على الطريق بين مكة واليمامة، له ذكر في سرايا النبي صلى الله عليه وسلم ، ويذكره الشعراء كثيرا في تغزلهم بهذه الأماكن - أو إضم واد بجبال تهامة، وهو الوادى الذى فيه المدينة، أو هو واد يشق الحجاز حتى يفرغ في البحر ، ومن قصيدة البردة :

أم هبت الريح من تلقاء كاظمة وأومض البرق في الظلماء من إضم
(٣) الغوير موضع بعينه، وهو ماء بأرض السماوة بين العراق والشام ، وماء بين العقبة والقاع في طريق مكة ، واللبانة الحاجة والغرض كالوطر ، وفي الأصل « تحدو » بدل « يحدو » وأراها مصحفة . « أحمد يوسف نجاتي »

وَلَهُ :

يَا رَعَى اللَّهُ أَنْسَانَيْنِ رَوْضٍ حَيْثُ مَاءُ الشَّرُورِ فِيهِ يَجُولُ
تَحْسَبُ الزَّهْرَ عِنْدَهُ يَتَشَّى وَتَحَالُ الْفُصُونُ فِيهِ تَمِيلُ

وَلَهُ :

هَاتِ الْمُدَامَ ، فَقَدْ نَاحَ الْحَمَامُ عَلَى
فَقْدِ الظَّلَامِ ، وَجَيْشِ الصُّبْحِ فِي غَلَبِ
وَأَعْيُنِ الزَّهْرِ مِنْ طُولِ الْبُكَارِ مِدَّتْ
فَكَحَلَتْهَا يَمِينُ الشَّمْسِ بِالذَّهَبِ
وَالْكَاسُ حُلَّتْهَا حَمْرَاءُ مُذَهَبَةٌ
لَكِنْ أَرْزَتْهَا مِنْ لَوْثِ الْوِائِ الْحَبَبِ :
كَمْ قُلْتُ لِلْأَفْقِ لَمَّا أَنْ بَدَا صِلَفًا^(١)

بِشَمْسِهِ عِنْدَ مَا لَاحَتْ مِنَ الْحُجُبِ
إِنْ تَهْتِ^(٢) بِالشَّمْسِ يَا أَفْقُ السَّمَاءِ فلي

شَمْسَانِ : وَجْهُ نَدِيٍّ وَأُبْنَةُ الْعَنْبِ

(١) الصلف : الكبر والاعجاب بالنفس ، وأن يتمدح المرء بما ليس عنده
ومجاوزة قدر الظرف والبراعة ، والادعاء فوق ذلك تكبرا (٢) التيه : الصلف
والكبر ، تاه يتيه ويتوه ، وابنة العنب : الحمر : «أحمد يوسف نجاتي»

قُمْ أُسْقِنِيهَا وَتَغْرِ الصُّبْحَ مُبْتَسِمٌ
وَاللَّيْلُ تَبْكِيهِ عَيْنُ الْبَدْرِ بِالشُّهْبِ
وَالشُّحْبُ قَدْ لَبَسَتْ سُودَ الثِّيَابِ، وَقَدْ
قَامَتْ لِتَرْثِيهِ الْأَطْيَارُ فِي الْقُضْبِ
وَلَهُ :

عَلَيْكَ مِنْ ذَاكَ الْحِمَى يَا رَسُولَ
بُشْرَى عِلَامَاتِ الرِّضَا وَالْقَبُولِ
جِثَّتْ وَفِي عِطْفِكَ مِنْهُمْ شَذَى
يَسْكُرُ مِنْ خَمْرِ هَوَاهُ الْعَذُولِ
وَمِنْهَا :

أَحِبَابَنَا وَدَعَّمُ نَاطِرِي وَأَنْتُمْ بَيْنَ ضُلُوعِي نَزُولِ
حَلَلْتُمْ قَلْبِي وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ فِي دِينِ الْهَوَى بِالْحُلُولِ
أَنَا الَّذِي حَدَّثَ عَنِّي الْهَوَى بِأَنِّي عَنْ حُبِّكُمْ لَا أَحُولِ
فَلْيَزِدِ الْعَاذِلُ فِي عَذْلِهِ وَلْيَقُلِ الْوَاشِي لَكُمْ مَا يَقُولِ
أَنْتَهَى كَلَامُ النُّورِ ابْنِ سَعِيدٍ . وَقَالَ غَيْرُهُ : وَلَدِ
الْمَذْكُورُ بِشَاطِبَةِ مُتَشَفِّفِ شَوَالِ سَنَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ

وَسِتِّمَاءَةٍ ، وَمَاتَ بِدِمَشْقَ ، وَدُفِنَ بِسَفْحِ قَاسِيُونِ^(١) . وَكَانَ
عَالِمًا فَاضِلًا ، دَمِثَ الْأَخْلَاقِ ، كَرِيمَ الشَّمَائِلِ ، كَثِيرَ الْإِحْتِمَالِ
وَاسِعَ الصَّدْرِ ، صَحِبَ الشَّيْخَ كَمَالَ الدِّينِ بْنِ الْعَدِيمِ^(٢)
وَوَلَدَهُ قَاضِيَ الْقَضَاةِ مُحَمَّدَ الدِّينِ ، فَاجْتَذَبُوهُ إِلَيْهِمْ ، وَصَارَ حَنْفِيَّ
الْمَذْهَبِ ، وَدَرَسَ بِالْمَدْرَسَةِ الْإِقْبَالِيَّةِ^(٣) الْحَنْفِيَّةِ بِدِمَشْقَ
وَلَهُ مُشَارَكَةٌ فِي عُلُومٍ كَثِيرَةٍ ، وَلَهُ يَدٌ فِي النِّظْمِ ، وَمِنْ شِعْرِهِ :
لِلَّهِ قَوْمٌ يَعْشَقُونَ ذَوِي اللَّحَى لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ

(١) اسم للجبل المشرف على مدينة دمشق ، وفي سفحه مقابر دفن فيها
كثير من ذوى الخير والصلاح (٢) هو صاحب العلامة كمال الدين أبو القاسم
عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي الحلبي ، من بيت القضاء
والنباهة والعلم ، كان في زمنه قليل المثل عديم النظير فضلاً ونبلاً ورأياً وحزماً
وذكاءً وبهاءً وكتابةً وبلاغةً ، درس وأفتى وصنف ، وجمع تاريخاً للحلب في
نحو ثلاثين مجلداً ، وكان عظيم المنزلة عند الملك الناصر يوسف المتقدم ،
وانتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة . توفي سنة ٦٦٠ - وولده صاحب
قاضي القضاة محمد الدين أبو المجد عبد الرحمن كان ضدراً مهيباً وافر الحشمة
على الهمة والرتبة أديباً بليغاً مبالغاً في التجميل والترفع مع دين تام وتعبد
وصيانة ونواضع للصالحين وأولى العلم والعمل ، توفي سنة ٦٧٧ - وولده
الآخر صاحب جمال الدين أبو غانم محمد توفي بحماة سنة ٦٩٤ .
« أحمد يوسف نجاتي » (٣) نسبة إلى واقفها وهو جمال الدولة أقبال الخادم
توفي بالقدس سنة ٦٠٣ بعد أن وقف داره بدمشق مدرستين شافعية
وحنفية ، ووقف عليهما مواضع ذات غلة . « أحمد يوسف نجاتي » .

وَبِمُهْجَتِي قَوْمٌ - وَإِنِّي مِنْهُمْ -

جَبَلُوا عَلَى حُبِّ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ^(١)

وَلَهُ أَيْضًا :

قُمْ أَسْقِنِيهَا وَلَيْلُ الْهَمِّ مُنْهَزِمٌ

وَالصَّبِيحُ أَغْلَامُهُ مُحَمَّرَةٌ الْعَذَبِ^(٢)

وَالشَّجْبُ قَدْ ثَرَتْ فِي الْأَرْضِ لَوُؤُهَا

تَضُمُّهُ الشَّمْسُ فِي ثَوْبٍ مِنَ الذَّهَبِ

انْتَهَى .

وَقَدْ تَقَدَّمَ عَنِ ابْنِ سَعِيدٍ لَهُ مَا يُقَارِبُ هَذَا . وَلَهُ

- رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِي كَاتِبٍ :

وَلِي كَاتِبٌ أَضْمَرْتُ فِي الْقَلْبِ حُبَّهُ

مَخَافَةَ حُسَادِي عَلَيْهِ وَعُذَالِي

لَهُ صَنَعَةٌ فِي خَطِّ لَامٍ عِذَارِهِ

وَلَكِنْ سَهَا إِذْ تَقَطَّ اللَّامُ بِالْخَالِ

(١) في كلا البيتين تصرف لابأس به في كلام حسان بن ثابت ونقله من معنى إلى آخر ، وذلك ظاهر . « أحمد يوسف نجاتي » (٢) جمع عذبة وهي في الأصل طرف الثوب وهدبه ، ومن العمامة ما يسدل على الكتفين منها ، أو طرف كل شيء . كعلاقة السوط وطرفه . « أحمد يوسف نجاتي »

* *

أبو محمد القرطبي « وَمِنْهُمْ أَبُو مُحَمَّدٍ الْقُرْطُبِيُّ » قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : لَقِيْتُهُ
بِالْقَاهِرَةِ ، وَكَأَنَّهُ لَا خَبَرَ عِنْدَهُ مِنَ الْآخِرَةِ ، وَقَدْ طَالَ
عُمُرُهُ فِي أَكْلِ الْأَغْرَاضِ ، وَفَسَادِ الْأَغْرَاضِ ، وَمِمَّا بَقِيَ فِي أُذُنِي
مِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ :

رَحِمَ اللَّهُ مَنْ لَقِيتُ قَدِيمًا فَلَقَدْ كَانَ بِي رَهْوفًا رَحِيمًا
أَتَمَنَى لِقَاءَ حُرٍّ وَقَدْ أَاءَ وَزَبَحْتِي ^(١) كَمَا عَدِمْتُ الْكَرِيمًا
وَتُوفِّيَ بِالْقَاهِرَةِ سَنَةً ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ .

* *

علي بن أحمد القادسي « وَمِنْهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الْقَادِسِيُّ ^(٢) الْكِنَانِيُّ » قَالَ
ابْنُ سَعِيدٍ : لَقِيْتُهُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ عَلَى زِيِّ الْفُقَرَاءِ ، وَحَصَلْتُ
مِنْهُ هَذِهِ الْأُيَاتُ ، وَنَدِمْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى مَافَاتٍ ، وَهِيَ :

ذَاكَ الْعِذَارُ الْمِطْلُ دَمِي عَلَيْهِ يُطْلُ
كَأَنَّمَا أَخْلَدُ مَاءٍ وَقَدْ جَرَى فِيهِ ظِلُّ
عُقُودُ صَبْرِي عَلَيْهِ مُذْ حَلَّ قَلْبِي تُحَلُّ
جَرَتْ دُمُوعِي عَلَيْهِ فَقُلْتُ آسٍ وَطَلُّ

(١) أو « بحني » (٢) له ابن أحمد بن محمد القادسي الضرير الحنبلي كان ملازما

« وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الْمَطَّارِ الْقُرْطُبِيُّ ^(١) » قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
الْمَطَّارِ الْقُرْطُبِيُّ
أَبْنُ سَعِيدٍ: هُوَ خُلُو الْمَنَازِعِ، ظَرِيفُ الْمَقَاطِعِ وَالْمَطَالِعِ،
مَطْبُوعُ النُّوَادِرِ، مَوْصُوفٌ بِالْأَدِيبِ الشَّاعِرِ، مَا زَجَّتْهُ
بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ، وَبِهَذِهِ الْحَضْرَةِ الْعَلِيَّةِ، وَمَا زَالَ يَدِينُ
بِالْإِنْفِرَادِ، وَالتَّجَوُّلِ فِي الْبِلَادِ، حَتَّى قَضَى مُنَاهُ، وَأَلْقَى بِهَذِهِ
الْمَدِينَةِ عَصَاهُ، لَا يَخْطُرُ أَلْهَمُ لَهُ بِيَالٍ، وَلَا يَبِيتُ إِلَّا عَلَى وَعْدٍ
مِنْ وَصَالٍ ^(٢). وَلَهُ - حِينَ سَمِعَ مَا أُرْتَجَلَتْهُ فِي السَّكِينِ
بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ حِينَ دَاعَيْنِي بِاخْتِلَاسِهَا الْقَاضِي زَيْنُ الْقُضَاةِ
أَبْنُ الرِّغْيِ ^(٣) وَقَالَ: مَالِي إِلَيْهِ سَبِيلٌ، حَتَّى يَحْضُرَ مُضَرِي ^(٤) نَبِيلٌ -
أَيَا سَارِقًا مِلْكًَا مَصُونًا وَلَمْ يَحِبْ
عَلَى يَدِهِ قَطْعٌ وَفِيهِ نِصَابٌ ^(٥)

لابن الجوزي ببغداد، وتوفي سنة ٦٢١. «أحمد يوسف نجاتي» (١) سيأتي
له ذكر في الأجزاء التالية. (٢) أخذه من قول الشاعر:

رعى الله عيشا لم أبت فيه ليلة من الدهر الا من حبيب على وعد
(٣) هو أبو محمد عبد الله بن ابراهيم المغربي الرغبي قاضي
الاسكندرية عمر دهرًا طويلاً وتوفي سنة ٦٤٥ - وذريته بعده وأقاربه
محدثون متأخرون «أحمد يوسف نجاتي» (٤) وفي بعض النسخ
«مصري» (٥) في كلمة «نصاب» تورية، نصاب السكين

سَتَنْدُبُهُ الْأَقْلَامُ عِنْدَ عِثَارِهَا
وَيَبْكِيهِ إِنْ يَعْدُ الصَّوَابَ كِتَابٌ^(١)

فَقَالَ :

أَحَاجِيكَ : مَا شَيْءٌ إِذَا مَا سَرَقْتَهُ
وَفِيهِ نَصَابٌ لَيْسَ يَلْزَمُكَ الْقَطْعُ؟!
عَلَى أَنْ فِيهِ الْقَطْعُ وَالْحَدُّ ثَابِتٌ
وَلَا حَدٌّ فِيهِ، هَكَذَا حَكَمَ الشَّرْعُ^(٢)!
انْتَهَى كَلَامُ ابْنِ سَعِيدٍ مِنْ كِتَابِهِ «الْقِدْحُ الْمَعْلَى» فِيمَا
أُظُنُّ. وَيَعْنِي - وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ - بِقَوْلِهِ:
«وَبِهَذِهِ الْحَضْرَةِ الْعَلِيَّةِ» حَضْرَةُ ثُونِسَ الْمَخْرُوسَةِ فَإِنَّهَا
كَانَتْ مَحْطَ رِحَالِ الْأَفَاضِلِ، مِنَ الْأَوَاخِرِ وَالْأَوَائِلِ، حَتَّى إِنْ قَاضَى
الْقُضَاةُ ابْنَ خَلْدُونٍ أَقَامَ بِهَا مُدَّةً، وَمِنْهَا أُرْتَحَلَ إِلَى مِصْرَ،
وَكَذَلِكَ الْخَطِيبُ الْجَلِيلُ سَيِّدِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرْزُوقٍ^(٣)

أعلام تونس
الأفاضل

مقبضها ، والنصاب في حد السرقة معروف (١) يشير الى برى السكين
الأقلام واصلاح أخطاء الكتابة بها (٢) في كلمتي القطع والحدتورية غير خافية
(٣) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق العجيسى الخطيب التلمساني ،
كان رفيع المنزلة لدى سلطان المغرب أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب
ابن عبد الحق المريني الذي تولى الخلافة من « سنة ٧٣١ - سنة ٧٥٢ »

- رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - ، وَمِنْهَا خَاطَبَ الْوَزِيرُ لِسَانَ الدِّينِ ابْنُ
الْخَطِيبِ وَسَلْطَانَهُ فِي الشَّفَاعَةِ لَهُ عِنْدَ سُلْطَانِ الْمَغْرِبِ

وله ألف كتابه «السند الصحيح الحسن من أخبار السلطان أبي الحسن»
في سيرته وأخبار دولته ، وأحله بنوه من بعده هذه المنزلة ، فكذلك كان
لدى ابنه السلطان المستعين بالله أبي سالم إبراهيم بن الحسن المريني ٧٦٠
فقد اصطفى من خواصه خطيب أبيه الفقيه ابن مرزوق المذكور ، فكان
صدور دولته ، وخالصة مملكته ، كما كان من قبل لدى والده السلطان أبي
الحسن . وكان فقيها خطيبا أديبا حسن التدبير والسياسة شاعرا مجيدا ،
وكان لسان الدين ابن الخطيب قد أوفده سلطانه أبو الحجاج يوسف ابن
الأحمر على السلطان أبي عنان فارس بن السلطان أبي الحسن المريني
«٧٥٢ - ٧٥٩» اثر وفاة والده سنة ٧٥٢ معز ياله ، فأدى الرسالة أحسن
أداء وعاد الى غرناطة ، وتوفي السلطان أبو الحجاج بن الأحمر سنة ٧٥٥
فقام بالأمر بعده ابنه محمد بن يوسف الغني بالله ، وانفرد ابن الخطيب بوزارته
كما كان لأبيه من قبل ، فبعثه سلطانه الغني بالله سفيرا عنه الى السلطان
أبي عنان مستمدا له على عدوه الطاغية ، على عادة سلفه في ذلك ، فلما
أشرف على مدينة قاس خاطبه الخطيب الرئيس أبو عبد الله بن مرزوق
برسالة طويلة جمعت بين النظم والنثر أولها :

ياقادما وافي بكل نجاح أبشركم بـ لقاء من أفراح
هذي ذرا ملك الملوك فلذبحها تنل النى وتفتر بكل سماح
مغنى الامام أبي عنان يضمن تظفر ببحر في الندى طفاح
من قاس جودا أبي عنان في الندى بسواه قاس البحر بالضحضاح

الى آخر الأبيات ، وبعد ذلك ثر وشعر آخر ، ولما كان ابن مرزوق من
أعيان وزراء السلطان أبي سالم المريني كما تقدم غلب على هواه ، وألقى زمام
الدولة بيده ، فنقم خاصة السلطان وحاشيته ذلك عليه ، فتربصوا بالدولة
الدوائر ، ثم ثاروا عليه في خبر طويل في أواخر سنة ٧٦٢ حتى قتل واستراح
(٢٢ - نفع الطيب - سادس)

فَكُتِبَ لِسَانُ الدِّينِ عَنْ سُلْطَانِهِ فِي ذَلِكَ مَا نَصَّهُ : الْمَقَامُ
الَّذِي نُوءَ كَدُّ إِلَيْهِ بِرِّ سَلَفِهِ الْوِدَادَ ، وَتُعْرَى بِتَخْلِيدِ فَخْرِهِ
وَأَمْرِهِ الْقَلَمَ وَالْمِدَادَ ، وَنَصِلُ بِهِ الْإِسْتِظْهَارَ عَلَى عَدُوِّ اللَّهِ تَعَالَى
وَالِإِعْتِدَادِ^(١) وَنَخْطُبُ لَهُ مِنْ اللَّهِ بِهَزِّ أَعْطَافِهِ^(٢) لِلْخَيْرِ
وَالْتَوْفِيقِ وَالسَّدَادِ ، وَالِإِعَانَةِ مِنْهُ وَالِإِمْدَادِ ، مَقَامُ مَحَلِّ أَخِينَا
الَّذِي أَشْتَهَرَ فَضْلُهُ وَدِينُهُ ، وَوَضَحَ سَعْدُهُ مُتَأَلِّقَةً^(٣) بِرَاهِينُهُ ،
وَحَيَّاهُ الصَّنْعُ الْجَمِيلُ وَيَّاهُ مُشْرِقًا جَبِينُهُ ، السُّلْطَانُ الْكَذَا
أَبْنُ السُّلْطَانِ الْكَذَا ابْنُ السُّلْطَانِ الْكَذَا - أَبْقَاهُ اللَّهُ يَرْعَى
الذِّمَّ ، وَيَسْلُكُ مِنَ الْفَضَائِلِ الْمَنْهَجَ الْأَمَمَ^(٤) وَيُغْلِي الْبَضَائِعَ
الْنَافِقَةَ^(٥) عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَيُعْلِي الْهَمَمَ . مُعَظَّمُ قَدْرِهِ ، وَمُمْتَلَزِمُ
بِرِّهِ ، الْحَرِيسُ عَلَى تَوْفِيرِ أَجْرِهِ ، وَتَخْلِيدِ فَخْرِهِ ، فَلَانٌ ...

أعداء ابن مرزوق منه، وأمكن الوزير عمر بن عبد الله بن علي بن سعيد
الفودودي أحد كبار الدولة ووزرائها أن يستبد بالأمر كما سيأتي
« أحمد يوسف نجاتي » (١) الاستظهار الاستعانة ، والاعتداد : الاهتمام
والاعتناء واتخاذ الشيء عدة (٢) هز العطف للشيء كناية عن السرور به
به والارتياح إليه (٣) مشرقة مضيئة ولامعة واضحة (٤) في الأصل « الأهم »
وأرى أنها محرفة عن « الأمم » وهو اليمين الواضح ، والقصد والقريب ،
والمَنْهَجُ الطريق الواضح « أحمد يوسف نجاتي » (٥) الراتجة ضد الكاسدة

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى نَاصِرِ الْأَمْرِ الْمُطَاعَةِ ، الْمُحَافِظَةِ عَلَى
الْأُسْنَةِ وَالْجَمَاعَةِ ، وَحَافِظِهِمَا مِنَ الْإِضَاعَةِ ، إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ ، الَّذِي
جَعَلَ الْمَوَدَّةَ فِيهِ أَنْفَعَ الْوَسَائِلِ النَّفَاعَةِ . وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ
عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ الْمَخْصُوصِ بِمَقَامِ الشَّفَاعَةِ ، عَلَى
الْعُمُومِ وَالْإِشَاعَةِ ، مُتَمِّمِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ مِنْ الْفَضْلِ
وَالْبَذْلِ وَالْحَيَاءِ وَالشَّجَاعَةِ ، وَالرِّضَا عَنْ آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ
أَقْتَدَوْا بِهِ بِحَسَبِ الْإِسْطِطَاعَةِ ، وَزَرَعُوا الْخَيْرَ فِي الْعَاجِلَةِ
فَفَازُوا فِي الْآجِلَةِ بِفَائِدَةٍ تِلْكَ الزَّرَاعَةِ ، وَالْدُّعَاءِ لِمَقَامِكُمْ
الْأَعْلَى بِصُنْعٍ يَرَوِي فِيهِ عَنْ الْأَشْمَطِ الْبَاطِرِ ^(١) خَبَرَ النَّصْرِ
الْمُتَوَاتِرِ لِسَانُ الْبَرَاةِ ، وَتَأْيِيدٍ لَا تَرْضَى فِيهِ الْقَنَاءَ بِمَقَامِ تِلْكَ
الْقَنَاعَةِ ، فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ - كَتَبَ اللَّهُ تَعَالَى لِثَنَائِكُمْ

(١) الْأَشْمَطُ : الْبَاطِرُ كُنَايَةً عَنِ السَّيْفِ الْقَاطِعِ الْمَاضِي ، وَالْعِبَارَةُ مِنْ قَوْلِ
ابْنِ هَائِيءِ الْأَنْدَلُسِيِّ :

وَجَنَيْتُمْ ثَمَرَ الْوَقَائِعِ يَا نَعْمَا بِالنَّصْرِ مِنْ وَرَقِ الْحَدِيدِ الْأَخْضَرِ
وَأَصْلُ الشَّمْطِ بَيَاضُ شَعْرِ الرَّأْسِ يَخَالُطُهُ سَوَادٌ ، وَأَمَّا شَمْطُ بَيَاضِ السَّيْفِ
لَمَّا يَخَالُطُهُ مِنَ النَّجِيعِ وَالدَّمَاءِ ، وَلَمَّا جَعَلَهُ أَشْمَطُ صَحَّتِ الرِّوَايَةُ عَنْهُ ، وَكَانَ
مَوْثُوقًا بِهَا « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَاتِي » .

الْعَاطِرِ بِتَخْلِيدِ الْمَفَاخِرِ مَنْشُورِ الْأَذَاعَةِ، فِي أَيْدِي النَّوَاسِمِ^(١)
 الضَّوَّاعَةِ - مِنْ حَمَرَاءِ غَرْنَاطَةِ - حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى - عَنْ خَيْرِ
 هَامِي^(٢) السَّحَابِ، وَبِشْرِ مُفْتَحِ الْأَبْوَابِ، وَعِزِّ لِلْإِسْلَامِ
 بِبَرَكَةِ الْإِعْتِدَادِ بِمُلْكِكُمْ الْمَنْصُورِ الْأَغْلَامِ مُقْتَبِلِ
 الشَّبَابِ، وَيُمْنِ صَافِي^(٣) الْجَلْبَابِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى تَضَافُرِ^(٤)
 الْأَيْدِي فِي ذَاتِهِ وَتَوَفُّرِ الْأَسْبَابِ، وَجَانِبِكُمْ الرَّفِيعِ الْأَمَلِ
 الْمُتَنَابِ^(٥)، إِذَا حَدَّتِ الْخُدَاةُ ذَوَاتِ الْأَقْتَابِ^(٦)، وَمَطْمَحُ
 الْوَسَائِلِ الْمُطَرَّزَةِ الْمَسَائِلِ بِتَضَحِيحِ الْوُدِّ اللَّبَابِ^(٧)، وَإِلَى
 هَذَا وَصَلَ اللَّهُ تَعَالَى سَعْيَكُمْ بِسَوَابِغِ نِعَمِهِ وَآلَائِهِ
 دَائِمَةً الْإِنْسِكَابِ، وَجَعَلَ مَا عَجَّلَ لَكُمْ مِنْ نِعَمِهِ وَآلَائِهِ
 كَفِيلَةً بِالزَّلْفِيِّ وَحُسْنِ الْمَأْبِ^(٨)، وَالْهَمَّكُمْ تَقْيِيدَ شَوَارِدِهَا

(١) النواسم يريد بها الرياح، جمع ناسمة، من نسمت الريح إذا هبت، وضاع يضوع وتضوع إذا انتشرت رائحته وتأرجع عرفه وطاب شذاه
 (٢) همى السحاب والغيث اذا توالى هطله وتتابع سيله وهملانه (٣) اليمن الخير، والبركة والضافي: الطويل السابغ (٤) تعاون واجتماع (٥) أو «المتناب» واتنابه اذا قصده واختلف اليه وتردد عليه (٦) ذوات الاقتاب كناية عن الابل جمع قتب وهو الرجل (٧) الخالص: الصافي المحض (٨) في الاصل «المتاب» وأرى أنها مصحفة عن المآب، اقتباسا من الآية الكريمة «وان له عندنا زلفى وحسن مآب» والزلفى: القربة ودنو المنزلة «أحمد يوسف نجاتي»

بِالشُّكْرِ قَوْلًا وَعَمَلًا فَالشُّكْرُ مُسْتَدْعِي الْمَزِيدِ كَمَا
وَرَدَ فِي الْكِتَابِ^(١)، فَإِنَّ مِنَ الْمَنْقُولِ الَّذِي أُشْتَهَرَ وَرَاقَ
فَضْلُهُ، وَبَهَرَ قَوْلُهُ: أَشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَمَا فِي مَعْنَاهُ مِنَ الْمُعْتَبَرِ
فِي الْخَيْرِ وَتَنْفِيسِ كُرْبَةٍ عَنْ مُسْلِمٍ، وَسَمَاعٍ شَكَاوَى مِنْ
مُتَظَلِّمٍ، وَلَوْلَا أَنَّ مَقَامَكُمْ السَّنَى^(٢) أَغْنَى، لَجَلَبْنَا الْكَثِيرَ
مِنْ هَذَا الْمَعْنَى. وَلَمَّا تَحَقَّقَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ سُلُوكِ
(سَبِيلِ وَالِدِكُمْ الْمَلِكِ الصَّالِحِ قَدَّسَ اللَّهُ تَرْبَتَهُ، وَضَاعَفَ
قُرْبَتَهُ، مِنْ يَمَنِ الظَّفَرِ، وَسُلُوكِ)^(٣) سَبِيلِ الْخَيْرِ، وَإِقَامَةِ رُسُومِ
الدِّينِ، وَالْإِهْتِدَاءِ مِنْ هَدْيِهِ^(٤) بِالنُّورِ الْمُبِينِ، خَفَّ عَلَيْنَا أَنْ
تَقْصِدَ كُمْ بِالشَّفَاعَاتِ، مَعَ السَّاعَاتِ، وَتَتَجَرَّ لَكُمْ مَعَ اللَّهِ
بِأَنْفُسِ الْبِضَاعَاتِ، فَمَا أَثْمَرَ مِنْ ذَلِكَ شَكَرْنَا اللَّهُ تَعَالَى

(١) يشير الى قوله تعالى « اثن شكرتم لأزيدنكم » ومن المأثور :
فيدوا أوابد النعم بالشكر، أي أن النعم ان لم تستدم بالشكر عليها، ويتألف
شاردها بالقيام بحقوق الله فيها نفر شاردها وفرآبدها « أحمد يوسف نجاتي »
(٢) الرفيع العالى القدر (٣) ما بين القوسين ساقط من نسخة الأصل ،
ولكنه ثابت فى المأثور من رسائل لسان الدين ابن الخطيب، فأثبتناه، لأن
المعنى الآتى يستدعيه، وسياق الحديث يقتضيه « أحمد يوسف نجاتي »
(٤) فى الأصل « بمن هديه »

عَلَيْهِ حَقِيقَةٌ وَشَكَرْنَاكُمْ عَلَيْهِ شَرِيعَةً^(١) وَمَا تَأَخَّرَ
أَوْسَعْنَاكُمْ فِيهِ عُذْرًا يَسُدُّ ذَرِيعَةً ، وَعَلِمْنَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى
لَمْ يَأْخُذْ فِي تَعْجِيلِهِ ، وَسَأَلْنَاهُ فِي تَيْسِيرِهِ وَتَسْهِيلِهِ ، سَوَاءٌ
لَدَيْنَا فِي ذَلِكَ مَا عَادَ بِإِعَانَةٍ عَامَّةٍ وَإِمْدَادٍ ، وَسَاهَمَ فِي قَصْدِ
جِهَادٍ ، وَمَا لَمْ يَعُدْ عَلَيْنَا خُصُوصًا وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ مُعْمُومًا
بِإِعَانَةٍ وَلَا إِرْفَادٍ^(٢) ، إِنَّمَا عَلِمْنَا أَنَّ نَجْلَبَ الْخَيْرَ الْبَاقِيَ وَالْأَجْرَ
الرَّاقِيَ إِلَى بَابِكُمْ ، وَنَذَلَّ عَلَيْهِ كَرِيمَ جَنَابِكُمْ ، بِمُقْتَضَى وَدَادِ
صُبْحُهُ بَادٍ ، وَجَمِيلِ ظَنٍّ فِي دِينِكُمْ أَلْتَيْنِ وَأَعْتِقَادٍ ، سَلِمَ مُجْمَلُهُ
وَمُفَصَّلُهُ مِنْ أُنْتِقَادٍ ، وَذَلِكَ أَنَّ الشَّيْخَ الْخَطِيبَ الْفَقِيهَ
الْكَبِيرَ الشَّهِيرَ الصَّدْرَ الْأَوْحَدَ الْعَلَّامَةَ سُلَالَةَ الصَّالِحِينَ
وَالْخَطِيبَ وَالِدَكُمْ كَبِيرَ الْخُلَفَاءِ وَالسَّلَاطِينِ - وَيَا لَهَا مِنْ مَزِيَّةٍ
دُنْيَا وَدِينٍ - أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرْزُوقٍ - جَبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى يَدِكُمْ
الْبَرَّةَ حَالَهُ ، وَسَنَى مِنْ مَقَامِكُمْ أَلْسِنِي آمَالَهُ - جَرَى عَلَيْهِ
مِنَ الْمَحَنِّ ، وَتَبَارَيْحِ الْإِحْنِ^(٣) ، مَا يَعْلَمُ كُلُّ ذِي مُرُوءَةٍ

(١) يشير إلى المأثور: لا يشكر الله من لا يشكر الناس (٢) الرشد والإرفاد:
والإعانة والإعطاء (٣) التباريح: الشدائد والآلام. والاحن جمع إحنة وهي
الحقد والعداوة ، والغضب الطارىء من الحقد « أحمد يوسف نجاتي »

وَعَقْلٍ ، وَأَجْتِهَادٍ وَتَقَلٍّ ، أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْجَنَائَاتِ عَلَى وَالِدِ كُمْ
الْسلطانِ مُحْسُوبٌ ، وَإِلَى مَعْقَاتِهِ ^(١) مَنُشُوبٌ ، وَلَوْ كَانَتْ
ذُنُوبُهُ رَضْوَى وَثِيرًا ^(٢) لَاسْتَدْعَتْ إِلَى تَعْمُدِهَا ^(٣) عَفْوًا
كَبِيرًا ، رَغِيًّا لِذَلِكَ الْإِمَامِ الصَّالِحِ الَّذِي كَبُرَ خَلْفُهُ ^(٤)
وَأُخْرِمَ ، وَتَشْهَدُ وَسَلَّمٌ ، وَأَمَّنَ عَقِبَ دُعَائِهِ ، وَلَنْصَبَ كَفَّهُ ^(٥)
لِمَوَاهِبِ اللَّهِ تَعَالَى وَآلَائِهِ ، وَأَنْصَتَ لِخُطْبَتِهِ وَوَعْظِهِ ،
وَأَوْجَبَ الْمَزِيَّةَ لِسَعَةِ حِفْظِهِ ، وَعُدُوبَةَ لَفْظِهِ ، فَأَحْبَطَ ذَلِكَ
مَنْ أَحْبَطَ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ ^(٦) ، وَعَطَّلَ الْمُتَاجِرَ الرَّابِحَةَ ،

(١) عقوقه وخلافه للسير بما يضاد سيزه ، فقد كان مكرما لابن
مرزوق ، وصديق والدك صديق لك ، ومن البر بالوالد اكرام من
كان يكرمه « أحمد يوسف نجاني » (٢) رضوى جبل بالمدينة
على نحو ٧ مراحل منها ميامنه طريق مكة ، وهو قرب ينبع ، وكان
لقبيلة جهينة ، وهو الجبل الذي يقول الكيسانية ان الامام محمد بن الحنفية
عليه السلام مقيم به حيا يرزق . وثبير جبل مشرف بمكة من أعظم
جبالها بينها وبين عرفة « أحمد يوسف نجاني » (٣) في الاصل « تعمدتها »
وهو تصحيف ، وتعمد ذنبه اذا ستره بالعفو عنه ، وغطى عليه بستر العفوة
(٤) يريد أن السلطان والده كان يصلى خلف الامام ابن مرزوق ، وتلك
درجة ينبغي مراعاتها « أحمد يوسف نجاني » (٥) يريد بسط كف
الضراعة داعيا الله تعالى عقب الصلاة « أحمد يوسف نجاني » (٦) يريد به
من نصب شرك المكاييد لابن مرزوق من أعدائه ، وتقديم شرح ذلك في
تعليقنا ، وتأتي تتمته . وأحبطه : أي أبطله وأضاع ثمرته . « أحمد يوسف نجاني »

وَأَسِيفٌ^(١) الْمَلِكُ الْمَذْكُورُ بِدَمٍ وَلَدِهِ^(٢) ، وَإِخْرَاقِ خَزَائِنِهِ
وَعُدْدِهِ ، وَتَغْيِيرِ رُسُومِهِ وَحُدُودِهِ ، وَإِسْخَاطِهِ وَإِسْخَاطِ اللَّهِ
مَعْبُودِهِ ، إِلَى أَنْ طَهَّرَ سَيْفُكُمْ الْمَلِكَ^(٣) مِنْ عَارِهِ ، وَأَخَذَ مِنْهُ
بِثَّارِهِ ، وَتَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى السَّلَفِ الْكَرِيمِ بِمَخَوِ
آثَارِهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا خَصَّهُ مِنْ إِثَارِهِ ، وَتَدَارَكَ الْإِسْلَامَ
بِإِقَالَةِ عِثَارِهِ . وَإِنَّهُ خَاطَبَنَا الْآنَ مِنْ حَضْرَةِ ثُوْنَسَ يَقَرَّرُ
مِنْ حَالِهِ مَا يَفْتُ الْفُؤَادَ ، وَيُوجِبُ الْإِمْتِعَاضَ لَهُ وَالْإِجْتِهَادَ ،
يَطْلُبُ مِنَّا الْإِعَانَةَ بَيْنَ يَدَيْكُمْ وَالْإِنْجَادَ ، وَيَشْكُو الْعَيْلَةَ^(٤)

(١) أو « آسف » يعنى أغضب (٢) قد عرفت من تعليقنا السابق أن تلك الثورة
الجامحة انتهت بقتل السلطان أبي سالم إبراهيم بن أبي الحسن المريني أخى
السلطان المخاطب بهذه الرسالة أبي فارس عبد العزيز بن أبي الحسن ، وأن ذلك كان
سنة ٧٦٢ « أحمد يوسف نجاشى » (٣) فى الأصل « الملك » وأرى أنها مصدفة
عن « الملك » فإن السلطان أبافارس هو الذى أنعمش دولة بنى مرين ، وأعاد
إليها شبابها بعد هزمها ، وأزال عنها وصمة الحجر والاستبداد ، ورفع
من شأنها ، وبت مهابتها فى الصدور ، بويغ بالخلافة فى أواخر سنة ٧٦٧
وأراد الوزير عمر بن عبد الله أن يجرى معه على عادته من الاستبداد ومنع
التصرف فى شىء من أمور الملك ، فأنف السلطان عبد العزيز من ذلك
ودارت بينه وبين الوزير أمور انتهت إلى أن ثأر منه للملك ولأخيه ، ثم
تبع حاشيته بالاعتقال والقتل ، فصفا لسلطان الملك ، واضطلع به ، وأحسن
القيام عليه ، وساسه خير سياسة ، حتى قضى نحبه سنة ٧٧٤ رحمه الله .
« أحمد يوسف نجاشى » (٤) الفقر والحاجة وسوء الحال

وَالْأَوْلَادَ، وَالْغُرَبَاءَ الَّتِي أَحَلَّتْهُ الْأَقْطَارُ النَّازِحَةُ^(١) وَالْبِلَادَ،
وَالْحَوَادِثَ الَّتِي سَلَبَتْهُ الطَّارِفَ وَالتَّلَادَ^(٢)، وَأَنْ نَذَرَ كَرِّكُمْ
بِوَسِيلَتِهِ، وَضَعَفَ حِيلَتِهِ، فَبَادَرْنَا لِدَلِكَ عَمَلًا بِالْوَاجِبِ،
وَسُئِلُوا كَمَا مِنْ بَرٍّ وَرَعَى حَقُّهُ عَلَى السَّنَنِ^(٣) الْلَا حِبِّ، وَإِنْ
كُنَّا نَطَوَّقُهُ فِي أَمْرِنَا عِنْدَ الْحَادِثَةِ عَلَيْنَا تَقْصِيرًا، وَلَا نَشْكُرُ
إِلَّا اللَّهَ وَلِيًّا وَنَصِيرًا، فَحَقُّهُ عَلَيْنَا أَوْجَبٌ، فَهُوَ الَّذِي لَا يُجْحَدُ
وَلَا يُحْجَبُ، وَلَا يَلْتَبِسُ مِنْهُ الْمَذْهَبُ^(٤). وَكَيْفَ لَا يُشْفَعُ
فِي مَنْ جَعَلَهُ السَّلَفُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى شَفِيعًا؟! وَأَحَلَّهُ مَحَلًّا مَنِيعًا
رَفِيعًا، إِلَى وَلِيِّهِ الَّذِي جَبَرَ مُلْكُهُ سَرِيعًا؟! وَصَيَّرَ جَنَابَهُ بَعْدَ
الْمُحُولِ^(٥) مَرِيعًا، وَجَدَّدَ رُسُومَهُ تَأْصِيلًا لَهَا وَتَقْرِيعًا؟!
وَمِثْلُكُمْ مَنْ أُغْتَمَ بِرِّهِ فِي نَصْرِ مَظْلُومٍ، وَسَبَرِ مَكْلُومٍ^(٦)
وَإِعْدَاءِ كَرَمٍ عَلَى لُومٍ^(٧)، وَهِيَ مَنَاذِرُ كَرَى تَنْفَعُ^(٨)، وَحِرْصٌ

(١) البعيدة النائية . (٢) الجديد والقديم : أى ذهبت بكل ماله
(٣) السنن : الطريق ، واللاحب : الواضح المستقيم (٤) التبس : أبهم وأشكل
ولم يتضح ، والمذهب الطريق (٥) الحل : الجذب والقحط ، والمريع :
الخصب (٦) يريد أن مثل السلطان من أبرأ جراح الحاجة ، وأساكم الفاقة
وسبر الجرح اذا قاسه ليعرف عمقه فيعالجه على حسب ما يبدوله . والمكْلُوم
الجريح (٧) أعداء عليه : اذا نصره وأعانه ، واللوم مخفف من اللوم يريد
بالكرم ابن مرزوق ، وباللوم أعداءه وسوء أعمالهم «أحمد يوسف نجاتي»
(٨) يشير الى قوله تعالى : « وذكرفان الذكري تنفع المؤمنين »

عَلَى أَجْرٍ مَنْ يَشْفَعُ، وَإِسْعَافٌ نِمْنٌ سَأَلَ مَا يُعْلِي مِنْ قَدَرِكُمْ
وَيَرْفَعُ، وَتَأْدِيَةٌ لِحَقِّ سَلَفِكُمْ الَّذِي تَوَفَّرَتْ حُقُوقُهُ،
وَإِبْلَاجٌ نَصِيحَةٍ دِينِيَّةٍ إِلَى مَجْدِكُمْ الَّذِي لَا يَمْنَعُهُ عَنِ الْمَجْدِ
مَانِعٌ وَلَا يَعُوقُهُ، وَمَطْلَبُهُ فِي جَنْبِ مُلْكِكُمْ الْكَبِيرِ حَقِيرٌ.
وَهُوَ ^(١) إِلَى مَا يَفْتَحُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عَلَى يَدِ صَدَقَتِكُمْ فَقِيرٌ،
وَمَنْهَلُكُمْ الْأَرْزَى ^(٢)، وَبَاعُكُمْ فِي الْخَيْرِ أَطْوَلُ وَسَاعِدُكُمْ
أَقْوَى « وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ
الزَّادِ التَّقْوَى »، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَسَلِّكُ بِكُمْ الْمَسَالِكَ الَّتِي
تُخَلِّدُ بِالْجَمِيلِ ذِكْرَكُمْ، وَتُعْظِمُ عِنْدَ اللَّهِ أَجْرَكُمْ، فَمَا عِنْدَ
اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ، وَالْدُّنْيَا دَارُ الْغُرُورِ وَالْآخِرَةُ دَارُ الْقَرَارِ،
وَهُوَ سُبْحَانَهُ يَصِلُ سَعْدَكُمْ، وَيَحْرُسُ مَجْدَكُمْ، وَالسَّلَامُ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. أَنْتَهَى.

وَالسُّلْطَانُ الْمُخَاطَبُ بِهَذَا هُوَ أَبُو فَارِسٍ عَبْدُ الْعَزِيزِ
ابْنُ السُّلْطَانِ الْكَبِيرِ الشَّهِيرِ أَبِي الْحَسَنِ الْمَرِينِيِّ، وَكَانَ

(١) فِي الْأَصْلِ « وَهُوَ بِهِ إِلَى مَا يَفْتَحُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ الْخ »، وَنَرَى أَنَّ « بِهِ »
الْأُولَى زَائِدَةٌ لَا مَحْلَ لَهَا كَمَا فِي بَعْضِ النُّسخ (٢) اسْمُ تَفْضِيلٍ مِنْ رَوَى

أَبْنُ مَرْزُوقٍ غَالِبًا عَلَى دَوْلَةِ السُّلْطَانِ أَبِي سَالِمٍ أَخِي
أَبِي فَارِسٍ الْمَذْكُورِ، فَقَتَلَهُ الْوَزِيرُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
الْفُودُودِيُّ^(١) وَتَغَلَّبَ عَلَى الْمَلِكِ، وَنَصَبَ أَخًا لِأَبِي سَالِمٍ

(١) أسرة الفودودي من الأسر البربرية التي توارثت الوزارة في دولة بني مرين، فقد كان عبد الله بن ابراهيم الفودودي وزير السلطان أبي الحسن وكان الحسن بن عمر الفودودي وزيرا للسلطان المتوكل على الله أبي عنان فارس بن أبي الحسن القائم بالأمر بعد وفاة والده، وتوفي قتيلا خنقه وزيره المذكور آخر سنة ٧٥٩ ولما قام بالأمر بعده ابنه السلطان السعيد بالله أبو بكر بن أبي عنان بن أبي الحسن المريني كان هو أول من استبد عليه من ملوك بني مرين، فقد كان محجوبا بوزيره هذا حسن بن عمر الفودودي، لا يملك معه ضراولا نفعا، واعتقل بعض اخوته، حتى ضجر منه بنو مرين الذين كانوا بمدينة تلمسان لقسوته في معاملة أسرهم المالكة واستبداده بهم وحجره لعلطانهم. فلما استولى السلطان أبو سالم على ملك فاس والمغرب سنة ٧٦٠ عقد للحسن بن عمر على مرا كش تخففا منه وريية بمكانه من الدولة، فاستقر بها، وتأملت له بها رياسة نفسها عليه أهل مجلس السلطان، وسعوا فيه عنده، حتى تنكر له، وأظلم الجوبالشر بينهما، وشعر الحسن بن عمر بذلك غشى على نفسه، وخرج من مرا كش في شهر صفر سنة ٧٦١ منحرفا عن السلطان، ومرتكبا الخلاف، وشاقا عصا الطاعة، فأرسل اليه السلطان من حاربه، وقبضوا عليه، فشهروه هو ومن انضم اليه، حتى صاروا بركة لمن اعتبر، فقد وجم وأهين وضرب ثم قتل بعد ذلك، ونصب شلوه بباب المروق بمدينة فاس، فاستوسق للسلطان أبي سالم ملك المغرب، ومحي أثر الخوارج منه. ثم توفي السلطان أبو سالم كما تقدم سنة ٧٦٢ واستولى عمر بن عبد الله بن علي بن سعيد الفودودي « وهو هذا » أحد كبراء الدولة ووزرائها على دار الملك إذ كان السلطان أبو

مَعْتُوهاً، وَسَجَنَ^(١) ابْنَ مَرْزُوقٍ وَرَامَ قَتْلَهُ، فَخَلَّصَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ . ثُمَّ إِنَّ السُّلْطَانَ أَبَا فَارِسٍ ثَارَ عَلَى الْوَزِيرِ الْمُتَغَلِّبِ وَقَتْلَهُ، وَأُسْتَقْلَ بِالْمَلِكِ، فَخُوطِبَ فِي شَأْنِ ابْنِ مَرْزُوقٍ بِمَا ذُكِرَ.

سالم قد خلفه عليها قبل مقتله، فحدثته نفسه بالتوب، وساعده على ذلك ما كان قد عرفه من مرض القلوب على السلطان لمكان ابن مرزوق منه، وانتهى الأمر بما تقدم شرحه من قتل السلطان أبي سالم، وأقيم السلطان أبو عمر تاشفين الموسوس بن أبي الحسن الريني، فكان محجوباً بالوزير عمر بن عبيد الله أيضاً ليس له معه من الأمر شيء، وكذا كان معه السلطان المتوكل على الله أبو زيان محمد بن أبي عبد الرحمن يعقوب بن أبي الحسن القائم بالأمر سنة ٧٦٣. « أحمد يوسف نجاتي » .

(١) عرفت أن هذا المعتوه هو أبو عمر تاشفين الموسوس، وأمه أم ولد اسمها ميمونة، وكان فارساً بطلاً قوى الساعد، غير أنه كان ناقص العقل فاستبد عمر بن عبد الله الفودودي بأمر الدولة بعد أن قتل السلطان أبي سالم، ونصب هذا الموسوس بموهبه على الناس، فبويع له في ١٩ من ذي القعدة سنة ٧٦٢ وكان نقص عقل تاشفين هذا من أجل الأسر الذي أصابه بوقعة طريف أيام والده السلطان أبي الحسن إلى أن افتدى، وبقي كذلك ضعيف العقل مختل المزاج إلى أن كان من أمره ما كان، وحصل في الدولة اضطراب وثورات وفن وخطوب، حتى راجع الوزير عمر بن عبد الله نفسه، وعلم أن الأمر لا يستقيم له مع هذا الموسوس، فبادر باستقدام أبي زيان محمد بن أبي عبد الرحمن يعقوب بن السلطان أبي الحسن - وكان عند الطاغية بدار الحرب بالأندلس، فرأيه خوفاً على نفسه - فقدم وخلع الوزير المذكور سلطانه المعتوه في صفر سنة ٧٦٣ وبويع لأبي زيان كما تقدم. واستبد الوزير عمر بالأمر، غير أن عزة نفس السلطان أبي زيان مكنته

أن يغض من شأن وزيره عمر بن عبد الله بعد أن رأى نفسه في رقابة شديدة منه ، ولكن القادير أعانت الوزير على سلطانه لما رآه قد أخذ يتنكر له ، فتمكن بدهائه وعبونه وأرصاده أن يقتل السلطان أبا زيان في أواخر سنة ٧٦٧ فقام بالأمر بعده شهم بنى مرين السلطان أبو فارس . عبد العزيز وكان منه ما شرحناه لك آنفا من قتله الوزير عمر بن عبد الله سنة ٧٦٨ وكانت وفاة السلطان عبد العزيز سنة ٧٧٤ رحمه الله ، وكان شهما شجاعا أبى النفس أديبا . « أحمد يوسف نحاني » .



﴿ انتهى الجزء السادس من كتاب نفح الطيب ﴾
ويليه الجزء السابع إن شاء الله تعالى وأوله
﴿ رجع الى ما كنا فيه ﴾
من ذكر الراحلين من أعلام الأندلسيين

حقوق الطبع محفوظة للمترجم

الدكتور أحمد فريد رفاعي بك

جميع النسخ موهورة بتوقيع ناشره

فهرست

الجزء السادس من كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب

اسم صاحب التعريف	الصفحة	
	من	الى
كلمة العباد الأصفهاني	٣	٣
التعريف ببعض من رحل من الأندلسيين الى المشرق	٥	٧
عبد الملك بن حبيب السلمي	٧	١٠
تعريف آخر لعبد الملك بن حبيب	١١	١٥
يحيى بن يحيى الليثي الفقيه المحدث	١٦	٢٣
القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى	٢٣	٣٠
محمد بن عبد الله بن يحيى الليثي قاضي الجماعة بقرطبة	٣٠	٣٢
عتيق بن أحمد بن عبد الباقي الأندلسي	٣٢	٣٣
أبو ابراهيم اسماعيل بن محمد بن يوسف الأنصاري الملقب برهان الدين	٣٣	٣٤
القاضي منذر بن سعيد البلوطي	٣٤	٤٧
أبو محمد القاسم بن فيره الشاطبي	٤٨	٥٧
أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المافري	٥٨	٨٦
بعض فوائد . أبو بكر بن العربي	٨٧	١٠٥
أبو بكر محمد بن أبي عامر بن حجاج الغافقي	١٠٥	١٠٦
جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن بن ذي النون الأنصاري	١٠٦	١٠٨

٢ فهرست الجزء السادس من كتاب تفتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب

الصفحة	من	الى	اسم صاحب التعريف
١٠٨	١١٢		زياد بن عبد الرحمن بن زياد اللخمي المعروف بشبظون
١١٢	١١٣		سوار بن طارق مولى عبد الرحمن بن معاوية
١١٣	١١٧		نقى بن مخلد
١١٨	١٢٢		قاسم بن أصبغ بن محمد يوسف البياني
١٢٣	١٢٤		قاسم بن ثابت أبو محمد العوفي السرقسطي
١٢٥	١٢٧		أبو محمد المرسى اللورقي وهو قاسم بن موفق
١٢٧	١٣٠		قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن يسار
١٣٠	١٣١		أبو بكر محمد بن ابراهيم بن أحمد بن اسود الفسائي
١٣١	١٣٣		أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن جيون
١٣٣	١٣٤		أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن غالب المالقي
١٣٤	١٣٥		أبو عبد الله محمد بن ابراهيم اليقوري
١٣٥	١٣٧		أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن موسى الأنصاري ويعرف
			بأن شق الليل
١٣٧	١٤٤		أبو عبد الله القرشي الهاشمي الأندلسي
١٤٤	١٤٥		أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسين القرطبي
١٤٦	١٤٦		أبو بكر محمد بن علي بن خلف الجياني التجيبي
١٤٧	١٤٧		أبو بكر محمد بن علي بن يامر الأندلسي الأنصاري
١٤٧	١٤٨		أبو عبد الله محمد بن علي التجيبي الدهان الغرناطي
١٤٨	١٤٨		أبو عمر محمد بن علي بن أبي الربيع القرشي العناني

فهرست الجزء الحادى من كتاب نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ٣

اسم صاحب التعريف	الصفحة	
	من	الى
أبو بكر محمد بن على بن هذيل البلنسى	١٤٩	١٥٠
أبو عبد الله ويقال أبو سلمة محمد بن على البلياسى	١٥٠	١٥٠
أبو عبد الله محمد بن على بن يحيى الشامى الأندلسى الغرباوى	١٥٠	١٥١
أبو عبد الله محمد بن عمار الكلاعى الميورقى	١٥٢	١٥٢
أبو عبد الله محمد بن عمر الفخار القرطبى	١٥٣	١٥٥
أبو عبد الله محمد بن عمرو القرطبى	١٥٥	١٥٧
أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المافرى	١٥٨	١٥٨
أبو عبد الله محمد فطيس الغافقى	١٥٨	١٦٠
أبو عبد الله محمد بن قاسم بن سيار القرطبى	١٦٠	١٦١
أبو عبد الله محمد بن قاسم القرشى الفهرى	١٦١	١٦٣
أبو عبد الله محمد بن لب الشاطبى	١٦٣	١٦٣
أبو عبد الله محمد بن سراقه الشاطبى	١٦٤	١٦٨
أبو عبد الله محمد بن أحمد القرشى	١٦٨	١٦٩
أبو عبد الله محمد بن خيرون	١٦٩	١٧١
ضياء الدين أبو جعفر محمد بن صابر بن بندر المالى	١٧٢	١٧٢
أبو بكر محمد الزهرى المعروف بابن محرز	١٧٢	١٧٣
القاضى أبو الوليد الباجى	١٧٣	١٨٢
أبو ذر المعروف بابن الدماك	١٨٣	٢٠٢
أبو محمد بن حزم الظاهرى	٢٠٢	٢٢٢
أبو بكر محمد بن الوليد الفهرى	٢٢٢	٢٢٣

فهرست الجزء السادس من كتاب فتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب

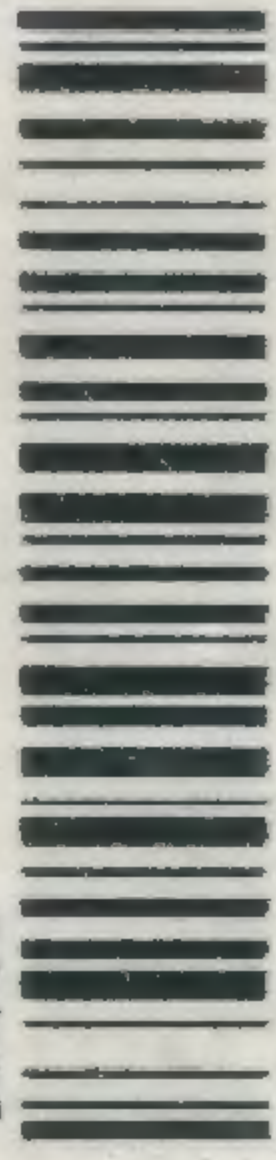
اسم صاحب التعريف	الصفحة	
	من	الى
محمد بن عبد الجبار الطرطوشي	٢٣٣	٢٣٣
أبو علي الصدقي حسين بن محمد المعروف بابن سكره	٢٣٣	٢٣٩
ابن أبي روح الجزيري	٢٤٠	٢٤٠
أبو حفص عمر بن الحسن الموزني	٢٤٠	٢٤٣
أبو عمرو عثمان بن الحسين بن دحية الكلبي	٢٤٤	٢٤٥
أبو بكر محمد بن القاسم المعروف باشكناهه	٢٤٥	٢٥١
أبو عبد الله محمد بن عبد ربه المالقي	٢٥١	٢٥٦
أبو محمد عبد المنعم بن عمر بن حسان المالقي	٢٥٦	٢٥٧
أبو الخطاب بن دحية عمر بن الحسين الظاهري الأندلسي	٢٥٨	٢٧٧
خلف بن القاسم بن سهل بن الدباغ	٢٧٧	٢٧٩
خلف بن سعيد بن عبد الله بن زراره	٢٧٩	٢٨٠
أبو الصلت أمية بن عبد العزيز	٢٨٠	٢٩٣
أبو محمد عبد الله بن يحيى بن بهلول	٢٩٣	٢٩٤
أبو عامر التياري	٢٩٤	٢٩٦
أبو الحجاج يوسف بن عتبة الأشبيلي	٢٩٦	٢٩٨
جمال الدين أبو بكر محمد بن يوسف الأندلسي المعروف بابن مسدي	٢٩٨	٢٩٩
أبو عبد الله محمد بن فتوح الأسدي الحميدي	٢٩٩	٣٠٦
أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي	٣٠٦	٣١٠
أبو بكر يحيى بن سعدون الأزدي القرطبي الملقب بضياء الدين	٣١٠	٣١٤

فهرست الجزء السادس من كتاب تفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ٥

اسم صاحب التعريف	الصفحة	
	من	الى
الوزير أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن بن عبد ربه	٣١٥	٣١٩
أبو عبد الله محمد بن الصفار القرطبي	٣١٩	٣٢٣
أبو الوليد محمد بن المشرف بن الجنان الكناني الشافعي	٣٢٤	٣٣٣
أبو محمد القرطبي	٣٣٤	٣٣٤
علي بن أحمد القادسي الكناني	٣٣٤	٣٣٤
أبو عبد الله بن العطار القرطبي	٣٣٥	٣٣٦
أعلام تونس الأفاضل	٣٣٦	٣٤٩



Bibliotheca Alexandrina



0419399